مجلـــة
دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (٨٥) لشهر نيسان لسنة ٢٠٢٣

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047
البريد الالكتروني: jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٨٥) لشهر نيسان لسنة ٢٠٢٣

عدد الصفحات : ٦٥٢ صفحة

تصميـــم واخـــراج

عـــلا صالح الجراح

دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر

بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب

07729093707 – 07736558370

ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير :أ.د. وفاء عدنان حميد
مدير التحرير : أ.د. باسمة جليل عبد المعموري

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. انعـــام مهـدي علـي	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. قصـــي صبحـي عباس	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عـــادل شـابث جابـر	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. فاضـــل مهـدي بيـات	تركيا
أ.د. حسيـــن القهوانـــي	الاردن
أ.د. مـــارجريتا فـان أيـس	المانيا
ا.د. والتـــر زالابيرجـــر	المانيا
أ.د. بيتـــر ميكلـــوس	المانيا
أم.د. فـــاروق محمـد علـي	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ليـــث مجيـد حسين	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. احمد ناطـــق ابراهيـم	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جـواد	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ماجدة حســو منصـور	كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية

التصحيح اللغوي للغة العربية: أ.م.د. لمى فائق جميل
التصحيح اللغوي للغة الانكليزية: أ.م.د. سناء لازم حسن

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث مايأتي:
   أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
   ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
   ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
   د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط(١٢) .
   هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لايتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:

أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).

ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦) الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث الاخرى الخط (١٤) .

ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft Office Word.

٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.

١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق التقارير المرسلة اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز (١٥) يوم.

١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .

١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع والنشر)والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار.

١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع ثم رفع طلب للنشر.

- **لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.**

رئيس التحرير

فهرس العدد (٨٥)

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	القيم الاخلاقية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة	أ. د. زكية حسن إبراهيم الدليمي	٣-٢٠
٢.	العلاقات العراقية –اليابانية(النفط أنموذجا) ((دراسة من خلال وثائق وزارة الخارجية العراقية ووثائق السفارة البريطانية ١٩٧٣-١٩٧٤))	ا.م.د فلاح حسن كزار	٢١-٥٦
٣.	"الدور الامريكي في حرب الجهاد الافغاني ضد السوفييت" (١٩٨١-١٩٨٩)	أ.م.د. سلام فاضل المسعودي	٥٧-٨٤
٤.	موقف الصحافة السعودية من الاعتداء الامريكي على ليبيا في ١٥ نيسان ١٩٨٦	م.د. اياد عايش محمد	٨٥-١٠٨
٥.	عطا عبد الوهاب ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٨	م.د. حميد حسون نهاي	١٠٩-١٤٨
٦.	مسارات السياسة التركية (١٩٣٩-١٩٦٠)	م. د احمد ناظم عباس	١٤٩-١٨٢
٧.	الأجنحة في حضارة بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الفنية	عبد القادر حميد احمد العبيدي	١٨٣-٢١٢
٨.	مرويات الزمخشري (ت ٥٣٨/١١٤٣) عن الصناعات الغذائية في كتابه اساس البلاغة	عباس دعير دشر أ. د. مقتدر حمدان عبد المجيد	٢١٣-٢٢٨
٩.	الموقع الجغرافي للمدن اليونانية واهميته في نشأتها وتأسيسها.(كورنث أنموذجاً)	خالد مجيد هادي أ.م.د. رويدة فيصل موسى النواب	٢٢٩-٢٥٢
١٠.	حلف وارشو	م.د. عباس محمد جميل الأغا م.م. فاطمة حمدان عبادي	٢٥٣-٢٨٢
١١.	الصناعات الزجاجية في ضوء المصادر المدونة في بلاد الرافدين	سعاد عبد الحسين خديه مرهج أ . م . د . فيحاء مولود علي	٢٨٣-٢٩٨
١٢.	طبيعة العلاقات الاقتصادية السوفيتية– التركية قبل الحرب العالمية الثاني ١٩٣٩ - ١٩٤٥	ا. م. د. معاذ هلال جاسم	٢٩٩-٣١٨
١٣.	ديوان الانشاء في عهد الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤م)	م . فاتن كامل شاهين	٣١٩- ٣٥٠
١٤.	التنافس السياسي على السلطة في اليابان ١٩٧٢-١٩٨٢ من خلال الوثائق العراقية.	أ.د حسين جبار شكر	٣٥١-٣٩٠

١٥.	خطباء مصر في العصر الفاطمي بنو عبد السميع انموذجا	أ.م.د. وسن سمين محمد امين	٣٩١-٤٣٠
١٦.	الأنهار الجارية بين العراق وإيران في ضوء أحكام القانون الدولي	أ.م.د.جعفر خزعل جاسم المؤمن	٤٣١-٥٠٤
١٧.	نشأة الخراج في العصر الإسلامي	أ.د. وفاء عدنان حميد	٥٠٥- ٥٢٢
١٨.	نصوص مسمارية من العصر السومري الحديث	م.م. سمر عباس عبد الكريم	٥٢٣- ٥٣٨
١٩.	وظيفة صناعة التماثيل واماكن حفظها	مريم علي حسين أ.م.د. أوسام بحر جرك	٥٣٩- ٥٥٣
٢٠.	عمارة البيوت الدائرية في العراق القديم في ضوء المكتشفات المعمارية	خانه أكرم محمد	٥٥٤- ٥٩١
٢١.	أثر السعاية والوشاية على منصب القضاء في الدولة الفاطمية	جنان كاظم عبدالكريم دواح أ.د بلقيس عيدان لويس الربيعي	٥٩٢- ٦١١
٢٢.	الأعمال العمرانية للاسرة الجليلية في مدينة الموصل -نماذج منتخبة-	**م.رنا وعد الله مهدي**	٦١٢-٦٣٣
٢٣.	أزمة فاشودة 1898 واثرها في العلاقات البريطانية الفرنسية	م. د. نغم عبد الهادي مهدي	٦٣٤- ٦٥٢

القيم الاخلاقية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أ. د. زكية حسن إبراهيم الدليمي

كلية الآداب / جامعة بغداد

القيم الاخلاقية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أ. د. زكية حسن إبراهيم الدليمي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

القيم الاخلاقية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

تعد الاخلاق الحميدة ركناً مهناً من اركان التربية الإسلامية الصحيحة التي بها يتم بناء الأمم والشعوب وتقدم الحضارات وإعادة الحقوق الضائعة والاوطان المسلوبة الى أهلها.

إذ اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالجانب الأخلاقي في الانسان والمجتمع على حداً سواء بحيث ورد في القرآن الكريم اكثر من ١٥٠٠ اية تتصل بالاخلاق سواء في جانبها النظري ام في جانبها العملي التطبيقي. تلك الخصوصية والصفة التي يفتقد اليها العالم الغربي اليوم بالرغم من تزاحم مكتباته بآلاف الكتب عن الاخلاق ونظرياته لكنه يفتقد الى الممارسة العملية.

لقد كان نبينا محمد ((ﷺ)) احسن الناس خلقاً وخلقاً وقد بلغ من الرقي الأخلاقي ما جعله يستحق الوصف الرباني قال سبحانه وتعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وقد روي عن الامام مالك ان رسول ((ﷺ)) قال (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وقال لمعاذ ابن جبل ( ) ناصحاً له مؤكداً على حسن الخلق (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس خلقا حسن) فعلى جميع المسلمين حكاما ومحكومين الاقتداء به في سائر احواله قال سبحانه وتعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة...) وتتمثل القيم الأخلاقية السامية التي تحتل المرتبة الثانية في الإسلام بعد الايمان بالله اذ لا يتم ايمان المسلم ولا يكتمل اسلامه الا اذا حسنت اخلاقه في عدة موضوعات دينية كانت او

اجتماعية او اسرية او وطنية كالصدق والصبر والتسامح والعدل والرحمة والأمانة والحياء والعفو والوفاء والشجاعة والتواضع والإحسان والاستقامة وغيرها كثير وعليه جاء بحثي بعنوان **(القيم الاخلاقية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)** اذ كان للخطب النبوية التربوية في المجال الأخلاقي دوراً مهماً واثراً واضحاً في تحمل المسؤولية ونشر الإسلام في كل ارجاء العالم اذ ربى الرسول ((ﷺ)) الصحابة الكرام التربية الإسلامية الصحيحة الذين قادوا الدنيا ودانت لهم العباد وفتحت لهم البلاد الواسعة وكانوا سادة الأمم فنقلوها من ظلمات الجهل والاستبداد الى نور الإسلام فكان عليه الصلاة والسلام خير مربي ومعلم فالامم والشعوب والحضارات مهما تقدمت وارتقت تضعف وتسقط ويسيطر عليها الأعداء اذا ما ذهبت اخلاقها كما قال امير الشعراء احمد شوقي:

انما الأمم الاخلاق ما بقيت فإذا هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وقد قسمت بحثي هذا الى مبحثين تناولت في المبحث الأول التعريف بالقيم والأخلاق لغة واصطلاح وكما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

اما المبحث الثاني فقد تضمن الحديث عن احدى عشر من القيم الأخلاقية التي تناولتها آيات القران الكريم و احاديث الرسولﷺ وقد اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع .

المبحث الأول

تعريف القيم والأخلاق لغة واصطلاحاً وكما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

اولاً: تعريف القيم والأخلاق لغة واصطلاحا:

١- تعريف القيم والأخلاق لغة

ذكر الرازي (ت٦٦٦ه/١٢٦٧م) ان القيمة واحدة القيم والقيمة من قوم السلعة تقويما ومن قوم الشيء تقويما فهو قويم أي مستقيم [١]. وقال ابن منظور (ت٧١١ه/١٣١١م) ((ويقال ما لفلان قيمة أي ماله ثبات ودوام على الامر وقومت السلعة ثمنتها))[٢].

اما الفيروز ابادي (ت٨١٧ه/١٤١٤م) فقد أشار الى تعريف القيمة من الاستقام أي الاعتدال وقومته عدلته فهو قويم ومستقيم[٣],اما الاخلاق لغة التي جمعها خلق هي الدين والطبع والسجية والمروءة[٤] ,

٢-القيم والأخلاق اصطلاحاً:

اما القيم اصطلاحاً فقد تعددت التعريفات لها فقد عرفها أبو النيل بقوله (القيمة هي الصفة التي يكتسبها شيء او موضوع ما من سياق تعامل الفرد وتفاعله معه وتقدر قيمته بناء على مدى نفعه وفائدته للإنسان والمجتمع) [٥].

وعرفها زيدان بقوله (القيم هي احكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية ينشر بها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره وسلوكه وتؤثر في تعلمه فالصدق والأمانة والشجاعة الأدبية والولاء وتحمل المسؤولية لها قيم يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه) [٦] من هذا يتضح لنا ان القيم ذات تأثير واضح في توجيه سلوك الفرد وتركيب وتكوين شخصيته.

اما الاخلاق اصطلاحاً فقد عرفها الجاحظ (ت٢٥٥ه/٨٦٩م) بقوله (الخلق هو حال النفس بها يفعل الانسان افعاله بلا رويه ولا اختيار والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً وفي بعضهم لا يكون الا بالرياضة والاجتهاد كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضه ولا تعلم وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الاخلاق الحميدة)[٧].

وأشار اليها بشكل واضح ودقيق مسكويه (ت٤٢١ه/١٠٣٠م) بقوله (الخلق حال النفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم الى قسمين منها ما يكون طبيعياً من اصل المزاج ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب وربما يكون مبدؤه بالرؤية والفكر ثم يستمر اولاً بأول حتى يصير ملكة وخلقا) [٨].

وعرفها الغزالي (ت٥٠٥ه/١١١١م) قال (بأنه عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة فعلا وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقا حسناً وان كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي تصدر عنها خلقاً سيئاً) [٩].

ثانيا: القيم والأخلاق كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

تعد الشريعة الإسلامية ومصدراها الاساسيان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المصدر الأساسي للقيم والأخلاق والخطب في المجتمع الإسلامي وذلك لما تتضمنه من قواعد وخصائص عامة صالحة لهداية الناس في كل مكان وزمان لأن الدين الإسلامي هو الدين الذي اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون الدين الخاتم الذي ارتضاه الله للعالمين منذ بعث نبيه محمد (ﷺ)وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وعليه فإن القيم التي مر ذكرها سابقاً في اللغة العربية وهي مشتقة من الأصل (قوم) وقد استعمل جذره للدلالة على معان متعددة ومختلفة فقد تأتي بمعنى الإصلاح والمحافظة كما في قوله تعالى (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء) [١٠] كما وردت كلمة القيم واشتقاقاتها في عدة ايات قرآنية من قوله تعالى (كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ) [١١] وقوله عز

وجل (كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ...) [١٢] كما وقال ايضاً (دِيناً قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) [١٣] وقوله أيضا (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [١٤].

اما الاخلاق فقد وردت في القرآن الكريم في ١٥٠٤ اية[١٥] تتصل بالاخلاق سواء في جانبها النظري ام في جانبها العملي التطبيقي نظراً لاهتمام الإسلام بالجانب الأخلاقي في الانسان والمجتمع من ذلك قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ...) [١٦] وقوله أيضا (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [١٧] وقال عز وجل (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [١٨].

اما في الحديث النبوي الشريف فقد ورد لفظ القيمة في عدة احاديث نبوية شريفة فعن الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري (ﷺ) قال (غلا السعر عن عهد رسول الله فقالوا: لو قومت لنا سعرنا قال ان الله هو المقوم او المسعر) [١٩] أي لو حددت لنا بنفسك قيمة هذا الشيء.

كما وردت لفظ الاخلاق في عدة احاديث نبوية منها قال الرسول (ﷺ)(ان خياركم احسانكم اخلاقاً) [٢٠] وهذا دليل على ان الرسول (ﷺ)كان يصدق قوله فعله فهو احسن الناس اخلاقاً.

عن ابي هريرة رض قال (قال رسول الله (ﷺ)(انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)[٢١] هذا الحديث يؤكد على ان الإسلام هو دين الاخلاق الفاضلة ولذلك حصر الرسول (ﷺ)بعثته في هذا الهدف السامي وهو اكمال الاخلاق الإنسانية.

وعن ابي الدرداء (ﷺ) قال (قال النبي (ﷺ) ما شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن) [٢٢].

وعن ابي ذر الغفاري (ﷺ) قال (قال لي رسول الله (ﷺ)اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) [٢٣]. ان هذه الاحاديث النبوية الشريفة وغيرها انما تؤكد على مكانة الاخلاق في الاسام والتي تدل على ان الاخلاق الحسنة

محوراً مهماً في الدين الإسلامي وهي من مكونات الايمان ومن ثم شرطاً اساسياً للدخول الى الجنة وبالتالي فإن حسن الخلق الدين كله وهو طمأنينة النفس والقلب.

المبحث الثاني

موضوعات احاديث الرسول (ﷺ) في الاخلاق

بالتاكيد ان خطب المصطفى محمد (ﷺ) اتسمت بصدق القول وفصاحته وشرف المعنى ودقته ومتانة التركيب وطلاوة سبكه وسحر التاليف وجمال معرضه وايجاز التعبير وبلاغته وبروعة بيانه وقوة حجته ولهذا ياتي الخطاب النبوي الشريف في ارقى مستوى واعلى درجة من حيث القدرة على الابلاغ والبلاغة والافصاح والفصاحة والتاثر والاقناع في شتى المناسبات لانه صادر من نبي معصوم لا ينطق من معصوم لا ينطق عن الهوى وهو افصح العرب قاطبة فقد اوتي جوامع الكلم والاحاطة باللغة العربية وفصل الخطاب. وخطب النبي (ﷺ) بصورة عامة تحمل الى الناس مقاصد الشريعة الاسلامية السامية وانه يهدي للتي هي اقوم وعليه سوف اذكر اهم موضوعات وتوجيهات الرسول (ﷺ) الاخلاقية الخاصة بالفرد حيث كان (ﷺ) حريصاً في خطاباته الى الصحابة الكرام الشباب يوجههم الى ما ينفعهم والابتعاد عما يضرهم لانهم عماد الامة ومصدر قوتها ورمز عطائها ومشعل حضارتها مرتباً اياها حسب حروف المعجم:

١- ادب الحديث والحوار:

اكد الرسول (ﷺ) في اكثر من مناسبة عن استقامة اللسان وشدد على ضرورة الصمت وعدم الخوض في اعراض الناس وفيما يضر نفسه والاخرين لان اللسان من نعم الله قد يكون اية للخبر كما انه قد يكون اية للشر وفي ذلك قال الرسول (ﷺ) ناصحاً الصحابي ابي ذر الغفاري (رضي الله عنه) ((عليك بطول الصمت فانه مطردة للشياطين وعون لك على امر دينك وقل الحق وان كان مراً))[٢٤].

وقال (ﷺ) ايضاً: ((لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه[٢٥] كما حذر الرسول (ﷺ) من استغلال الكلام لاضحاك الاخرين او الاستهزاء بهم عن ابي هريرة (رضي الله عنه) قال: ((قال رسول الله (ﷺ) ان العبد ليقول الكلمة لا

يقولها الا ليضحك بها الناس يهوي بها ابعد مما بين السماء والارض وانه يزل عن لسانه اشد مما يزل من قدمه))[٢٦] وفي دعاء الرسول (ﷺ) للامام علي (رضي الله عنه) عندما بعثه قاضياً الى اليمن قال: ((اللهم أهد قلبه وثبت لسانه))[٢٧] وعليه ان يلتزم المسلم الصحيح بادب الحديث وبطيب الكلام لانها تعني استقامة القلب والايمان.

٢- الامانة

تعني الامانة صيانة الانسان كل ما ينبغي صيانته من حقوق وفروض وواجبات وحدود واشياء مادية او معنوية سواء كانت لله تعالى او للناس[٢٨] . وقد حث القران الكريم والسنة النبوية على حفظ الامانة وحذر من الخيانة قال تعالى: ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))[٢٩] وقال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الْأَمَانَاتِ))[٣٠] وتشير التوجيهات النبوية الى عظم الامانة وثقل حملها على الانسان ويوضع الرجل المناسب في المكان المناسب حتى لا تضيع الامانة ((اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها... قال اذا اسند الامر الى غير اهله فانتظر الساعة))[٣١] ومن الامانة ان لا يخون المسلم اخوه المسلم ولا يغدر به فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال: ((سمعت النبي (ﷺ) يقول لكل غادر لواء ينصب بغدرته يوم القيامة))[٣٢] ومن الامانة ايضاً عدم استغلال المناصب للمصالح الشخصية وترك المصالح العامة كما جاء ذلك في حديث الرسول (ﷺ) قال: ((من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما اخذ بعد ذلك فهو غلول))[٣٣].

وعن انس بن مالك (رضي الله عنه) قال قال رسول الله: ((لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له))[٣٤] وعن ابي هريرة (رضي الله عنه) قال: ((ان النبي (ﷺ) قال: اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك))[٣٥] وغير ذلك من الاحاديث النبوية التي تدل دلالته قاطعة على توجيه عظيم من الرسول (ﷺ) الى المسلم بان يكون اميناً مع الجميع حتى مع من يخونه او يغدر به.

٣- التسامح والعفو

التسامح والعفو في الاسلام مبدا اخلاقي سامي يتمثل في كثير من الايات القرانية والاحاديث النبوية الشريفة والذي يعني التساهل واللين والتجاوز عن الزلات والصفح

والغفران[٣٦] قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٧] وقال ايضاً: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣٨] وقال ايضاً: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣٩] في هذه الايات البينات وغيرها وجه الله سبحانه وتعالى رسوله ودعاه الى التمسك بالعفو والتسامح وان يكون رحيماً حتى مع اعدائه. فعن ابي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ): ((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو الا عزاً وما تواضع احد لله الا رفعه اليه))[٤٠] وخير دليل على تسامح وعفو الرسول (ﷺ) مع اعدائه كان يوم فتح مكة سنة ٨هـ/٦٢٩م قال (ﷺ) لقريش (ما تظنون اني فاعل بكم فيجيبونه قائلين اخ كريم وابن اخ كريم فيقول لهم (ﷺ) فاني اقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء))[٤١] وهذا غاية التسامح ان يتمكن الانسان من عدوه فيعفو عنه عند المقدرة وبالتاكيد يظهر التسامح بجلاء ووضوح حين لم يكره الاسلام اي فرد او جماعة من اهل الكتاب او المشركين على اعتناق الدين الاسلامي في جميع العصور الاسلامية.

٤- التواضع

يعد التواضع الذي يعني التذلل وخفض الجناح ولين الجانب وعدم الكبر والحط من قدر وقيمة النفس[٤٢] من اجل اخلاق المسلم لان خصلة محمودة تقرب المرء من الناس وتجعله محبباً اليهم. وقد عني القران الكريم والسنة النبوية الشريفة عناية بالغة بالتواضع اذ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[٤٣] وقال ايضاً: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٤٤] وقال ايضاً ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٤٥] لقد ربى الله محمد (ﷺ) على التواضع وادبه عليه قال (ﷺ): ((ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد))[٤٦].

وعن عائشة (رض) قالت: ((كان النبي عليه السلام يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل بيده كما يعمل احدكم في بيته))[٤٧] وعليه فالتواضع من الاخلاق التي تظهر على الانسان عند مخالطته الناس ومجالستهم والاحتكاك بهم.

٥- الحلم

يعد الحلم سيد الاخلاق الذي يعني الاناة وترك العجلة والتثبت من الامور وضبط النفس عند الغضب[٤٨] وقد ورد ذكر الحلم في عدة ايات قرانية واحاديث نبوية شريفة قال تعالى: ((وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ))[٤٩] وقال ايضاً ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ))[٥٠] ومما لاشك فيه ان الرسول (ﷺ) كان مثلاً للحلم والعفو فلم يكن يغضب وينتقم لنفسه بل كان ينتقم لله اذا انتهكت محارم الله لان الحلم من الاخلاق السامية التي يحبها الله والتي يجب على الناس التحلي بها عن الصحابي ابي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: ((قال النبي (ﷺ) ((لاشج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة))[٥١] وعن ابي هريرة (رضي الله عنه) قال: ((ان رجلاً قال للنبي (ﷺ) اوصني قال لا تغضب فردد مراراً قال لا تغضب))[٥٢] اي ان ضبط النفس عند الغضب امر مطلوب ومحبب عن الله .

٦- الحياء

يعد الحياء راس الاخلاق الاسلامية الحميدة الذي يعني كما قال مسكويه ((انه انحصار النفس خوف اتيان القبائح والحذر من الذم والسب الصادق))[٥٣] والمسلم الصحيح يجب ان يتصف بالحياء الذي اقترن بالايمان وتاسيساً النبي محمد (ﷺ) الذي يكون المثل الاعلى في الحياء وفي ذلك قال سبحانه وتعالى: ((ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ))[٥٤] وقال الصحابي ابو سعيد الخدري (رضي الله عنه) ((كان النبي (ﷺ) اشد حياءاً من العذراء في خدرها فاذا راى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه))[٥٥] واكد الرسول (ﷺ) ربط خلق الاسلام بالحياء بقوله ((لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء))[٥٦] وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال ((قال رسول الله (ﷺ) استحوا من الله حق الحياء قال قلنا: يا رسول الله انا نستحي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى الى وتذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء))[٥٧].

فعلى المسلم الحق ان يتخلق بخلق الحياء وهو امارة من امارات الايمان الذي يبعد الانسان عن الفحشاء والمنكر ونزوات الشيطان.

٧- الرحمة

تعد الرحمة من القيم الاخلاقية العظيمة والتي تعني الرقة والعطف والمرحمة والمغفرة[٥٨] ورد ذكرها في عدد كبير من الايات القرانية منها ((فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ)) [٥٩] وقال ايضاً: ((كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)) [٦٠] وقال ايضاً: ((وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً)) [٦١] وقال عز وجل ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)) [٦٢] وقال ايضاً: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) [٦٣] وقد عمت وشملت رحمة محمد (ﷺ) الانسان والحيوان على حد سواء.

عن انس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (جاء شيخ يريد النبي (ص) فأبطأ القوم ان يوسعوا له فقال النبي (ص) ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا))[٦٤] وقال (ﷺ): ((ارحمن من في الارض يرحمكم من في السماء))[٦٥] وعليه كان (ﷺ) رؤوفاً رحيماً بامته حريصاً على هدايتها.

٨- الرضا

عرف الشرباصي الرضا بانه (تقبل ما يقضي الله عز وجل من غير تردد ولا معارضة[٦٦] وقد ورد في القران الكريم في عدة ايات منها قال تعالى: ((رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ))[٦٧] وقد ضرب رسول الله (ﷺ) المثل الاعلى بالرضا بقضاء الله فعندما فقد ابنه ابراهيم (عليه السلام) قال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي الله وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون))[٦٨].

وقال (ﷺ) ايضاً ((ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً))[٦٩] وقال (ﷺ): ((والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيراً))[٧٠] وغلبه فالرضا بقضاء الله وقدره دليلاً على محبة العبد لربه وهو من اعلى مراتب المقربين اليه.

٩- الصبر

يعد الصبر من اهم الفضائل التي تشد من عزم الانسان للوقوف امام الشدائد والمصائب والذي يعني (صبر النفس على الجزع)[٧١] وقد وردت كلمة الصبر ومشتقاتها في ايات عدة في القران الكريم وهي في جميعها تدعو الناس الى تحمل الاذى والثبات امام النكبات للفوز في الحياة الدنيا والاخرة كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا))[٧٢] وقوله ايضاً: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ))[٧٣] وغيرها كثير من الايات الدالة على منزلة هذا الخلق العظيم عند الله سبحانه وتعالى للفوز بالدنيا والاخرة، وروي عن الرسول (ﷺ) قال: ((المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير منه الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم))[٧٤] وقال (ﷺ) ((عجباً لامر المؤمن ان امره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيراً له وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له))[٧٥] وعليه فان الصبر تعددت انواعه واحواله وهو يدخل مع كل فضيلة وخلق كريم.

١٠- الصدق

مما لاشك فيه يعد الصدق في القول والعمل من اسمى الصفات التي ينبغي على الانسان ان يتصف بها وقد ورد ذكره في عدة ايات قرانية كقوله تعالى: ((اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ))[٧٦] وقوله ايضاً: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ))[٧٧] وقوله ايضاً: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا)[٧٨] وان الصدق من اهم صفات الرسول (ﷺ) حيث عرف به منذ صغر سنة واشتهر به في قومه حتى بالصادق الامين واكثر من ذلك شهادة اعدائه له بالصدق ومنهم عمه ابو جهل وفي ذلك قال سبحانه وتعالى: ((فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ))[٧٩] وروي عن الحسن بن علي (رضي الله عنه) قال: ((حفظت عن رسول الله (ﷺ) دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الصدق طمانينة وان الكذب ريبة))[٨٠] وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ): (عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً...))[٨١] وكل ذلك يعني ان الصدق سمة من سمات الشخصية الاسلامية الصحيحة

على عكس الكذب الذي يعد مؤشراً على النفاق وضعف الايمان ولذلك على المسلم ان يجاهد نفسه ويروضها على الاخلاق الفاضلة الحميدة وعلى راسها الصدق.

١١- العدل

عرف ابن منظور في لسانه العدل بقوله: (ما قام في النفوس انه مستقيم وهو ضد الجور)[٨٢] اي هو اعطاء كل ذي حق حقه وحث القران الكريم على اتباع العدل لكي لا يقع البرئ تحت طائلة العقاب ويفلت المجرم منه قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ))[٨٣] وقال ايضاً: ((قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ))[٨٤] وقال تعالى: ((وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ))[٨٥].

لقد كان رسول الله (ﷺ) عادلاً في كل اموره حتى ولو كان على نفسه فقد روى عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ): ((ان المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن عز وجل...))[٨٦].

ومن العدل في الاسلام ونحن بحاجة اليه اليوم الاستفادة من ذوي الكفائات الممتازة والمواهب النادرة وتوليه الوظائف من دون محاباة ولا بسبب القرابة او الجاه او الثروة او النسب وفي ذلك قال رسول الله (ﷺ): ((من ولي امر المسلمين شيئاً فامر عليهم احداً محاباة فعليه لعنه الله لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم))[٨٧] وقال ايضاً: ((اذا اسند الامر الى غير اهله فانتظر الساعة))[٨٨] وهذا يعني ان العدل اساس الملك.

وخلاصة القول

تبين لنا من خلال ما مر ذكره في خطب النبي محمد (ﷺ) عن القيم الاخلاقية ان القيم بكل اصنافها وانواعها وموضوعاتها السياسية كانت او الاقتصادية او الاجتماعية او الدينية وغيرها قد حظيت وخاصة الاخلاقية منها بعناية بالغة في الدين الاسلامي سواء في القران الكريم او السنة النبوية الشريفة على اعتبارها اساس بناء الشخصية المسلمة من اجل ذاتها ثم من اجل الاخرين وكل ذلك لازم للنهوض بالانسان الفرد ثم بالمجتمع المسلم ولاسيما شباب الامة منهم لانهم عماد المستقبل ومشعل حضارتها وبالاخلاق الحميدة الفاضلة يبتعد الانسان عن الفحشاء والمنكر ونزوات الشيطان ويكون محبباً عند الله.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

اولاً: المصادر الاولية

البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل، (ت٢٥٦ه/٨٩٦م).

١-صحيح البخاري، دار الارقم، بيروت- لبنان، بلا. ت.

البغوي: ابو محمد الحسين بن مسعود، (ت٥١٠ه/١١١٦م).

٢-شرح السنة، تحقيق شعيب الارنؤوط، المكتب الاسلامي، دمشق، ١٩٨٣م.

البيهقي: ابو بكر احمد بن الحسين (ت٤٥٨ه/١٠٦٥م).

٣-سنن البيهقي الكبرى، حيدر اباد- الدكن، ١٩٣٦م.

الترمذي: ابو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩ه/٨٩٢م).

٤-سنن الترمذي، تحقيق علي الجرجاني، القاهرة، ١٩٢٧م.

الجاحظ: عمرو بن بحر (ت٢٥٥ه/٨٦٩م).

٥-تهذيب الاخلاق، دمشق، ١٩٢٤م.

الجرجاني: علي بن محمد (ت٨١٦ه/١٤١٣م).

٦-التعريفات، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ه.

ابن حنبل: احمد الشيباني، (ت٢٤١ه/٨٥٥م).

٧-المسند، تحقيق محمد احمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٤٩م.

ابو داود السجستاني، سليمان بن الاشعث، (ت٢٧٥ه/٨٨٨م).

٨- سنن ابي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا. ت.

الرازي: محمد بن ابي بكر عبد القادر، (ت٦٦٦ه/١٢٦٧م).

٩- مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م.

الزمخشري: جار الله ابو القاسم محمود بن عمر، (ت٥٣٨ه/١١٤٣م).

١٠- اساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، (ت٩١١ه/١٥٠٥م).

١١- جامع الاحاديث، بلا. م. ت.

الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد الطوسي، (ت٥٠٥ه/١١١١م).
١٢- احياء علوم الدين، دار المعرفة ، بيروت، بلا.ت
ابن فارس: احمد بن زكريا ،(ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م).
١٣- معجم مقاييس اللغة ،دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٩م.
الفيروز ابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، (ت٨١٧هـ/١٤١٤م).
١٤- قاموس المحيط، دار الفكر ، بيروت ،(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
الفيومي: احمد بن محمد الحموي، (ت٧٠٧٠هـ/١٣٦٨م).
١٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بلا.ت.
ابن ماجة : ابو عبد الله محمد بن يزيد ، (ت٧٢٥هـ/٨٨٨م).
١٦- سنن ابن ماجة ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٨م.
مسلم: ابو الحسين مسلم بن الحجاج ، (ت٢٦١هـ/٨٧٤م).
١٧- صحيح مسلم، دار ابن الهيثم ، القاهرة، (١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م).
ابن منظور : ابو الفضل محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ/١٣١١م).
١٨- لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

ثانياً : المراجع الثانوية

زيدان : محمد مصطفى
١٩- معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق ، جدة ،١٣٩٩م.
الشرباصي: احمد
٢٠- موسوعة اخلاق القرآن ، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت ،١٩٨٧م.
النقيب: عبد الرحمن
٢١- منهجية البحث في التربية رؤية اسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٩٧م.
ابو النيل: محمود السيد.
٢٢- الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس ، دار الثقافة ، القاهرة ، ع٧، ١٩٨١م.

الهوامش:

(١) محمد بن أبو بكر بن عبد القادر، (ت٦٦٦/١٢٦٧)م، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م، ص٥٥٧.

(٢) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، (ت٧١١ه/١٣١١م)، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م، مادة قوم.

(٣) مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت٨١٧ه/١٤١٤م)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م، مادة قوم.

(٤) الفيروز ابادي: القاموس المحيط ج١، ص١١٣٧، مادة خلق.

(٥) محمود السيد: الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس: دار الثقافة، القاهرة، ع٧، ١٩٨١، ص١٠٥.

(٦) محمد مصطفى، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق، جدة، ١٣٩٩ه، ص١٩٣.

(٧) عمرو بن بحر، (ت٢٥٥ه/٨٦٩م)، تهذيب الاخلاق، دمشق، ١٩٢٤م، ص١٢.

(٨) أبو علي احمد بن محمد (ت٤٢١ه/١٠٣٠م)، تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، بلا ت، ص١٠.

(٩) أبو حامد محمد بن احمد الطوسي، (٥٠٥ه/١١١١م) احياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، بلا ت، ج٣، ص٥٣. وينظر: الجرجاني: علي بن محمد (ت٨١٦ه/١٤١٣م) التعريفات، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ه، ج١ص١٣٦.

(١٠) النساء, الآية ٣٤

(١١) النساء، الآية ١٣٥.

(١٢) المائدة، الآية ٨.

(١٣) الانعام الآية ١٦١.

(١٤) سورة البينة، الآية ٥.

(١٥) النقيب: عبد الرحمن، منهجية البحث في التربية، رؤية إسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م ، ص١٤٠.

(١٦) القلم ، الآية ٤ .

(١٧) الملك : ١٤.

(١٨) الأحزاب: ٢١.

(١٩) ابن حنبل: احمد الشيباني(ت ٢٤١ه/٨٥٥م) المسند، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٤٩م، ج٣، ص٨٥.

(٢٠) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦ه/٨٦٩م) صحيح البخاري، دار الارقم ,بيروت، لبنان، بلات ص١٢٩٥ رقم الحديث ٦٠٣٥.

(٢١) البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين (ت٤٥٨ه/١٠٦٥م) سنن البيهقي الكبرى، حيدر اباد الركن، ١٩٣٦م ج١٠، ص١٩١.

(٢٢) الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩ه/ ٨٩٢م) وسنن الترمذي، تحقيق علي الجرجاني، القاهرة، ١٩٢٧م، ج٤، ص٣٦٤.

(٢٣) م.ن: ج٤، ص٣٥٥.

(٢٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت٩١١ه/١٥٠٥م)، جامع الاحاديث، بلا.م.ت، ج٦، ص٥٢٦.

(٢٥) ابن حنبل، المسند، ج٢، ص٣٤٣.

(٢٦) البغوي: ابو محمد الحسين بن مسعود، (ت٥١٠ه/١١١٦م)، شرح السنة، تحقيق شعيب الارنؤوط، المكتب الاسلامي، دمشق ١٩٨٣م، ج١٤، ص٣١٩.

(٢٧) ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد، (ت٢٧٥ه/٨٨٨م)، سنن ابن ماجة، تحقيق بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت ١٩٩٨م، ج٤، ص٦.

(٢٨) الشرباصي، احمد، موسوعة اخلاق القران، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص١٥.

(٢٩) سورة الاحزاب، الاية ٧٢.

(٣٠) سورة النساء، الاية ٥٨.

(٣١) م.ن، ص٣٨١، حديث رقم ٦٤٩٠٦.

(٣٢) البخاري، صحيح البخاري، ص٦٧٤، رقم الحديث، ٣١٨٨.

(٣٣) ابو داود السجستاني، سليمان بن الاشعث، (ت٢٧٥ه/٨٨٨م)، سنن ابي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا–ت، ج٣، ص٩٢.

(٣٤) ابن حنبل، المسند، ج٣، ص٢٥١.

(٣٥) البيهقي، السنن، ح١٠، ص٢٧١.

(٣٦) ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٢٢٨.

(٣٧) المائدة، الاية ١٣.

(٣٨) التغابن، الاية ١٤.

(٣٩) فصلت، الاية ٣٤.

(٤٠) مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج، (ت:٢٦١ه/٨٧٤م)، صحيح مسلم، دار ابن الهيثم، القاهرة ١٤٢٢ه/٢٠٠١م، ص٦٦٠، رقم الحديث، ٢٥٨٨.

(٤١) البيهقي، السنن، ج٩، ص١١٨.

(٤٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٩٧، ابن قيم الجوزية، احمد بن ابي بكر، (ت٧٥١ه/١٣٥٠م)، مدارك السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م، ج٢، ص٣٢٥

(٤٣) سورة الاسراء، الاية ٣٧.

(٤٤) سورة النحل، الاية ٢٣.

(٤٥)سورة ال عمران، ص١٥٩.

(٤٦) مسلم، صحيح مسلم، ص٥٢٠.

(٤٧) الغزالي، احياء، ج٢، ص٣٦٠.

(٤٨) ابن منظور، لسان، ج٢، ص١٤٦، ابن فارس: احمد بن زكريا، (ت٣٩٥ه/١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م، ج٢، ص٩٣.

(٤٩) سورة ال عمران، الاية ١٣٤.

(٥٠) التوبة، الاية ١١٤ وهود، الاية ٧٥.

(٥١) مسلم، صحيح مسلم، ص١٩، رقم الحديث ١٧.

(٥٢) البخاري، صحيح البخاري، ص١٣٠٩، رقم الحديث ٦١١٦.

(٥٣) تهذيب الاخلاق، ص٢٨.

(٥٤) الاحزاب، ٥٣.

(٥٥) البخاري، صحيح البخاري، ص١٣٠٧، رقم الحديث، ٦١٠٢.

(٥٦) ابن ماجة، السنن، ج٢، ص٣٣٧.

(٥٧) الترمذي، السنن، ج٤، ص٢٤٦.

(٥٨) ابن منظور، لسان، ج١٢، ص٢٣٠.

(٥٩) الانعام، ١٤٧.

(٦٠) الانعام، ٥٤.

(٦١) الروم، ٢١.

(٦٢) التوبة، ١٢٨.

(٦٣) الانبياء، ١٠٧ والاسراء، الاية ٢٤.

(٦٤) الترمذي، السنن، ج٤، ص٣٢١.

(٦٥) الترمذي، السنن، ج١، ص٣٥.

(٦٦) الموسوعة، ج١، ص٦.

(٦٧) سورة المائدة، الاية ١١٩، وينظر البينة الاية، ٧، والبقرة الاية ١٥٥.

(٦٨) البخاري، صحيح البخاري، ص٢٧٤، رقم الحديث ١٣٠٣.

(٦٩) مسلم، صحيح مسلم، ص٢٣، رقم الحديث، ٥٦.

(٧٠) م.ن، ص٢٥، رقم الحديث، ٢٠١.

(٧١) ابن فارس، المعجم، ج٣، ص٣٢٩.

(٧٢) سورة ال عمران، الاية ٢٠٠،

(٧٣) سورة لقمان، ١٧.

(٧٤) الترمذي، السنن، ج٤، ص٦٦٢.

(٧٥) مسلم، صحيح مسلم، ص٧٥٦، رقم الحديث، ٢٩٩٩.

(٧٦) سورة التوبة، الاية ١١٩.

(٧٧) سورة غافر، الاية ٢٨.

(٧٨) سورة البقرة، ١٧٧.

(٧٩) سورة الانعام، ٣٣.

(٨٠) الترمذي، السنن، ج٤، ص٦٦٨.

(٨١) مسلم، صحيح مسلم، ص٦٦٤، رقم الحديث ٢٠٦٠٧.

(٨٢) ج١، ص٤٣٠.

(٨٣) سورة النحل،٩٠.

(٨٤) الاعراف، ٢٩.

(٨٥) سورة الشورى، ١٥.

(٨٦) مسلم، صحيح مسلم، ص٤٨١، رقم الحديث، ١٨٢٧.

(٨٧) البخاري، صحيح البخاري، ص٧٩٦، رقم الحديث ٣٨٠٠.

(٨٨) م.ن، ص١٣٨١، رقم الحديث ٦٤٩٥.

العلاقات العراقية –اليابانية(النفط أنموذجا) ((دراسة من خلال وثائق وزارة الخارجية العراقية ووثائق السفارة البريطانية ١٩٧٣-١٩٧٤))

ا.م.د فلاح حسن كزار

جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ

Iraqi-Japanese Relations (Oil As A Model) ((A Study Of Documents Of the Br British Foreign Office and British foreign documents 1973-1974

Assistant Professor Dr. Falah Hassan Kazar

Emile:falah72.a@uokerbale.edu.iq

Mobile: - 07711911040

العلاقات العراقية –اليابانية(النفط أنموذجا) ((دراسة من خلال وثائق وزارة الخارجية العراقية ووثائق السفارة البريطانية ١٩٧٣-١٩٧٤))

ا.م.د فلاح حسن كزار

Iraqi-Japanese Relations (Oil As A Model) ((A Study Of Documents Of the Br British Foreign Office and British foreign documents 1973-1974

Assistant Professor Dr. Falah Hassan Kazar

Emile:falah72.a@uokerbale.edu.iq

Mobile: - 07711911040

الملخص

يركز هذا البحث على دراسة العلاقات العراقية- اليابانية لاسيما الاقتصادية منها خلال الفترة (١٩٧٣-١٩٧٤) من خلال ما أوردته وثائق وزارة الخارجية العراقية ووثائق السفارة البريطانية في بغداد وطوكيو ولندن غير المنشورة وغير المصنفة (UNCLASSI FIED) .

لقد عدت هذه الفترة من الفترات الحرجة التي مرت بها بلدان العالم اذ تزامنت مع ارتفاع أسعار النفط في الأسواق العالمية بشكل كبير فبعد ان كان سعر برميل النفط الخام لا تتجاوز (٣) دولارات عام ١٩٧٢ ارتفع الى اكثر من (٥) دولار ثم (١١) دولار عام ١٩٧٣ من جهة ،واندلاع الحرب العربية – الاسرائيلة من جهة ثانية وما أدى ذلك من انعكاسات سلبية على الوضع الاقتصادي الداخلي لليابان التي سعت لتجاوزه بكل الوسائل والطرق ومنها التوجه صوب العراق لعقد اتفاقيات اقتصادية معه تضمن لها وصول الإمدادات النفطية وفتح أسواق جديدة لتصريف منتجاتها الصناعية .

Abstract

This research focuses on the study of the Iraqi-Japanese relations, especially the economic ones, during the period (1973-1974) through what was reported by the documents of the Iraqi Ministry of Foreign Affairs and the documents of the British Embassy in Baghdad, Tokyo and London, which are unpublished and unclassified (UNCLASSI FIED)

I considered this period to be one of the critical periods that the countries of the world went through, as it coincided with a significant rise in oil prices in the global markets. After the price of a barrel of crude oil did not exceed (3) dollars in 1972, it rose to more than (5) dollars, then (11). Dollars in 1973 on the one hand, and the outbreak of the Arab-Israeli war on the other hand, which led to negative repercussions on the internal economic situation of Japan, which sought to overcome it by all means and methods, including heading towards Iraq to conclude economic agreements with it that ensured the arrival of oil supplies and the opening of new markets for the disposal of its industrial products.

المقدمة

تعود جذور العلاقات العراقية اليابانية الى العهد الملكي(١٩٢١-١٩٥٨) التي اقتصرت في بدايتها على العلاقات التجارية،أعقبها افتتاح مفوضية لليابان في بغداد عام ١٩٣٩ ،وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وانخراط اليابان كجزء مباشر فيها ضمن دول المحور(المانيا- ايطاليا- اليابان) اعلن العراق قطع علاقاته معها عام ١٩٤٣،لكنها ما لبثت ان عادت وبشكل لافت للنظر منذ عام ١٩٥٥ واستمرارا حتى عقد السبعينيات من القرن الماضي لتشمل العلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية ، غير ان العلاقات الاقتصادية اتخذت منحىً جديدا عام ١٩٧٣ اثر الاحداث التي مر بها العالم بصورة عامة ومنطقة الشرق الاوسط والعالم العربي بصورة خاصة وما اعقبها من

حدوث تغيرات بنيوية شهدتها مجتمعاته والتي بلغت ذروتها عشية ما يعرف (بالصدمة النفطية) انذاك التي ترافقت مع اندلاع الحرب العربية –الاسرائيلية .

تكمن اهمية هذا البحث في توضيح الاسباب الرئيسية التي دفعت اليابان لإقامة علاقات اقتصادية متينة مع العراق خلال الفترة (١٩٧٣-١٩٧٤) والمراحل التي مرت بها محادثاته مع الحكومة العراقية وتتويجها بعقد عددا من الاتفاقيات الاقتصادية التي حققت مكاسب كبيرة لكلا البلدين من جهة ،وانعكاسات هذه الاتفاقيات على السياسة الاقتصادية الداخلية والخارجية للحكومة العراقية من جهة ثانية .

اعتمد البحث بشكل أساسي على مجموعة من الوثائق غير المنشورة وغير المصنفة (UNCLASSI FIED) الصادرة عن وزارة الخارجية العراقية في بغداد ووثائق السفارة البريطانية في كل من (بغداد وطوكيو ولندن) ،فضلا عن عددا من المصادر العلمية والأكاديمية الرصينة التي رفدت البحث ببعض المعلومات ذات الصلة.

قسم البحث الى مقدمة ومدخل تاريخي وثلاث مباحث وخاتمة، تطرقت المقدمة الى توضيح ماهية البحث ومباحثه، وجاء المدخل التاريخي ليتطرق الى جذور وأسس تكوين العلاقات العراقية –اليابانية حتى عام ١٩٧٣، أما المبحث الأول فقط تطرق للمحادثات والاتفاقات الاقتصادية (النفطية) بين العراق واليابان خلال الفترة (١٩/كانون الأول/١٩٧٣- ١٨/كانون الثاني/١٩٧٤)،اما المبحث الثاني فقد تطرق الى الاتفاقات الاقتصادية العراقية- اليابانية خلال الفترة(٣/نيسان /١٩٧٤-٢٢/اب/١٩٧٤) وموقف بعض الدول الاقليمية والغربية منها ، اما المبحث الثالث فقد اشار الى انعكاسات توقيع تلك الاتفاقيات على السياسة الاقتصادية الداخلية والخارجية للحكومة العراقية،في حين تضمنت الخاتمة عددا من الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث.

ختاما اني لا ادعي الكمال لبحثي فالكمال لله سبحانه وتعالى وحسبي ان قدمت بحثا تأريخيا علميا قد يرفد مكتباتنا العراقية ببعض المعلومات ويفتح الآفاق لدراسات أكاديمية مماثلة في تاريخ العراق المعاصر .

مدخل تاريخي

ترجع جذور العلاقات العراقية – اليابانية الى بداية تاسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١، اذ حرصت اليابان على استمرار علاقتها التجارية مع العراق على الرغم من تولي بريطانيا مهمة ادارة علاقاته الخارجية بصفتها دولة منتدبة عليه خلال الفترة (١٩٢١-١٩٣٢)،وقد شجعها على ذلك اكتسابها مركزا متقدما في تصدير السلع والمواد الغذائية الرئيسية المصنعة كالسكر والخشب وغيرها [١]، ولم تكتف اليابان بذلك بل عملت مستقبلا على تعزيز علاقاتها السياسية به ايضا من خلال افتتاح مفوضية لها في بغداد عام ١٩٣٩،ثم ما لبث ان انقطعت تلك العلاقات عام ١٩٤٣ بعد اعلان العراق الحرب على دول المحور وبضمنها اليابان، ثم عادت تلك العلاقات عام ١٩٥٥ اذ افتتح العراق مفوضية له في طوكيو وتوجت بعدها العلاقات بزيارة الأمير الياباني(ميكاسا) مع وفد من العلماء الاثاريين للعراق عام ١٩٥٦ للتنقيب عن الآثار وإجراء أول بحث علمي ياباني عن الآثار العراقية، ثم أعقبها زيارة الوصي على عرش العراق الأمير(عبد الإله) لليابان عام ١٩٥٧ حيث اقيم معرض للفن الاثاري في طوكيو[٢]، وفي عام ١٩٦٠ رفع كلا من البلدين مستوى التمثيل الدبلوماسي بينهما من مفوضية الى سفارة [٣] .

في ١٧/حزيران/١٩٦٤ وقع البلدان اتفاقية تجارية تضمنت تسع مواد اشارت الى الية التبادل التجاري بينهما، وقد الحق بالاتفاقية جدولان تضمنا السلع المصدرة من العراق الى اليابان وبالعكس ،وقد تضمن جدول السلع المصدرة من العراق سبعة عشر مادة بضمنها النفط الخام والاسفلت فضلا عن (التمر الخاص بالاكل والتمر الخاص للاغراض الصناعية والدبس والحبوب والجلود والمصارين والصوف والقطن والمصنوعات اليدوية والسكائر والتبغ والمشروبات الكحولية والعلف الحيواني والبذور الزيتية والملح والسجاد)، في حين تضمن جدول السلع المصدرة من اليابان الى العراق عشرون مادة (الاغذية المعلبة والمطيبات الكيمياوية المستخدمة في الاغذية والمنتجات الصيدلانية والاصباغ والالعاب النارية والمطهرات والمبيدات الحشرية والمواد البلاستيكية والاسمدة والاقمشية القطنية والحرير والانسجة الاصطناعية والحديد والفولاذ ومنتجاتهما والاسلاك الكهربائية

والمكائن والبواخر والسيارات والالعاب والاطارات والانابيب المطاطية والخشب المعاكس ومواد المائدة كالسكاكين والشوكات والملاعق والاسمنت الابيض ومنتجات الزجاج والسيراميك والورق وورق المقوى)، والحق بالاتفاقية ايضا كتابا من اليابان اكدت فيه التزام الحكومة اليابانية باتخاذ كل الاجراءات الضرورية لتقديم المعونة الفنية للعراق بما فيها التدريب الفني والمهني للرعايا العراقيين في اليابان وارسال الخبراء اليابانيين الى العراق لغرض زيادة التطور الاقتصادي والفني فيه بموجب القوانيين والانظمة اليابانية وحسب الشروط التي قد يتفق عليها بين حكومة البلدين [٤].

في العام نفسه-١٩٦٤- بدأ العراق اتباع اسلوب التخطيط الاقتصادي الاستثماري لتحقيق التنمية بشكل جدي من خلال وضع خطط تنموية شاملة [٥] ، وقد تطلب ذلك فرض السيادة الكاملة على جميع موارده الطبيعية وانشطته الاقتصادية فجاء التأميم كوسيلة لتحقيق ذلك ، فصدرت عدة قوانين شملت الشركات الاجنبية بالتأميم منها قانون رقم(٩٩) الذي تم بموجبه تأميم شركات التأمين واعادة التأمين لأكثر من ثلاثون شركة ،ثم تلاه قانون رقم (١٠٠) للعام نفسه وتم بموجبه تأميم البنوك والمصارف غير الحكومية وفروع المصارف الاجنبية العاملة في العراق [٦]، ثم صدر قانون رقم (٦٩) لعام ١٩٧٢ الذي امم جميع عمليات شركة نفط العراق المحدودة في مناطق كركوك وحقول باي حسن وجمبور وعين زالة في شمال العراق [٧]، حيث كانت ملكية الشركة موزعة بين الشركات الأجنبية وفق النسب الاتية:-

١-٢٣.٧٥% لشركة النفط البريطانية (وهي بريطانية بالكامل).
٢-٢٣.٧٥% لشركة شل الهولندية الملكية (وهي بريطانية وهولندية مناصفة).
٣-٢٣.٧٥% لشركة النفط الفرنسية (وهي فرنسية بالكامل).
٤-٢٣.٧٥% لشركة انماء الشرق الادنى (موزعة مناصفة بين شركتي ستاندر اويل – نيوجرسي وسكوني فاكيوم اويل (وهي اميركية بالكامل).
٥-٥% مؤسسة كولبنكيان (وهي برتغالية بالكامل) [٨].

بعد ذلك صدرت قوانين اخرى اممت بموجبها ما تبقى من شركات النفط وجميع اسهم الشركات المؤتلفة معها ،ومنها قانون رقم (٢٨) لعام ١٩٧٣ الذي تم بموجبه تأميم شركة نفط الموصل [٩]، وقانون رقم (٧٠) للعام نفسه الذي امم الحصة الشائعة لشركتي(ستاندر اويل – نيوجرسي وموبيل اويل كوربوريشن) الاميركيتين من شركة نفط البصرة [١٠] ,وقانون رقم (٩٠) للعام نفسه الذي امم حصة شركة موبيل اويل الهولندية في شركة نفط البصرة ايضا [١١].

في تشرين الأول/١٩٧٣– شهدت اسواق النفط تغيرات هامة اذ ارتبط نظام النقد العالمي بانظمة الامتيازات النفطية لاسيما بعد ظهور الولايات المتحدة الاميركية كبلد هام مستورد للنفط من جهة ،وزيادة رغبة حكومات البلدان المنتجة للنفط في الاعتماد على الشركات النفطية المستقلة التي تقدم شروطا افضل من جهة ثانية ،وعليه ارتفعت اسعار النفط العربي الخفيف الى (٣) دولارات للبرميل الواحد بعدها دخلت منظمة اوبك (Organization Of Arab Petroleum Etporting Countries-Oapec) [١٢] في مفاوضات مع شركات النفط الاجنبية لرفع الاسعار بمقدار(٢) دولار للبرميل لكن الاخيرة رفضت ذلك وابدت استعدادها لزيادة الاسعار بمقدار(٠.٤٥) سنتا ،وقد تزامنت تلك المفاوضات مع اندلاع الحرب العربية –الاسرائيلية الامر الذي دفع حكومات البلدان المنتجة للنفط لزيادة اسعاره من طرف واحد ليرتفع سعر البرميل الواحد الى (٥.١٢) دولار، ثم اعقب ذلك ظهور نقص في امداد اسواق النفط العالمية لاسيما بعد اتخاذ الحكومات العربية– عدا العراق– قرارا بتخفيض كميات الانتاج النفطي من جهة ومنع تصديره الى الولايات المتحدة الاميركية من جهة ثانية ،وتصاعد عمليات الشراء غير المبررة التي ادت الى ارتفاع الاسعار من جهة ثالثة ، مما دفع بمنظمة اوبك الى استغلال تلك الاوضاع واعلانها مضاعفة الاسعار ابتداء من الاول من كانون الثاني عام ١٩٧٤[١٣].

لقد تاثرت اليابان بشكل كبير من نتائج ازمة النفط وعد ذلك اول انحدار حقيقي للاقتصاد الياباني منذ عام ١٩٥٢، لاسيما بعد اجتماع وزراء خارجية منظمة الدول

العربية المصدرة للنفط –اوبك– في الكويت يوم ١٧/تشرين الاول/١٩٧٣ واعتمادهم شعار(النفط سلاح في المعركة) دعما للمجهود الحربي العربي ضد اسرائيل من خلال تخفيض انتاج النفط بنسبة لاتقل عن (٥%) ورفع اسعاره بنسبة(٧٠%) ،وقد اثر ذلك على الاقتصاد الياباني ومروره بما يعرف بالركود التضخمي (Stagflation) [١٤]حيث سجل عجزا بمقدار عشرة مليارات دولار بعد ارتفاع اسعار النفط والذي رافقه ارتفاع اسعار البضائع في الاسواق اليابانية وانخفاض الناتج القومي من (٦.٥%) عام ١٩٧٢ الى (١.٨%) وزيادة نسبة البطالة في ذلك العام،مما دفع الحكومة اليابانية لاتباع ما يعرف (بالسياسة التجارية من اجل التطور الاقتصادي) القائمة على كسب اسواقا جديدة وزيادة الانتاج الصناعي المتخصص وتحسين كفاءته واشراك القطاع الخاص ،لاسيما اذا ما ادركنا ان اليابان هي دولة مصنع (State Factory) اي انها تحتاج الى مدخلات العملية الصناعية ثم تصريف مخرجاتها، وعليه فقد تحول مفهوم الامن القومي لدى اليابان نحو منطلق (ان العالم بأسره يعد مجالا اقتصاديا حيويا لها) [١٥]، الامر الذي جعلها تتجه نحو منطقة الشرق الاوسط [١٦] لاسيما العراق للاستثمار الاقتصادي فيه ولاسيما في المجال النفطي منه [١٧]، كونه بلد نفطي بامتياز، وانه كان بحاجة ماسة للمساعدات المالية الأجنبية اثر معاناته من العجز في الرساميل بعد تأميم الشركات النفطية ومارافقها من مشاكل في مفاوضاته مع الشركات البريطانية والفرنسية ،واتباع حكومته سياسة متصلبة تجاه الصهاينة، وفي ظل هذه الاوضاع بدأت الحكومة اليابانية مبادرات دبلوماسية اذ تم تعيين (تاكوميكي) مبعوثا خاصا الى الدول العربية الكبيرة وبضمنها العراق [١٨].

هكذا اخذت اليابان تسعى لضمان مصالحها الاقتصادية الماسة في العراق عن طريق اجراءها عدة محادثات توجت بعقد عددا من المعاهدات الاقتصادية.

المبحث الأول:- المحادثات والاتفاقات الاقتصادية (الأولى) العراقية – اليابانية خلال الفترة (١٩/كانون الأول/١٩٧٣- ١٨/كانون الثاني/١٩٧٤)

في ظل الظروف العالمية المعقدة التي كان العالم يمر بها انذاك لاسيما ارتفاع اسعار النفط وفرض الولايات المتحدة الاميركية وهولندا حظرا على تصدير النفط العراقي بسبب اعلانه تأميم الشركات النفطية، اعلن العراق على لسان وزير النفط والصناعة (سعدون حمادي) يوم ١٩/كانون الاول /١٩٧٣ ، بعدم التزامه بسياسة تخفيض الانتاج النفطي التي اعلنتها الدول العربية المنتجة للنفط ، اذ اعتبرها بانه لم يتم التعامل معها بالشكل الذي يحقق مصالح السياسة العربية، مع تأكيده استخدام النفط كسلاح من خلال مقاطعة الدول التي تحظر تصديره لاسيما الولايات المتحدة الاميركية وهولندا، وفي الوقت نفسه اوعز الى شركة نفط البصرة بالايفاء بالاتفاقيات النفطية المبرمة بشأن بيع نفطه المؤمم لكلا من شركة شل النفطية الفرنسية و شركة بريتش بتروليوم البريطانية حيث اعتبرها من الشركات الصديقة ، فضلا عن بيعه لشركات الدول الأخرى والتوجه مستقبلا ببيعه لعملاء لا ينتمون للدول التي فرضت حظرا على تصدير نفطه، علما ان شركة نفط البصرة كانت مستمرة في تصدير نفطه المؤمم وبشكل يومي من حقوله النفطية في البصرة لاسيما حقل (خور العمية) عبر ميناء الفاو اذ كان لها جدول زمني اَجل لكل شهر من عمليات التصدير تلك ، مع رغبة منها في زيادة كمية تصدير النفط المؤمم مستقبلا، فضلا عن عمليات التصدير الاخرى التي كانت تصل عبر خطي انابيب طرابلس وبانياس [١٩].

امام هذه التحولات الدولية سعت اليابان لضمان مصالحها الاقتصادية ولاسيما الامدادات النفطية لها وذلك من خلال ابداء رغبتها التوجه صوب العراق لعقد معاهدات واتفاقيات اقتصادية ونفطية معه ، الامرالذي اثار بريطانيا التي استشعرت تلك الرغبة اليابانية فسارعت لاجراء محادثات في لندن مع وزير التجارة والصناعة الياباني (ياسوهيرو ناكاسونه) ،كان الغرض منها ثني اليابان عن اجراء اية محادثات نفطية مع العراق ، حيث عرض الجانب البريطاني على الجاني الياباني التعاقد معه على استثمار

النفط في البحر الشمالي–هو بحر يقع شمال اوربا بين النرويج والدنمارك شرقا والمملكة المتحدة غربا والمانيا وهولندا وبليكا جنوبا– بشروط محددة ،ولكن على ما يبدو ان الوفد الياباني لم يكن راضيا على ذلك الاستثمار وتلك الشروط وابدى رغبته في اسثمار النفط في اسكتلندا بدلا عنه، معللا ذلك الى تفضيله العمل على ضمان مصالح بلاده في ظل الاوضاع السائدة انذاك ، ومما يؤكد ذلك قوله (لا يمكن للشعب الياباني ان يقبل شروطا تقيده) وذلك اثناء اللقاء الذي جمعه بالسفير البريطاني في بغداد بعد عودته من لندن اواخر عام ١٩٧٣، وعليه وتأكيدا لضمان المصالح الاقتصادية (النفطية) اليابانية في العراق اجرى الجانب الياباني ممثلا بوزير التجارة والصناعة محادثات مطولة مع الجانب العراقي ممثلا بوزير الصناعة (طه ياسين رمضان الجزراوي) بشأن تطوير العلاقات الاقتصادية (النفطية) بين البلدين وذلك في اوائل كانون الثاني عام ١٩٧٤[٢٠].

خلال يومي ١٥-١٦ /كانون الثاني/ ١٩٧٤ تم تكثيف الاجتماعات بين الجانين ونتج عنها الاتفاق مبدئيا على توقيع اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني بين البلدين التي تضمنت، تقديم اليابان للعراق منحة مالية على شكل قرض مقداره مليار دولار اميركي لاستخدامه في تنفيذ عدد من المشاريع النفطية والصناعية منها(بناء مصنع للغاز السائل و مصفاة للنفط ومصنع لانتاج الاسمدة الكيمياوية ومصنع لانتاج الاسمنت واخر لانتاج الالمنيوم ومجمع جديد للكيماويات البترولية)، وان تتعهد ايضا بالنظر في تمويل واقامة مشاريع اخرى مماثلة مستقبلا وفقا لرغبة وطلب الجانب العراقي وعلى غرار هذا القرض ،وتعهدها بتنفيذ جميع المشاريع التي تم الاتفاق عليها ،وتقديمها الخبراء للعراق وفي مختلف المجالات التي يطلبها الجانب العراقي ،واعلان استعدادها لتدريب عددا من الفنيين العراقيين في اليابان ،مع التزامها بتزويد العراق بالمواد الخام والمواد الأساسية المطلوبة وخزانات النفط ، مقابل تعهد العراق بتزويد اليابان بالنفط الخام والغاز والمنتجات البترولية الثانوية والسلع الأخرى.[٢١]

في يوم ١٨/كانون الثاني/١٩٧٤ تم توقيع الاتفاقية رسميا بواسطة وزيري صناعة البلدين بعدها غادر الوفد الياباني بغداد متوجها الى لندن ومنها اتجه نحو طوكيو[٢٢] .

لقد اعطى توقيع الاتفاقية دافعا قويا للعراق في الاعلان عن سياسته النفطية المستقبلية والتي وضحها وزير النفط والمعادن من خلال اللقاء الصحفي الذي اجرته معه مجلة النفط والعالم(Oil and World) في ٣٠/كانون الثاني/١٩٧٤ والتي يمكن ايضاحها بالنقاط الاتية:-

١-فيما يتعلق بكمية الانتاج النفطي فقد اعلن بان العراق ينتج حاليا مليونان ومائة الف برميل يوميا ويمثل ذلك زيادة بنسبة ٤٣% عن متوسط الانتاج اليومي لعام ١٩٧٢ ، حيث كان العراق ينتج اقل من مليون وخمسمائة الف برميل يوميا، وقد عزا تلك الزيادة في الانتاج الى فضل عمليات تاميم النفط عام ١٩٧٢، فضلا عن إعلانه رغبة العراق في السعي لتصدير ثلاثة ملاين وخمسمائة الف برميل يوميا بحلول عام ١٩٧٥.

٢-تم تحديد كمية الانتاج عام ١٩٧٣ من الحقول النفطية المؤممة بخمسة اطنان – كل طن نفطي يساوي حوالي سبعة براميل- من حقل الرميلة الشمالي، و ستون مليون طن من حقول النفط الشمالية .

٣-تتولى شركة النفط العراقية مهمة تسويق النفط المنتج واتباعها سياسة البيع المباشر للعملاء ،اما بخصوص عمليلت تكرير النفط فقد تولت المصافي العراقية داخل العراق مهمة تكرير جزءا من النفط الخام المنتج لتلبية متطلبات الاستهلاك المحلي.

٤-سعي العراق لانشاء مصافي جديدة فيه بهدف تصدير المنتجات النفطية ، والسعي لانشاء مصافي اخرى مشتركة خارج العراق على ان تكون للدول العربية الاولوية فيها ومن ثم باقي اعضاء منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبك).

٥-عدم رغبة العراق في ابرام صفقات نفطية طويلة الأمد ،مع التأكيد على إقامة علاقات طويلة الأمد مع الدول الكبرى وفق قاعدة (المصالح المتبادلة) لاسيما مع الشركات النفطية فيها.

٦-وضع الموارد النفطية في خدمة التنمية الاقتصادية للعراق والتي لايمكن تحقيقها بالشكل المطلوب دون وجود شركة النفط الوطنية التي تاخذ على عاتقها مسؤولية تطوير صناعة وطنية شاملة مع الاقتصاد الوطني.

٧-العمل على تخفيض اسعار المنتجات المصنعة التي تصدرها الدول الصناعية للعراق والعمل على اتخاذ اجراءات وقائية تحد من تدهور القوة الشرائية لعائدات النفط.

٨-ترحيب العراق بجميع شركات الاجنبية الراغبة في العمل داخله وفق اسس المنافسة التجارية ضمن المصالح المشتركة وبضمنها الشركات الاميركية ، على ان لا يقتصر ذلك على شركات النفط فحسب بل يشمل جميع المجالات الاخرى التي تحتاجها البلاد مثل الخبراء والمنتجات الصناعية التي تتطلبها التنمية الاقتصادية.

٩-استخدام النفط كسلاح في المواجهة العربية – الاسرائيلية وذلك لمواجهة الخطر الذي تواجهه الامة العربية.

١٠- الاعلان عن الشروع بمد شبكة خطوط انابيب جديدة لتصدير النفط من الحقول الشمالية وتوسيع خطوط اخرى لاسيما خط انابيب كركوك-بانياس من اجل تحقيق زيادة في قدرة النقل وضمان تدفق النفط العراقي الى الاسواق العالمية ،وكذلك الاعلان عن الشروع بانشاء خط نقل جديد بطول تسعمائة كيلو مترا يمر عبر الاراضي التركية تكون طاقته القصوى خمس وثلاثون مليون طن سنويا، كما سيتم بناء خط انابيب استراتيجي مزدوج جديد بطول ستمائة وخمس وخمسون كيلو مترا والذي سيربط حقول النفط الشمالية بالموانئ الجنوبية للعراق ،وتبلغ قدرته التحميلية اربعة واربعون مليون طنا باتجاه الشمال

،وخمسون مليون طنا باتجاه الجنوب،والاعلان ايضا عن توقيع عقدا لبناء ميناء عميق في جنوب العراق تكون طاقته التصديرية ثمانون مليون طن سنويا، مع بناء منشات لاستقبال الناقلات بسعة خمس وثلاثون الف طن.

١١- توظيف قطاع النفط كاساس لتصنيع اقتصاد العراق ورفد خطط التنمية الاقتصادية فيه ، والسعي لايجاد موارد انتاجية جديدة لاسيما في القطاع الزراعي وباقي القطاعات الاخرى وتنفيذ مشاريع التطوير وتعيين الخبراء والدخول في الاسواق العالمية.

١٢- تتولى شركة النفط الوطنية العراقية المسؤولية الكاملة عن عمليات التنقيب عن الموارد النفطية وتطويرها في العراق باستثناء الاراضي المخصصة لشركة نفط البصرة، ويمكنها دعوة الشركات الاجنبية المماثلة للدخول في صيغة تعاقدية معها بهدف تسريع عمليات اكتشاف وانتاج النفط في مناطق محددة، وعليه فقد اعلنت شركة النفط الوطنية العراقية عن مناقصة لافتتاح ست مناطق جديدة بمساحة اجمالية قدرت بحوالي ثمانية واربعون الف كليومتر على ان يتم منح تلك المناطق على اسس تنافسية وفقا لعقود الخدمة، وستحظى الشركة التي تمتلك كفاءة اكبر وفائدة اكثر لشركة النفط الوطنية العراقية بالأفضلية في منحها المنطقة المطلوبة،فضلا عن تضمين عقود الخدمة مادة تضمن اعادة نفقات الاستكشاف للشركة في حالة نجاحها باستخراج النفط مع توفير النفط الخام لها لمدة طويلة وبسعر خاص، ومادة اخرى ستضمن للشركة تحديد متوسط انتاجها والسعر الذي ستحصل عليه.

١٣- اما بخصوص نظام الضرائب المفروضة على الشركات المنتجة للنفط والتي بقيت على حالها في وقت ارتفعت فيه اسعار النفط وازادت فيه كمية الانتاج، فقد اوضح العراق موفقفه بشكل صريح اذ عد تلك الارباح (ارباحا غير محققة) كون المستفيد منها هي الشركات المنتجة للنفط وليس الدول المنتجة وهذا يؤدي لفقدان قيمة كبيرة من الثروة النفطية للبلد المنتج ،وعليه اشار الى ضرورة

اعادة النظر في اتفاقيات نظام الضرائب المفروض على الشركات المنتجة للنفط.

١٤- التاكيد على ان حقل الرميلة الشمالي النفطي في البصرة يدار من قبل شركة النفط الوطنية العراقية حصرا وليس الشركات الروسية ،وقد اثارت هذه النقطة حفيظة روسيا التي عدتها عدم تقدير العراق للدعم الروسي في الأوقات الصعبة[٢٣] .

المبحث الثاني:- الاتفاقات الاقتصادية(الثانية) العراقية- اليابانية خلال الفترة(٣/نيسان /١٩٧٤-٢٢/اب/١٩٧٤) وموقف بعض الدول الإقليمية والغربية منها

عملت اليابان خلال هذه الفترة على تكثيف اتصالاتها بالجانب العراقي بهدف اقامة علاقات اقتصادية واسعة بين البلدين، وقد اشار السفير الياباني خلال لقائه السفير البريطاني في العراق الى انه احرز تقدما مهما في هذا الجانب، اذ اكد بانه قد تمكن من اقناع الحكومة العراقية من منحهم امتيازات اقتصادية لاسيما في مجال الحصول على استثمارات نفطية للتعويض عن الشركات النفطية الاجنبية السابقة التي شملتها عملية تأميم النفط ، فضلا عن استثمارات اخرى تشمل التنمية الزراعية في العراق، وفي الوقت نفسه وضح السفير الياباني بان اقامة هكذا علاقات مع العراق لا تهدف مطلقا الى حدوث توترات بين العراق وايران لاسيما وان البلدين كانت علاقاتهما متوترة بشكل ملحوظ انذاك بسبب ان تأميم العراق لنفطه قد شمل حصص شركة شل الفرنسية والتي كان لإيران أسهم فيها ، كما اوضح السفير الياباني بانه سيعمل على ابلاغ شاه ايران(محمد رضا بهلوي) بكل تفاصيل محادثاته مع الجانب العراقي بدلا من ان يعلم بها من خلال الصحافة[٢٤].

من الجدير بالاشارة الى ان تلك الفترة قد شهدت توترات كبيرة بين العراق وشركات النفط الاجنبية المؤممة من قبله، وبضمنها شركة شل الفرنسية التي كانت قد اقامت دعاوى لدى المحاكم الدولية بشأن عملية التأميم والسعي لاحتجاز النفط المؤمم الذي تصدره شركة

النفط الوطنية العراقية والشركات الأجنبية الأخرى كشركة بريتيش بترورليوم والشركة الوطنية الهندية للنفط والغاز وغيرها من حقوله النفطية في مدينة البصرة ، على الرغم من ان الشركة نفسها كانت لا تزال تعمل على استخراج النفط من بعض حقول النفط العراقية الواقعة في جنوبه من جهة ،وتفضيلها الاستمرار في الاستثمار في الأراضي العراقية على الاستثمار في الأراضي الإيرانية التي جاءت نتائج التنقيب فيها مخيبة للآمال من جهة ثانية ، وذلك لاحتواء ارض العراق على مناطق واسعة للثروة النفطية مما يشكل منطقة ذات آفاق جديدة وواعدة للشركات النفطية حسب ما ورد في معظم تقارير خبراء النفط ، وفي الوقت نفسه حرصت الشركة على عدم تدهور علاقاتها بالجانب الإيراني وذلك حفاظا على مصالحها الاقتصادية، ويبدو من ذلك ان شركة شل قد عملت بالمثل العربي القائل (عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة)[٢٥].

كما حفز اهتمام العراق ورغبته في المشاركة في عمليات نقل النفط بواسطة اسطول من الناقلات النفطية الجانب الياباني على المضي قدما في تحقيق شراكة اقتصادية معه، وذلك نتيجة للإرباح الكبيرة التي كانت تحققها شركات النفط لاسيما وان العراق قد قدم مقترحات بذلك الشأن خلال اجتماعات منظمة الاوبك[٢٦].

هذا وان سعي اليابان الحثيث والجاد في اقامة علاقات اقتصادية مع العراق قد انعكس بشكل ايجابي على علاقات العراق بكل من شركة شل النفطية من جهة وبريطانيا من جهة ثانية، ويظهر ذلك جليا من خلال سعيهما لاجراء محادثات جديدة معه بخصوص تطوير تلك العلاقات التي كانت قد تصدعت نتيجة عمليات تاميم النفط التي قام بها العراق ،من اجل السعي للحفاظ على مصالحهما النفطية فيه ، لاسيما بعد ورود تقرير من الملحق التجاري البريطاني في بوخارست–رومانيا– في ٣/نيسان/١٩٧٤ الذي اشار الى ان امدادات النفط العراقية قد وصلت الى رومانيا بواسطة ناقلات شركة (اريستوتيل اوناسيس) النفطية الرومانية ،وان النفط المحمل هو من حصة الانتاج المؤممة من المساهمين الاميركيين والبرتغاليين الذي اصبح يدار من قبل شركة النفط الوطنية العراقية[٢٧] ، الامر الذي دفع بالسفير البريطاني بالتوجه نحو مقرشركة بريتيش بترولیوم

– الذراع النفطي للحكومة البريطانية– في العراق وتوجيهه استفسارا لمدير الشركة المدعو (سوتكليف) اثناء تناوله وجبة الغذاء معه حول صحة ما ورد في احد التقارير البريطانية بخصوص اتخاذ الشركة اجراء ات قانونية بحق شركة اريستوتيل اوناسيس النفطية لنقلها حمولات من النفط العراقي الى رومانيا ،وقد اجاب مدير الشركة بان محامي الشركة قد اتخذ تلك الاجراءات دون استشارة الشركة ، وعليه طلب السفير من الشركة ضرورة التاكد من دقة المعلومات قبل اتخاذ اية اجراءات قانونية [٢٨].

اما فيما يتعلق بشركة شل النفطية فقد اشارت احدى الوثائق البريطانية الى ان ممثلوا الشركة اكدوا للسفير البريطاني في العراق اثناء لقائهم به يوم ٢٧/نيسان/١٩٧٤ بإحرازهم تقدما كبيرا خلال محادثاتهم مع العراق بشأن اقامة علاقات نفطية جديدة معه، اذ اكدوا له تمكنهم من الحصول على موافقته في توسعة حصة شركتهم من براءات التنقيب عن النفط في الاراضي العراقية للتعويض عن حصصهم الكبيرة السابقة التي خسروها جراء عمليات التاميم، فضلا عن الحصول على عقود شراكة جديدة في مجال التنمية الزراعية، في الوقت نفسه أعربوا للسفير البريطاني عن خشيتهم من ان ازدهار علاقاتهم مع العراق قد تؤثر على مكانة وامتيازات شركتهم في ايران في ظل وجود توترات كانت سائدة بين البلدين، فجاء رد السفير بالاشادة بسياسة الشركة التي وصفها(بالحكيمة) في جانب البحث عن ردود الفعل المقابلة،مؤكدا لهم بان الشاه الايراني لن يبادر الى ممانعة الشركة او غيرها من الشركات في الاستثمار النفطي وغيره من الاستثمارات في الاراضي العراقية ،لاسيما وان للشركة تاريخ طويل في مجالات عملها، واكد لهم على ضرورة ان يضعوا في اعتباراتهم توقيت أي إعلانات رسمية عامة وان يكون هنالك حرص على وضع الشاه بالصورة أولا بأول[٢٩] .

مهما يكن من امر فان الوقائع والحقائق التاريخية تشير الى تعزيز العلاقات الاقتصادية بين العراق واليابان ،ففي ١٦/اب/١٩٧٤ وقع كلا من وزير الخارجية اليابانية (كيمورا) ووزير الشؤون الاقتصادية العراقي (حكمت العزاوي) على مسودة اتفاقية ثانية ضمن إطار (الاتفاق الاقتصادي والتقني بين البلدين) والذي تضمن الأمور الاتية:–

١-تعزز حكومتي البلدين تعاونهما في المجال الاقتصادي والتقني، مع تعهد اليابان بارسال خبراء تقنيين وآخرين في مجال المساحة الى العراق والزامها بتحمل النفقات المالية للمتدربين العراقيين في اليابان طيلة مدة دراستهم.

٢-تتعاون الحكومة اليابانية مع الحكومة العراقية لتسهيل تقديم قرض بالعملة اليابانية-الين- وائتمانات اخرى لتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية العراقية ، فتعهدت اليابان بانها ستقدم من خلال (بنك التصدير والاستيراد الياباني) قرضا للعراق مقداره (٧٤,٥٠٠٠٠٠) مليون ين – حوالي ٢٥٠ مليون دولار- لمدة ثمانية عشر عاما مع فترة سماح مدتها سبعة اعوام وبمعدل فائدة سنوية مقداره (٤%) ، وستعمل ايضا على تسهيل توفير ائتمانا ماليا اخر بقيمة(٢٢٣,٥٠٠٠٠٠) مليون ين – حوالي ٧٥٠ مليون دولار- من مؤسسة يابانية خاصة على اساس تجاري وبفترة سداد تبلغ ثمانية اعوام مع فترة سماح مدتها عامان وبمعدل فائدة سنوية بلغت (٦.٣%)، على ان تخضع عملية تمديد هذه القروض والائتمانات للمزيد من الترتيبات بين الحكومتين بعد مرور اربعة اعوام من تاريخ التوقيع على هذه الاتفاقية.

٣-تعمل الحكومة العراقية على تسهيل ابرام عقود طويلة الاجل للتوريد الطويل المستقر للنفط الخام والمنتجات الاخرى الى اليابان[٣٠].

يبدو ان توقيع هذا الاتفاق جاء لتنفيذ وعد المساعدة الاقتصادية الذي قطعه وزير التجارة والصناعة الياباني (ناكاسوني) للحكومة العراقية عند زيارته العراق مطلع عام ١٩٧٤، وعلى العموم فقد اظهر الاتفاق وجود اختلاف اساسي في النهج بين الجانبين العراقي والياباني اذ تصور العراق انه بمجرد توقيع اتفاق تحميل النفط الخام الى اليابان ستوجه الاخيرة شركاتها الخاصة للمشاركة في مختلف المشاريع المقترحة على العراق،في حين اوضح الجانب الياباني بانه سيتعين التفاوض على عقود محددة مع الشركات اليابانية المعنية لاستخدام القروض والائتمانات السابق ذكرها في انشاء عددا محددا من المشاريع ،وهي انشاء مصفاة للنفط ومصانع للبتروكيمياويات والاسمدة ومعمل

خاص لصهر الالمنيوم ومصنعا للغاز السائل،فضلا عن ذلك فان الاتفاق لم يظهر فيه تحديد الثمن الذي ستدفعه اليابان للعراق لقاء حصولها على النفط الخام وباقي المنتجات النفطية الاخرى ،كما لم يتم تحديد كميات النفط التي ستحصل عليها اليابان على الرغم من اشارة احدى الوثائق البريطانية الى اتفاق كلا الطرفين على تزويد اليابان بتسعون مليون طن من النفط الخام وسبعون مليون طن من المنتجات النفطية والغاز السائل ولمدة عشرة اعوام، كما اشارت الوثيقة الى عقد الجانبين عدة لقاءات للتفاوض بشان تلك المسائل خلال شهر تموز من العام نفسه، وقد اجلت المفاوضات بشأن تحديد سعر برميل النفط الخام الى الاشهر اللاحقة لاسيما وان العراق طالب بان يكون السعر هو (١٠.٨٦) دولارا للبرميل مع حصوله على نسبة (٩٣%) من الوظائف في الشركات اليابانية العاملة في العراق، في حين عرضت اليابان سعر (١٠.٥٠) دولارا للبرميل وان تكون فترة التسديد لمدة تسعون يوما او ان تدفع سعر(١٠.٣٠) دولارا بشكل نقدي ، وبالرغم من تلك الاختلافات فقد اكدت وزارة الخارجية العراقية بان الاتفاق لا يربط بشكل مباشر بين المساعدات اليابانية وامداد كميات محدودة من النفط الى اليابان[٣١] .

لقد اثار توقيع تلك المسودة ردود فعل لدى بعض الحكومات الاقليمية والغربية، اذ عبرت الحكومة الايرانية على لسان سفيرها لدى العراق رفضها له خشية من تأثيره على العلاقات الاقتصادية لاسيما النفطية منها بينها وبين اليابان على الرغم من اعلان الاخيرة سعيها لعقد اتفاقا معها مماثلا للاتفاق مع العراق غير ان الجانب الايراني رفض ذلك وفرض شروطا لا تنسجم مع متتطلبات الشركات الصناعية اليابانية التي بدت انها اقل حماسا للعمل في ايران ، ويتضح ذلك من خلال اعلان منظمة(ايديميستسوكوسان) – ممثلة صناعات النفط اليابانية التي كانت تتفاوض مع العراق- يوم ٢٢/اب/١٩٧٤ عزمها الانسحاب من المشروع الايراني ، في حين رحبت الحكومة الفرنسية به مؤكدة بان لايكون هنالك حاجزا امام اليابان لعقد مثل هكذا اتفاقيات ، وقد جاء الموقف الفرنسي هذا نتيجة لنجاحه في اقامة علاقات اقتصادية مع كلا من العراق واليابان[٣٢] .

اما ايطاليا فقد رحبت هي الأخرى بالاتفاق الذي حفزها لعقد اتفاق مماثل مع العراق ولكن بشروط اقل مما ورد في الاتفاق السابق الذكر وذلك لضمان وصول الامدادات النفطية اليها، اما الجانب البريطاني فقد سعى للدخول بمحادثات مع الحكومة العراقية لابرام اتفاق نفطي معها على الرغم من انه سبق وان عد مواقف هذه الدول – عقد اتفاقات اقتصادية مع العراق– خرقا كبيرا لتوافق اراء الدول الغربية حول مسألة تاميم النفط العراقي [٣٣].

المبحث الثالث:– انعكاسات توقيع تلك الاتفاقيات على السياسة الاقتصادية الداخلية والخارجية للحكومة العراقية

يبدو ان توقيع تلك الاتفاقيات قد عزز من موقف العراق في مجال السياسة الاقتصادية بشكل عام والنفطية بشكل خاص، لاسيما بعد ان اطمأن على تصدير موارده النفطية وغيرالنفطية واستثمار عوائدها في تحقيق مشاريعه التنموية المبتغاة، وفي الوقت نفسه فقد اثار عقدها حفيظة جارته من جهته الشرقية(ايران) التي عملت على تغذية المشاكل والصراعات الداخلية من اجل أرباك الوضع الداخلي فيه ، وسأستعرض بعضا من تلك الانعكاسات.

فيما يتعلق بالشق الاول فقد اصدرت وزارة النفط العراقية– بيانا في١٦/ ايلول/ ١٩٧٤ حدد حددت فيه موقف العراق من قضية اسعار النفط تعقيبا على على المؤتمر الاستثنائي ال(٤١) لمنظمة اوبك الذي عقد في فينا خلال يومي ١٢-١٣/ايلول/١٩٧٤ والذي عقد من اجل حث دول المنظمة على التخفيض الطوعي للانتاج النفطي،اشارت فيه الى ان قضية اسعار النفط الخام التي تواجهها منظمة اوبك اليوم يجب ان لا ترتبط بالمحافظة على ايرادات الدول الاعضاء فقط بل يجب ان تهدف بالدرجة الاولى الى ضمان سيطرة الدول المصدرة على مواردها النفطية ،من خلال تعزيز موقف شركات الدول الاعضاء في سوق النفط العالمية لاسيما مع وجود اسعار منافسة من قبل الشركات الكبرى من جهة، ووجود فائض في الانتاج من جهة اخرى،واشارت ايضا الى ان اكثر

من($\frac{4}{5}$) مما تنتجة دول المنظمة الذي يكون ضمن معدلات التجارة الدولية تم الاستحواذ عليه من قبل الشركات النفطية الكبرى بشروط وامتيازات اقل بكثير من سعر السوق العالمية، في حين ان (النفط الحر)–المؤمم– الذي تنتجه شركات النفط الوطنية وتم تسويقه بشكل مستقل عن تلك الشركات الكبرى لم يشكل سوى جزء صغير من ذلك النفط الذي دخل في اطار التجارة الدولية فضلا عن اسعاره المنخفضة، واشارت ايضا الى ان الفجوة بين سعر النفط الحر ومتوسط السعر الذي تدفعه الشركات الكبرى للدول المنتجة ،منح تلك الشركات ارباحا كبيرة مكنها من امكانية اعادة بيع النفط بسعر اقل بكثير من السعر الذي تضعه شركات النفط الوطنية،وبذلك يمكن للشركات الكبرى خفض الاسعار الحقيقية وممارسة الضغط على مجمل الاسعار من خلال إغراق الأسواق بكميات كبيرة من النفط وعرضه بسعر اقل من سعر السوق،وقد ادى ذلك لحصول فجوة تنافسية كبيرة بين وضع الشركات الكبرى وشركات النفط الوطنية،وعليه كان من الضروري العمل على تضييق تلك الفجوة عن طريق زيادة تكلفة اسعار النفط الذي تحصل عليه الشركات الكبرى وبالتالي سيمكن شركات النفط الوطنية من تأدية دورها الرائد في السوق النفطية، ويتحقق ذلك من خلال زيادة الضرائب على الشركات الكبرى وعلى كل ما تحصل عليه بموجب شروط الامتياز بالدرجة التي من شأنها استنزاف ارباحها الهائلة الامر الذي سيمكن جميع الشركات الوطنية من ان تكون في وضع تنافسي قوي[٣٤] .

كما أشار البيان الى ان وجود فائض في المعروض النفطي في الاسواق العالمية ووجود فرق في اسعاره قد ادى الى انخفاض انتاجه من حصص الشركات الوطنية لصالح حصص الشركات الاحتكارية ،والتالي وضع الشركات الوطنية بين اختيارين صعبين اما خفض أسعار منتجاتها او فقدان اسواقها، وفي الوقت نفسه اشاد البيان بقرار منظمة اوبك بشأن خفض الانتاج الطوعي وتحديد الأسعار ، وعده خطوة مهمة نحو تضيق الفجوة بين الاسعار الذي سيؤدي الى تحقيق توازن في سوق النفط ، الأمر الذي سنعكس ايجابيا في ازدهار عمل شركات النفط الوطنية، مما سينعكس ايجابا ايضا على صادرات العراق من نفط البصرة(المؤممة) اذ ستزداد قيمة ايراداتها بنسبة (١٦.٦٧%)

كما ستزداد نسبة الضرائب المفروضة على الشركات الاحتكارية بنسبة تتراوح بين (٦٥-٧٥%)، لكنه في الوقت نفسه اعتبره خطوة غير مكتملة ويجب ان تتبعها خطوات جذرية اخرى للوصول للهدف المنشود[٣٥]، وهو زيادة الانتاج مع ضمان زيادة الاسعار من خلال وضع برنامج متكامل لتخطيط الإنتاج في ضوء متطلبات السوق[٣٦]

اما فيما يتعلق بالشق الثاني فقد شنت القوات العسكرية الايرانية هجوما على بعض النقاط الحدودية العراقية ليلة ١٥- ١٦/ايلول/١٩٧٤ واستمر الهجوم الى صباح اليوم التالي ، وقد ردت القوات العراقية على مصادر النيران وارغمت القوات المهاجمة على التراجع نحو اراضيها ، وكانت نتيجة الهجوم استشهاد اربعة جنود عراقيين وجرح اربعة اخرين، وقد ادانت الحكومة العراقية الهجوم وحذرت الجانب الايراني من عواقب الاستمرار في تلك الاعمال العدائية التي تتعارض مع جميع مبادئ حسن الجوار والعلاقات الدولية وقرارات الامم المتحدة لاسيما القرار(٣٤٨) الذي دعا الى وضع حد لجميع هكذا اعمال [٣٧] هذا من جانب، ومن جانب اخر عملت ايران على دعم الفصائل الكردية في شمال العراق على احتلال مدينة كركوك التي تعد احدى اكبر مدن العراق النفطية، من خلال تزويدها بالمعلومات والخرائط اللازمة للمدينة ونقاط تمركز القوات العراقية وعناصرها الامنية والحزبية ورفدها بعناصر من (الاطلاعات) للاستدلال على الطرق، وقد استطاعت قوات البيشمركة من قتل اكثر من (٣٠٠) شخص من العناصر البعثية المتواجدة في المدينة في هجوم ليلي واحد ، الامر الذي غير من خارطة سيطرة الحكومة العراقية على مناطق تلك المدينة[٣٨] .

على الرغم مما ذكر فقد تمكن العراق من تعزيز التعاون الاقتصادي مع اليابان في تلك الفترة، اذ توصل البلدان في مفاوضاتهما الاقتصادية الرسمية اللاحقة التي عقدت في الاول من شهر تشرين الاول عام ١٩٧٤ من الاتفاق على شروط ابرام عقد طويل الامد لاستيراد النفط الخام العراقي بعد ان تنازل اليابانيون للعراق عن فقرة (تحديد سعر برميل النفط) من قبلهم والذي كان يعد حجرة العثرة الرئيسي في المفاوضات، وتم بموجب الاتفاق الجديد ايضا استيراد اليابان لحوالي(٩٠) مليون طن من النفط الخام

و(٧٠) مليون طن من المنتجات النفطية الاخرى على مدى العشرة اعوام القادمة بدا من عام ١٩٧٤، كما تضمن الامور الاتية:-

١-وضع سعر (١٠.٨٦) دولار للبرميل الواحد – وكان هذا هو الطلب العراقي ولم يتمكن اليابانيون من التغلب عليه-

٢-تصدير العراق لليابان بما لايقل عن (٥٠٠) الف طن من النفط الخام خلال الشهرين المتبقيين من عام ١٩٧٤-وكان العراق قدى ابدى لليابان استعداده لتصدير كميات اكبر من الكمية المتفق عليها لكن اليابانيون رفضوا ذلك بسبب امتلاء خزاناتهم من جهة وعدم امتلاكهم لخزانات اضافية من حهة ثاني-.

٣-عقد الطرفان لمفاوضات جديدة لاحقة لتحديد سعر وكمية النفط الذي سيصدر لليابان العام المقبل وما بعده[٣٩] .

كما سعى ايضا لتنويع طرق ومنافذ تصدير نفطه عبر كلا من سوريا وتركيا، فقد ارسل العراق في ١٩/تشرين الاول/ ١٩٧٤ وفدا رفيع المستوى برئاسة وكيل وزير النفط والمعادن الى سوريا بهدف اجراء محادثات لتوسيع خط انابيب النفط العراقي –السوري ، واقترح الوفد العراقي على السوريين القيام بتوسيع المنشات اللازمة للتعامل مع انتاجهم النفطي لمضاعفة قدرة خط الانابيب من الحقول النفطية السورية رغم تشكيكه بعدم قدرتهم على ذلك كون ان هكذا مشروع يحتاج الى تكلفة مالية قدرت بحوالي (٢٠٠) مليون دولار،وفي الوقت نفسه ارسل وفدا اخر الى تركيا برئاسة الوكيل الفني لوزارة النفط والمعادن بهدف اجراء محادثات لبناء خط انابيب نفطي من العراق الى البحر المتوسط عبر تركيا ،وتركزت المحادثات حول الية تمويل انشاء هذا الخط اذ اقترح العراق ان تكون تكاليفه مناصفة بينه وبين تركيا،لكن الجانب التركي تريث بالرد على هذا المقترح لحين اخضاعه للدراسات الاستشارية[٤٠]، كما وقعت وزارة النفط والمعادن العراقية يوم ٢٩/تشرين الاول/١٩٧٤ برتوكولا فرعي مع احد مندوبي شركات النفط الروسية لتطوير حقل الرميلة النفطي ،وقد تضمن البروتوكول تعهد الشركة بانهاء عمليات التطوير بحلول

شهر اب عام ١٩٧٥ على ان تبلغ طاقته الانتاجية مابين (٤٠- ٤٢) طن من النفط الخام سنويا بدلا من طاقته الحالية البالغة(١١.٥) طن[٤١] .

ليس ذلك فحسب بل ذهب العراق الى ابعد من ذلك ، اذ سعى لاقناع الدول المنتجة للنفط بسياسته النفطية التي بنيت على اساس تأميم حقوله النفطية، وتجلى ذلك من خلال استضافته للندوة الدولية الثانية (السياسة النفطية) في بغداد للفترة ١-٤/تشرين الثاني /١٩٧٤ التي كانت تحت رعاية مجلس السلام العالمي ،ومنظمة التضامن الشعبي الإفريقي/الآسيوي ، والمجلس الوطني للسلام والتضامن في العراق، حيث تضمن بيانها الختامي عدة نقاط يمكن ايجازها بالاتي:-

١-لاينبغي للبلدان المنتجة للنفط استثمار اموالها في البنوك او العقارات الرأسمالية.
٢-ينبغي استخدام الاموال الفائضة لتمويل عمليات بناء الدول النامية بالتعاون مع الدول الاشتراكية.
٣-مقاومة الاستثمارات الغربية في البلدان المنتجة للنفط اما من خلال شراء هذه البلدان لحصص تلك الدول او وضع اتفاقيات وشروط تضمن حصولها على التقنيات المطلوبة، واعتبار تدوير الاموال من قبل البنوك التجارية الغربية شكل من اشكال الاستعمار الجديد.
٤-يجب التفاوض على وضع اتفاقيات دولية لتحديد اسعار السلع الاساسية والرئيسية (الصناعية والزراعية) تحت رعاية الامم المتحدة وبالشكل الذي تضمن نقل التكنلوجيا الى البلدان النامية.
٥-يجب ان تقوم البلدان المصدرة للنفط بتسويق نفطها مباشرة للبلدان المستهلكة وذلك للقضاء على دور شركات النفط الكبرى كوسطاء[٤٢].

الملاحظ على هذه النقاط انها جاءت بما يتماشى مع سياسة العراق النفطية التي يسعى لتحقيقها، وانها اخذت بعين الاعتبار رعاية العراق الداعمة الى حد كبير للبلدان الاشتراكية، لاسيما وان النقد الرئيسي الذي ورد في البيان الختامي كان موجها

للشركات متعددة الجنسيات وليس الشركات الرأسمالية بحد نفسها ،كما انه كان بمثابة دعوى لتطوير التعاون في المجالات ذات المنفعة المتبادلة بين البلدان الرأسمالية والاشتراكية.

كذلك من ضمن انعكاسات توقيع تلك الاتفاقيات فرض العراق على شركة بتروبراس النفطية البرازيلية المستثمرة في ميدان اكتشاف واستخراج وتسويق النفط في جنوب العراق[٤٣] تعديل الاتفاقية النفطية التي سبق وان ابرمت معه في ايلول عام ١٩٧٢ التي منحت الشركة المذكورة امتياز شراء اي نفط خام تكتشفه (بسعر بيع مناسب) وان يصل مقدار الاستخراج الى (٥) طن من النفط الخام سنويا، وان لا ينخفض معدل الاستخراج دون (١٦%) ، وبموجب التعديل الجديد اصبح لزاما على الشركة ان ترفع انتاجها من النفط الخام مابين (٢٥-٣٠) مليون طن سنويا ،وان لا ينخفض معدل الاستخراج دون (٢١%)، وتعهدت الشركة ايضا بتسويق ما يصل الى (٣٠٠) الف برميل يوميا من االنفط المنتج وان تكون نسبة عمولتها(٠.٥) نصف سنت للبرميل الواحد [٤٤].

لقد اعطى توقيع تلك الاتفاقيات الحكومة العراقية فسحة واسعة في التصميم على تنفيذ سياستها الاقتصادية لاسيما في مجال الاستثمار النفطي وخير دليل على ذلك ما اكده وزير الاقتصاد العراقي (حكمت العزاوي) اثناء ادلائه ببيان صحفي في القاهرة يوم ٤/كانون الاول/١٩٧٤ الذي اشار فيه الى ضرورة فرض خط السياسة الاقتصادية العامة بما ينسجم مع مقررات الندوة الدولية الثانية (السياسة النفطية)[٤٥].

الخاتمة

١-جاء توجه اليابان صوب العراق لاعتبارات جيوستراتيجية واقتصادية من اجل تعزيز دورها على المستوى الدولي من خلال اقامة دور نشط وفعال على المستويين (السياسي والاقتصادي).

٢-كان الهدف من تلك الاتفاقيات ضمان حصول اليابان على الامدادات النفطية وضمان فتح اسواقا جديدة مضمونة لتصريف منتجاتها الصناعية، وتجلى ذلك واضحا في رفضها الاستثمار النفطي في منطقة بحر الشمال.

٣-وجد العراق في تلك الاتفاقيات متنفسا له للتخلص من الوضع الاقتصادي السيء الذي كان يمر به بعد قيامه بعمليات تأميم الشركات النفطية الاجنبة.

٤-منح توقيع تلك الاتفاقيات العراق دافعا قويا في رسم سياسته الاقتصادية المستقبلية الرامية لزيادة الانتاج النفطي وتحقيق التنمية الاقتصادية الداخلية بما في ذلك تولي شركة النفط الوطنية العراقية تسويق النفط العراقي المؤمم للاسواق العالمية ، وتولي مصافي النفط العراقية مهمة تكرير جزءا من النفط الخام المنتج لسد الحاجة المحلية دون الاعتماد على استيراد تلك المنتجات من الخارج.

٥-فتح توقيع تلك الاتفاقيات الافاق امام العراق لعقد اتفاقيات جديدة اومماثلة لها وان كانت بشروط اقل مع شركات دول اوربية سبق وان كانت تعتبر عمليات تأميم العراق لنفطه تعديا على حقوقها لاسيما ايطاليا وفرنسا وبريطانيا.

٦-تمكن العراق من استغلال الظروف الدولية انذاك والمتمثلة بارتفاع اسعار النفط واندلاع الحرب العربية –الاسرائيلة في تشرين الاول ١٩٧٤ من فرض اسعارا محددة لنفطه المسوق الى اليابان.

٧-عززت عمليات تأميم النفط وعقد الاتفاقيات الاقتصادية مع اليابان موقف العراق في الطلب من الدول المنتجة للنفط في منظمة اوبك على التعاون مع الدول الاشتراكية على حساب الدول الرأسمالية في ميدان الاستثمارات .

٨-كما شجعت العراق على الطلب من الدول المنتجة للنفط على تسويق نفطها المنتج مباشرة الى الدول المستهلة وذلك للقضاء على احتكار شركات النفط الاجنبية الكبرى.

٩-الملاحظ ايضا ان العراق لم يخفض انتاجه النفطي اثناء الحرب العربية – الاسرائيلية ، في الوقت الذي رفع فيه شعار(النفط سلاحا في المعركة) ،وعلى ما

يبدو ان هذا الشعار قد رفع قبل اندلاع تلك الحرب وكان المقصود منه عدم تصدير النفط العراقي المؤمم للولايات المتحدة الاميركية وهولندا اللتان فرضتا حضرا على تصدير ذلك النفط واقامتا دعاوى لدى المحاكم الدولية بشأنه.

الهوامش

(١) نذير جبار حسين ، العلاقات العراقية – اليابانية(١٩٢١-١٩٥٨) في كتاب مجموعة مؤلفين، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي،القاهرة،٢٠١٠،ص ٢٧٤.

(٢) حيدر قاسم مطر التميمي ، الاستعراب الياباني والقضايا المعاصرة ، بحث منشور، دراسات استشراقية ، ((مجلة))، السنة الثالثة، العدد ٨،العتبة العباسية المقدسة، العراق، ٢٠١٦،ص ١٨٠؛ الموقع الرسمي لسفارة اليابان في العراق على الشبكة الدولية للاتصالات (الانترنيت):- WWW.iraq.emb.japan.go.jp .

(٣) سمير خليل، العلاقات العراقية اليابانية.. انموذج للاحترام المتبادل والمصالح المشتركة ،مقال منشور، الصباح الجديد،((جريدة)) ، بغداد،٢٤/شباط/٢٠٢٠.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن بنود تلك الاتفاقية ينظر:- وزارة الخارجية العراقية، مجموعة المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين العراق والدول الاجنبية ،ج٨،مطبعة الحكومة،بغداد،١٩٦٥،ص ص ١١٨٤-١١٩٠.

(٥) عادل عيسى كاظم الوزني ،الاستثمار الاجنبي المباشر في بلدان اسيوية مختارة مع الاشارة الى الفرص المتاحة في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء،٢٠٠٥،ص ١٦٨.

(٦) محمد طه البشير وغني حسون طه، الحقوق العينية الاصلية والتبعية،ج١، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة،٢٠١٠،ص ٦٩.

(٧) الوقائع العراقية ،((جريدة))، العدد ٢١٤٦،١/حزيران/١٩٧٢.

(٨) صباح كجه جي، التخطيط الصناعي في العراق اساليبه ، تطبيقاته، واجهزته ، ج١ للفترة من ١٩٢١- ١٩٨٠، مكتبة بورسيبا، د.م ، د.ت، ص ١٧٤.

(٩) الوقائع العراقية ،((جريدة))، العدد ٢٢٢٦،١/اذار/١٩٧٣.

(١٠) الوقائع العراقية ،((جريدة))، العدد ٢٢٨٣،٧/تشرين الاول/١٩٧٣.

(١١) محمد طه البشير وغني حسون طه، المصدر السابق ، ص ٦٩.

(١٢) تأسست هذه المنظمة عام ١٩٦٠ من قبل كل من (العراق وايران والسعودية والكويت وفنزويلا)، وخلال الفترة (١٩٦١-١٩٧٥) انضمت لعضويتها ثمانية دول اخرى هي (قطر عام ١٩٦١، واندنوسيا وليبيا عام ١٩٦٢، وابو ظبي عام ١٩٦٧،والجزائر عام ١٩٦٩،و نيجيريا عام ١٩٧١، والاكوادور عام ١٩٧٣،والغابون عام ١٩٧٥)، للمزيد من التفاصيل ينظر:- Abbas Alnasrawi ,Collective Bargining Power In Opec,Journal Of World Trade Lew 7,2- November -1973,PP. 188-207; ((The Petrodllar Energy Crisis : An Overview And Interpretation)) Sysacuse Journal Of International Lew And Commerce,3,2- November -1975,PP.369-412.

(١٣) عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي النفط. التنمية. الحروب. التدمير. الافاق ١٩٥٠- ٢٠١٠، ترجمة محمد سعيد عبد العزيز، دار الكنوز الادبية، بيروت، ١٩٩٥،ص ص ٢٣-٢٤.

(١٤) وهي المرحلة التي يقترن فيها التضخم النقدي بانخفاض الانتاج مع ارتفاع الاسعار وزيادة نسبة البطالة.

(١٥) وسام هادي عكارعظيم،تطور سياسة اليابان الاقتصادية ١٩٥٢-١٩٧٣(دراسة تأريخية)،اطروحة دكتوراة غير منشورة،كلية التربية –ابن رشد– للعلوم الانسانية،جامعة بغداد،٢٠١٤، ص ص ٢٦٣-٢٦٥.

(١٦) ايفلين دوريل، في الاقتصاد الياباني،ترجمة صباح ممدوح كعدان،الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق،٢٠١٠،ص٥٧.

(١٧) سهاد احمد رشيد، واقع واثار قانون الاستثمار الاجنبي المباشر في اقتصاد العراق، بحث منشور، الاقتصاد الخليجي، ((مجلة))، العدد ٢٠١١،٢٠،ص ٢٠٩.

(١٨) كيكو ساكاي، العراق واليابان:-تاريخ وعلاقات ،ترجمة علي حسين حسون ومحمود عبد الواحد،مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي،القاهرة،٢٠٠٩،ص ص ٢٦-٢٧.

(19) Bagdad , (F.M), Information on Oil Supplies,`14-FEP,From Royal Swedish Embbassy,British Interests Section, Bagdad,In 28-Jan-1974,p.4A.

(20) Bagdad , (F.M) , Confidential , 170800Z ,To, Fco,18-Jan-1974, P2.

(٢١) حضر مفاوضات الاتفاقية كل من (وزير الاقتصاد العراقي حكمت العزاوي ووكيل وزارة الاقتصاد العراقي مهدي العبيدي وسفير اليابان في بغداد). Bagdad , F.M , Confidentiol , 170900Z ,Priority(UNCLASSFIED),Fromi (F.M) Bagdad,To:-Tokyo-Saving To Abu Dhabi-Algiers-Amman-Ankara-

Beirut-Caracas-Doha-Dubai-Eec posts-Jakarta-Jedda-Kuwait-Lagos-Moscow-Port of Spain-Tehran-Tripoli-Uk Mis new York-Washington,Ministry of Foregn Affairs(MOFA) In:- 18-Jan-1974,p.3.

(22) Bagdad , F.M,170700z, (UNCLASSFIED),In:-18-Jan-1974,Immediate From (F.M) Bagdad To:- Abu Dhabi- -Algiers- Caracas –Doha-Jakarta- Jedda-Kuwait-Lagos- Port of Spain- Tehran- Tokyo Tripoli-Moscow- Washington- Uk Mis new York-Ankara-Eec posts-Beirot,p.10.

(23) Bagdad , (F.M) , 250700z ,Confidential,Cutback&Embargos,In:-31-Jan-1974,p.4.

(24) Bagdad , Forejn Ministry(F.M) ,Confidential,12-2, Cutback&Embargos,In:-20-May-1974,p.٦.

(25) Bagdad , Forejn Ministry(F.M) ,Confidential,12-2, Cutback&Embargos,In:-٣0-May-1974,p.7.

(26) Bagdad,Britsh Embassy , Middle East Department, Foreing& Commonwealth Office, London Swl,12-2, In:- 30-May-1974,p.8.

(27) Mrct. Hr.Breverton, Energy Department , Commercial In Confkorice, Abu -Iraqi Oil and Romania, 12-2, In:-3-Apr-1974,p.6.

(28) Middle East Department, Energy Department , Commercial In Confkorice, Abu -Iraqi Oil and Romania, 12-2, In:-26-Apr-1974,p.8.

(29) Bagdad , F.M , Confidentiol , 170900Z ,Priority(UNCLASSFIED),Fromi (F.M) Bagdad.To:-Tokyo-Saving To Abu Dhabi-Algiers-Amman-Ankara-Beirut-Caracas-Doha-Dubai-Eec posts-Jakarta-Jedda-Kuwait-Lagos-Moscow-Port of Spain-Tehran-Tripoli-Uk Mis new York-Washington,Ministry of Foregn Affairs(MOFA) In:- 18-Jan-1974,p.6.

(30) Japan, Iraq To Swap Oil, Technology,The Washington Post ,In:- 17-Aug-1974,P.A8.

(31) Tokyo ,(F.M) 240030Z,Confi Dential,JapanL/Iraq Economic Co-Operation ,To Routine (FCO) Telno 737 Of 23-August 1974,Repeated For To:- Rotine Tehran, Bagdad , Jedda,Saving To Washington,Uk Del Oecd, 12-2, In:- 28-Aug-1974,p.10.

(32) Idd,p.7.

(33) London Swfh 0et, , Department Of Trade And Industry, Recei Victoria Street, The Iraq/Japan And Iraq/Italy Economic Cooperation Agreemlnts, London To:- Mr Mason (ECGD) –Mr Liidley (D/Energy)-Mr Egerton(FCO)-Mr Wright(FCO)-Mr CAMBRIDGE(FCO)-Mr Rednall(ODM)-Mr Chapman(ECGD , Nbr 012227877, In:- 17-Sep-1974,p.11.

(34) Bagdad , F.M , Confidentiol ,ME/4706/A/2,Iraq Ministers Statement On Oil Prices,Tex Of Dispatch Ddetelined Beirut, 16 September, Confidential,12-2 , In:-23-Sep-1974,P.12.

(35) Idd.

(36) Bagdad , F.M , Confidentiol ,210700Z, To:- Fco,21-Sep-1974,P.13.

(37) Bagdad ,Confidentiol ,Iraqi Report Of ((Iranian Aggression)) , Bagdad Home Service 1900 Gmt 16-Sep-1974,The Arab World And Israel, Mb/4706/A/1,In:- 18-Sep-1974,P.12.

(38) Bagdad ,Confidentiol , Iranian Repot Of ((Kurdish Occupation Of Kirkuk)), Tehran Home Service 1630 Gmt 16-Sep-1974, Mb/4706/A/1,In:- 18-Sep-1974,P.13.

(39) Japan, British Embassy,Japan-Iraq Economic Co-Operation, To-Lockton Esq – Energy Department- Fco- London Swi, In: 9-October-1974,P.14.

(40) Bagdad , British Embassy , Ccmmercial In Confidence , F.M , 211015Z, Expansion Of Iraq-Syria Pipeline,To:- Routine Ecgd Tel No Exced 046 Of 21-October-1974, Info Routine Damascus,In:- 22-Oct-1974,P.15.

(41) Bagdad , British Embassy ,Rumaila Oil Field,To:- Foreing& Commonwealth Office- London-Moscow, In:- 4-Nov-1974,P.16.

(٤٢) عقدت الندوة الاولى للنفط في شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٢ في بغداد وحملت عنوان (النفط كسلاح) وتبين فيما بعد ان المقصود بهذا العنوان هو تأميم النفط –وقد طبق فعلا مع نهاية عام ١٩٧٣ اثناء الحرب العربية الاسرائيلية– وكان الهدف من تلك الندوة هو تعزيز الوضع المترهل للنفط العراقي بعد تأميم العراق لنفطه وفرض حظر دولي على النفط المستخرج من تلك الحقول لاسيما نفط حقل الرميلة،فضلا عن التأكيد على الدور المهم لصناعة النفط العراقية.للمزيد من التفاصيل ينظر:–

Bagdad , British Embassy,Confidential ,Second Interntional Oil Seminar, To:- Middle East Department- Foreing& Commonwealth Office-London- Energy Department, In:- 11-Nov-1974,P.17.

(٤٣) عملت هذه الشركة في بداية الامر في استثمار اكتشاف واستخراج النفط من الصحراء السورية وبعد اخفاقها في تلبية الطموحات في سد الاحتياجات النفطية لبلدها (البرازيل) توجهت صوب العراق للاستثمار في قطاعه النفطي بعد ادراكهم لتحقيق مصالحم النفطية اللامحدودة فيه . للمزيد من التفاصيل ينظر:–

Bagdad , British Embassy,Around Staflen ,To:-Egerton Esq- Energy Department, Foreing& Commonwealth Office ,In:- 1-Dec-1974,P.18.

(44) London, , Foreing& Commonwealth Office, Confidential ,Petrobras, To:- Bagdad-Chancery Brasila-Consulte General Rio De Janeiro-Chancery Tripoli- Cip Division Energy,In:-11-Dec-1974,P.19.

(45) Bagdad , British Embassy, To:-G.S Burton Esq- Middle East Department - Foreing&
Commonwealth Office- London- Financial Relations Department FCO ,In:- 23-Dec-1974,P.18

قائمة المصادر

اولا:- الوثائق غير المنشورة

1- Bagdad , (F.M), Information on Oil Supplies,`14-FEP,From Royal Swedish Embbassy,British Interests Section, Bagdad,In 28-Jan-1974.
2- Bagdad , (F.M) , Confidential , 170800Z ,To, Fco,18-Jan-1974.
3- Bagdad , F.M , Confidentiol , 170900Z ,Priority(UNCLASSFIED),Fromi (F.M) Bagdad,To:-Tokyo-Saving To Abu Dhabi-Algiers-Amman-Ankara-Beirut-Caracas-Doha-Dubai-Eec posts-Jakarta-Jedda-Kuwait-Lagos-Moscow-Port of Spain-Tehran-Tripoli-Uk Mis new York-Washington,Ministry of Foregn Affairs(MOFA) In:- 18-Jan-1974.
4- Bagdad , F.M,170700z, (UNCLASSFIED),In:-18-Jan-1974,Immediate From (F.M) Bagdad To:- Abu Dhabi- -Algiers- Caracas –Doha-Jakarta- Jedda-Kuwait-Lagos- Port of Spain- Tehran- Tokyo Tripoli-Moscow- Washington- Uk Mis new York-Ankara-Eec posts-Beirot.
5- Bagdad , (F.M) , 250700z ,Confidential,Cutback&Embargos,In:-31-Jan-1974.
6- Bagdad , Forejn Ministry(F.M) ,Confidential,12-2, Cutback&Embargos,In:-20-May-1974.
7- Bagdad , Forejn Ministry(F.M) ,Confidential,12-2, Cutback&Embargos,In:-٣0-May-1974.
8- Bagdad,Britsh Embassy , Middle East Department, Foreing& Commonwealth Office, London Swl,12-2, In:- 30-May-1974.
9- Mrct. Hr.Breverton, Energy Department , Commercial In Confkorice, Abu -Iraqi Oil and Romania, 12-2, In:-3-Apr-1974.
10- Middle East Department, Energy Department , Commercial In Confkorice, Abu -Iraqi Oil and Romania, 12-2, In:-26-Apr-1974.
11- Bagdad , F.M , Confidentiol , 170900Z ,Priority(UNCLASSFIED),Fromi (F.M) Bagdad.To:-Tokyo-Saving To Abu Dhabi-Algiers-Amman-Ankara-Beirut-Caracas-Doha-Dubai-Eec posts-Jakarta-Jedda-Kuwait-Lagos-Moscow-Port of Spain-Tehran-Tripoli-Uk Mis new York-Washington,Ministry of Foregn Affairs(MOFA) In:- 18-Jan-1974.
12- Japan, Iraq To Swap Oil, Technology,The Washington Post ,To:- 17-Aug-1974.

13- Tokyo ,(F.M) 240030Z,Confi Dential,JapanL/Iraq Economic Co-Operation ,To Routine (FCO) Telno 737 Of 23-August 1974,Repeated For To:- Rotine Tehran, Bagdad , Jedda,Saving To Washington,Uk Del Oecd,
12-2, In:- 28-Aug-1974.

14- London Swfh 0et, , Department Of Trade And Industry, Recei Victoria Street, The Iraq/Japan And Iraq/Italy Economic Cooperation Agreemlnts, London To:- Mr Mason (ECGD) –Mr Liidley (D/Energy)-Mr Egerton(FCO)-Mr Wright(FCO)-Mr CAMBRIDGE(FCO)-Mr Rednall(ODM)-Mr Chapman(ECGD , Nbr 012227877, In:- 17-Sep-1974.

15- Bagdad , F.M , Confidentiol ,ME/4706/A/2,Iraq Ministers Statement On Oil Prices,Tex Of Dispatch Ddetelined Beirut, 16 September, Confidential,12-2 , In:-23-Sep-1974.

16-- Bagdad , F.M , Confidentiol ,210700Z, To:- Fco,21-Sep-1974.

17- Bagdad ,Confidentiol ,Iraqi Report Of ((Iranian Aggression)) , Bagdad Home Service 1900 Gmt 16-Sep-1974,The Arab World And Israel, Mb/4706/A/1,In:- 18-Sep-1974.

18- Bagdad ,Confidentiol , Iranian Repot Of ((Kurdish Occupation Of Kirkuk)), Tehran Home Service 1630 Gmt 16-Sep-1974, Mb/4706/A/1,In:- 18-Sep-1974.

19- Japan, British Embassy,Japan-Iraq Economic Co-Operation, To-Lockton Esq – Energy Department- Fco- London Swi, In: 9-October-1974.

20- Bagdad , British Embassy , Ccmmercial In Confidence , F.M , 211015Z, Expansion Of Iraq-Syria Pipeline,To:- Routine Ecgd Tel No Exced 046 Of 21-October-1974, Info Routine Damascus,In:- 22-Oct-1974.

21- Bagdad , British Embassy ,Rumaila Oil Field,To:- Foreing& Commonwealth Office- London-Moscow, In:- 4-Nov-1974.

22- Bagdad , British Embassy,Confidential ,Second Interntional Oil Seminar, To:- Middle East Department- Foreing& Commonwealth Office- London- Energy Department, In:- 11-Nov-1974.

23- Bagdad , British Embassy,Around Staflen ,To:-Egerton Esq- Energy Department, Foreing& Commonwealth Office ,In:- 1-Dec-1974.

24- London, , Foreing& Commonwealth Office, Confidential ,Petrobras, To:- Bagdad-Chancery Brasila-Consulte General Rio De Janeiro-Chancery Tripoli- Cip Division Energy,In:-11-Dec-1974.

25- Bagdad , British Embassy, To:-G.S Burton Esq- Middle East Department - Foreing& Commonwealth Office- London- Financial Relations Department FCO ,
In:- 23-Dec-1974

ثانيا:-:الدوريات (الجرائد والمجلات العراقية والعربية والاجنبية) :

ت	الاسم	النوع	العدد	التاريخ
١.	الوقائع العراقية	جريدة	٢١٤٦	١/حزيران/١٩٧٢
٢.	الوقائع العراقية	جريدة	٢٢٢٦	١/اذار/١٩٧٣
٣.	الوقائع العراقية	جريدة	٢٢٨٣	٧/تشرين الاول/١٩٧٣
٤.	Journal Of World Trade Lew	مجلة	٧	1973–November - 2
٥.	Sysacuse Journal Of International Lew And Commerce	مجلة	٣	1975–November- 2
٦.	The Washington	جريدة	بلا	17-Aug-1974
٧.	الصباح الجديد	جريدة	بلا	٢٤/شباط/٢٠٢٠
٨.	دراسات استشراقية	مجلة	٨	السنة الثالثة ٢٠١٦
٩.	الاقتصاد الخليجي	مجلة	٢٠	٢٠١١

ثالثا: الكتب الوثائقية:

١- وزارة الخارجية العراقية، مجموعة المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين العراق والدول الاجنبية ،ج٨،مطبعة الحكومة،بغداد،١٩٦٥.

رابعا: الرسائل والاطاريح الجامعية:

١- عادل عيسى كاظم الوزني ،الاستثمار الاجنبي المباشر في بلدان اسيوية مختارة مع الاشارة الى الفرص المتاحة في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء،٢٠٠٥.

٢- وسام هادي عكارعظيم،تطور سياسة اليابان الاقتصادية ١٩٥٢-١٩٧٣(دراسة تأريخية)،اطروحة دكتوراة غير منشورة،كلية التربية –ابن رشد- للعلوم الانسانية،جامعة بغداد،٢٠١٤، ص ص ٢٦٣-٢٦٥.

خامسا:- الكتب العربية والمعربة:-

١- ايفلين دوريل، في الاقتصاد الياباني،ترجمة صباح ممدوح كعدان،الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق،٢٠١٠.
٢- صباح كجه جي، التخطيط الصناعي في العراق اساليبه ، تطبيقاته، واجهزته ، ج١ للفترة من ١٩٢١- ١٩٨٠، مكتبة بورسيبا، د.م ، د.ت.
٣- عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي النفط. التنمية. الحروب. التدمير. الافاق ١٩٥٠-٢٠١٠، ترجمة محمد سعيد عبد العزيز، دار الكنوز الادبية، بيروت، ١٩٩٥.
٤- كيكو ساكاي، العراق واليابان:-تاريخ وعلاقات ،ترجمة علي حسين حسون ومحمود عبد الواحد،مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي،القاهرة،٢٠٠٩.
٥- محمد طه البشير وغني حسون طه، الحقوق العينية الاصلية والتبعية،ج١، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة،٢٠١٠.
٦- نذير جبار حسين ، العلاقات العراقية – اليابانية(١٩٢١-١٩٥٨) في كتاب مجموعة مؤلفين، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي،القاهرة،٢٠١٠.

سادسا:- الدراسات والبحوث الاكاديمية العربية:-

١- حيدر قاسم مطر التميمي ، الاستعراب الياباني والقضايا المعاصرة ، بحث منشور، دراسات استشراقية ، ((مجلة))، السنة الثالثة، العدد ٨،العتبة العباسية المقدسة، العراق، ٢٠١٦.
٢- سمير خليل، العلاقات العراقية اليابانية.. انموذج للاحترام المتبادل والمصالح المشتركة ،مقال منشور، الصباح الجديد،((جريدة))، بغداد،٢٤/شباط/٢٠٢٠.
٣- سهاد احمد رشيد، واقع وآثار قانون الاستثمار الأجنبي المباشر في اقتصاد العراق، بحث منشور، الاقتصاد الخليجي،((مجلة))، العدد ٢٠١١،٢٠.

سابعا:- الدراسات والبحوث الأكاديمية الأجنبية:-

1- Abbas Alnasrawi ,Collective Bargining Power In Opec,Journal Of World Trade Lew 7,2- November -1973.
2- Abbas Alnasrawi, ((The Petrodllar Energy Crisis : An Overview And Interpretation)) Sysacuse Journal Of International Lew And Commerce,3,2- November -1975.

موقع شبكة المعلومات الدولية(الانترنيت):-

١- الموقع الرسمي لسفارة اليابان في العراق :-WWW.iraq.emb.japan.go.jp .

2- Proquest Historical: Japan, Iraq To Swap Oil, Technology,The Washington Post ,In:- 17-Aug-1974,P.A8.

"الدور الامريكي في حرب الجهاد الافغاني ضد السوفييت" (١٩٨١-١٩٨٩)

أ.م.د. سلام فاضل المسعودي

كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة كربلاء

الهاتف ٠٧٧١٩٨٩١٩٩٩

"الدور الامريكي في حرب الجهاد الافغاني ضد السوفييت" (١٩٨١-١٩٨٩)

أ.م.د. سلام فاضل المسعودي

Abstract

The Soviet invasion of Afghanistan placed the United States in front of security and economic challenges. After the invasion, the United States did not have a clear strategy for how to respond to it, and when Ghulam Farooq visited the United States, a prominent member of the "Najat Milli" front and Afghan Minister of Education under Burhan Uddin Rabbani and met with officials in Washington, he concluded from his meetings that the United States feels Worried that the Soviet Union would not stop in Afghanistan and perhaps continue its expansionist policy towards Pakistan, did not hide its concern about its interests in the region, but she did not find the appropriate way to address this issue. All they knew was that the Afghans were ready to fight the Russians and that the Americans were ready to help them. At the end of the 1970s and throughout the 1980s, US policymakers underestimated their uncertainty in the future, as they made political choices regarding Afghanistan. They believed that they had more control over the events than they actually enjoyed, by providing financial and military support to the Afghan Mujahedeen, they will be able to control the Mujahedeen either directly or through Pakistan, and reduce any potential problems with them, which may arise as a result of their financial and military assistance. At the same time, they have failed to understand "the ethnic and linguistic division, social, and religious ideology of Afghans", which are important factors for understanding Afghanistan and its people. In addition, policymakers in Washington were unable to look outside the scope of their experience and wanted to see things positively. Their optimism misled their perceptions and thinking, which simplified the complex nature of the Afghan jihad. In other words, the United States believed that if it provided money and weapons to the Afghan Mujahedeen, they would fight the Soviet Union and the communist regime, causing

the regime to collapse in Kabul, and then the situation would return to what it was before the invasion. On the contrary, not only did matters return to normal, but after the Soviet withdrawal and the collapse of the Communist regime, it ended in a civil war. This failure may be due mainly to the United States' misunderstanding of the social and religious structure of this country, and perhaps also to Pakistan's deliberate attempts to mislead the US vision that in one way or another influenced US foreign policy toward developments in Afghanistan.

المقدمة

حاولت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، ولاسيما بعد ظهور سياسة الاحتواء، عرقلة تأثير النفوذ السوفيتي في أوروبا الغربية والشرق الأوسط والعديد من بلدان آسيا وأمريكا اللاتينية، ولم يكن ذلك بالأمر اليسير. فبعد عام ١٩٥٤، دعم الاتحاد السوفيتي البلدان غير النامية، وبعض البلدان التي كانت خاضعة للنفوذ الامبريالي الاوروبي، الامر الذي جعل منه حليفاً قريبا من معظم الدول الغربية، ولاسيما بعد ان عزز المزيد من المساعدات الاقتصادية لهذه الدول.

حاولت الولايات المتحدة ودول أوروبية أخرى كسر سلسلة الدعم هذه من خلال محاولة تهيئة الظروف التي من شأنها أن تكلف الاتحاد السوفيتي سمعته كصديق للدول والبلدان المكبوتة. وقد جاء الاحتلال السوفيتي لأفغانستان ليعطي الولايات المتحدة والعالم الغربي الفرصة الذهبية، التي استغلت إلى حد كبير. واستخدمت هذه الحرب لتدمير "إمبراطورية الشر" وخلق حالة التوتر والاستياء ضد الاتحاد السوفيتي في جميع أنحاء العالم، ولاسيما في البلدان التي كانت تدعمها في السابق.

بعد الانقلاب الشيوعي في كابول، لم يكن لدى صناع السياسة في واشنطن جدول أعمال واضح حول كيفية التعاطي مع الوضع في أفغانستان. لكن الغزو السوفيتي لأفغانستان سمح للولايات المتحدة بشن حرب نيابية في مناطق نفوذ الاتحاد السوفيتي، دراستنا هذه تتبعت مقدمات الغزو السوفيتي والدور الذي أدته أدارة الرئيس جيمي كارتر في دعم " المجاهدين الافغان" عسكرياً وفنياً ومادياً في الوقت الذي لم يتحدث فيه

الامريكيون عن إخراج القوات السوفيتية من افغانستان او هزيمتها. وان كان ذلك هو الهدف الذي سعوا الى تحقيقه.

استفادت الدراسة من مجموعة قيمة من المصادر التاريخية التي تنوعت بين الوثائق والكتب والمجلات ، ولعل الوثائق الخاصة بفريق العمل الافغاني للشؤون الخارجية في وزارة الدفاع الامريكية تعد اهم هذه المصادر لما ورد فيها من معلومات قيمة تم الحصول عليها من مكتبة الكونغرس الامريكية، فضلاً عن مصادر أخرى لا مجال لذكرها.

أولاً : رونالد ريغان[١] و "إمبراطورية الشر"

عندما وصل الرئيس جيمي كارتر[٢] إلى أدارة البيت الابيض في عام ١٩٧٧ كان مقتنعاً بعقيدة الرئيس نيكسون[٣], على الرغم من أيمانه بسياسة الاحتواء ، وكان يرى في نهج التقارب مع السوفيات خطوة لاستيعاب الاتحاد الأوروبي –السوفياتي لتقليل خطر المواجهة مع المعسكر الشرقي . وشعر في البداية أن الاحتواء لم يعد ضروريًا ، وأن الولايات المتحدة بحاجة إلى سياسة صداقة مع الاتحاد السوفيتي ,وما عزز من خيبة الأمل في التقارب هو تراجع القوة الأمريكية ، حيث اتبع نيكسون هدف التكافؤ ، وليس التفوق . واهملت ادارة نيكسون بقية العالم ، وسمحت للاتحاد السوفييتي بزيادة نفوذه بشكل كبير في "دول العالم الثالث". ولعل أكبر نقاط الضعف في التقارب تمثل في اقتراح القضايا العالمية الرئيسية على أنها مرتبطة بشكل أساسي بالعلاقة مع السوفيات[٤].

كان الانفراج وسيلة مهدئة للغرب بينما كانوا يعملون لإبراز رهن القوى الكبرى بشكل لا رجعة فيه لصالحهم بمسألة حقوق الانسان. [٥] والتي لم يتقبلها الاتحاد السوفيتي الذي حاول تعزيز قوته بهدوء. وبعبارة أخرى، ربطت الولايات المتحدة قضية حقوق الإنسان والتنمية الاقتصادية بالمنافسة العسكرية بين القوتين العظميين . من ناحية أخرى ، تجاهل الاتحاد السوفييتي هذه السياسة وتعامل معها بحذر .وعزز فشلها مع قيامه بغزو أفغانستان عام ١٩٧٩. واحتجت الولايات المتحدة على ذلك وعدت ذلك العمل انتهاك لسياسة التقارب التي بدأت أبان عهد الرئيس ليونيد بريجنيف (Leonid Brezhnev) [٦] ، لكن الاتحاد السوفياتي لم يأبه لذلك. و شعر أنه من الممكن دعم حركات التحرر في

بلدان العالم الثالث مع إجراء محادثات للحد من الأسلحة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة[٧].

عارض كارتر هذه السياسة ، و غير سياسته إلى الاحتواء الكامل مع غزو السوفيات لأفغانستان ، اذ عدً التقارب معهم ميتاً. وخلال فترة ولايته الأولى ندد الرئيس رونالد ريغان بالانفراج وشعر أن موسكو قد استخدمت الانفراج لتعزيز مصالحها الاستراتيجية العالمية. وكان مصمماً على قلب هذا المكسب من خلال تطبيق سياسة احتواء قوية. وشجب الشيوعية السوفياتية باعتبارها محور الشر في العالم الحديث ، واتخذ موقفا قويا مناهضا للسوفييت في العديد من الشؤون العالمية. وعارض اتفاقيات الحد من التسلح بحجة لا يمكن الوثوق بالاتحاد السوفييتي ، وأعاد تعبئة الرأي العام ضد السوفيات بعد سنوات قليلة من التقارب . و أراد أن يبعث برسالة قوية إلى الاتحاد السوفياتي بأن "متلازمة فيتنام" قد انتهت وأن الولايات المتحدة ستحارب التوسع السوفياتي مرة أخرى[٨]

قرر ريغان تجاوز الاحتواء من خلال اقتراح مبدأ ريغان ، الذي سمح بإيقاف التراجع . وأوضح أن الولايات المتحدة ستدعم مقاتلي الحرية في البلدان الواقعة بالفعل تحت السيطرة السوفيتية. كما ركز على فكرة أن الاتحاد السوفياتي كان يتوسع في بلدان "العالم الثالث" ، ومن الضروري إيقافه.[٩]

تأثر قرار الرئيس ريغان برأي المحافظين الذين يحيطون بإدارته باتخاذ موقف قوي ضد الاتحاد السوفيتي ، معتقداً أن الشيوعية والاتحاد السوفيتي يمثلان مصدر الشر في العالم .وأن الاتحاد السوفياتي استرشد بسياسة توسع غير أخلاقية وغير مقيدة[١٠].. وقد رفض وجهات النظر والمعلومات المعارضة لقناعاته الشخصية وكان ميالاً إلى قبول أقوال الاشخاص الثقات ممن يثق بهم. ولعل هناك ما يكفي من الامثلة على سياسة ريغان القوية ضد الاتحاد السوفييتي واستعداده لسياسة التدخل. الأول كان نيكاراغوا ، حيث دعم ريغان الكونتراس (Contras) [١١]ضد الساندينيين (Sandinista)[١٢] اليساريين بقيادة دانيال أورتيغا (Daniel Ortega)[١٣]. كما غزا جزيرة غرينادا (Grenada) في عام ١٩٨٣ بحجة أنه سيحمي (١٠٠٠) طالب أمريكي يعيشون هناك ، من النظام "الماركسي الراديكالي" في السلطة. ومع ذلك ، كان السبب الحقيقي لهذه التدخلات هو تقويض النفوذ

السوفيتي والكوبي في أمريكا اللاتينية ، والضغط على أورتيغا لوقف محاولاته لتصدير الثورة في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية. يبدو ان غزو الولايات المتحدة لجزيرة غرينادا كان يهدف إلى أبعاد الخطر عن الولايات المتحدة ، ومنع السوفييت والكوبيين من محاولة توسيع سيطرتهم السياسية والعسكرية في نصف الكرة الغربي أو في أي مكان آخر"[١٤] .

كان التدخل الأكثر نجاحًا لرونالد ريغان في أفغانستان. مصحوباً بالقلق من العواقب المستقبلية له ، فقد دعم مقاتلي الحرية الأفغان بشكل عام ، ولاسيما العناصر المتطرفة في مجموعات المجاهدين بالمال والأسلحة المتطورة ، وأعطى ويليام كيسي (William J. Casey) [١٥] ، مدير وكالة المخابرات المركزية كامل الحرية في التعامل مع الأزمة في أفغانستان . كان كيسي مثل ريغان يكره الشيوعية وكان مصممًا على هزيمة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان . وبحسب العميد محمد يوسف ، مساعد المدير العام للاستخبارات البينية الباكستانية ، والرائد مارك آدكين ، فإن وليام كيسي اعتبر أفغانستان المكان الذي يمكن فيه للولايات المتحدة الانتقام لهزيمتها في فيتنام. ولذلك كان يجب على السوفيات دفع ثمنا باهظاً للدم. لدعمهم الفيتناميين الشماليين. [١٦].

ساعد الرئيس ريغان "المجاهدين الأفغان" سراً لمدة أربع سنوات، وهي خطوة اعتبرها الحزبين في الكونغرس غير كافية. وقد أثارت نقاشاً حاداً حول المساعدة المقدمة "للمجاهدين الأفغان" التي لم تكن كافية لهزيمة الاتحاد السوفياتي في أفغانستان[١٧].كما اصدر الكونغرس قراراً قدمه السيناتور بول تسونجاس (Paul Tsongas) [١٨] من ماساشوستس وعضو الكونغرس دونالد ل. ريتر(Donald L. Ritter) [١٩] من بنسلفانيا في ٣ تشرين الاول ١٩٨٤ ، شجعوا فيه ادارة الرئيس ريغان على تغيير سياستها تجاه افغانستان وشدد القرار على ان تتخذ الاجراءات التالية [٢٠] :

١- دعم الشعب الأفغاني لمواصلة نضاله من أجل التحرر من الهيمنة الأجنبية.

٢- متابعة تسوية تفاوضية للحرب في أفغانستان على أساس الانسحاب الكامل للقوات السوفيتية والاعتراف للأفغان في اختيار مصيرهم .

قيل أن المساعدة المستمرة من الولايات المتحدة للمجاهدين الأفغان مكنتهم من محاربة ومضايقة السوفييت لكنهم لم يتمكّنوا من هزيمة الاتحاد السوفياتي وإجباره على الانسحاب من أفغانستان.

أراد الكونغرس القيام بأكثر من مجرد مضايقة الاتحاد السوفييتي ، ففي عام ١٩٨٢ ، مول السناتور بول تسونجاس (الديمقراطي) قوة عمل أفغانية تابعة للكونجرس لتنسيق الأنشطة السياسية نيابة عن المتمردين. وفي أيار عام ١٩٨٣ ، شارك (٩٠) عضوًا من أعضاء مجلس الشيوخ في تقديم قرار يدعو إلى توسيع نطاق المساعدة للمتمردين الأفغان[٢١] . جادل صناع السياسة في واشنطن بأن "المجاهدين الأفغان" كانوا يقاتلون القوة السوفيتية مباشرة في أفغانستان ، وبالتالي يجب تقديم المزيد من المساعدة العسكرية لهم لتعزيز قوتهم ودعم قضيتهم من أجل التحرير. كما حاول العديد من المشرعين ، ولا سيما عضوا الكونغرس تشارلز ويلسون (Charles Wilson) [٢٢] من ولاية تكساس والسيناتور غوردون همفري (Gordon J. Humphrey) [٢٣] من نيو هامبشا ير ، استخدام قرار تسونجاس- ريتر لزيادة حجم ونوعية برنامج المساعدة السرية للمتمردين[٢٤] ، نتيجة لهذا القرار والزيادة الحادة للاتحاد السوفيتي في جهود هزيمة المجاهدين الأفغان وتدميرهم ، قررت الولايات المتحدة زيادة عدد المساعدات المالية والعسكرية للمجاهدين الأفغان. حيث تم تخصيص (٢٥٠) مليون دولار في عام ١٩٨٥ لدعم المجاهدين . وفي الوقت الذي اجتمع فيه الرئيس رونالد ريغان مع قادة مجموعات المقاومة الأفغانية لمناقشة استراتيجيات الحرب ، أصدر الرئيس ريغان بعد الاجتماع توجيهاً لمستشارية الأمن القومي ، غير من رؤية صانعي السياسة في واشنطن فيما يتعلق بالحرب في أفغانستان ، بما فيها وكالة المخابرات المركزية لإعطاء "المجاهدين" معلومات سرية عن قوات الاحتلال التابعة للاتحاد السوفياتي[٢٥].

شهد عام ١٩٨٥ انقسامًا في الحرب ، وللمرة الأولى بدا من المحتمل أن يضطر السوفيات إلى الانسحاب من أفغانستان ، وفي واشنطن تغير الهدف الامريكي باتجاه دفع السوفيات إلى الخروج من أفغانستان لذلك قرر الرئيس رونالد ريغان زيادة الدعم المادي والمالي للمجاهدين وتصعيد الحرب في أفغانستان.[٢٦]

أمرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتزويد المجاهدين بالاستخبارات والخبرة العسكرية والأسلحة المتطورة وتضمنت هذه المساعدة ، على سبيل المثال لا الحصر ، بيانات الاستطلاع عبر الأقمار الصناعية لأهداف سوفيتية في أفغانستان ، والخطط السوفيتية للعمليات العسكرية التي تستند إلى ذكاء الأقمار الصناعية واعتراض الاتصالات السوفيتية ، وتكنولوجيا الاتصالات السرية للمجاهدين ، وتفجير الأجهزة لأطنان من المتفجرات من طراز (C4) في المناطق المدنية والبنادق الهجومية وقاذفات القنابل و الألغام والأسلحة الخفيفة المضادة للطائرات(SA-7) [٢٧] .

لم تساعد المعلومات المجاهدين في مهاجمة أهدافهم في أفغانستان بشكل أكثر فعالية فحسب ، بل زودت باكستان أيضًا بنقاط ومواقف استراتيجية لأفغانستان في حالة تورط باكستان مباشرة في حرب مع أفغانستان. كما تمكنت الحكومة الباكستانية وجهاز المخابرات الباكستاني من التخطيط بشكل أفضل للحرب داخل أفغانستان، وقد قيم العميد محمد يوسف خط المعلومات هذا بالقول :

" إن أغنى مساهمة عسكرية لوكالة المخابرات المركزية في الحرب الأفغانية كانت في مجال الاستخبارات الفضائية من خلال الصور الفوتوغرافية ، أذ لم يتم إخفاء أي شيء فوق الأرض من القمر الصناعي ، فقد التقطت الصور من ارتفاعات جوية عالية جدا فظهرت الدبابات والمركبات .والجسور والقنوات والأضرار الناجمة عن القصف أو الهجمات الصاروخية بوضوح لدرجة أذهلت الجميع " .[٢٨]

لمزيد من تصعيد الحرب والتأكد من أن الاتحاد السوفياتي سيُهزم ويغادر أفغانستان في نهاية المطاف ، قررت إدارة ريغان تجهيز المجاهدين بصواريخ أمريكية متطورة مضادة للطائرات من نوع أي ستين جرز (A-Stingers) في عام ١٩٨٦. بمساعدة المخابرات الباكستانية التي تولت مهمة تدريب مجاميع المجاهدين في أماكن سرية في باكستان فلم تكن صواريخ Stingers هي الأدوات الوحيدة للدعم الامريكي. أنما زادت الولايات المتحدة أيضًا كمية ونوعية الأسلحة المختلفة إلى "المجاهدين" فمع حلول عام ١٩٨٧ زودت وكالة المخابرات المركزية المقاتلين بشكل مطرد (٦٥٠٠٠) طن من الأسلحة ، و بشكل عام قامت الولايات المتحدة بتحويل أكثر من ملياري دولار من

البنادق والأموال إلى "المجاهدين" خلال الثمانينيات ، وبحسب مسؤولين أمريكيين وصفوا هذا البرنامج بأنه "كان أكبر عمل سري منذ الحرب العالمية الثانية"[٢٩].

بعد أن تلقى المجاهدون صواريخ ستين جرز وغيرها من الأسلحة المتطورة من الولايات المتحدة ، كانوا قادرين على تسجيل المزيد من النجاح وإسقاط المزيد من طائرات الهليكوبتر والقاذفات والطائرات السوفييتية. أعقب هذا النجاح خسارة فادحة للطائرات السوفيتية ، حيث تم إطلاق (١٨٧) صاروخ أصابت (٧٥٪) منها أهدافها وأسقطت (١٤٠) طائرة سوفيتية[٣٠] كما تم التحقيق في الطائرات التي تم أسقاطها في الحرب سهواً عام ١٩٨٩ من قبل فريق من محللي جيش الولايات المتحدة الذين جلسوا مع المجاهدين لأسابيع عدة وجمعوا معلومات حول فعالية ستين جرز، وفقًا للنتائج التي تم تسجيلها ، ومع نهاية الحرب سجل "المجاهدون" ما يقرب من (٢٦٩) حالة قتل في حوالي (٣٤٠) ارتباطًا مع ستين جرز ، بنسبة قتل ملحوظة بلغت (٧٩%). [٣١]

أدى المستوى الجديد من المساعدة "للمجاهدين الأفغان" إلى تصعيد الحرب في أفغانستان ما أدى إلى تكبيد الاتحاد السوفيتي مزيداً من الخسائر العسكرية والمالية والبشرية ، نتج عنها تغييرات جدية في الاتحاد السوفيتي وكانت المشاعر السائدة لصانعي السياسة في الكرملين هي إنهاء الحرب في أفغانستان نتيجة لهذه التطورات ، وبالنتيجة انسحبت القوات السوفيتية من أفغانستان في(١٥ شباط ١٩٨٩)[٣٢].

وجهت الولايات المتحدة المساعدات العسكرية والاقتصادية مباشرة لباكستان والمساعدات العسكرية والاقتصادية "للمجاهدين الأفغان "عبر باكستان ، وسمحت لباكستان بصياغة خطتها الخاصة تجاه مستقبل أفغانستان ، ففي فترة "الجهاد الأفغاني" عندما كان الجنرال ضياء الحق [٣٣] يحكم باكستان ، وضعت الاستخبارات الباكستانية خطة لضم أفغانستان كمحافظة خامسة لها ، وذلك لوجود اليورانيوم في جبال شمال أفغانستان [٣٤]، وبعد تسريب المعلومات إلى الولايات المتحدة ، وبدلاً من أن تشعر بالقلق بشأن الخطة الباكستانية ، أظهرت الولايات المتحدة اهتمامًا فقط بالوصول إلى اليورانيوم ونوعيته في أفغانستان ، وأرسلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية خبراء أمريكيون مرات عدة إلى باكستان ومن هناك إلى شمال أفغانستان لتأكيد النتائج ،و تم الانتهاء من ذلك ، بمجرد

انسحاب الاتحاد السوفياتي حيث سعت كل من باكستان والولايات المتحدة لاستخراج اليورانيوم من الشمال الافغاني. ولتنفيذ خطة الضم الباكستانية ، اقترح الجنرال حميد جول [٣٥]، مدير عام المخابرات الباكستانية المشتركة ، على الجنرال ضياء الحق أن باكستان يجب أن تبدأ عملية اتحاد كونفدرالي مع أفغانستان وسوف لن تواجه أية عقبات ومعارضة من الدول المجاورة والعالم الإسلامي والولايات المتحدة. وربما سيعترض الاتحاد السوفياتي والهند على فكرة الاتحاد ، ولكن سيتم احتواء هذه الاعتراضات بسهولة، بعد ذلك سيكون ضم أفغانستان إلى باكستان عملية سهلة [٣٦]. وتم تأكيد سياسة باكستان هذه من خلال الإجراءات الباكستانية خلال فترة الجهاد ، حيث لم تسمح باكستان لقادة المجاهدين بتمثيل الشعب الأفغاني في منظمة البلدان الإسلامية والأمم المتحدة ومحادثات جنيف. وادعى السياسيون والجنرالات الباكستانيون أنهم أفضل ممثلون للشعب الأفغاني من قادة المجاهدين [٣٧]. ولم تكن باكستان قادرة على تحقيق النجاح على الرغم من أن أحزاب المنفى الأفغانية وقادة المجاهدين اتبعوا أوامر باكستان وتوجيهها في الحرب ضد الاتحاد السوفيتي ، إلا أنهم لم يكونوا على استعداد لتقديم تنازلات بشأن قضية الأرض الأفغانية. لذا لم تنجح الحكومة الباكستانية حتى في إقناع قادة المجاهدين بالتوقيع على اتفاقية دوراند [٣٨]، التي انتهت مدتها عام ١٩٨٣ .

عندما فشلت خطة الضم ، قررت باكستان تدمير البنية التحتية العسكرية والمدنية لأفغانستان ، وأحداث الفرقة والتشظي بين صفوف المجاهدين الافغان بشكل مرعب ، وشراء ذمم قادتهم ، وأتباع سياسة من شأنها ربط مصير الافغان بالمصالح الباكستانية .ومنعها من إثارة أية قضية في باشتونستان وبلوتشستان مرة أخرى. وفي حديث للرئيس الباكستاني ضياء الحق لصحيفة الغارديان عام ١٩٨٩ قال "إن باكستان ستنتقم من أفغانستان بالدماء. ولن تسمح باكستان للمثقفين الأفغان بالمجيء وممارسة النشاط المهني والثقافي في باكستان". [٣٩].

كان اللواء أختار عبد الرحمن وضياء الحق يعارضون الجيرغا [٤٠]والشورى الوطنيين اللذين أرادوا تسوية المشكلة الأفغانية من خلال المصالحة الوطنية [٤١] . لكن السلام لم يكن في مصلحة باكستان . الحرب فقط من يمكنها أن تمكن

الباكستانيين من تنفيذ سياستهم في تشكيل حكومة ضعيفة ومعتمدة في أفغانستان ومسيطر عليها من قبلهم [٤٢].

ثانياً: من الانسحاب السوفياتي إلى الحرب الأهلية:

تزامن عام الانسحاب السوفياتي من أفغانستان والسنوات الثلاث الأخيرة لنظام نجيب الله[٤٣] مع رئاسة جورج دبليو بوش. ولم يتوقع أحد، أن يتمكن الأفغان من إجبار الاتحاد السوفياتي على الانسحاب من أفغانستان ، حيث سحب الاخير قواته منها في ١٥ شباط عام ١٩٨٩.و بعد ثلاث سنوات أنهار نظام نجيب الله في عام ١٩٩٢ ،ثم ادارت الولايات المتحدة ظهرها للشعب الأفغاني وتركت البلاد في حالة من الدمار والفوضى العارمة ومخزون هائل من الأسلحة الخفيفة [٤٤].

كانت الولايات المتحدة على استعداد لتقديم المساعدة للأفغان لقتل الروس أو الشيوعيين الأفغان ، وتدمير البنية التحتية ، والبناء المدني في أفغانستان ، لكنها لم تكن مستعدة لتقديم المساعدة لإعادة بناء أفغانستان ، بمجرد هزيمة الاتحاد السوفياتي. عندما هُزم الاتحاد السوفياتي وانهارت "إمبراطورية الشر" بحسب وصف الرئيس الامريكي رونالد ريغان ، واصل الأفغان نضالهم لتحرير بلادهم من الشيوعية. على الرغم من أن القوات السوفيتية غادرت أفغانستان ، إلا أنها تركت نظامًا شيوعيًا مدعومًا من الاتحاد السوفيتي. واصل المجاهدون الأفغان نضالهم ضد نظام الرئيس نجيب الله ، وفي أبريل ١٩٩٢ ، تمكنوا من السيطرة على كابول وطرده من السلطة. في الوقت الذي اتخذت فيه الولايات المتحدة قراراً بعدم السماح " للمجاهدين الافغان" بالسير نحو كابول ". وبمجرد أن رأى السوفييت أنهم على استعداد للانسحاب ، قرر الأمريكيون منع الأصوليين الإسلاميين من الاستيلاء على كابول [٤٥].

أصاب الولايات المتحدة القلق حول صعود الإسلام الأصولي والأسلحة الحديثة التي قدمتها للعناصر المتطرفة من المجاهدين الأفغان في فترة الجهاد. لذلك لجأت الى شراء وجمع الأسلحة الحديثة ، ولاسيما صواريخ ستين جرز من المجاهدين وهي الطريقة الوحيدة التي كان يمكن للولايات المتحدة أن تجمع من خلالها هذا السلاح. وإذا كانت كابول لديها سلطة مركزية قوية تمارس سلطاتها على جميع مقاطعات أفغانستان. لم تكن

باكستان راغبة بقيام حكومة مركزية قوية في أفغانستان ، لأنها ستشكل عائقاً سياسياً وعسكرياً أمام خطة باكستان بشأن أفغانستان وآسيا الوسطى. وتخشى باكستان تاريخياً أن تكون أفغانستان قوية وتشكل تهديداً لوجودها. وبالنظر إلى هذه الحقائق ، عينت باكستان صبغة الله مجددي[٤٦] رئيسًا لأفغانستان لمدة ثلاثة أشهر ، وتبعه برهان الدين رباني [٤٧]رئيسًا لمدة ستة أشهر. كانت هذه الصيغة ستستمر وستتوجه الرئاسة إلى حكمتيار وزعماء جهاديين آخرين. ولكن بمجرد وصول رباني إلى السلطة ، تلاعب بالعملية السياسية وعين نفسه رئيسًا لبقية وقته حتى أطاحت به حركة طالبان[٤٨].

قررت الولايات المتحدة أيقاف المساعدة المالية والعسكرية للمجاهدين. لأن الاهتمام بأفغانستان تضاءل. عند هذه النقطة ، وربما كان للولايات المتحدة أولويات مختلفة ، مثل التأثير على منطقة بحر قزوين ، والاكتشافات الجديدة للنفط والغاز ، والنظام العالمي الجديد. لاسيما بعد أن توقعت الولايات المتحدة قيادة العالم أثر انهيار الاتحاد السوفيتي في كانون الاول عام ١٩٩١.. ولم تعد هناك حاجة لاستمرار الدعم الامريكي للشعب الأفغاني، ولم يكن ذلك مفاجئًة لأولئك الذين كانوا على دراية بـــ النظام السياسي الأمريكي وكانوا يتابعون الشؤون العالمية عن كثب ، لكن الشعب الأفغاني وجماعات المجاهدين لم يتفاجؤوا فقط ولكن أصيبوا بخيبة أمل كبيرة . أذ كانوا يعتقدون أن على الولايات المتحدة التزامًا أخلاقيًا تجاه إعادة إعمار أفغانستان وتنميتها ، لأن الشعب الأفغاني والمجاهدين لم يحاربوا أعداءهم فحسب ، أنما أشرس عدو للولايات المتحدة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية [٤٩].

أعتقد الرئيس جورج دبليو بوش[٥٠] ، أن المصالح الحيوية للولايات المتحدة هي من تحدد مسار السياسة الخارجية الأمريكية. وبما أن المصالح الامريكية في الشرق الأوسط وأجزاء أخرى من العالم، لم تعد تواجه أي تهديدات من الاتحاد السوفياتي بعد الآن فمن الممكن أيقاف الدعم المالي والعسكري لأفغانستان. علاوة على ذلك ، فأن فكرة احتواء الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة لم تعد في مقدمة القضايا المطروحة على طاولة الساسة الامريكيون، لذا من المهم للولايات المتحدة أن يتم دعم مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية والحفاظ عليها في جميع أنحاء العالم. ولعل الموقف من احداث

الصين ، وحرب الخليج خير مثالين على هذه السياسة ، أذ ربطت الولايات المتحدة علاقتها الاقتصادية مع الصين والعقوبات التي أرادت فرضها على الصين بحقوق الانسان وأحداث ساحة تيانا نمن [٥١] حيث قتلت الحكومة الصينية مئات الطلبة المحتجين في الساحة . وفيما يتعلق بالشرق الأوسط ، بذل الرئيس بوش جهودا كبيرة لاستعادة "حق الحكم" للأمير الكويتي الفاسد بينما تجاهل حقوق الإنسان الأساسية للمعارضين من أجل التغيير الديمقراطي في الكويت ، والفلسطينيين الذين يعيشون في الكويت الذين تعرضوا للتعذيب بعد حرب الخليج. والأسوأ من ذلك هو السماح لنظام صدام حسين بالاحتفاظ بترسانته وطائراته المروحية لقمع العراقيين في الشمال والجنوب مع التخلص في الوقت ذاته من أي أسلحة وأنظمة صواريخ اعتبرت تهديدًا لإسرائيل. في كل هذه الحالات بدا واضحاً أن الولايات تتجاهل أية قضية قانونية أو انسانية عندما يتعلق الامر بمصالحها الحيوية ، ففي الوقت الذي وصف فيه الرئيس بوش الغزو العراقي للكويت على أنه أكبر انتهاك لحقوق الإنسان والعدوان العاري على الكويت ، إلا أن النفط كان في الواقع هو العامل المهم. ذلك إن انخفاض إنتاج النفط والسيطرة عليه في أيدي الدول التي لا تعتبر صديقة لمعايير الولايات المتحدة كان له عواقب اقتصادية ضارة على الولايات المتحدة وحلفائها. فقد أنتجت الولايات المتحدة ٦٩% من النفط الذي استهلكته في عام ١٩٧٠ ولكن ٣٨ % في عام ١٩٩٦. بعد أوائل الثمانينيات بدأ إنتاجها بالقيم المطلقة في الانخفاض ، وأصبحت وارداتها من النفط الخام أكثر أهمية. [٥٢] لذلك ، كانت أفغانستان أقل أهمية بكثير من هذه المخاوف الاقتصادية. [٥٣]

في ٢٨ أبريل ١٩٩٢ ، تمكن المجاهدون من إعلان قيام جمهورية أفغانستان الإسلامية. وقد مثلت التغييرات الجديدة اتجاها جديدا في عهد الحرب الأهلية في أفغانستان. قبل ذلك ، كان لدى القوات الأفغانية المقاتلة أجندة مشتركة ، تقاتل الاتحاد السوفيتي والنظام الشيوعي لنجيب الله ، ولكن الآن تركوا للتعامل مع قضايا السلطة والحكومة. كان كل فصيل متحارب وحزب سياسي وأمراء حرب يطالبون بمقاعد السلطة العليا ، لكنهم كانوا محدودين. كان الشعب الأفغاني يأمل أن يؤدي زوال الاتحاد السوفياتي في أفغانستان ، وانسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان ، وانهيار نظام نجيب الله إلى

السلام الاستقرار في البلاد ، وبدلاً من ذلك ، كانت نتيجة نجاح المجاهدين الأفغان الحرب والفوضى و النهب وغياب القانون في البلاد. " وفي الفترة ما بين عامي (١٩٩٢-١٩٩٣)، سيطرت الأقليات الشمالية بقيادة مسعود وداستام على وسط المدينة والحي الشمالي الشرقي ، حيث تقع المباني الحكومية ، في حين احتل نبلاء الباشتون أرضهم الضاحية وضواحيها جنوب المدينة. اما الحي الغربي فقد سيطر حزب الوحدة عليه "[٥٤] .

ترجع هذه الانقسامات ، والقتال الداخلي ، وما تلاها من حرب أهلية بشكل رئيسي إلى فشل مجموعة المجاهدين في التوصل إلى تفاهم للعمل معًا من أجل مستقبل أفغانستان، ولكن جزئيًا بسبب عدم اهتمام الولايات المتحدة المفاجئ ونقص المساعدة الاقتصادية بعد الانسحاب السوفياتي وانهيار النظام الشيوعي الأخير. كان تدخل الدول المجاورة في الشؤون الداخلية لأفغانستان ودعمها للفصائل المتحاربة المختلفة عاملاً آخر يزيد من تصاعد الحرب الأهلية في أفغانستان[٥٥] .

لم تتمكن مجموعات المجاهدين المختلفة والفصائل السياسية وأمراء الحرب من الاتفاق على كيفية إرساء الأمن والقانون والنظام وإضفاء الطابع المؤسسي على الدولة الإسلامية. رغبتهم في السيطرة على السلطة ، والأجندة السياسية والأيديولوجية والشخصية وأهداف القادة الأفراد وأمراء الحرب قادوا مختلف فصائل المجاهدين إلى صراع على السلطة. أدى هذا التنافس إلى تفتيت البلاد إلى مناطق عدة ، أو إمارات عدة، تقود كل منها هذه الجماعات والفصائل وأمراء الحرب[٥٦]

عمق الصراع على السلطة الانقسام السياسي والديني والعرقي في أفغانستان ، ما أدى إلى حرب أهلية شاملة في جميع أنحاء البلاد بأكملها ، ولاسيما في العاصمة كابول حينما بدأت الفصائل المختلفة قصف كابول ، وقتلت بعضها البعض وآلاف الأبرياء لمدة أربع سنوات ونصف. تخللتها جرائم اغتصاب للنساء والاطفال وسرقة أموال الناس والاموال العامة [٥٧]، لقد ارتكبوا فظائع أكثر بكثير مما يستطيع البشر وصفه. وإدراكا لهذه الفظائع ، لم تظهر الولايات المتحدة أي اهتمام بوقف قتل الأبرياء في بلد كان متحالفا مع الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفياتي ، أو في مساعدة الشعب الأفغاني الذي تعرض لظروف قاسية في بلاده . كما أنها لم تساعد اللاجئين الذين يعيشون في مخيمات اللاجئين في

باكستان وإيران على الخروج من بؤسهم. تحققت أهدافها ولم يعد الاتحاد السوفيتي أكثر من ذلك ، ولم تشكل روسيا والجمهوريات المستقلة حديثًا أي تحد عسكري أو اقتصادي للولايات المتحدة. لذلك تخلت عن التزاماتها في أفغانستان حتى أصبحت طريقاً محتملاً للنفط والغاز من آسيا الوسطى إلى المحيط الهندي. وقد تزامنت تلك التطورات مع صعود طالبان الى السلطة في أفغانستان .

الخاتمة

قدم الغزو السوفيتي لأفغانستان تحديات أمنية واقتصادية للولايات المتحدة. فبعد الغزو السوفيتي لأفغانستان ، لم يكن لدى الولايات المتحدة استراتيجية واضحة لكيفية الرد على الغزو.، وعندما زار غلام فاروق عزام الولايات المتحدة وهو العضو البارز في جبهة " نجاة ميلي" ووزير التعليم الافغاني في عهد برهان الدين رباني بعد الغزو السوفيتي والتقى المسؤولين في واشنطن ،استنتج من اجتماعاته إلى أن الولايات المتحدة تشعر بالقلق من أن الاتحاد السوفيتي سوف لن يتوقف في أفغانستان وربما سيواصل سياسته التوسعية تجاه باكستان، ولم تخفي قلقها بشأن مصالحها في المنطقة ، لكنها لم تكن تجد الكيفية المناسبة لمعالجة هذه القضية. جل ما كان يعرفوه هو أن الأفغان كانوا على استعداد لمحاربة الروس وأن الأميركيين على استعداد لمساعدتهم. في نهاية السبعينات وطوال الثمانينيات استخف صناع السياسة الامريكية بعدم يقينهم في المستقبل، عندما كانوا يحددون الخيارات السياسية المتعلقة بأفغانستان. لقد اعتقدوا أن لديهم سيطرة أكبر على الأحداث مما كانوا يتمتعون به بالفعل، فمن من خلال توفير الدعم المالي والعسكري للمجاهدين الأفغان، سيتمكنون من السيطرة على المجاهدين اما مباشرة أو من خلال باكستان، وتقليل أي مشاكل محتملة معهم ، والتي قد تنشأ نتيجة لمساعدتهم المالية والعسكرية . وفي الوقت نفسه فقد اخفقوا في فهم "الانقسام الاثني واللغوي ، والتركيبة الاجتماعية ، والايدولوجية الدينية للأفغان" ، وهي عوامل مهمة لفهم أفغانستان وشعبها. بالإضافة الى ذلك، لم يتمكن صناع السياسة في واشنطن من النظر خارج نطاق تجربتهم وأرادوا رؤية الأشياء بشكل إيجابي. تفاؤلهم هذا ضلل تصوراتهم وتفكيرهم، ما أدى به

إلى تبسيط الطبيعة المعقدة للجهاد الأفغاني. بمعنى آخر، اعتقدت الولايات المتحدة، إذا قدمت الأموال والأسلحة للمجاهدين الأفغان، فإنهم سيحاربون الاتحاد السوفيتي والنظام الشيوعي، مما يتسبب في انهيار النظام في كابول، ثم عودة الأمور إلى طبيعتها. على العكس من ذلك، لم تعد الأمور الى طبيعتها فحسب، بل انتهت بعد الانسحاب السوفياتي وانهيار النظام الشيوعي، الى حرب أهلية. وربما يرجع ذلك الفشل أساسًا إلى سوء فهم الولايات المتحدة للبنية الاجتماعية والدينية لهذه البلاد، وربما ايضا محاولات باكستان المتعمدة لتضليل الرؤية الامريكية التي اثرت بشكل أو بآخر في أتجاه السياسة الخارجية الامريكية أزاء تطورات الاحداث في افغانستان.

الهوامش

(١) رونالد ريغان (١٩١١- ٢٠٠٤) الرئيس الاربعين للولايات المتحدة الامريكية ولد في تام بيكو بولاية أليوني ، أكمل تعليمه الثانوي في مدرسة ديكنسون حصل على البكالوريوس في الاقتصاد من كلية يوركا عام ١٩٣٢ ، بدأ حياته السياسية مع الحزب الديمقراطي الليبرالي ، وكان معجباً ببرنامج العهد الجديد للرئيس روزفلت ، وفي آب عام ١٩٦٢ انتقل الى الحزب الجمهوري وبين عامي (١٩٦٧- ١٩٧٥)أصبح حاكما لولاية كاليفورنيا وبين عامي (١٩٨١- ١٩٨٩) تولى الرئاسة الامريكية ، ومنذ اليوم الأول لتوليه السلطة عام ١٩٨١ وضع استراتيجية جديدة للسياسة الخارجية تمثلت بالسعي لاستعادة معظم المناطق التي خسرتها الولايات المتحدة جراء سياسة الرئيس كارتر خلال الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي . ينظر :Encyclopedia of the American Presidency, Edited by :Leonard W. Levy and Louis Fisher, Now York ,Simon and Schuster,1994, Vol.3, Pp.1280- 1281.

(٢) جيمي كارتر(١٩٧٧- ١٩٨٩) : الرئيس (٣٩) للولايات المتحدة الامريكية شغل منصب حاكم جورجيا بين عامي (١٩٧١ – ١٩٧٥) ، ونائباً بمجلس الشيوخ عن ولاية جورجيا فيما بين عامي (١٩١٧ – ١٩٦٧) ، شهد عهده أحداثاً مهمة منها أزمة الرهائن في أيران بين عامي (١٩٧٩ – ١٩٨١) ، وأزمة الطاقة عام ١٩٧٩ ن والحادث النووي الذي وقع في جزيرة ثري مايك .لمزيد من التفاصيل أنظر:

Encyclopedia of American Presidency ,1994 ,Vol, 1,p.p 171-371.

(٣) ريتشارد نيكسون (١٩٦٩-١٩٧٤)...الرئيس(٣٧) للولايات المتحدة الأمريكية ,ولد في كانون الثاني عام ١٩١٣في ولاية كاليفورنيا درس القانون في جامعة ييل وتخرج عام ١٩٣٧.خدم في البحرية الامريكية تولى منصب نائب الرئيس بين عامي (١٩٥٣-١٩٦١).وصل الى الرئاسة الامريكية في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٩.واستقال في عام ١٩٧٤ أثر فضيحة ووتر غبت ..ينظر:
Encyclopedia of American presidency, ,Vol.3 p.1031-1082.

([4]) Andrew E. Busch, Ronald Reagan and the Politics of Freedom (Lanham, Maryland: Row man & Littlefield Publishers, Inc., 2001), P.187.

([5])Ronald Reagan, An American Life: The Autobiography (New York: Simon and Schuster, 1990),P. 548.

(٦) ليونيد بريجنيف (١٩٦٤- ١٩٨٢) ، سياسي سوفيتي ولد لأسرة عمالية روسية في ١٩ كانون الاول عام ١٩٠٦ بمدينة كامنشكو الاوكرانية ، انضم الى الحزب الشيوعي عام ١٩٢٩ ، حصل على عضوية المكتب السياسي للحزب بين عامي (١٩٥٢- ١٩٥٣) ،وحصل على العضوية ذاتها مرة ثانية بين عامي (١٩٥٦- ١٩٦٠) ، وبين عامي (١٩٦٤- ١٩٨٢) تولى رئاسة الاتحاد السوفييتي خلفا للرئيس خرشوف ، واحتفظ في الوقت ذاته بمناصبه الحزبية ، أذ شغل منصب رئيس مكتب اللجنة المركزية لأتحاد الجمهوريات السوفيتية بين عامي (١٩٦٢- ١٩٨٢)، توفي في عام ١٩٨٩ . ينظر :
Russia Are Reference Guide From the Renaissance to the Present , Edited by : Mauricio Barrera , Now York, Fact son File Inc, 2004. PP.96-97.

([7]) Steven W. Hook and John Spinier, American Foreign Policy Since World War I| (Washington, D.C.. CQ Press, 2007),P. 177.

([8]) A concurrent resolution to encourage and support the people of Afghanistan in their struggle to be free from foreign domination," S.CON RES.74, 3 October 1984, in Bill, Resolutions (database on-line), Library of Congress, accessed May 13, 2006.

([9]) Kirsten Lundberg, "Politics of a Covert Action: The US, the Mujahedeen, and the Stinger Missile," Kennedy School of Government, Case Program, (1999):P. 20.

([10]) Steve Gagster, "Afghanistan: The making of U.S. Policy," Volume II: Afghanistan: Lessons From the Last War, 9 October 2001, in National Security Archive [database on-line], George. Washington University Library, accessed May 13, 2006.

(١١) كونتراس.. جماعات يمنية متطرفة متمردة في نيكاراغوا مدعومة أمريكيا بدأت نشاطاتها من عام ١٩٧٩ واستمرت حتى اوائل التسعينات في معارضة الاشتراكية السانديني في المجلس العسكري لإعادة الاعمار في نيكاراغوا وظهرت من بين هذه الجماعات قوة الدفاع الوطني في نيكاراغوا عام١٩٨٧.

Todd dove ,offensive by Nicaraguan freedom fighters may Doomed as Avms ,Aid dry up ,Ottawa citizen,(1986,Februy,26).pp.56-57.

(١٢)الساندين :حزب اشتراكي ديمقراطي في نيكاراغوا...قاد المقاومة في نيكاراغوا ضد احتلال الولايات المتحدة لبلاده في الثلاثينات من القرن العشرين .حكم الساندينيتين نيكاراغوا بين عامي ١٩٧٩-١٩٩٠.اندلعت خلالها حربا اهلية بين الساندين والكونتراس عام ١٩٧٩ بسبب التدخل الامريكي .

Bruce E. wright, theory in the pvactice of the Nicaraguan Revolution, New york :Latin American stdies.1995,p.62

(١٣) دانيال أورتيغا : ولدفي ١١تشرين الثاني عام ١٩٤٥,وتم اعتقاله وهو في عمر (١٥)عاما لنشاطاته السياسية انضم الى الجمعية الساندينية في بداية الستينيات. دخل السجن ولم يطلق سراحه الافي عام ١٩٧٤,هاجر الى كوبا ثم عاد الى بلاده ليواصل معارضته للحكومة .وبعد فوز جبهة ساندنيتا في الانتخابات الوطنية في تشرين الثاني عام ١٩٨٤ اصبح اورتيغارثيا لمزيد من التفاصيل ينظر .. موسوعة العلاقات الدولية

(14) Kirsten Lundberg, "Politics of a Covert Action: The US, the Mujahedeen, and the Stinger Missile," Kennedy School of Government, Case Program, C15-99-1546.0 (1999): 20.

(١٥) وليم كيسي : (١٩١٣- ١٩٨٧) – ولد في ١٣ اذار عام ١٩١٣ ,عين مديرا لوكالة المخابرات المركزية (CIA) بين عام (١٩٨٠-١٩٨٧)كان مقربا جدا من الريس الامريكي رونالد ريغان وفي بداية الثمانيات من القرن العشرين اقترح على الرئيس الامريكي ريغان انحراف السوق العالمي لتخفيض سعره وبالتالي انعكاس ذلك على الاتحاد السوفيتي المنتج الاكبر للنفط آنذاك ما جعل السوفييت يقللون الانفاق العسكري)

(16) Stephen .E .AMBROSE AND MARK P.LAGON ,..OP Cit,p.22

(17) Steve Coll, "Anatomy of a Victory: CIA's Covert Afghan War," Washington Post, 19 July 1992, sec. A, p. 24.

(١٨) بول تسون جاس :سياسي أمريكي ولد في ولاية ماساشوستس في عام ١٩٤١مثل ولايته في مجلس الكونغرس الامريكي ,وتقلد مناصب عدة بين عامي (١٩٧٥-١٩٨٥).حقق نجاحا ملحوظ

في الانتخابات الرئاسة التمهيدية عن الحزب الديمقراطي عام ١٩٩٢,لكنه انسحب فيما بعد لصالح الرئيس كلنتون .توفي عام ١٩٩٧ أثر مرض السرطان .

The Encyclopedia of the united states congress ,Edited by: Donald c. Bacon and ROYER H. Davidson, New york ,simon Shuster, 1995,vol ..4,1770.p141

(١٩) دونالد ل. ريتر: (١٩٤٠)سياسي أمريكي ولد في ٢١كانون الثاني عام ١٩٤٠ في مدينة متهاتن .نشط في الحزب الجمهوري وكان موظف في جامعة لاهاي ,وفي انتخابات مجلس النواب الامريكي عام ١٩٩٠ ,ثم انتخب عضوا في مجلس النواب عن الدائرة (١٥)في بنسلفانيا ثم الكونغرس الى كتلة الحزب الجمهوري.

The Encyclopedia of the united states, OP.Cit,p.1317.

(20) Charles G. Cogan, "Partners in Time: The CIA and Afghanistan since 1979," World Policy Journal10, no. 2 (1993)P. 76.

(21) Ghaus Khayberi, Afghanistan Ki Toppan (Peshawar, Pakistan: Danish Kitabtoon, 1999),P. 233-238

(٢٢) تشارلز ويلسون: سياسي أمريكي وضابط بحرية ولد عام ١٩٣٣ في ولاية تكساس مثل الحزب الديمقراطي في الكونغرس الامريكي ,ويعد أحد أبرز الامريكيين في تشجيع للإدارة الامريكية لدعم المجاهدين الافغان في محاربة التدخل السوفيتي .توفي في ١٠ شباط عام ٢٠١٠

The Encyclopedia of the united states ,OP.Cit,p.1417

(٢٣) غوردن همفري : ضابط طيار وسياسي امريكي ,ولد في هامبشاير في تشرين الاول عام ١٩٤١ ، مثل الحزب الجمهوري في الكونغرس مرتين بين عامي (١٩٧٩-١٩٩٠) ثم حاكماً لولاية هامبشاير، كان احد ابرز المؤيدين للدعم الامريكي للمجاهدين الافغان داخل الكونغرس . ينظر:

The Encyclopedia of the united states. ,OP.Cit,p1231

(24) Gabriel Koloa, Another Century of War? (New York: New Press, 2002). P.35.

(25) Larry P. Goodson, Afghanistan's Endless War: State Failure, Regional Politics, and the Rise of the Taliban (Seattle, Washington: University of Washington Press, 2001), P.75.

(26)Abdul-Qayumn Mohamed, "The War on Afghanistan," The New Frontier/1, no. 2 (2001).P. 3.

(27) لمزيد من التفاصيل ينظر :

John Sinclair pettier poison ,Henry Jackson ,the Jackson vain Augment and détente Ideology , Ideas, and united states foreign

policy in the Nixon Era, unpublished doctoral dissertating ,the faculty the Graduate school of the university of Texas. Asyut (989).P.113

([28]) لمزيد من التفاصيل ينظر

Akira Irene ,the cold war in Asia ,A Historical Introduction, New Jersey ,prentice-Hull Euc,1974,pp22-18.

([29]) The New york times Archives ,Regan Gives Viejas on the Vietnam war,April5,1984,section,B,P.15

([30]) Stephen E. Ambrose and mark Plagon, the Reagan Doctrine: Sources of American conduct in the cold war's last chapter ,Foreign Affairs (council on foreign Relations)73,Janary 1994,p.115

([31]) Ghaus Khyber, Afghanistan Ki Toppan (Peshawar, Pakistan:

Danish Kitabtoon, 1999), Pp.233-238.

([32]) Mohammad Youssef, Silent Soldier: The Man Behind the Afghan Jihad (Lahore, Pakistan: Jang Publishers, 1992), 18.

([33]) ضياء الحق الرئيس السادس لدولة باكستان منذ اعلان القانون العراقي في عام ١٩٧٧ ,ولد في ١٢أب عام ١٩٢٤,تلقى تعليمه في كلية سانت ستيفن في دلهي ,ودخل الاكاديمية العسكرية في دهر ادون ,شهد أحداث الحرب العالمية الثانية .تولى الرئاسة في باكستان بين عامي (١٩٧٨-١٩٨٨).وبعد تولية الرئاسة عام ١٩٧٨ أدى دورا مهما في الحرب السوفيتية الافغانية .اذ لم يخف دعمه للمجاهدين الافغان ومن وراءه الولايات المتحدة والملكة العربية السعودية تحطم طائرة غامض في ١٧ أب عام ١٩٨٨. لمزيد من التفاصيل ينظر :

Masoo Akhtar zahid, dictatorship in Pakistan: a Study of Zia Era(1977-1988),Pakistan Journal of History and culture 32,no. (2011),p.13-20

([34]) Maqbool Arshad, Khofia Repartee (Lahore, Pakistan: Fateh Publishers, 2001),P. 82.

([35]) حميد غل ,عسكري باكستاني متخصص بشؤون الدفاع في الجيش الباكستاني ,ولد في باكستان في تشرين عام ١٩٣٦,ودرس العلوم العسكرية في الاكاديمية العسكرية الباكستانية .تولى منصب مدير عام وكالة الاستخبارات الباكستانية بين عامي (١٩٨٧-١٩٨٩)وعرف بتعاونه مع وكالة المخابرات الامريكية ال(CIA) في دعمها للمجاهدين الافغان ضد القوات السوفيتية كما عرف بميوله السياسة للمحافظين الذين ساعدهم في تشكيل الاتحاد الاسلامي الجمهوري في باكستان .توفي في ١٥ اب عام ٢٠١٥ أثر جلطة دماغية عن عمر يناهز ال ٧٨ عام ينظر :

History Dictionary of Pakistan ,Edited by :shahid Javed,3Edition, Maryland, the scarecrow scarecrow press,Inc,2006,pp.426-430

([36]) Maqbool Arshad, Op.Cit, P.82.

([37]) Ibid, P.85

(٣٨) اتفاقية دوراند : وقعت هذه الاتفاقية في ١٢ تشرين الثاني عام ١٨٩٣ بين الامير الافغاني عبد الرحمن خان وبين وزير الخارجية البريطاني هنري دوراند لتحديد الحدود بين افغانستان والهند التي كانت جزءا من الامبراطورية .وعندما استقلت باكستان عن الهند عام ١٩٤٧ لم يتم الاتفاق مع افغانستان على ترسيم الحدود المشتركة بين الجانبين .وظلت مشكلة الحدود معلقة بين الجانبين في ظل التداخل القبلي حيث تستوطن قبائل البقون المناطق المشتركة بينهما لمزيد من التفاصيل ينظر :

Salman Baugh and others, the Durand line Agreement(1893)delimitation and demarcation of the frontier line, Journal of law and socity,Vol .40,No.55 and 56 ,July ,2010, P.156.

(39) Quoted in : Ibid, P.160.

(٤٠) الجيرغا ، مجلس أو جمعية للزعماء الباشتون ، ويسمى " بالمجلس الكبير" من مهامه المهمة انتخاب الرئيس ،ووضع دستور للبلاد ،وتسوية النزاعات بين الباشتون والجماعات العرقية الاخرى ، والتدخل لحل أغلب القضايا السياسية الحساسة . ينظر :

History Dictionary of Afghanistan , Op.Cit,p.520.

([41])Ibid, P. 240

([42]) نجيب الله (١٩٤٧ – ١٩٩٦) ولد في أب عام ١٩٤٧ وينتمي لقبيلة غلزي البشتونية بولاية بكتيا .بدأ حياته السياسية في عام ١٩٦٥، حيث أنضم الى الحزب الديمقراطي الشعبي الشيوعي ,وفي عام ١٩٧٧ أصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب ,عين سفير لبلاده في أيران لفترة وجيزة .وفي عام ١٩٨٠ عين رئيسا لوكالة المخابرات الافغانية ,وفي عام ١٩٨٦أصبح امينا عاما للحزب الديمقراطي الشعبي بدعم وتأييد من الاتحاد السوفيتي ثم تولى رئاسة الجمهورية بين عامي (١٩٨٦-١٩٩٢)ولعل أبرز ما تميز به عهده هو اعادة صياغة دستور جديد للبلاد ,وتعديل النظام السياسي الى نظام تعددي ,وإقرار حرية الرأي ونظام قانوني اسلامي تشرف عليه سلطة قضائية مستقلة .كما شكل لجنة للمصالحة الوطنية في أيلول عام ١٩٨٨.تنحى عن السلطة في نيسان عام ١٩٩٢,واعدم في كابول في ٢٧ أيلول عام ١٩٩٦.

- لمزيد من التفاصيل ينظر ...

Shane .Smith, U.S Afghanistan policy from the post, Soviet withdrawal and the Nagibullah Regimeit left behind ,A Research Report to Air force fellows ,Air force fellows ,Air university ,Maxwell Air force base , Al bama , March2013,PP39-38.

([44])Steve Coll, Op. Cit .P. 238.

([45]) Mohammad Youssef, Silent Soldier, OP. Cit , P. 18

(٤٦) صبغة الله مجددي ، ولد عام ١٩٢٦ في كابل ، نشأ وتربى في أسرة دينية ، تلقى تعليمه المدرسي في كابل ،أعتقل بين عامي (١٩٥٩- ١٩٦٤) بتهمة محاولة اغتيال الرئيس السوفيتي نيكيتا خرشوييف ، غادر بلاده بعد انقلاب ١٩٧٣ ، تجنباً للاعتقال ، وبعد الاطاحة بحركة طالبان تولى رئاسة مجلس الجيرغا للأعيان وشيوخ القبائل ، حيث تم اقرار دستور جديد للبلاد . ينظر :

History Dictionary of Afghanistan , Op.Cit,p.563.

(٤٧) برهان الدين رباني ،رجل دين وسياسي أفغاني ،و أحد أبرز زعماء تحالف المعارضة الشمالي المعارض لحركة طالبان في أفغانستان ، ولد في مدينة فيض آباد عام ١٩٤٠ ،تخرج من كلية الشريعة في جامعة كابل عام ١٩٦٣ ،ثم التحق في جامعة الازهر لدراسة الفلسفة الاسلامية ،تعرض للاعتقال عام ١٩٧٤ ، وشارك في المقاومة الافغانية ضد السوفييت ، وبعد انسحابهم من افغانستان شغل منصب رئيس المجلس الاعلى للسلام في افغانستان ، اغتيل في تفجير كابل عام ٢٠١١ . ينظر :

History Dictionary of Afghanistan , Op.Cit,p.65.

([48])Mohammad Youssef, Silent Soldier, Op. Cit , P.20

([49]) Ibid, P.21.

([٥٠])جورج بوش (١٩٢٤-؟) الرئيس (٤١) للولايات المتحدة ، ولد عام ١٩٢٤ ، تخرج من جامعة ييل وحصل على البكالوريوس في التاريخ عام ١٩٤٥ ، بدأ حياته السياسية في مجلس الشيوخ عام ١٩٦٦ ، حيث أصبح عضواً عن ولاية تكساس للأعوام (١٩٦٧-١٩٧١) ، عمل سفيراً لبلاده في الأمم المتحدة للأعوام(١٩٧١-١٩٧٣) ، ثم عين رئيساً لمكتب الاتصال الأمريكي مع الصين عام ١٩٧٤ ، ثم مديراً لوكالة المخابرات المركزية (CIA) للأعوام (١٩٧٦-١٩٧٧)، ثم نائباً للرئيس ريغان للأعوام (١٩٨١-١٩٨٩) ، تولى الرئاسة الأمريكية بين عامي (١٩٨٩-١٩٩٣)، انظر:
The presidents A Reference History, Pp.589-609. ; Asaf Siniver , Op. Cit., p.83.

(٥١)- وتعرف بحادثة الرابع من حزيران في الصين ،وهي مظاهرات طلابية شهدتها الساحة عام ١٩٨٩ طالب خلالها الطلبة بضمان الحقوق الدستورية ، وحرية الصحافة والتعبير، وقد بلغت ذروة الاحتجاجات نحو مليون شخص تعرضوا للقمع والضرب وتم قتل آلاف المتظاهرين . لمزيد من التفاصيل ينظر :

Scott Simmie and Bob Nixon, *Tiananmen Square*, University of Washington Press, 1989. xi, pp.206

([52]) Gabriel Kolko, Another Century of War? (New York: New Press, 2002),P. 35.

([53]) Larry P. Goodson, Afghanistan's Endless War: State Failure, Regional Politics, and the Rise of the Taliban (Seattle, Washington: University of Washington Press, 2001),P. 75.

([54])- Ibid, P.76

([55]) Abdul-Qayumn Mohmand, "The War on Afghanistan," The New Frontier/1, no. 2 (2001)P. 3

([56])Ibid, P.5

([57])Ibid, P.5

المصادر

أولاً: الوثائق

1- A concurrent resolution to encourage and support the people of Afghanistan in their struggle to be free from foreign domination," S.CON RES.74, 3 October 1984, in Bill, Resolutions (database on- line), Library of Congress, accessed May 13, 2006.

2- Steve Gagster, "Afghanistan: The making of U.S. Policy," Volume II: Afghanistan: Lessons From the Last War, 9 October 2001, in National Security Archive [database on-line], George. Washington University Library, accessed May 13, 2006.

3- Shane .Smith, U.S Afghanistan policy from the post, Soviet withdrawal and the Nagibullah Regimeit left behind ,A Research Report to Air force fellows ,Air force fellows ,Air university ,Maxwell Air force base , Al bama , March2013.

ثانياً : الكتب الاجنبية :

1- Andrew E. Busch, Ronald Reagan and the Politics of Freedom (Lanham, Maryland: Rowman & Littlefield Publishers, Inc., 2001).

2- Ronald Reagan, An American Life: The Autobiography (New York: Simon and Schuster, 1990).

3- Steven W. Hook and John Spinier, American Foreign Policy Since World War I| (Washington, D.C.. CQ Press, 2007).

4- Kirsten Lundberg, "Politics of a Covert Action: The US, the Mujahideen, and the Stinger Missile," Kennedy School of Government, Case Program, (1999).

5- Steve Gagster, "Afghanistan: The making of U.S. Policy," Volume II: Afghanistan: Lessons From the Last War, 9 October 2001, in National Security Archive [database on-line], George. Washington University Library, accessed May 13, 2006.

6- Todd dive ,offensive by Nicaraguan freedom fighters may. Doomed as Ames, Aid dry up ,Ottawa citizen,(1986,Februy,26).

7- Bruce E. wright, theory in the pvactice of the Nicaraguan Revolution, New york :Latin American stdies.1995.

8- Kirsten Lundberg, "Politics of a Covert Action: The US, the Mujahedeen, and the Stinger Missile," Kennedy School of Government, Case Program, C15-99-1546.0 (1999): .

9- Steve Coll, "Anatomy of a Victory: CIA's Covert Afghan War," Washington Post, 19 July 1992.

10- Ghaus Khayberi, Afghanistan Ki Toppan (Peshawar, Pakistan: Danish Kitabtoon, 1999).

11- Gabriel Koloa, Another Century of War? (New York: New Press, 2002).

12- Larry P. Goodson, Afghanistan's Endless War: State Failure, Regional Politics, and the Rise of the Taliban (Seattle, Washington: University of Washington Press, 2001).

13- Abdul-Qayumn Mohamed, "The War on Afghanistan," The New Frontier/1, no. 2 (2001).

14- John Sinclair pettier poison ,Henry Jackson ,the Jackson vain Augment and détente Ideology , Ideas, and united states foreign policy in the Nixon Era, unpublished doctoral dissertating ,the faculty the Graduate school of the university of Texas. Asyut (989).

15- Akira Irene ,the cold war in Asia ,A Historical Introduction, New Jersey ,prentice-Hull Euc,1974.

16- Stephen E. Ambrose and mark Plagon, the Reagan Doctrine: Sources of American conduct in the cold war's last chapter ,Foreign Affairs (council on foreign Relations)73,Janary 1994.

17- Gauss Khyber, Afghanistan Ki Toppan (Peshawar, Pakistan:

Danish Kitabtoon, 1999).

18- Mohammad Youssef, Silent Soldier: The Man Behind the Afghan Jihad (Lahore, Pakistan: Jang Publishers, 1992).

19- Masson Akhtar zahid, dictatorship in Pakistan: a Study of Zia Era(1977-1988),Pakistan Journal of History and culture 32,no. (2011).

20- Maqbool Arshad, Khofia Repartee (Lahore, Pakistan: Fateh Publishers, 2001).

21- Scott Simmie and Bob Nixon, Tiananmen Square, University of Washington Press, 1989. Xi.

22- Gabriel Kolko, Another Century of War? (New York: New Press, 2002).

23- Larry P. Goodson, Afghanistan's Endless War: State Failure, Regional Politics, and the Rise of the Taliban (Seattle, Washington: University of Washington Press, 2001).

ثالثاً : الموسوعات والقواميس

1- :Encyclopedia of the American Presidency, Edited by:Leanard W.Levy and Louis Fisher, Now York,Simon and Schuster,1994, Vol.3, Pp.1280- 1281.

2- Russia Are Reference Guide From the Renaissance to the Present , Edited by : Mauricio Brrero , Now York, Factson File Inc, 2004.

3- The Encyclopedia of the united states congress ,Edited by: Donald c. Bacon and ROYER H. Davidson, New york ,simon Shuster, 1995,vol ..4,1770.

4- History Dictionary of Pakistan ,Edited by :shahid Javed,3Edition, Maryland, the scarecrow scarecrow press,lnc,2006.

رابعاً : المجلات والصحف :

1- Abdul-Qayumn Mohmand, "The War on Afghanistan," The New Frontier/1, no. 2 (2001).

2- Salman Baugh and others, the Durand line Agreement(1893)delimitation and demarcation of the frontier line, Journal of law and society ,VOL .40,No.55 and 56 ,July ,2010.

3- The New york times Archives ,Regan Gives Viejas on the Vietnam war,April5,1984,section,B.

موقف الصحافة السعودية من الاعتداء الامريكي على ليبيا في ١٥ نيسان ١٩٨٦

م.د. اياد عايش محمد

كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة الانبار

موقف الصحافة السعودية من الاعتداء الامريكي على ليبيا في ١٥ نيسان ١٩٨٦

م.د. اياد عايش محمد

الملخص

يتناول البحث الموقف السعودي من اعتداء الولايات المتحدة الامريكية على ليبيا في ١٥ نيسان١٩٨٦ وبالتحديد موقف الصحافة السعودية من الاعتداء اذ ترك هذا الاعتداء صدى واسع ونتج عنه ردود فعل عالمية وعربية وكانت الصحافة السعودية حاضرة في ابداء موقفها من هذا الاعتداء واظهرت كل صحفها بما نشرته موقفها من الاعتداء بما يعكس الموقف الرسمي والشعبي للملكة العربية السعودية .

Abstract

The research deals with the Saudi position on the American attack on Libya on April 15, 1986, specifically the position of the Saudi press on the attack, as this attack left a wide echo and resulted in global and Arab reactions. The official and popular position of the Kingdom of Saudi Arabia

المقدمة

شهدت العلاقات الامريكية – العربية توترات كثيرة وكانت العلاقات الليبية – الامريكية جزء من تلك العلاقات التي تأثرت بما حولها من مؤثرات اقليمية ودولية قادت الى ازمات واضحة نتيجة الموقف الليبي من الدول الغربية بشكل عام ومن الولايات المتحدة الامريكية بشكل خاص والذي اتسم برفض التدخلات الامريكية في شؤون المنطقة العربية ولاسيما القضية الفلسطينية وبعد سلسلة من الازمات وسوء العلاقات بين البلدين تعرضت ليبيا الى عدوان مباشر في ١٥ نيسان ١٩٨٦ وكان موقف الصحافة السعودية من الاعتداء الامريكي هو محور البحث الرئيس نتيجة ما مرت به العلاقات السعودية – الليبية من تباينات كثيرة قبل الاعتداء وبعده.

قسم البحث الى مقدمة وخاتمة وثلاث محاور تناول المحور الاول بداية الخلافات الامريكية – الليبية وتطورها والاعتداء الامريكي على ليبيا في ١٥ نيسان ١٩٨٦ وتناول المحور الثاني طبيعة العلاقات السعودية – الليبية التي بينت بداية الخلافات وطبيعتها بين البلدين اما المحور الثالث فقد بين موقف الصحافة السعودية من الهجوم الامريكي .

اعتمد البحث على بعض المصادر التي تناولت العلاقات الليبية – الامريكية وايضا المصادر التي تناولت العلاقات السعودية – الليبية واهم الصحف التي نشرت خبر الاعتداء وبينت موقفها او موقف المملكة العربية السعودية منه.

أولاً: بداية الخلافات الامريكية الليبية

تعود الخلافات الامريكية الليبية الى عام ١٩٦٩ حينما قامت ثورة الفاتح[١] بقيادة معمر القذافي[٢]، اذ تغيرت السياسة الخارجية الليبية من خلال رفع شعار دعم حركات التحرر في العالم والدعوة الى اخلاء القواعد العسكرية الامريكية في ليبيا[٣]، فتوجت المفاوضات بين الحكومة الليبية والادارة الامريكية الى تسليم قاعدة ويلوس (Wheelus) الامريكية الى الحكومة الليبية في احتفال رمزي حضره رئيس الوزراء عبد السلام جلود والسفير الامريكي في طرابلس جوزيف بالمر (Joseph Palmer) في ١١ حزيران ١٩٧٠، وكان قد غادر قبل هذا التاريخ ما يقارب ٤٠٠٠ عسكري امريكي فضلاً عن المعدات والطائرات الى القواعد الامريكية في اسبانيا وتركيا، وبعد مراسم تسليم القاعدة غادر اخر ٤٨ عسكري امريكي القاعدة الى المانيا لينتهي الوجود العسكري الامريكي في ليبيا[٤].

وفور اعلان تسليم القاعدة غيرت الحكومة الليبية اسمها من قاعدة ويلوس الى قاعدة (عقبة بن نافع) الجوية، الامر الذي اثار الجانب الامريكي بوصفه انها اسمت القاعدة على اسم احد القادة العرب المسلمين الذين قاموا (بطرد المسيحيين) من شمال افريقيا[٥]، وتعود تلك الاتهامات للحكومة الليبية على اثر خسارة الجانب الامريكي لموقع القاعدة الذي وصفه نائب وزير الخارجية الامريكي للشؤون السياسية اليكسس جونسون

(JohnsonAlexis) بأن الولايات المتحدة خسرت قاعدة ويلوس بعد عدم التفاهم مع الحكومة الليبية[٦].

شهدت العلاقات الليبية مزيداً من التوتر لاسيما في الجانب العسكري، اذ قامت طائرات مقاتلة ليبية من نوع ميغ ١٥ في ٢١ اذار ١٩٧٣ باعتراض مسار الطائرات الامريكية على مقربة من المجال الجوي الليبي مما ادى الى سقوط طائرة امريكية نوع (بي ١٣٠) [٧].

وحينما اندلعت حرب تشرين ١٩٧٣ بين العرب والكيان الصهيوني والدعم الذي قدمته الادارة الامريكية للصهاينة تصاعد الهجوم السياسي والاعلامي من الحكومة الليبية تجاه الولايات المتحدة الامريكية، ودفع ذلك الامر الى ابلاغ الجانب الامريكي باغلاق خليج سدرة[٨] امام الملاحة واعتباره منطقة ليبية[٩].

لم يقف التوتر الامريكي الليبي عند هذا الحد بل ازداد بفعل الاجراءات الليبية في مجال النفط بعد ان اقدمت الحكومة الليبية على تاميم ثلاث شركات نفطية امريكية في عام ١٩٧٤، واتمت في العام التالي تاميم باقي الشركات واصبحت اصولها ملكاً للحكومة الليبية، وعلى الرغم من ان الاجراءات التي اتخذتها الحكومة الليبية هي جزء من فرض السيادة الوطنية على الاقتصاد الا ان الولايات المتحدة الامريكية عدت ذلك تحدياً لها مما زاد من توتر الاوضاع بشكل اكبر[١٠].

وفي السياق ذاته وقفت ليبيا موقفاً معارضاً ازاء مفاوضات كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني، مما ادى الى توتر العلاقات بشكل كبير بينها وبين مصر والولايات المتحدة[١١]، وبلغت حدة الامر الى اندلاع اشتباكات مسلحة بين الجيش المصري والجيش الليبي في تموز عام ١٩٧٧ تكبد بها الجيش الليبي خسائر كبيرة[١٢].

تلا ذلك قيام الولايات المتحدة الامريكية باتهام الحكومة الليبية بمحاولة اغتيال السفير الامريكي في القاهرة هيرمان ف اليتس (Hermann F. Eilts) في تشرين الثاني عام ١٩٧٧[١٣]، وفي ٢ كانون الاول عام ١٩٧٩ اقدم متظاهرون ليبيون الى احراق مقر

السفارة الامريكية في طرابلس، مما دفع الجانب الامريكي الى ايقاف النشاطات الدبلوماسية في ليبيا تلا ذلك في بداية شباط عام ١٩٨٠ اصدار الولايات المتحدة قراراً بغلق السفارة الامريكية[١٤]، وفي ٦ ايار عام ١٩٨١ ابلغت الولايات المتحدة الامريكية (المكتب الشعبي) وهو بمثابة البعثة الدبلوماسية الليبية بضرورة مغادرة الاراضي الامريكية فوراً[١٥].

ردت الحكومة الليبية على تلك الاجراءات بهجوم عسكري في ١٩ اب ١٩٨١ استهدف حاملة الطائرات الامريكية في البحر المتوسط يو اس اس نميتز USS Nimitz والتي كانت تعد من اكبر حاملات الطائرات الامريكية مما ادى الى سقوط الطائرات الليبية المهاجمة في خليج سدرة بعد اعتراضها بطائرة امريكية نوع (ف ١٤) [١٦].

اتهمت الادارة الامريكية الحكومة الليبية بجملة من الاعتداءات التي طالت المصالح والافراد الامريكيين في اوربا خلال الاعوام ١٩٨١-١٩٨٦ ومنها[١٧]:

١- في تشرين الاول ١٩٨١ اتهمت الولايات المتحدة المخابرات الليبية بوضع عبوات ناسفة بمبنى يرتاده دبلوماسيون امريكيون في العاصمة السودانية الخرطوم.

٢- في ٦ كانون الاول ١٩٨١ اتهمت الولايات المتحدة جهة مسلحة مرتبطة بليبيا باغتيال الملحق العسكري في السفارة الامريكية بباريس تشارلس راي (Charles Ray).

٣- في عام ١٩٨٤ اتهمت الولايات المتحدة الحكومة الليبية بوضع الغام بحرية في البحر الاحمر لاستهداف السفن الامريكية.

٤- في ٢٧ كانون الاول ١٩٨٥ اتهمت الولايات المتحدة جماعة ابو نضال الفلسطينية المدعومة من الرئيس الليبي معمر القذافي بمقتل ١٦ شخص بينهم (٥) امريكيين بعد ان قامت الجماعة بمهاجمة مكاتب شركة العال الصهيونية للطيران في مطاري فيينا وروما. ووصفت الخارجية الامريكية ليبيا بانها " دولة مارقة تدعم الارهاب"[١٨]

ورداً على تلك الاحداث اتخذت الادارة الامريكية قراراً بتجميد الارصدة المالية الليبية في المصارف الامريكية والتي تقدر بمليار دولار، واصدر قرار بمنع السفر الى ليبيا، تلا ذلك اصدار الرئيس الامريكي رونالد ريغان (Ronald Regan) في ٧ كانون الثاني ١٩٨٦ امراً للقيام بعملية عسكرية في خليج سدرة الليبي كان نتيجته تدمير بطاريات صواريخ سام وتدمير عدد من الزوارق الحربية ومقتل عدد من الجنود الليبيين[١٩].

ورداً على تلك العملية الامريكية قامت مجموعة ليبية مسلحة في ٥ نيسان ١٩٨٦ بالهجوم على ملهى لابيل الليلي (Label nightclub) في المانيا، مما ادى الى مقتل (٥) جنود امريكان واصابة نحو ٢٠٠ اخرون[٢٠].

العدوان الامريكي على ليبيا في ١٥ نيسان ١٩٨٦.

على اثر العملية التي استهدفت الملهى الليلي في المانيا والتي راح ضحيتها عدد من الجنود الامريكان بين قتلى وجرحى، اتهمت الولايات المتحدة الامريكية الحكومة الليبية بأنها وراء الهجوم، وان جماعة مسلحة ليبية كانت في المانيا الشرقية قامت بتنفيذ العملية[٢١]، فاجرى الرئيس الامريكي رونالد ريغان اتصالاً برئيسة الوزراء البريطاني مارغريت تاتشر (Margret Thatcher) من اجل السماح للطائرات الامريكية بالانطلاق من المطارات البريطانية لتنفيذ العملية, وافقت الحكومة البريطانية ونفذ الهجوم في ١٥ نيسان ١٩٨٦ والذي كان ينوي اغتيال الرئيس معمر القذافي نفسه وذلك بقصف مقره في طرابلس لكنه نجا[٢٢] وراح ضحية الهجوم ما يقارب (٤٥) جندي ليبي وعدد من المدنيين من ضمنهم ابنة الرئيس معمر القذافي[٢٣]، وذكر البيان الامريكي ان العملية التي اطلق عليها اسم الدورادو (El Dorado) جاءت وفق المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة في الدفاع عن النفس ورداً على عملية برلين[٢٤].

ثانياً : طبيعة العلاقات السعودية الليبية

منذ ان تسلم الرئيس معمر القذافي السلطة عام ١٩٦٩ كانت العلاقات السعودية – الليبية علاقات متباينة وكان جوهر الخلاف بين البلدين هو الرؤية للاسلام فكلتا الدولتين

تختلف في تفسير اهمية وطبيعة الدور الاسلامي فليبيا تريد ان يكون الاسلام ثوري من اجل توظيفه لخدمة مشروع القومية العربية وتؤيد مبدأ الاشتراكية والناصرية لذلك اصطدم النظام الليبي بالجماعات الاسلامية التي تسعى ليكون الاسلام مشروع سياسي في المقابل كانت السعودية ترى ان الاسلام لا يتفق مع هذه الافكار وان الاسلام لا يرتبط فقط بالعالم العربي بل بالعالم الاسلامي كله[٢٥].

هذا التباين في التفسير زاد من حدة الخلاف بين ليبيا والمملكة العربية السعودية وقاد الى صراع تبناه الرئيس الليبي معمر القذافي محاولاً محاربة الدور السعودي اعلامياً وتشويه صورتها امام العالم العربي ولعل ابرز تلك المحاولات انه حث المسلمين في ١٩ تشرين الاول ١٩٨٠ الى عدم اداء مناسك الحج بحجة ان المملكة العربية السعودية والاماكن المقدسة فيها مدنسة من الاحتلال الامريكي اذ قال " ليعلم جميع المسلمين في كل مكان ان مكة المكرمة وجبل عرفات والكعبة المشرفة والمدينة المنورة وجميع الاماكن المقدسة توجد الان تحت الاحتلال الامريكي[٢٦] ... "بعد هذا الاعتداء المعنوي الذي اقدم عليه الرئيس معمر القذافي قررت المملكة العربية السعودية في ٢٢ تشرين الاول من العام نفسه قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ليبيا[٢٧].

تبنى القذافي بعد ذلك سياسية عدائية تصادمت دائماً مع توجهات المملكة العربية السعودية وانتقل الصدام بعدها الى ميادين عديدة ابرزها استراتيجية انتاج وتسويق النفط وعلى الرغم من ان البلدين عضوان في منظمة اوبك الا ان ليبيا كانت دائماً الشريك المخالف لقرارات المنظمة ففي مطلع عام ١٩٨٢ اتهمت ليبيا المملكة العربية السعودية بتعمد زيادة انتاجها من النفط من اجل خدمة المصالح الامريكية[٢٨]، وفي اذار من العام نفسه دعا معمر القذافي الى الثورة في السعودية بالقول " ان دخل السعودية من النفط يبلغ مئة مليار دولار سنوياً يتقاسمه خمسة الاف امير سعودي"[٢٩].

ردت الصحف السعودية على القذافي بانه يقوم بتضييع اموال بلاده النفطية على مغامرات خارجية وتمويل الحركات الارهابية وانه يمثل نموذجاً " للعميل الشيوعي"[٣٠] بل ان السعودية طالبت في ١١ اذار عام ١٩٨٢ بطرد ليبيا من الجامعة العربية وبعدها

صدرت فتوى من مجلس العلماء السعوديين وصفت القذافي بانه " مرتد وخادم مطيع للشيطان ويحض الحجاج على عدم الذهاب الى مكة"[٣١].

وعلى الرغم من عودة العلاقات بين البلدين في كانون الاول عام ١٩٨٢ بعد ان دعت المملكة العربية السعودية لوحدة الصف العربي بعد اجتياح العدو الصهيوني للبنان في العام نفسه[٣٢], الا ان التباين في وجهات النظر والخلافات في تفسير الكثير من المواقف استمر بين البلدين , وبعد تعرض ليبيا الى ضغوط دولية نتيجة لسياسة القذافي الداخلية وتفرده في اتخاذ قرارات عدائية قادت الى حدوث ازمة مع بريطانيا بعد ان اتخذت بريطانيا موقفاً عدائياً من سياسة القذافي الداخلية والخارجية نتج عن ذلك ازمة دبلوماسية كانت السفارة الليبية في لندن محورها نتج عن ذلك تدهور في العلاقات بين البلدين مما دفع بريطانيا الى اتخاذ قرار في ٢٢ نيسان ١٩٨٤ بقطع العلاقات مع ليبيا وابلغت السلطات البريطانية ليبيا بانه يتوجب على جميع كوادرها الدبلوماسية في لندن مغادرة بريطانيا واخلاء مبانيهم في مدة لا تتجاوز منتصف ليلة ٢٩- ٣٠ نيسان ١٩٨٤[٣٣].

وعلى الرغم من عداء النظام الليبي لسياسة المملكة العربية السعودية والاختلاف معها في تفسير علاقتها بالدول الغربية والتي وصفها النظام الليبي على انها علاقة خضوع واستسلام بل وصف القذافي السعودية بالدولة الخاضعة للاحتلال الغربي , نجد ان النظام الليبي بعد ازمته مع بريطانيا يتراجع عن موقفه العدائي للسياسة الخارجية السعودية ويطلب وساطتها وتدخلها في حل ازمة السفارة الليبية في لندن وتم الاتفاق على ان تكون المملكة العربية السعودية الراعية للمصالح الليبية وفعلاً تم ذلك في ٢٥ نيسان ١٩٨٤ عندما وصل وفد دبلوماسي سعودي ليبي الى لندن لمناقشة ترتيبات رعاية المصالح الليبية في بريطانيا[٣٤].

وعلى الرغم من كل ما تقدم نجد المملكة العربية السعودية تقف الى جانب ليبيا بعد دخولها في ازمة مع الولايات المتحدة الامريكية قادت الى تنفيذ الهجوم الامريكي العنيف على ليبيا في ١٥ نيسان ١٩٨٦ فنجد المملكة العربية السعودية تعتبر الهجوم الامريكي

اعتداء على بلد عربي ومن الضروري ادانته ومساعدة ليبيا في ازمتها وتدعو الى عقد قمة عربية لرفض ذلك الهجوم وادانته وعبر مؤتمر القمة عن تضامنه مع ليبيا وتأييده لحقها في المطالبة بالحصول على تعويض عادل عن الخسائر والاضرار التي بها من العدوان الامريكي[٣٥], اتجهت ليبيا بعد ذلك مرغمة الى اعادة النظر في سياستها الخارجية وتغيير نهجها السياسي تجاه العالم العربي ومحاولة اعادة علاقاتها مع المملكة العربية السعودية لذلك زار وزير الخارجية الليبي علي عبد السلام التريكي[٣٦] الرياض بعد حوالي عام من الهجوم الامريكي والذي عد بادرة لتحسن العلاقات بين البلدين نسبياً وتوجه بالشكر لموقف المملكة العربية السعودية الداعم لليبيا في ازمتها, وعلى الرغم مما تقدم من دعم سعودي رافقه محاولة لحث النظام الليبي على تغيير سياسته الخارجية تجاه الدول الغربية لكن الموقف الليبي لم يتغير واستمر بسياسته العدائية للغرب عموماً وللولايات المتحدة بشكل خاص مما سبب استمرار للتوتر في العلاقات قاد الى خلق ازمات جديدة[٣٧].

ثالثاً: موقف الصحافة السعودية من العدوان الامريكي على ليبيا ١٥ نيسان ١٩٨٦:

١- صحيفة الرياض:

بينت صحيفة الرياض في واجهة صفحتها الاولى موقف المملكة العربية السعودية من الهجوم الامريكي على ليبيا، اذ جاء في مطلع افتتاحيتها (المملكة تشجب الهجوم الامريكي وتؤكد موقفها الى جانب الشعب الليبي)، واوردت الصحيفة ان ليبيا تعرضت الى هجوم امريكي فجر يوم ١٥ نيسان عام ١٩٨٦ شمل اهداف مدنية وعسكرية وادى الى سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى وان الهجوم انطلق من قواعد عسكرية بريطانية[٣٨].

اضافت الصحيفة في العدد نفسه موقف الناطق الرسمي للمملكة العربية السعودية الى وقوف المملكة الى جانب الشعب الليبي او اي شعب عربي يتعرض لمثل هذا الهجوم، وأدان الناطق السعودي الاسلوب الامريكي الذي وصفه بأنه يزيد من تصعيد التوتر في المنطقة[٣٩].

واوردت الصحيفة اسماء الاهداف التي شملها الاعتداء الامريكي وهي[٤٠]:

أ- ثكنة باب العزيزية المقر الرئيس للقيادة الليبية.

ب- مطار طرابلس الدولي.

ج- ميناء سيدي بلال.

د- القاعدة العسكرية في سيدي بلال.

عرضت الصحيفة ما نقلته عن اذاعة طرابلس ان قوات الدفاع الجوي الليبي اسقطت حوالي ٢٠ طائرة امريكية من نوع ف ١١١ و ف ١١٤ ، وان السلطات الليبية تقوم بالبحث عن حطام الطائرات الامريكية داخل الاراضي الليبية، واضافت ان افراد من عائلة الرئيس معمر القذافي تعرضوا الى جروح متفرقة جراء الاعتداء الامريكي[٤١].

واوردت الصحيفة ما نقلته عن اذاعة صوت الوطن العربي الكبير الليبية ان القوات الليبية اسقطت ٣ طائرات امريكية وان المواطنين قاموا بقتل الطيارين الامريكيين معاملة بالمثل جراء سقوط عدد كبير من القتلى بعد استهداف الاحياء السكنية[٤٢].

ونقلت الصحيفة من مصادر دبلوماسية ان سفارات فرنسا وايران وسويسرا تعرضت للتدمير جراء القصف الامريكي وذكر السفير الايراني في طرابلس ان القصف الامريكي اسفر عن تدمير اجزاء كبيرة من السفارة الايرانية[٤٣].

وفي السياق ذاته اعلن مجلس الدفاع العربي المشترك عقد اجتماع طارئ لمناقشة الهجوم الامريكي، وقطع الامين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي زيارته الى بروكسل والعودة الى تونس لمناقشة الامر[٤٤].

من جانبها اعلنت دول مؤتمر عدم الانحياز رفضها الاعتداء الامريكي، وجرى اجتماع طارئ لوزراء خارجية دول عدم الانحياز في نيويورك برئاسة وزير الخارجية الهندي بالي رام بهابات[٤٥].

لم تكتف صحيفة الرياض بنقل وجهات النظر المنددة والشاجبة للعدوان الامريكي على ليبيا من خلال استعراض مواقف الدول العربية والمنظمات الدولية، بل خصصت جزء من عددها لنقل وجهة النظر الامريكية في الاعتداء على ليبيا ومواقف الدول المؤيدة للعمل الامريكي.

اذ نقلت عن وزير الدفاع الامريكي كاسبر وينبرغر (Caspar Weinberger) خلال مؤتمر صحفي مع وزير الخارجية الامريكي جورج شولتز (George Shultz) ان ١٨ طائرة امريكية من نوع ف١١١ المرابطة باحد القواعد الامريكية في بريطانيا نفذت عملية عسكرية في ليبيا بنجاح وان الخسائر الامريكية هي طائرة واحدة فقط، واوضح كاسبر وينبرغر ان الطائرات الامريكية قطعت مسافة ٢٨٠٠ ميل من بريطانيا الى اهدافها في ليبيا وتزودت بالوقود عبر طائرات التموين من نوع ك سي ١٣١ ، واوضح ان الطائرات الامريكية اضطرت الى الالتفاف حول فرنسا بعد ان رفضت الاخيرة السماح لها بالعبور خلال اجوائها لتنفيذ الضربات الجوية(٤٦).

نددت الحكومة السوفيتية بالاعتداء الامريكي على ليبيا واصفة اياه (بالجريمة الدموية) غير ان وزير الخارجية الامريكي اوضح خلال المؤتمر الصحفي ان الادارة الامريكي ابلغت الجانب السوفيتي بالعملية قبل حدوثها وانها رداً على العمليات (الارهابية) التي تقوم بها الحكومية الليبية في اوربا وان العملية ليست موجهة ضد الاتحاد السوفيتي(٤٧).

كما نقلت الصحيفة عدداً من مواقف الدول بين مؤيد ومعارض للهجوم الامريكي على ليبيا، اذ ايدت بريطانيا العملية وبينت ان الطائرات الامريكية انطلقت من القواعد البريطانية، وذلك خلال تصريح لوزير الخارجية البريطاني جيفري هاو (Geoffrey Howe) ان اشتراك بريطانيا في العملية جاء دفاعاً عن النفس، كما ايدت الحكومة الكندية العملية الامريكية ووصفتها بأنها رد على الاعمال (الارهابية) التي تقوم بها ليبيا، بينما رفضت عدد من الدول الاخرى مثل فرنسا التي رفضت السماح للطائرات الامريكية بالعبور خلال اجوائها وكذلك اسبانيا(٤٨).

من خلال الاطلاع على موقف صحيفة الرياض، فقد كان موقفها اقرب الى الحيادية على الرغم من نقلها لوجهة النظر الامريكية وحلفائها، الا انها اولت الموضوع اهتمام ووضعته في صفحتها الاولى، كما انها قدمت في نقلها الخبر الوكالات الليبية على الوكالات المعادية على الرغم من الخلافات بين الحكومتين السعودية والليبية.

٢- صحيفة المدينة:

لم يكن الاعتداء الامريكي على ليبيا يتصدر العنوان الرئيسي لصحيفة المدينة، اذ ركز عنوانها الرئيسي على الاجتماع الذي ضم الملك فهد بن عبد العزيز وامير البحرين عيسى بن سلمان، بينما وضعت خبر الاعتداء الامريكي كعنوان ثانوي في صفحتها الاولى ركزت فيه على البيان الرسمي السعودي لشجب العدوان وجاء فيه (ان الحكومة السعودية تعرب عن بالغ اسفها وشجبها لهذا الهجوم وتدين هذا الاسلوب الذي يتنافى مع الاعراف الدولية)[٤٩].

اوردت الصحيفة خبر الاعتداء الامريكي نقلاً عن الوكالات الاجنبية ولاسيما الامريكية، فجاء فيه ان الطائرات الامريكية شنت سلسلة من الغارات على العاصمة طرابلس ومدينة بنغازي وان الغارات حققت خسائر كبيرة بالممتلكات والارواح وانها استمرت لمدة ١٥ دقيقة[٥٠].

كما ذكرت الصحيفة ما تطرق اليه وزيري الخارجية والدفاع الامريكيين في اليوم ذاته من الهجوم، اذ القت الضوء على حديث وزير الخارجية الامريكي جورج شولتز[٥١] ان (١٨) قاذفة امريكية من نوع ف١١١ نفذت عملياتها على اهداف في مدينة طرابلس، بينما هاجمت قاذفات نوع أ ٦ و أ ٧ على اهداف في مدينة بنغازي وقاعدة بنين الجوية منطلقة من حاملة الطائرات يو اس اس كورال USS Coral و يو اس اس امريكا USS America القريبة من السواحل الليبية واشتركت في العملية طائرات الاستطلاع الجوي أ ٢ سي هاوك (A2c Hawk) واستخدمت في العملية القنابل الليزرية [٥٢].

ووصفت الصحيفة الهجوم الامريكي بأنه الاول من نوعه تنفذه الطائرات الامريكية بعد نهاية حرب فيتام عام ١٩٧٥، واكتفت الصحيفة بنقل تصريح الحكومة الليبية ان الاعتداءات الامريكية خلفت عدد كبير من القتلى بين المدنيين(٥٣).

من الملاحظ حول ما ورد في صحيفة المدينة ان الخبر على الرغم من اهميته الا انها لم تتعامل معه بصورة حيادية، فلم تول الخبر اهمية كبيرة كباقي الصحف العربية وحتى بعض الصحف السعودية، اذ خصصت له مكانة ثانوية لا تتلائم مع حجم الضحايا لاسيما من المدنيين الذين سقطوا جراء الاعتداء الامريكي، كما ان الصحيفة ركزت في استقاء الاخبار من الوكالات الاجنبية ولاسيما وكالة سي ان ان CNN الامريكية بينما اشارت في اسطر بسيطة لما نقلته من وكالة الانباء الليبية، ويبدو ان الصحيفة كانت ملتزمة بالخلاف السعودي الليبي فلم ترغب بالتعاطف مع الضحايا الليبيين.

٣- صحيفة الندوة:

وضعت الصحيفة خبر الهجوم الامريكي على ليبيا عنواناً رئيسياً لمطلع عددها، وجاء فيه (المملكة تدين الهجوم الامريكي وتؤكد الوقوف الى جانب الشعب الليبي) وبينت في محتوى الخبر الموقف الرسمي السعودي ازاء الهجوم الامريكي من شجب وادانة(٥٤).

كما اجرت الصحيفة نوعاً من المقارنة بين التصريحين الرسميين الامريكي والليبي حول عدد الطائرات الامريكية التي تم اسقاطها خلال الاعتداء، اذ جاء في ما اوردته الصحيفة (ليبيا تعلن اسقاط ٢٠ طائرة ووينبرغر يعترف بواحدة)(٥٥).

اوردت الصحيفة خبراً حول اصابة اكثر من ١٦٠ شخص اكثرهم من المدنيين من بينهم ٢ من ابناء الرئيس معمر القذافي، وعزت الصحيفة سبب زيادة عدد الضحايا الى القصف الامريكي الذي استهدف مناطق مأهولة بالسكان(٥٦).

وبينت الصحيفة ان الطائرات الامريكية انطلقت من قواعد ليكنهيث Lakenheat () و مايلدنهول (Mildenhall) شمال لندن صوب اهدافها في ليبيا وبلغت اعداد تلك الطائرات ١٨ طائرة(٥٧)، واشارت الصحيفة الى ان الرئيس اليمني علي عبد الله صالح

والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات دعوا الى عقد قمة طارئة للجامعة العربية لمناقشة قضية العدوان الامريكي على ليبيا، ونقلت الصحيفة موقف الكيان الصهيوني فيما ورد عن تصريح لرئيس وزراءه شيمون بيريز ووزير الخارجية اسحاق شامير ان الولايات المتحدة لم تبلغ الجانب الصهيوني بالعملية الا ان الحكومة الصهيونية ابدت تأييدها لتلك العملية التي وصفتها بأنها ضد (الارهاب)[٥٨].

من الملاحظ ان موقف الصحيفة كان ايجابياً من خلال الاهتمام بالحدث ووضعه على الصفحة الرئيسية للعدد، غير انها اوردت خبر المقارنة بين التصريحين الامريكي والليبي بطريقة تهكمية لكشف عدم مصداقية الناطق الرسمي الليبي حول عدد الطائرات الامريكية التي اسقطت خلال الاعتداء لاسيما وانها ركزت على التصريح الامريكي الذي اكد على ان عدد الطائرات المشتركة في العملية هو ١٨ طائرة بينما اكدت الحكومة الليبية ان عدد الطائرات التي اسقطت هو ٢٠ طائرة.

٤- صحيفة عكاظ:

تصدر الموقف الرسمي السعودي العنوان الرئيسي لصحيفة عكاظ والذي جاء فيه (المملكة تقف الى جانب الشعب الليبي وأي شعب عربي شقيق يتعرض لهجوم خارجي)، وحملت الصفحة ذاتها (المملكة تدين الهجوم الامريكي على ليبيا)[٥٩].

واشارت الصحيفة الى ان ٢٣ طائرة امريكية نفذت غاراتها على المدن الليبية وتصدت لها المقاتلات الليبية والدفاعات الارضية، واوضحت ان من بين الاهداف التي شملها القصف الامريكي هو مبنى السفارة الفرنسية[٦٠].

كما نقلت الصحيفة بعض من ردود الافعال العربية ازاء الهجوم الامريكي، اذ ادانت سوريا الهجوم واجرى الرئيس حافظ الاسد اتصالاً هاتفياً بالرئيس معمر القذافي، كما ادانت الكويت الهجوم الامريكي ضد ليبيا وجاء في البيان الكويتي (انها ضد الهجوم على ليبيا او اي بلد عربي)[٦١].

وخصصت الصحيفة الصفحة الخامسة من عددها بشكل كامل لاستعراض تفاصيل الهجوم الامريكي بشكل مفصل، واستعرضت ما ورد خلال المؤتمر الصحفي لوزيري الخارجية والدفاع الامريكيين ومواقف الدول المؤيدة والرافضة للعملية الامريكية(٦٢).

كما بينت الصحيفة الاضرار الناجمة عن الاعتداء الامريكي اعتماداً على التصريحات الرسمية الليبية وشهادات دبلوماسيين اجانب من بينهم السفير الفرنسي والسفير الايراني ومراسلي وكالات الانباء العربية(٦٣).

كما تناولت الصحيفة بعض المواقف الاوربية وبعض الاحداث التي رافقت الاعتداء الامريكي، اذ قامت الحكومة الايطالية باجراءات امنية مشددة حول القواعد العسكرية التابعة لحلف شمال الاطلسي في مدينة كوميزو بجزيرة صقلية فضلاً عن قواعد سينجونيلا وتريلني بيرجي في الجزيرة نفسها، فضلاً عن الاجراءات الامنية التي اتخذتها الشرطة الايطالية حول الفنادق والمراكز السياحية والتجارية ولاسيما التي يرتادها المواطنون الامريكيون، وجاءت تلك الاجراءات بسبب اشتراك ايطاليا غير المعلن في العملية العسكرية الامريكية، اذ قدمت ايطاليا تسهيلات لرسو حاملة طائرات الهليكوبتر الامريكية جوادا لاكال (Guada Lacalle) في ميناء لوجوستا الايطالي يوم ١٤ نيسان ١٩٨٦، كما شهد اليوم نفسه اجتماعاً لمبعوث الرئيس الامريكي الجنرال فيرتون والترز (Verton Walters) بوزير الخارجية الايطالي جوليو انديروتي (Giulio Andreotti) ورئيس الوزراء بيتينو كراكسي (Bettino Craxi)(٦٤).

كما كشفت الصحيفة ان اسبانيا على الرغم من اعلانها الرسمي عدم اشتراكها في العملية ورفضها السماح للطائرات الامريكية المرور من خلال اجوائها، الا ان قاعدة روتا الامريكية (Rota) في الاراضي الاسبانية استقبلت احدى الطائرات الامريكية من طراز ف١١١ المشاركة في الهجوم بعد ان هبطت بشكل اضطراري في القاعدة ومن المرجح انها اصيبت بنيران المضادات الليبية(٦٥).

وتناولت الصحيفة عددا من المواقف العربية والدولية منها الموقف السوري والموقف المصري الذي عبر عن استياءه جراء الغارة الامريكية، وعلى الرغم من قطع

العلاقات الدبلوماسية بين مصر وليبيا الا ان الموقف المصري كان منددا بالعدوان واصفاً اياه بانه لا يحل المشاكل في الشرق الاوسط، كما بينت الصحيفة الموقف الايراني الذي جاء على لسان رئيس وزرائها مير حسين موسوي الذي وصف الهجوم الامريكي على ليبيا بانه اعتداء على جميع الاراضي الاسلامية، كما ادانت تركيا الهجوم الامريكي ووصفته بانه لا يتفق مع القانون الدولي ووجوب انهاء الوضع الحالي لعدم الوصول الى ابعاد اكثر خطورة، فضلاً عن مواقف اخرى من الهند واليابان اللتين ابدتا عن قلقهما ازاء التطورات في المنطقة واجرتا اتصالات مكثفة مع وزارة الخارجية الامريكية لعدم تكرار تلك الغارات(٦٦).

بعد الاطلاع على موقف صحيفة عكاظ تبين انها اكثر صحيفة سعودية اولت الموضوع اهتمامً من خلال التقارير والاخبار الصحفية التي نشرتها، وخصصت مساحات من عددها لمناقشة الاعتداء الامريكي، على العكس من بعض الصحف السعودية الاخرى التي لم تول الحدث الاهمية بما يتناسب مع عدد الضحايا المدنيين الذين سقطوا خلال الاعتداء.

كما يمكن ملاحظة ان صحيفة عكاظ تركت الخلافات بين الحكومتين السعودية والليبية على جنب من خلال التركيز على وجهات النظر الليبية والعربية ازاء الموقف وعدم الاكتفاء بنقل وجهة النظر الامريكية والبريطانية كما في بعض الصحف السعودية الاخرى.

٥- صحيفة الجزيرة:

يعد موقف صحيفة الجزيرة المثال الحقيقي الذي عكس صورة الخلاف السياسي بين المملكة العربية السعودية وليبيا، اذ لم تتطرق الصحيفة في عناوينها الرئيسية الى خبر الاعتداء الامريكي على ليبيا، بل اكتفت بالتركيز على الاجتماع الثنائي بين الملك فهد بن عبد العزيز وامير البحرين، فضلاً عن ذلك فقد اوردت الخبر بطريقة لم ترد في الصحف السعودية الاخرى اذ جاء في عنوان الخبر (غارات امريكية عنيفة تضرب ليبيا ونجاة القذافي)، وعنوان اخر (٣٣ طائرة امريكية انطلقت من قاعدة في بريطانيا اشتركت في

الهجوم)[٦٧]، فلم تكترث الصحيفة بحجم الضحايا المدنيين الذين سقطوا جراء الاعتداء الامريكي وركزت على عنوان نجاة القذافي من الحادثة.

كما وضعت الصحيفة بيان المملكة العربية السعودية الرسمي المندد بالاعتداء الامريكي في زاوية صغيرة في الصفحة الاولى واقتبست منه عبارة (ضرورة حل القضايا داخل مجلس الامن دون اللجوء الى العنف الذي لا يخدم الامن والاستقرار في الشرق الاوسط وحوض البحر المتوسط)[٦٨].

جاءت العادة في الصحف السعودية حينما اوردت خبر الاعتداء الامريكي ان تجعل تتمة الخبر في الصفحات الاخرى وحسب الاهمية، غير ان صحيفة الجزيرة وضعت تتمة الخبر في الصفحة الثلاثون كخبر هامشي وغير مهم.

كما نقلت الصحيفة وجهة النظر الامريكية حيال الاعتداء من خلال عرض تفاصيل الطائرات المهاجمة والاهداف التي استهدفتها وبيان البيت الابيض الذي جاء بلسان الناطق الرسمي لاري سبيكس (Lary Speaks)[٦٩].

٦- صحيفة اليوم:

اوردت الصحيفة خبر الاعتداء الامريكي في صفحتها الاولى كعنوان رئيس حمل الموقف الرسمي السعودي المندد بالاعتداء وجاء فيه (مجددة وقوفها الى جانب الحق العربي المملكة تدين الهجوم الامريكي على ليبيا) واستعرضت في الخبر البيان الرسمي السعودي وموقف الحكومة في دعم الشعب الليبي[٧٠].

وركزت الصحيفة في تفاصيل اخبارها على عدد الضحايا الليبيين الذين بلغ عددهم حوالي ٧٠ قتيلاً واشارت الى دعوة الامين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي الى وزراء الخارجية العرب لعقد اجتماع طارئ لمناقشة العدوان الامريكي على ليبيا[٧١].

وانفردت الصحيفة بذكر ما اسمته رد الفعل الليبي السياسي والعسكري، اذ اشارت الى دعوة مندوب ليبيا في الجامعة العربية بشير جموم لعقد جلسة لمجلس الدفاع العربي

المشترك لمناقشة الاعتداء الامريكي، كما اشارت الصحيفة الى بيان الحكومة الليبية، اذ اعلنت عن قيام الطائرات الليبية من نوع ميغ ١٥ بتنفيذ ضربة جوية مساء يوم ١٥ نيسان ١٩٨٦ استهدفت المنشآت السلكية واللاسلكية في جزيرة لاميدوزا جنوبي صقلية التي استخدمتها القوات الامريكية في الهجوم(٧٢).

الخاتمة

بعد اتمام البحث توصلنا الى بعض النتائج اهمها :-

١ – كان وصول معمر القذافي الى الحكم وراء اغلب الازمات التي عصفت بليبيا حيث كان موقفه العدائي من الغرب والولايات المتحدة الامريكية نابع من طبيعته في البحث عن الزعامة وتاثره بشخصية جمال عبد الناصر

٢- اراد القذافي جعل ليبيا دولة مؤثرة في كل احداث العالم دفع ذلك الى جعل ليبيا على عداء دائم مع الغرب في وقت كانت فيه مقاليد الامور عالميا بيد القوى الغربية وتحديدا الولايات المتحدة الامريكية .

٣- سارت ليبيا الى ترجمة عدائها من الغرب الى مواقف سلبية مع محيطها العربي ولاسيما مع المملكة العربية السعودية حيث كانت تصريحات القذافي شديدة اللهجة وتفتقر الى ادراك حقيقي لطبية ميزان القوى في العالم

٤- كانت السياسة الخارجية الليبية زمن القذافي قاصرة عن احتواء الازمات بالطرق الدبلوماسية وهذا يعود الى طبيعة النظام الليبي التي تنفرد بالقرار

٥- قادت سياسة القذافي الى الدخول في ازمات مستمرة اخرجت ليبيا وعزلتها عن محيطها العربي

٦- لم يحسب النظام الليبي زمن القذافي حساب امكانيات ليبيا السياسية والاقتصادية مقارنة مع دول عظمى ومؤثرة عالميا اهمها بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية

٧- رغم تعرض ليبيا الى الاعتداء العسكري الامريكي ورغم ما اصابها جراء الاعتـــداء من اضرار مادية ومعنوية استمرت في سياسة العداء مع القـــوى الغربيـــة عمومـــاً والولايات المتحدة الامريكية خصوصاً

٨- لم يستغل النظام الليبي موقف المملكة العربية السعودية الداعم له بعد الاعتـــداء مـــن اجل اعادة العلاقات مع محيطه العربي بل استمر بعدها في مهاجمة المملكة والتقليل من دورها العربي واتهامها بالعمالة للغرب

هوامش البحث

---

(١) ثورة الفاتح: ثورة ليبية قادها تنظيم الضباط الاحرار في الاول من ايلول عام ١٩٦٩ ادت الى الاطاحة بالنظام الملكي الليبي وقيام الجمهورية العربية الليبية بقيادة الملازم اول معمر القذافي، اثمرت الثورة عن تغير السياسة الخارجية الليبية فبعد ان كان نظام الملك محمد ادريس السنوسي ذو علاقة متينة بالغرب اتجهت حكومة الجمهورية الليبية الى توطيد علاقتها بالاتجاه القومي بقيادة الرئيس المصري جمال عبد الناصر وتوطدت علاقتها مع المعسكر الاشتراكي. للتفاصيل عن الثورة ينظر: الجمهورية العربية الليبية، ثورة الفاتح من سبتمبر، مطابع دار الحقيقة، بنغازي، ١٩٧٣.

(٢) معمر القذافي (١٩٤٢-٢٠١١): سياسي وزعيم ليبي ولد في مدينة سرت انتقل بعدها إلى مدينة سبها وتأثر هناك بأفكار الرئيس المصري جمال عبد الناصر وبسبب نشاطه السياسي طرد من المدرسة ، انضم بعدها إلى الكلية العسكرية في بنغازي وتراس اللجنة المركزية للضباط الاحرار وبعد تخرجه قاد الثورة للإطاحة بالزعيم الليبي السنوسي في ايلول ١٩٦٩ ، شغل منصب رئيس الجمهورية بعدما غير اسم البلد إلى الجماهيرية العربية الليبية العظمى بقي في منصبه حتى تمت الاطاحة به في ٢٠١١، للتفاصيل ينظر: ملف العالم العربي ، الجماهيرية الليبية ، سير وتراجم ، الدار العربية للوثائق ، ل ي -١، ١٩٠١-١٢٣٠، ٢٨ اذار ١٩٧٩ ; صحيفة الجمهورية (العراق) العدد ٥٧٣٥، في ٦ ايلول ١٩٦٩، ص ١١ ; العالم يحتفي بنهاية الطاغية ، صحيفة الرياض (السعودية) العدد ١٥٨٢٤ في ٢١ تشرين الأول ٢٠١١.

(٣) ابراهيم فنجان الامارة، الانسحاب الامريكية من قاعدة ويلس في ليبيا ١٩٧٠، مجلة دراسات تاريخية، جامعة البصرة، العدد ١٥، في كانون الاول ٢٠١٣، ص ٢٧٩.

(4) F.R.U.S, Vol E5, 1969-1976, Memorandum From the Executive Secretary (Eliot) to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), No. 60, 12 June 1970, PP. 2-3.

(5) Ibid, P 3.

(6) F.R.U.S, Vol. XXIV, 1969-1976, Letter From the Under Secretary of State for Political Affairs (Johnson) to the Deputy Secretary of Defense (Packard) No. 13, 4 November 1970.

(٧) مصطفى عمر التير، صراع الخيمة والقصر، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٤، ص ١٦٣.

(٨) حسب القانون الدولي فان لليبيا الحق في اغلاق ٢٤ ميل بحري من مياه خليج سدرة والتي تعد مياهاً اقليمية، غير ان الحكومة الليبية اغلقت جميع المياه الاقليمية للخليج والتي تبعد عن الساحل الليبي حوالي ٣٠٠ ميل بحري والتي تعد مياهاً دولية. للتفاصيل ينظر: يونس علي عبد الله، المياه في خليج سرت والموقف الامريكي منها، مجلة الرافدين للحقوق، المجلد ١٢، العدد ٤٥، عام ٢٠١٠، ص ٢٣٩.

(٩) مصطفى عمر التير، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(١٠) ثائرة عبد الكريم جعفر، جوانب مهمة من العلاقات الامريكية الليبية ١٩٨٠-١٩٩٩، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد ٨، العدد ٢٤، نيسان ٢٠١٦، ص ٣٤٧.

(١١) للاطلاع على موقف مصر من كامب ديفيد ينظر: خير الله خليل سليمان، موقف ليبيا من قضايا المشرق العربي ١٩٦٩-١٩٧٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الانبار، ٢٠١٩، ص ص ٥٨-٧٢.

(١٢) صحيفة الاهرام (المصرية)، العدد ٣٣٠٩٦ في ٢٢ تموز ١٩٧٧؛ صحيفة الاهرام (المصرية)، العدد ٣٣٠٩٧ في ٢٣ تموز ١٩٧٧.

(13) Patricia Sullivan, Hermann Eilts, 84; Mideast Diplomat During Six-Day War, Washington Post, October 21, 2006.

(14) Karin Weste, Intervention in Libya: The Responsibility to Protect in North Africa, Cambridge University Press, 2020, P. 69.

(15) Ibid, P. 71.

(16) Lauren Ploch, Africa Command: U.S. Strategic Interests and the Role of the U.S. Military in Africa, Congressional Research Service, Washington , 2010, P. 160.

(١٧) ثائرة عبد الكريم جعفر، المصدر السابق، ص ص ٣٤٨-٣٥٠.

(١٨) العلاقات الامريكية الليبية ١٧٨٦-٢٠٠٨ التوثيق التاريخي في وزارة الخارجية الامريكية تسلسل زمني يوثق العلاقات الامريكية الليبية منذ ١٧ شباط ١٧٨٦-١٣ اب ٢٠٠٨، ١٣ ايلول ٢٠٠٨.

(19) James Kraska ،Raul Pedrozo, The Free Sea: The American Fight for Freedom of Navigation, Naval Instiute Press, Anna polis, 2018, P. 61.

(20) Spencer C. Tucker, A Global Chronology of Conflict: From the Ancient World to the Modern Middle East, Abcoclio, Oxford, 2009, P. 2572.

(21) Mattia Toaldo, The Origins of the US War on Terror: Lebanon, Libya, Routledge, London, 2013, P. 91.

(٢٢) يذكر ان عبد الرحيم شلقم سفير ليبيا في ايطاليا اخبر وزار الخارجية الليبية ان مبعوث رئيس الوزراء الايطالي بينيتو كراكسي اخبره باتصال قبل يومين من العدوان الامريكي عن نيته الهجوم لكنه لم يحدد يوم الهجوم ومن الارجح ان هذا التحذير انقذ حياة القذافي. للتفاصيل ينظر: صحيفة دنيا الوطن، ليبيا، ما حذرتنا من القصف الامريكي، في ٣١ كانون الاول ٢٠٠٨.

(٢٣) ثائرة عبد الكريم جعفر، المصدر السابق، ص ٣٥٠.

(24) Mattia Toaldo, Op.Cit, P. 92.

(٢٥) ثائرة عبد الكريم جعفر، ازمة العلاقات السعودية الليبية بين التاييد والتوتر على خلفية العلاقات مع الدول الغربية ١٦٨٠-٢٠٠٤، بحث منشور، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد ٢٣، العدد ٧، تموز ٢٠١٦، ص ٣٤٧.

(٢٦) ابو عبد الله يوسف، القذافي حلقة في التآمر العالمي ضد الاسلام والمسلمين، مجلة دعوة الحق المغربية، العدد ٢٠٨، ١٩٨٠؛ عبد الله الاشعل، الدبلوماسية السعودية في عهد الملك فهد، صحيفة الحياة، العد ١٥٤٦٣، في ٢ اب ٢٠٠٥.

(٢٧) يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٠، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١، ص ٧٤٤.

(٢٨) خالد زبدة، ماذا وراء رفض السعودية لسياسة اوبك لتخفيض الانتاج، صحيفة الحياة الجديدة، ٣١ كانون الثاني ٢٠١٦.

(٢٩) خالد سعود كاظم، جوانب مهمة من العلاقات السعودية-الليبية ١٩٨٠-٢٠٠٤، بحث منشور، مجلة سر من رأى، المجلد الرابع عشر، العدد ٥٤، اب ٢٠١٨، ص ٣٩٨.

(٣٠) صحيفة دنيا الوطن، السعودية وليبيا تتفقان على اعادة فتح السفارات وتبادل السفراء، ٢ كانون الثاني ٢٠١٢.

(٣١) خالد سعود كاظم، المصدر السابق، ص ٣٩٩.

(٣٢) نوري عبد الصمد، القذافي والحرب الاهلية في لبنان، ١٠ اذار ٢٠١١.

(٣٣) فرقد عباس قاسم المياحي، توتر العلاقات الدبلوماسية البريطانية-الليبية، نيسان ١٩٨٤ – شباط ١٩٨٥ ونتائجها، دراسة تحليلية من خلال الوثائق البريطانية، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الانسانية، ص ١٣.

(٣٤) عبد الله الاشعل، ومضات من المواقف السعودية المضيئة تجاه ليبيا، صحيفة الاقتصادية السعودية، العدد ٦٥٢٧، ٢٥ اب ٢٠١١.

(٣٥) جريدة الرياض، سورية تقاطع اجتماع (يوروميد) (انتفاضة الاقصى) تلقي بظلالها على الاجتماع الاوربي المتوسطي، العدد ١١٨٣، ١ تشرين الثاني ٢٠٠٠.

(٣٦) علي عبد السلام التريكي: ولد عام ١٩٣٨ بدء عمله الدبلوماسي عام ١٩٧٠ اصبح مديراً للادارة السياسية للادارة الافريقية ١٩٧٠-١٩٧٣ ثم وزيرا للخارجية ١٩٨٢-١٩٨٤ ومثل ليبيا في الامم المتحدة ١٩٨٦-١٩٩٩ والمستشار الخاص للقذافي ٢٠٠٤، استقال من منصبه وهرب الى مصر وبدء معارضته لنظام القذافي. للتفاصيل ينظر: صحيفة الاخبارية، القذافي يقف وحيداً في المواجهة ولا يجد من يمثله، كوسة والتريكي الحلقة الاخيرة في سلسلة الاستقالات، شباط ٢٠١١.

(٣٧) العلاقات الامريكية- الليبية ١٧٨٦-٢٠٠٩، التوثيق التاريخي في وزارة الخارجية الامريكية تسلسل زمني يوثق العلاقات الامريكية الليبية منذ شباط ١٧٨٦- ١ اب ٢٠٠٨، ايلول ٢٠٠٨.

(٣٨) صحيفة الرياض (الرياض)، العدد ٦٥-٦، السنة ٢٢، في ١٦ نيسان ١٩٨٦، ص ١.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ١.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ١٩.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤٩) صحيفة المدينة (الرياض)، العدد ٦٩٤٦ السنة ٥٠، في ١٦ نيسان ١٩٨٦، ص ١.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ١.

(٥١) اوردت الصحيفة اسم وزير الخارجية (جورج بوش) الذي كان يشغل منصب نائب الرئيس الامريكي وقتها.

(٥٢) المصدر نفسه، ص٢.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢.

(٥٤) صحيفة الندوة (الرياض)، العدد ٨٢٤٦، السنة ٢٩، في ١٦ نيسان ١٩٨٦، ص ١.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ١.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ١.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ١.

(٥٩) صحيفة عكاظ (الرياض)، العدد٧٢٤٦، السنة ٢٦، في ١٦ نيسان ١٩٨٦، ص ١.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ١.

(٦١) المصدر نفسه، ص ١,

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٥.

(٦٣) المصدر نفسه، ص٥.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٥.

(٦٥) المصدر نفسه، ص٥.

(٦٦) المصدر نفسه ص ٥.

(٦٧) صحيفة الجزيرة (الرياض)، العدد ٤٩٤٨، السنة ٢٣، في ١٦ نيسان ١٩٨٦، ص ١.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ١.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٧٠) صحيفة اليوم (الرياض)، العدد ٤٦٨٨، السنة ٢٣، في ١٦ نيسان ١٩٨٦، ص ١.

(٧١) المصدر نفسه، ص ١.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٢٠.

عطا عبد الوهاب ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٨

م.د.حميد حسون نهاي

وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الثانية

الايميل/ hameed.hasoon84@gmail.com

عطا عبد الوهاب ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٨

م.د.حميد حسون نهاي

الكلمات المفتاحية : **عطا عبد الوهاب / دوره السياسي**

المقدمة :

لا شك في ان دراسة التاريخ وتتبع احداثه لا تتم الا بعد دراسة شخصياته، لاسيما تلك الشخصيات التي تركت بصمة واضحة في اداء عملها وهو الامر الذي لا يغفله التاريخ بأي حال من الاحوال، وقد شهد تاريخ العراق المعاصر شخصيات كثيرة اسهمت في صنع احداثه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بحكم ذلك تولدت لدي رغبة كبيرة للكتابة عن شخصية عطا عبد الوهاب، السياسي العراقي الذي ابدع في دراسته، وتميز في وظائفه التي شغلها على الرغم من كل المعوقات والصعوبات التي مر بها. وقد سلطنا الضوء في بحثنا المعنون "عطا عبد الوهاب ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٨"، على جذوره الاجتماعية، ودراسته في كلية الحقوق، ثم تحدثنا عن دوره الوظيفي في العهد الملكي، ابتداءً من تعيينه كاتباً في مديرية الامراض المتوطنة عام ١٩٤٥، ثم ملاحظاً للتحرير في وزارة العدلية، وانتقاله إلى سلك القضاء الذي بقي فيه اربع سنوات ثم انتقل إلى وزارة الخارجية ومارس العمل الدبلوماسي لسنوات، نال فيها اعجاب الكثيرين، ومنهم البلاط الملكي الذي ابدى رغبته بإعارة خدمات عطا عبد الوهاب من وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي بوظيفة سكرتير خاص للملك فيصل الثاني والأمير عبد الاله، وهي الوظيفة التي بقي فيها حتى انهيار النظام الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨.

Abstract

There is no doubt that the study of history and the tracing of its events are not completed except after studying its personalities, especially those personalities who left a clear imprint in the performance of their work, which is something that history does not overlook in any way, and the contemporary history of Iraq witnessed many personalities

who contributed to making its social, political and economic events By virtue of that, I had a great desire to write about the personality of Atta Abdel-Wahhab, The Iraqi politician who excelled in his studies and excelled in the jobs he held despite all the obstacles and difficulties he went through. In our research entitled "Ata Abdel Wahhab and his political role in Iraq until 1958", we shed light on his social roots and his studies at the Faculty of Law, then we talked about his functional role in the royal era, starting with his appointment as a clerk in the Endemic Diseases Directorate in 1945, then an observer editable in the ministry Justice, and his transfer to the judiciary, which he stayed for four years, then moved to the Ministry of Foreign Affairs and practiced diplomatic work for years, in which he won the admiration of many, including the royal court, which expressed his desire to second the services of Atta Abdel Wahhab from the Ministry of Foreign Affairs to the Royal Court as a private secretary to King Faisal II and Prince Abdul God, a job he remained in until the collapse of the monarchy on July 14, 1958.

الجذور الاجتماعية لـ (عطا عبد الوهاب):

نسبه وأسرته:

ينتمي عطا بن عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن صفر إلى عشيرة القيسية، وهي إحدى العشائر العربية المعروفة. كان صفر وأولاده ضباطاً في الجيش العثماني وكان ابنه البكر عبد الرزاق، معلماً في جامع الحيدر خانة[١]، وقد تزوج من ثلاثةِ نساء، أنجبت له زوجته الأولى أربعة أولاد أكبرهم عبد الوهاب، والثاني عاصم الذي أصبح معلماً في إحدى المدارس الابتدائية، والثالث محمد عبد الستار الذي تعرض إلى نوبةٍ عصبية أثر سقوط أفعى كبيرة من السقفِ إلى جانبهِ، وقد توفى وهو شاباً، فيما كان الابن الرابع محمود وهو الابن الاصغر موظفاً في دائرةِ تسوية الاراضي في الحلةِ ثم أصبح مديراً لها. وهي وظيفة مختصة في تثبيتِ ملكية الاراضي في العراق وتعد من الوظائف ذات المراكز الاجتماعية المرموقة آنذاك[٢]. أما ناجي فهو آخر ابناء عبد الرزاق من زوجتهِ الثالثة[٣]. وقد كان محباً للمطالعةِ والآدب العربي آنذاك، تخصص فيما بعد باللغة العربية

بعد أن حصل على شهادة الماجستير من جامعةِ القاهرة، ثم الدكتوراه من جامعةِ طهران، وأصبح أستاذاً في كليةِ الآداب جامعة بغداد، وانتخب عضواً في المجمعِ العلمي العراقي(٤).

ولد عبد الوهاب والد عطا في بغداد عام ١٨٨٠، ودرس في المعاهد العثمانية، ثم خدم بصفةِ ضابط في الجيشِ العثماني إلى أن وقع أسيراً بيدِ القوات البريطانية في بدايةِ الحرب العالمية الاولى، وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب، تم نفيه إلى الهندِ لمدةٍ قصيرةٍ ثم أفرج عنه وعاد إلى العراق عام ١٩٢١(٥).

تزوج عبد الوهاب من بدرية عبد اللطيف وهي ربة بيت من عائلة ذات شأن كبير آنذاك، إذ كان والدها يشغل منصباً كبيراً في الدولةِ العثمانية(٦). وقد رزق منها بثلاثةِ أولاد وبنت واحدة، اكبرهم جميل المولود في بغداد عام ١٩٠٩(٧)، وقد تخرج من كلية الحقوق(٨) في عام ١٩٣١، وتزوج من وجيهه أبنة طه افندي(٩)، وهي ابنة اخت نوري السعيد(١٠)، وقد اسهم هذا الزواج في صعودِ جميل عبد الوهاب سياسياً عندما أصبح وزيراً أكثر من مرة في الحكومات المتعاقبة، وأنتخب نائباً في اكثر من دورة برلمانية. أما جميلة المولودة في بغداد عام ١٩١٥ فكانت ربة بيت غير متزوجة، ولا تجيد القراءة والكتابة، وقد توفيت عن عمرٍ ناهز الخمسة والسبعين عاماً(١١)، يليها في الترتيب العمري شقيقها زكي، المولود في بغداد عام ١٩١٩، وقد تخرج من كلية الحقوق في بغداد عام ١٩٤١ ليمارس المحاماة(١٢)، وأصبح عضواً في اللجنةِ المركزية(١٣) "للحزبِ الوطني الديمقراطي"(١٤)، ورئيساً لتحرير جريدة "صوت الاهالي"(١٥)، الناطقة باسم الحزب. تزوج زكي عبد الوهاب من السيدة عفيفة محمد الاثري، ورزق منها بولدٍ واحد اسمه عمر عام ١٩٥١(١٦)، واصغر العائلة كان عطا وهو موضوعنا في الصفحات القادمة.

- ولادته ونشأته:

ولد عطا عبد الوهاب في ٢٨ آيار ١٩٢٤(١٧) في محلة المهدية(١٨) ببغداد، بدارٍ واسعةٍ تعكس طراز العيش السائد آنذاك، وسط أسرة كبيرة مكونة من اب وأم وأخوة وأخت واعمام ثلاثة، وفي هذه الدار قضى عطا عبد الوهاب مرحلة طفولته، ونشأ في

كنفِ والديه اللذين كانا يقدسان الحياة الأسرية، إذ وفرا له ولأشقائه كل مستلزمات الحياة الضرورية، وقد كان عطا يعشق السفر منذ نعومة اظفاره، وقد بدأ بسفرتهِ الاولى إلى مدينةِ الكوت وهو في سن الثامنة من عمره فقط، وهو الأمر الذي آثار أمتعاض والده فتساءل كيف يسافر طفل لوحدهِ بهذا العمر، وقد أجابه أعمامه بأن "عطا سبع شكو عليه ... سنوصي به المسافرين معه"[١٩]. وهكذا بدأت اسفار عطا المختلفة واستمرت طيلة حياته نتيجة الاعمال والوظائف التي شغلها.

تزوج عطا عبد الوهاب من ابنة خالته بتول محمود النائب، في خريفِ عام ١٩٥٠ وهي من أسرةٍ معروفةٍ في لواءِ الموصل، وقد وصف عطا زواجه بزواجِ "المحبة"، وبعد زواجهما قررا عدم الانجاب في المدةِ الاولى لمزاولةِ النشاطات المختلفة التي يطمحون اليها، وبعد مدة ونتيجة التساؤلات المتكررة عن سبب عدم أنجاب الاولاد تغيرت قناعتهما بالأمر ورزقوا بولدٍ[٢٠] أسموه لهب، ولهذهِ التسمية تفصيلات تحدث عنها عطا عبد الوهاب فقال: "في فترة الحمل، كنا نقول أننا نرغب ببنت، لكننا هيأنا اسماً لولد والحقيقة أن التسمية من عنديات، ولابد لي أن اعترف هنا بلا مواربة عن مدلولها، كنت في ذلك الحين لا ازال اؤمن بالفكر المادي وبنظرية الصدفة في خلق الحياة، وكنت في عينِ الوقت اؤمن بحريةِ الرأي ايماناً يقدس المعارضة، لماذا إذاً يُسب ابو لهب في القرآن وهو مجرد معارض لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لماذا لا يحيى اسمه تكريماً للمعارضةِ حتى ولو كانت لنبي، بعبارة أخرى هي الرغبة في التحدي، فضلا عن ان الاسم لطيف، ويبقى طريفاً لأن أحداً لم يجرؤ أن يقلدني، كنا نتناقش حول هذه الامور، واثيرت مسألة تأثير الاسم على المسمى نفسه في مستقبلهِ وما قد يلحقه من اذى بلا جريرة منه، لكن جوابي كان نموذجياً أيضاً، إذا كان الابن غير قادر على رد مثل هذا الاذى الموهوم عن نفسهِ فلا خير فيه، اذ انه لن يستطيع رد أية اذى"[٢١].

ليس غريباً ابداً أن تثير هذه التسمية ردود فعل عنيفة، لاسيما من الأسرة، فقد استاء عبد القادر الخطيب عم عطا عبد الوهاب من هذه التسمية إلى درجةِ قطع معها

زيارته إلى والدة عطا. أما والد بتول، فقد ارسل رسالة اليها يقول بعد التهنئة، هل تقلبين أن يسميك الناس حمالة الحطب، هل تريدين أن ارسل اليك حبلاً من مسد هدية الميلاد(٢٢).

ومهما يكن من أمر، فقد ندم عطا عبد الوهاب على تسمية ابنه بهذا الاسم وقال: "ان جرأتي في الاعترافِ بمدلولِ التسمية تقابلها جرأة أخرى متأخرة كثيراً في الاعترافِ بندمي، أجل أنني بعد عودتي للأيمان ندمت على التسمية، حتى أنني كتبت إلى لهب أسأله ما رأيك أن نسميك وهب. لا يخفي على احد، أن تسمية لهب بهذا الاسم، وفي بلاد المسلمين، فيه الكثير من الاستفزاز لمشاعرِ الناس، الامر الذي عانى منه لهب كثيراً، وقيده اجتماعياً وسياسياً. ونتيجة لتفاهم الزوجين، فقد قررا تنظيم اسرتهما والاتفاق على انجاب طفلين فقط، وقد التزما بذلك بعد ولادة ابنهم الثاني الذي اسموه سينا، احياءً لأسم العالم العربي ابن سينا(٢٣). وقد تنقل عطا عبد الوهاب مع افراد أسرته ما بين بغداد وبيروت ونيويورك وأماكن أخرى تبعاً لعملهِ في بلدانِ العالم المتعددة(٢٤).

- **دراسته وثقافته** :

دخل عطا عبد الوهاب مدرسة بابا كركر الابتدائية في سن مبكرة بفضل جهود عمه عاصم الذي بدأ حياته الوظيفية مديراً لمدرسةٍ أوليةٍ، إذ أدخله المدرسة عام ١٩٢٩ وهو في سن الخامسة فقط، وبعد نجاحه إلى الصف الثاني أنتقل إلى مدرسة الفضل الابتدائية، ثم انتقل في الصف الثالث الى مدرسة الحيدرية، لأن عمه عاصم قد نقل اليها بعد ترقيته إلى معلم ابتدائي، وقد كان عطا صريحاً للغايةِ عندما اشار: "إلى ان وجود عمه في المدرسةِ كان يضفي على نفسهِ الطمأنينة، وربما أدى إلى بعض المحاباة من المدرسين الآخرين"، وعلى الرغمِ من نجاحِ عطا في امتحاناتِ البكلوريا، إلا أن البعض من أقاربهِ كانوا يقولون ولو على سبيل المزاح، بأن عطا قد نجح بواسطةِ عمه عاصم، الامر الذي حفز عطا ودفعه إلى العملِ الدؤوب والاجتهاد لأثبات عكس ذلك(٢٥).

أكمل عطا عبد الوهاب دراسته الابتدائية ودخل المدرسة الغربية المتوسطة عام ١٩٣٦، وقد عاش أياماً عصيبة في هذهِ المرحلة نتيجة انتقال الأسرة من دار المهدية إلى دارٍ تقع إلى جانبِ دائرة البريد المركزي، مقابل الثانوية المركزية(٢٦).

ومهما يكن من أمر، فقد تخرج عطا عبد الوهاب من المرحلةِ المتوسطة، ودخل الثانوية المركزية عام ١٩٣٩، بالتزامنِ مع اندلاعِ الحرب العالمية الثانية، وقد كانت مدة الدراسة فيها سنتين وليس ثلاث سنوات، وقد اختار عطا الفرع الأدبي، وكان أصغر الطلبة المقبولين عمراً وأعلاهم مرتبة[٢٧]، وبعد نجاحه في الامتحاناتِ العامة البكلوريا للدراسةِ الثانوية عامِ ١٩٤٠، بمجموع ٤٤٠ من ٧٠٠[٢٨]، قدم طلباً إلى عمادةِ كلية الحقوق للقبولِ فيها، وقد تحدث عطا عن دخوله الكلية قائلاً: "ان دخولي للحقوق لم يكن برغبةٍ واضحةٍ محددة ومخطط لها، فهذهِ تقررها عوامل غالباً ما تكون خارجة عن إرادةِ الشخص أو رغبته، لكنني بعد دخولي أحببت الفرع وتلذذت بدرسهِ ... إذاً فأن دخولي للحقوق كان عشوائياً"[٢٩].

ويبدو ان المكانة الكبيرة التي حظيت بها كلية الحقوق بوصفها الكلية التي رفدت المجتمع العراقي بشخصيات قياديةٍ كثيرة لاسيما في الجانب السياسي من جانب، ولأن جميل وزكي الاخوين الكبيرين لـ (عطا عبد الوهاب) قد تخرجا من هذه الكلية من جانب آخر، أمور حفزت عطا لإكمال دراسته الجامعية فيها، واكمال متطلبات القبول، فقدم شهادة بعدم المحكومية تثبت أنه ليس محكوماً بأي جريمة جنائية في العراق[٣٠]، واستمارة الفحص الطبي التي اكدت سلامته من الأمراض السارية وانه ذو صحة جيدة[٣١]، فضلاً عن شهادة التطعيم ضد مرض الجدري الذي كان سائدا آنذاك[٣٢].

وفقاً لذلك، دخل عطا عبد الوهاب كلية الحقوق، وباشر في المرحلة الاولى في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٠، وعن هذا الموضوع تحديداً تحدث عطا عبد الوهاب فقال: "اولى التجارب التي صادفناها في بدء دخولنا الكلية هو الشعور بالانتماء إلى معهد أعلى، أساتذة من حملة الدكتوراه، وخريجي الجامعات الغربية، وبينهم عدد غير قليل من مشاهير الأساتذة المصريين، كان صفنا الأول في الحقوق صف كبير واحد، وليس صفاً مقسماً إلى شعب، وكان عدد الطلبة حوالي ٢٠٠ طالب، فينحشر هذا العدد الهائل في قاعةٍ واحدةٍ للاستماعِ إلى محاضرة الأستاذ الجالس على منصةِ المسرح ...، وفي أواخر السنة الأولى حدثت حركة ١٩٤١[٣٣]، التي هزت البلاد بأسرها، وانعكست اثارها السلبية على كلية الحقوق لأنها مركز هام للشبابِ المثقف، ومركز تقليدي

للانتفاضاتِ الوطنية في تاريخِ العراق المعاصر، فلم يجرِ الامتحان النهائي فيها لارتباك الأمور، وأنتقل الطلبة إلى مرحلةٍ متقدمةٍ حسب المعدل العام لنتائجِ الامتحانات الشهرية، الأمر الذي جعل عطا عبد الوهاب ينتقل من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية بمعدلِ ٦١% حسبما تشير إلى ذلك إحدى الوثائق الرسمية في كلية الحقوق(٣٤)، وفي المرحلة الثانية ابدع عطا عبد الوهاب في دراستهِ، ونال أعلى الدرجات في المواد المختلفة، إذ حصل على درجة ١٠٠ من ١٠٠ في الامتحان التحريري لمادةِ الأحكام المدنية، و٩٨ في مادةِ الاقتصاد والاحصاء، و٩٢ في مادةِ الالتزامات، فيما نال درجة٩٠ في مادتي المالية العامة واحوال العراق، و٨١ في مادةِ القانون الاداري، أما مادة اللغة الانكليزية فكانت درجته فيها ٨٦، ومعدله العام٨١ % (٣٥)، وعند إعلان المعدلات النهائية في العامِ التالي فوجئ عطا بمعدلهِ فقد وجده ٦١ وليس ٨١%، الامر الذي دفعه إلى ان يكتب تظلم إلى عميد الكلية في ٤ شباط عام ١٩٤٢، وقد كتبه بأسلوبٍ جميل، ولغةٍ سليمة رصينة، فيها كلمات عميقة، متزنة تدل على ثقافةِ وسعة اطلاع كاتبها، وحتى نضع القارئ الكريم في الصورةِ بشكل أكبر ننقل ما كتبه عطا عبد الوهاب بهذا الصدد من دون زيادة او نقصان:

"سيدي العميد : أما بعد، حين اعلنت النتائج النهائية للسنةِ الدراسية الماضية كنت حائزاً على معدلٍ قدره٨١% ولكن ظهر بعد ذلك أن المعدل ٦١%، ولكني أشك في هذا ومتأكد من ان نتيجتي النهائية عالية ومرضية، وقد تبين لي أخيراً بأن المعدل المذكور يؤثر على درجةِ شهادة الليسانس لكليةِ الحقوق، فنظراً لثقتي بأنكم خير ساهر على مصالحِ الطلاب من جهة، ولاعتقادي بصحةِ ما أقول من جهةٍ أخرى، استعطفكم بأن تأمروا بالنظرِ في السجلاتِ الأصلية التي استند عليها لاستخراجِ المعدل النهائي للسنةِ الدراسية الماضية، وأنتم بذلك تظهرون الحقيقة كما هي، لا يشوبها الظلم ولا يكتنفها الظلام، وانتم بذلك تجعلوني مدينا لكم بالشكرِ العاطر، ولكم الامر سيدي، عطا عبد الوهاب الطالب في الصف الثاني(٣٦).

وبعد خمسة ايام من تقديمِ الطلب، جاءت إجابة العميد بالشكلِ الآتي: " تبين لنا ان صحة المعدل الحاصل عليه الطالب هو ٨١ في المائة وليس ٦١ في المائة، وقد أمرنا بتصحيحهِ، وتحفظ هذه العريضة بإضبارتهِ"(٣٧).

وعلى الرغم من ارتباط عطا عبد الوهاب بوظيفةٍ في المرحلة الثالثة، إلا انه استمر في تفوقهِ العلمي، وقد سارت الامور اثناء العطلة الصيفية بشكلٍ طبيعي، لكنها اختلفت في بدايةِ العام الدراسي، إذ وجب عليه التوفيق بين العمل والدراسة، وهو أمر صعب للغايةِ، وقد اشار عطا إلى ذلك عندما قال: "بعد افتتاح دوام الكلية، كان عليَّ أن اوفق بين الدوامين، وهو من أعسر الأمور التي كانت تقلق ضميري بالاستمرارِ، وقد أخذت اضحي بالدرسين الاخيرين من مجموع أربعة في اليوم، لكي استطيع الوصول إلى الدائرةِ في الساعةِ العاشرة والنصف صباحاً، غير أن تفوقي في الدروسِ ومثابرتي البيتية خففت عليَّ تدريجياً وقع الغياب عن الكليةِ، ومن جهة اخرى كنت اذهب إلى الدائرةِ في العاشرةِ والنصف واكون أول الحاضرين فهانت عليَّ المحنة النفسية كثيراً(٣٨).

ومع هذه الظروف، تمكن عطا عبد الوهاب من اجتياز المرحلة الثالثة بتفوقٍ كبير، وحصل على تقدير جيد جداً في خمسِ مواد دراسية هي: القانون التجاري، والمرافعات المدنية، والمرافعات الجزائية فضلا عن مادتي الالتزامات والدولي العام، في حين، حصل على تقديرِ متوسط في مادةِ الأحكام المدنية، ووفقاً لذلك أصبح معدل عطا النهائي في المرحلة الثالثة جيد جداً(٣٩).

وفي عام ١٩٤٤، وصل عطا عبد الوهاب إلى المرحلةِ الرابعة والأخيرة في الكليةِ، وقبيل امتحانات نصف السنة فكر عطا بالاستقالة من وظيفتهِ التي عيّن فيها منذ عام ونصف العام تقريباً، من أجلِ التفرغ للدراسةِ التي اعتاد على التميّزِ بها وكان من المتفوقين دائماً، وقد ذكر في مذكراتهِ أحد الاسباب التي اسهمت في تعزيز قناعته في تقديم الاستقالة فقال:" قرأت يوما عن طريق المصادفة مقالاً في إحدى المجلات عن

المهاتما غاندي[٤٠]، كان يؤكد على تضحياتهِ الشخصية، وعلى تعاليمه القائمة على الاستغناء لا الاقتناء، وقررت فوراً الاستغناء، وقدمت استقالتي صباح اليوم التالي"[٤١].

وعلى ما يبدو، ان صعوبة المرحلة الرابعة، وعدد المواد الدراسية الكبير، الذي بلغ عشر مواد، فضلاً عن رغبة عطا عبد الوهاب الجامعية في نيل أعلى الدرجات في هذهِ المرحلة، امور دفعت عطا إلى تركِ الوظيفة والتفرغ التام للدراسةِ، وهكذا اكمل دراسته في هذهِ السنة بجدٍ واجتهادٍ كبيرين، ونال جرّاء ذلك تقدير جيد جداً في ستةِ مواد هي: القانون الدولي الخاص، والمجلة، وقانون الاراضي، فضلا عن مادة الصكوك، ومادتي القوانين الإدارية المحلية، والقوانين المالية المحلية، فيما نال تقدير جيد في أربع مواد دراسية هي: التجاري واصول الفقه، والعلم والاجراء، فضلاً عن مادة العلم السياسي والقنصلي وتاريخ المعاهدات، ونتيجة لهذهِ الدرجات، حصل عطا عبد الوهاب على تقدير جيد جداً كمعدلٍ عام في المرحلةِ الرابعة[٤٢].

مما سبق يبدو واضحاً، ان المستوى العلمي المتميز الذي ظهر به عطا عبد الوهاب طيلة سنوات دراسته الجامعية، لم يأتِ من فراغ، وإنما جاء نتيجة حرص وتركيز عاليين في الدراسةِ، وقد اتضح ذلك بشكلٍ كبيرٍ عندما قال عطا عبد الوهاب هذا الكلام: " كان عدد غير قليل من الطلاب الذين يعتبرون انفسهم من الكبار، أما لا يداومون اصلاً، وأما يجلسون في حانوتِ الكلية ان داوموا، يدخنون ...، لكني لا أذكر يوماً انني تخلفت يوماً عن محاضرةٍ من المحاضرات، ولا أذكر اني جلست في الحانوت ولو لمرةٍ واحدةٍ طيلة الاربع سنوات، كأن شيئاً كثيفاً يصدني عنه، وكأن الجو السائد فيه الذي اتحسسه من بعيد يبدو لي جواً غير صحي وغير طبيعي وغير لائق"[٤٣].

على هذا الاساس، تخرج عطا عبد الوهاب من كلية الحقوق عام ١٩٤٤[٤٤]، وانتهت المرحلة الجامعية التي اعتبرها عطا مرحلة "حافلة بالتجاربِ الفذة، ولا يمكن تسمية مراحل الكلية بالسنين الجامعية، لأن الجامعة لم تكن موجودة حسب وصفه، إنما كانت سنين الدراسة العالية التي يمكن النظر اليها نظرة اكبار ونظرة طموح"[٤٥].

وعلى الرغمِ من تخرجِ عطا عبد الوهاب من كليةِ الحقوق، وانتمائه إلى نقابةِ المحامين[٤٦]، التي حصل على اجازتها عام ١٩٤٤، إلا انه كان متردداً في مزاولةِ المحاماة، وقد حصل على الاجازةِ من اجلِ الاستفادة من المدةِ فقط، لأنه كان ينظر إلى المحاماةِ نظرة يشوبها الازدراء، ويعتقد ان المحاماة ليست كفاءة قانونية وموهبة في المرافعاتِ، بل هي استغلال للنفوذِ بالدرجةِ الأولى، لذلك فضل الوظيفة عليها[٤٧].

- **دور عطا عبد الوهاب الوظيفي في العهد الملكي**:

بدأ عطا عبد الوهاب يفكر جدياً بالوظيفةِ والتعيّين وهو طالباً في كلية الحقوق، وقد أسهم تعيين شقيقه زكي كاتباً في البريدِ المركزي في فتحِ الطريق أمامه لاقتفاء الطريق نفسه، لاسيما مع رغبتهِ بالاستقلالِ المادي وان كان جزئياً، وعدم معارضة الأسرة على ذلك، الامر الذي جعله يتخذ قراراً نهائياً بهذا الشأن، رغم تخوفه من تأثير انشغاله الوظيفي على دراستهِ[٤٨].

على هذا الاساس، عيّن عطا عبد الوهاب في صيف ١٩٤٥، كاتباً مستخدماً في مديريةِ الأمراض المتوطنة[٤٩]، في المستشفى الملكي[٥٠]، براتبٍ قدره عشرة دنانير، وقد بدأ عطا عمله في الدائرةِ بالتدريبِ على الآلةِ الطابعة حتى اتقنها، وأصبح قادراً على طباعةِ الكتب بدون أخطاء، ثم تدرب على استعمالِ المجهر، حتى ان الموظف الصحي أخذه العجب فقال لعطا: "انته راح تصير نصف موظف صحي بأسبوع"[٥١]. وخلال عامه الوظيفي الأول، تمكنت إدارة الأمراض المتوطنة من وضع نواة مكافحة مرض الملاريا، وقد نجحت في استئصال الوباء حتى أنجلى من العراق، وقد اثبت عطا وهو في سن الثامنة عشر جدارته بالوظيفةِ التي شغلها، لاسيما مع اصراره على الجمعِ ما بين العمل والدراسة وهو امر صعب للغاية[٥٢].

- **تعيين عطا عبد الوهاب ملاحظ تحرير في وزارة العدلية**:

من الواضح جداً، أن تردد عطا عبد الوهاب في ممارسة المحاماة بعد تخرجه، ورغبته الكبيرة في الاستقلالِ المادي، قد دفعاه إلى دخولِ السلك الوظيفي، وكان له ماراد عندما عيّن في اوائلِ عام ١٩٤٥ ملاحظاً للتحريرِ في وزارةِ العدلية، براتبٍ قدره

٢٥ ديناراً، ويبدو ان عطا قد استفاد من تجربتهِ في الأمراضِ المتوطنة، لذلك لم يجد أية صعوبة بعد مباشرته، وقد أبدى حرصاً كبيراً في وظيفتهِ الجديدة، فكان يأتي إلى الدوامِ مبكراً، ولا يخرج إلا بعد انتهاء ساعات الدوام، لكنه بعد أيام حس عطا: "ببساطة العمل وتفاهته أيضاً كونه لا يستغرق أكثر من ساعتين...، كان روتينياً صرفاً لا يعدو كتابنا وكتابكم، وترفق طياً وما أشبه من هذه الكليشات"، ونتيجة لهذهِ الرتابة، شعر عطا بالملل وحاول القيام بأعمال أخرى، من بينها استصدار ارادات الملكية بواسطةِ مجلس الوزراء لتخفيضِ احكام المحكومين، تختلف عن الطريقةِ السابقة، إذ كان يلخص القضية ببضعةِ سطور ثم يعطي مبررات التخفيض بلغةٍ فنيةٍ جميلة، ويرفعها إلى مديرهِ العام عبد الجبار التكرلي[٥٣]، الذي يقوم بدوره بإرسالها إلى نوري القاضي[٥٤]، سكرتير عام مجلس الوزراء، وفي أحدِ الايام طلب الأخير مقابلة عطا عبد الوهاب، فذهب له واستقبله بحفاوةٍ كبيرةٍ اشار اليها عطا في مذكراتهِ فقال: "استقبلني الرجل بحفاوةٍ اربكتني، فقام من مكتبهِ وصافحني بحرارةٍ ... وأخذ الرجل يطري عليَّ بحماسٍ انفعالي ويقول، بمحبةٍ شنوا هذا يا ابني...، ثم رفع من مكتبهِ عدة اضبارات بكلتا يديه وأردف، هذا شعر هذا، والله آني صار سنين ما قاري هيج شيء شنو هذا، اهنيك يا أبني اهنيك ... أنا تلفنت للتكرلي ليبعث بك عندي لأراك قبل أن اوقع هذه المعاملات، لأني حين قرأت المكاتيب تعجبت، وقرأتها مراراً لاستمتع بها مرة بعد مرة، ثم تلفنت استفسر عن الكاتب، فلما اخبرني التكرلي انه أنت قلت له ابعثه لي لأراه وأهنيه"[٥٥].

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فقط، بل وصل أمر استحسان عمل عطا عبد الوهاب إلى وزير العدلية أحمد مختار بابان[٥٦] الذي استدعاه إلى مكتبهِ، وهو الأمر الذي استغربه عطا لأنه يرتبط بالمديرِ العام وليس بالوزيرِ، وخلال لقائهما، كلفه الوزير بمهمةٍ تخص معاون الشرطة العام، المحكوم عليه بالسجنِ، وهنالك رغبة بإعفائهِ مما بقي من محكوميتهِ، طالباً منه كتمان الامر حتى عن المديرِ العام، ومن اجل ان يطلع القارئ الكريم على محاباةِ بعض الاقارب من جهةٍ، ونزاهة بعض الموظفين وعدم انصياعهم لرغباتِ الجهات العليا من جهةٍ أخرى، ننقل ما دونه عطا عبد الوهاب بهذا الصدد دون زيادة أو نقصان إذ قال: "أذكر ان ذلك وقع قبل أحد الاعياد ... أخذت

الملفات إلى الدارِ ولم اخرج منه في العيدِ، درستها دراسة دقيقة فجن جنوني، كانت القضية تتلخص بأن مدير الشرطة العام المحكوم عليه، والكردي أيضاً كالوزير، قد عذب متهماً بالسرقةِ على سطحِ معاونية شرطة الاعظمية، في عزِ الشتاء بسكبِ الماء البارد عليه ... وهو في عريٍ كامل، اصيب المتهم بالتهابٍ حاد في الرئتينِ وتوفي بسببه، فحوكم المعاون وأحد المفوضين وحكم عليهما بالسجن...، وقد وقعت السرقة في دارِ صديق لمديرِ الشرطة العام علي حجازي(٥٧). الذي ارعد وازبد مطالباً بالعثورِ على السارق من جوه الكاع، حقق المعاون رغبة رئيسه الأعلى بغيرةٍ شديدةٍ على ارضائهِ، تفوق الغيرة على القانونِ، فأودى بأحد المتهمين إلى جوّه الكاع فعلاً، ...، وضعت ورقة الوزير جانباً... ثم ابديت رأيي الذي يتلخص بأن معاون الشرطة قد عاقبته المحكمة بعقوبةٍ مخففة اصلاً، وان قطع دابر مثل تلك الاعتداءات الشنيعة على حقوق المتهمين كان يقضي بإيقاع عقوبة أشد به ... إذا اريد الآن اعفاؤه مما تبقى من محكوميتهِ المخففة بالأصل، فأن ذلك سيكون مساهمة في التعدي على القانون والتحدي لشعور الناس، وتشجيع عناصر الشر على الايغال في شرورها". وبعد أن انهى تقريره، ارسله إلى وزير العدلية أحمد مختار بابان، الذي قام بدعوةِ عطا إلى مكتبهِ، وكان الاخير يعتقد انه أمام مواجهة صاخبة، فذهب بأعصابٍ متوترةٍ، لكنه وجد الوزير واقفاً واستقبله ببشاشةٍ وقدم له تهنئة لإنجازهِ التقرير بهذهِ الكيفية، مبرراً موقفه بأن هناك ظروفاً معينة تستدعي العفو عن المحكومِ عليه، وبعد انتهاء هذا اللقاء كرر الوزير تهنئته له قائلاً: "انا اهنئك مرة أخرى على كفاءتك وجرأتك في قولِ الحق كما تعتقده، أنت محلّك ليس هنا ملاحظ تحرير، يجب أن تصبح مدعي عام"(٥٨).

- **تعيين عطا عبد الوهاب في القضاء**:

يبدو ان شعور عطا عبد الوهاب ببساطةِ عمله كملاحظ تحرير، وهو العمل الذي كان يغبطه عليه الكثير من الخريجين، وينظرون اليه نظرة اكبار، دفعه إلى البحثِ عن مكانٍ آخر، وقد وجد ضالته بصدورِ قانون جديد ينص على استحداثِ وظيفة نائب حاكم، حيث رشحه لهذا الموقع احمد مختار بابان، بحكمِ علاقته معه ومع اخيه الوزير جميل عبد الوهاب، وقد كانت صلاحيات نائب الحاكم محدودة، والغرض منها التدرب

على القضايا البسيطة قبل استلام الصلاحيات الواسعة، ولأن الدولة لا تكافئ الخريج الذي يسبق عمره، أكمل عطا معاملة تكبير سنة، ليتم تعيينه في أولِ وجبة من نواب الحكام التي جرى تعيينها بعد صدور القانون الجديد، كنائب حاكم في محكمة بداءة بغداد، وهو بسنِ الثانية والعشرين من العمر فقط(٥٩).

أبدى عطا عبد الوهاب حرصاً كبيراً اثناء عمله في القضاءِ، وكان همه الدائم ينصب على تحقيقِ العدالة، وعلى الرغمِ من قضائهِ اربعة سنوات في محاكمِ القضاء المختلفة، إلا انه كان يتابع تعديل قانون الخدمة الخارجية الذي يسمح لبعضِ موظفي الدوائر الأخرى الانتساب إلى السلكِ الدبلوماسي خلال مدة محدودة، بعد اجتياز اختبار اللغة الاجنبية، لذلك دأب عطا عبد الوهاب على دراسةِ اللغة الانكليزية، واتقنها على يدِ مدرس خصوصي، بحيث اجتاز الامتحان بكلِ سهولة ويسر، وبدأ يودع القضاء راضياً مرضياً، تاركاً انطباعاً حسناً دفع البعض من كبار المحامين إلى مراجعةِ المسؤولين لثنيهِ عن قرارِ ترك القضاء، وقد اتضح ذلك، عندما راجع عطا بنفسهِ مدير العدلية العام عبد الجبار التكرلي، فوجده متردداً في تمشيةِ معاملة نقله، وقد حاول اقناعه في العدولِ عن رأيهِ، لكن اصرار عطا دفع التكرلي إلى توقيعِ الكتاب وهو يقول: "خسرك القضاء وكسبتك الخارجية"، وعن هذا الموضوع تحدث عطا عبد الوهاب قائلاً: "تركت القضاء غير آسف على شيءٍ، وانتقلت للخارجية، وأنا اعرف هذه المرة ماذا اريد، وكان انتقالي نقطة تحول حاسمة في حياتي، وكان ذلك الانتقال بداية جهد جديد ومثمر في الطموح الثقافي والصقل الروحي والفكري معاً، وبداية حياة جديدة ومثمرة أيضاً في زيجة سعيدة، وبداية اسفار كثيرة"(٦٠).

- **عمل عطا عبد الوهاب في الخارجية**:

بدأ عطا عبد الوهاب عمله في الدائرةِ الاقتصادية في ديوانِ الخارجية ببغدادِ، وبقى فيها أكثر من عام، إذ تم نقله كنائب قنصل أول في القنصليةِ العامة في نيويورك، وهو الامر الذي شكل صدمة له، لرغبتهِ وطموحه في النقلِ إلى لندنِ التي اعتبرها مصدر الاشعاع الحضاري، لكن الأمور اختلفت بعد تعرفه على معالمِ مدينة نيويورك الحضارية، واندمج بعملهِ الذي كان عباره عن تمديدِ وتجديد جوازات العراقيين، ونتيجة

لسهولةِ عمله في القنصلية، تمكن عطا عبد الوهاب من الدخولِ إلى جامعة كولومبيا، ودراسة موضوعات متعددة، منها الأدب الإنكليزي. وخلال هذه المدة، أصبح عطا عبد الوهاب القنصل العام بالوكالةِ لمدةِ ثلاثة أشهر، بسبب تأخر مجيء القنصل الجديد عبد الكريم الكيلاني[٦١]، قام خلالها بالتواصل مع الطلاب العراقيين المتواجدين في نيويورك ومتابعة شؤونهم، ومعرفة احتياجاتهم، فقدم لهم رعاية كبيرة وعناية خاصة، لأنهم يشكون الاهمال رغم وجود دائرة خاصة بهم[٦٢].

وينبغي الاشارة إلى، ترفع عطا عبد الوهاب عن التوددِ لأصحابِ الفخامة والزعامة رغم علاقته معهم، بغية الحصول على مكاسبٍ خاصةٍ، ومنهم الحبيب بورقيبة، الذي ذكره عطا في مذكراتهِ فقال: "ومضت السنين وصار الحبيب رئيساً لجمهورية تونس، والباهي الادغم رئيساً للوزراء لأكثر من عقدٍ من الزمان، وكان بوسعي الانتفاع من صداقتي المتجددة معه ايام بؤسه، ولكن حاشا، لأن الصداقة تصبح استغلالاً، وهو ما تعافه نفسي"[٦٣]. لاشك في ان ذلك موقفاً كبيراً يحسب لـ(عطا)، لاسيما ونحن نعيش في زمن كثر فيه المتملقون والانتهازيون، اللاهثون وراء المواقع بأي ثمن كان، من اجل منفعة زائلة، ودنيا فانية، وجاه موهوم.

وبعد نجاح عطا عبد الوهاب في عملهِ في القنصليةِ، نقل إلى الوفدِ الدائم لدى هيئة الأمم المتحدة، وقد تميز بقيامهِ بأعمال خارج اطار عمله المكلف به، وبعضها لا يخلوا من المجازفةِ، فقد تعقب النشاط الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية، وكتب عنه تقاريراً للخارجيةِ العراقية، وبهذا الصدد، نترك الكلام لـ(عطا عبد الوهاب) ليتحدث عن نفسهِ حتى يطلع القارئ الكريم على نشاطهِ في هذا المضمار، فقال: "منذ عملي في القنصليةِ وانا اتعقب النشاط الصهيوني في امريكا، واواصل كتابة التقارير عنه للخارجية، ورغم نقلي للأممِ المتحدة وزيادة اعمالي، فأن نشاطي ذلك لم يتوقف، كنت اتعقب ما يكتب في الصحفِ والنشرات الصهيونية والكتب التي تصدرها منظماتها، وكنت دائماً اتشوق لحضورِ اجتماعات المنظمات الكبرى التي كانت تعقد باستمرار لجمعِ التبرعات"[٦٤]. ويبدو ان اهتمام عطا عبد الوهاب بالحركةِ الصهيونية قد دفعه إلى كتابةِ أطروحته للترفيعِ من درجةِ ملحق إلى درجةِ سكرتير عنها، وكانت بعنوان

"الصهيونية والمنظمات الصهيونية في امريكا"، وهو من الموضوعات الصعبة التي استغرق اكمالها ما يقارب الثمانية اشهر، تنقل فيها عطا بين مكتبات مختلفة حتى اضطر إلى الذهاب إلى مكتباتِ المنظمات الصهيونية وهو امر لا يخلو من المجازفةِ، لكن الأطروحة اكتملت، ونالت اعجاب وزارة الخارجية فمنحته درجات عالية فيها(٦٥).

ومهما ما يكن من امر، فقد شهد عام ١٩٥٢ زيارة رسمية للملك فيصل الثاني(٦٦)، والامير عبد الاله(٦٧)، إلى الولايات المتحدة الامريكية، وقد كان عطا يحمل في ذهنهِ تصوراً عن الملكِ فيراه صبي مغرور، مغلوب على امره، وقد لا يرى اليوم الذي يتوج فيه. وينطبق الامر نفسه، على الامير عبد الاله، الذي كان يصفه بالمتآمرِ على العرشِ، وانه العوبة بيدِ الغير، ولا يعرف من شؤون الدنيا سوى ملذاته، والانكى من ذلك، ان عطا عبد الوهاب، قد رفض الذهاب إلى حفلةِ تخرجه من كلية الحقوق ١٩٤٤، واستلام شهادته العلمية بسبب كرهه للأمير عبد الاله(٦٨).

وفق هذه معطيات، تعامل عطا بوصفهِ موظفاً في الدولةِ العراقية مع الزيارة الملكية الرسمية بتجردٍ، وبدأ يتواصل مع الوفدِ ليتسنى له معرفته عن قرب، ونتيجة لذلك وجد عطا عبد الوهاب الملك بأنه "شاباً متعلماً، ذكياً، دمثاً، بسيطاً، سريع البديهة، متفتح الذهن، ممتلئاً بآمال الخدمة العامة دون جعجعة ... انه باختصار فتى يدخل إلى القلب رأساً، وقد عجبت من نفسي كيف أن حقيقته البينة للعيانِ تختلف تماماً مع ما تلوكه الاشاعات عنه، فترميه بالغباء وانعدام الشخصية والعجز"(٦٩).

وفيما يخص الأمير عبد الاله، فبعد أن عرفه عطا عبد الوهاب عن قربٍ تغيرت نظرته له، وكتب عنه هذا الكلام فقال: " كان الأمير رجل قوي الملاحظة، كثير السؤال، محباً للنقاشِ، لم ترضيه اجوبة المحيطين به من الكبار...، وإذا لم يقتنع بالجوابِ وجه السؤال اليَّ، فأجيبه بصراحةٍ وببساطة، وما لبثت الصورة القديمة عنه اهتزت في ذهني...، وخلال الزيارة دعاني الأمير ذات مساء للعشاءِ مع زوجتي، وفي تلك الليلة، تبسط الأمير في احاديثهِ، وإذا به يسألني فجأة ما هو رأيكم بي أنتم الشباب، فلم أتردد، اجبته فوراً نحن نعتقد أنك انسان لئيم، فقال بحدة : "انا لئيم، لو كنت لئيماً فكيف اوافق على تعيينِ موسى الشابندر(٧٠) سفيراً للعراق في واشنطن، وظل الأمير يردد انا لئيم،

كيف اذن اعيد جماعة رشيد عالي الكيلاني[٧١] المشتركين في حوادث ١٩٤١ إلى الوزارةِ، قلت له أنت سألتني ما هو انطباعنا نحن الشباب، فأجبتك بصراحةٍ، ولم ازد ولم اتوسع، وكنت اظن ان غضبه سيتفاقم، لكنه طوى الحديث سريعاً، وعاد إلى تبسطهِ وفكاهاته، وكانت ليلة لطيفة" [٧٢].

وفي الوقت الذي كان يلتزم فيه موظفي الخارجية بالتعليمات الحكومية كافة، شذ عطا عبد الوهاب عن ذلك، فطلب من رئيسِ مكتب العراق الدائم في مقر الامم المتحدة عوني الخالدي[٧٣]، اتخاذ مواقف مغايرة الامر الذي رفضه الخالدي، مؤكداً على انه موظفاً تابعاً للحكومةِ ومن واجبهِ تنفيذ تعليماتها، وطالب عطا بالانصياعِ للأوامرِ او الاستقالة والذهاب للمعارضةِ، لكن الاخير مضى في سلوكهِ واتخذ مواقفاً مغايرة اثناء عمله مساعداً في اللجنةِ السياسية الخاصة في الأممِ المتحدة، إلى جانب موسى الشابندر، ورغم ذلك لم يتعرض إلى المحاسبة لا من بعيد ولا من قريب[٧٤]. ويبدو ان معارضته كانت حول موضوعات غير جوهرية، عبّر فيها عن وجهةِ نظره حول قضايا معينة، لذلك لم تكن معارضته بالمعنى المعروف عنه مخالفة النظام السياسي القائم آنذاك.

أنتقل عطا عبد الوهاب في خريفِ ١٩٥٥ إلى السفارةِ العراقية في بيروت، ليعمل سكرتيراً فيها إلى جانبِ شقيقه جميل عبد الوهاب، ويبدو ان عمله في السفارةِ لم يكن سهلاً لأن السفير جم النشاط كثير الحيوية، يجمع بين متطلبات العمل الدبلوماسي والتحرك السياسي باندفاع كبير، وينعكس هذا الامر بطبيعة الحال على شكلِ برقيات وتقارير يكتبها السكرتير، لاسيما وان تعامل السفير مع السكرتيرِ لم يكن بحكمِ المركز الوظيفي فقط، بل لما تنطوي عليه علاقة الأخ بأخيه من تسويل للتكليفِ بمزيدٍ من الواجباتِ حتى في الليل، وهذا ما دفع عطا إلى القول، "كنت كالخفر الدائم، وبالتدريج اخذت احس بالمحاصرةِ لا بالمنزلِ كما كنت محاصر في بغداد، بل في دارِ السفارة وفي خضم العمل الذي لا تحده ساعات الدوام، وتفرضه علاقتي الشخصية بالسفير"[٧٥].

وينبغي الاشارة إلى، ان تعيين عطا عبد الوهاب سكرتيراً في السفارةِ العراقية في بيروت قد تزامن مع اشتداد الخصومة بين النظامين العراقي والمصري، وغالباً ما كان يخرج الخلاف عن اصولِ الخصام السياسي والخلاف العقائدي، لأن الناصريين

يعتمدون على الكذبِ والافتراء والمغالطة في حملاتهم الدعائية ضد العراق، ونتيجة لقيام العدوان الثلاثي على مصر، عقدت في بيروت في تشرين الثاني ١٩٥٦ قمة عربية، حضرها معظم ملوك ورؤساء الدول العربية، وكان الوفد العراقي برئاسةِ الملك فيصل الثاني، وقد أصبح عطا عبد الوهاب سكرتيراً للوفدِ، وحضر جميع الجلسات بهذهِ الصفة، وقبل انعقاد الجلسة الختامية، طلب احمد مختار بابان من عطا كتابة كلمة لجلالةِ الملك فيصل الثاني، حتى يلقيها في الجلسةِ الختامية، تتضمن وقوف العراق إلى جانبِ مصر، ومع الاجماع العربي في ما تقره القمة، على أن يرى الكلمة قبل افتتاح الجلسة، وقد جاء هذا التكليف بسبب اعجاب احمد مختار بابان عندما كان وزيراً للعدلية في منتصف الاربعينيات بأسلوب كتابة عطا الذي كان حينها ملاحظاً للتحرير في الوزارة، وفقاً لذلك، كتب عطا عبد الوهاب مسودة الكلمة بطريقتهِ التي عبر فيها عما يدور في اذهان جيله، فسمى الاشياء بأسمائها، ولم يتمسك حرفياً بالتوجيهات، وبعد ان اكملها عرضها على احمد مختار، فقرأها بإمعان وقال: "هذا خطاب طويل ونحن نريده مختصراً، الذي كتبته جميل وانا اشاركك فيه، لكن الذي سيلقيه هو الملك، فلا ينبغي أن يقرأ مثل هذا الكلام"، ثم كتب احمد مختار بنفسهِ مسودة مختصرة لا تخرج عن نطاق التعليمات، وكانت هي خطاب الملك الوحيد في القمة(٧٦).

تعيين عطا عبد الوهاب سكرتير خاص للملك فيصل الثاني والأمير عبد الاله:

من الواضح ان وجود عطا عبد الوهاب في السفارةِ العراقية في بيروت قد اتاح له فرصة التعرف على كبارِ الشخصيات العراقية، ومنها العائلة المالكة، حيث التقى بالملكِ فيصل الثاني والأمير عبد الاله مرات متعددة، آخرها عندما زار وفد عراقي الولايات المتحدة الامريكية، وقد مر ببيروت، حيث قام اعضاء السفارة باستقبالهِ في المطارِ، ولما شاهد الأمير عبد الاله، عطا عبد الوهاب اندهش وقال مبتسماً "هاي أنته هنا"، ثم قام السفير جميل عبد الوهاب وشقيقه عطا بضيافةِ الوفد في منزلهما، وقد تحدث عطا عبد الوهاب ونال حديثه اعجاب وتأييد الأمير عبد الاله، الأمر الذي ادخل البهجة والسرور إلى قلبِ السفير. ونتيجة للعلاقةِ الطيبة التي اسسها عطا عبد الوهاب مع الملكِ فيصل الثاني والأميرعبد الاله، جاءت إلى السفارة العراقية في بيروت في صيف عام ١٩٥٧ رسالة من

البلاط الملكي تبين رغبة الملك وسمو الأمير بإعفاء عطا عبد الوهاب من عملهِ في السفارة، واعارته من الخارجية إلى الديوانِ الملكي بوظيفةِ سكرتير خاص للملكِ فيصل الثاني والأمير عبد الاله، وعلى الرغمِ من قناعةِ السفير التامة بهذا المنصب الرفيع، وإيمانه بأن هذا الموضوع لا يحتاج إلى تفكير، لكنه لم يفرضه على اخيه، وطلب منه الاسراع باتخاذ القرار المناسب حتى يجيب على رسالةِ البلاط(٧٧).

ومما يحسب لـ(عطا عبد الوهاب) انه دائم الاستشارة، لذلك طرح الموضوع على اصدقائهِ المقربين، ثم على شقيقهِ زكي الذي يعتبره مثله الاعلى، وقد نصحوه جميعاً بقبولِ المنصب، ولقناعةِ عطا بأن الاصلاح مرهون بالتغييرِ السلمي التدريجي، وان البديل الممكن الذي يتطلب القرب من مركزِ القرار، لاسيما مع وجودِ الانطباع الايجابي على الملكِ والأمير عبد الاله على حدٍ سواء، لذلك وافق على الانتقالِ إلى الديوانِ الملكي(٧٨).

لاشك في ان الخدمةِ العامة، وفي اعلى مركز من مراكزِ اتخاذ القرار، يتطلب من عطا عبد الوهاب العمل وفق فلسفة واضحة لوضعها موضع التطبيق، لكن فلسفته كانت "تتلخص بتطبيقِ الدستور العراقي بكافةِ بنوده تطبيقاً سليماً، بحيث ان الملك يملك ولا يحكم، والأحزاب مجازة، والصحافة حرة، والحريات مصونة، والوزارة تتألف من حزبِ الاغلبية الذي يفوز بانتخاباتٍ حرةٍ نزيهةٍ، فلا تسقط إلا بحجبِ ثقة المجلس عنها". وعلى الرغم من تبني عطا عبد الوهاب لهذهِ الفلسفة إلا انه وصفها بأحلام اليقظة، أو السير خلف السراب، لكن الرصيد الضخم الذي يملكه الملك فيصل الثاني، من محبةِ الناس، يجعل هذا المنهج جدير بالتجربةِ مع وجودِ التباعد الذي يتفاقم يوماً بعد يوم بين الحكومة والمعارضة، وانه لا سبيل إلا بإجراء حوار مفتوح، لإيجاد نقطة التقاء بين الطرفين، وهذا يتطلب من الحكومةِ التراجع عن بعضِ إجراءاتها، ومن المعارضة التخلي عن تشددها(٧٩).

ومن أجل تحقيق ذلك الهدف، سعى عطا عبد الوهاب إلى كسبِ ثقة رجالات السياسة الكبار، ومنهم خليل كنا(٨٠)، الذي زاره عطا في مكتبهِ، فوجده من المعجبين بعملهِ منذ ان كان حاكماً في القضاءِ، ثم رسم لـ (عطا) صورة قلمية، وأعطى فكرة مختصرة عن شخصياتِ البلاط الملكي، ابتداءً من الملكِ والأمير، مروراً برئيسِ الديوان الملكي

وانتهاءً برئيسِ التشريفات، الامر الذي شجع عطا ودفعه إلى أن يجعل من هذا الرجل بوصفهِ من اقطابِ الحكم الملكي واحداً ممن يحدثهم بسياسةِ إعادة النظر في شؤونِ الحكم(٨١).

وينطبق الامر نفسه، على احمد مختار بابان، الذي يحترم عطا عبد الوهاب كثيراً، وسعى إلى نقلِ خدماته من القضاءِ إلى البلاطِ الملكي، وقد اخبر الأمير بأنه يعرف عطا جيداً، وان البلاط بحاجةٍ إلى شابٍ مثله، ثم خاطب عطا بالقول: "انت تستطيع أن تكون نافعاً مع سيدنا وانا سنداً لك"، هذا الامر جعل عطا عبد الوهاب يشعر بوجودِ السند في تطبيق افكاره الدستورية، وآراءه الحكومية الجديدة، لاسيما وان لـ (احمد مختار بابان) ثقل سياسي كبير، وصوت مسموع داخل البلاط الملكي (٨٢).

أما رجالات المعارضة، فقد كان لـ(عطا) علاقات مع بعضهم، وقد سعى عطا إلى جعلِ هذه العلاقات نواة لاقناع الأطراف اليسارية الأخرى، لاسيما بعد ان قرر الابتعاد عن الاضواءِ، وعدم حضور أية حفلة تقام من قبلِ السفارات الاجنبية، وقد وصف عطا رواد هذه الحفلات بأنهم من "مظاهري الحكم، وهم خليط عجيب لا يخلوا من قناصة الامتيازات غير المشروعة"، لذلك لم يحضر أية حفلة من هذه الحفلات طيلة عمله في البلاطِ الملكي(٨٣).

من الواضح جداً، ان ظروف العمل في البلاطِ الملكي قد اتاحت لـ(عطا عبد الوهاب) فرصة التقرب من الملكِ والأمير عبد الاله اكثر، والحديث معهم بأمورٍ متعددة، لاسيما اثناء سفرهم إلى اسطنبول، إذ خصص لـ (عطا عبد الوهاب) غرفة مستقلة لوحدهِ، وهو امتياز لم يحصل عليه سواه في الرحلةِ، لكن بعد وصول أسرته اليه من بيروت، طلب عطا الانتقال إلى فندقٍ على حسابهِ الخاص، وهو الامر الذي استغربه الأمير متسائلاً: "الست مرتاحاً هنا"، وبعد ان علم بمجيئِ الأسرة، قال الأمير كنا نتمنى ان تقيموا معنا لكن المكان ضيق، وقد احترمت العائلة المالكة هذا الموقف احتراماً كبيراً(٨٤).

وفي إحدى ليالي اسطنبول، جلس عطا مع الأمير عبد الاله وتحدثا بأمورٍ مختلفة، منها ذكريات الأمير عن رؤساء الديوان الملكي السابقين، فقال وبلا تردد كان رستم حيدر(٨٥) الافضل في عهدِ الملك فيصل الأول، ورغم خلافه التاريخي مع رشيد عالي

الكيلاني، لكنه اعتبره الافضل في بدايةِ وصايته، ثم بين عطا للأمير أهم ما يجب أن يتحلى به رئيس الديوان الملكي هو كيفية تطبيق الدستور بشكل أمثل، وأن يضع ذلك بين يدي الملك بوصفهِ مستشاره الأول، هذا الكلام دفع الأمير إلى الالتفاتِ إلى الجهةِ اليسرى من اليختِ، ومناداة الملك فيصل الثاني بصوتٍ مسموع، اسمع ما يقوله عطا، فكرر عطا حديثه والملك يصغى باهتمامٍ ثم خاطبه الأمير: " نحن بحاجةٍ إلى مثل هذا الشاب للعملِ معنا، لكن سرعان ما يصبح وزير ونخسره"، فقال عطا حينها: " انا لم اجئ للخدمةِ معكم لكي أصبح وزيراً، لا يا سيدي، فنظر الأمير إلى عطا نظرة اعجاب تنم عن حسنِ الاختيار، وقد خاطب الملك بالقولِ اسمع فيصل أسمع ماذا يقول". ويبدو ان، رحلة اسطنبول قد جعلت من عطا عبد الوهاب شخصاً مناسباً جداً للأمير عبد الاله، ليتحدث معه عن مستقبلهِ السياسي بصراحةٍ متناهيةٍ، إذ قال لـ(عطا) انه ربى الملك فيصل الثاني أربع عشرة سنة، تربية حسنة حتى توليه العرش، وانه يساعده في تحملِ مسؤولياته حتى يصبح ملماً بجميعِ امور البلاد، وكان يتحدث عن الملكِ كأب يتحدث عن أبنٍ فخور به فيقول: "اوصلته إلى مرحلةِ التتويج، والعراق قطع اشواطاً كثيرة إلى الامام، والآن سنزوجه، وينتقل إلى قصرهِ الجديد ويأتيه ولياً للعهدِ بعد ثلاثة سنوات على الأكثر"(٨٦).

ولم يقف الحديث عن الامور السياسية فقط، بل ان العلاقة الحميمة مع عطا عبد الوهاب، وقربه من العائلةِ المالكة قد دفعت الأمير إلى الحديثِ عن حياتهِ الخاصة. إذ كان الأمير متزوجاً من ثلاثة نساء لكنه لم ينجب منهن طفلاً، الامر الذي جعل الناس يعتقدون بأنه عقيم، لاسيما مع حبه الشديد لأطفال أسرته وابناء اصدقائه، حيث كان يلاعبهم بشغفٍ كبير، بحيث لاحظه عطا عبد الوهاب فسأله "يا سمو الأمير انك مغرم بالأطفال ... التزم سكوتاً مشوباً بترددٍ كان بادياً على وجههِ، ثم قال سألني مرة عمي الملك عبد الله(٨٧)، لماذا لا تنجب ذريه ؟ فتهربت من الجوابِ، وراح بنظرهِ بعيداً ثم اردف، نحن نقتل، لا اريد ذرية، نحن نقتل ولكن الهاشمين سيبقون"(٨٨).

وفي الوقتِ الذي كان يستعد فيه الوفد العراقي للعودةِ من اسطنبول، طلب الأمير عبد الاله من عطا عبد الوهاب مساعدته في ايجاد حل لمشكلةِ المقاعد، لأن الكثير من الاصدقاءِ يريدون العودة معهم في الطائرةِ نفسها وعدد المقاعد محدود، وبعد ان اطلع عطا

على قائمةِ الأسماء، وجدهم حاجزين أربعة مقاعد لعائلتهِ، فقال للأمير بالإمكانِ توفير ثلاثة مقاعد، لأني حجزت لزوجتي وولداي ثلاثة بطاقات، لإرجاعهم قبل سفرنا، الامر الذي اغضب الأمير كثيراً وقال: "أنتم من عندنا، انا ادخلت اسماؤهم، وعليك أن تلغي بطاقات اهلك"، ولاشك في ان هذا الموقف الكبير يعطي صورة واضحة عن اعتبار العائلة المالكة عطا عبد الوهاب واحداً منها وتنظر له نظرة خاصة. وبعد العودة من السفر، واصل عطا عبد الوهاب جهوده في تقريبِ وجهات النظر بين المعارضة والحكومة، ومن أجل اثبات حسن نية الحكومة، سعى عطا إلى اطلاق سراح كامل الجادرجي(٨٩)، الذي سجن لثلاث سنوات بسبب اتهامه للحكومةِ بفتحِ خط انابيب النفط إلى حيفا لمساعدةِ الكيان الصهيوني في عدوانهِ على مصر عام ١٩٥٦، وفي ظلِ الاجواء المشحونة، وازدياد تذمر الناس، خاطب عطا الأمير بالقول: "من حق الناس أن يتذمروا حين يجدون أحد الزعماء السياسيين في السجنِ، وقد لا يكون الجادرجي يعلم بكذبِ الاشاعة عندما طيّر برقيته، وهو على كل حال سياسي، والسياسة في شرقنا تبيح اللجوء مع الاسفِ إلى استخدامِ الاشاعات سلاحاً لمآربها"، وقد اغضب هذا الكلام الأمير وقال: "الجادرجي اتهم الحكومة اتهاماً كاذباً، وثبت ذلك في المحكمةِ، والدفاع عنه منطق عجيب وغير مقبول"(٩٠).

وعلى الرغمِ من تزمت الأمير حيال قضية الجادرجي، إلا ان عطا كان يتحين الفرصة في كلِ مرة ليتحدث عن اطلاق سراحه، لأن ذلك سيسهم في تقريبِ المسافات بين الحكومة والمعارضة، وقد تمكن من ذلك، واطلق سراح كامل الجادرجي في اواخرِ حزيران ١٩٥٨(٩١).

وبمرورِ الوقت، أصبح عطا عبد الوهاب ثقة الأمير عبد الاله، والشخص المحبب بالنسبةِ له، لذلك بدأ يصطحبه في سفراتهِ إلى دولِ العالم المختلفة، حيث ذهب الأمير في خريفِ ١٩٥٧ بزيارةٍ رسميةٍ إلى دولتي الصين واليابان، وقد كانت سفرة طويلة، حصل فيها عطا على اوسمةٍ رفيعةٍ، وفي الوقت الذي كان فيه، بعض أعضاء الوفد يتنابزون بشأن درجة الوسام الممنوح لكل منهم، ويتدافعون أمام عدسات الكاميرات لالتقاطِ الصور، كان عطا ينظر إلى الوسامِ الممنوح كحلية لطيفة للذكرى ليس إلا، ويتحاشى الظهور في الصورِ، ليتجنب القفز إلى دائرةِ الاضواء بلا مبرر، حتى ان احد معارف

عطا قد شاهد فلماً مصوراً عن هذهِ السفرة في احدى دور العرض، فأعتقد ان عطا لم يكن ضمن الوفد المسافر، لأنه لم ير له أية صورة، الامر الذي يوضح بأن عطا كان يعمل بصمت، بعيداً عن الإعلامِ، لذلك ثمنه الامير عندما انتقد أعضاء الوفد في حديثهِ مع احمد مختار بابان قائلاً: "لماذا يتصرف هؤلاء هكذا، وعطا على خلافهم، وهم أكبر منه سناً، وربما أكثر راتباً"(٩٢).

مما سبق يبدو واضحاً، ان اعتماد الأمير عبد الاله على عطا عبد الوهاب كان كبيراً، ويعتبر كلامه دقيقاً، لذلك كان يأخذ باستشارتهِ ويتخذ القرارات المناسبة بناءً على ما يطرحه عطا في موضوعاتٍ شتى، أما الملك الشاب فيصل الثاني، فقد كان عاجزاً عن اتخاذ أي قرار من دون استشارة خاله الامير عبد الاله، الامر الذي يؤكد حقيقه ما يتداوله الناس، بأن الحكم الفعلي للبلاد كان بيدِ الأمير عبد الاله وليس بيدهِ.

وفي سفرةٍ اخرى للأمير عبد الاله كانت إلى لندن، اصطحب فيها عطا عبد الوهاب، لاختيارِ مدرسة مناسبة لخطيبةِ الملك فيصل الثاني الأميرة فاضلة، لصقلِ لغتها الانكليزية، تبين ان الأمير عبد الاله غير ملماً بالأمورِ السياسية، ويجهل بعض مصطلحاتها، وقد كان ذلك واضحاً عندما تحدث في الطائرةِ عن حسنِ ظنه في عبد الوهاب مرجان(٩٣)، وقدرته على تشكيلِ الحكومة وإدارة البلاد، وقد ايده عطا بالقول: "انه رجل طيب، افكاره تقدمية"، وقد استوقفت الكلمة الأخيرة الأمير فتساءل عن معناها، فأخبره عطا بأنه من مؤسسي الحزب الوطني الديمقراطي، وقد تنافس في انتخابات اللجنة المركزية للحزبِ لكنه فشل فيها تجاه المرشح زكي عبد الوهاب، وقد استغرب الأمير ذلك، لأنه لا يعلم أن عبد الوهاب مرجان من مؤسسي الحزب الوطني الديمقراطي، ولا يعلم أيضاً، ان زكي عبد الوهاب شقيق سكرتيره الخاص عطا عبد الوهاب، وهو ما يعكس ضعف الأمير من الناحية السياسية، وعدم معرفته بالمحيطين به والمقربين منه(٩٤).

لاشك في ان اطلاع القارئ الكريم على حديثِ عطا عبد الوهاب، وذكرياته مع الأمير عبد الاله، سيعطي صورة واضحة عن ابرز الشخصيات في العهد الملكي وإدارتهم للبلاد، وقد تحدثا بأمورٍ كثيرةٍ ومحطاتٍ مختلفة، منها احداث مايس ١٩٤١،

حيث ذكر الأمير في حديثه لـ(عطا)، ان العقداء الاربعة قد ركبوا رؤوسهم، وطاشوا بغرورهم، ولم يقدروا الاوضاع تقديراً حسناً، وان بعضهم كان مدفوعاً بطموحاتٍ شخصيةٍ. بالمقابل، نقل الأمير لـ(عطا عبد الوهاب) حادثه عن رشيد عالي الكيلاني، توضح مدى طموح بعض الشخصيات السياسية، ورغبتهم بتحقيق مكاسبهم الخاصة على حسابِ المصلحة العامة، فقال بهذا الصدد: "كان رشيد عالي رئيساً للديوان الملكي، ونوري سعيد رئيساً للوزراءِ ووزيراً للخارجية، وحدث خلاف حول تفسير مادة معينة في المعاهدةِ العراقية – البريطانية، قال لي نوري باشا، سيدي ادعونا انا ورشيد على الشاي في قصرِ الرحاب، قلت له ما الموضوع قال سترى، وبالفعلِ دعوتهما وحضرا، وكان الباشا يحمل ورقة ملفوفة، فقام من كرسيه وقال لي سيدي ارجو ان توقع لنا هذه الارادة، نظرت فإذا بها تولية الكيلاني على الاوقاف القادرية، وقعتها وناولتها لـ (رشيد) فقرأها وانفرجت اساريره، ثم فتح الباشا موضوع تفسير مادة المعاهدة، وفي الحالِ ايده رشيد على تفسيرهِ"(٩٥).

لم يقتصر عمل عطا عبد الوهاب في البلاطِ الملكي على وظيفتهِ بوصفهِ سكرتيراً خاصاً، بل كان ناصحاً وموجهاً في امورٍ شتى، وكانت استجابة الأمير لذلك سريعة، لأنها تصب في مصلحةِ المملكة العراقية. من هذا المنطلق، تحدث عطا مع الأمير حول اهمية استخدام الإعلام بشكلٍ علميٍ مقبول، لاسيما وان الأمير قد استفسر من عطا عن انطباع الناس عن الاذاعة، لأنه علم بأنهم لا يسمعون اذاعة بغداد لأنها لا تذكر الأخبار العالمية، وقد اخبره عطا بأن الاذاعة تجاهلت خبر الوحدة المصرية السورية، وهو حدث عربي مهم، لذلك يستمع الناس إلى اذاعاتٍ أخرى، وقد امتعض الأمير كثيراً، وبدأ بمتابعةِ الموضوع شخصياً(٩٦).

ونتيجة لتقبل الأمير لنصائحِ وتوجيهات عطا عبد الوهاب، بادر الاخير إلى تحذيرهِ من خادمهِ الخاص في البلاط، وهو رفيق طفولته عندما كان في الحجاز، وقد جاء مع الأميرِ إلى العراق ليعمل في خدمتهِ، لكنه بدأ يعمل بتجارةِ الاراضي، وهي اعمال تسيء إلى الأميرِ وتدفع الناس إلى الصاق التهم به وهو لا يعلم، وقد اندهش الأمير عندما اخبره عطا بذلك، فأستدعى خادمه، وعنفه بالقول: "هل انت محتاج، وإذا محتاج لماذا لا تخبرني،

أنا لا اقصر بحقك"، ثم قدم الأمير شكره لـ(عطا) معتبره الشخص الوحيد الذي يصارحه في مثلِ هذه الامور[٩٧].

ويبدو ان ارتياح الأمير كان كبيراً بوجودِ عطا عبد الوهاب إلى جانبه، لأن الاخير كان مستمعاً جيداً لهموم الأمير، لاسيما السياسية منها، وسياسة تقريب الاقارب والاصهار في الحكم، وقد تحدث الأمير في اكثرِ من مناسبةٍ عن هذا الموضوع، وحتى لا يكون كلامنا تنظيراً، ننقل بعض الشواهد التاريخية بهذا الصدد، فعندما قرأ عطا عبد الوهاب اسماء الوزراء الذين اختارهم احمد مختار بابان، توقف الأمير عند ذكر اسم محمود بابان[٩٨] فقال: "زودها بابان"، لأن الوزير المذكور صهر رئيس الوزراء، وينطبق الامر نفسه، على اركان العبادي[٩٩] صهر جميل المدفعي[١٠٠] رئيس الوزراء الاسبق، الذي اجرى بوصفهِ وزيراً للشؤونِ الاجتماعية تعداداً عاماً للسكانِ عام ١٩٥٧، فأظهرت النتائج ان العدد قد قارب الثمانية ملايين نسمة، فأتى إلى الأمير ليقترح عليه اضافة مليونين نسمة من اجلِ الدعاية في الخارج، الامر الذي استهجنه الأمير، واخبر عطا بانزعاجهِ من هذهِ السياسة، مشيراً إلى ان ظروف العراق قد فرضت على الحكم استيزار اشخاص بعينهم. ولم يقف الامر عند ذلك الحد، بل زاد تذمر الأمير من هذهِ السياسة، حتى سأل عطا في إحدى الامسيات، "لماذا لم تخبرني ان فلاناً وكان محامياً مغموراً، هو نسيب فلان الفلاني، وكان من وزراء المالية السابقين، لماذا استغفلوني وحجبوا عني المعلومات، فربما كنت اتخذت موقفاً آخر تجاه الاثنين[١٠١]. وفقاً لذلك، نجد ان الأمير كان ينتظر المعلومة ولا يبحث عنها، لذلك غابت عنه الكثير من المعلومات المهمة طيلة وجوده في مواقع المسؤولية.

وبمرور الايام، أصبح لـ(عطا عبد الوهاب) كلمته المسموعة داخل البلاط الملكي، فالذي يقوم بتزكيته يصبح أمر تعينه نافذاً، وقد حدث ذلك بالفعلِ عندما شغر منصب مندوب العراق الدائم لدى الأمم المتحدة، حيث رُشح عبد المجيد عباس[١٠٢] من قبل محمد فاضل الجمالي[١٠٣]، وهاشم جواد[١٠٤] من قبل باش اعيان[١٠٥]، لكن الأمير عبد الاله استشار عطا عبد الوهاب بالأمر، فكانت اجابته بأن هاشم جواد أميز من عبد المجيد عباس، لذلك رجحت كفته وتم تعيينه بهذا الموقع[١٠٦].

بالمقابل، احتاج احمد مختار بابان عندما شكل آخر وزارة في العهد الملكي، دعم عطا عبد الوهاب لإقناع الأمير ببعضِ الاجراءات الاقتصادية، وحتى نكون دقيقين في الطرحِ، ننقل ما كتبه لنا عطا عبد الوهاب حول هذا الموضوع عندما قال: "دخل إلى مكتبي في البلاطِ احمد مختار بابان، وهو يحمل بيدهِ قصاصة ورق، وقال لي بكلِ بساطة جئت اريد مساعدتك ... أنا اعلم ان الأمير يعتمد على رأيك ويثق بك، وسأدخل عليه الآن وأعرض عليه هذه النقاط، واريد منك ان تدعمني، ناولني القصاصة وقد كتب عليها بخطِ يده ست نقاط كأنها رؤوس اقلام منها، تعديل اتفاقية النفط، وحل مشكلة الاراضي، واطلاق الحريات..." (١٠٧). وبما ان رئيس الوزراء يحتاج الى دعم عطا عبد الوهاب لتمريرِ مشاريعه، فلا حاجة أذن للحديثِ عن قيمةِ عطا السياسية وثقله في البلاط أواخر العهد الملكي.

ومن الامور الايجابية، التي سعى عطا عبد الوهاب إلى تحقيقها في البلاطِ الملكي هي اجراء لقاءات دورية، تجمع الملك فيصل الثاني مع بعضِ الشباب المثقف في البلادِ، من اجلِ التعارف وتبادل وجهات النظر، وقد ايد الأمير عبد الاله هذا المسعى، مقترحاً اقتصار اللقاءات في البدايةِ على الرجالِ حتى يتزوج الملك، فتصبح اللقاءات مع الرجالِ وزوجاتهم، لكن ضغط الاحداث السياسية المتلاحقة قد أجل القيام بمثلِ هذه اللقاءات(١٠٨).

لاشك في ان المتحدثين عن سيرةِ العائلة المالكة، لاسيما الأمير عبد الاله والملك فيصل الثاني كثر، لكن كلام عطا عبد الوهاب اكثرهم دقة، بحكمِ عمله داخل البلاط، واهل الدار ادرى بالذي فيه كما يقال، ومن المواقفِ الكبيرة التي ينقلها لنا عطا عبد الوهاب أواخر العهد الملكي، هي نصيحة احد الشخصيات المقيمة في مصر إلى الأمير عبد الاله اثناء زيارته له في قصرِ الرحاب، حيث قال للأمير ان الوضع متفجر في المنطقةِ، والمستقبل مجهول، ومن الأفضل ايداع شيئاً من اموالكم في الخارجِ، الامر الذي دفع الأمير إلى القول: "وماهي اموالنا ... إذا كانوا لا يريدونا هنا فنحن نذهب كما جئنا، نذهب بأنفسنا لانحمل شيئاً كما جئنا، وقد من الله علينا بالملكِ وسعت العيش، وخدمنا البلد حسب اجتهادنا وطاقتنا، إذا كانوا لا يريدونا نذهب، أنا استطيع أن اعمل ولو كحمال لكي اعيش بكرامة"(١٠٩).

ولم يكتف عطا عبد الوهاب بذكرِ هذه المناقب للأمير، بل تحدث عن امورهِ الخاصة فقال: "كان الأمير يصوم شهر رمضان سنوياً، عن ايمان بالله، ويختم القرآن مرتين، يهدي الختمة الاولى لروحِ والده الأمير علي[١١٠]، والثانية لروحِ شقيقته الملكة عالية، وفقاً لذلك، "تذكرت ما كنا نعتقده عندما كنا نسمع ان الوصي غادر إلى سرسنك ليصوم رمضان، فنرميه بكلِ ما حرم الله من اشاعات مغرضة كانت تروج في المقاهي رواجاً عجيبا"[١١١].

وفيما يخص الملك الشاب فيصل الثاني، فقد تحدث عطا عبد الوهاب عن محبةِ الناس الكبيرة له، لاسيما عندما اعلن عن خطبتهِ رسمياً إلى الناس، إذ خرجت الجماهير بشكلٍ عفويٍ إلى الشوارعِ في هتافاتٍ واهازيج دوت لها سماء بغداد، لاسيما سكان الاحياء الفقيرة، وعند خروجه عشيته إعلان الخطبة، رأى الملك بنفسهِ فرح الناس وابتهاجهم الكبير به، وقد زاد تعلقهم بالملكِ في تلك الايام، إلى الحد الذي دفع الجماهير إلى التجمهرِ حول سيارته، محاولين رفعها على الاكتافِ، فأصيب بعضهم برضوضٍ من شدةِ التدافع، الامر الذي دفع الملك إلى القاءِ كلمة قصيرة بثت من خلالِ الراديو والتلفزيون، شكر فيها الناس، ورجاهم ضبط عواطفهم نحوه، لتجنبِ الأذى الذي اصاب بعضهم[١١٢].

وعلى الرغم من كل هذه العواطف، إلا ان صبيحة يوم ١٤ تموز١٩٥٨[١١٣] قد شهدت انقلاباً عسكرياً اطاح بالنظامِ الملكي، وادى إلى مقتلِ العائلة المالكة بطريقةٍ بشعةٍ، لذلك أصبح مصير عطا عبد الوهاب مجهولاً، وبدأ يحدث نفسه فيقول: لقد "ركبت سفينة غرقت ما عليّ وقد نجوت إلى ساحلِ الحياة القاحل إلا التزام الصمت"، ونتيجة لذلك، ترك عطا عبد الوهاب وظيفته، ولم يذهب إلى مكانِ عمله لشعورهِ بالألمِ، وحسرته على فقدِ ناس لم يجد فيهم إلا طيب الشمائل، لذلك وجد في ذهابهِ مساساً بكرامةِ الذكرى، واستمر بانقطاعهِ إلى ان صدر قراراً بفصلهِ من الوظيفةِ[١١٤]. وهكذا انطوت صفحة عطا عبد الوهاب الوظيفية في العهدِ الملكي، لتفتح صفحات جديدة امتدت لعقودٍ طويلة لاشك في انها جديرة بالبحثِ والدراسة.

الهوامش:

(١) الحيدر خانة : محلة في الجانب الشرقي من بغداد الرصافة، تمتد من حدود محلة قنبر علي من الشرق والشمال وقراغول من الشمال، ومحلة الميدان من الغرب والعاقولية وجديد حسن باشا من الجنوب، وفيها الجامع الشهير (جامع الحيدر خانة)، ويُعتقد ان حيدر المنسوبة اليه الخانة هو حيدر جلبي الشابندر، وهو أحد معاوني محمود باشا الخاصكي، الذي أصبح والياً لبغداد عام ١٦٥٦م. للمزيد من التفصيل ينظر: معن فيصل القيسي، جامع الحيدر خانة وأثره في الحركة الوطنية العراقية ١٩١٤-١٩٣٢ دراسة تاريخية، ط٢، دار ومكتبة البيارق للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٢١.

(٢) عطا عبد الوهاب: سلالة الطين سيرة مأساة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص٣٧-٣٨.

(٣) تعذر علينا معرفة إذ ما كان للشيخ عبد الرزاق ابناء من زوجته الثانية وهل لزوجته الثالثة ابناء غير ناجي الذي ذكرناه بالرغم من تواصلنا مع اسرته.

(٤) "المجمع العلمي العراقي" : أخذ اسمه من المجمع العلمي في دمشق، صدر نظام المجلس عام ١٩٤٧، على ان يكون مرتبطاً بوزارةِ المعارف، وتم انتخاب الشيخ محمد رضا الشبيبي بالإجماع، ليصبح أول رئيس للمجمعِ العلمي العراقي، وتوفيق وهبي نائباً أول للرئيس، وهاشم الوتري نائباً ثان للرئيس، وجواد علي سكرتيراً للمجمع. للمزيد من التفصيل ينظر: عبد الله الجبوري، المجمع العلمي العراقي نشأته – اعضاؤه – اعماله، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥؛ عبد الرحمن طارق عطية محسن، المجمع العلمي العراقي ١٩٤٧-١٩٧٠ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١٣.

(٥) زينب حسين ميوك، جميل عبد الوهاب ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨، ص٦.

(٦) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٢٥.

(٧) الاضبارة الشخصية لـ (جميل عبد الوهاب)، كلية القانون، جامعة بغداد، رقم الاضبارة (٣٨٤)، دفتر الجنسية، ص٢.

(٨) كلية الحقوق : أسست عام ١٩٠٨، بناءً على اقتراح ناظم باشا، ثم سميت كلية الحقوق عام ١٩٣٢، مدة الدراسة فيها أربعة سنوات، وتمنح لخريجيها شهادة البكالوريوس في الحقوق. للمزيد من التفصيل ينظر: عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب

البريطاني ١٩٢١-١٩٣٢، مراجعة، عالية عبد الرزاق الهلالي، ط١، بيروت، ٢٠١٧، ص٢٨٢-٢٩٩؛ ابراهيم خليل احمد، تطور السياسة التعليمية في العراق بين سنتي ١٩١٤-١٩٣٢، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد،١٩٨٠، ص١٣١-١٣٢ و ص٢٤٦-٢٤٨ و ص٣٠٩ .

(٩) زينب حسين ميوك، المصدر السابق، ص٦-١٢.

(١٠) نوري السعيد: نوري السعيد : ولد في بغداد عام ١٨٨٨، أصبح رجل بريطانيا الأول وعرّاب سياستها في العراق طيلة العهد الملكي وحتى اغتياله في ١٥ تموز ١٩٥٨. للمزيد من التفصيل ينظر: عبد الرزاق احمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢، مراجعة: كمال مظهر احمد، ط١، شركة التايمس للطباعة والنشر، بغداد،١٩٨٧ ؛ سعاد رؤوف شير محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤٥، مراجعة، كمال مظهر احمد، ط١، مطبعة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٥.

(١١) مقابلة شخصية مع الأستاذ لهب عطا عبد الوهاب في بغداد بتاريخ ٧ شباط ٢٠١٩.

(١٢) الاضبارة الشخصية لـ (زكي عبد الوهاب)، كلية القانون، جامعة بغداد، رقم الاضبارة (٩٢٣)، ص٤ و ١٩.

(١٣) فاضل حسين، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦-١٩٥٨، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٦٣، ص٣٠ و ص١٠.

(١٤) "الحزب الوطني الديمقراطي": تأسس في نيسان ١٩٤٦، يعد كامل الجادرجي ومحمد حديد وحسين جميل من ابرز اقطابه، وكان الهدف من تأسيسه تحقيق حياة ديمقراطية نيابية برلمانية سليمة والعمل على حسن توزيع ثمرات الانتاج، وتقليل الفوارق الطبقية، اسهم في تكوين جبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧ التي كان لها دور حاسم في اسقاط النظام الملكي وانتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. للمزيد من التفصيل ينظر: "مذكرات كامل الجادرجي وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠؛ فاضل حسين، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي في العراق ١٩٤٦-١٩٥٨، بغداد، ١٩٦٣.

(١٥) صوت الاهالي: هي لسان الحزب الوطني الديمقراطي، صاحب الجريدة ومديرها المسؤول كامل الجادرجي، تطبع الجريدة في مطبعة الاهالي ببغداد، مسجلة بدائرة البريد بالرقم ٤٩، رقم هاتفها ٥٢٣٢، سعر النسخة الواحدة عشر فلوس، ينظر: "صوت الاهالي"، العدد ١٢٦٨، ١ كانون الأول ١٩٤٦ ؛ عادل تقي عبد البلداوي، الموقف الرسمي للعراق وبريطانيا من صحيفتي

"الأهالي" و "صوت الأهالي" ١٩٣٢-١٩٤٣ (وثائق أمنية جديدة)، مراجعة، كمال مظهر احمد، مكتبة مصر دار المرتضى، بغداد، ٢٠٠٩.

(١٦) مقابلة شخصية مع الأستاذ لهب عطا عبد الوهاب في بغداد بتاريخ ٧ شباط ٢٠١٩.

(١٧) الاضبارة الشخصية لـ (عطا عبد الوهاب)، كلية القانون، جامعة بغداد، رقم الاضبارة (١٢٩٣)، ص٦ ؛ مقابلة شخصية مع الأستاذ لهب عطا عبد الوهاب في بغداد بتاريخ ٧ شباط ٢٠١٩.

(١٨) محلة المهدية : إحدى محلات بغداد القديمة في جانب الرصافة، تتوسط محلات البومفرج، والسيد عبدالله، وحمام المالح، والست هدية، ولد فيها العديد من الشخصيات السياسية ابرزهم الزعيم عبد الكريم قاسم، ويعتبر جامع المهدية ومسجد ملا جادر من معالم المدينة، للمزيد من التفصيل ينظر: عماد عبد السلام رؤوف، الاصول التاريخية لمحلات بغداد، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣، ص٢٧.

(١٩) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٩-٢٠.

(٢٠) مقابلة شخصية مع الأستاذ لهب عطا عبد الوهاب في بغداد بتاريخ ٧ شباط ٢٠١٩.

(٢١) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٢٣٥.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٢٣٦.

(٢٣) ابن سينا : من بلاد الافغان، ولد عام ٩٨٠م، انتقل مع أسرته إلى بخارى، ابوه من طائفة الاسماعيلية، شارك في اغلب علوم عصره، فلم يكن في زمانه فرع من فروع الثقافة الإنسانية إلا وأسهم فيه بقسطٍ وافرٍ، لذلك أصبح اسمه الاشهر بين اسماء فلاسفة الشرق واطبائه، لقب بـ "الشييخ الرئيس"، توفي وهو في سن الثامنة والخمسين من العمر. للمزيد من التفصيل ينظر: عباس محمود العقاد، ابن سينا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.

(٢٤) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٢٣٦.

(٢٥) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٥٠-٥١.

(٢٦) الثانوية المركزية تأسست عام ١٩١٩، وتعتبر من اقدم المدارس التي انشأت في بغداد الرصافة ، تقع بنايتها بالقرب من مجلس الامة سابقاً، أمام دائرة البريد العامة، تخرج منها الكثير من الشخصيات الثقافية والأدبية والسياسية أبرزهم محمد حديد وحسين جميل وضياء جعفر وابراهيم كبة وآخرين. للمزيد من التفصيل ينظر، خنساء زكي شمس الدين، المصدر السابق، رشا خلف جاسم السبعاوي، الإعدادية المركزية للبنين في بغداد ١٩٣٩-١٩٥٨ دراسة تاريخية،

مراجعة، الأستاذ المساعد الدكتور جبار درويش جاسم الشمري، ط١، مؤسسة ثائر العصـــامي، بغداد، ٢٠١٩.

(٢٧) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٢٨) الاضبارة الشخصية لـــ (عطا عبد الوهاب)، كلية القانون، جامعـــة بغـــداد، رقـــم الاضـــبارة (١٢٩٣)، هوية الطالب، ص٥.

(٢٩) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٨٠.

(٣٠) الاضبارة الشخصية لـــ (عطا عبد الوهاب)، كلية القانون، جامعـــة بغـــداد، رقـــم الاضـــبارة (١٢٩٣)، ص٣.

(٣١) المصدر نفسه، ص٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٤.

(٣٣) حركة ١٩٤١: عن هذا الموضوع ينظر: محمد مظفر الادهمـــي، الابعـــاد القوميـــة لثـــورة مايس١٩٤١ في العراق، دار الحرية، بغداد،١٩٨٠ ؛ زينب كاظم احمد العلي، البصرة خـــلال ثورة مايس ١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٨.

(٣٤) الاضبارة الشخصية لـــ (عطا عبد الوهاب)، كلية القانون، جامعـــة بغـــداد، رقـــم الاضـــبارة (١٢٩٣)، ص١١.

(٣٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٦) المصدر نفسه، ص٧.

(٣٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٨) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٥٢-١٥٣.

(٣٩) الاضبارة الشخصية لـــ (عطا عبد الوهاب)، كلية القانون، جامعـــة بغـــداد، رقـــم الاضـــبارة (١٢٩٣)، ص٩.

(٤٠) المهاتما غاندي: ولد عام ١٨٦٩، ودرس القانون في لندن عام ١٨٨٨، عاد إلى الهند ليمارس المحاماة، كافح من اجل قضيته في الهند من خلال نضاله السياسي في حزب المؤتمر، اشـــتهر بالمقاومة السلمية أو سياسية اللاعنف وقد تمكن من نيل استقلال بلاده عام ١٩٤٧، قتل غاندي على يد المتعصبين الهندوس في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٨، عن عمرٍ ناهز ٧٩ عاماً. للمزيـــد من التفصيل ينظر: نبراس بلاسم كاظم الطائي، المهاتما غاندي ودوره فـــي جنـــوب افريقيـــا ١٨٦٩-١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية،٢٠١٠.

(٤١) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٧٣.

(٤٢) الاضبارة الشخصية لـ (عطا عبد الوهاب)، كلية القانون، جامعة بغداد، رقم الاضبارة (١٢٩٣)، ص٩.

(٤٣) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٤٤) الاضبارة الشخصية لـ (عطا عبد الوهاب)، كلية القانون، جامعة بغداد، رقم الاضبارة (١٢٩٣)، ص١٤.

(٤٥) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٤٦) نقابة المحاميين: تم تشريع قانون نقابة المحامين عام ١٩٣٣، باسم قانون نقابة المحامين رقم (٦١) لسنة ١٩٣٣، وتألف هذا القانون من سبعة فصول، تناول الأول تعريف المحامي والثاني مؤسسات النقابة، والثالث شرائط الانتساب إلى النقابة، والرابع حقوق المحامي وواجباته، والخامس الإجراءات الانضباطية والسادس العقوبات الانضباطية والسابع أحكام قانونية متفرقة، وهذا القانون الغى القوانين والأنظمة العثمانية. للمزيد من التفاصيل ينظر: الوقائع العراقية، العدد ١٢٨٨، ٢٤ آب ١٩٣٣ ؛ قانون نقابة المحامين،- "القضاء"، (مجلة)، العدد ٢، ١٦ تموز ١٩٣٤، ص ٥٧ – ٦٧ .

(٤٧) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٨١.

(٤٨) المصدر نفسه، ص١٥٢-١٥٣.

(٤٩) مديرية الامراض المتوطنة: اسست من اجل مكافحة الأمراض المتوطنة التي انتشرت في العراق خلال العهد الملكي، وقد تمكنت الإدارة الصحية من السيطرة على الكثير من الأمراض المتوطنة والوافدة كالملاريا والبجل والكوليرا والطاعون، وقد ضاعفت المديرية جهودها عند تعرض البلاد للفيضانات، لما لها من تداعيات صحية وبيئية كبيرة. للمزيد من التفصيل ينظر: حيدر حميد رشيد، الأوضاع الصحية في العراق ١٩٤٥-١٩٥٨ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص٢٢٤-٢٤٠.

(٥٠) المستشفى الملكي: يعد أهم مؤسسة صحية علاجية عامة في العراق، وقد أولته وزارة الصحة اهتماماً خاصاً بوصفهِ المؤسسة الصحية الرئيسة في البلاد، والمؤسسة التطبيقية الرئيسة التي تدرب ذوو المهن الطبية عموماً والأطباء خصوصاً، من خلال استحداث توسعات مهمة في أقسام المستشفى ووحداتها، لتكون قادرة على استيعاب الأعداد المتزايدة . للمزيد من التفصيل

ينظر: حيدر حميد رشيد، الأوضاع الصحية في العراق ١٩٤٥-١٩٥٨ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص١٢٤.

(٥١) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٥٣-١٥٦.

(٥٢) المصدر نفسه، ص١٧١-١٧٤.

(٥٣) عبد الجبار التكرلي: ولد في بغداد، دخل مدرسة الحقوق في بغداد وتخرج منها عام ١٩٢٠، مارس مهنة المحاماة في لواء البصرة، ثم عيّن حاكم صلح فيها، وتقلد مواقع إدارية مختلفة، تدرج في السلك السياسي فأنتخب نائباً لأكثر من مرة، واختير عضواً في مجلس الأعيان، ثم اصبح وزيراً لأكثر من مرة، توفي بغداد في ٦ تموز ١٩٦٤. للمزيد من التفصيل ينظر: مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، ط١، ج٢، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٤، ص١٩٦.

(٥٤) نوري القاضي: ولد في بغداد عام ١٨٨٩، ودخل كلية الحقوق فيها ليتخرج منها عام ١٩١٢، شغل وظائف إدارية وقضائية مختلفة، دخل المعترك السياسي وأصبح وزيراً للمعارف عام ١٩٤٦، وعضواً اجرائياً في مجلس الاعمار عام ١٩٥٢، ثم اختير عضواً في مجلس الأعيان عام ١٩٥٦ وحتى سقوط النظام الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨، توفي في بغداد في ١٨ كانون الثاني ١٩٧٧. للمزيد من التفصيل ينظر: مير بصري، المصدر السابق، ص١٢٤.

(٥٥) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٨١-١٨٤

(٥٦) احمد مختار بابان: سياسي عراقي ولد في عام ١٩٠٠، يرجع نسبه إلى سلالة بابان وهي أسرة كردية معروفة في شمال العراق، تسنم مناصب وزارية كثيرة منها العمل والشؤون الاجتماعية والعدلية والدفاع والمعارف فضلاً عن رئاسة الوزراء ورئاسة الديوان الملكي، توفي في المانيا عام ١٩٦٧. للمزيد من التفصيل ينظر: مأمون شاكر اسماعيل، احمد مختار بابان ودوره السياسي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩.

(٥٧) علي حجازي: ولد في المغرب عام ١٨٩٧، ودرس في مدرسة العشائر في استنبول، وكان من حاشية الملك فيصل الأول وجاء معه إلى بغداد عام ١٩٢١، اتخذ لقب الحجازي تقرباً للأسرة المالكة التي اخلص لها، تولى مناصب متعددة في سلك الشرطة، أصبح متصرفاً للواء السليمانية عام ١٩٥٠، توفي في بغداد عام ١٩٧٦. للمزيد من التفصيل ينظر: مير بصري، المصدر السابق، ص٥٣٥-٥٣٦.

(٥٨) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص١٨٥-١٨٦.

[٥٩] المصدر نفسه، ص١٨٨-١٩٢.

[٦٠] المصدر نفسه، ص١٩٨-٢٠٢.

[٦١] كان القنصل الجديد هو عبد الكريم الكيلاني. ينظر المصدر نفسه، ص٢١٦.

[٦٢] المصدر نفسه، ص٢٠٣-٢١٨.

[٦٣] المصدر نفسه، ص٢٣٠.

[٦٤] عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٢٣١-٢٣٢.

[٦٥] المصدر نفسه، ص٢٣٢- ٢٣٣.

[٦٦] فيصل الثاني: ولد في بغداد في ٢ آيار ١٩٣٥، وعاش مع والده الملك غازي لمدة أربعة سنوات، نودي به ملكاً على العراق بعد مقتل أبيه غازي عام ١٩٣٩، وأصبح خاله الأمير عبد الإله وصياً عليه لحين توليه مهامه الدستورية ملكاً على عرش العراق في ٢ آيار ١٩٥٣، قُتل صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨. للمزيد من التفصيل ينظر : لطفي جعفر فرج، الملك فيصل الثاني آخر ملوك العراق، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠١ ؛ طارق إبراهيم شريف، سيرة حياة الملك فيصل الثاني ١٩٣٥-١٩٥٨ آخر ملوك العراق، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١.

[٦٧] عبد الاله: ولد في الحجاز عام ١٩١٢ وكان الأبن الوحيد لأبيه علي بن الحسين، انتقل للعيش في العراق بعد اعتلاء الملك فيصل الأول عرش العراق سنة ١٩٢١، تلقى تعليمه في كلية فكتوريا في الإسكندرية دون نجاح، تولى الوصاية على عرش العراق بعد مقتل الملك غازي عام ١٩٣٩، وحتى تتويج فيصل الثاني ملكا في ٢ ايار ١٩٥٣، أصبح بعد ذلك وليا للعهد، قتل في صباح يوم الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨. للمزيد من التفصيل ينظر: عبد الهادي الخماسي، الأمير عبد الإله ١٩٣٩ – ١٩٥٨ دراسة تاريخية سياسية، ط١، بيروت، ٢٠٠١.

[٦٨] عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٧، ص٢٥.

[٦٩] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٧٠] موسى الشابندر: ولد في بغداد عام ١٨٩٩، واستطاع ان ينال شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لوزان في سويسرا عام ١٩٣٢، ثم عاد إلى العراق وتدرج في الوظائف ليصل إلى أعلى المراتب التنفيذية، لاسيما في السلك الدبلوماسي، حيث أصبح سفيراً ووزيراً للخارجية. فضلاً عن، انتخابه نائباً لأكثر من مرة في العهد الملكي، للمزيد من التفصيل ينظر:

سعاد عبد الجبار كاظم علي، موسى الشابندر ودوره الثقافي والسياسي في العراق حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد،٢٠١٧، ص١٣.

(٧١) رشيد عالي الكيلاني: ولد في ديالى عام ١٨٩٢، دخل مدرسة الحقوق ونال شهادتها عام ١٩١٥، شغل وظائف إدارية مختلفة قبل تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١، زاول المحاماة، ونتيجة لمهنتهِ ومكانة أسرته الدينية، أصبح أحد أقطاب السياسة العراقية في العهد الملكي توفي عام ١٩٦٥. للمزيد من التفصيل ينظر: قيس جواد علي الغريري، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢-١٩٦٥، بغداد، ٢٠٠٦.

(٧٢) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص٢٦-٢٨.

(٧٣) عوني الخالدي: ولد في الاعظمية ببغداد عام ١٩١٢، وأكمل دراسته الأولية في المدارس الرسمية، ثم تخرج من الإعدادية المركزية في بغداد، والتحق بالجامعة الامريكية في بيروت وتخرج منها عام ١٩٤١، تدرج في السلك الدبلوماسي في العهد الملكي توفي عام ١٩٨٥. للمزيد من التفصيل ينظر: حميد المطبعي، موسوعة أعلام وعلماء العراق، ط١، مؤسسة الزمان الدولية للصحافة والنشر والمعلومات، بغداد، ٢٠١١، ص٥٧١.

(٧٤) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص٣٠.

(٧٥) عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ص٢٦٢.

(٧٦) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص٣٧-٣٩.

(٧٧) المصدر نفسه، ص٤٠-٤٢.

(٧٨) "المدى"، (جريدة)، بغداد، ملحق عراقيون، العدد ٤٨٧١، ١١ شباط ٢٠٢١. عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٧٩) عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٢٧٠-٢٧٢.

(٨٠) خليل كنا: ولد في الفلوجة عام ١٩٠٩، درس في مدرسة التفيض الابتدائية عام ١٩١٨، ثم التحق بكلية الحقوق وتخرج منها عام ١٩٣٢، شغل مناصب متعددة في العهد الملكي، يعد احد مؤسسي حزب الاستقلال، أصبح وزيراً لأكثر من مرة، ثم رئيساً لمجلس النواب في العهد الملكي، له مجموعة من الكتب منها "العراق أمسه وغده" بالإضافة إلى مذكراته الشخصية، توفي عام ١٩٩٥. للمزيد من التفصيل ينظر: عارف شاكر محمود الاحبابي، خليل كنه ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٩٥، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ١٩٩٩.

(٨١) عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٨٢) المصدر نفسه، ص٢٨٠.

(٨٣) عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٨٤) المصدر نفسه، ص٢٧٧-٢٧٨

(٨٥) رستم حيدر: ولد في مدينة بعلبك عام ١٨٨٩، اتم دراسته الابتدائية والثانوية في دمشق، أصبح سكرتيراً خاصاً للملك فيصل الأول، ثم رئيساً للديوان الملكي، كما تولى مناصب وزارية مختلفة، فضلاً عن تعيينه عضواً في مجلس النواب، قتل في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٠. للمزيد من التفصيل ينظر : "مذكرات رستم حيدر"، حققها وكتب لها مقدمة عن سيرة رستم حيدر ومقتله، نجدة فتحي صفوة، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٨؛ عباس فرحان ظاهر الزاملي، رستم حيدر ودوره السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٧.

(٨٦) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص٥٦-٦٢.

(٨٧) الملك عبد الله: ولد في مكة المكرمة عام ١٨٨٢، وهو الابن الثاني للشريف حسين، اسس إمارة شرق الاردن في عام ١٩٢١، وأصبح أميراً عليها، ثم أصبح أول ملوكها لذلك لقب بالملكِ المؤسس، اغتيل في القدس يوم الجمعة ٢٠ حزيران ١٩٥١ عندما كان يزور المسجد الأقصى. للمزيد من التفصيل ينظر: "الملك المؤسس عبد الله بن الحسين حياته وفكره"، حلقة دراسية نظمت في ذكرى استشهاده في متحف الحياة السياسية، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٥.

(٨٨) عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ص٢٨١-٢٨٢.

(٨٩) كامل الجادرجي: ولد في بغداد عام ١٨٩٧، وتخرج من تخرج من مدرسة الحقوق في بغداد، مارس العمل السياسي منذ شبابه، وانتمى إلى أكثر من حزب سياسي متنفذ، وأصبح نائباً ووزيراً في العهد الملكي، توفي في بغداد عام ١٩٦٨. للمزيد من التفصيل ينظر: محمد عويد محسن الدليمي، كامل الجادرجي ودوره في السياسة العراقية ١٨٨٧م-١٩٦٨م، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ١٩٩٧.

(٩٠) المصدر نفسه، ص٢٨٤-٢٨٨.

(٩١) المصدر نفسه، ص٣٠٩-٣١٠.

(٩٢) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص٦٨-٧٣.

(٩٣) عبد الوهاب مرجان: ولد في الحلة عام ١٩٠٩، وتخرج من كلية الحقوق ببغداد عام ١٩٣٤،أصبح محامياً بارزاً وقاضياً معروفاً، ثم سياسياً رفيعاً في السلطتين التشريعية والتنفيذية في العهد الملكي. للمزيد من التفصيل ينظر: حسن احمد ابراهيم المعموري، عبد الوهاب مرجان ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٧.

(٩٤) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص٨١-٨٢.

(٩٥) المصدر نفسه، ص٨٦-٨٧.

(٩٦) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص٩١-٩٢.

(٩٧) المصدر نفسه، ص٩٣.

(٩٨) محمود بابان: ولد في مدينة كفري عام ١٩٢٠، ثم انتقل إلى بغداد وحصل على شهادة المتوسطة من متوسطة الغربية، وشهادة الإعدادية من الإعدادية المركزية، ليلتحق في كلية الحقوق ويحصل على شهادة البكالوريوس عام ١٩٤٣، دخل بعدها المعترك السياسي، ليصبح أحد رجالات السياسة الذين ارتقوا أعلى المناصب الوزارية والنيابية. للمزيد من التفصيل ينظر: نبيل عكيد محمود المظفري، محمود بابان حياته ودوره السياسي١٩٢٠-١٩٩٧، "مجلة جامعة كركوك"، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة كركوك، مج٤، السنة الرابعة، العدد ٢، ٢٠٠٩.

(٩٩) اركان العبادي: ولد في الديوانية عام ١٩١٥، وتخرج من جامعة أكسترا البريطانية عام ١٩٣٦، ثم دخل مدرسة لندن للاقتصاد وحصل على شهادة البكالوريوس في علوم الاقتصاد عام ١٩٣٩، أصبح نائباً ووزيراً أكثر من مرة في العهد الملكي، تزوج من السيدة سلمى جميل المدفعي. للمزيد من التفصيل ينظر: سنان صادق حسين الزيدي وخليل حمود عثمان الجابري، اركان عبادي احد رواد بناء الدولة العراقية ١٩١٥-١٩٦٩، ط٢، بغداد، ٢٠١٤.

(١٠٠) جميل المدفعي: ولد في الموصل عام ١٨٩٠، تخرج من الاكاديمية العسكرية صنف المدفعية برتبةِ ملازم ثان، عاد إلى العراق عام ١٩٢٣، وأصبح من رجالات الخط الأول، إذ تولى منصب رئاسة الوزراء سبعة مرات خلال العهد الملكي، توفي في بغداد عام ١٩٥٨. للمزيد من التفصيل ينظر: طارق يونس عزيز السراج، جميل المدفعي ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٠-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد،١٩٩١.

(١٠١) عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ص٣٠٨-٣١٠.

(١٠٢) عبد المجيد عباس: من مواليد بغداد، ومن مؤسسي حزب الاتحاد الدستوري عام ١٩٤٦، انتخب نائباً لأكثر من مرة في العهد الملكي، ثم أصبح وزيراً للمواصلات ثم وزيراً للزراعة. للمزيد من التفصيل ينظر: خالد احمد الجوال، موسوعة أعلام السياسة في العراق، ج٢، ط١، بغداد، ٢٠١١، ص٤٥٧.

(١٠٣) محمد فاضل الجمالي: ولد في مدينة الكاظمية المقدسة ببغداد عام ١٩٠٣، ودرس الابتدائية والثانوية فيها، ارسل في أول بعثة دراسية في العهد الملكي إلى الجامعة الامريكية في بيروت، وبعد عودته أصبح مدرساً للملك غازي حتى عام ١٩٢٩، ثم ارسل بعثة إلى جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الامريكية، فنال شهادتي الماجستير والدكتوراه في التربية وعلم النفس، تدرج في السلك التربوي والدبلوماسي واثبت كفاءة عالية جداً فيهما، إذ أصبح وزيراً للخارجية ستة مرات، ثم أصبح رئيساً للوزراء مرتين ١٩٥٣-١٩٥٤، توفي في تونس عام ١٩٩٧. رحيم كاظم محمد الهاشمي، محمد فاضل الجمالي ودوره السياسي ونهجه التربوي حتى العام ١٩٥٨، مراجعة، كمال مظهر احمد، ط١، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت، ٢٠١٢، ص٢١٣ – ٢١٥.

(١٠٤) هاشم جواد: ولد في بغداد عام ١٩١١، درس في الجامعة الامريكية في بيروت ونال منها شهادة البكالوريوس عام ١٩٣٢، ثم درس الاقتصاد والسياسة في جامعة لندن، تدرج في السلك الدبلوماسي حتى اختاره عبد الكريم قاسم وزيراً للخارجية عام ١٩٥٩، اعتقل بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وبعد اطلاق سراحه عين سفيراً للعراق في بورما، ثم في بيروت، اغتيل بظروفٍ غامضة عام ١٩٦٩. للمزيد من التفصيل ينظر: هاشم جواد ودوره الفكري والسياسي في العراق ١٩١١-١٩٧٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، ٢٠١٣.

(١٠٥) باش اعيان: ولد في البصرة عام ١٩١٤، ودرس فيها الابتدائية وجزءً من الثانوية، اكمل دراسته في الجامعة الامريكية في بيروت، ثم دخل كلية الحقوق في بغداد وتخرج منها عام ١٩٣٧، تدرج في السياسة فأصبح وزيراً في أكثر من وزارة، اعتقل بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وحكم عليه بالإعدام لكن عبد الكريم قاسم اطلق سراحه عام ١٩٦١، وغادر العراق إلى الرياض وتوفي فيها عام ١٩٧٥. للمزيد من التفصيل ينظر: مير بصري، أعلام السياسة ...، ص١٨٤.

(١٠٦) عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ص٣١١.

(١٠٧) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص١٠١.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص٩١.

(١٠٩) عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ص٣٠٦-٣٠٧.

(١١٠) الأمير علي: هو اكبر انجال الشريف حسين، ولد في مكة المكرمة عام ١٨٧٩، تزوج من السيدة نفيسة بن الشريف عبد الاله باشا عام ١٩٠٨، انجبت له ثمانية اطفال، خمسة اناث وثلاثة ذكور، بقي منهم على قيد الحياة اربعة بنات هن، عابدية وعالية وبديعة وجليلة، وولد واحد هو عبد الاله. للمزيد من التفصيل ينظر: عبد الهادي الخماسي، المصدر السابق، ص٢٩-٣٠.

(١١١) عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ص٢٩٦-٢٩٧.

(١١٢) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص٩٠.

(١١٣) عن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ينظر: ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، ط٢، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٢.

(١١٤) عطا عبد الوهاب، الأمير عبد الاله صورة قلمية، ص١٠٩.

مسارات السياسة التركية (١٩٣٩-١٩٦٠)

م. د احمد ناظم عباس

وزارة التربية /مديرية تربية الكرخ /٣

Drahmedna4@gmail.com

مسارات السياسة التركية (١٩٣٩-١٩٦٠)

م. د احمد ناظم عباس

المُلخص:

انصبت جهود مصطفى كمال اتاتورك إلى تخليص تركيا من المخاطر الخارجية المكتنفة بها، وفعلاً تكللت جهوده بالنجاح، إذ قامت الدول الغربية بالاعتراف بالجمهورية التركية. وما ان استتبت الامور في داخل تركيا، حتى قام اتاتورك بالتقرب من الغرب، عن طريق اتباع سياسية تحديث بواسطة تنفيذ مجموعة من القوانين التي اصدرها في هذا الشأن، إذ قام بتبديل الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية، وإلغاء الخلافة، وتغير قانون الأحوال الشخصية وغيرها من القوانين. فقد كان يعتقد ان تطبيق هذه الامور في السياسة الداخلية؛ كان يعني من وجه نظره التقرب من العالم الغربي عن طريق تبني المدنية الغربية، وبذلك استطاع اتاتورك وطيلة مدة حكمه في مطلع العشرينيات من القرن العشرين إلى وفاته عام ١٩٣٨، ابعاد تركيا عن طابعاها الشرقي.

جاء هذا البحث ليسلط الضوء ولو بشكل موجز على مسارات السياسية التركية للأعوام (١٩٣٩- ١٩٦٠)، إذ مثل التأريخ الاول نشوب الحرب العالمية الثانية الذي تزامن مع تولي عصمت اينونو السلطة، إذ نهج سياسة سلفه اتاتورك في السياستين الداخلية والخارجية ؛ بينما مثل التأريخ الثاني حدث اول انقلاب عسكري في تركيا المعاصرة ، في ٢٧ أيار ١٩٦٠ ، والذي تلاه الكثير من الاضطرابات السياسية والاقتصادية.

قسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة، تناول المحور الاول موقف تركيا من اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، ذلك الموقف الذي كان بمثابة نقطة الانطلاق لتركيا في تحولها نحو الغرب الاوربي، بينما تطرق المحور الثاني إلى سياسة تركيا الداخلية ١٩٤٥-١٩٥٠، والذي ناقش بشكل موجز التطورات الاقتصادية الزراعية

والصناعية والتجارية في تركيا، في حين درس المحور الثالث اوضاع تركيا عقب تولي الحزب الديمقراطي السلطة ١٩٥٠-١٩٦٠، إذ وضح سياسة الحزب الديمقراطي طيلة عشر سنوات، كما الاشارة الى ابرز المشاكل الداخلية التي عانت منها تركيا في تلك المرحلة.

الكلمات المفتاحية: تركيا، عصمت اينونو، الحزب الديمقراطي.

Trajectories of Turkish politics (1939-1960)

Abstract:

Mustafa Kemal Ataturk's efforts focused on ridding Turkey of the external dangers surrounding it, and indeed his efforts were crowned with success, as the Western countries recognized the Turkish Republic. And as soon as things settled inside Turkey, Atatürk approached the West, by following a policy of modernization by implementing a set of laws he issued in this regard, as he changed the Arabic letters to Latin letters, abolished the caliphate, and changed the personal status law and other laws . It was believed that the application of these matters in domestic politics; From his point of view, it meant rapprochement with the Western world by adopting Western civilization, and thus Ataturk was able, throughout his rule in the early twenties of the twentieth century until his death in 1938, to distance Turkey from its eastern character.

This research came to shed light, albeit briefly, on the political developments in Turkey for the years (1939-1960), as the first date represented the outbreak of World War II, which coincided with the assumption of power by Ismet Inonu, as the policy of his predecessor Atatürk in the internal and external policies; While the second date represented the first military coup in contemporary Turkey, on May 27, 1960, which was followed by much political and economic upheaval.

The research was divided into three main axes. The first axis dealt with Turkey's position on the outbreak of World War II (1939-1945), that position that served as the starting point for Turkey in its transformation towards the European West, while the second axis dealt with Turkey's internal policy 1945-1950, which It briefly discussed the economic, agricultural, industrial and commercial developments in Turkey, while the third axis studied the conditions of Turkey after the Democratic Party assumed power 1950-1960, as it clarified the policy of the Democratic Party for ten years, as well as referring to the most prominent internal problems that Turkey suffered from at that stage.

Keywords: Turkey, Ismet Inonu, Democratic Party.

أولاً: موقف تركيا من الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥)

منذ نشوب الحرب العالمية الثانية في أيلول ١٩٣٩، ظلت تركيا تلتزم الحياد وتراقب ما تؤول اليه الاحداث وكانت الآراء في دوائر الحزب الحاكم حزب الشعب الجمهوري متأرجحة بحسب النجاحات التي تحققها الدول المتحاربة ، ولحين هزيمة المانيا في ستالينغراد في كانون الثاني ١٩٤٣ ، كانت برلين مستفيدة من موقف انقرة المحايد. ولكن ما ان بدأت الامور تنقلب ضد قوى المحور حتى اخذت تركيا تعيد النظر في سياستها ازاء طرفي النزاع . فقد حاولت تركيا بحلول عام ١٩٤٤ الاشتراك بالحرب ، فلاقت اعتراضاً من الاتحاد السوفياتي والذي طالب باستبعادها من المشاركة في أي مؤتمر بعد الحرب [١] .

وما ان وضعت الحرب اوزارها ، حتى انقسم العالم على كتلتين تزعمت الاولى الولايات المتحدة الامريكية ، في حين تزعم الاتحاد السوفياتي الكتلة الثانية، وبدأت معالم حرب جديدة عرفت بـ (الحرب الباردة) . وكانت للكتلتين كلتيهما تطلعاتهما في المنطقة ، فالسوفيت ما زالوا يحلمون بالحكم القيصري القديم بالوصول الى المياه الدافئة . فبدأ الاتحاد السوفياتي باعادة النظر باتفاقية مونترو المتعلقة بالمضايق التركية في مؤتمر يالطا في شباط ١٩٤٥ [٢] كما طالب بولايتي قارص (Kars) واردهان (Ardahan) في اعقاب

قيام جمهورية اذربيجان في ايران عام ١٩٤٥. [٣] وعلى اثر اعلان تركيا الحرب على دول المحور في ٢٣ شباط ١٩٤٥ أقدم الاتحاد السوفياتي من جانب واحد على الغاء اتفاقية الصداقة والحياد التي وقعها عام ١٩٢٥ . [٤] وسلم الاتحاد السوفياتي مذكرتين الى تركيا الاولى في ١٩ آذار ١٩٤٥ الغى بموجبها معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء والثانية في ٧ حزيران ١٩٤٥ طالب فيها بانشاء قواعد سوفياتية على المضايق فضلاً عن مطالبته بعودة الاقاليم الشرقية قارص (Kars) واردهان (Ardahan) [٥] كما شجع السوفيت الارمن على الانفصال عن تركيا ، إذ قدم الارمن مذكرة الى مؤتمر سان فرانسيسكو طالبوا فيها ضم ارمينيا التركية الى جمهورية ارمينيا السوفياتية . [٦]

تجددت دعوة الاتحاد السوفياتي بشأن تعديل الحدود بين تركيا والاتحاد السوفياتي في مؤتمر بوتسدام . [٧] الذي عقد في تموز – آب ١٩٤٥ وبحضور الدول الكبرى (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا) . [٨] وهكذا وجدت تركيا ان التهديدات الخارجية باتت تهدد امنها القومي ، وان عليها السعي الى كسب ود الغرب ولا سيما ان عامل النصر الذي حققه الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، عامل مضاف الا ان المستقبل سيكون الى جانب الحلفاء ونظامهم السياسي.[٩] فكان لا بد لها من التخلي عن نظام الحزب الواحد الذي اثبت اخفاقه في كل من المانيا وايطاليا ، وكان لا بد لها من تطبيق نظام تعدد الاحزاب ، واشاعة نظام الاقتصاد الحر في البلاد ، فهما الباب الذي ستدخل منه الى عالم النظام الغربي والحصول على دعمه . [١٠]

كما سارعت تركيا في عام ١٩٤٨ الى الانضمام لمنظمة التعاون الاقتصادي الاوربي (OEEC) . وفي عام ١٩٥٠ ارتبطت تركيا بالمجلس الاوربي . فضلاً عن سعيها الدؤوب الى الوصول الى عضوية كاملة في حلف شمال الاطلسي (الناتو) الذي دعيت اليه عام ١٩٤٩. [١١]

وهنا لا بد من القول ان تأثير عامل القوة المتغير بين الامبراطورية العثمانية والدول الغربية ظل يشغل اذهان الساسة الاتراك ، لتأثيره في السياسة الخارجية للجمهورية التركية ، لقد كانت احدى سمات الامبراطورية العثمانية البارزة هي الهوية الفعلية المحددة

لكل من سيادة الدولة ، والقوة العسكرية ، وكان هناك فرقٌ قليل بين اجهزة الدولة المدنية والعسكرية . ويمكن القول ان الحاكم المدني كان في ذات الوقت الحاكم العسكري ، والذي ما لبثوا ان بدأوا يستولون على السلطة بشكل فعلي بحيث اصبح السلطان العثماني اشبه بدمية في ايديهم . [١٢] ولهذا اخذت السلطة بالتفكير جدياً بحركة الاصلاح العثمانية في القرن التاسع عشر والتي بدأت بإصلاح التعليم ، والجيش ، وكان القصد منه ان يكون الجيش الذي بدأت بتدريبه على التقنيات الحديثة ، ثم بدأ هؤلاء الخريجون ينظرون الى انفسهم كطليعة ملزمة بإحداث الاصلاحات السياسية اضافةً الى التجديد التقني ، والتي طفت على سطح الاحداث سنة ١٨٧٦ عند الاطاحة بالسلطان عبد العزيز ، واصدار الدستور التركي الاول . وهذه الحركة في حد ذاتها تعتبر انقلاباً جوهرياً عسكرياً ، حيث عدوا في نظر خلفهم في القرن العشرين مصدراً مهماً من مصادر الالهام والشرعية التاريخية للانقلابات اللاحقة .[١٣] وتوصل القادة الاتراك في النهاية الى قناعة بان من المحتم على مجتمعهم ونظامهم السياسي انتهاج او تبني القيم والافكار ونمط المؤسسات الغربية ، وكان موقف اتاتورك من هذه المسألة متطرفاً الى حد بعيد ، فأصدر تشريعات قانونية خاصة بالتحول نحو النهج الغربي (التغريب) ونستطيع القول انه اضمر كرهاً شديداً وساخراً ضد المؤسسات الدينية، والتي عدها احد المرتكزات الفكرية والثقافية الاساسية التي تحول دون تقدم تركيا، اضافة الى كونها حجر عثرة تحول دون الحصول على مساعدات الغرب وعندما خلفه عصمت اينونو كان اشد حذراً من اتاتورك في سياسته الخارجية ، وفي هذا الصدد يشير د. فرانك تاجو " **ان هناك من يرى ان الضغط السوفياتي كان وراء اندفاع تركيا نحو الغرب ، وهذا الاعتقاد لا صحة له لان السوفيت حاولوا منع تطور نهج التغريب الذي مارسته تركيا ، وان الاتراك في الحقيقة يشعرون بالحاجة الملحة الى ضرورة إقناع الغرب وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية بضرورة تقديم الدعم والمساعدة لهم** " . [١٤] .

ثانياً: سياسة تركيا الداخلية ١٩٤٥-١٩٥٠:

اثناء الحرب العالمية الثانية ، ارتفعت الاسعار وازداد التضخم ، وتدهورت اوضاع اصحاب الدخول الثابتة ، في حين ازداد الذين كانوا يعيشون على ثمار التجارة والصناعة غناً ، علاوة على ذلك فان عائد الدولة بقي ثابتاً وغير كافي لتلبية مستلزمات الدولة بسبب ميزانية الدفاع لسنوات الحرب [١٥] ولغرض دعم النشاط الاقتصادي للدولة في تركيا بعد الحرب ١٩٤٥ -١٩٥٠ تم فرض نظام الضرائب والذي عرف بـ (Varlik Vergisi)[١٦] .

كانت الاجراءات الاقتصادية التي اعتمدت عليها الحكومة التركية خلال العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين قد هيأت المجال لهذا التغيير ، فالمؤسسات التي أنشئت لحماية الفلاحين من الاستغلال ، وظفت لصالح الملاكين والتجار الذين استغلوا هذه القروض التي منحتها الدولة لتحسين ظروفهم وزيادة ثرواتهم على حساب الفلاحين . [١٧] وانسحب الامر الى القطاعين الصناعي والتجاري ، فقد اخفقت الدولة في تحويل اصحاب رؤوس الاموال الى الرأسماليين والصناعيين من اجل الاسهام في بناء قاعدة صناعية متطورة . [١٨]

وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٤٥ أشار الرئيس عصمت اينونو في خطابه الافتتاحي لدورة البرلمان بأنه مستعد لاجراء تعديلات كبيرة في النظام السياسي وان تكون هذه التعديلات متماشية مع الظروف والمتغيرات في العالم . [١٩] ويشير الكاتب فراي (Frey) الى انه " **قد تغيرت النخبة البديلة وانتشرت مفاهيم وعقائد ديمقراطية بشكل شخصي عبر اوساط مجموعة كبيرة من الاتراك ، والدليل القاطع لدى اينونو حول ايجاد نظام حزبي متعدد لتخفيض حالة التوتر والقلق الاجتماعي وسط كل الجماعات** " [٢٠] . وذلك بعد فشل الخطة الخمسية التي قدمها اينونو والتي عجزت امكانيات الدولة عن القيام بصناعات ثقيلة دون مشاركة رأس المال الخاص ورأس المال الاجنبي والذي بات المحفز الكبير لقيام صناعات تركية متقدمة . [٢١] وتمكنت تركيا من خلال محاولاتها للانضمام الى المعسكر الغربي وبدعم الولايات المتحدة الامريكية التي ساندت تركيا على وفق (مبدأ

ترومان*)[٢٢] إذ قدمت لها مساعدات مالية كبيرة . [٢٣] وكان الدعم الغربي – الامريكي وفق مبدأ ترومان ضد سياسة توسع الدولة وسيطرتها على الحياة الاقتصادية وان هذه المساعدات هدفت بالدرجة الاساس الى احتواء النظام الشيوعي ، ولكنه في نفس الوقت قدمت على امل تشجيع المؤسسات الاقتصادية الخاصة في تركيا . [٢٤]

جاءت إحالة المارشال فوزي جقماق (F. Gakmak) [٢٥] رئيس اركان الجيش منذ عام ١٩٢١ على التقاعد في ٢١ كانون الثاني ١٩٤٤ ، بعد بلوغه السن القانونية لتعطي دليلاً آخر على تفكك نظام الحزب الواحد ، ولتنشأ من صميم حزب الشعب الجمهوري نفسه نواة المعارضة ، وتشكل فيما بعد حزباً شرعياً رئيساً . [٢٦] ولعل من نافلة القول بانه عندما تشكل حزب الشعب الجمهوري اتبع النظام الهرمي من خلال سيادة النخبة المثقفة البيروقراطية العسكرية على المستوى الوطني ، في حين منح النبلاء والاشراف بعض الامتيازات ، وظلت عملية التنسيق بين الطرفين معقدة [٢٧] فالبيروقراطية العسكرية في ظل زعامة مصطفى كمال لم تكن تستند الى قاعدة واحدة ، اضافة الى ان الكمالية قوبلت بعد تأسيس الجمهورية بعدم الرضا الكامل وخاصة من قبل مجموعة من الضباط في المراتب العليا ، والذين اسسوا معارضة فيما بعد قوية داخل المجلس الوطني التركي الكبير ، واستمروا بعملهم كقادة معارضة على الرغم من محاولات كمال لاخضاعهم وجعل دورهم ثانوي خاصة بعد ان حوكم بعض منهم في اعقاب الثورة في جنوب الاناضول عام ١٩٢٥. [٢٨]

توجه اول انتقاد ضد اجراءات اينونو الاقتصادية ، وسياسة الحزب الواحد من اربعة اعضاء من حزب الشعب الجمهوري وهم (جلال بايار Celal Bayar) رجل الاعمال المصرفي [٢٩] ،رفيق كورالتان (Rafik Korultan) [٣٠]وعدنان مندريس (Adnan Menderis)[٣١] والمؤرخ فؤاد كوبرولو (Fuad Koprulu)[٣٢]، فقد اقترحوا ان تقوم الدولة بتنفيذ مبدأ السيادة الوطنية بشكل كامل كما وردت في دستور عام ١٩٢٤، وان يتم القيام بالعمل الحزبي طبقاً لمبادئ الديمقراطية ، مما ادى الى طرد ثلاثتهم من حزب الشعب ، فيما قدم جلال بايار استقالته في ١ كانون الاول ١٩٤٥ [٣٣] .

وفي بداية عام ١٩٤٦ قدم الاربعة طلباً رسمياً لتأسيس الحزب الديمقراطي الذي اعلن رسمياً عن تأسيسه في ٧ كانون الثاني ١٩٤٦ [٣٤] ، والذي يعد تأسسه انعطافة كبيرة في مسيرة الحياة السياسية التركية فلأول مرة يؤسس حزب بعيد عن اوامر حزب الشعب الجمهوري . ويصف كمال كربات Kemal Karpat الذي كتب عن هذه المدة " **ان السنة في ٢١ تموز ١٩٤٦ ولغاية ١٢ تموز ١٩٤٧ كانت حاسمة في ترسيخ سياسة التعددية الحزبية ، ففي ١٢ تموز القى الرئيس اينونو بثقله بصراحة وراء المعتدلين في حزبه واستبعد خيار الحزب الواحد ومنحت المعارضة حرية الفعل والمساواة بالحزب الجمهوري.** " [٣٥] وهنا لابد من التنويه الى ان حزب النهضة القومي (Milli Kalkinma Partisi) كان قد سبق الحزب الديمقراطي في التأسيس عندما اقدم نوري دميراغ (Nory Demirag) مع مجموعة من القوميين الاتراك من ذوي الاتجاهات الدينية بطلب الى الحكومة التركية في ٦ تموز ١٩٤٥ للموافقة على تأسيس حزب سياسي كمحاولة اولى للقيام بدور المعارضة ، ويعد هذا الحزب اول حزب معارض يشكل بصورة رسمية بعد الحرب العالمية الاولى ، الا ان الحزب لم يؤد دوراً فعالاً على الساحة السياسية التركية . [٣٦]

على الرغم من إدراك أعضاء الحزب الديمقراطي بعدم وجود الفرصة المناسبة لهم بالفوز في انتخابات ٢٤ تموز عام ١٩٤٦ ، الا انهم سعوا بجدية لاثبات وجودهم . وهكذا حصل حزب الشعب الجمهوري على ٣٩٦ مقعداً من بين (٤٦٥) مقعداً في حين حصل الحزب الديمقراطي على (٦٢) مقعداً فيما حصل المستقلون على ٧ مقاعد فقط . [٣٧] وفي اليوم الثاني للانتخابات وجه بايار رسالة الى الرئيس عصمت اينونو يتهمه بان الانتخابات جرت تحت ضغط الحكومة وان نتائجها قد زيفت . [٣٨]

وظهرت الى جانب الحزب الديمقراطي احزاب اخرى اسست خلال مدة لا تتجاوز السنة ، ذات ميول واتجاهات متباينة منها الحزب الاشتراكي (Sosyal partisi) الذي اسسه اسعد عادل مستجاب اوغلو (Asaad Adiloglu) في اسطنبول في ١٤ ايار ١٩٤٦. [٣٩] وقد اصدر هذا الحزب جريدة باسم الحقيقة (Gercek) [٤٠] واتهم الحزب

بالشيوعية وقدم زعيمه عدة مرات للمحاكم المدنية والعسكرية . [٤١] وهناك حزب العمال والفلاحين التركي (Turkiye Iscive Cift Ci partisi) الذي تأسس في ١٧ حزيران ١٩٤٦ والذي اكد في منهاجه على دعم طبقتي العمال والفلاحين وتوسيع الحريات الديمقراطية. [٤٢] فضلاً عن احزاب اخرى مثل الحزب الديمقراطي الليبرالي ، والحزب الديمقراطي الاشتراكي وهي احزاب قليلة الاهمية .[٤٣]

وأسس الحزب المحافظ التركي Turk Muhafaz Partisi في حزيران ١٩٤٧ بزعامة جواد رفعت اتيلهان Cevdet Rifaat Atilhan [٤٤]، كما اسس في تموز عام ١٩٤٨ حزب الامة (Millet partisi) على اثر انشقاق حصل في الحزب الديمقراطي ، الذي خيب آمال الكثيرين من ذوي الاتجاه الديني لرفضه الاعلان بصراحة الوقوف ضد الاجراءات والمبادئ الكمالية .[٤٥] وقد نما هذا الحزب بسرعة إذ استقطب ذوي الاتجاهات الدينية وتجاوزت فروعه في انحاء البلاد (٢٠٠٠) فرع وكان لسان حاله جريدة الصبح الجديد (يني صباح .)[٤٦] وتولى رئاسة الحزب المارشال فوزي جاقماق الذي كان قد احيل على التقاعد عام ١٩٤٤ [٤٧]، وبعد وفاته تعاقب على رئاسة الحزب حكمت بايور عثمان بلوباشي.[٤٨] اعلنت حكومة الديمقراطيين حل الحزب في ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٤. [٤٩] وقد اعيد تشكيل الحزب مرة اخرى باسم جديد هو (حزب الامة الجمهوري Gumburiyet Millet Partisi). [٥٠]

لم تمارس المعارضة نشاطاً ملحوظاً حتى المدة التي تلت انتخابات عام ١٩٤٦ ، لعدة اسباب منها سياسة حكومة رجب بكر ١٥ آب ١٩٤٦-١٩ أيلول ١٩٤٧ المتشددة ضد المعارضة [٥١] وتمسكها بمبدأ الحزب الواحد ، فضلا عن المشكلات الاقتصادية التي واجهتها تركيا [٥٢]. وقد واجهت سياسة حكومة رجب بكر معارضة من حزب الشعب نفسه حتى تبلورت في مجموعتين الاولى تزعمها رجب بكر والذي مثل الاتجاه المتشدد تجاه المعارضة ، والمجموعة الثانية ضمت الشباب من اصحاب الفكر الليبرالي ممن يؤيدون نظام تعدد الاحزاب وتزعم هذه المجموعة نهاد ايريم [٥٣]

وكان عصمت اينونو من مؤيدي المجموعة الثانية ، والذي انعكس على اصدار اينونو بيانه المعروف ببيان ١٢ تموز لتعدد الاحزاب والذي جاء فيه : " **ان الحزب المعارض الذي يستخدم وسائل شرعية لا ثورية، يجب ان يتمتع بامتيازات الحزب الحاكم نفسها ، وعليه فاني بوصفي رئيساً للجمهورية عد مسؤولاً امام الحزبيين .. ان الحكومة مسؤولة عن الحفاظ على القانون والنظام الا ان موافقتها المتوازنة تجاه جميع الاحزاب السياسية الشرعية هي الضمان الاساسي للحياة السياسية ... وسوف تعمل المعارضة في امان من دون خوف من ان يحلها الحزب الحاكم**". (٥٤)

وازاء هذا الموقف شدد جلال بايار على وجوب استقالة رئيس الحكومة رجب بكير ، والذي اتهمه بالعداء الشديد للحزب الديمقراطي . بل ان بايار ابدى عدم ارتياحه من كون رئيس الجمهورية رئيساً للحزب الحاكم . (٥٥)

وهكذا سقطت حكومة رجب بكر في ١٩ أيلول ١٩٤٧ . (٥٦) وفتحت صفحة جديدة بين حكومة حسن سقا والحزب الديمقراطي حتى قيل ان عناصر الحزب الديمقراطي قد استقبلت عصمت اينونو استقبالاً حاراً عند عودته الى انقرة ، من جولة مع احد نواب الحزب الديمقراطي لشرح سياسة الحكومة الجديدة . (٥٧)

وفي ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٧ عقد حزب الشعب مؤتمره العام السابع والذي أُعيد فيه انتخاب عصمت اينونو رئيساً للحزب ، وحلمي اوران ، نائباً للرئيس ، وقرر فصل رئاسة الحزب عن رئاسة الجمهورية ، كما اتخذ عدة قرارات تعزز نظام تعدد الاحزاب . (٥٨) وقد خلق هذا التطور نوعاً من الاعتدال في الحزب الحاكم في حين انعكس على الحزب الديمقراطي المعارض ، أن فبرزت في صفوفه نوع من المعارضة اذ وجهت الانتقادات الى قيادة الحزب ، مما ادى الى استقالة عدد من اعضائه عام ١٩٤٨. (٥٩) الذين قرروا في العام نفسه تشكيل حزب جديد بعد ان تباحثوا مع فوزي جقماق (F. Gakmak) لتولي رئاسة الحزب مستلهمين عدداً من افكاره في بناء العقيدة السياسية للحزب الجديد. (٦٠) فتم الاتفاق بين فوزي جقماق وكنعان اونر وحكمت بابور وصادق الدوغان على تأسيس حزب الامة (Millet partisei) بعد استقالتهم من الحزب الديمقراطي واعلنوا عن هذا

التأسيس رسمياً في ٥ تموز ١٩٤٨ والذي جاء منهاجه مغايراً لمنهج الحزب الديمقراطي.[٦١]

جرت الانتخابات العامة في تركيا في ١٤ أيار ١٩٥٠ ، وشارك فيها ما يقرب من ٨٨% من السكان .[٦٢] وعلى الرغم مما كان يبدو فان المبادرة السياسية كانت بيد الجمهوريين ، لكن النتائج اسفرت عن فوز ساحق للحزب الديمقراطي * إذ حصل على (٤٠٨) مقاعد في البرلمان ، في حين حصل حزب الشعب الجمهوري على (٦٩) مقعداً ، وحصل حزب الامة على مقعد واحد ، فيما حصل المستقلون على (٩) مقاعد .[٦٣] .

ثالثاً: اوضاع تركيا عقب تولي الحزب الديمقراطي السلطة ١٩٥٠-١٩٦٠:

شكل فوز الحزب الديمقراطي منعطفاً تاريخياً كبيراً في تاريخ تركيا الحديث وبداية تحول في مسيرة الحياة الديمقراطية فيها ، والتي لقيت ارتياحاً ملحوظاً في الاوساط الغربية . وقد وصفتها الولايات المتحدة الامريكية بأنها انتصار للديمقراطية.[٦٤] وعقب اعلان نتائج الانتخابات انتقل الحكم دستورياً الى الحزب الديمقراطي ، إذ انتخب جلال بايار رئيساً للجمهورية في ٢٢ أيار ١٩٥٠ والذي كلف بدوره عدنان مندريس لتشكيل اول وزارة لحكومة الديمقراطيين .[٦٥] والتي تضمن برنامجها القضاء على البطالة وتنشيط الاقتصاد الوطني ، وتحقيق الاستقرار السياسي ومنح العمال حقوقهم ، وتأكيد حرية الصحافة ، وتمسك الحكومة بمكافحة الافكار المعادية للسياسة الكمالية أي (الافكار الدينية – الشيوعية)[٦٦] اما سياستها الخارجية فقد اعلنت استمرارها في سياسة تشجيع توظيف رؤوس الاموال الاجنبية وفتح الابواب امام الرأسمال الاجنبي ، وكانت الولايات المتحدة الامريكية في مقدمة البلدان الرأسمالية الكبرى التي استثمرت رؤوس اموالها في تركيا ، إذ بلغت نسبة مساهمتها قرابة ٦٥% من مجموع الاستثمارات الاجنبية.[٦٧]

كما شهدت تركيا في عهد الديمقراطيين عدة تغيرات سياسية واقتصادية [٦٨] واجتماعية حملت في طياتها بذور العوامل التي مهدت الى قيام انقلاب ٢٧ أيار ١٩٦٠ . ففي مجال السياسة الاقتصادية ركزت على مسألتين أساسيتين الاولى تحسين اوضاع الفلاحين الاقتصادية والاجتماعية ، والثانية تشجيع رأس المال الخاص في القطاع

الصناعي وفتح الباب امام الرأس المال الاجنبي .[٦٩] وواصلت حكومة مندريس توزيع الاراضي العائدة الى الدولة لقاء ثمن يدفعه الفلاحون على مدى عشرين عاماً .[٧٠] فصدر قانون الاصلاح الزراعي لسنة ١٩٥١ الذي تضمن اسكان الفلاحين في الاراضي السيحية الحكومية ، وبمضي سنتين على صدور القانون ذكر ان ١/١٦٣/٧٨١ هكتار وقد تحقق توزيعها لمصلحة ٣٧٨٤٩ عائلة فلاحية ، كما وزعت اراض اخرى لاغراض التنمية الحيوانية بلغت مساحتها ١/٠٤٤/٤٦٣ هكتار .[٧١] وارتفعت الاراضي المخصصة لزراعة القمح لتصل ١١٣% عام ١٩٥٧ وكذلك القطن ١٥٥% ومع ذلك هبط انتاج الحبوب اكثر في عام ١٩٥٣ واصبحت تركيا البلد المستورد للحبوب اكثر من كونها بلداً مصدراً.[٧٢] وعملت حكومة مندريس على انشاء السدود وادخال الآلة واستخدام الاسمدة في العمليات الزراعية. [٧٣] واستخدمت الاسمدة الزراعية بشكل كبير في تركيا على الرغم من العراقيل الناشئة بسبب عدم معرفة الفلاح كيفية استخدامها سواء الاسمدة العضوية ام الحيوانية. [٧٤] كما ارتفعت اعداد الجرارات المستخدمة في الزراعة من الف جرار عام ١٩٤٥ الى اربعين الف جرار عام ١٩٥٤ .[٧٥] وتدخلت الدولة لدعم الاسعار إذ كانت تدفع مبالغ لشراء مادة الحبوب بضعف السعر العالمي .[٧٦] الا ان هذه الاعانات الحكومية لم تصل بشكل مباشر الى الفلاحين بل توجهت لمنفعة كبار ملاكي الاراضي فبلغت الاعتمادات التي خصصت لهم خلال المدة ١٩٥٠-١٩٥٦ (٩.٧) مليون ليرة في حين لم تتجاوز تلك الاعتمادات طيلة المدة ١٩٤٥-١٩٥٠ سوى (٣) ملايين ليرة .[٧٧] وهكذا كانت حصيلة هذه الانجازات لخدمة ملاكي الاارضي ، إذ بلغت نسبة ما استورد لصالحهم ٩٠% وما استورد لصالح صغار الفلاحين ٨% والباقي لمزارع الدولة. [٧٨]

اما الصناعة فقد استطاعت الحكومة ، ايجاد قطاعات صناعية مستقلة عن سيطرة الدولة ونقلت مشروعات الحكومة الى القطاع الخاص .[٧٩]

كما انشأت الحكومة عام ١٩٥٠ مصرف الانماء الصناعي وذلك لتقديم العون للقطاع الخاص وقد بلغت قيمة القروض التي منحها المصرف عام ١٩٥٤ ما يقرب من (١١٧)

مليون ليرة ، وبلغت حصة القطاع الخاص من التصنيع في عام ١٩٥٠ نسبة ٥٨% ارتفعت الى ٦٥% في عام ١٩٥٤. [٨٠]

وشهدت صناعات الانسجة والسمنت والفولاذ وانتاج الطاقة الكهربائية تقدماً ملموساً ، كما زاد نشاط تحضير الاطعمة من المنتوجات الحيوانية (اللحوم والاسماك والحليب)[٨١] وشهدت مشاريع الاستثمار ولا سيما في قطاع البناء تطوراً كبيراً .[٨٢]

واستمر تدهور الاقتصاد التركي الذي جاء نتيجة حتمية للسياسة القائمة على عدم التخطيط واعتمادها على مبدأ الانفتاح الاقتصادي وابعاد اشراف الدولة كلياً عن الحياة الاقتصادية ، وعلى الرغم من ان تلك السياسة ادت الى انتعاش في الاقتصاد التركي الا ان السنوات التالية افرزت العديد من المشاكل .[٨٣] مما حدا بالحكومة التركية الى الاتجاه صوب الاعتماد على المساعدات الامريكية والتي احدثت تطوراً نسبياً في الصناعة للمرة الاولى في تاريخ حكم الديمقراطيين واحد اسباب حصول الحزب الديمقراطي على الفوز في انتخابات عام ١٩٥٤. [٨٤] ولتظهر فيما بعد بوصفها مشكلة اقتصادية خطيرة وهي مشكلة الديون ، التي ارتفعت الى خمسة مليارات ليرة عام ١٩٦٠. [٨٥] وأصبحت مشكلة البطالة من اهم المشكلات الاجتماعية التي واجهت حكومة الديمقراطيين خلال عقد الخمسينات ، فقد كان للسياسة الاقتصادية اثرها في تقليل فرص العمل الزراعي ، مما ادى الى هجرة اعداد كبيرة الى المدن التركية ، فارتفعت نسبة العاطلين في المدن الى ٥٠%. [٨٦] ولم تستطع حملة التصنيع التي شهدتها البلاد خلال المدة نفسها من التخفيف من حدة البطالة . [٨٧] بل ازدادت بسبب انهاء عقود الاف من العمال الاتراك العاملين في بلدان اوربا الغربية. [٨٨]

وزادت الفجوة بين الريف والمدينة فهناك نسبة ٣٨% من السكان تقريباً تعيش في فقر مدقع وتحصل على دخل منخفض جداً بحيث لا يلبي الاحتياجات الاساسية وان ما يقرب من ٥% هم من الاغنياء جداً .[٨٩] وادت الهجرة الى خلق حالة من اليأس والاحباط لدى المهاجرين الذين اصطدموا بانماط الحياة الجديدة في المدن وتكاليفها الباهضة في السكن والمعيشة .[٩٠] وهكذا انتشرت مئات الاكواخ الصغيرة حول المدن الرئيسة الاربع

(اسطنبول وانقرة وازمير وادنة) والذين اصبحوا يشكلون ١/٥ عدد سكان هذه المدن في عام ١٩٨٠. [٩١]

ولا بد هنا من الاشارة الى اهمية هذه المسألة للحزب الديمقراطي والذي كان قد اعتمد في وصوله الى السلطة على كسب تأييد ابناء الريف الذين يشكلون نسبة ٧٥% من الناخبين.[٩٢] فضلا عن اصحاب المهن وكبار المقاولين الذين حصلوا على امتيازات مالية كبيرة .[٩٣]

وخلقت سياسة الحزب هذه حالة من التذمر بين اصحاب الدخول الثابتة المحدودة [٩٤] ، مما انعكس على موقفهم تجاه الحزب الديمقراطي الذي جاءت معالجته للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية غير مرضية لمعظم هؤلاء[٩٥] (انظر الجدول) :

التركيب الحرفي لآباء العسكريون *

التركيب الحرفي	الضباط	عرفاء مهنيون
ضباط او عرفاء مهنيون	%١١.٧	%٢,٢
موظفون مدنيون	%٣٤.٧	%١٧.٧
رجال تجارة . صناعيون . مقاولون	%٧.٩	%٢.٦
عمال	%٥.٠	%١٦.٠
تجار صغار وحرفيون	%١٣.٣	%١٦.٧
فلاحون	%١٤.٢	%٣٧.٨
مهن حرة	%١٢.٩	%٦.٢
اصحاب دخول	-	%٠.٥

مسقط رأس العسكريون

	الضباط	عرفاء مهنيون
القرى	%٥.٤	%١٤.٥
المدن	%٢٧.٦	%٥٧.٥
المدن الصغيرة	%٤٣.٠	%٢٢.٥
المدن الكبيرة	%٢٣.٨	%٥.٨

واذا ما امعنا فيما ورد في الجدول فاننا نلاحظ سيطرة الطبقة الوسطى الجديدة للمجتمع التركي على المناصب العسكرية ، وخاصة من الضباط الشباب الذين كانوا يجدون ما يشجعهم ليعدوا انفسهم حملة للاتاتوركية وحماة لمبادئها.[٩٦] وبهذا الشكل كانت تركة اتاتورك للجيش التركي على انه ليس مسؤولاً عن السلوك اليومي للحكومة ولكن الضباط كانوا ينظرون الى انفسهم وكأنهم يستمرون بلعب دور الطليعة الثورية الذي ورثوه في المرحلة العثمانية المتآخرة ، وهذا الصراع العنيف بين هذين الالتزامين هو الذي ادى الى خلق معضلات الجيش والسياسة ، واستطاع الضباط ذوي الرتب المتوسطة في توريط قادتهم وفي استمالتهم للانقلاب " **فكان الانقلاب بالاساس انقلاباً كولونيلات بواجهة من الضباط الكبار الذين جندهم الضباط الصغار للاستفادة من تشكيلة التنظيم الهرمي في الجيش التركي**" [٩٧] . ولا ننسى بأن مشكلتا البطالة والهجرة من ابرز المشاكل التي احدثت هدراً كبيراً في القوى البشرية والاقتصادية ، وادت الى الانحراف الاجتماعي وعلى الاخص في الطبقة الوسطى من المجتمع التركي والذي خلق جواً مهيئاً تماماً لاحداث انقلاب ٢٧ آيار ١٩٦٠ . وفي الاشهر الاخيرة قبيل الانقلاب كانت هناك ثمة مؤشرات في تزايد قلق الحكومة بشأن تردي الاوضاع الاقتصادية ، وضرورة اجراء اصلاحات اقتصادية، ولاجل ذلك ترأس فطين زورلو وزير الخارجية وفداً رفيع المستوى حضر اجتماعات هيأة اتحاد المدفوعات الاوربية الذي انعقد في نيسان ١٩٦٠ وطرح فيه حاجة تركيا الى الدعم الاجنبي من اجل تنفيذ الاصلاح الاقتصادي . [٩٨]

وتبقى المسألة الدينية الركيزة المهمة في عقد الخمسينات إذ كان التحول في العلاقة بين الدين والدولة بمجيء الديمقراطيين انعطافة كبيرة في تاريخ تركيا السياسي . فقد اتبع قادة الحزب سياسة اكثر تسامحاً ممن سبقوهم ، فقد اصدر المجلس الوطني في سنة ١٩٥٠ قراراً يسمح بقراءة القرآن الكريم ، واداء الاذان باللغة العربية ، بعد ان كانا يؤديان باللغة التركية ، وسمح بتدريس مادة التربية الدينية التي اصبحت الزامية في المدارس الابتدائية وجعل التوجيه والارشاد الديني اختياراً في بقية المراحل . [٩٩] وهاجم الديمقراطيون نهج اتاتورك الذي تخلى عن الإسلام ووصفوه بالإلحاد والفساد والتحلل الخلقي والذي اوصل تركيا الى ازمة اخلاقية ولا سيما بين الشباب التركي . [١٠٠]

ان هذا التراجع تكتيكي يكمن في سببين احدهما ادارة سياسية انتخابية تنافسية، اما الثاني فهو الاقرار بتخفيض القيود عن اجراءات اتاتورك الصارمة ، لان مثل هذه الاجراءات كانت ضرورية بوصفها قواعد للاصلاح على المدى الطويل ، وعلى هذا فمن الممكن الاتفاق مع اولئك الذين لاحظوا ان سياسات الحزب الديمقراطي بدأت اكثر ديمقراطية .[١٠١]

وشهدت مدة الخمسينات انتشار الطرائق الصوفية * وظهرت منظمات واحزاب ذات ميول دينية مثل الحزب الديمقراطي الاسلامي (Islam Demokratiti Partisi) وحزب النهوض الديمقراطي (Kalkinma Demokratiti Partisi) والجمعية العسكرية المعروفة بيوك طوغو (Buyuk Dogu) وهذه الاحزاب جميعها تبنت الميول الدينية[١٠٢] وبرزت الحركة النورسية بوصفها انشط حركة دينية على الساحة التركية مستغلة التسامح الديني الذي ابداه الحزب الديمقراطي منذ عام ١٩٥٠ [١٠٣] واستطاعت كسب الانصار لها والانتشار في عموم تركيا . [١٠٤]

ان الديمقراطيين الذين وظفوا المسألة الدينية لصالحهم اعتقدوا ان العقيدة الدينية ستقف حاجزاً امام الشيوعية . [١٠٥] في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وخروج الاتحاد السوفياتي (السابق) منتصراً. [١٠٦] ولا بد من الاشارة الى ان مرحلة الخمسينات شهدت عدة مبادرات للسلام بين تركيا والاتحاد السوفياتي في القرن العشرين دون ان تحقق نتائج ملموسة ، اذ عد الاتراك هذه التحركات تكتيكاً سوفيتياً جديداً صمم لعزل تركيا عن الغرب

بخاصة بعد اقامة علاقات ودية سوفياتية – مصرية عام ١٩٥٥ ، وقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، وتدخل الجيش الاحمر لانهاء الانتفاضة الهنغارية عام ١٩٥٦ ، ذلك كله اثار مخاوف الاتراك من تحركات الاتحاد السوفياتي السلمية فبدأت بالضغط ومحاربة الاتجاهات اليسارية. (١٠٧) ومن جهة اخرى فان الديمقراطيين حققوا نجاحاتهم الثلاثة في الانتخابات طيلة المدة ١٩٥٠-١٩٦٠ من خلال اعتمادهم على الفلاحين الذين كانوا يشكلون قرابة ٧٠% من الاصوات ، لما اتسم به هؤلاء الفلاحون من التدين.(١٠٨) ولكن سياسة التسامح الديني التي انتهجتها حكومة الحزب الديمقراطي خلقت ردود فعل عكسية وبدأت ملامح اقحام الدين في السياسة تأخذ صورتها في الشارع التركي .(١٠٩) مما اثار احزاب المعارضة الاخرى .(١١٠) ودفع بالحزب الديمقراطي الى اعادة تقييم سياسته * ، فأقر المجلس الوطني التركي الكبير قانوناً تضمن انزال عقوبة الاعدام بقادة واعضاء المنظمات والجمعيات التي تعمل على استهداف النظم الاجتماعية والاقتصادية السائدة في البلاد ، ولا سيما تلك التي تحاول ضرب البنى العلمانية القومية للنظام الاجتماعي في تركيا. (١١١) وقدمت حكومة الديمقراطيين شكوى ضد الحزب القومي ، مفادها (ان الحزب المذكور يستغل الدين لاغراض سياسية ، ويحاول القضاء على النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في البلاد) .(١١٢) واستناداً الى هذه الشكوى فقد قررت محكمة انقرة حل الحزب القومي .(١١٣) واصدر المجلس الوطني التركي الكبير قانون (حماية الوجدان والاجتماع) والذي منع بموجبه استغلال الدين لتحقيق المآرب الشخصية والسياسية. (١١٤)

ومهما يكن من أمر ، فقد ظل الحزب الديمقراطي يوصف بأنه الحزب الذي استغل الدين لصالح اغراضه السياسية طيلة عشر سنوات ، وصفت هذه المدة بانها مدة احياء الشعور الاسلامي في تركيا وبخاصة في نظر المراقبين الغربيين ، لكنها في حقيقة امرها " **تعد تعبيراً ناتجاً عن عداء مكبوت ضد العلمانية وما ترمز اليه والذي ظل متراكماً طيلة سبعة وعشرين عاماً من الحكم الاستبدادي السلطوي**".(١١٥)

اما على المستوى الخارجي فيمكن القول ان تركيا في عقد الخمسينات حاولت ان تكون يد الغرب في المنطقة العربية ، فقد سعت ومنذ عام ١٩٥١ وبجهود حثيثة لتأسيس منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط (MEDO) ولكنها اخفقت ، وسرعان ما عادت

لتحيي امالها من خلال حلف بغداد عام ١٩٥٥ . ويقيم كمال كربات اخفاقها هـذا " **بـان الدبلوماسية التركية في الشرق الاوسط كانت تواصلاً لسياستها خلال ١٩٢٣-١٩٤٥ ، عندما تعاملت تركيا مع مشاكل المنطقة عبر فرنسا وانكلترا اكثر من تعاملها مع الغـرب الامر الذي انعكس على موقع تركيا لدى الدول العربية** ".(١١٦)

الخاتمة:

لا شك ان تركيا الحديثة هي وليدة اندثار الدولة العثمانية ، بعد الحـرب العالميـة الاولى، وخروجها مدحورة محتلة الاراضي من دول الحلفاء ، وسرعان ما ظهرت ردود افعال قوية تطورت الى حركة تحرير وطني بزعامة مصـطفى كمـال اتـاتورك الـذي استطاع ان يحقق وحدة الوطن التركي وسيادته ، واضعاً ايديولوجية تقوم على ستة مبادئ (الجمهورية ، الوطنية ، الشعبية ، الدولتية ، الثورية العلمانية) والتي ظلت تسـير عليهـا إلى وقتنا الحاضر.

وعلى نحوٍ عام، ادت الاوضاع الدولية الخارجية ، السياسية منها والعسكرية دوراً فـي جر تركيا الى تغييرات عديدة لتجاري التحولات الديمقراطية في الدول الغربيـة ، فطيلـة عقد الخمسينات من القرن الماضي اقدمت تركيا على تطوير البنى التحتية للمجتمع التركي (الزراعي – الصناعي – التجاري) وبشكل سريع ، مما جعل تركيا تخفـق فـي تحقيـق التنمية المطلوبة ، واوقعتها هذه السياسة في اشكاليات عديدة ، عجزت عن تقديم الحلـول الناجعة لها فضلاً عن ذلك فقد سعت تركيا خلال هذا العقد ايضـاً الـى تطـوير نهجهـا الديمقراطي ، ففتحت الباب لتأسيس الاحزاب السياسية ، التي وجدت فرصتها في تحقيـق اهدافها السياسية ، وقد تباينت هذه الاحزاب ، في أيديولوجياتها ، بين اليمـين واليسـار ، والذي سعى كل منهما الى الوصول الى اهدافه وتطبيق افكاره بممارسـات متخاصـمة ، متنافسة ، وقادت هذه الممارسات الى مرحلة خطيرة خلال السـبعينات ، إذ بـدأت هـذه القوى باستخدام اسلوب العنف السياسي ، من اجل الوصول الى السـلطة وتسـلم مقاليـد الحكم، وكادت تقع تركيا في حرب اهلية إذ تعرض المجتمع التركي الى خطـر الانقسـام

والتمحور والتفكك والضعف ، خاصة وان الحكومات التي تولت مقاليد الامور كانت ضعيفة وعاجزة عن حل مشكلات تركيا خلال هذا العقد .

بيد أن تركيا تعرضت الى المشكلات الاقتصادية المزمنة نتيجة لاخطاء السياسات الاقتصادية التي مارستها الحكومات التركية خلال مدة الخمسينات من القرن الماضي ، لتتجسد كحقيقة واقعية استعصت على الحكومات التي استلمت مقاليد الحكم لاحقاً ، والتي تمثلت بعدم التوازن النوعي والكمي بين حجم السكان والموارد الطبيعية ، وانخفاض انتاجية العمل ، ندرة الكوادر العلمية والتكنولوجية التي تسهم في تصنيع وتحديث وتحضر المجتمع ، وارتفاع معدلات البطالة ، وارتفاع الاسعار وانخفاض الاجور ، وتدهور معدلات الاستثمار ، وانخفاض معدل دخل الفرد وشحة الموارد الاقتصادية وعدم القدرة على استثمارها فأسهم ذلك كله الى شيوع حالات التذمر وعدم الرضى ، في دفع القوى والحركات السياسية الى استغلال هذه الحالة ، فجاءت ظاهرة العنف السياسي والاغتيالات كأحد ابرز نتائج هذه الازمة ، وكان في مقدمتها انقلاب أيار ١٩٦٠.

هوامش البحث:

(1) Jerry wayne milam : Toward independence : Asurvey of the determinants of Turkeys Foreign policy " by Naval postgraduat school, December 1978, p.4 ;- نوال عبد الجبار ظاهر الطائي، التطورات السياسية الداخلية في تركيا ١٩٦٠-١٩٨٠، اطروحة دكتوراه، كلية التربية ، جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص٧.

(٢) وقعت اتفاقية مونترو في ٢٠ تموز ١٩٣٧ من الاتحاد السوفياتي (السابق) والولايات المتحدة الامريكية وتركيا وبريطانيا وفرنسا وبلغاريا واليونان واليابان ورومانيا ويوغسلافيا ونصت على مبدأ حرية مرور السفن التجارية والحربية في زمن السلم والحرب واعطت لتركيا حق تحسين المضايق . انظر جورج لنشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر خياط (بغداد، ١٩٦٤) ص ٣٠٣-٣٠٤ .

(٣) للمزيد من التفاصيل حول جمهورية اذربيجان ، انظر كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، (بغداد ، ١٩٨٥) ص ١٤٥ -١٤٧ .

([4]) S. G. Xydis : New Light on the Big Three Grisis Over Turkey in 1945. (Middle East Journal, Vol. 14. 1960), p.417.

([5]) Jerry wayne Milam : Op. Cit. P.41.

([6]) T. C. Basbaknalik: Devlet Arsivleri Genel Muslurugu, Musulkcrkuk lle llgili Arsiv Belgeleri (Ankara 1963) S..S 253-265.

([٧]) للمزيد من التفاصيل عن مؤتمر بوتسدام انظر : مقررات مؤتمرات طهران – يالطا – بوتسدام اعداد روبيرت بيتزل ، ترجمة عبد الرضى دهيني ، (الرياض – د.ت).

([٨]) روي مكريدس ، السياسة الخارجية لدول العالم ، ترجمة حسن صعب (بيروت ،١٩٦١) ص ٤٠٥-٤٠٦ .

([9]) Jerry wayne Milam: Op. Cit. P.42.

([١٠]) بدأت تركيا بنشاطات دبلوماسية حثيثة ابدت فيها استعدادها للتجاوب مع الدول الغربية (بريطانيا والولايات المتحدة) إذ وقعت مع بريطانيا اتفاقاً في لندن في ١٠ تموز ١٩٤٥ لمجابهة المطامع السوفياتية، وما لبثت الولايات المتحدة ان ايدت هذا الاتفاق وعدة المطالب السوفيتية محاولات جديدة للعودة الى السياسة القيصرية التقليدية في الوصول الى المياه الدافئة عبر الاراضي التركية. للمزيد من التفاصيل انظر جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د . ك . و . تقارير المفوضية العراقية في انقرة ملفه ٢٧٣٧ و ١٥٦٠ . (الوضع العام في تركيا في ٢٤ /١٠/١٩٤٦) . وللمزيد من التفاصيل حول العلاقات التركية السوفياتية بعد الحرب العالمية الثانية ، انظر : زياد عزيز ، العلاقات التركية – السوفياتية ١٩٥٠-١٩٩٠ ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٠ .

([11]) Jerry wayne Milam : Op. Cit. P.42.

([١٢]) اندرو فنكل واخرون ، تركيا المجتمع والدولة ،(بغداد ، بيت الحكمة ، ٢٠٠٢)، ص ٦٩ .

([١٣]) نوال عبد الجبار ظاهر الطائي، المصدر السابق، ص ٩.

([١٤]) فرانك تاجو ، سياسة تركيا الخارجية ،(القاهرة، ١٩٨٥)، ص ٢.

([15]) Kemal Karpat: Society Economics and politics in contemporary Turkey, London, 1964, pp. 114-116 .

([١٦]) وهو نظام ضريبي ثقيل لرأس المال ، فقد كانت تفرض الضرائب فيه على المشاريع التجارية والمنشآت الصناعية واصحاب المباني ، وكانت غايته الحد من المنتفعين من رجال الاعمال والوسطاء الذين اكتسبوا الثروة عبر السوق السوداء وتعاملاتهم في السلع المستوردة اثناء الحرب وكان يخضع الذين يعجزون عن تسديد ضرائبهم الى اعمال قاسية حتى يستكملوا تسديد مبلغ

الضريبة وقد لاقى هذا النظام انتقادات شديدة من قبل الدول الخارجية وعلى الاخص الولايات المتحدة الامريكية . انظر للتفاصيل :

CF. Faik Okte : Varlik Vergisi Eaciasi, Istanbul 1951.

(١٧) بيرج بيربيروغلو ، تركيا في ازمة من رأسمالية الدولة الى الاستعمار الجديد ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات (بغداد ، ١٩٨٣) ص ٩٤ .

(١٨)نوال عبد الجبار ظاهر الطائي، المصدر السابق، ص ٩.

(١٩) فيروز احمد ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(20) Frederik Frey: The Turkish Political Elite, (Cambridge, The M. I. T. press 1965) p.44.

(21)Dogan Avcioglu : Turkiye' nin Duzeni (Ankara : Bilgi Yayinevi, 1968) S.37; كذلك Max weston Thornburg : Turkey : an Economic Appraisal, Twentieth Contury Fund 1949 , pp. 35-36 .

* لم تكن الولايات المتحدة الامريكية تهتم بالوطن العربي ودول الجوار الجغرافي ومنها تركيا الا بعد الحرب العالمية الثانية . وذلك نتيجة للتغلغل الشيوعي في دول البلقان وايران ، ولهذا بدأت بالمساهمة مادياً وسياسياً في بعض الدول الاوربية ومنها تركيا من اجل حصر الشيوعية ومنع تسللها الى حوض البحر الابيض المتوسط عن طريق تركيا واليونان ، او الى منطقة الخليج العربي عن طريق ايران والعراق . ولذا فقد طرح مشروع تقديم هذه المساعدات من قبل الرئيس الامريكي السابق ترومان في ٦ نيسان ١٩٤٦ بمناسبة الاحتفال بيوم الجيش الامريكي . انظر للتفاصيل : احمد نوري النعيمي ، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية ، رسالة ماجستير منشورة ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٠٨-١١١ .

(٢٢) تشير الارقام الى ان حجم المساعدات الامريكية تصاعدت منذ عام ١٩٤٧- فقد حصلت تركيا حتى عام ١٩٦١ على ١٨٦٢ مليون دولار منها ١٣٩٤ مليون دولار على شكل مساعدات عسكرية والباقي مساعدات اقتصادية انظر : Jerry wayne Milam : Ibid. p.45.

(23) F. H. Arma Oglu: Siyasi Tarih, Ankara, 1977, p.743.

(24) Richard D. Robinson : The First Republic, (Cambridge Harvard University press, 1963) pp 111-115.

(٢٥) فوزي جقماق : ولد في اسطنبول عام ١٨٧٦ ، ويعد من اشهر القادة البارزين ايام حرب الاستقلال التركية ، تولى منصب وزير الدفاع في حكومة انقرة عام ١٩٢٠ ، ومنصب رئيس الوزراء في حكومة المجلس الوطني ١٩٢٠-١٩٢٢ ، وكان من اشد المتحمسين للافكار

المتطرفة الممزوجة بالاتجاه الديني، توفي في اسطنبول عام ١٩٥٠ . للمزيد من التفاصيل انظر: قاسم خلف الجميلي ، تطورات واتجاهات السياسة الداخلية في تركيا ١٩٢٣-١٩٢٨ ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة بغداد ١٩٨٥ ، ص ١٤١ .

(٢٦) لوسيل دبليوبيفسنر ، ازمة السياسة التركية الخلفية ووجهات النظر واحتمالات التقدم والنجاح ، ترجمة حسن نعمة سعدون ، (بغداد . د. ت) ، ص٣٩ ؛ كذلك

Mustafa Muftoglu : Cumhuriyet Tarihinde Muhim Olaylar, Ankara, 1988, ss. 312-313.

(27) Freyy : Op. Cit. p.112.

(28) Cf. Niyazi Berkes: The Development of Secularism in Turkey (Montreal Mc Gill University press, 1964) p.p 347-349.

(٢٩) جلال بايار : سياسي تركي سابق وثالث رئيس للجمهورية التركية ، ولد في ١٥ أيار ١٨٨٣ في مدينة عمر بيك (Umur bey) بالقرب من بورصة . وكان والده عبد الله فهمي افندي مديراً للمدرسة الثانوية في المدينة وفقيهاً في الوقت نفسه ، دخل بايار المدرسة الفرنسية العالية في بورصة ، ولكنه لم يذهب الى الجامعة ، عمل في البنك الزراعي واصبح اخيراً مديراً لفرع البنك في بورصة عام ١٩٠٧ . بدأ حياته العملية والوظيفية في اعمال الصيرفة ولكنه كان يمضي غالبية اوقات فراغه في العمل في صفوف حركة تركيا الفتاة . وعندما تسلم مصطفى كمال اتاتورك قيادة الجيش التركي في حرب الاستقلال عين بايار مساعداً للقائد العسكري في اقليم ايجة تحت اسم (غالب خوجه Galip Hoca) في عام ١٩٢٢ شغل منصب وزير الاقتصاد فضلا عن عمله وزيراً مختصاً يشرف على اعادة ترتيب وتنظيم قيادة السكان بين تركيا واليونان بعد ان كان قد ارسل بوصفه عضواً الى مؤتمر لوزان في تشرين الثاني ١٩٢٢ ، عاود بايار عمله في الصيرفة عام ١٩٢٤ حيث قام بتأسيس بنك (ايش التركي IS Bank) الذي ما يزال يعد اكبر البنوك الخاصة في تركيا في عام ١٩٢٣ عين مرة اخرى وزيراً للاقتصاد الوطني ، انتخب رئيساً للوزراء في عام ١٩٣٧ وبقي في منصبه حتى عام ١٩٣٩ . اسس بايار الحزب الديمقراطي في ٧ كانون الثاني ١٩٤٦ بعد معارضته الشديدة لقانون الاصطلاح الزراعي الذي اقترحه اينونو عام ١٩٤٥ . اصبح بايار رئيساً للجمهورية حين فاز حزبه فوزاً ساحقاً في الانتخابات التي اجريت في تركيا عام ١٩٥٠ حيث بقي في منصبه حتى انقلاب ٢٧ ايار ١٩٦٠ ، اعتقل وحكم عليه بالاعدام ثم ابدل الحكم بالسجن المؤبد عام ١٩٦١ ، اطلق سراحه عام ١٩٦٦ على اثر سوء حالته الصحية (اصيب بداء السكر وضغط الدم العالي) في عام ١٩٧٤ استعاد بايار حقوقه السياسية جميعها بصفته رئيساً للجمهورية . يعد بايار الاب

الروحي للاحزاب اليمينية . ويوصف في انقرة بانه احد الرموز لنهضة تركيا الحديثة توفي عن عمر يناهز ١٠٤ سنة انظر :

Al-Manac: Aturkish Daily News: Publication Editor ilnur Gevik- Ankara-1986, p.520; Kemal Karpat : Turkey politices the transition to Amulti party system, prineeton univ, press, N.Y.1969, p.408; Almanac: A turkish Daily News, 1982, p.552.

(٣٠) رفيق كورالتان (Rafik Korltan) : ولد في ديريفي Dirrigi عام ١٨٩١ ، وكان قاضياً ومحامياً مرموقاً ومن قيادي حزب الشعب الجمهوري انتخب نائباً عن مقاطعة ابتيل (ICEL) انظر :

Geffery Lewis: Turkey (London, 1955) p. 127.

(٣١) عدنان مندريس (Adnan Menderis) : ولد في مدينة آيدن (Aydin) في عام ١٨٩٩ من اسرة قرية (ملاك اراضي) تعلم في كلية امريكية ومدرسة الحقوق في انقرة ، شارك في المعارضة السياسية ومارس العمل السياسي وهو في الحادية والثلاثين من العمر ، انضم الى حزب الشعب الجمهوري إذ انتخب نائباً عن مقاطعة Aydin وبقي في صفوف حزب الشعب حتى عام ١٩٤٥ اذ طرد منه ، ويعد من مؤسسي الحزب الديمقراطي ، وقد كان يتمتع بشخصية فائقة ويتميز بذكاء حاد مع الفهم العميق ، وقد فهم فلسفة الشعب التركي ولا سيما الفلاح التركي ، ويمتلك خصائص قيادية ، وعندما قرر بايار اتخاذ شكل المعارضة دعا مندريس لمساعدته في هذا المجال ، فاصبح مندريس رئيساً للوزراء بعد فوز الحزب الديمقراطي عام ١٩٥٠ حكم عليه بالاعدام بعد انقلاب ٢٧ آيار ١٩٦٠ حيث نفذ فيه الحكم عام ١٩٦١ . انظر للتفاصيل .

Bernard Lewis: The Emergence of Modren Turkey Oxford Univpress, (London, 1966) p.139 كذلك احمد نوري النعيمي : ظاهرة التعدد الحزبي في تركيا (بغداد ١٩٨٩) ص ٢٤ .

(٣٢) فؤاد كوبرولو (Fuad Koprulu) : ولد في اسطنبول عام ١٨٨٨ ، والده اسماعيل فاضل بك كان قاضياً وسكرتيراً عاماً للمحكمة الجنائية الثانية ، درس الحقوق في اسطنبول بين عامي ١٩٠٨-١٩٠٩ ولكنه لم يحصل على شهادة الحقوق ، مارس عمله مدرساً للادب في مدرسة مرجان الكبير ، اختير استاذاً للتاريخ والادب التركي في جامعة اسطنبول عام ١٩٢٣ ، وعمل استاذاً للتاريخ الدبلوماسي والتاريخ التركي في مدرسة العلوم السياسية في اسطنبول في المدة ١٩٢٣-١٩٢٩ واختير عميداً لكلية الاداب في جامعة اسطنبول عام ١٩٣٤ . دخل معترك الحياة السياسية في عام ١٩٣٥ عندما اختير نائباً عن قارص (Kars) عام ١٩٣٥ وبعد عشر سنوات اصبح نائباً عن حزب الشعب الجمهوري في المجلس الوطني الكبير . طرد كوبرولو من

حزب الشعب في ٢١ ايلول عام ١٩٤٥ إذ شكل مع جلال بايار وعدنان مندريس ورفيق كورالتان الحزب الديمقراطي ، انتخب نائباً عن الحزب في اسطنبول عام ١٩٥٠ . عين وزيراً للخارجية في الوزارة الاولى لمندريس في ٢٢ مايس ١٩٥٠ بقي في هذا المنصب حتى ١٥ نيسان ١٩٥٥ ، حيث تخلى كوبرولو عن الحزب الديمقراطي بسبب خلافاته مع مندريس . اعتقل بعد انقلاب ٢٧ أيار ١٩٦٠ وارسل الى جزيرة ياس ادا (Yassiada) ولكنه اطلق سراحه في ايلول ١٩٦١ ، توفي في اسطنبول في ٢٨ حزيران ١٩٦٦ ، وله العديد من الكتب في التاريخ والادب التركي . انظر للتفاصيل .

Matin Tamkoc: The Warrior Diplomats Gnardions of the National Secarity and Modernization of Turkey Utah Unir press, (Salt Lake city, 1976) pp 333-339; William Spencer : political Evaluation in Turkey in the Middle East, (philadelphia, 1962) 79.

(٣٣) قدم الاربعة تقريراً الى المجلس الوطني الكبير في ١٢ حزيران ١٩٤٥ سمي تقرير الاربعة (Dortlu Takrir) انتقدوا فيه النظام الداخلي لحزب الشعب الجمهوري وطالبوا بتغيير كل القوانين المنافية للديمقراطية والتي اصدرتها الحكومة ، كما دعوا الى توسيع الحريات الديمقراطية . انظر

Spencer: Op. Cit. P.79.

كذلك فيروز احمد : صنع تركيا ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(34) F. Husrav, Tokin: Turk Tarihinde siyasi partiler Ve siyasi Dusuncenin Gelismesi (Istanbul, 1965) S. 78.

(35) Karpat : Op. Cit. P. 169; Mustafa Muftuoglu : A. g. e. ss. 304-311.

(٣٦) طالب حزب النهضة القومي بالانتخابات المباشرة ، وانتخاب رئيس الجمهورية في استفتاء شعبي، والدعوة الى نظام الاقتصاد الحر ، والحد من ملكية الدولة لوسائل الانتاج وفي السياسة الخارجية دعا الى تقوية علاقات تركيا مع الاقطار الاسلامية ولا سيما مع الدول المجاورة لتركيا والحد من ارتباطات تركيا الغربية انظر : Ibid. pp. 138-139.

(37) F. Nalbandoglu: Demokrasi Ve Rejimler politi kasi (Ankara-1950) S.55.

(38) Celal Bayar : Diyorki, (Ankara, 1950) s. 140 .

(39) Tokin : A. g. e. s.78.

(40) F. Tevetoglu: Turkiye'de Sosyalist Ve Komunist Faaliyetlei (Ankara, 1967) s.538.

(٤١) محسن حمزة العبيدي : التطورات السياسية الداخلية في تركيا ١٩٤٦-١٩٦٠ ، رسالة ماجستير، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩ ، ص ٦٩ .

(42) Karpat : Op. Cit. P. 440. , Tevetoglu: A.g.e. S.547.

(43) Karpat : Op. Cit. P.441.

(٤٤) د. خليل علي مراد : الاحزاب السياسية والمسألة الدينية في تركيا ١٩٤٦-١٩٦٠ في د. ابراهيم خليل احمد واخرون : الاسلام والعلمانية ، جامعة الموصل ، مركز الدراسات التركية ، ١٩٩٦ ، ص٧٣ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

(٤٧) قاسم خلف الجميلي : المصدر السابق ، ص١٤٢ ؛ كذلك Mustafa Myftuoglu : A.g.e. s.314.

(٤٨) د. خليل علي مراد : المصدر السابق ، ص٧٣ .

(49) Feroz Ahamad: The Turkish Experiment in Democracy 1950-1975. (London, 1977) P.370.

(٥٠) د. خليل علي مراد : المصدر السابق ، ص٧٣ .

(٥١) اتخذت حكومة رجب بكر عدة اجراءات لقمع النشاط اليساري في البلاد ، ففي اسطنبول قررت قيادة الادارة العرفية ، اغلاق مراكز وفروع (حزب العمال والفلاحين التركي) و (الحزب الاشتراكي التركي) بعد ان اتهمتهما بانهما يشكلان واجهة من واجهات الحزب الشيوعي التركي المحظور ، كما اغلقت الحكومة مراكز النقابات العمالية والتي اسست واديرت من هذين الحزبين مثل نادي العمال واتحاد نقابات العمال في اسطنبول ، فضلاً عن تعطيل الصحف والمجلات التي كانت تروج لآراء == == تلك الاحزاب منها صحف (كون Gun) ودوست Dost وسس (Ses) . جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د . ك. و. ، تقرير المفوضية الملكية العراقية في انقرة الى وزارة الخارجية العراقية في ١٩٤٦/١٠/٢٢ ملفه ٤٧٣٧ و ١٣٤٠ (اخبار تركيا الداخلية) .

(52) Karpat . Dp-Cit. P.197.

(٥٣) كانت حكومة رجب بكر قد اصدرت في ٧ أيلول ١٩٤٦ قرارات تضمنت فسخ المجال للاستيراد الحر وفتح الابواب امام القطاع الخاص وبخاصة في ميدان التجارة الخارجية وكانت الحكومة تهدف من وراء ذلك توفير البضائع في الاسواق ومن ثم انخفاض اسعارها جراء المنافسة التجارية ولتعزيز مكانة برجوازية المدن الاقتصادية والاجتماعية والتي تؤدي الى خلق

نوع من التصادم بينها وبين المنتجين المحليين ومن ثم كسب ابناء الريف من الفلاحين والعمال واحداث انقسامات في التركيب الاجتماعي للحزب الديمقراطي المعارض وهذا ما تراجعت عنه حكومة حسن سقا الحكومة التالية لحكومة رجب بكر ... انظر ملف تركيا للاحزاب السياسية ١٩٢٣-١٩٨٤ ترجمة م . ب . م . (بغداد ١٩٨٥) ص٤ ؛ كذلك

Essioglu, Kanil, Siyasi partiler Yassasi (Ankara 1984) S. 188-184; Cuneyt Arcayurek : Demokrasinin ilk XILLARI 1947-1958, (Ankara, 1983) ss. 118-121; كذلك

عماد احمد الجواهري : المبادئ الاتاتوركية والعمل الحزبي في تركيا ١٩٢٣-١٩٦٠ مجلة دراسات عربية، العددان ٨-١٢ حزيران تشرين الاول (بيروت ١٩٨٢) ص ١٠٢ وما بعدها .

([54]) Karpat : Op. Cit. pp. 191-192 .

([٥٥]) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام . د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٣٧ ، و١٤٠ في١٩٤٧/٧/١١ .

([٥٦]) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٣٧ ، و ٩٥ في ١٩٤٧/٩/١١ ، الوضع السياسي في تركيا .

([٥٧]) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٣٧ ، و ٩٢ في ١٩٤٧/١٠/١٨ . كذلك Cuneyt Arcayurek : Demokrasinin, A.g.e. ss. 130-133.

([٥٨]) كما دعا الى الاستمرار في السير على تشجيع القطاع الخاص ، والحد من اشراف الدولة على الاقتصاد ، وفسح المجال امام الحريات الديمقراطية . انظر Feroz ahmed : The Turkish Experiment, pp.22-28

([٥٩]) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٣٧ و٧٥٠ في ١٩٤٨/٤/٦ حزب معارض في تركيا .

([٦٠]) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٣٧ ، و٥٠٠ في ١٩٤٨/٥/١٠ .

([٦١]) اكد حزب الامة على الحرية الدينية ، وطالب بتوسيع حصص الدروس الدينية في المدارس والاهتمام بالتاريخ العثماني وسيرة ابطاله وعد الدين والتاريخ الدعامتين الأساسيتين للفكرة القومية التركية الجديدة . انظر : جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٣٧ ، و ٦٠ في ١٩٤٨/٩/١٢ . وكذلك طلال يونس الجليلي :

التيار الاسلامي في الحياة السياسية التركية ١٩٤٥-١٩٨٣ ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية التربية ، جامعة الموصل عام ١٩٩٩ ، ص ٥٠.

(٦٢) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في اسطنبول ، ملفه ٢٧٣٨ و ٣٦ في ١٩٥٠/٥/٢٨ (الانتخابات في تركيا) كذلك M.Cezar: Tarih, Cilt- III (Istanbul 1950) S.215 وجريدة الاهرام القاهرية في ١٩٥٠/٥/١٦ .

* كانت الوعود التي قطعها الحزب الديمقراطي في الحرية وراء اعطاء الجموع من ابناء القرى والارياف اصواتهم له اما التجار وكبار الرأسماليين فقد اعطوا اصواتهم الى الحزب الديمقراطي لاسباب عديدة كان من بينها انتماء ابناء هذه الشرائح الى الاقليات الدينية والقومية كالارمن واليونانيين ويهود الدونمة وهؤلاء كانوا غير مرتاحين لسياسة حزب الشعب الجمهوري الاقتصادية . انظر محسن حمزة العبيدي ، المصدر السابق ، ص١٠٣ ، كذلك ساجلاد كيدر : تركيا الحديثة في كتاب تركيا بين الصفوة البيروقراطية والحكم العسكري ، ترجمة سامي الرزاز (بيروت ، مؤسسة الابحاث العربية ، ١٩٨٥) ص٣٣ .

(٦٣) جريدة الاتحاد الدستوري (العراقية) ١٩٥٠/٦/٦ كذلك
S.S. Aydemir. Ikinci Adam, Cilt 1-3 (Istanbul, 1967) C.2 SS-23-33.

(٦٤) جريدة الاهرام (المصرية) ١٩٥٠/٥/١٩ و١٩٥٠/٥/٢٣ ؛ كذلك : Cuneyt Arcayurek Demokrsinin, A. g. e. , ss. 164-166, Ve ss. 184-187.

(٦٥) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٣٨ و٩٦ في ١٩٥٠/٥/٢٤ .

(٦٦) جريدة الاتحاد الدستوري (العراقية) ١٩٥٠/٥/١٧ .

(٦٧) حققت تركيا في عهد الديمقراطيين انجازين كبيرين في سياق جهودها الدبلوماسية باتجاه الغرب ، الاول قبولها عضواً كاملاً في حلف الناتو عام ١٩٥٢ وارسال فرقة تركية للقتال نيابة عن الامم المتحدة عام ١٩٥٥ ، وهكذا استطاعت تركيا الاصطفاف رسمياً مع الغرب . انظر فرانك تاجو : المصدر السابق ، ص٣ ؛ كذلك بيرج بيربير وغلو ، المصدر السابق ، ص١٢١ .

(٦٨) اكدت حكومة مندريس في برنامجها " الاخذ بجميع الاحتياطات لتمكين المشروع الخاص قانونياً وفعلياً من القيام بواجباته وذلك لإيجاد الظروف الخاصة للاستفادة الى حد بعيد من المشاريع الاجنبية ولحماية الانتاج من التأثيرات الضارة للدولة وعلى هذا الاساس يجب علينا الحد من تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية الى ابعد الحدود ،== == وان تدخل الدولة في هذه المشاريع يكون استثناء ولضرورات عامة " . انظر : احمد نوري النعيمي : تركيا وحلف شمال الاطلسي (عمان ، ١٩٨١) ص ص ١٠٣-١٠٥ .

(٦٩) مصطفى الزين : اتاتورك وخلفاؤه ، ط١ (بيروت ١٩٨٢) ص٢٨٨.

(٧٠) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، تقرير شهر كانون الاول ١٩٥٤ ، ملفه ٢٧٤٢ و١٠ في ١٩٥٥/٥/١ .

(٧١) عماد الجواهري : توجيه سياسة الاصلاح الزراعي في تركيا ١٩٢٣-١٩٨٠ مجلة (دراسات تركية) العدد ٢ ، السنة الاولى ، كانون الاول ١٩٩١ ، مركز الدراسات التركية ، جامعة الموصل ، ص٤٣ .

(72) Intelligence Report : Department of State No7745 June, 27,1958, The Turkish Economy patterns, perspectives and paraspect, The Report prepared by: Division of Research and Analysis for Near East South Asia and Africa.

(٧٣) بيرج بيربير وغلو : المصدر السابق ، ص١٤٨ .

(74) Intelligence Report: Department of State No.7745, Op. Cit. p.1.

(٧٥) الامم المتحدة ، التطورات الاقتصادية في الشرق الاوسط ١٩٤٥-١٩٥٤ (نيويورك ١٩٥٥) ص١٩٤ .

(76) Y. Sertel: Turkiye de lierici, Akimlar yayinlari (Istanbul, 1969) S.77.

(٧٧) فعلى سبيل المثال تم تزويد ملاكي الاراضي مع بداية ١٩٥٤ بأربعين الف جرار وتلقى ملاكو الاراضي والفلاحون ٢٦٣.٠٠٠ طن من البذور المنتقاة و ٧٤.٠٠٠ طن من الاسمدة وقدمت قروضاً بلغت عام ١٩٦٠ (مليارين و٣٩٢ مليون ليرة .) A.g.e.78 كذلك بيرج بير بير وغلو : المصدر السابق ، ص١٤٨.

(٧٨) ساجلار كيدر : المصدر السابق ، ص٣٣ .

(٧٩) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، تقرير شهر ايلول ١٩٥٢ ، ملفه ٢٧٤٠ و٥١ في ١٩٥٢/١٠/١١ . كذلك الامم المتحدة : المصدر السابق ، ص٢٠٦ .

(٨٠) الامم المتحدة : المصدر السابق ، ص٢٠٦ .

(81) Intelligence Report: Department Op. Cit. p.2.

(82) Ibid. p.3 .

(٨٣) كانت ميزانية تركيا قد ارهقت بسبب مشاريع الحكومة التركية لاعادة بناء القوات المسلحة وتحديثها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وذلك ان المدة ١٩٤٥-١٩٤٦ كانت حرجة بالنسبة لتركيا ، فقد اقام السوفيت حكومات موالية لموسكو في رومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا ، ونجح

السوفيت بمساندة الجمهورية الكردية المستقلة (جمهورية مهاباد) في القسم الشمالي الغربي من ايران ورفضوا سحب قواتهم بموجب قرارات مؤتمرات يالطا وطهران وبوتسدام انظر ارشيف وزارة الخارجية / ملفات سياسية / ملفه ٩٦٨ الحكم العسكري في تركيا ومستقبله . ص٣ .

(٨٤) لقد ادت هذه المعونات الى خلق مشكلة جديدة وهي العجز في الميزان التجاري وذلك لان المعونات كانت مشروطة بشراء البضائع من البلدان المانحة لها مما زاد في نسبة الاستيراد ، دافيد كوشنير : تركيا تغيرات اجتماعية سياسية ، مجلة اسكير احوديت ، مجلة الجيش الاسرائيلي ، العدد الصادر في كانون الاول ١٩٨٠ ، ترجمة م.ب.م (بغداد د.ت) ص ص ٨-٩ .

(٨٥) اتجاهات التجارة الخارجية التركية ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات (بغداد ، ١٩٨٢) العدد ٢ ، ص٤٣ .

(86) Feroze Ahmad: Op. Cit. p.365.

(٨٧) لوسيل دبليوبيفسنر : المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٨٨) تم فرض قيود على عملية دخول العمالة التركية الى اوربا مما قلل عدد الاتراك المهاجرين الى اوربا من ١٠٠ الف الى ١١ الف سنوياً انظر : ديفيد تونج : مشكلة البطالة المتزايدة المضخمة في تركيا ، الملف الاول ، ترجمة م.ب.م. (بغداد د.ت) ص٧ .

(89) Turkiyede Toblamsal Ve Ekonmik Gelismenin 5 oyili S.478.

كذلك لوسيل دبليو بيفسنر : المصدر السابق ، ص٢٥ .

(90) Don Pertze: The Middle East Today Edition, Rubishers (New York, 1981) p.189.

(٩١) عرفت هذه المناطق بمدن الصفيح او علب الليل (Geese condo) للمزيد من التفاصيل انظر . بيرج بير بيروغلو : المصدر السابق ، ص ص ١٣٨-١٤٠ .

(92) Ferouz Bahram pour: Turkey political and Social Trans Formation (Brooklyn, N.p. The Gaussousins 1967) p.34.

(93) J.C. Hurewitz : Middle East politics the Military Dimension (London, 1964) P.214.

(94) Ibid. p.215.

(٩٥) فقد انخفض مستوى دخل الفرد الواحد وهبط مستوى معيشة العامل بشكل كبير بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة ، وزيادة عبء الضرائب غير المباشرة انظر :

Intelligence Report Department of State No. 7101. p.8.

* اعتمد الباحث في اعداد هذا الجدول

اوزي محمد : تركيا في ازمة بعض التناقضات في استراتيجية التنمية الكمالية ، المجلة الدولية لدراسات الشرق الاوسط (انترناشنال جورنال اوف ميدل ايست ستديز) م ١٥٠ ، العدد ١ شباط ، ١٩٨٣ . ارشيف وزارة الخارجية برقم 15/1983/8/23.T.E.319151 ترجمة م. ب. م. سلسلة الدراسات الاقتصادية ، ملفه ١٥٧٠ .

(٩٦) جورج اس هارس ، دور الجيش في السياسة التركية ، مجلة الشرق الاوسط ، المجلد ١٩ ، ج١ ، لندن، ١٩٦٥ ، ص ٥٦ .

(٩٧) اندرو فنكل واخرون ، المصدر السابق ، ص ٧١ .

(98) Intelligence: Report : Department of State no. 7745. P.9.

(٩٩) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و. ، تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٣٨ و٢٩ في ١٩٥٠/٦/١٧ . كذلك :

Howard A. Reed: Revival of Islam in Secular Turkey The Middle East Journal, Vol. 8. No.3, 1954, p.273.

(١٠٠) عبد الجبار قادر غفور : " الديانة والطرق الصوفية " في د. ابراهيم خليل العلاف واخرون ، تركيا المعاصرة (الموصل ، ١٩٨٧) ص٩٣ .

(١٠١) والتر وايكر : تركيا والشرق الاوسط ، مجلة ميدل ايست ريفيو ، ربيع ١٩٨٥ ، الولايات المتحدة الامريكية ، ترجمة م.ب.م. ، ص٦ ، ارشيف وزارة الخارجية .

* ومنها الحركة البكتاشية والمولوية والنقشبندية والتيجانية ، ولم يقتصر انتشار هذه الطرائق على المناطق الريفية فحسب بل اصبحت لها فروع في المدن الكبرى مما ادى الى تقوية نفوذ علماء الدين . انظر للتفاصيل : طلال الجليلي : التيار الاسلامي ، المصدر السابق ، ص ٦٣وما بعدها.

(١٠٢) لنشوفسكي : المصدر السابق ، ص٢٠٨ .

(١٠٣) تنسب الحركة النورسية الى بديع الزمان سعيد النورسي ، الذي كتب العديد من المقالات والدراسات وهاجم مبدأ العلمانية ، انظر للمزيد من التفاصيل : طالب ألب " بديع الزمان والحركة النورسية " في ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر المنعقدة في البحرين ٢٢-٢٥ شباط ١٩٨٥. مطبعة التربية العربي لدول الخليج العربي ، ص١٢٥ . كذلك محسن عبد الحميد ابراهيم ، النورسي الرائد الاسلامي الكبير (بغداد ، ١٩٨٧) .

(١٠٤) هشام رشيد حويش ، " نشاط الاحزاب والتيارات الدينية في تركيا " وكالة الانباء العراقية ، قسم المعلومات (بغداد ، ١٩٨٠) ص٦٠.

(١٠٥) اوقفت الحكومة صاحب جريدة (يني سوز) أي (الصوت الجديد) الصادرة في اسطنبول في ايار ١٩٥١ لنشره مقالاً عن الشيوعية بعنوان (ياعمال العالم اتحدوا) انظر : جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و.: تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٣٩ و٧٥ في ١٩٥١/٥/٢٧ .

(١٠٦) مصطفى الزين ، المصدر السابق ، ص ص ٢٨٤-٢٨٥ .

(107) Jerry Wayne Milam : Op. Cit. p.50.

(108) Frey Frederik: Patterins of Elite in Turkey Middle East (U.S.A., 1975) p.78.

(١٠٩) حاولت عدد من الحركات الدينية الطعن في شخص اتاتورك واهانة تماثيله ، جمهورية العراق، وزارة الاعلام . د.ك.و. تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٤١ و٣٣ في ١٩٥٣/٧/١٠ .

(١١٠) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و. تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٤٣ و ٤٦ في ١٩٥٥/٢/١.

* منذ بداية الخمسينات نشأت داخل صفوف الحزب الديمقراطي اتجاهات اسلامية ، فقد قام عدد من اعضاء الحزب في قونيا بتقديم مذكرة طالبوا فيها احلال الطربوش بدل القبعة الاوربية ، واعادة استعمال الحجاب ونبذ الحروف اللاتينية واعادة استخدام الاحكام الشرعية في المعاملات مع اباحة تعدد الزوجات ، الا ان هذه الاقتراحات رفضت من قبل قيادي الحزب الديمقراطي ولغرض المحافظة على بنية الحزب الفكرية فقد قام الحزب في اوائل عام ١٩٥٣ بطرد عدد من النواب من المجلس الوطني التركي الكبير بسبب ميولهم الاسلامية . انظر : طلال الجليلي ، التيار ، المصدر السابق ، ص٥٦ . كذلك

George Linc Zowski: Political Elite in The Middle East (U.S.A. 1975) p.142;
Frey Frederik : Op. Cit. p.142.

(١١١) د. ابراهيم خليل احمد العلاف وآخرون : تركيا المعاصرة (الموصل ، ١٩٨٧) ص ص ١٦٦-١٦٧ .

(112) Aydemir: A.g.e. S116.

(113)A.g.e. S.117.

(١١٤) جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، د.ك.و. تقارير المفوضية العراقية في انقرة ، ملفه ٢٧٤١و٣٣ في ١٩٥٣/٧/٢٠ .

(١١٥) فيروز احمد : النفوذ الاسلامي في تركيا في نوبارهوفسبيان وآخرون ، تركيا بين الصفوة البيروقراطية والحكم العسكري ، اعداد سامي الرزاز وغانم بيبي ، ط١،(بيروت ١٩٨٥) ، ص١٣١ .

(١١٦) نشرت صحيفة روز اليوسف كاريكاتير ساخر صورت فيه الرئيس التركي جلال بايار بصفته كلباً يلعق احذية الامريكان والفرنسيين والبريطانيين ، اما صحيفة الاخوان المسلمين (الدعوة) فقد ذهبت ابعد من هذا عندما اطلقت على تركيا تسمية (اسرائيل الثانية) وطالبت بتدميرها . انظر : Jerry Wayne Milam: Op. Cit. p.51 .

الأجنحة في حضارة بلاد الرافدين
في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الفنية

عبد القادر حميد احمد العبيدي
وزارة التربية / المديرية العامة للتعليم المهني
alobadiabdalqader@gmail.com

الأجنحة في حضارة بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الفنية

عبد القادر حميد احمد العبيدي

(مُلخص البَحث)

امتازت حضارة بلاد الرافدين بتنوعها وشموليتها لتشمل كل نواحي الحياة البشرية والطبيعية والتفاعل مع كل تفاصيل ومكونات هذه الحياة والتفاعل النشط معها والتأثر بها بشكل كبير ، وخصوصا الجانب الديني (من خلال القرابين والتعاويذ) ، الذي اخذ حيزا كبيراً من حياة سكان بلاد الرافدين .

وقد اخذنا في ضوء هذا البحث اهمية الأجنحة في المجنحات البشرية والحيوانية ، إذ وردت اول الإشارات الآثارية عن الاهتمام بالطيور وتفاصيلها كما في موقع نمريك بحدود (٨٠٠٠ ق.م) ، إذ ارتبطت الأجنحة بالفكر الديني من خلال القرابين ، كذلك ارتبطت الأجنحة بتسمية مدينة آداب (adaba^{ki}) . وفي واحدة من أهم الإشارات للأجنحة فقد تم ارتدائها من قبل الآلهة والعفاريت على حدٍ سواء وقد استعملت في كثير من الأحيان هذه الأجنحة في تركيب الآلهة الحارسة كما في مدينة آشور . ولأهمية الأجنحة فقد تم عمل البعض منها من الذهب والعقيق واللازورد .

Wings in Mesopotamia Civilization
In the light of cuneiform texts and artistic scenes

Researcher : Abdulqadir Hameed Ahmed Al Ubaidi
Officer :Ministry of Education / General Directorate of Vocational Education
E-Mail: alobadiabdalqader@gmail.com

Summary:

The civilization of Mesopotamia was characterized by its diversity and comprehensiveness, to include all aspects of human and natural life, interaction with all the details and components of this life,- active interaction with it and being greatly influenced by it,

especially the religious aspect (through offerings and incantations), which took a large part of the lives of the inhabitants of Mesopotamia.

We have taken in the light of this research the importance of wings in human and animal wings, as the first archaeological indications of interest in birds and their details were received, as in the Nimrik site around 8000 BC. The suites are named after the city of(Adaba^{ki}).In one of the most important references to wings, they were worn by gods and orcs alike, and these wings were often used in the installation of guardian deities, as in the city of Assyria. And because of the importance of the wings, they were made of gold, onyx and lapis lazuli.

المقدمة :

حتى تلك التفاصيل التي قد تبدو صغيرة او مكملة او جزءاً اساسياً في أحيان أخرى للمشاهد الفنية في حضارة بلاد الرافدين كانت لها دلالتها ووظائفها ومضامينها في مجمل الأعمال الفنية المكتشفة. أذ بالإمكان الجزء ان يصلنا الى الكل في وحدة الموضوع.

وهنا نخص في بحثنا هذا الاجنحة الخاصة بالمجنحات البشرية والحيوانية التي اخذت الاجنحة جزءاً اساسياً في هيئتها وكانت في الغالب اجنحة النسر بما يمثله كما سنرى عند تتابع الاحداث، من قوه وسيادة لهذا الطائر إذ ارتبط بأجنحة هذا الطائر العديد من آلهة بلاد الرافدين، مثل شمش وعشتار وآشور . وسنتطرق في هذا البحث عن الاجنحة والمجنحات من خلال المصادر الكتابية والمشاهدة الفنية التي تزخر بها فنون بلاد الرافدين على مر عصوره التاريخية القديمة.

إذ تنوعت الموضوعات الخاصة بالأجنحة بين المضامين الدينية والمضامين السحرية في أحيان أخرى بالإضافة الى مواضيع عدة .

اما السبب في اختيار هذا الموضوع لبحثنا هو للبدء بدراسة تفصيلية وشمولية لأجزاء كل الاعمال الفنية التي تضمنت في جزئها الأساس الاجنحة على وجه التحديد للوصول قدر الإمكان الى اسرار وخفايا تلك المجنحات.

وتم تقسيم هذا البحث الى ثلاث محاور: -

اولاً- الأجنحة في ضوء النصوص المسمارية .

١-الأجنحة البشرية.

٢-الأجنحة الحيوانية.

ثانيا- استعمالات الأجنحة وأشكالها في فكر سكان بلاد الرافدين

ثالثا- الأجنحة في ضوء المشاهد الفنية

التمهيد

ورد تسمية الجَناح في اللغة العربية ، مـــا يطير به الطير (انيس ، ١٩٩٠، ص١٣٩) ، وجَنْحـــاً : بمعنى ضَربَ جَناحَه أو جانَحتَه .(انيس ، ١٩٩٠، ص١٣٩) . ورد في اللغة السومرية على نحو Á وورد تسميته في اللغة الاكدية kappu (رينيه ، ٢٠٠٤، ص٢٢) . وجاء في ذلك بالنصوص الكتابية بصيغة (á - bad) وتعني فتح ونشر الجناحين (Halloran J. A , (2009) , P, 3) . كذلك جاء في النصوص ك – (á dúb) في رفرفت الجناحين بشكل متعرج (Halloran J.A, (2009),P,4) . وجاءت في رفرفت الجناحين لتنتشر بصيغة (á...búru) (Halloran J.A, (2009),P,74).

ولابد من الإشارة هنا الى اهمية وورود اسم الطيرفي هذا البحث، اذ ورد باللغة السومرية بالصيغة التالية:

KA.HA ^{mušen} ;ZU.PEŠ. (الجبوري ، ٢٠١٦ ، ص ٥٢٤). وكذلك بالصيغة **KIR$_4$.GI$_4$.LUM ^{mušen};.** (الجبوري ،٢٠١٦ ،ص ٥٧٨). وفي الأكدية يكتب بالصيغة التالية : **Gir gilu ; şâku** (الجبوري ، ٢٠١٦ ، ص ٥٧٨).

وتعد اقـــدم الإشـــارات الى الاهتمام بالطيـــور وتفاصيلـــها إذ كـــان لها حضـــوراً حافـــلاً ومميزاً فـــي المخلفـــات الأثرية والفنيـــة منذ اقـــدم العصور في حضارة بـــــلاد الرافديـــن ، إذ كـــان النسر او العُقـــاب من أبرز أنواع الطيور التـــي

جســـــدت آن ذاك كـــما فـــــي مـــــوقع نمـــــريك , .kozlowski,S)
(.p30,(1989) . (الشكل – ١ –) ،(صاحب ، ٢٠١٤ ، ص ٥) .

وفي واحدة من الإشارات المهمة التي ظهرت لنا من خلال البحث وجدنا ارتباط أجنحة الطيور بتسمية مدينة أدب ($adab^{ki}$) ، إذ تم العثور على شكل من الطيور بهيئة النسر إذ يمكن ان تتطور الأجنحة للطائر الى علامة (UD)، (FRAYNE,D.R,1998,P.17). والتي ترتبط بشكل مباشر بمقطعية تسمية هذه المدينة .

اما علامة (UD) تعني (يوم ، ضوء ، شمس ، وقت ، عاصفة) MDA) (P,175 , 318, . وهو ما يتوافق مع ما ذهب اليه الباحث (مصطفى حسن ابراهيم) في رسالته عن تسمية مدينة أدب (ابراهيم ،٢٠١٩ ، ص ١١) . فكان جناح النسر ربما رمزا للمدينة (MDA ,318 , P,175) .

وتجدر الإشارة هنا ، إذ لم تكن وحدة الحضارة العراقية لتقوم فقط على مقتضيات السياسية للبلاد وطبيعتها الجغرافية حيث استندت بشكل أساس على النظرة الدينية الشاملة للكون (مورتكات ، ١٩٧٥ ، ص ١٥) .

فالمعتقدات الدينية قديمة قدم وجود الأنسان على سطح الأرض أذ أنها وجدت في مناطق عديدة من العالم (باقر،١٩٦٤، ص ١) إذ عد الفن في بلاد الرافدين، هو أحد المظاهر الحضارية الملموسة التي يمكن من خلالها النفوذ الى حضارته ولا سيما ديانته (ساكس، ١٩٧٩، ص ٥٤٤).

ولعل الثابت والملموس لموضوع الأجنحة في هذا البحث الكثير من جنباته على وجه التحديد هو الجانب الديني او المعتقدات القريبة من الدين كالقرابين او ممارسة بعض الطقوس ذات تعاويذ في الغالب تكون سحرية بالإضافة للفأل والاساطير الدينية. إذ عُـــد الدين هو المحرك الأساس لأغلب الفنون في حضارة بلاد الرافدين أن لم نقل أجمعها . فمفهوم الدين تجسد بشكل مباشر في المنحوتات والرسوم والأختام ، ليظهر براعة كاملة بتجسيد الفنون للدين بشكل واضح ومفهوم في أحيان وفي أحيان أخرى خرافي يقترب من الملاحم والأساطير . وأن كان لمعرفة مفهوم الأسطورة بين الناس ، غالباً ما تختلط بينها

وبين الخرافة إذ تعدان عند معظم الناس كأنها شيء واحد (جمعية التجديد،٢٠٠٥ ، ص ١٢) .

وفي ضوء ذلك بمكن ان نقترب بشكل كبير من تعريف الأسطورة من مجموعة كبيرة من هذه التعاريف . وبذلك الاسطورة هي " رواية افعال إله او شبه إله لتفسير علاقة الأنسان بالكون او بنظام اجتماعي بذاته او عرف بعينه او بيئة لها خصائص تنفرد بها " ، (العبيدي ، ٢٠٠٩، ص ٤٣٩) . ومن ابرز أو أهم الأساطير العراقية القديمة التي ارتبطت بها الأجنحة هي :-

١-اسطورة الامدكود
٢-اسطورة الرجل الطير
٣-اسطورة الطائر انزوا (ايتانا)
٣- اسطورة الخليقة البابلية
٤- اسطورة الخليقة الآشورية

اما فيما يخص تعريف مخلوقات المركبة هي " مخلوقات او اشكال اسطورية تتكون من اجزاء عدة مركبة مع بعضها بشكل محور جزء من انسان وجزء اخر من حيوان او اكثر او جزء من حيوان مع حيوان آخر (الاحيالي ،٢٠١٦ ، ص١٠٤) .

اولاً- الأجنحة في ضوء النصوص المسمارية .

١- المجنحات البشرية.

اخذت المجنحات البشرية حيزاً واسعا في حضارة بلاد الرافدين، لاسيما تلك المتعلقة بالأساطير التي زخرت بها فنونه وأدبة القديم.

إذ ظهر مشهد الرجل الطير لأول مرة في عصر فجر السلالات وكان من المواضيع المهمة استناداً لرأي الباحثة الالمانية كوف (Goff) (الاحيالي ،٢٠١٦ ، ص١٠٦) . أذ شاع بعد ذلك وبالتحديد في أختام العصر الأكدى ، محاكمة للرجل الطير أمام الإله أنكي ، ويضع على رأسه التاج المقرن ويقف أمام الإله وهو مكبل اليدين (Van Buren , E.D,1949,p.60). وكان السبب قيامه بسرقة الواح القدر (رشيد ، ١٩٧٢،ص ٦٣). إذ يظهر الأنسان الطير في اختام العصر الاكدي مغفوراً من قبل

(اوسمو) وزير الإله (أيا) الذي أنفرد هذا الوزير فقط بالظهور مع هذا الإله (ناجي ،١٩٨٥، ص٢٤٠-٢٤١) .كما في (الشكل رقم -٨-).

وفي إشارة الى المضمون ذاته ومحاكاة الأنسان الطير نجد أن النصوص المسمارية قد جسدت هذه الفكرة بما يعرف لدى سكان بلاد الرافدين بالحكماء السبعة ففي احد النصوص المسمارية التي تعود الى العصر الآشوري الوسيط بحدود (١٤٠٠-٩١٢ق.م). إذ يصف هذه التماثيل وكما في النص الآتي :-

7 ṣalmē apkallē ša ṭīdi pan iṣṣūri kappē šaknu ina qāti imittišunu mullila ina qāti šumēlišunu GIŜ.BA.AN.DU $_8$ .DU $_8$ -ú našû.

(... سبعة تماثيل للحكماء(السبع) apkallu من الطين ، لديهم وجوه وأجنحة طيور ، في أيديهم اليمنى يحملون أداة التطهير ، في يسارهم الدلو...) (Cad,(b),p).80.

ويلاحظ على هذه التماثيل تتطابق وتشابه من حيث مضمون الأجنحة مع الختم الوارد في (الشكل رقم -٩-) .

ولعل ما ذهب به من تشبيه لهذه الحالة في الربط بين الاجنحة والأنسان الملك الآشوري اسرحدون (Aššur - aḫḫa –idin)(٦٨٠-٦٦٩ ق.م) في احد النصوص وكما يلي :-

kima urinni muppargi ana saklcp sa'irija aptd i-daa-a

(... قمت بنشر أجنحتي للتغلب على أعدائي مثل طائر أثناء الطيران ...)

(Borger Esarh.(1956), 44:68)

وعلى هذا النحو لم يبتعد كذلك الملك الآشوري ايضاً تجلات – بلاصر الأول حتى شبه نفسه عند السيادة على ارضه ومملكته مثل اجنحة النسر إذ ينشرها في السماء كي تغطي ارضه كاملةً كما في النص الآتي :-

ša nu-ba-lu-šu kīma urinni eli mātišu šuparruruma
(... (الملك) الذي تنتشر أجنحته على أرضه مثل (أجنحة) النسر...)
(Cad,n,p.306)

وحتى الآلهة عشتار لم يغيب عنها في الفكر الرافديني ما لأهمية الأجنحة كجزءً اساسياً مهماً من مفهوم واسع واشمل للفكر الديني كجزءً أساسيا من مكونات العقيدة في بلاد الرافدين للإله عشتار التي ادت دوراً كبيراً في مسرح الأحداث في الشرق الادنى على مر عصوره التاريخية القديمة فأثرت على مجمل النواحي الحياتية فيه إذ اخذت هذه الإلهة الأجنحة كعنصراً اساسياً من كينونتها وطبيعتها الجسدية إذ لم تفارق الأجنحة هذه الإلهة في العراق القديم ،بيد ان النصوص المسمارية اشارت الى علاقة هذه الالهة بالأجنحة كجزء من الحالة الانسانية التي مثلت في النص وهي التعبير الدقيق عن الرعاية والحنان والحماية والدفْ وكالتالي: –

anāku AD-ka AMA-ka birti agappēja ur-ta-bi-ka
(... انا (عشتار) انا والدك ووالدتك ربيتك (اسرحدون) بين جناحي ...)
(Dally.S. ,2004,13:16)

وبرزت تقمص وارتداء الأجنحة من قبل الآلهة بشكل جلي في اسطورة نزول الإلهة عشتار الى العالم الاسفل (يحيى،٢٠١٥،ص ٢٠١).

إذ تشير المصادر الكتابية الى قضية ارتداء الأجنحة من قبل الآلهة عشتار وكذلك الى اولئك الشياطين العالم السفلي (نركال و ارشكيكال) ، الذين حاربوا هذه الآلهة وكيف انـــــهم ، " لبسوا اجنـــحة الطيور كالثياب " (FRAYNE,D.R,1998,P.252) . إذ صورت الآلهة عشتار بأجنحة وهي عارية اثناء نزولها الى العالم السفلي (Green.A. , 1997,p.151) .

كذلك نجد في واحدة من اهم الالواح الطينية وبالنحت البارز تعود العصر البابلي القديم إذ يصور الأجنحة على آلهة عارية واطلق على هذا اللوح لوح بيرني (Burney)

،والتي يعتقد بأنها نفسها الآلهة عشتار(مورتكات ،١٩٧٥،ص٢٧٠) كما في (الشكل رقم -٥-).

وفي واحدة من اهم الصراعات بين الآلهة المجنحة هو ذلك الصراع الذي دار بين الإله آشور والإلهة تيامت حسب الرؤيا والفكرة الآشورية حيث يشاهد في هذا الصراع(الشكل رقم -٦-). (العبيدي ،٢٠١٩ ،ص١٤٠) ، انهزام الاله تيامت امام الآله اشور. لكن على خلاف كل النصوص التي تشير الى صراع الآلهة مع القوى البدائية والتي تنتهي بانتصار الآلهة ، فأن النصوص تشير في أحيان أخرى الى هزيمة الآلهة امام العفاريت كقوة تفوق قوة الآلهة احياناً (يحيى ، ٢٠١٥، ص ٢٠٠).

وفي تطور مهم وكبير في اتخاذ الأجنحة في الأشكال المرتبطة بالدمج بين البقرة او الثور برأس أنسان (أمرأه او رجل) عند الآشوريين في شمال العراق . إذ كان الرجل الثور المجنح في اول بداية وظهور له كان في مشاهد القتال على الأختام الاسطوانية من عصر فجر السلالات بحدود (٢٨٠٠ ق.م) (الأسود ، ٢٠١١ ، ص١٨).

ولدعم ما ورد في النصوص المسمارية حول قضية ارتداء الأجنحة من قبل الآلهة والبشر على حد سواء فقد انعكست فكرة ارتداء الأجنحة ايضاً في فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين على الأشكال المركبة ايضاً وخاصةً تلك الأشكال التي يشارك فيها الأنسان كجزء من بدنه فيها ومثال ذلك لثور مجنح برأس رجل من قصر سرجون الآشوري في دور-شيروكين حيث هذه الشخصية المركبة مثلت بالجمع بين الصفات البشرية والإلهية ، واطلق عليها الآشوريون اللاماسو(Lamsu) (Hall,H.R.,1928,p37). وهذا الشكل ايضاً هو الدمج بين السلطات الإلهية والحيوانية والبشريـــــة ليكــون النموذج بمطلقه حالة فريدة تعبر عن القوة الكامنة في هذه الشخصيات الثلاث، (الشكل رقم -٣-).

مما تقدم تظهر تأثير الأجنحة على التماثيل الضخمة للأسود والثيران كانت حارساً لمداخل القصور وكانت قواها خارقة تظهر بكل من اجنحتها وبالقرون الثلاثة على رؤوسها وهي علامات الألوهية وكذلك اظهار القوة لها في ذلك كونها ملائكة حارسة (ساكز ، ١٩٩٩، ص ٣٣٩).

ثانياً – الأجنحة الحيوانية .

اخذت المجنحات الحيوانية اهمية كبيرة في حضارات بلاد الرافدين كتلك التي اخذتها الاجنحة البشرية ، وقد اوردت لنا النصوص المسمارية ما يشير الى هذه الأجنحة ففي احد النصوص اورد لنا إشارة حول عمل وتشكيل الأجنحة من نفائس المواد ومنها الذهب واللازورد والعقيق وغيرها من النفائس التي شكلت منها المجنحات لأحدى الاشكال الحيوانية وكما في النص الآتي :-

gappūšunu ša ḫurāṣi uqnî NA_4 iš -nu-gal-li NA_4.ZÚ u NA_4.GUG kūri

(... أجنحتها من الذهب ، من اللازورد المقلد ، المرمر ، وحجر الساج والعقيق ...) . (Cad,g.p.105)

وهو اهتمام لعله يتجاوز مستوى وعمق النتاجات الفنية للأجنحة عندما تكون هذه النوعية من الأجنحة بهذا المستوى من المواد المستعملة من الذهب او اللازورد او العقيق وهي مواد ليست في ندرة اهميتها في العراق القديم بل في نوعية النتاجات الفنية المماثلة لها في تماثيل الآلهة او في تصوير الشياطين او الجن كما فعل اسرحدون Easrhaddon في خلوة معبد الإله آشور (العبيدي ، ٢٠١٩، ص١٤١) .

ولدعم فكرة وجود الأجنحة على الأشكال الحيوانية هي تلك المنحوتة الخاصة بالإله ننكرسو وهو على شكل نسر برأس أسد وقد أمسك بمخالبه غزالين متدابرين(الشكل رقم -٤-) ، وهذه المنحوتة محفوظة الآن في المتحف البريطاني (Woolley ,1962, pp.57-61) . إذ يقارن الإله ننكرسو في اغلب الأحيان مع الطائر أنزو عندما يتعلق الامر في فرد الجناحين (Veldhuis,N., 2004,P.33) .

ثانيا– استعمالات الأجنحة وأشكالها في فكر سكان بلاد الرافدين

تعددت وظائف الأجنحة تبعاً لأهميتها وأخذت هذه الوظائف اتجاهات عديدة بين الدين (القرابين) والسحر والتعاويذ ويتضح ذلك من خلال الآتي : –

أ– استعمالات الأجنحة

١-القرابين :-

ارتبطت القرابين في حضارة العراق القديم ارتباطا وثيقا بالديانة وطقوسها وكان المعبد هو الإطار الكامل لكل الأعمال التي تخص هذه القرابين بالمجمل . إذ لم تكن الطيور منذ القدم طرائد صيد فقط وانما ترتبط بجوانب الوفرة(البركة) (Meissner , B." 1920,P.80).

ففي احد النصوص التي تعود الى الملك (أورو -كاجينا) (Uru-ka-gina) التي تشير الى اجنحة الطائر ($buru_4$-gi-^{mešon}) يتم تسليمها الى المعبد كضريبة بواسطة مسؤولي المعبد ğğ(a (sa) (Veldhuis,N., 2004,P.228).

ومن اهم الإشارات الكتابية التي اشارت الى استعمال الأجنحة النية (غير المطبوخة) التي تم استعمالها كقرابين الى المعبد، ولا يعرف على وجه الدقة فيما اذا كانت هذه الاجنحة تستعمل للاستهلاك الغذائي لموظفي المعبد ام ان تقديمها للمعبد يحمل ابعادا اخرى تتعلق بالقضايا الدينية البحته كما في النص الآتي :-

UZU agappāni bal-ṭu-ti

(... الأجنحة النية (من قرابين الطيور)...)

(Thureau-dangin,F.,1921,P.63r: 32) (Cad,b,p.69)

وقد اشار نص اخر الى تقديم الاجنحة كجزء من قرابين او تقدمات منحت للمعبد وان هذه الاجنحة خصصت كوجبة طعام في يوم معين من السنة عرفت باسم يوم تقدمة الكورشي ،بيد ان هذه الوجبة من الطعام خصصت للالهة كاشان وكالاتي:-

uzu agappāni balṭūti ... [ina] UD gur-še ša ^{d}GAŠAN KUR-ḫa ina libbi a-ku-si (= ukulti) ipaššulu

(... هم يطبخون لحم الكتف النيء (الأجنحة) كجزء من الوجبة في يوم التقدمة كورشي gur-še للإلهة كاشان ...) (Ebeling ,E.,1938,Pl.33:37)

فيما تقدم نلاحظ التخصص في مسالة تقديم قرابين الاجنحة وذلك باستعمال الأجنحة كجزء مهم من الطير وهي أشاره الى اهمية هذا الجزء(من الكل) من الطائر كقربان

ولعل الواضح والثابت هنا ان الأجنحة والتخصص فيها يشير ربما الى أن هناك دلالة كبيرة فيه، اذ اخذت الأجنحة بارتدائها من قبل الهة سكان بلاد الرافدين، وعن طريقها يمكن التقرب اليها (الآلهة) .

٢-استعمالها كجزية:

اوردت لنا النصوص المسمارية العديد من الاشياء التي تعلقت بالجزية ،وقد تنوعت هذه الاشياء بتنوع الحياة اليومية، ومن خلال استقراء هذه النصوص تبين ايضا بان الاجنحة كانت من الاشياء التي تعطة كجزية ايضا، وقد اشار احد النصوص المسمارية العائدة الى الملك تكلات – بلايصر الثالث (٧٢٧- ٧٤٥ ق. م) الى هذا الجانب اذ اورد لنا النص المسماري قائمة بالأشياء التي اخذت كجزية من قبل هذا الملك وكان من بينها الاجنحة وكالاتي:

iṣṣūr šamê mut-tap-ri- šú -ti ša agappišunu ana takilte ṣarpu

(... (و) الطيـــور الطائــرة التـــي تكـــون أجنحتها مصبوغة باللون البنفسجي (في قائمة القرابين ...)(CAD,M/1,p.308) .

٣-الطقوس الدينية :-

استعملت الطقوس الدينية على نطاق واسع من قبل سكان بلاد الرافدين، وقد حاول سكان بلاد الرافدين جاهدين في ارضاء الهتهم عن طريق القرابين ،ومن الملاحظ على القرابين المقدمة للالهة والمعابد انها اتصفت بتنوعها وتكرار تقديمها في الاوقات المخصصة وغير المخصصة، كما انهم استعملوا طقوس متنوعة ارتبطت بنحو او باخرى بحالة ومطلب الشخص المؤدي للطقس الديني ،وقد اشارت لنا بعض النصوص المسمارية الى استعمال الاجنحة في الطقوس الدينية وخاصة فيما يتعلق بالطقس الذي يرتبط بدفنها في المنزل لأغراض دينية ربما تتعلق بطرد السحر والارواح الشريرة او الحفظ او للتبرك، وقد اشار الى هذا الجانب احد النصوص وكالاتي:-

ṣalmê[AN.IM.DUGUD.M]UŠEN bini ša dišpa ḫimēta naišû

(... تماثيل لطائر الأمد كود (طيور) تحمل العسل والسمن تكتب النقش المناسب على أجنحتها وتدفنها داخل المنزل ...) (Ebeling,E.,1910,P.298r :11) .

٤-استعمالها كتعاويذ:

برزت التعاويذ في فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين وذلك من خلال المعلومات المهمة والمتنوعة والتي افرزتها لنا النصوص المسمارية المتعلقة بهذا الخصوص، وقد اوردت لنا التعاويذ اشياء كثيرة استمدتها من الحياة اليومية في بلاد الرافدين، ومن هذه الاشياء ظهرت الاجنحة كواحدة من الجوانب التي تعلقت بالتعاويذ، اذ اشار احد النصوص المسمارية العائدة الى العصر البابلي القديم الى تعويذة ارتبطت بتساقط ريش احد الطيور وهو الغراب فضلا عن تساقط اجنحته و كالاتي

a-bi ḫe-bi-šub pa-bi ḫe2-[…]RI […]
(... لعل أجنحة تسقط ، لعل ريشهم تتساقط [....] ...) (Veldhuis,N., 2004,P.228).

إذ تم التخصص كما شاهدنا في القرابين باستخدام الأجنحة من غير الطير بالكامل وهي أشاره الى اهمية هذا الجزء من الطائر كقربان ولعل الواضح والثابت هنا ان الأجنحة والتخصص فيها يشير ربما الى أن هناك دلالة كبيرة اذ اخذت الأجنحة بارتدائها من قبل الآلهة في العراق القديم ، ومن خلالها يمكن التقرب اليها (الآلهة) .

٥- استعمالها بالفأل

ارتبطت الأجنحة بالفأل ايضاً وقد أشار احد النصوص الى قراءة خاصة لفأل الطحال وما يظهر عليه من علامات واشارات توحي لقارئ الفأل بمعطيات مستقبلية قد تحدث في المستقبل وواحدة من هذه الاشارات او العلامات التي تظهر على الطحال هي تلك الاشارات التي تبدو وكأنها أجنحة طائر النسر وكما في النص الآتي :-

šumma ṭulīmum kīma e-ri-im kappī šakin

(... إذا كان للطحال أجنحة مثل النسر...) (Goetze,A(1947),P.41:31).

ب- اشكال الأجنحة :-

كما شاهدنا مما تقدم استخدام الأجنحة وتنوعها بين المجنحات البشرية والمجنحات الحيوانية في حضارة بلاد الرافدين فكانت اشكال الأجنحة متقاربة ومتشابه كما في (الشكل رقم-١٢-) لمجموعة من المجنحات العراقية ويشاهد فيها اجنحة النسر في الغالب .

اما من حيث المقارنة بأجنحة المجنحات الشرق الأدنى كما في نماذج الأجنحة المصرية والسورية كما في الشكلين (رقم -١٣-) و (رقم -١٤-) نجد التشابه والاقتباس الكبير للأجنحة بين ما يوجد في مصر وسوريا والعراق إذ يمكن للمتتبع لهذه الأشكال وبدقة يلاحظ التأثير والتأثير المتبادل بين اوجه التشابه للفن لحضارات هذه البلدان . اذ نجد على سبيل المثال الاقتباس في قرص الشمس المجنح ، والذي اقتبس من قبل الحثيين في سوريا والذين أخذوه بدورهم أول مرة عن المصريين ومن بعد ذلك اختص به كواحدة من اهم رموز الإله آشور في بلاد الرافدين (براستد ،جايمس هنري ،١٩٢٦، ص١١٢).

وبالمقارنة بين الأجنحة واشكالها في مجنحات الشرق الأدنى القديم ، يلاحظ التشابه بين الأفاعي في اسفل القرص المجنح المصري والذي يشابه في هذه الجزئية من المشهد للقرص المجنح الآشوري كما في (الشكل رقم -١٥-)، اما في الجانب الآخر نلاحظ التشابه بين قلب القرص الآشوري مع قلب القرص المجنح السوري ، اي ان القرص الآشوري هو اقتباس بالكامل للقرص المجنح المصري والسوري .

ثالثا- الأجنحة في ضوء المشاهد الفنية

لعب الفن دورا حضاريا مميزا في إظهار كل الجوانب الحياتية المختلفة في حضارة بلاد الرافدين وكان للأجنحة موضوعة البحث بأنواعها حضوراُ حافلا ومميزاُ على اغلب المخلفات الفنية منذ اقدم.

إذ اخذت بالأغلب او بالمجمل انواع الفنون من النحت او الرسوم الجدارية او الأختام المجنحات كموضوع مهماً لإظهار الجانب الفني او العقيدة الدينية او الحضارية مثل الصراعات او الملاحم بين التي يظهر ابطالها من البشر او من الالهة او انصاف الالهة .

وسيكون موضوع تناولنا الجوانب الفنية للمشاهد المختارة الذي تناوله هذا البحث كأمثلة يمكن الاستناد عليها في أهمية هذا الموضوع .

اولا- النحت المجسم

١- نسور نمريك

تعد الطيور من اقدم الاشكال الفنية المعروفة التي جسدت في السجل الآثاري في بلاد الرافدين (العادلي ،٢٠١٨،ص٢٤). بالاستناد الى النماذج المكتشفة بالنحت المجسم في موقع نمريك في شمال العراق (صاحب ، ٢٠١٤،ص١). من قبل البعثة الآثارية البولونية في ١٩٩٠ بالقرب من ناحية فايدة شمال الموصل تمثل مجموعة من التماثيل الحصوية لرؤوس نسور من الحقبة المبكرة من دور حسونة (صاحب ، ٢٠١٤،ص٢). منحوتات فريدة صنعت من مادة الحصى النهري المتوفرة قرب الموقع، نفذت بأسلوب واقعي بعضها غير مكتمل النحت، وهي تظهر براعة ومهارة عالية في النحت, لا يزيد طول هذه المنحوتات الصغيرة عن(١٠ سم) (العادلي ،٢٠١٨،ص٢٤). كما في (الشكل رقم -١-).

وقد نفذت بأسلوب واقعي بإظهارها كل الأجزاء الدقيقة وتفاصيل رؤوس الطير من تجاويف العين وانسيابية المناقير بشكل ملفت للنظر وكأنها حقيقية ولعلها برأينا (الباحث) قد سبقت عصرها . ويعتقد انها ذات مضامين دينية إذ يحتمل أن هذه التماثيل كانت توظف لعبادات معينة فهي ربما تمثل آلهة محلية (Kozlowski, 2002,pp.78).إذ بالرغم من عدم تجسيد الأجنحة في هذه النماذج الفنية الا اننا نرى بأن الفنان قد اتبع المنهج الاختزالي في عمل المنحوتة

. فرأس الطير النسر الذي عمل من قبل الفنان هو اشارة واضحة الى مضمون الطير او النسر بما يحويه هذا الطائر من تفاصيل جسدية ومنها الأجنحة . وربما هذا الاسلوب من الفن هو الآخر باختزال الجهد والوقت والحجم .

٢- العفريت بازوزو

نفذ طائر البازوزو على مشاهد عديدة في فنون بلاد الرافدين ومنها النحت المجسم ، إذ نجد العفريت بازوزو (pazuzu) في واحدة من اساطير العصر الآشوري القديم نجد هذا الشيطان بهيئة مركبة بين الأنسان والحيوان والطير وذنب العقرب ، إذ نلاحظ الأجنحة التي على ظهره وهي ربما بين اجنحة الصقر او النسر(ساكز،١٩٧٩ ، ص ٥٠٦) (الشكل رقم – ٢–). الذي يجهل موقع اكتشافه إلا انه يعود الى العصر الآشوري الحديث (٩١١–٦١٢ ق .م) منفذ من مادة البرونز وارتفاعه (١٤.٥ سم) (Caubet.1991,p.34) . واظهر الفنان الناحية التشريحية في جسم العفريت بازوزو وكان يتميز بالسرعة الفائقة ويبدو من خلال جسمه النحيف وأجنحته الأربعة (كوركيس ،٢٠١٦ ،ص٦٣٩). وكان ملك (الأرواح الشريرة) وبوسعه أن يتخذ جميع أنواع الأشكال فضلا عن شكله الخاص (ساكز،٢٠٠٠ ،ص٢١٥). ومن العجيب ان هذه الشخصية قد شاعت في عالم بدلالة الصورة عن الأصل تعبيراُ منهم عن خوفهم وفزعهم منه (عكاشة،١٩٧١،ص٥٣١) .

٣- الثور المجنح

يعد الثور المجنح احد أهم الخصائص الفنية في الحضارة الآشورية ومن اهم مميزات مداخل المدن والقصور هناك وتم العثور على العديد من هذه النماذج إذ اكتشف في قصر الملك سرجون الآشوري (٧٢١–٧٠٥ ق.م) بمدينة دور– شيروكين (خروسباد) حاليا يبلغ ارتفاعه (٤.٢٠م) (كوركيس ٢٠١٦, ،ص ٦٤١) . وهو ثور مجنح برأس بشري محفوظ في متحف اللوفر (عكاشة،١٩٧١،ص٤٦٦) . ، كونه يعد من اللقى المثيرة للأعجاب للآشوريين (ساكز،٢٠٠٠،ص٢٠). أن ظهور الثور المجنح العملاق ذي الرأس البشري في

العصر الآشوري كما في (الشكل – ٣–) تعود فكرته الى العصور السومرية القديمة واطلق عليه تسمية لاماسو (Lamassu)(الأسود،٢٠١١، ص٢٥) . ان هذا العملاق الحجري يشير بهيئته كملاك حارساً ومظهراً من مظاهر ابراز القوة الآشورية الحديثة وأيضاً كعنصر معماري كدعامات للجدران (الأسود،٢٠١١، ص٢٧) . ويبدو للناظر من اول وهلة أن الثور المجنح وكأنه يسير وذلك بسبب خدع البصر بوضع رجل خامسة في منتصف الجسم ويعتمر الراس البشري لهذا الثور التاج المقرن وهو رمز الألوهية في بلاد الرافدين ، ويرتدي قرطا في أذنه ويستدل شعره على الأجنحة والتي تبدو هذه الأجنحة اجنحة نسر او العُقاب .

ثانيا– النحت البارز

١- طائر الامدكود

وجد مزيناً واجهة احد المعابد في تل العبيد يعود الى الألف الثالث قبل الميلاد يمثل الإله ننكرسو ، مُثل برأس اسد وشكل طير فارداً جناحيه (مورتكات،١٩٧٥،ص٤٨). إذ شكل جدارية كبيرة من الخشب ومغلفة بصفائح نحاسية مثبتة على الخشب بواسطة مادة القار (كوركيس ،٢٠١٦،ص٦٢٩). ظهر هذا الكائن ناشراً جناحيه وغارساً مخالبه على مؤخرة وعلين متدابرين (الاحيالي،٢٠١٦،ص١١٢). وشكل هذا المشهد التناظري بتدابر بشكل منظم يشير الى الهدوء الذي يسود هذا المعبد (مورتكات،١٩٧٥،ص٤٨). فأن الهدوء في هذا النحت يشير الى هدوء بالمجمل الى المشهد كاملةً ربما هو موضع الاستسلام والخضوع إذ أن المشهد في هذا النحت لا يشير بالصراع بين الطائر المركب والوعلين في اسفل المشهد كما في (الشكل رقم –٤–) .

٢- فتاة بيرني

هي الآلهة ليلوتو البابلية وجدت في لوح من الفخار بنحت بارز يقترب من النحت المجسم يبلغ ارتفاعه الى (٥٠) سم (بياتي ،٢٠١٠،ص٧٤). وعرضه (٣٧) سم وسمكه (٤.٥) سم (Colon,2005, p.5,fig-1) . والدلالة على الألوهية هي لبسها التاج المقرن مثلث بوجه جميل عارية تماما وتحمل الحلق

والصولجان رمز السلطة في العراق القديم ويظهران الجناحان موضوع بحثنا وهما مستدلان بانسيابية تامة ويبدوان قصيرا بالنسبة لباقي جسد الفتاة ربما يمثلان أجنحة النسر الذين اشاع اقتباسهما في المجنحات حينها .مع وجود زوجين متقابلين لطائر البوم على جانبي المشهد إذ يعد هذا الطائر رمزا للحكمة (صاحب،٢٠٠١،ص٧٧).كما في(الشكل-٥-).

٣- صراع الآله آشور وتيامت

يعد مشهد الصراع بين الإله آشور والآلهة تيامت كما في (الشكل رقم -٦-) ، من أهم مشاهد النحت البارز في فن العصر الآشوري الحديث الذي يعود الى زمن الملك آشور- ناصر - بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) (العبيدي ،٢٠١٩،ص١٣١) . ابعاد هذا اللوح (١١) قدم مربع ، طولها (٣.٤٠) م وارتفاعها (٢.٥٤) م (Hall.H.B.(1928),p.38).

وجد في معبد ننورتا في (كالح نمرود) ، وهو يمثل انعكاس للوح الرابع في قصة الخليقة الآشورية ومحفوظ في المتحف البريطاني) Hall.H.B.(1928),p.37). يعد هذا المشهد من روائع التعشيق الفكري للبناء الرافديني القديم بالجمع بين الجوانب الفنية والعمارية بأن يصبح وحدة فنية بدلا من ان يكون مجرد بناء ليس الا (مورتكات ، ١٩٧٥،ص ٣٧٢) . وللمزيد ينظر (العبيدي ،٢٠١٩، ص١٣١-١٣٢). اما المشهد نلاحظ وضعية الأجنحة بالنسبة لشخوص هذا الصراع فيلاحظ على يمين المشهد بالأجنحة الخاصة بالإله آشور تتمثل بأربعة اجنحة اثنان مستدلتان الى الأسفل اما الاثنتان الاخريتان فكانت اصغر حجماً من الاخرى وهي في وضعية التهيئة للطيران ربـــــــما .

وفيما يناظر هذا المشهد في يمين المشهد أجنحة الآلهة تيامت وهي في وضعية الأنهزام من خلال رفرفة الأجنحة بتعاقب فلجناح البعيد كان للأسفل والجناح الأيمن في واجهة المشهد للآلهة تيامت كان بمستوى أعلى من الثاني مما قـــــد يوحي الا انها كانت على تهيئة برفرفة جناحيها لطيران والهروب .

ثالثا- الاختام الأسطوانية

١-المعبد المجنح .

هنالك مجموعة من الأختام الأكدية التي تحمل مشهداً قوامه واجه او باب معبد محمول فوق ظهر ثور بارك وهنالك رأي آخر من ينسب هذا المشهد الى فترة العصر البابلي القديم وللمزيد ينظر (Ward, W.H. ,(1910), p.102-107) .إذ كان في الغالب يُمثل هذا المعبد او البوابة جنبا الى جنب مع اشكال الآلهة الجالسة كما في (الشكل رقم – ٧–). ولعل المشهد في هذا الختم اياً كان عصره يحمل بعدا فلسفيا إذ يظهر ظفيرتين من الحبال من كل جانب واحدة يمسكها الإله الراعي لهذا المعبد والثانية يمسكها المتعبد من الطرف الآخر في اطاعة المعبد .

ويعود هذا الختم الى العصر الأكدي معمول من الحجر الرمادي بقياس (٢ ×١ سم) وجد في موقع تل اسمر (رشيد ،١٩٧٢، لوح ٢٥). نجد في موضوع هذا الختم للمعبد المجنح او البوابة المجنحة اما ان يشغل جميع حيز الختم او ان يشغل نصف الختم العلوي او السفلي ويترك للمشهد الآخر(رشيد ،١٩٧٢، ص٦٧). ويشاهد على يمين هذا المشهد تكرار جلوس الإله ماسكاً في يده اليمنى الحبل ورافعاً يده اليسرى في موازاة الفم وتظهر خلفه شجرة كما ويظهر الهلال بين جناح المعبد ورأس الإله الجالس ، بينما في الجهة الاخرى اليمنى من المشهد يقف الرجل المتعبد ماسكا الحبل المتدلي من المعبد او البوابة المجنحة .

٢-الرجل الطير

وجـــد الرجل الطير في ختم اسطواني يعود الـــى العصر الأكدي معمول من العاج بقياس (٣.٥× ٢.٢ سم) ويجهل موقع اكتشافه (رشيد،١٩٧٢، لوح ٢١) . إذ يظهر رجل الطير مغفوراً (مكبل اليدين من الخلف) ، وهو بهيئة رجل الى منتصف الجسد والباقي من الجسد بهيئة طير ربما النسر . ويقف امام الإله الجالس ، وهو إله المياه المتدفقة وقد سماها السومريون (انكي) ويعرف عند الساميون (ايا) ويستدل عليه بجدولين من المياه ينبعان من كتفه

(ناجي،١٩٨٥،ص٢٤٠) وتتناثر بعض الأسماك على جانبي مجرى الماء هذا الذي يميز الإله (ايا) (رشيد،١٩٧٢،ص٦٣) كما في (الشكل –٨–).

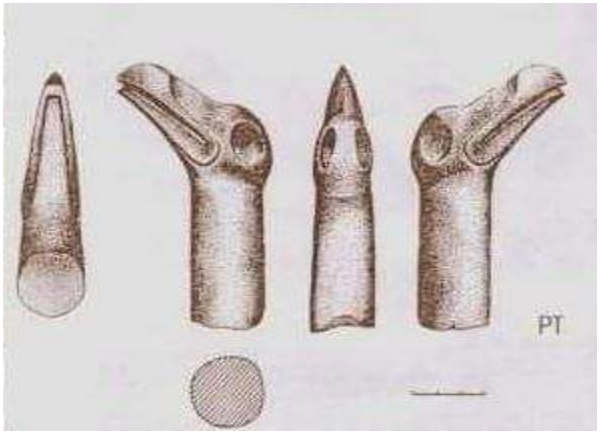
٣–الحكماء السبعة (apkallu)

ختم اسطواني يعود الى العصر الآشوري الوسيط عثر عليه في مدينة آشور (Ward .W.H.,1910,p.226) . يمثل مشهدا دينياً في حضرة الإله آشور الإله القومي عند الآشوريين تمثل الحكماء السبعة (apkallu) كما شاهدنا في النص السابق في المصدر (Cad,(b),p.80) إذ يصف هذا المشهد في هذا الختم بشكل كامل كما اسلفنا في مقدمة هذا البحث . ويظهر هذا المشهد هذه الاشكال المجنحة بهيئة رأس واجنحة النسر ويحملون في ايديهم اليمنى دلواً ربما لتطهير او تلقيح هذه الشجرة كما في (الشكل – ٩–).

٤–إله الماء الآشوري

ختمان اسطوانيان من العصر الآشوري الحديث الأول كما في (الشكل –١٠–) لإله الماء الآشوري وهو راكعا ويحمل على رأسه القرص المجنح الآشوري رمزآ للاههم القومي آشور وقد شاع مثل هذا الختم كذلك في بابل (Ward.W.H.,1910,p.384) .

اما الختم الثاني كما في (الشكل رقم –١١–) ختم اسطواني يمثل الشعار الآشوري المعروف بالقرص المجنح ، وقد حملته على رأسها الهة راكعة وهي تسند الجناحين بيدها من فوق رأسها وللمزيد ينظر (سوسة ، ١٩٨٦،ص ٤٧). وتتمثل اهمية هذين الختمين هو حملهم ورعايتهم للأجنحة من قبل آلهة راكعة.



(الشكل -١-)
(صاحب ، ٢٠١٤ ،ص٥)



(الشكل -٢-)
(ساكز، ١٩٧٩ ،ص ٥٠٦)



(الشكل -٣-)
(Hall,H.R.,1928,p87)



(الشكل -٤-)
Frankfort,H.,
(1996),p60



(الشكل -٥-)
Green,A. , 1997,p154



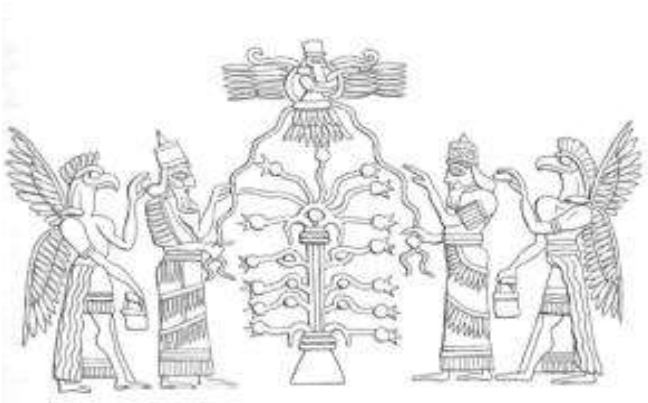
(الشكل -6-)
(Hall,H.R., 1928, pl,XXII)



(الشكل – ٧ –)
Ward, W.H. , Seal Cylinder… p.124 , Fig. 353



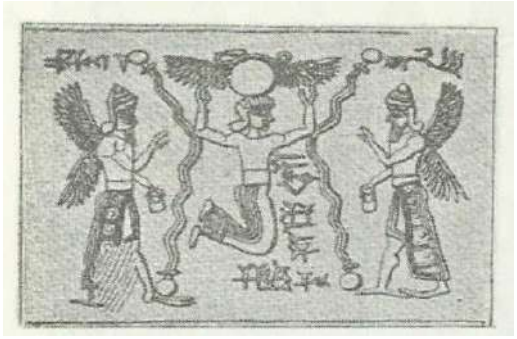
(الشكل – ٨ –)
Ward, W.H. , Seal Cylinder… p.103 , Fig. 293



(الشكل –٩–)
(Balack &Green,1998,p.177)



(الشكل – ١٠ –)
Ward, W.H. , Seal Cylinder… p.384 , Fig. 53

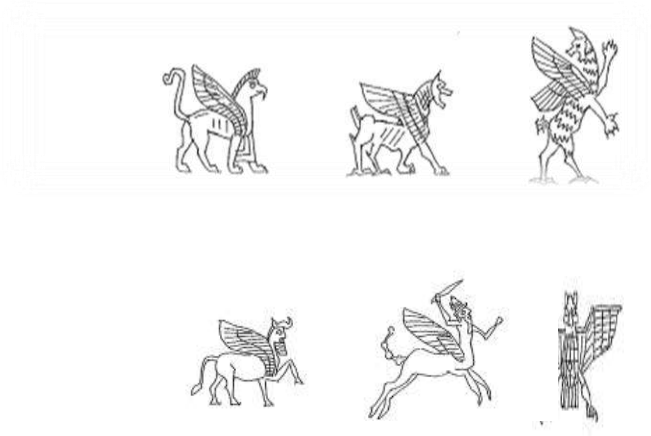


(الشكل – ١١ –)

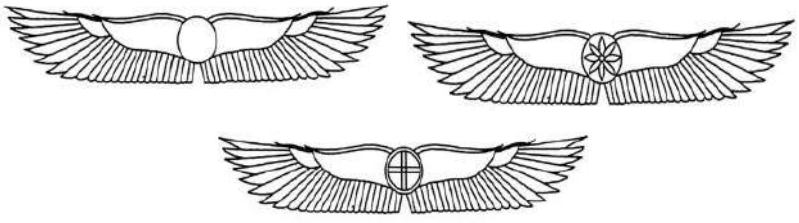
(سوسة، ١٩٨٦ ، ص٤٧
، صورة رقم –٨٧–)



(الشكل – ١٢–)
(Balack &Green,1998,p.64)



(الشكل -١٣-)
Vacca.A,and Othars ,(2018), p.534
نماذج الأجنحة المصرية



(الشكل -١٤-)
p.534
Vacca.A,and Othars ,(2018),
نماذج الأجنحة السوري



(الشكل –١٥–)
Ward ,W.H.,(1910), p.221
نموذج من اجنحة اشورية عراقية

الاستنتاجات:-

١- وردت تسمية الجناح في اللغة الأكدية بعدة تسميات وفق كل حال من حالات حركتها ، كفتح ونشر الجناحين او رفرفتهما او نشرهمها . واهم التسميات التي ورد فيها الجناح في اللغة السومرية Á وفي اللغة الاكدية kappu .

٢- أرتبط اسم الجناح بشكل او بآخر بتسمية مدينة آدب ($adab^{ki}$) .

٣- تم ارتداء الأجنحة من قبل البشر مثل الرجل الطير في اول ظهور له منذ عصر فجر السلالات الأول.

٤- تم ارتدائهما من قبل الملوك مثل كلكامش او التشبيه بارتدائه من قبل ملوك آشور ، اسر – حدون وتجلات – بلاصر .

٥- تم ارتداء الأجنحة من قبل العفاريت مثل بازوز وعفاريت العالم السفلي .

٦- اخذت الكثير من الآلهة في ارتداء الأجنحة في العراق القديم مثل الآله آشور والألهة عشتار والأله شمش.

٧- لقت المجنحات الحيوانية اهتماماً كبيراً من خلال استعمال لذهب والأزور وحجر الساج والمرمر والعقيق في عمل تماثيلها .

٨- تنوعت وظائف الأجنحة بين القرابين والتعاويذ والسحر .

٩- بالرغم من تنوعات الحاصلة في اشكال الأجنحة في بلدان الشرق القديم (العراق ، سوريا ، مصر)، ألا انها كانت متقاربة في اشكالها إذ كانت تميل إلى الاقتباس .

١٠- من الأختام المثيرة للأعجاب الذي ظهرفيها المعبد المجنح والذي يشير عن حقيقة وجود لمثل هذا المعبد أن وجد .

١١- لأهمية المجنحات والأجنحة وما تعنية من رمزية مقدسة في الفكر الرافديني وجدنا كيف حملتها الآلهة على رؤوسها وخصوصاً في العصر الآشوري الحديث تخليدا وتمجيدا لرمزيتها .

١٢- ارتبطت اغلب الأساطير العراقية القديمية بالأجنحة كجزء اساسياً كما في الملاحم والأساطير .

١٣- ظهرت الأجنحة سواء كانت بشرية او الهية او حيوانية تارة بشكل مثنى (جناحين) وتارة اخرى بشكل رباعي (اربعة اجنحة) ولا يعرف على وجهة الدقة ارتباط كثرة الأجنحة من قلتها بناحية تقديسه للنموذج المجنح .

المصادر:

المصادر العربية:

- ابراهيم ، مصطفى حسن ، (٢٠١٩)، مدينة أدب (بسماية) في ضوء التنقيبات العراقية للمواسم من سنة ١٩٩٩ – ٢٠٠١ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، قسم الآثار .
- أنيس ، إبراهيم ،(١٩٧٢) ، المعجم الوسيط ،ج١ ، ط٢ ، القاهرة .
- البياتي ، عبد الحميد فاضل ،٢٠١٠، تاريخ الفن العراقي القديم ، بابل .
- الاحيالي ، فيحاء مولود علي ، (٢٠١٦) ، الاساطير والملاحم المنفذة في فنون بلاد الرافدين (دراسة مقارنة) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، قسم الآثار .
- الجبوري ، علي ياسين ،(٢٠١٦) ، قاموس اللغة السومرية – الاكدية – العربية ،الطبعة ١ أبو ظبي.
- الأسود ، حكمت بشير ،(٢٠١١) ، الثور المجنح لاماسو رمز العظمة الآشورية ،ط١، دهوك.

- العبيدي ، عبد القادر حميد ، (٢٠١٩) ، الإله آشور في حضارة بلاد الرافدين ، رسالة غير منشورة ، جامعة بغداد ، قسم الآثار .
- العبيدي، محمد جاسم ،(٢٠٠٩)، مفاهيم الاسطورة في فن الفخار الرافديني القديم (فخار العبيد نموذجا) ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد / ٢٧، بغداد ،.
- باقر ، طه ، (١٩٦٤)، ديانة البابليين والآشوريين ، مجلة سومر العدد ٢، بغداد .
- براستد ،جايمس هنري ،(١٩٢٦) العصور القديمة ، ترجمة : داود قربان ، بيروت .
- ساكز ، هاري ،(١٩٧٩) ، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان ، موجة حضارة وادي دجلة والفرات القديمة ، الموصل .
- ـــــــــــــــــــــــ، (١٩٩٩) ، قوة آشور ، ترجمة : عامر سليمان ، بغداد.
- ـــــــــــــــ ،(٢٠٠٠) ،الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور)، ترجمة : كاظم سعد الدين ، بغداد.
- سوسة ،احمد ، (١٩٨٦) ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ،ج٢، بغداد .
- جمعية التجديد الثقافية الأجتماعية ، (٢٠٠٥) ، الأسطورة توثيق حضارة ، ط١، البحرين .
- صاحب ، زهير،(٢٠١٤) ، مملكة الفن ، الطبعة الأولى ، بغداد .
- عكاشة ، ثروت (١٩٧١) ، تاريخ الفن في العراق القديم(سومر وبابل وآشور) ، بيروت .
- كوكيس، مجيد (٢٠١٦) ، الاشكال المركبة ، مجلة الآداب ، العدد /١١٥ ، بغداد .
- لابات، رينيه ، (٢٠٠٤)، قاموس العلامات المسمارية ،ترجمة :الأب البير ابونا،وآخرون، بغداد.
- مورتكات ،أنطوان، (١٩٧٥) ، الفن في العراق القديم ، ترجمة : عيسى سلمان ، بغداد .
- يحيى ، أسامة عدنان ،(٢٠١٥)، الآلهة في رؤيا الانسان العراقي القديم ، ط١،بغداد .

المصادر الأجنبية:

-Black ,J.& Green , A .,(1992),Gods. Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia ,)London.
-Borger Esarh.(1956) Die Inschriften Asarhaddons Köng von Assyrien Published in,(=Afo Beiheft 9),Graz .
- Caubet.A,(1991),The Louvre,Near Eastrn Antiquities ,Paris.
- Collon,D, ,(2005),The Qeen of the Night,P.5,Fig-1, London.
-Chicago Assyrian Dictionary : ((The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute, University of Chicago)),CAD.
. Dalley , S., (1984) Mari and Karana Two Old Babylonian Cities, London and New York.
- Ebeling,E., (1910) , Keilschrifttexte aus assur religiosen in alts, (=KAR), Leipzig.
- Ebeling ,E.,&Meissner,B.,(1938), Reallexikon der Assyriologie ,(RIA-2) , Berlin.
-Gelb,I.J.,& Others,(1956) The Assyrian Dictinory the oriental institute of University of Chicago .(CAD),Chicago.
- Goetze,A,(1947),Old Babylonian Omen Texts, Oxford ,(YOS,10)
-Green,A. ,(1997),Myths in Mesoptamian Art , Sumerian Gods and Their Representations,Cuneiform Monographs, Vol.7,9Netherlands.
- Hall,H.R.,(1928),Babylonian and Assyrian Sculpture, British.
- Halloran J.A, (2009), Sumerian Lexcon , University of California.
-kozlowski,S.,(1989)Nemrik 9,app Neolithic Site in North Iraq , Paieorient. Vol.15no, 1.
-Kozlowski, S.(2002) . Nemrik, an Aceramic Village in Northern Iraq,Warsaw,
-Labat,R.,(1995), Manual D' Épigraphie Akkadienne (MDA),Paris.
-Meissner , B." (1920) ,babylonien & assyrien " In: Babyloniac, Paris.
-FRAYNE,D.R, (1998),PRESARGONIC PERIOD (2700–2350 BC) , RIME, vol.1 , University of Toronto, London.
-Frankfort,H.,(1996), The Art and Architecture of The Ancient Orient, (U.S.A).
-Thureau-dangin,F.,(1921), rituals accadiens , paris .
-Vacca.A,and Othars ,(2018),Cotributi E Mztriali Di Archeologia Orintale, Vol .18 ,Roma.
-Van Buren , E.D., (1949) " The Cylinder Seals from Tell Brak " , Iraq , vol.11 , No.1 , London .
-Veldhuis,N.,(2004), the Sumerian composition NANŠE and The birds, with a catalogue of Sumerian bird names , Cuneiform Monographs, Vol.22, Netherlands .
-Ward ,W.H.,(1910), The seal cylinders of Western Asia, Washington .
-Woolley,L., (1961) ," Mesopotamia and the Middle East", London.

مرويات الزمخشري (ت ٥٣٨/١١٤٣) عن الصناعات الغذائية في كتابه اساس البلاغة

عباس دعير دشر

أ. د. مقتدر حمدان عبد المجيد

مرويات الزمخشري (ت ٥٣٨/١١٤٣) عن الصناعات الغذائية في كتابه اساس البلاغة

عباس دعير دشر

أ. د. مقتدر حمدان عبد المجيد

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق والمرسلين ابا القاسم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) واصحابه المنتجبين

تعد دراسة الجوانب الاقتصادية من الدراسات المهمة في حياة المجتمع الانساني لما يتصف به الحكمة والهدف الى تحقيق التوازن الاجتماعي لانه مبني على النهج الاسلامي الصحيح المأخوذ من القران الكريم الذي يعد المصدر الرئيسي والاساس للتشريع الاسلامي وكذلك السنة النبوية الشريفة

فأن دراسة الاوضاع الاقتصادية ولا سيما الصناعات الغذائية تعد جزءا مهما من التاريخ ولهذا فقد بادر العلماء المسلمين الى تضمين كتبهم التاريخية بجوانب اقتصادية وتطرقوا الى ابراز الجوانب الصناعية وبالاخص الصناعات الغذائية التي قد تدخل الانسان في هذه الجوانب بصورة شرعية مراعاة الدين الاسلامي وترك كافة الامور التي تعارض هذا الدين السمح

تكلمنا في هذا البحث عن صناعة مهمة ولايمكن الاستغناء عنها وهي الصناعات الغذائية التي تعد في التاريخ الاسلامي ذات اهمية بالغة لانها وضعت طرق العلم المتاحة في ذلك العصر وتكلمنا عن صناعة الحبوب وتدخل الانسان في هذه الصناعة وتكلمنا عن صناعة الالبان ومنتجاتها الذي كان الحيوان المصدر الاساس في هذه الصناعة وتعتمد بشكل رئيسي على الحليب الذي يكون مصدرة من الابقار او الابل وتطرقنا في هذا البحث ايضا الى صناعات اخرى مثل صناعة الزيوت وصناعة الدبس والمطاحن

Conclusion

be upon the most honorable of creation and messengers, Aba Al-Qasim Muhammad (may God bless him and his family and grant him peace) and all his companions.

After this period that I spent writing this research in studying the economic aspects, including the food industry, through the book "The Basis of Balagha" by Zamakhshari, which provided us with information on the economic aspects, and we reached a number of results, the most important of which

Al-Zamakhshari is considered one of the most important linguists of his time, and the book "The Basis of Rhetoric" received great attention from scholars, and it is considered one of the most prominent language books

the study, we showed the importance of industrial activity and how the Arab Islamic state was distinguished by the food industry, being the main source on which people rely to secure their strength and the main source of their livelihood, such as the dairy industry and mills and their types.

The study showed the interest of Muslims in the grain industry, and because in every environment these grains are produced and produce a different type of agricultural crops, and each type of these agricultural crops has multiple uses, as well as humans benefited from animals in plowing the land and delivering water, as these food industries were considered one of the most important industries because

Arabs depended on it in their daily lives

This study showed the interest of the Arabs in food industries, which al-Zamakhshari mentioned in his book "The Basis of Eloquence", including the dairy industry, grains, mills, oils and molasses.

الصناعات الغذائية

تعد الصناعات الغذائية في التاريخ الإسلامي ذات أهمية خاصة لأنها وظفت طرق العلم المتاحة في ذلك العصر ، لتوفير الغذاء وحفظه بأشكال مختلفة لأفراد المجتمع ، و من هنا كانت هناك صناعات متعددة بتعدد مناطق الدولة العربية الاسلامية من سهول وجبال وصحارى ووديان ، لأن في كل بيئة تنتج الأرض نوع مختلف من المحاصيل الزراعية ، وكل نوع تكون له استعمالات متعددة ومن هنا كان الاهتمام بهذا النوع من الصناعة . [١]

اولا :

تناول الزمخشري في كتابه أساس البلاغة الصناعات التي كانت سائدة في عصره، ومنها الصناعات الغذائية ، إذ تعد أهم الصناعات حيث كان يعتمد عليها العرب في حياتهم اليومية، وكان لهذه الصناعة تأثير واضح على الدولة العربية الإسلامية ، إذ أنها مرتبطة باقتصاد الدولة ، والصناعات الغذائية مرتبطة بالإنتاج الزراعي ، ومن هذه الصناعات هي (الجرش) وهو طحن الملح والحب حتى يصبح مثل الدقيق[٢]، الجرش صك الشيء خشن بشيء مثله ، والجرش هو الصوت النابع عن عملية الاحتكاك[٣]، وجرش الشيء أن يطحن الشيء[٤].

ومن أنواع الصناعات المستعملة في ذلك العصر هو (الجرن) جرن التمر في الجرين أي المربد وضع التمر في موضع يشبه السلة[٥] ، وهو الموضع الذي يحفظ ويجفف فيه التمر [٦]، وجرن هو وعاء يجمعون التمر الرطب فيه يسمى الجرن[٧]، والجرين له عدة تسميات أن أهل العراق يسميه البيدر، وأهل الشام يسميه الاندر[٨] وأن سكان البصرة يسميه الجوخان، ويقال في مكة والطائف : المربد[٩]، وأن أهل المدينة يسمون الجرن المهراس وهو حجر كبير داخله ماء طاهر يستعمل للشراب والوضوء [١٠].

كان العرب في حياتهم اليومية يضعون التمر في الجرب ويصنعون منه الدبس، التفت الزمخشري إلى أن صناعة (الجش) تستعمل في الحياة اليومية في الدولة العربية الإسلامية ، وهو جش الحب بالرحى إذ يعني طحنه بالرحى[١١]، جشيش ومجشوش ، وهي طحن الحب بالرحى والجشيش الذي يستعمل مع التمر واللحم في الطعام والجعجعة هو صوت الرحى عندما تطحن الحب[١٢]، والمجش طحنت بالرحى وجعلته كالدقيق، والمجش الرحى التي يطحن بها[١٣]، أشار الحموي إلى ذكر طواحين الحبوب في مدينة تاهرت[١٤] .

ثانيا: صناعة الالبان :

وإذا انتقلنا إلى صناعة الالبان وهي إحدى الصناعات الغذائية التي تعتمد بشكل رئيس على الحليب الذي مصدره من الاغنام والابقار أو الإبل ، فبالإضافة الى استعمال الحليب بشكله الخام تم معالجته بأشكال وصور متعددة للاستفادة منه قدر الإمكان ، ففي هذا الشأن قال الزمخشري أن (الخثر) هو اللبن الخاثر الذي ذهب صفوته وبقيت خثورته[١٥]، الخثر مصدر الشيء الخاثر وقد خثر يخثر خثورته وخثارته[١٦]، وخثارة الشيء ما يبقى على المائدة، والخثر بفتح الحاء وكسر التاء اخثرت الزبد تركته خاثراً[١٧]، ويخثر اللبن الذي يخرج على شكل مجاميع وأحياناً يخرج يشبه الماء الأصفر [١٨]، أي اللبن يصبح روبة، وإذا ظهرت على اللبن علامات مثل تحبب والصفر أصبح زبد[١٩]، فإذا اكتمل خثر اللبن وخالط بعضه مع بعض وأصبح ضريب الضريب يصنع من حليب الإبل فقط[٢٠].

ويعد (الزبد) الذي يصنع من الألبان من أهم أنواع طعام المسلمين، والزبد بالتمر هي الأكلة المحببة لهم[٢١]، والزبد السمن[٢٢]، والزبد هو طعام العرب[٢٣]، كان رجل ذهب إلى رسول الله (ﷺ) قبل الاسلام ومعه هدية أراد أن يقدمها للرسول (ﷺ) فرفضها وقال له هذا زبد مصنوع من اللبن [٢٤] .

وهناك العديد من الصناعات التي استعملها المسلمون في مجال حياتهم اليومية بشكل مستمر والتي اعتمد عليها الناس واتخذوها حرفة لكسب الرزق ومن هذه الصناعات

التي ذكرها الزمخشري في كتابه أساس البلاغة هي صناعة الالبان ومن أنواع الالبان التي ذكرها في حديثه هو (الرثا) وهو اللبن الحامض الذي يحلب عليه فيخثر[٢٥]، ارتثا اللبن : خثر ورثات اللبن رثا : إذا حلبته على حامض فخثر واسم الرثيئة[٢٦]، والرثيئة هي اللبن الذي يخلط معه الماء ويكون لونه خفيف[٢٧]، ويسمى اللبن الذي طعمه حامض بالرثيئة[٢٨]، وأحياناً

يستخدم الرثيئة لتهدئة الأعصاب لأنه يكون مخلوط لبن حامض مع حلو ويسمى الرثيئة[٢٩].

كان المسلمون في الدولة العربية الإسلامية يتناولون اللبن بشكل يومي في حياتهم ويعتبرونه من أساسياتهم ، وهنالك نوع من اللبان ذكره الزمخشري وهو (الروب) وهو الذي يترك في وعاء لفترة لكي يختمر ويسمى الوعاء الذي يختمر فيه هو المروب[٣٠]، الروب مصدر راب اللبن يروب روباً ورؤوباً وروباناً إذا خثر [٣١]، واللبن الرائب الكثيف وقال أهل البصرة وبعض أهل الكوفة الرائب الذي أخذ زبده [٣٢]، أن الروبة هو اللبن الخاثر[٣٣]، والروبة تصنع من اللبن بعد خثره وإكمال خمرته[٣٤] .

التفت الزمخشري إلى أن صناعة الألبان المستخدمة في مجالات مختلفة ، فقال أن (الصقر) هو اللبن الحامض جداً ، وسمي الصقر بهذا الاسم لشدة الضرب يقال بالصقور الصخرة بالصاقور وهو المعول [٣٥]، وصقر ما مصل من اللبن فامازت فثارته وصفت صفوته فإذا حمضت كانت صباغاً طيباً وإذا بلغ اللبن من الحمض ما ليس فوقه شيء فهو الصقر [٣٦]، وصقر اللبن شديد الحموضة [٣٧].

ثالثا: الصناعات الاخرى :

وكان الدبس يستعمل على نطاق واسع ضمن الغذاء اليومي ، وكان طعام النبي (ﷺ) هو اللبن والتمر ، وذكر الزمخشري في كتابه أساس البلاغة (الدبس) وهو يصنع من التمر اللبن[٣٨]، الدبس بالكسر عصارة الرطب[٣٩]، ويسمي أهل الحجاز الدبس الصقر ــو العسل[٤٠]، ومن انواع الطعام الي يتناوله المسلمون كثيراً (الدبساء) وهي أكلة قديمة

يأكلها المسلمون ، وهي تصنع من التمر والزيت[٤١]، الدبس عسل التمر وعصارته وهو ما يسيل من الرطب ويقال له (الصقر) في لغة أهل الحجاز وأنه ما سال من التمر[٤٢]، وكان الدبس يستخرج من التمر وتجمع دباسوا بغداد في محلة (أصحاب الدبس) وأن عدد العاملين بها كان كبيراً وطالبوا بإعفائهم من الرسوم فخفف الرسوم عليهم ناصر الدولة الحمداني[٤٣] بإعفاء التمر من الرسوم سنة (٣٣٠ ه/٩٥٢م)، وقامت في بغداد سوق خاصة يتجمع فيها التمارون الذين يتاجرون بالتمر ، وقد أصيب التمر بجائحة سنة (٣٣٢ه/٩٥٤م) حتى اضطر اصحابها الى الاستلاف، وان سوق التمارين كانت رائجة حتى فرضت عليهم الضرائب[٤٤]، وتكتل التمارون لحماية مهنتهم وانتفضوا على الجند الديلم وعلى الرسوم وقتلوا متضمن الرسوم ونصبوا رأسه في سوقهم[٤٥].

ومن أنواع الصناعات الغذائية السائدة آنذاك (الددم) وهو صمغ يخرج من شجر السمر الحمر [٤٦]، وكان هذا النوع من الصمغ موجود في جزيرة سقطري وهي جزيرة كبيرة فيها عدة قرى ومدن وكثرت فيها البساتين والنخيل في جنوب عدن ويكون موقعها قريب من الهند ويسمون صمغها القاطر وهو صنفان خالص يكون شبيهاً بالصمغ في الخلقة ولونه أحمر والصنف الآخر أسود[٤٧] .

والددم يكون له حرارة في الفم ، وهي من الصمغ وذكر أن اللبان شجر الصنوبر فيها ثمر البان دهناً طيباً وحبه يكون نافع لمعالجة بعض الأمراض جلدية[٤٨]، وأن الشوع شجر البان أنه يكثر على الجذب وقلة الأمطار، والناس يسلقون ثمره وأهل الشوع يستعملون دهنه كما يستعمل أهل السمسم دهن السمسم وهو جبلي ينبت في السهل والجبل[٤٩].

ويذكر الزمخشري أن (الزيت) هو الذي يستخدمه الإنسان في الطعام ليكتمل[٥٠]، الزياتة حرفة والزيات الزيت هو عصارة الزيتون[٥١]، ومن جملة الدهون التي كانت تصنع (زيت الزيتون) والشيرج (زيت السمسم)[٥٢]، ودهن اللوز[٥٣]، ودهن الخروع[٥٤]، وقد اشتهرت حران بصناعة أنواع عدة من الزيوت[٥٥].

وفي حديثه عن الطاحونة تحدث الزمخشري عن الطاحونة فقال: الطحن الطحين المطحون والطحن الفعل والطحانة فعل الطحانة والطاحونة التي تدور بالماء وتطحن الحبوب [٥٦]، والطحن مصدر طحنت الشيء اطحنه طحناً والطحن الشيء المطحون نحو الدقيق وغيره[٥٧]، الخبز بثمانية دراهم، وأجرة طحن الأردب، من القمح مائة وعشرون درهم ولذلك التجأ غالب الناس في بيوتهم استعمال الأرحية وكثرت الفقراء بالديار المصرية وعظم الحاحهم في السؤال [٥٨] .

تناول الزمخشري صناعات غذائية تستعمل في مختلف مجالات الحياة اليومية ، منها (الفوم) الذي لا يمكن الاستغناء عنه ويعد من أنواع الخبز[٥٩]. الفاء والواو والميم أصل صحيح مختلف هو الحنطة [٦٠]، والفوم السكري ، ويقال الفوم : الحنطة[٦١]، ويذكر ابن سيدة الفوم الزرع والحنطة وأزد السراة يسمون فوماً الواحدة فومة والفوم هو الحنطة وما يختبز من الحبوب ، يقال فومت الخبز أخبزته[٦٢]، إلى أن أراد به الثوم فالفاء على هذا بدلاً من الثاء[٦٣]، والفوم هي الحنطة وسائر الحبوب التي تخبز[٦٤]، واختلف علماء التفسير واللغة في معنى الفوم فذهب بعضهم إلى أنه الثوم، وقال البعض الآخر هو الحنطة، وقال البعض الآخر أن الحنطة وسائر الحبوب هي التي تخبز وأن الفومة هي كل عقدة من بصلة أو ثومة، والثوم بقلة معروفة كثيرة بأرض العرب ، والفوم كل حب يختبز[٦٥]، قال تعالى : ﴿ فأدع لنا ربك يخرج مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها﴾[٦٦]، أي : يعني الثوم وعدس وبصل والفوم هو الخبز[٦٧] .

وقامت في بغداد مخابز كان سكان البيوت يرسلون اليها بعجينهم ويبدو ان المخابز توزعت في الاحياء وشكل دخانها إزعاج للناس ، وكان الخبز يباع في الدكاكين وفي سوق خاصة عرف بالخبازين [٦٨].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق والمرسلين ابا القاسم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وعلى صحبه اجمعين

بعد هذه المدة التي امضيتها في كتابة هذا البحث في دراسة الجوانب الاقتصادية منها الصناعات الغذائية من خلال كتاب اساس البلاغة للزمخشري الذي امدنا بمعلومات عن الجوانب الاقتصادية وتوصلنا الى عدد من النتائج اهمها

يعد الزمخشري من اهم علماء اللغة في عصره ولقي كتاب اساس البلاغة اهتماما كبيرا من العلماء ويعد من ابرز كتب اللغة

ومن خلال الدراسة بينا اهمية النشاط الصناعي وكيف امتازت الدولة العربية الاسلامية بصناعة الاغذية كونها المصدر الاساس الذي يعتمد عليه الانسان في تأمين قوته والمصدر الرئيسي لمعاشهم كصناعة الالبان والمطاحن وانواعها

وبينت الدراسة اهتمام المسلمون بصناعة الحبوب ولان في كل بيئة تنتج هذه الحبوب وتنتج نوع مختلف من المحاصيل الزراعية وكل نوع من هذه المحاصيل الزراعية له استعمالات متعددة ، وكذلك استفاد الانسان من الحيوان في حراثة الارض وتوصيل الماء ، اذ كانت هذه الصناعات الغذائية تعد من اهم الصناعات لان العرب كانوا يعتمدون عليها في حياتهم اليومية

وبينت هذه الدراسة اهتمام العرب بالصناعات الغذائية التي تطرق لذكرها الزمخشري في كتابه (اساس البلاغة) منها صناعة الالبان والحبوب والمطاحن والزيوت والدبس

قائمة المصادر والمراجع

الزمخشري ، محمود بن عمرو ،(ت٥٨٣ / ١٤٤٤)

- اساس البلاغة ، تح: محمد باسل ، ط١ (بيروت ،دار الكتب العلمية ،١٤١٩)

الحميري ، نشوان بن سعيد ، (ت ٥٧٣/١١٩٥)

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تح: حسين عبدالله ، ط١، (بيروت،دار الفكر ،١٤٢٠)

الفاسي ، محمد بن احمد ،(ت ٨٢٢/١٤٤٤) ،

- شفاء الغرام في اخبار البلد الحرام ، ط١،(بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٢١)

ابو عبيد ، القاسم بن سلام ، (ت ٢٢٤/٨٤٦)

- غريب الحديث ، تح: محمد عبد المعبد ، (دار المعارف العثمانية)

الواقدي ، محمد بن عمر ، (ت ٢٠٧/٨٢٩)

- الردة مع نبذة من فتوح العراق ، تح: يحيى الجبوري ، ط١ ،(بيروت ،دار الكتب العلمية ،١٩٩٠)

الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، (٣٩٣/١٠١٥)

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: احمد عبد الغفور ، ط٤ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٢)

الاصمعي ، عبد الملك بن قريب ،(٢١٦/٨٣٨)

- الشاء /تح : صبيح التميمي ، ط١، (بيروت ، دار اسامة ، ١٤٠٧)

الرازي ، محمد بن ابي بكر ، (٦٦٦/١٢٨٨)

- مختار الصحاح ، تح :يوسف الشيخ محمد ،ط٥ (بيروت ،الدار النموذجية ،١٤٢٠)

ابو داود ، سليمان بن داود ، (٢٠٤/٨٢٦)

- مسند ابي داود ، تح : محمد عبد المحسن ،ط١ (القاهرة ،دار هجر ،١٩٩٩)

الحنبلي ، عبد الحي بن احمد ، (ت ١٠٨٩/١٧١١) ،

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تح محمود الارناووط ، ط١، (دار ابن كثير للنشر ، ١٩٨٩)

ابن سعيد ، علي بن موسى الاندلسي ، (ت ٦٨٥/ ١٣٠٧)

- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تح : نصرت عبد الرحمن (عمان ، مكتبة الاقصى للنشر ،١٩٨٢)

الفراهيدي ، الخليل بن احمد ، (ت ١٧٠ / ٧٩٢)

- العين ، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، ط١ (بيروت ، مكتبة الهلال ، ١٤١٦)

الفيومي ، احمد بن محمد ، (ت ٧٧٠/١٣٨٦)

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،(بيروت ، المكتبة العامة ، د ت)
الطبري ، محمد بن جرير ، (ت ٣١٠ / ٩٣٢)
- تاريخ الرسل والملوك ، ط٢ ، (بيروت ، دار التراث ،١٣٨٧)
الصولي ، محمد بن يحيى ، (٣٣٥/ ٩٥٧)
- اخبار الراضي والمتقي لله ، تح : ج . هيورت ، (مصر، مطبعة الصاوي ، ١٩٣٥)
التنوخي ، المحسن بن علي ،(٣٨٤/ ١٠٠٦)
- نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تح: عبود الشالجي ، (بيروت ، دار صادر ، ١٣٩١)
النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، (٧٣٣/ ١٣٥٥)
- نهاية الارب في فنون الادب ، ط١، (القاهرة ،دار الكتب والوثائق، ١٤٢٣)
ابن كثير ، اسماعيل بن عمر ، (ت ٧٧٤/ ١٣٩٦)
- البداية والنهاية ، تح: علي شيري ،ط١،(القاهرة،دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨)
المقدسي ، محمد بن احمد ، (١٠٠٢/٣٨٠)
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،ط١،(بيروت ،دار صادر، ١٩٩١)
ابن تغري بردي ، يوسف بن عبدالله ، (ت ١٤٦٩/٨٧٤)
- حوادث الدهور في مدى الايام والشهور ، تح : محمد كمال الدين ، ط١
ابن سيده ، علي بن اسماعيل ، (ت ٤٥٨/ ١٠٨٠)
- المحكم والمحيط الاعظم ، تح: عبد الحميد الهنداوي ، ط١، (بيروت ،دار الكتب العلمية،٢٠٠٠)
ابن فارس ،احمد بن فارس ، (ت ٣٩٥/ ١٠١٧)
- معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٩)

الهوامش:

١

(٢)الزمخشري ، ابو القاسم محمود بن عمروا،(ت ١٤٤٤/٥٣٨) أساس البلاغة ، تح : محمد باسل ، ط١(بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩) ج١، ص١٣٣ .

(٣) الأزهري ،محمد بن احمد،(ت ١٠٥٠/٣٧٠) تهذيب اللغة ، تح : محمد عوض ، ط١،(بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٢)ج١، ص٢٨٠ .

(٤) الحميري، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣ه / ١١٩٥م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح : حسين عبد الله العمري ومطهر بن علي ، ط١ ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٢٠ه)، ج٢ ، ص١٠٦٣.

(٥) أساس البلاغة ، ج١ ، ص١٣٥ .

(٦) الفاسي،محمد بن احمد ،(ت ٨٢٢/١٤٤٤) ، شفاء الغرام في هذا البلد الحرام ، ط١،(بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٢١) ج٢ ،ص٤٤٣ .

(٧) ابو عبيد ، القاسم بن سلام ، (ت ٢٢٤/٨٤٦)، غريب الحديث ، تح: محمد عبد المعبد، ط١،(بيروت ، دار المعرف العثمانية ،١٩٦٤) ج١، ص٢٨٧ .

(٨) الاندر : بلغة الشام هو البيدر فكان هذا الموضع ذا بيادر والبيادر هي قباب الاطعمة والاندر قرية الشام فيها كروم وجمعها الاندرين . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٦١

(٩) الأزدي، جمهرة اللغة ، ج١ ، ص٤٦٧ .

(١٠) ابن فارس ، مجمل اللغة ، ج١ ، ص١٨٥ .

(١١) الزمخشري، أساس البلاغة ، ج١ ، ص١٤٠ .

(١٢) الواقدي ، محمد بن عمر ، (ت٢٠٧/٨٢٩) ،الردة مع نبذة من فتوح العراق ، تح:يحيى الجبوري، ط١،(بيروت ،دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٠)، ص١٢١ .

(١٣) الزمخشري ، الفائق ، ج١، ص٢١٥ .

(١٤) تاهرت : مدينة في اقصى المغرب، وهما مدينتي تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة ، بينها وبين المسيلة ستة مراحل ، بين تلمسان وقلعة بني حماد . ينظر : ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص٢٥١ .

(١٥) أساس البلاغة ، ج١ ، ص٢٣١ .

(١٦) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج٧، ص١٤٤ .

(١٧) الجوهري ، ابو نصير اسماعيل بن حماد ، (ت ٣٩٣/١٠١٥)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : احمد عبد الغفور، ط٤،(بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤١٢) ج٢، ص٤٦٢ .

(١٨) الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب ،(ت ٢١٦/ ٨٣٨) ، الشاء ، تح: صبيح التميمي ، ط١،(بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٠٧)ج١، ص٧٣ .

(١٩) البغدادي ، الغريب الصنف ، ج٢، ص٤٧٣ .

(٢٠) ابن قتيبة الدنيوري ، الجراثيم ، ج١، ص٣٣٦ .

(٢١) أساس البلاغة : ج١ ، ص٤٠٧ .

(٢٢) الفراهيدي، العين ، ج٧، ص٣٥٧ .

(٢٣) الرازي ، محمد بن ابي بكر ، (ت ٦٦٦/ ١٢٨٨) ،مختار الصحاح ، تح : يوسف الشيخ محمد ، ط٥،(بيروت ، الدار النموذجية،١٤٢٠)ج١ ، ص١٣٤ .

(٢٤) ابو داود الطيالسي،سليمان بن داود،(ت ٢٠٤/٨٢٦) مسند أبي داود ، تح: محمد عبد المحسن ،ط١،(القاهرة ، دار هجر ، ١٩٩٩)ج٢، ص٤٠٩ .

(٢٥) أساس البلاغة ، ج١ ، ص٣٣٧ .

(٢٦) الجوهري ، الصحاح ، ج١ ، ص٥٢ .
(٢٧) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١٥ ، ص٩٠ .
(٢٨) الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩ ه / ١٧١١م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح : محمود الارناؤوط ، خرج أحاديثه عبد القادر الارناؤوط ، ط١ ، (دار ابن كثير للنشر ، ١٩٨٩م)، ج٢، ص٣٠٦ .
(٢٩) ابن سعيد ، علي بن موسى الاندلسي (ت ٦٨٥ه / ١٣٠٧م)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تح : نصرت عبد الرحمن ، (عمان مكتبة الأقصى للنشر، ١٩٨٢)، ص٧٣٣
(٣٠) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج١، ص٣٩١ .
(٣١) الأزدي ، جمهرة اللغة ، ج١ ، ص٣٣٠ .
(٣٢) الفراهيدي، الخليل بن احمد بن عمرو، (٧٩٢/١٧٠)العين ، تح: مهدي المخزوميوابراهيم السامرائي،(بيروت ،مكتبة الهلال ،١٤١٦) ج٨، ص٢٨٤ .
(٣٣) ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، ج١٠، ص٣٢٨ -= ٣٢٩ .
(٣٤) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج٨، ص١٨٨ .
(٣٥) أساس البلاغة ، ج١ ، ص٥٥٢ .
(٣٦) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج٨، ص٢٥٢ .
(٣٧) الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص٧١٥ .
(٣٨) اساس البلاغة ، ج ١، ص٢٧٨ .
(٣٩) الفيومي ، احمد بن محمد ،(ت ١٣٦٨/٧٧٠) ،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت،المكتبة العامة ، د ت)ج١، ص١٩٨ .
(٤٠) الازدي، جمهرة اللغة ، ج١، ص٢٩٧ .
(٤١) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١٢ ، ص٢٥٩ .
(٤٢) الطبري، محمد بن جرير ،(ت ٣١٠/ ٩٣٢) ،تاريخ الرسل والملوك ،ط٢ ،(بيروت ، دار التراث،١٣٨٧)ج٨ ، ص٣٥٩ .
(٤٣) ناصر الدولة الحمداني : أبو محمد الحسن الملقب ناصر الدولة ابن ابي الهيجاء، توفي سنة (٣٥٨ه /٩٦٩م)، شقيق سيف الدولة الحمداني ، مؤسس الإمارة الحمدانية في حلب ، وبعد سقوط الدولة الحمدانية أصبح قائد عسكري في الدولة الفاطمية . ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٨ ، ص٣١٧ .

(٤٤) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥ه / ٩٥٧م)، أخبار الراضي والمتقي لله ، تح : ج. هيورث ، (مصر ، مطبعة الصاوي، ١٩٣٥م)، ص٢٢٩ ؛ ، ص٢٢٩ ؛ أساس البلاغة ، ج١ ، ص٢٧٨ .

(٤٥) التنوخي ، المحسن بن علي ،(١٠٠٦/٣٨٤) ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي ،(بيروت ، دار صادر ، ١٣٩١)ج٣، ص٦٠ .

(٤٦) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج١ ، ص٢٨٢ .

(٤٧) أساس البلاغة ، ج١ ، ص٢٨٢ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٢٧ .

(٤٨) النويري،شهاب الدين احمد عبد الوهاب ، (ت ٧٣٣/ ١٣٥٥) ، نهاية الأرب في فنون الادب ، ط١، (القاهرة ، دارالكتب والوثائق ، ١٤٢٣)، ج١١ ، ص٣٠٩ .

(٤٩) علي، جواد، المفصل، ج١٤ ، ص٢٢٤ .

(٥٠) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج١ ، ص٤٢٨ .

(٥١) الفراهيدي، العين ج٧، ص٣٧٨ .

(٥٢) الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٣٧ه/ ١٨٥٩م) ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، (بيروت ، دار الجيل)، ج٣ ، ص٣٦ .

(٥٣) ابن كثير،اسماعيل بن عمر ، (١٣٩٦/٧٧٤) البداية والنهاية ، تح : علي شيري ، ط١، (دار احياء التراث العربي ، بيروت ،١٩٨٨)ج١٥ ، ص٢٠٦ .

(٥٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج١١ ، ص٥٠٦ .

(٥٥) المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد ، (ت ٣٨٠/ ١٠٠٢) ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،ط١ (بيروت ،دار صادر ،١٩٩١) ، ص١٦٠ .

(٥٦) أساس البلاغة ، ج١ ، ص٥٩٧ .

(٥٧) الأزدي ، جمهرة اللغة ، ج١ ، ص٥٥١ .

(٥٨) ابن تغري بردى ، يوسف بن عبدالله ، (ت ١٤٩٦/٨٧٤)حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، تح : محمد كمال الدين ، ط١ ، (١٤١٠ه / ١٩٩٠م)، ج٢، ص٣١٨.

(٥٩) أساس البلاغة ، ج٢ ، ص٤١ .

(٦٠) ابن فارس ، احمد بن فارس ،(ت١٠١٧/٣٩٥) ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر ،١٩٧٩) ج٤، ص٤٦٢ .

(٦١) الفراهيدي، العين ، ج٨، ص٤٠٥ .

(٦٢) ابن سيده ، ابو الحسن علي ابن اسماعيل ، (ت ٤٥٨/١٠٨٠) ،المحكم والمحيط الأعظم ، تح: عبد الحميد الهنداوي ، ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ،٢٠٠٠) ج١٠ ، ص٥٤٦ .

(٦٣) الطبري، جامع البيان ، ج٢ ، ص١٢٤ .

(٦٤) الزمخشري ، الكشاف ، ج٢ ، ص٦٩٨ .

(٦٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص٣٢٨ .

(٦٦) سورة البقرة : الآية ٦١ .

(٦٧) الثوري ، سفيان بن سعيد (ت ١٦١ه / ٧٨٣م)، تفسير الثوري ، ط١ ، (١٤٠٣ه / ١٩٨٣م)، ج١ ، ص٤٦ .

(٦٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩ ، ص١٣ وص٤٨٩ ؛ ابن الجوزي، الاذكياء ، ص٦١ .

الموقع الجغرافي للمدن اليونانية واهميته في نشأتها وتأسيسها.

(كورنث أنموذجاً)

خالد مجيد هادي

أ. م. د. رويدة فيصل موسى النواب

الموقع الجغرافي للمدن اليونانية واهميته في نشأتها وتأسيسها.

(كورنث أنموذجاً)

خالد مجيد هادي

أ.م. د. رويدة فيصل موسى النواب

الملخص .

يمثل هذا البحث ابراز اهمية الموقع الجغرافي لاهم المدن اليونانية ودوره في اهمية نشأتها وتأسيسها خصوصا وان اغلب المدن اليونانية التي ظهرت كانت بعد بدايات الالف الاول قبل الميلاد الا ان مدينة كورنث كانت اقدم هذه المدن من حيث النشأة والظهور .

Abstract .

This research represents highlighting the importance of the geographical location of the most important Greek cities and its role in the importance of their emergence and establishment, especially since most of the Greek cities that appeared were after the beginnings of the first millennium BC, but the city of Corinth was the oldest of these cities in terms of emergence and emergence .

المقدمة .

تميزت بلاد اليونان بصورة عامة وبعض مدنها بصورة خاصة بأهمية الموقع الجغرافي الذي ميز البلاد فضلا عن بعض المدن اليونانية التي اكسبها موقعها الجغرافي دوراً ريادياً على انها مثلت حلقة وصل بين شمال البلاد وجنوبه فضلا عن تحكمها بالطرق التجارية برا وبحرا الامر الذي جعل ابرز الشخصيات اليونانية تتغنى بهذا الموقع فضلا عن الاجانب الذين اكدوا على اهمية هذا الموقع .

الموقع الجغرافي لبلاد اليونان

تقع بلاد اليونان (Greece) في الجزء الجنوبي الشرقي لقارة اوروبا (Content Of Europe) [١] ، و يطلق على هذه المنطقة جغرافيا شبه جزيرة البلقان (Balkan Peninsula) [٢] ، وتمثل بلاد اليونان وتمثل البلاد جزيرة صغيرة لمجموعة من الجزر المتناثرة في البحر المتوسط (Mediterranean Sea) [٣] ، حيث سهل لها موقعها الجغرافي الاتصال المباشر مع حضارات العالم القديم و بالأخص حضارات الشرق الادنى في كل من بلاد الرافدين وبلاد سوريا و بلاد النيل الذي مكنها من ان تكون حلقة وصل لقارات العالم القديم (اسيا ، افريقيا ، اوروبا)[٤] ، حيث سهل لها نقل الملامح والمعالم الحضارية الى اراضيها بصورة خاصة ولباقي مناطق القارة الاوربية بصورة عامة [٥] .

الموقع الجغرافي لمدينة كورنث .

كورنث هي واحدة من اهم مدن بلاد اليونان، تقع في وسط جنوب بلاد اليونان ضمن شبه جزيرة البيلوبونيز حيث تعد ممرا مهما منه الى البر الرئيسي للبلاد [٦] ، وقد برزت اهميتها من خلال موقعها الجغرافي المميز الذي يتوسط البلاد ويشطرها الى نصفين على اعتبار انها حلقة وصل لهما[٧] ، حيث انها تضم خليجا مهما سمي على اسم المدينة خليج كورنث (Corinth Gulf) الذي يفصل البيلوبونيز عن البر الرئيسي لليونان من جهة[٨] ، ومن جهة اخرى خليج سارونيك (Saron Gulf) [٩] ، فضلا عن ان موقعها هذا منحها مكانة اقتصادية مرموقة وعدت من اهم مدن بلاد اليونان غنىً وثقافة [١٠] ، علاوة على ذلك فان المدينة كانت تعد مركز جذب للسفن و التجار الذين كانوا يقدمون الى المدينة في رحلاتهم التجارية بين الشرق و الغرب [١١] ، فضلا عن تحكمها بالطرق التجارية و المواصلات برا وبحرا فضلا عن التقارب بين هذه الطرق قد اعطاها اضافة للمناطق القريبة منها اهمية كبيرة [١٢] ، كما تضم المدينة ايضا برزخا سمي على اسمها برزخ كورنث (Corinth Isthmus) والذي مكنها من لعب دورا مهما في تاريخ البلاد لان كل المدن والمناطق المجاورة لها استخدمت هذا البرزخ في تنقلاتها برا وبحرا على

اعتباره ممرا حيويا ومهما ولا سيما جيوش مدينة اسبارطة بعد ان عبرته برا و غزت اقليم اتيكا (Attica) [١٣] ، حيث عملت على نقل جنودها اثناء حرب الارشيدميان (Archidemian War) [١٤] ، و كانت المدينة ايضا من المدن اليونانية التي لم ترغب في ان تكون تحت نظام سياسي واحد للبلاد[١٥] ، لا سيما ان المدينة تعد من بين اهم سبعة مدن موجودة في شبه جزيرة البيلوبونيز[١٦] ، كما اعطاها الموقع الجغرافي الاثر الكبير اقتصادياً ضمن المنطقة وخصوبة الاراضي الزراعية من خلال وقوعها ضمن منطقة سهول فوخا (Vociese Plain) [١٧] ، يضاف الى ذلك هنالك البعض من التضاريس الطبيعية مثل جبال كيثايرون (Cithaeron Mountain) [١٨] و جبال جرانايا (Geranaea Mountain) [١٩] ، جعل الموقع الجغرافي للمدينة بالإضافة الى تجارتها للمدينة واحدة من اغنى المدن اليونانية [٢٠] ، اذ ان المدينة تضم العديد من القرى والضواحي التي تتبع المدينة [٢١] ، كما ان موقعها اتاح لها ايضا ان تكون المدخل الرئيسي لمنطقة البيلوبونيز عن طريق خليجها والذي يعد مدخلا الى البحر الادرياتيك (Adriatic Sea) [٢٢] ، لأنها بفضل موقعها هذا اعتبرت من اهم المواقع الجغرافية المهمة وذات الطراز الاول ومثال ذلك ان موقعها سهل لها التبادل الثقافي والتجاري والسياسي بين الانظمة السياسية في بلاد اليونان خلال العصور القديمة[٢٣] ، فضلا عن قربها من بحر ايجة ووجود السهول الزراعية الخصبة المحيطة بها [٢٤] ، وهذا ما جعلها في موضع الحسد من باقي المدن اليونانية الاخرى التي تزامنت في ظهورها خلال نفس الفترة الزمنية بسبب غناها ورقي ثقافتها فقد سيطرت على الوضع الاقتصادي بين شمال البلاد و جنوبها [٢٥] ، حيث دعاها هوميروس (Homer) [٢٦] بعد ان قام بزيارة اليها الامر الذي دفعه الى تسميتها " كورنث الثرية " [٢٧] ، بينما عدها شيشرون (Cicero) [٢٨] بانها " نور كل اليونان " [٢٩] ، وقد لعبت العديد من العوامل الحيوية دورا مهما في تاريخ المدينة فاذا ما تيحت لأي شخص فرصة الزيارة اليها فانه سيذهل بما سيراه من منظر الوقوف على الاكروكورنث (Acro Corinth) الذي هو عبارة عن جبل يتكون من الحجر الجيري يقع خارج المدينة يبلغ من الارتفاع حوالي (٢٠٠٠ قدم) كما سمي هذا الموقع باسم "مقطرة اليونان " [٣٠] ، لأنه من الصعوبة

اختراق المدينة وقد اكسبها حصناً منيعاً بوجه الاخطار الخارجية ، و تتكون الكلمة من مقطعين (اكرو) الذي يعني باليونانية عالي او مرتفع و كورنث نسبة الى اسم المدينة [٣١] ، فضلا عن ان هذه القمة تطل على كافة ارجاء المدينة وتبعد الزائر عن السهل الساحلي الخاص بها وخليجها لأنه سيشاهد ببساطة مكانة وعظمة هذه المدينة والتي اكسبها اياها موقعها الجغرافي من خلال مشاهدته للتضاريس الطبيعية كجبال(جرانيا) وجبال (كيثايرون)والتي تفصل المدينة عن المدن الاخرى القريبة منها ، والتمعن بالطرق البرية الموجودة في المدينة والتي تشكل ممرات حيوية ومهمة بين البيلوبونيز وباقي اليونان ولا سيما المناطق الوسطى منها [٣٢] ، فضلا عن انه يعد بمثابة برج المراقبة لمنطقة البيلوبونيز [٣٣] ، كما تعد المدينة من اهم النقاط المهمة والحساسة في البلاد حيث انها كانت تمثل نقاط جغرافية مهمة وحرجة للبلاد [٣٤] ، لان اغلب الخصائص الرابطة جغرافيا للمدينة بصورة خاصة والبر اليوناني بصورة عامة توجد فيه العديد من علامات الضعف والارتباك بشكل مباشر خصوصا اذا ما تعرض لأي هجوم خارجي حيث قام الميسينيون ببناء التحصينات الدفاعية من خلال انشاء جدار يمتد على طول برزخ المدينة خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد [٣٥] ، حيث اعطت للقاصي و الداني الرؤيا الاساسية بكل ما تحتويه من موقع و قرب من البحار اضافة للموانئ و الاسواق و التحصينات فضلا عن الموقع المهم للمدينة و ما تضمه من قناة و برزخ جعلها محطة مهمة في البلاد بالنسبة للأفراد والتجارة منذ العصر البرونزي [٣٦] وحتى العصور اللاحقة للمدينة التي شهدها تاريخ هذه المدينة التي اعتبر برزخها هو مفترق طرق لعالم البحر المتوسط [٣٧] ، حيث كان الدور الاكبر في الازدهار والتطور هو وصول الانظمة السياسية التي عملت على تطوير المدينة وجعلها القوة البحرية الاولى في العالم اليوناني خلال الفترة الممتدة بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد بفضل الثروة التي حصلوا عليها من خلال موقع مدينتهم المهم و الاستراتيجي[٣٨] ، مهما يكن من امر فان المدينة قد شهدت ذروة التطور والازدهار السياسي والاقتصادي والعمراني خلال فترة حكم الطغاة (Ruling On Tyrants) [٣٩] ، من خلال اهتمام هؤلاء

الحكام بتطوير المدينة والاثبات على ذلك هو ما تم العثور عليه من الشواهد الاثرية الاقتصادية والعمرانية [٤٠] .

النشأة و التأسيس .

كان اليونانيون يجوبون بلادهم والمناطق القريبة منها منذ ان استوطنوها في بدايات القرن الثامن عشر وحتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث ان مجيء الاقوام الهندو اوربية (Indo – European) [٤١] الى المنطقة قد ادى الى زيادة سكانية كبيرة وبالتالي ظهرت في البلاد اكثر من مائة مستوطنة بشرية في الاراضي اليونانية والمناطق القريبة منها بدءا من الاجزاء الشمالية الشرقية للبحر الاسود (Black Sea) [٤٢] و حتى مناطق شبه جزيرة ايبريا (Iberia Peninsula) [٤٣] ، أذ اصبحت اغلب مناطق البحر المتوسط مستعمرات يونانية لاسيما وان اليونانيين كانوا لا يحبذون فكرة التوجه الى المناطق الواقعة شرق البحر المتوسط و التي كانت خاضعة لسيطرة الفينيقيين [٤٤] ومناطق شمال افريقيا التي كانت تحت حكم القرطاجيين [٤٥] حيث ان هذا التوسع قد اتاح لهم هذا الاحتكاك والتواصل المباشر مع هذه الحضارات ومعرفة العالم الخارجي المحيط بهم فضلا عن انهم قوة اقتصادية مميزة في المنطقة ، وبعد سقوط الحضارتين الايجية و الموكينية تعددت الثقافات الخاصة بهم خصوصا بعد ظهور اقوام سكانية جديدة بعد البلاسيجيين (Plasiegeos) [٤٦] الذين انتهى وجودهم مع توافد جماعات سكانية اخرى فضلا عن الآخيين (Achaeans) [٤٧] و الايونيين(Ionians) [٤٨] ومجيء اقوام اخرى تعد من اكثر الاقوام التي سكنت البلاد واكثرها انتشاراً و قد عرفت بقسوتها وشدة همجيتها وعرفت بالدوريين(Dorian's) [٤٩] .

هناك دليل قوي يؤكد ان الفترة التي ظهرت فيها مدينة كورنث تعود للفترة التي سبقت الحضارة الميسينية من خلال ما تم العثور من بقايا اثرية واطلال بانها تعود الى سنة (٦٥٠٠ ق ٠ م) بعد ان تم العثور على البعض من بقايا المساكن القديمة فضلا عن الرواسب في قاع الوادي وبعض من المقابر وان المدينة خضعت للتعايش المتزامن مع بعض المناطق القريبة منها من خلال اندماجها مع هذه المستوطنات والتي تقع في منطقة

البر الرئيسي للبلاد [٥٠] ، وهناك بعض المصادر تؤكد بان الظهور الاول للمدينة ونشاتها تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد وهذه الفترة اعقبت ظهور الحضارات الباقية في البلاد و المعروفة تاريخيا بالفترة الهيلادية الوسطى(Middle Helladic Period) [٥١] من خلال ظهور مدينة كوراكو (Korakou) [٥٢] ، بينما ذهبت البعض من المصادر التاريخية الى ان المدينة قد ظهرت حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد لأنها تمكنت بفضل موقعها الجغرافي من ان تكون المسيطر الاقوى على شبكة النقل البحري للبضائع والشحن التجاري في كافة انحاء العالم اليوناني خاصة وبقية اجزاء القارة الاوروبية عموما [٥٣] ، بينما يؤكد البعض ان المدينة قد كانت على الاغلب مستوطنة فينيقية قبل الغزو الدوري للبلاد [٥٤] ، يؤكد البعض الاخر ان المدينة تعود في نشأتها الى نهاية العصر البرونزي حوالي سنة (١٢٠٠ ق ٠ م) [٥٥] ، بينما يؤكد البعض ان الدوريين الذين اجتاحوا اغلب البلاد سنة (١١٠٠ق – م) بعد ان اتخذوا مدينة ارجوس(Argo's)[٥٦] كقاعدة للتوسع في منطقة البيلوبونيز هم من اسسوا المدينة لغرض فرض سيطرتهم الكاملة على كل المنطقة [٥٧] ، و هناك اسطورة تقول : '' ان المدينة هي من صنع السماء وان الارض (اي المدينة) بعد ان حدث نزاع كبير بين بوسيدون (Poseidon) [٥٨] و بين احد ابناء الالهة الذي يسمى هيليوس الابن(Helios The Son) [٥٩] من اجل حكم المدينة حدثت تحكيم بينهما وان الحكم في هذا النزاع كان بريارس (Briarus) [٦٠] فأعطى البرزخ و المناطق القريبة منه لبوسيدون بينما آلت الاماكن المرتفعة في المدينة الى هيليوس [٦١] .

مهما يكن من امر حول الادلة والاخبار التي ذكرت حول نشؤ المدينة يتضح لنا ان بلاد اليونان بعد ان اجتاحها الغزو الدوري الذي لم يكن افراده على معرفة ودراية بالتقدم الحضاري وان اختلاط هذه الفئة من الجماعات مع السكان الاصليين والقبائل التي سبقتها مع ملاحظة الزيادة في اعداد السكان نتيجة للتلاقح الاجتماعي افضى في النهاية الى بناء مدن اخرى فكانت النتيجة هو ظهور المدينة كعلامة بارزة في تاريخ بلاد اليونان القديمة من خلال تميزها بالموقع الجغرافي الخاص بها في بدايات الالف الاول قبل الميلاد.

الهوامش:

(١) تمتد قارة أوروبا ضمن منطقة العروض الشمالية المعتدلة الباردة بين دائرتي (عرض ٣٦شمالا عند جنوب اسبانيا و ٧١ شمالا في النرويج)،وخطي طول (١٠ غربا في البرتغال و٦٠ شرقا عند المنحدرات الشمالية الشرقية لجبال الاورال في روسيا)، وقد مكنها هذا الموقع منذ القدم بتوافد الهجرات البشرية للأقوام المتعددة ولعل اهمها الاقوام الهندو – اوربية التي استوطنت منها مناطق كثيرة كان من بينها بلاد اليونان القديمة وانتشرت من خلالها فيما بعد الى باقي مناطق القارة ، للمزيد انظر : د. جاد الرب ، حسام ، جغرافية اوروبا الجديدة (دراسة اقليمية) ،جامعة اسيوط ، كلية الآداب ، ٢٠٠٥ ، ص ١٢ – ١٧ ؛ د. احمد ، حسن عبد العزيز ، جغرافية اوروبا (دراسة موضوعية) ، الرياض(دار المريخ للنشر د.ت)، ص ٥ – ١١ .

(٢) هي تسمية تطلق على المناطق الواقعة جنوب قارة اوروبا ويقصد بها مناطق شرق بلغاريا حتى المناطق الواقعة اقصى جمهورية صربيا حاليا (الاتحاد اليوغسلافي سابقا) وتضم كل من (صربيا وبلغاريا وتركيا واليونان ومقدونيا والبانيا) وتكون محاطة ببحار متعددة هي البحر الادرياتيكي والايوني من جهة الجنوب الغربي اما الجهة الجنوبية الشرقية فيقع عندها بحر ايجة وبحر مرمرة فضلا عن البحر المتوسط الواقع جنوبها والبحر الاسود الذي يقع في الشرق.

Jelavich ,Barbara ,History of The Balkans Eighteenth And Nineteenth Centuries ,Millburn (Cambridge university press :1983) , p 22- 24.

عياد ، محمد كامل ، تاريخ اليونان ،ج ١ ،الاسكندرية (دار الفكر: ١٩٨٠ (، ص٢١ .

(٣) هو بحر يقع يتوسط ثلاث قارات (اسيا من الشرق ، افريقيا من الجنوب ، اوربا من الشمال) ويربطه مضيق جبل طارق بالمحيط الاطلسي غربا ويعد نقطة ربط مهمة لعدد من المضايق مثل مضيق البسفور والدردنيل والبحار مثل بحر مرمرة والبحر الاسود ويرتبط مع البحر الاحمر عن طريق قناة السويس ويعد من اهم واقدم الطرق التجارية في العالم ، وقد اطلق عليه الكتاب اليونانيين والرومان البحر الداخلي (INTERNUM MARE)) وان اول من سماه بالبحر المتوسط هو الجغرافي الروماني (سو لينوس) اوائل القرن الثالث للميلاد ، للمزيد من التفصيل انظر الى : احمد وعثمان ، مصطفى احمد وحسام الدين ابراهيم ، الموسوعة الجغرافية ، ج٢ ، القاهرة (دار العلوم : ٢٠٠٥) ، ص٣٥ ؛ علي ، عبد اللطيف احمد ،

التاريخ اليوناني (العصر الهيللادي) ، ج١ ، بيروت(دار النهضة العربية : ١٩٧٦) ، ص١٢ .

(٤) د. جندي ، ابراهيم عبد العزيز ، معالم التاريخ اليوناني ، ج ١ ، المكتب المصري للمطبوعات ،القاهرة : ١٩٩٨ – ١٩٩٩ ، ص٥٥ ؛ د . العيداني ، سمير ، التاريخ والحضارة اليونانية القديمة (محاضرات) جامعة محمد بو ضياف (المسيلة) ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،(قسم التاريخ : ٢٠٢٠) ، ص ٥ .

(٥) يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، اليونان (مقدمة في التاريخ الحضاري) ، الاسكندرية (دار المعرفة الجامعية : ١٩٩١)، ص١٨ .

(6) Pausanias, Description Of Greece ,B: I & II ,Trans: W.H. S . Jones, M. AM , London ,ST.Catharins College , Cambridge , p24 ; Devambeze , Pierre & others , A Dictionary Of Ancient Greek Civilization , vol : 2 , London (Cambridge university press : 1967 p 193 .

(7) Cook , Robert Manuel , The Greek Until Alexander , New York (Praeger:1962) , P 23 .

(8) Durant, Will & Arial , The Story Of Civilization,VOL : 2 , B : 2 , Simon Schuster , New Jersy : 1935 , p 1936 .

(٩) هو خليج يقع بين شبه جزيرة اتيكا واقليم ارجوليد ويشكل امتداد للجزء الجنوبي من بحر ايجة ويحد الجانب رقبة شبه جزيرة بيوتيا من الشمال والشمال الغربي حيث تقع مدينة ميغارا ويحد من الشرق برزخ كورنث حيث يعد المحطة الشرقية لقناته ، فضلا عن ان مدينة اثينا تقع على ساحله الشمالي ويحتوي هذا الخليج على العديد من الجزر مثل جزيرة ايجينا وبوروس وجزيرة سلاميس التي جرت فيها معركة مهمة في تاريخ بلاد اليونان حيث تمكن اسطول اليونانيين من الانتصار على الاسطول الاخميني خلال الحروب التي نشبت بين الطرفين بين عامي (٤٩٩ – ٤٩٢ ق. م)، فضلا عن ان لهذا الخليج تسمية اخرى حيث يعرف باسم خليج ايجينا كون ان المدينة تعد من ابرز مدن هذا الخليج ، انظر :

Sacks ,David , A Dictionary Of The Ancient Greek World Oxford University Press , New York : 1995 , p 57 – 60 ; Devambeze , Pierre , A Dictionary , Vol : 2 , p 7 .

(10) Durant , The story Of Civilization , Vol : 2 , B:2 , p 1968 .

(11) Danbabin , T . J , Corinthian Early History , Hellenice Studies Journal, NO : 68 , 1948 , 59 - 69 .

(12) Kitto, H . D. F. , The Greeks , Chicago (Aldine Pub . Co : 1964) , p 104 .

(13) Pausanias , Dissipations Of Greece , 2 : 1: 1

(١٤)هي جزء من الحروب البيلوبونيزية وتمثل المرحلة الاولى منها وهي حرب اهلية مثل طرفاها الابرز اثينا واسبارطة والسبب الرئيسي للحرب هو الخلاف الذي حصل بين مينة كورنث ومدينة كورسيرا ، وقد مرت بثلاث مراحل وكانت هذه الحرب هي المرحلة الاولى منها حيث قامت اسبارطة بالهجوم على اقليم اتيكا من خلال غزوات متعددة تمكنت من خلالها من السيطرة على الاقليم ، وعلى الجانب الاخر فكانت اثينا قد عملت على استغلال تفوقها البحري لمهاجمة البيلوبونيز واخذ زمام السيطرة لكنها لم تنجح في ذلك وقد انتهت هذه المرحلة بعقد معاهدة نيكياس عام (٤٢١ ق- م) .

Salomon , Marilyn J , Great Cities Of The World (Next Stop Athens) , No City (Symphonette Press :1974) , p 19 .

(١٥) الشيخ ، حسين، تاريخ اليونان ، ص ٨ .

(١٦) تعد المدينة واحدة من سبعة مدن مهمة في البيلوبونيزاضافة الى مدن اليس ولاكونيا وارغوليس وسيسيون و آخايا واركاديا بحسب ما ورد في الكتاب الثامن لسترابو والذي خصص ضمن ثلاث مؤلفات من الكتاب الثامن حتى الكتاب العاشر لذكر بلاد اليونان ، ينظر:

Strabo , Geographical , B: III .

(١٧) هي منطقة صغيرة في منطقة الجبال الوسطى للبلاد ، وجاءت تسميتها بهذه التسمية نسبة الى الفوسيين الذين سيطروا عليها ، حيث تبرز اهمية هذه المنطقة بانها تتيح لكل من يسيطر عليها السيطرة على على الملاذ المهم للاله ابولو في مدينة دلفاي والتي تقع ضمن هذا الاقليم حيث كانوا في صراع مستمر مع كهنة ورجال المعبد والذين دخلوا في صراع معهم ادى الى نشوب حرب مع الفوشيين سميت باسم (الحرب المقدسة) عام (٥٩٠ ق – م) ، كما ان هذه السهول موقع ستراتيجي مهم لانها تضم طريق اتصال مهم عبر البلاد ،انظر :

Sacks , A Dictionary , p 199 .

(١٨) هي سلسلة جبلية تقع بين مدينة كورنث واقليم اتيكا وكانت هذه السلسلة الجبلية هي حاجز دفاعي بوجه الدوريين الذين غزوا الجزء الاكبر من البلاد وجعلت هذه المنطقة معزولة تماما عن غزوهم واهم العوامل التي ساعدت على ظهور مدينة اثينا فيما بعد حيث ادت العوامل الجيولوجية الى تكوين خط دفاعي بوجه الهجمات التي تتعرض لها المدينة .

Methuen, A Dictionary Of Ancient Greek Civilization , p 82-173 .

(١٩) هي جبال تقع بين كورنث واتيكا ايضا حيث تمثل سلسلة الجبال الجنوبية الغربية في وسط البلاد وتفصل مدينة اثينا عن مدينة طيبة و تحتوي هذه المنطقة على وادي يمتاز بالخصوبة يضم مدينة ميغارا وقد لعبت هذه السلسلة الجبلية دورا مهما اثناء الحروب البيلوبونيزية التي شهدت البلاد بين عامي (٤٣١ – ٤٠٢ ق – م) . د . مصطفى والسايح ، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية (تاريخ اليونان) ، ص٢ ؛

Sacks , A Dictionary , p157 .

(20) Strabo , B: 2 , P 54 .

(21) Sanders , Guy D. R. , Ancient Corinth (Site Guide) , Princeton (American School Of Classical Studies At Athens : 2018, p 12 .

(٢٢) هو بحر يقع بين اليونان وجنوب ايطاليا حيث تعد اراضي جزيرة صقلية في ايطاليا الجزء الفاصل بينه وبين اليونان ، كما انه يضم العديد من الجزر المهمة والتي لعبت دورا مهما في تاريخ البلدين مثل (ايثاكا و كورسيرا – كورفو حاليا)، كما انه يسمى بالبحر الايوني في العصور القديمة بسبب وقوعه بالقرب من سواحل اسيا الصغرى وعلى بعد (٣٠٠ ميلا) والتي سكنها الايونويين قديما وانشئوا فيها العديد من المستوطنات حيث اشتق اسمه من المصطلح اليوناني للكتاب الكلاسيكيين (Ionios Kolopos)اما التسمية الحالية فقد ظهرت بين عامي (٨٠٠ – ٧٠٠ ق ٠ م) بعد ان اطلقت عليه من قبل البحارة الايونيين في ايوبيا بعد ان اصبح مرسا لسفنهم بين اليونان وايطاليا ، انظر :

Op . Cit , p 138 – 236 .

(23) Devambeze , A Dictionary , Vol : 2 , p 193 – 194

(24)Durant , Op . Ibid , p 196.

(25) Mousse , Cloude , Dictionnarie De La Civilisation Grecque , Paris (Editions Complexe : 1998) , p168 .

(٢٦) هو شاعر يوناني مشهور ولد في النصف الاول من القرن الثامن قبل الميلاد على اغلب الاحتمالات فقد تضاربت الاخبار حول لادته ومسقط راسه حتى انه هناك سبع مدن يونانية ادعت من انها مسقطا لراسه ، وان الراي الاقرب هو انه قد ولد في مدينة خيوس وقضى حياته المتبقية في مدينة سمورنا او بالقرب منها لان كلتا المدينتين تعان بين اقليمي ايوليس وايونيا ، وتعد ملحمتي الاوديسة والالياذة من اهم كتب في حياته حيث يعدها اليونانيين اساسا للمصداقية تقريبا في كل المجالات اليومية فضلا عن انهما مصدرا للمعلومات البلاغية والتخطيطات لفترات لاحقة على المدى البعيد ومصدرا مهما حتى في المجال الفلسفي لانه اعتمد في كتابة هاتين الملحمتين على لغة ذات طبيعة ادبية مركبة حيث ذكر فيهما الحضارة الموكينية التي سبقته بعدة قرون فضلا عن ذكره لحرب طروادة التي حدثت عام ١١٨٠ ق ٠ م) ، كما انه اعتمد ايضا على اغلب الروايات والملاحم ،انظر :

Devambeze , Pierre & Others , A Dictionary , Vol : 2 , p 32–331

(27)Strabo , B : 2, P 52 .

(٢٨) ماركوس توليوس ،هو خطيب و رجل دولة وسياسي روماني عاش في الفترة ما بين (١٠٦ – ٤٣ ق- م)كما انه يعد ايضا مؤرخ وفيلسوف ، كان يدعو الى التمسك بالمثل والمبادئ السامية خلال الازمات السياسية ، كما انه له مؤلفات تنوعت في مجالات مختلفة منها النثر والسياسة والفلسفة وله ايضا رسائل اخرى ، وانحدر من االاسر النبيلة من مرتبة الفرسان في روما وشغل ايضا منصب القنصل في سنة (٦٣ ق- م) ، اعدم سنة (٤٣ ق- م) على يد ماركوس انطونيوس الذي كان على عداء مستمر معه لان شيشرون كان يدعو الى العودة الى الجمهورية االرومانية الكلاسيكية والتي اسسها يوليوس قيصر للمزيد انظر :

Evereritt, A , Cicero(The Life & Times Of Rome's Greatest Politician), London : 2001, p 34 .

(٢٩) الكتاب المقدس :العهد الجديد ، القاهرة (دائرة المعارف الثقافية : ١٩٩٥) ،كورنثوس ، الاصحاح : ١٦.

(٣٠) المصدر نفسه .

(31) Sacks , David , Encyclopedia Of The Ancient Greek World , New York (Facts On File : 2005) , p115 .

(32) Mosse , Cloud , A Dictionnaire , p 169 .

(33) Holland , Tom , Persian Fire (The First World Empire & The Battle For The West New York (Anchor Books : 2007) , p 302 .

(٣٤) تعد المنطقة بالإضافة الى مدن (خالسيس و بيرايوس الساحلية ومعقل الاله ديميتر الذي يقع قرب خليج باغاسي في تساليا نقاط ضعف بالنسبة لبلاد اليونان لان من يسيطر عليها فقد اتيحت له السيطرة على كامل البلاد) لانها كل واحد منها تمثل مفاتيح بلاد اليونان . للمزيد انظر :

Sacks , David , A Dictionary , p 117 .

(35) Dunstan , William . E , Ancient Greece , For Worth(Harcourt College Publishers :2000) , p 71 . t

(٣٦) هي تسمية تطلق على الفترة التاريخية التي تمتد بين (٣٣٠٠ – ١٢٠٠ ق٠ م) حيث سميت بهذا الاسم لأنها شهدت استخدام واسع لعنصر البرونز (النحاس) كما انها كانت الفترة التي مثلت ظهور الكتابة حيث تم طهرت اول الامر في منطقة بلاد وادي الرافدين(الكتابة المسمارية) ثم في وادي النيل (الكتابة الهيروغليفية) للمزيد انظر :

Eogan , George, The Hoard's Of The Irish Later Bronze, Dublin University College: 1983 , p 331 .

(٣٧) بسبب المعابر والممرات التي كانت تقع بالقرب من المدينة او بداخلها ، انظر :

Pettegrew , David K . , The Isthmus Of Corinthian Crossroads Of The Mediterranean Sea World , University Of Michigan Press: 2016 , p 6 .

(38) Buckley , Terry , Aspects Of Greek History 750 – 323 B . C (Source- Based Approch , New York (Rutledge Company : 1946) , p 48 .

(٣٩) هو من اهم المراحل السياسية التي مرت بها بلاد اليونان ، ويمثل المرحلة الثالثة لأنظمة الحكم في البلاد ، وتعني الحكم المطلق والذي لا يقترن بقيود وقوانين محددة لان السلطة تكون بيد الحاكم وحده ، ينظر :

Kagan , Donald , Pericles Of Athens & The Birth Of Democracy , New York (Simon & Schuster : 1998) , p 250 .

(40)Forsdyke , Sara , Exile , Ostracism &Democracy The Politics Of Expulsion In Ancient Greece , Princeton University Press : 2005 , p 74 .

(٤١) هي تسمية تطلق على الاقوام التي تتحدث بهذه اللغة فهي تشمل كل الاقوام وبالتالي تكون هناك صعوبة في معرفة وتحديد هوية هذه الاقوام ومعرفة موطنها الاصلي والسبب الذي دفعها الى الهجرة والانتشار في مختلف مناطق العالم ومنها بلاد اليونان ، فمنهم من يقل بان هذه الاقوام هي من السهول الشمالية التي تقع جنوب روسيا حاليا ، بينما يؤكد قسم من المؤرخين انهم قدموا من منطقة (ايرانويج) الواقعة بين نهري جيحون وسيحون في المنطقة التي تضم خوارزم وسمرقند وانهم قد اطلقت عليهم تسمية اخرى وهي (الاريين) ، وان بلاد اليونان وباقي مناطق القارة الاوربية كانت من اهم المناطق التي سكنوها ، للمزيد انظر :

F J. Tritsch, “Minyans and Luvians,” in Acta of the 2nd International Colloquium on Aegean Pre- history. The First Arrival of Indo-European Elements in Greece. Athens, April 5-11, 1971, edited by Elly Arditis (Athens: Ministry of Culture and Science, 1972),p 43-45).

(٤٢) هو بحر يقع بين اسيا و اوروبا ويمثل حدود لدول متعددة مثل روسيا وتركيا وبلغاريا ورومانيا ويرتبط مع البحر المتوسط عن طريق مضيق البسفور والدردنيل وبحر مرمرة كما ان مساحته حوالي (٤٥٠٠٠٠ كم٢) ولقد كان البحر من اهم المناطق التي شهدت انتشار الاغريق فيه والذين اتخذوه ايضا كواحد من اهم الممرات البحرية في تنقلاتهم ورحلاتهم التجارية. احمد و عثمان ،مصطفى احمد و حسام الدين ابراهيم ، الموسوعة الجغرافية ، ج ٢ ، ص٣٦ .

(٤٣) هي شبه جزيرة تقع في جنوب شرق غرب القارة الاوربية وتضم دولتين هما البرتغال واسبانيا اضافة الى جزء من جنوب فرنسا وانورا ومنطقة جبل طارق وتبلغ مساحتها حوالي (٥٨٣٢٥٤ كم٢) وتعتبر ثاني اكبر شبه جزيرة في القارة من حيث المساحة بعد شبه جزيرة اسكندنافية ، وقد كانت هذه المنطقة مأهولة بالسكان منذ القدم حيث تم العثور فيها على مجموعة من الهياكل البشرية في كهف (غران دولينا)، اما في العصر البرونزي انتشرت في هذه الجزيرة ملامح التطور الحضاري وظهور فكرة الثقافة الملاحية وحب الاستكشاف للمنطقة ولاسيما منطقة البحر المتوسط مع ظهور المستوطنات البشرية و بالأخص المناطق الجنوبية في هذه المنطقة حوالي سنة (١٨٠٠ ق – م)ووصول الاقوام الهندو اوربية وغيرهم اليها .

Strabo , Geographical , B : III , Trans: H.C. Hamilton ,Esq. & W. Falconer, Gutenberg :2014 , p 81 .

(٤٤) هي تسمية تطلق على الاقوام السامية التي سكنت في مناطق بلاد سوريا القديمة حوالي سنة (٣٠٠٠ ق ٠ م) وان تسميتهم هذه قد اطلقها عليهم اليونانيين وفق اغلب المصادر التاريخية سواء كانت كلاسيكية او معاصرة نتيجة للتبادل التجاري والاحتكاك الحضاري بين الطرفين، وان التسمية هذه قد تكون اطلقت على الاعم الاغلب على احد المنتجات التي كانوا يشتهرون بتصديره وهي صبغة ارجوانية اللون ، ولا سيما مناطق شرق البحر المتوسط وبالاخص مناطق لبنان حاليا حيث تركز وجودهم على الشريط الساحلي وتوسع فيما بعد ليشمل مناطق عدة من بعض المناطق السحلية لسوريا وفلسطين وصولا الى الشمال في منطقة ارواد واقصى جنوب مدينتي غزة وعكا ، وقد بلغت الحضارة التي شيدتها هذه الاقوام ذروتها بين سنة (١١٠٠ – ٢٠٠ ق- م) فانتشرت بشكل كبير وملحوظ ما بين سواحل المتوسط وقبرص وصولا الى شبه الجزيرة الايبيرية ، ينظر :

Sacks , A Dictionary , p14 -35 ; Methuen , A Dictionary, p300 -371 .

(٤٥) هي تسمية تطلق على الاقوام الفينيقية والتي سكنت غرب البحر المتوسط وكانت اوج وافضل فتراتها بين سنة (٨١٤ – ١٤٦ ق – م)وشملت مساحات عديدة من القارة الافريقية مثل (طرابلس والجزائر والمغرب وتونس) وبعض من مناطق اوروبا وخصوصا جنوب اسبانيا حيث كانوا يعتبرون انفسهم القائد والحامي الرئيسي للمصالح الفينيقية في الغرب ، وقد كانوا على صراع مستمر مع اليونانيين بعد ان قاموا ببناء مستعمرة في مدينة ايبيزا في جزر البليار سنة (٦٥٤ ق . م) وبعد ان قاموا ايضا بتحويل الاسواق في مدين(لبدة واويا وصبراتة) الى اسواق دائمة ، وقد كانت ايضا تمثل مصدر قلق دائم لليونانيين بعد ان اصبحت القوة الاقتصادية الاولى في العالم القديم حيث كن اسطولها معروف باحتكاره التجاري لموانئ غرب المتوسط وخصوصا مدن ملقا وقادش في اسبانيا واللتان كانتا توفران المعادن الثمينة ، وكان لابد من اصطدام المباشر بين الطرفين ففي سنة (٦٠٠ ق – م) تمكن(الفوسيين= الفوكيين) اليونانيين من هزيمة الاسطول القرطاجي في ماساليا (مرسيليا حاليا) ، للمزيد من التفصيل ينظر

Sacks , David , A Dictionary ,p 69 – 99 .

(٤٦)هم من اوائل الاقوام التي سكنت بلاد اليونان خلال الازمنة القديمة حيث يعتقد بعض الكتاب المعاصرين انهم قد استوطنوا البلاد في حوالي سنة (٢٢٠٠- ١٦٠٠ ق- م) واهم قدموا من

مناطق اسيا الصغرى على شكل جماعات بشرية بصورة واحدة وانهم استوطنوا البلاد ثم انتشروا فيما بعد الى ايطاليا وباقي مناطق اوروبا ، الا ان البعض الاخر من الكتاب المعاصرين يعتقد بان هذه الفكرة ليس لها اساس او جذور تاريخية لنهم كانوا احد الاقوام الثلاثة برفقة الليليجيين والكاريين هم اول من سكن البلاد وانهم (البلاسيجيين) كانوا سكان اقليم تساليا وامتازوا ايضا بانهم اصحاب بشرة بيضاء وشعور شقراء واجسام ضخمة وانهم هم من انشئوا مدينتي ارجوس ولاريسا وان الاقوام الباقية قد انتشروا في كل باقي انحاء البلاد ، بينما يرى المؤرخ اليوناني (افوروس) الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد ان هذه التسميات لا تعدو كونها تعود الى جماعات او قبائل سكانية دخلت في حياة اليونانيين عن طريق التعايش السلمي معها او الصراعات ، وان البعض يرجع تسمية البلاسيجيين الى جدار يسمى (بلارجيكيون او بلاسيجيكيون) والذي كان يستخدم لغلق فتحة موجودة مقابل الاكرو بوليس وكان يمثل مكانا مهما تعيش فيه العديد من طيور اللقلق، الا انها تعد رواية ضعيفة .للمزيد انظر:

Devambeze , Pierre & others , A Dictionary Of Ancient Greek Civilization ,vol : 1 , London (Cambridge university press : 1967 ,p302 - 303 ; , Methuen , A Dictionary Of Ancient Greek Civilization ,London (Methuen &Co Ltd : 1967 , p 365 .

(٤٧) هي احدى الجماعات السكانية والتي استوطنت البلاد حوالي عام (٢١٠٠ ق ٠ م) وان هوميروس هو من استخدم هذه التسمية على تلك الجماعات سنة (٧٥٠ ق ٠ م) كأسم شمل كل اليونانيين ، اما المؤرخين الباحثين المعاصرين فقد استخدموا هذه التسمية لغرض الاشارة الى الميسينيين او اسلافهم ، بينما تذكرهم المصادر الخاصة للحضارات التي عاصرتهم ومنها الحثية باسم (الاهجافا) وهذه التسمية وجدت مكتوبة على حجر تم العثور عليه في مدينة (بوغاز كوي) يعود الى سنة (١٣٢٣ ق ٠ م)، بينما ان المصريين اطلقوا عليهم تسمية (الاكيواشا) والذين انضموا الى شعوب البحر والذين قاموا بهجوم على مصر اثناء هجوم القبائل اللوبية عليها وانهم اناس يقاتلون كمرتزقة في سبيل اشباع بطونهم ، اما اشهر الشخصيات التي ظهرت في تاريخ هذه الجماعات (اتريوس وزيوس الذي حكم بعد بيلبوس واجا ممنون) الملك الذي كان له دورا كبيرا في حرب طروادة ، فضلا عن ذلك ان العصر الذي عاشت فيه هذه الاقوام سمي (عصر الابطال).

Sacks , A Dictionary , p 18 .

(٤٨) هم اقوام قدموا من جزيرة ايونيا في ساحل اسيا الصغرى وهم من الاقوام الهندو اوربية التي استوطنت في البلاد في الالف الثاني قبل الميلاد بعد ان عبروا بحر ايجة واستقروا في الاجزاء الشمالية منها ثم اندفعوا نحو جنوب البلاد بعد ان دب الضعف في الاخيين فاستقروا في وسط البلاد ، وكانت لهم لهجتم الخاصة بهم والتي ميزتهم عن بقية اليونانيين وبالأخص الدوريين الذين انتموا لنفس العائلة اللغوية والتي تسمى اللهجة الايوليكية ، فضلا عن انهم ادعوا النسب الاسطوري الى ايوليس ابن هيلين اول الرجال اليونانيين اضافة الى ذلك فان هذه الجماعات كانت هي فقط التي تميزت بنشر الحضارة الاغريقية في سواحل البحر المتوسط واسيا الصغرى والتي تقع حول خليج سمورنا من خلال طول الفترة الزمنية التي عاشوها في هذه المناطق فأسسوا مدينة ميليتوس والتي بدورها اسست فيما بعد الكثير من المستعمرات والمراكز التجارية على طول سواحل البحر الاسود وكانت مدينتهم الام ايونيا لمل تمتلكه من موقع مهم معبرا مهما بين بلاد الاغريق واسيا الصغرى .

Devambeze , A Dictionary , Vol : 1 , p 229 – 230 ; Sacks , David , Encyclopedia Of Greek World , p32 .

(٤٩) هم اخر الاقوام الهندو اوربية وصولا لبلاد اليونان ، وانهم من سلالة هيلين الذي كان له ولد يسمى (دوروس) وانهم على قرابة وصلة قوية مع الايونيين، وقد تميزوا بانهم على درجة عالية من الذكاء والنشاط و امتلاك زمام المبادرة والتكيف مع المواطن الجديدة التي تقوم باحتلالها بالرغم من انهم اخذوا وقتا طويلا ليكونوا على مستوى عالي من التطور الحضاري ، استوطنوا المنطقة الشمالية تحديدا مدينة دوريس في جبال البند ، تمكنوا بعدها من التوسع واجتياح كامل البلاد حوالي (١١٠٠ – ١١٥٠ ق ٠ م) واسقاط الحضارتين الميسينية والموكينية حيث دخلت البلاد في فترة من الجمود الحضاري لقرنين من الزمن بالرغم من انهم قد اصطدموا بحضارة راقية ومتطورة ، حيث ان هذه الجماعات قد سيطرت على كل مافي البلاد من موانئ واراضي زراعية صالحة للزراعة من خلال بسط نفوذهم الكامل على البيلوبونيز الذي اصبح مركز للثقافة الدورية ، واستمروا في غزواتهم عن طريق البحر ، ولم تبق الا منطقة واحدة لم تخضع لسيطرتهم وهو اقليم اتيكا والمدينة الاشهر فيه هي اثينا التي اخذت على عاتقها توحيد الصفوف من اجل التصدي لهجماتهم البربرية حيث ذكرت الاساطير ان ملك اثينا (كودروس) قد ضحى بحياته من اجل ان تبقى بعيدة عن قبضة الدوريين .

Devambeze , A Dictionary , Vol : 1 , p 447 – 450 ; Sacks , David , Encyclopedia Of Greek World , p82 .

(50) Sanders , Guy D. R. , Ancient Corinth (Site Guide) , p 16 .

(٥١) هي تسمية تطلق على الفترة الممتدة بين عامي (٢٦٥٠ –٢١٥٠ ق – م) في بلاد اليونان من خلال ما تم العثور عليه من لقى اثارية والتي كشفتها التنقيبات التي اجريت ما بين عامي (١٩٥٢ – ١٩٥٨ م)للساحل الشرقي لمدينة ليرنا في ارجوس فضلا عن التنقيبات التي اجريت ايضا في موقع ليفكاندي في جزيرة ايوبيا عام(١٩٦٠ م)للمزيد من التفاصيل ينظر :

Foreseen . J., The Early Helladic Period , (Stockholm :1996),PP.70 - 83 .

(٥٢) هي تسمية تطلق على مستوطنة صغيرة ظهرت في البر اليوناني و نشأت بالقرب من مدينة كورنث خلال الفترة الهيلادية بين سنتي (٢٦٥٠ – ٢٢٠٠ ق ٠ م) ، تميزت هذه المستوطنة بان لها ثقافة خاصة بها شملت عدة مناطق في البيلوبونيز واتيكا وبيوتيا وايبيويا ووصلت حتى جزيرة ليفكاس ، وقد مثل هذه الثقافة تطورا حضاريا مهما في البلاد من خلال تخطيط المنازل وبنائها الذي كان على مستويات عالية من الدقة والاحترافية ، اما الاواني الفخارية فقد امتازت بخشونتها وسطحها الداكن بغض النظر عن المادة التي صنعت منها هذه الاواني ، فضلا عن ما تم العثور عليه من الاقنعة والسيوف الذهبية ذات المقابض الذهبية المصنعة بدقة فائقة ، غير ان هذه المستوطنة لم تتطور لان سكانها كانوا يتسمون بالبساطة وان انها لم تتمتع بموارد اقتصادية تؤدي لازدهارها حيث انهم سرعان ما خسروا اراضيهم بعد ان اعتمدوا على النبلاء في الكثير من تسيير حياتهم اليومية ،وقد اشارت اغلب المصادر التاريخية ان هذه المستوطنة مثلت في بداياتها اللبنة الاساسية والتي مهدت الى ظهور مدينة كورنث فيما بعد .

V. Diakov - S. Kovalev , İlkçağ Tarihi(Ortadoğu Uzakdoğu Eski yunan), Farnsizcadan Çeviren : Ozdemir Inçe , Ankara(Yordam Kitap: 1987) ,p 378

(53) Sacks , A Dictionary , p 82 .

(54) Ducklen , Henry Williams , A Popular History Of Greece (From The Earliest Period To The Incorporation With Roman Empire) , London (Ward , Lock : 1894) , p 188 .

(55) Constable , Thomas , Notes On Corinthia , No Cit: 2021 , p 1.

(٥٦) هي مدينة تقع في المنطقة الشرقية للبيلوبونيز ،تقع على بعد (٣ اميال) للحافة الغربية لسهل ارجيف على عنق جزيرة تعرف باسم (ارغوليد) وقد كانت في العصور الميسينية تمثل قلعة ومركز للعبادة حوالي (٢١٠٠ق – م) حيث دلت على ذلك التنقيبات الاثرية التي اجريت في المدينة على بعض البقايا لاحد المنازل في ليرنا والذي اطلق عليه الباحثين اسم (منزل البلاط)، فضلا عن ان المدينة تمتاز بسهوله الخصبة ، كما ان المدينة كان لها دورا بارزا في

الاسطورة اليونانية باعتبارها موطن (ديوميديس)والذي كان يدين بالولاء لملك ميسينا(اجاممنون)و (اتريس وعائلته) ، ظلت المدينة تربطها علاقات وثيقة مع ميسينا وبعد ان تراجعت مكانة ميسينا احتلت ارجوس مكانة الصدارة باعتبار المدينة الرئيسية في البيلوبونيز احد مراكز القوة في الفترات المبكرة من تاريخ بلاد اليونان ، لكن مع ظهور مدينتي اسبارطة وكورنث اخذت مكانة واهمية المدينة بالهبوط ففي عام (٤٩٤ ق – م) تمكنت اسبارطة من الحاق هزيمة منكرة بارجوس والحقت بالمدينة اضرارا كبيرة نتيجة وقوفها الى جانب اثينا ، للمزيد انظر :

Nardo , Don , Ancient Greece, Green haven Encyclopedia ,U.S.A (Green haven Press:1947) , p 53 ; Devambeze , A Dictionary , Vol : 1 , p 69 – 70

(57) Durant , Op . Ibid , p1936 ; Sacks David , A Dictionary , p 47.

(٥٨) هو في الأساطير اليونانية ، إله البحار الرئيسي. أُطلق عليه وهو شقيق زيوس وديميتر وهادس ، لقب "شاكر الأرض" لأنه كان يُعتقد أنه تسبب في حدوث الزلازل. كان يُنظر إلى بوسيدون أيضًا على أنه مروض خيول ماهر ، وكان الحصان أحد رموزه. رموزه الأخرى المألوفة كانت رمح ثلاثي الشعب والدولفين. وفقًا لروايات قديمة مختلفة ، مباشرة بعد ولادته ابتلعه والده التيتان كرونوس مع إخوته وأخواته (باستثناء زيوس) ، لكن لحسن الحظ تقيأه مرة أخرى لاحقًا. بعد أن بلغ بوسيدون مرحلة النضج ، أنجب العديد من الابناء، بما في ذلك إله البحر الصغير تريتون و العديد من العمالقة ابرزهم (انتايوس) و)بوليفيموس) الذي أعمى (اوديسيوس) (كما روى ذلك (هوميروس في ملحمته الاوديسا) ،ويقال انه اغتصب عرش (جيسون) ملك (ايولكوس) في تساليا، يظهر في العديد من الأساطير الأخرى. إنه واضح بشكل خاص في إلياذة هوميروس ، حيث يقف إلى جانب الإغريق ضد أحصنة طروادة. في نهاية الحرب ، مع ذلك ، يعاقب العديد من القادة اليونانيين بعد أن ارتكب أحدهم تدنيس المقدسات في معبد أثينا المحلي ، وفقًا للأسطورة ، ينظر :

Nardo , Ancient Greece (Greenhaven Encyclopedia) , p 278 .

(٥٩) هو ابن (بيرسيوس واندروميدا) لم يكن له اي مكانة مميزة في الاساطير اليونانية بالرغم من شهرة ابويه الكبيرة ويعني اسمه (الرحمة او الشفقة). للمزيد انظر : معجم الميثولوجية الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) ، تر : كاظم سعد الدين ، بغداد (دار المامون : ٢٠٠٦) ، ص ٢٠٦ .

(٦٠) هو عملاق اسطوري من عمالقة اليونان وله اوصاف خيالية حيث يقال ان له مائة ذراع وهو من ابناء (اورانوس وكايا) وكان مهمته هي حماية التيتانيين الذين سجنوا في تارتا روس ، فضلا عن انه كانت له اعمال اخرى تتطلب جهودا مختلفة في القوة ويعني اسمه (القوي) ، للمزيد ينظر :

معجم الميثولوجية الكلاسيكية ، ص ٨٩ .

(61)Pausanias , Discretions , Of Greece , p251 .

المصادر.

الكتاب المقدس .

الكتاب المقدس :العهد الجديد ، القاهرة (دائرة المعارف الثقافية : ١٩٩٥) ،كورنثوس ، الاصحاح : ١٦.

المصادر العربية .

١ – د . احمد ، حسن عبد العزيز ، جغرافية اوروبا (دراسة موضوعية) ، الرياض(دار المريخ للنشر د.ت)

٢ – د . احمد و عثمان ، مصطفى احمد و حسام الدين ابراهيم ، الموسوعة الجغرافية ، ج٢ ، القاهرة (دار العلوم : ٢٠٠٥) .

٣ – د . جاد الرب ، حسام ، جغرافية اوروبا الجديدة (دراسة اقليمية) ،جامعة اسيوط ، كلية الآداب ، ٢٠٠٥ .

٤ – جندي ، ابراهيم عبد العزيز ، معالم التاريخ اليوناني ، ج ١ ، المكتب المصري للمطبوعات ،القاهرة : ١٩٩٨ – ١٩٩٩ .

٥ – علي ، عبد اللطيف احمد ، التاريخ اليوناني (العصر الهيللادي) ، ج١ ، بيروت(دار النهضة العربية : ١٩٧٦) .

٦ – عياد ، محمد كامل ، تاريخ اليونان ،ج ١ ،الاسكندرية (دار الفكر: ١٩٨٠) .

٧ – د . العيداني ، سمير ، التاريخ والحضارة اليونانية القديمة (محاضرات) جامعة محمد بو ضياف (المسيلة) ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،(قسم التاريخ : ٢٠٢٠) .

٨ – معجم الميثولوجية الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) ، تر : كاظم سعد الدين ، بغداد (دار المامون : ٢٠٠٦) .

٩– يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، اليونان (مقدمة في التاريخ الحضاري) ، الاسكندرية (دار المعرفة الجامعية : ١٩٩١) .

المصادر الاجنبية

1 - Buckley , Terry , Aspects Of Greek History 750 – 323 B . C (Source - Based Approch , New York (Rutledge Company : 1946) .

2 - Constable , Thomas , Notes On Corinthia , No Cit: 2021 .

3 - Cook , Robert Manuel , The Greek Until Alexander , New York (Praeger:1962) .

4 - Danbabin , T . J , Corinthian Early History , Hellenice Studies Journal, NO : 68 , 1948) .

5 - Devambeze , Pierre & others , A Dictionary Of Ancient Greek Civilization ,vol : 1 & 2 , London (Cambridge university press : 1967) .

6 - Ducklen , Henry Williams , A Popular History Of Greece (From The Earliest Period To The Incorporation With Roman Empire) , London (Ward , Lock : 1894) .

7 - Dunstan , William . E , Ancient Greece , For Worth(Harcourt College Publishers :2000) .

8 - Durant, Will & Arial , The Story Of Civilization,VOL : 2 , B : 2 , Simon Schuster , New Jersy : 1935) .

9 - Eogan , George, The Hoard's Of The Irish Later Bronze, Dublin University College: 1983) .

10 - Evereritt, A , Cicero(The Life & Times Of Rome's Greatest Politician), London : 2001) .

11 - F J. Tritsch, “Minyans and Luvians,” in Acta of the 2nd International Colloquium on Aegean Pre- history. The First Arrival of Indo-European Elements in Greece. Athens, April 5-11, 1971, edited by Elly Arditis (Athens: Ministry of Culture and Science, 1972) .

12 - Foreseen . J., The Early Helladic Period , (Stockholm : 1996) .

13 - Forsdyke , Sara , Exile , Ostracism &Democracy The Politics Of Expulsion In Ancient Greece , Princeton University Press : 2005) .

14 - Holland , Tom , Persian Fire (The First World Empire & The Battle For The West New York (Anchor Books : 2007) .

15 - Kagan , Donald , Pericles Of Athens & The Birth Of Democracy , New York (Simon & Schuster : 1998 .

16 - Kitto, H . D. F. , The Greeks , Chicago (Aldine Pub . Co : 1964) .

17 - Methuen , A Dictionary Of Ancient Greek Civilization , London (Methuen &Co Ltd : 1967) .

18 - Mousse , Cloude , Dictionnarie De La Civilisation Grecque , Paris (Editions Complex : 1998) .

19 - Nardo , Don , Ancient Greece, Green haven Encyclopedia , U.S.A (Green haven Press: 1947) .

20 - Pausanias, Description Of Greece ,B: I & II ,Trans: W.H. S . Jones, M. AM , London ,ST. Catherin's College , Cambridge : 2004) .

21 - Pettegrew , David K . , The Isthmus Of Corinthian Crossroads Of The Mediterranean Sea World , University Of Michigan Press : 2016 .

22 - Sacks ,David , A Dictionary Of The Ancient Greek World Oxford University Press , New York : 1995 .

23 - , Encyclopedia Of The Ancient Greek World , New York (Facts On File : 2005) .

24 - Salomon , Marilyn J , Great Cities Of The World (Next Stop Athens) , No City (Symphonette Press :1974) .

25 - Sanders , Guy D. R. , Ancient Corinth (Site Guide) , Princeton (American School Of Classical Studies At Athens : 2018) .

26 - Strabo , Geographical , B : I – XVII , London (John Childs & Son , Bungay : 2006)

27 - Strabo , Geographical , B : III , Trans: H.C. Hamilton ,Esq. & W. Falconer, Gutenberg :2014 .

28 - V. Diakov - S. Kovalev , İlkçağ Tarihi(Ortadoğu Uzakdoğu Eski yunan) , Farnsizcadan Çeviren : Ozdemir Inçe , Ankara (Yordam Kitap: 1987) .

حلف وارشو

م.د.عباس محمد جميل الأغا
المديرية العامة لتربية نينوى
bassmohmmedaghs@gmail.com
+9647508834785

م.م.فاطمة حمدان عبادي
كلية الاداب جامعة الكوفة

حلف وارشو

م.د. عباس محمد جميل الأغا

م.م. فاطمة حمدان عبادي

الخلاصة

شهدت السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الثانية انقسام العالم على معسكرين مختلفين بالنظام والمفاهيم والايدلوجية مثل المعسكر الأول بالرأسمالية بزعامة الولايات المتحددة الأمريكية والمعسكر الاشتراكي الشيوعي بزعامة الاتحاد السوفيتي، وما آل إليه هذا الانقسام إلى متغيرات عديدة على الساحة الأوربية دفعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إلى عقد العديد من الاتفاقيات والاحلاف المختلفة لبسط كل منهما سيطرتها على الأحداث السياسية في أوربا، وكان من بين تلك الاحلاف حلف وارشو أو ما يعرف بميثاق وارشو بل وحتى ما اطلق عليه تسمية معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل ، فضلا عن ذلك ان حلف وارشو قد جاء نتيجة تخوف الاتحاد السوفيتي من ان تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية وحلفها على الساحة الأوربية وبالتالي تتحول محالفته الدفاعية للتحالف هجومي، لذلك انضمت العديد من الدول الى جانب حلف وارشو لانها تجد فيه الخطوة الصحيحة للحفاظ على مصالحها والابقاء على استقلالها على الرغم من انسحاب البعض من هذا الحلف فيما بعد.لاسيما في ضوء المعلومات الواردة عن الحلف في هذا البحث هيمنة الاتحاد السوفيتي وسيطرته على بقية الدول الاعضاء وهذا ما اثر بالتالي إلى ضعف الحلف وتفككه، بالتالي أدت السيطرة السوفيتية الكاملة على الحلف الى ظهور العديد من الحركات الاستقلالية ومحاولة التخلص من هذه السيطرة مثلما حصل في كل من هنغاريا ورومانيا وبولندا والبانيا.

الكلمات المفتاحية: وارشو، اتفاقيات، الولايات المتحدة الامريكية، الاتحاد السوفيتي

Warsaw pact

M. Dr. Abbas Muhammad Jamil Al-Agha
General Directorate of Nineveh Education
abassmohmmedaghs@gmail.com
+9647508834785

M. M. Fatima Hamdan Abadi
College of Arts
University of Kufa

Summary

The years that followed World War II witnessed the division of the world into two camps, different in terms of system, concepts, and ideology. The first camp was capitalism, led by the United States of America, and the communist socialist camp, led by the Soviet Union. He concluded many different agreements and alliances to extend their control over political events in Europe, and among those disagreements was the Warsaw Pact or what is known as the Warsaw Pact, and even what was called the Treaty of Friendship and Mutual Cooperation,In addition, the Warsaw Pact came as a result of the Soviet Union's fear that the United States of America and its alliance would dominate the European arena, and thus its defensive alliance would turn into an offensive alliance. Therefore, many countries joined the Warsaw Pact because they find in it the right step to preserve their interests and maintain their independence. Despite the withdrawal of some from this alliance later, especially in light of the information contained in the alliance in this research, the dominance of the Soviet Union and its control over the rest of the member states, and this is what affected the weakness and disintegration of the alliance, and therefore the complete Soviet control over the alliance led to the emergence of many independence movements And try to get rid of this control, as happened in Hungary, Romania, Poland and Albania.

Keywords: Warsaw, agreements, the United States of America, the Soviet Union

المقدمة

شهدت السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الثانية انقسام العالم على معسكرين مختلفين بالنظام والمفاهيم والايدلوجية مثل المعسكر الأول بالرأسمالية بزعامة الولايات المتحددة الأمريكية والمعسكر الاشتراكي الشيوعي بزعامة الاتحاد السوفيتي، وما آل إليه هذا الانقسام إلى متغيرات عديدة على الساحة الأوربية دفعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إلى عقد العديد من الاتفاقيات والاحلاف المختلفة لبسط كل منهما سيطرتها على الأحداث السياسية في أوربا، وكان من بين تلك الاحلاف حلف وارشو أو ما يعرف بميثاق وارشو بل وحتى ما اطلق عليه تسمية معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل موضوع البحث. والذي قام بالتوقيع عليه الاتحاد السوفيتي وعدد من الدول رداً على الحلف الذي وقعته الولايات المتحدة الأمريكية والمعروف بحلف شمال الأطلسي.

وعليه جاء الهدف من موضوع البحث المعنون بـ ((حلف وارشو))، لبيان العوامل والاسباب التي ادت الى التوقيع عليه، ومن ثم تسليط الضوء على أهم الدول التي انضمت اليه ومواقفها ازائه، فضلاً عن مكونات هذا الحلف ومروراً باستراتيجيته التي اتبعها لبناء قوته وبسط نفوذه وسيطرته على دول الكتلة الشرقية وختاماً بالأسباب التي ادت الى انهياره وحله في نهاية المطاف.

قسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي تم التوصل اليها في ضوء المعلومات الواردة في ثنايا البحث واعقبها الملاحق ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع المستخدمة في البحث.

جاء المبحث الأول بعنوان ((مبررات او اسباب نشأة حلف وارشو))، في حين جاء المبحث الثاني بعنوان ((اهداف تأسيس حلف وارشو والدول المشاركة فيه))، بينما حمل المبحث الثالث عنوان ((استراتيجية حلف وارشو في توطيد قوته وعوامل انهياره)).

تم الاعتماد على مجموعة من المصادر المتنوعة ومنها الرسائل والاطاريح الجامعية العربية والعراقية، وفي مقدمتها اطروحة ((ميثاق وارشو دراسة تاريخية في العلاقات الدبلوماسية والعسكرية ١٩٥٥-١٩٦٤)) للباحث أحمد ناظم عباس العابدي، فضلا عن الرسائل والكتب الاجنبية والعربية التي اضافت للبحث معلومات قيمة اخرى تناولت الحلف.

المبحث الأول

مبررات أو اسباب حلف وارشو

شهد النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية تطورات سياسية كبيرة، اذ اتجهت كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي إلى العمل لبناء علاقات مع الدول الأخرى من اجل تشكيل تحالفات وتكتلات تستطيع من خلالها ان تقف بوجه تحالفات القوى الاخرى بما يوجد حالة من التوازن(العابدي, ٢٠١٩, ٤٨) ، وعلى اثر ذلك قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالتوقيع على حلف سمي بحلف شمال الأطلسي (الكيالي, د.ت, ٣٥٧)، في ٤ نيسان عام ١٩٤٩، وقد وصف الرئيس الأمريكي هاري ترومان (HarryTruman)
(الكيالي, د.ت,٧٢٤)الحلف بانه ((خطوة تاريخية نحو السلام العالمي ونحو ايجاد عالم متحرر من الخوف، ولكنه خطوة واحدة فقط نحو ذلك القصد والحلف اقوى درع ضد العدوان والخوف من العدوان)) (سعد, ٢٠١٨, ٩٢).

واخذ حلف شمال الأطلسي إلى منعطف أكثر حدة بالعلاقات السوفيتية مع الدول الغربية، اذ لم تتوقف تداعياته على الجانب العسكري فحسب، بل تعدى ذلك ، الجانبين السياسي والاقتصادي، اذ هدف الى جمع الدول الأوربية تحت مظلته وابعادها عن المد السوفيتي, لذلك اخذت بتضييق الخناق على السوفييت عن طريق انشاء سلسلة خطوط دفاعية تبدأ من منطقة الراين وحتى مناطق نفوذ الغرب إلى الشمال الإفريقي (احمد, ٢٠١٩, ٥٢)، ومنها حلف جنوب شرق اسيا (سياتوscato)(الكيالي, د.ت, ٥٧٤) عام

١٩٥١وحلف (بغداد) (فارس, ٢٠٠٩, ٢٣-٢٤)، عام ١٩٥٥، حيث سعى هذين الحلفين لحصر النشاط الشيوعي.

وسرعان ما ادرك الاتحاد السوفيتي أن دخول الولايات المتحدة الامريكية في تحالفات عسكرية مع الدول الأوربية الغربية وحتى في جنوب شرق اسيا ، لذلك اتجه ومن أجل التصدي لهذه التحالفات الى القيام بمجموعة من المعاهدات الثنائية مع الدول ومن هذه التحالفات التحالف مع يوغوسلافيا ومع رومانيا والمجر عام (ايمان, ٢٠١٦, ٣٥)، وكذلك التحالف الصيني السوفيتي الذي تم توقيعه في عام ١٩٥٠، وهو تحالف صداقة وتعاون متبادل مدته ٣٠ عاماً قابلة للتمديد (فوزي, ١٩٩٧, ٢٢٣-٢٢٤).

وقد تأثرت سياسية الاتحاد السوفيتي حيال دول أوربا الشرقية بعد وفاة ستالين (Stalin)
(الكيالي, د.ت, ١٣٧) ، في الخامس من اذار عام ١٩٥٣، بعد أن كان قد ركز على الحرب الباردة مع الولايات المتحدة الأمريكية، واهمل كل المشكلات الداخلية، لذلك شهدت اوروبا الشرقيةالكثير من مظاهر السخط الشعبي، وكذلك ظهور الانشقاقات داخل احزابها الشيوعية (احمد, ٢٠١٩, ٦٧).

وفي عام ١٩٥٤ وجه الاتحاد السوفيتي الدعوة إلى الدول الغربية لعقد مؤتمر امني سواء كان ذلك في موسكو ام لندن، الا ان الدول الغربية لم تلبِ طلب الدعوة، لذلك جدد الاتحاد السوفيتي دعوته، للاجتماع هذه المرة في موسكو، وبالفعل عقد المؤتمر للمدة (٢٩ ت٢-٢ ك١ ١٩٥٤) وعرف رسمياً بـ "المؤتمر الأول للدول الأوربية لحفظ الامن والسلام في أوروبا"، وبمشاركة كل من: الاتحاد السوفيتي- جمهورية بولندا الشعبية- جمهورية تشيكوسلوفاكيا- المانيا الديمقراطية- وجمهوريتا هنغاريا ورومانيا- وجمهورية بلغاريا والجمهورية بلغاريا والجمهورية الألبانية الشعبية)، مع مشاركة بعض الدول الاشتراكية منها: جمهوريةالصين الشعبية، في حين رفضت يوغسلافيا الانضمام اليه (احمد, ٢٠١٩, ٧٤).

وشهد يوم ١١ من ايار عام ١٩٥٥ افتتاح جلسات مؤتمر وارشو، وحسب العرف الدبلوماسي كان على رئيس الوزراء البولندي افتتاحه، الا ان رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي قام بذلك، ليعطي انطباعاً بأن جميع الدول المشاركة في المؤتمر قد فوضت الامور بصورة كاملة بأيدي القيادة السوفيتية و كما أن الاتحاد السوفيتي قد وجد في تحالفه مع دولة أوربا الشرقية الفرصة للتعامل مع المتغيرات ومنها مسالة تسليح المانيا، وقد أكد رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في خطاب الافتتاح على اهمية الميثاق وطلب الاسراع في عقدة.

كما وساهمت اسباب اخرى دفعت الاتحاد السوفيتي الى التوقيع على ميثاق وارشو ومنها: انضمام المانيا الاتحادية الى حلف شمال الأطلسي وكذلك رغبتهم في تحقيق التكامل العسكري مع دول اوربا الشرقية من جهة و واعطاء الصفة الشرعية في تواجدها العسكري الدائم في شرق أوربا من جهة أخرى، فضلاً عن العامل النفسي، والذي اثر سلبا في وضع سلوك الزعماء السوفيت عقب تشكيل حلف شمال الاطلسي وقرار تسليح المانيا وضمها في صفوفه مما عجل بتطويرهم للمعاهدات الثنائية التي أبرموها مع دول اوربا الشرقية اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية (احمد، ٢٠١٩، ٨٩-٩٠).

وتم التوقيع على ميثاق وارشو في ١٤ أيار عام ١٩٥٥، وعد ردة الفعل الاشتراكية المباشرة لانبعاث المانيا كدولة عسكرية قوية في قلب أوربا وادماجها في الترتيبات العسكرية للكتلة الغربية ليعرف رسميا باسم معاهدة الصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة، كما ان الدافع الأبرز لتأسيس هذا الحلف هو الرغبة في احداث توازن في القوى بين دول غرب أوربا ودول شرق أوربا (نوارة, ٢٠١٦, ٤٧-٤٨).

وهناك اسباب اخرى تكمن وراء اعلان حلف وارشو ومنها: ان هذا التنظيم العسكري المتعدد الأطراف كان يسبغ مسحة من الشرعية الدولية على التواجد العسكري السوفيتي في شرق أوربا، وقد أراد حلف وارشو ان ينقل احساساً ظاهرياً بالمساواة في علاقة السوفيت بمنطقة نفوذهم في شرق أوربا، فضلا عن أن الحلف كان يجعل المتعذر على الدولة المنضمة إليه فضلاً عن أن تنسحب منه، لأن هذا الانسحاب كان لابد وان يقام

بالقوة الجماعية لدول الحلف. بالإضافة الى ان الحلف كان يستخدم كأداة تدعم من مركز الاتحاد السوفيتي في المساومات الدبلوماسية التي يدخل طرفاً مباشراً فيها مع الغرب (اسماعيل, ١٩٩١, ٣٦٥-٣٦٦).

وكذلك رغبة الاتحاد السوفيتي خلق منظمة عسكرية على غرار حلف الشمال الاطلسي ليستخدمها كأداة تكتيكية في المفاوضات الدبلوماسية الجارية بين المعسكرين العملاقين خاصة وأن مؤتمر للأقطاب كان قد تقررعقدة في جنيف في تموز عام ١٩٥٥ (محمد, ١٩٧٨, ٥٧).

فضلاً عن أن اعلان الحلف قد ارتبط بالتفسير الذي حدث في نظم وادوات السيطرة السوفيتية على منطقة شرق أوربا في عهد ما بعد ستالين فبعد وان كانت متنوعة تعتمد على العناصر الموالية للنفوذ السوفيتي الا انها أخذت تحل محلها ادوات بديلة للحكم فاصبح يعرف بالكومنولث الاشتراكي (السياسة الدولية, ١٩٧٠, ١٤٦).

قد اكتسب حلف وارشو او ما يعرف باتفافية وارشو جميع خصائص المنطقة السياسية والدفاعية السوفيتية النموذجية، وانشاء البعثات العسكرية السوفيتية والتي يقودها كبار الضباط في عواصم دول أوربا الشرقية، وقيام الاتحاد السوفيتي بأنشاء مقر عسكري فضلاً عن الى قيامه بنقل سياسات الاجانب والدفاعية السوفيتية لأفراد هذا الحلف (DAVID, ١٩٨٤, ٤٤٠).

المبحث الثاني

((اهداف تأسيس حلف وفراشو-والدول المشاركة فيه))

كان للاتحاد السوفيتي من وراء التوقيع على حلف وارشو من الاهداف منها: مراقبة توسع حلف الناتو او ما يعرف بحلف شمال الاطلسي وتبرير الاحتفاظ بالحاميات والقواعد القريبة من الناتو، فضلا عن أنه جعل يفرض هيمنته وسيطرته على دول أوربا الشرقية المنوطة في هذا الحلف (مؤيد, ٢٠١٠, ١٠٦).

بالإضافة إلى شعور السوفيت بأن قوات دول اوربا الشرقية غير قادرة لوحدها على الدفاع عن الكتلة الشرقية، وعليه هدف الحلف الى الزام الدول الشرقية بالسماح للجيوش السوفيتية بالتمركز على أراضيها لكي يتسنى لتلك الجيوش الدفاع عن حدود الاتحاد السوفيتي بالدرجة الأساس (العلواني, ٢٠١٦, ٢٦), والى جانب هذه الأهداف، كان هناك هدفاً اخر وتمثل بتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية فيما بين الدول وليس الاقتصار فقط على تشكيل قيادة عسكرية موحدة لقوات الدولالمشتركة (ايمان, ٦٣).

ويتألف حلف وارشو من لجنتين رئيستين هما: اللجنة السياسية الاستشارية المكونة من سكرتارية الاحزاب الشيوعية ورؤساء الدول ووزراء الخارجية والدفاع للدول الأعضاء, والقيادة العليا المشتركة والتي تكون مهمتها تقوية القدرات الدفاعية للحلف، ووضع الخطط العسكرية في حالة نشوب حرب، واتخاذ القرارات المتعلقة بانتشار القوات (نجدة, ٢٠١٨, ٢-٣).

وضم الحلف أحدى عشر مادة قانونية ومنها: المادة الأولى التي نصت على ان الدول السامية المتعاقدة اخذت على عاتقها أن لا تلجأ في علاقتها الدولية الى التهديد بالقوة او استعمالها وانما تحل الخلافات بالطرق السلمية حتى لا تعرض نفسها أو تعرض السلم الدولي للخطر، وجاءت المادة الثانية لتنص على ان الاطراف المتعاقدة تعلن استعدادها للتعاون في كل الاعمال الدولية لغرض ضمان السلم والأمن العالمي، في حين نصت المادة الثالثة من الحلف ان الاطراف المتعاقدة سوف تتشاور فيما بينها في جميع المشاكل الدولية المتصلة بمصالحها المشتركة (السياسة الدولية, ١٩٦٨, ٢٢٦)، كما ونصت المادة الرابعة أنه في حالة وقوع عدوان مسلح في أوربا ضد أي دولة عضو في هذا الحلف من جانب دولة أو مجموعة من دول فان على دول الحلف أن تقدم المساعدات الضرورية الى الدولة التي يستهدفها العدوان، بينما نصت المادتان الخامسة والسادسة على انشاء قيادة مشتركة لقواتهم المسلحة ولجنة سياسية استشارية تضم ممثل من كل طرف، والمادة السابعة بعدم الاشتراك في أي مخالفات وأن لا تعقد أي دولة عضواً أي اتفاقيات تتعارض اغراضها مع اغراض المعاهدة، فضلا عن المادة الثامنة التي نصت على تنمية ودعم

العلاقات الاقتصادية والثقافية مع التمسك بمبادئ الاحترام المتبادل لاستقلالهم وسيادتهم وعدم التدخل في شؤونهم الداخلية (ايمان, ٢٩). وقد اجازت المادة التاسعة لأي دولة الانضمام الى الحلف بصرف النظر عن طبيعة نظامها الاجتماعي او السياسي. وان يستمر الاتفاق هذه لمدة ٢٠ عاماً حسب ما جاء في المادة العاشرة، كما ونصت المادة الحادية عشر أنه في حالة انشاء نظام امن جماعي في اوربا على وفق معاهدة أوربية عامة لهذا الغرض فإن ميثاق وارشو ينتهي سريان مفعول هذه المعاهدة (بشرى, ٢٠١٣). ويحكم النظام الأساسي للقيادة الموحدة هيكل السلطة وتقسيمها داخل منظمة معاهدة وارشو، حينما فرض السوفيت على حلفائهم ابقائها سرية على الرغم من الاشارة اليها احيانا وبشكل علني، ففي عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٨ وحينما انتقدها البولنديون والتشيكوسلوفاكيين لكون الاتحاد السوفيتي يتمتع بكافة الامتيازات تجاه موقعي اوربا الشرقية، حينها ترك احكام النظام الأساسي غامضة جداً، حتى انه فسرها لصالحه (VOJTECH, ٢٠٠٥, ٨٠).

وقد رأى البعض أن بنود معاهدة وارشو لم تكتب من الجانب السوفيتي ودون التشاور مع حلفاؤها فحسب، بل فرضت عليهم دون مناقشة اعتماداً على ما ورد في بنود اتفاقيات سابقة أي أن بنود ميثاق وارشو هي تطور لتلك الاتفاقيات التي منحت الدول الاعضاء حق المشاركة ظاهراً، لذلك سعى الاتحاد السوفيتي بموجب الميثاق إلى تعزيز موقفه العسكري داخل اوربا الشرقية (أحمد, ٢٠١٩, ١٠٥).

اشار العديد الى ان اهمية حلف وميثاق وارشو العسكرية كونه قوة ردع مضادة وفعالة ضد حلف شمال الاطلسي في المواجهات السياسية التي سادت العلاقات بين موسكو وواشنطن، إلى جانب ان الحلف اداة فعالة في يد الاتحاد السوفيتي للتصدي لحركات التحرر داخل المعسكر الاشتراكي ضد الارتباط التبعي بموسكو الا ان هذه الاهمية بدأت تتغير امام امرين احدهما العسكري المتمثل بالتقدم التقني السوفيتي في ميدان الاسلحة فأن روسيا السوفيتية لم تعد بحاجة لحماية نفسها من أي اعتداء غربي، والأمر

الآخر السياسي والمتمثل بوقوع الانشقاق الايديولوجي والذي جعل روسيا في حاجة لحماية نفوذها في اوربا الشرقية ذاتها (محمد, ١٩٨٧, ٦٣).

وضم حلف وارشو عدد من الدول منها : (بولونيا- تشيكوسلوفاكيا- رومانيا- هنغاريا- بلغاريا- البانيا- المانيا الشرقية- بولندا) (موسى, ٢٠٠٩, ١٥٦).

وقد وجدت تشيكوسلوفاكيا بحلف وارشو الوسيلة لصد تطلعات المانيا الاتحادية ولا سيما بعد انضمامها لحلف شمال الأطلسي، فكان بمثابة الجدار الحصين لحدودها مع المانيا, كما اثنت القيادة البلغارية على التحالف، حينما وجدت به خير وسيلة يمكن عن طريقها معاداة دول حلف شمال الاطلسي وخاصة الدول المجاورة لها تركيا واليونان، في الوقت نفسه وجدت البانيا بالحلف الملاذ الأمن ضد الأطماع اليوغوسلافية، وعلقت هنغاريا على مسألة سحب القوات السوفيتية من الأراضي الهنغارية اثناء النقاش داخل المؤتمر إلا انها لم تفلح في ذلك فقد أبقى الاتحاد السوفيتي على اعداد كبيرة من قواته هناك واعطى أوامر بانسحاب فرقة عسكرية واحدة من الأراضي الحدودية (احمد, ٢٠١٩, ١٠٧-١٠٨).

اما بولندا التي اعلنت عن تأييدها للحلف بسبب خشيتها للقوات السوفيتية وخاصة بعد مجزرة كاتين (حنان, ٢٠١١, ١٢٥)، فضلا عن أن القوات العسكرية البولندية كانت تحت امرة القيادة السوفيتية, لذلك وجدت في حلف وارشو ما يحرر قواتها ويرفع من شانها ويجعل من الجيش البولندي في المرتبة الثانية بعد القوات السوفيتية (احمد, ٢٠١٩, ١٠٧).

كما وحصلت جمهورية الصين الشعبية على حق حضور اجتماعات الحلف بصفة مراقب، فضلاً عن الى ان يوغسلافيا وعلى الرغم من اتباعها النظام الشيوعي الا انها لم تنضم للحلف بسبب الخلافات القائمة بين زعيمها والزعيم السوفيتي ستالين لذلك فأنها فضلت الوقوف على الحياد إزاء تكتلات القوى العالمية (شبكة الانترنت، Political. Encxc lopediq. Org).

كما واعلنت المجر عن نيتها الانسحاب من الحلف بعد عام ١٩٥٦ بعد تدخل القوات السوفيتية فيها حينها اعلن الزعيم الشيوعي امرين اجي ر بحياد بلاده والاعتراف بها من قبل الامم المتحدة على امل ان يؤدي ذلك الى ردع السوفيت عن شيء غزو ثاني للبلاد (VOJTECH MASTN and MAL coh MBXRNE, p83).

كما وجه الاتحاد السوفيتي الدعوة الى فنلندا من أجل الانضمام إلى الحلف في ايلول عام ١٩٥٥، الا انهم رفضوا ذلك، وأكدوا على التزام الحياد وعدم الانحياز (نجدة, ٢٠١٨, ٣).

وقد احدث حلف وارشو صدى واسع حينما اسرعت الصحافة في نشر اهدافه وبرامجه الدولية، فقد نشرت الصحيفة الرسمية لوزارة الدفاع السوفيتية مقالاً بعنوان"اساس موثوق به لضمان امن الدول السلمية"، وفيه اشارت الى المفاوضات مع وضع صورة فوتغرافية لتوقيع رئيس الوزراء السوفيتي على نص المعاهدة، فضلاً عن أنها غطت في ثلاثة صفحات من اصل تسعة فقط مسائل الدفاع المشترك ضد المانيا الاتحادية والتهديد الامبريالي واضافت الى ان ((المشاركين في المعاهدة سيتخذون أيضا تدابير منسقة أخرى من اجل ترسيخ وسائل دفاعهم)) (احمد, ٢٠١٩, ١٠٨-١٠٩).

واشارت صحيفة نيويورك تايمز (The New york Times) ان معاهدة وارشو لم تكن سوى رد على معاهدة شمال الأطلسي وقريبا ستصبح معادية لها وفقد جاء في مقالها: ((نحن لا نذكر ذلك لقد اعلنا دوماً انه اذا لم تكن هناك معاهدة شمال الأطلسي او الاتحاد الأوربي الغربي لما كانت هناك حاجة لمعاهدة وارشو، فالأخيرة تشكلت تحت ظروف دولية محددة، وقد استلزمتا السياسة العدوانية للقوى الغربية، ولا سيما الولايات المتحدةالأمريكية)) (احمد ناظم، ١١٠).

واشار البعض الى العديد من اسباب الاختلاف ما بين حلف وارشو وحلف شمال الاطلسي ومنها: أنه حلف مفتوح لكافة الدول الأوربية مهما كان اتجاهها السياسي او مذهبها الاقتصادي او نظامها الاجتماعي، إلى جانب أن حلف وارشو بينما يتماشى مع مبادئ الامم المتحدة واهدافها، كما أن حلف وارشو كحلف الاطلسي حلفان دفاعيان في

الظاهر، فهما منسجمان مع نصوص ميثاق الأمم المتحدة وخاصة فيما يخص الدفاع المشروع فرديا وجماعياً، فضلا عن أن حلف وارشو معاهدة مؤقتة تنتهي بمجرد قيام أي معاهدة جماعية تشترك فيها الأول الدول الأوربية كافة لضمان الامن والسلام وهذه مثيرة لخلف وارشو على الحلف الاطلسي، وانه لا يحق لألمانيا الشرقية أن تنسحب من الحلف بمجرد أن يتم توحيدها مع المانيا الغربية ولالماينا الموحدة الحق في تنضم إلى الحلف أو لا تنضم (ايناس, ٢٠١٥, ١٢٨).

كما كان تشكيل حلف وارشو العلاقة الاخيرة على قبول الاتحاد السوفيتي بان تقسيم المانيا امر دائم (آلان تد، ص٢٩٧)، كما واشار البعض الى الاختلاف بين حلف وارشو وحلف شمال الأطلسي، اذ حلف شمال الأطلسي الحد على مبادئ الديمقراطية والحرية الفردية، بينما حلف وارشو أشار بحذر الى الصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة بين جميع المتعاقدين، كما وأكد حلف شمال الأطلسي وحلف وارشو على الطبيعية الأوروبية للمعاهدة والتي كان القرض فيها بوضوح هو التعامل مع الامن الاوروبي، وان حلف وارشو هي اداة دبلوماسية لحماية الأمن الأوروبي (Laurien crump, p23).

المبحث الثالث

استراتيجية حلف وارشو في توطيد قوته وعوامل انهياره

واجه حلف وارشو العديد من الاستراتيجيات والتي استخدمتها الولايات المتحدة الامريكية خلال مدة صراعها مع المعسكر الشرقي، وقد هدفت من خلالها الى ردعه والقضاء عليه ومن اهمها: استراتيجية الانتقام الشامل (Massive Relatin, Mass Revenge) ، والتي استخدمت في الخمسينات من القرن العشرين، وجاءت كبديل لسياسة الاحتواء حين اثبتت الاخيرة ضعفها وفشلها، وقد استدلت هذه الاستراتيجية باستراتيجية اخرى تمثلت في استراتيجية الاستجابة المرنة (Flexible Response)، ورد حلف وارشو والاتحاد السوفيتي على هذه السياسة بقيامه ببناء قوات عسكرية مضادة وذلك من خلال بناء قوات مجهزة بالصواريخ الاستراتيجية، اذ ان هذه الصواريخ لا تتعرض الى أي اصابة اثناء الانطلاق وهدفت منها الى القضاء

على العدو، وبناء قوات خفيفة الحركة ويتم تزويدها بالأسلحة الحديثة وبناء تحالفات عسكرية قوية ومتينة (سعدي, ٢٠١٤, ٦٧).

وتمثلت استراتيجية حلف وارشو في المجال العسكري بقيامه بناء قوته الذاتية، وتحديثها في اوروبا الى درجة اصبح يملك ميدانا عسكريا ضخماً، اذ تقدر قواته بـ ٦٦% من فرقة المدرعة الميكانيكية وقرابة ٥٥% من باقي الفرق المنتشرة في السلم, ويشارك بنسبة ٦٦% من فرق المدرعة و٦٥% من فرقة الميكانيك و٥٩% من الفرق الأخرى المهيأة للحرب كما وتشكل الدبابات السوفيتية ٦٩% من دبابات الحلف (زوليخة, ٢٠١٦, ٣١).

فقد سعى الاتحاد السوفيتي في الوقت ذاته إلى الاهتمام بالناحية العسكرية لدول الاعضاء المنضمين في الحلف، وخاصة الدول التي كانت أكثر استراتيجية في الحلف دول الحزام الشمالي المانيا الشرقية- بولندا- تشيكوسلوفاكيا) لأهميتها الاستراتيجية في حال نشوب نزاع اوربي، والتي عدت ممراً للحملات السوفيتية في جهات اوربا الوسطي (احمد, ٢٠١٩, ٢٠٣)

وتركزت الجهود السوفيتية على دعم الحلف عسكريا وفي أكثر من ناحية، ففي عامي ١٩٦٥-١٩٦٦ عقد وزراء دفاع دول الحلف وكبار القادة العسكريين ستة اجتماعات لكن تلك المحاولات قد تعرضت الى الصدمة حينما اتجهت بعض دول شرق اوربا الى اقامة علاقات دبلوماسية مع حكومة المانيا الغربية ويأتي في مقدمتها رومانيا الأمر الذي ادى الى حدوث انقسام داخل الحلف فرومانيا وبلغاريا والمجر والتشيكوسلوفاكيا كانت في جانب والاتحاد السوفيتي وبولندا والمانيا الشرقية في جانب آخر، والذي ادى في النهاية الى عقد مؤتمر عام ١٩٦٧ في وارسو لحل المشكلة هذه وانتهى بانتصار محور الاتحاد السوفيتي حينما أقنع الدول الأخرى بعدم الاعتراف بألمانيا الغربية حفاظا على الحلف من خطر الانقسام (السياسة الدولية, ١٩٧٠, ١٤٩-١٥٠).

والى جانب هذه التطورات كان الاتحاد السوفيتي يملك في اواسط عام ١٩٦٦ (٢٥٠) صاروخاً من طراز (I.C.B.M)، وله علاقة بالعمليات الحربية، واصبح يملك من

هذا الطراز بعد عام واحد (٥٧٠) صاروخاً و(٩٠٠) صاروخاً في ايلول عام ١٩٦٨وفي سين تفوق في ايلول عام ١٩٦٩ بـــ (١٠٦٠) صاروخا وفي حين كان العـــالم يتوقـــع ان يكون عدد الصواريخ السوفيتية التي تطلقها الغواصات يتجاوز من (٤٥) صاروخاً عـــام ١٩٦٨ إلى أكثر من (٩٠٠) صاروخ في ١٩٧٥ (هنري, ٢٠٠٥, ٤٣٨).

وفي أواخر الثمانينات كانت هناك (١٠٠) فرقة عسكرية سوفيتية، منها (٣٠) رفقـــة و(٥٦٥) الف جندي في وسط اوروبا و(٧٠) فرقة و(١,٣٥) مليون جنـــدي فـــي الجـــزء الأوربي من الاتحاد السوفيتي والمقاطعات العسكرية الغربية، وكانت نفقات الجنود هؤلاء من الاسلحة والمرتبات بل وحتى نفقاتهم المعيشية تقع على كاهـــل الميزانيـــة الســـوفيتية (زوليخة, ٢٠١٦, ٣٢-٣٣).

ويمتلك حلف وارشو قوات خاصة به حينما وضعتها تحت تصرفه الدول الاعضاء في الحلف والمقسمة ما بين القوات الجوية المتمثلة بالقاذفات الخفيفة والبالغ عددها (٢٥٠) والمقاتلات وعددها (١,٢٥٠) والطائرات استطلاع والبالغ عددها (٥٤٠) والـــى جانـــب القوات البحرية وعددها (٣٠٦) مقسمة علـــى حـــاملات طـــائرات وحـــاملات مضـــادة للغواصات نووية وطرادات ومدمرات مضادة للغواصات، وفوق ذلك كله لـــدى الاتحـــاد السوفيتي وحده قرابة (٣٥٠٠) رأس نووي وجميعها في ايدي القوات الســـوفيتية العاملـــة فيحلف وارسو (محمد, ١٩٧٨, ٥٩-٦١).الا أن حلف وارشو سرعان مـــا اخـــذ يواجـــه متغيرات داخلية بين اعضائه، ومنها بولندا التي قامت بانتفاضة داخلية طالبت فيها بتحقيق السيادة الوطنية ورفع المستوى المعيشي، الى جانب استياء الضباط البولنديين من تواجـــد القادة السوفيت وشغلهم للمناصب العسكرية الكبرى واندلعت هذه الانتفاضة في حزيـــران عام ١٩٥٦ وسرعان ما اخذت بالتوسع لتشمل مناطق مختلفة مـــن ســـيبيريا وجورجيـــا وهنغاريا وغيرها من المناطق الخاضعة للنفوذ السوفيتي، واصبحت محط اهتمام انظـــار الدول الأوربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك سارع الاتحاد الســـوفيتي الـــى سحب قواته المتوجهة نحو وارشو عاصمة بولندا، والامتنـــاع عـــن التـــدخل العســـكري والسعي لإيجاد حل وسط ولهذا السبب قامت باتباع سياسة من شانها الحفاظ على بولنـــدا

وموقفها في الحلف، فأوعزت الى الحكومة البولندية القيام بإجراءات ومنها اطلاق سراح بعض الوطنيين والسماح بعودة المنفيين (احمد, ٢٠١٩, ٢١٦-٢١٨).

وبعد ان اصبح لبولندا شأن كبير في سياسات الحلف، قام الاتحاد السوفيتي بالعمل على تصحيح مسارها حيال دول الحلف، لذلك اعلنت موسكو في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩٥٦ بما عرف بـ (اعلان موسكو) من استعدادها لمعاملة اتباعها بتعاون أكثر مما كانت عليه في الماضي، واهم ما جاء فيه عزم موسكو على سحب مستشاريها العسكريين غير المرغوب فيهم من اوربا الشرقية والبدء في مناقشات بشان انهاء تواجد القوات العسكرية السوفيتية من غير المرغوب فيهم في كل من دول (بولندا- هنغاريا- رومانيا)، وان أي نشر قوات في أي دولة من قبل دولة اخرى لابد وان يكون وفقاً لاتفاق دول الميثاق، فضلا عن حل المشكلات والازمات بالطرق السلمية وعدم اللجوء الى الخيار العسكري) (احمد ناظم، ٢٢٠).

وعلى اثر ذلك طالبت الحكومة البولندية بإجراء تعديلات على النظام الأساسي للحلف بمذكرة سلمتها في ١٠ كانون الثاني عام ١٩٥٧، واهم ما تضمنته المذكرة الالتزامات البولندية الخاصة بالكمية للقوات المسلحة وانتاج المعدات العسكرية والوضع الاستراتيجي للبلاد والاتفاقات السابقة السياسية والاقتصادية (VOJTECH MASTN and MAL coh MBXRNE, p87).

ولأهمية بولندا عسكرياً بالنسبة للاتحاد السوفيتي، لذلك سارع لإعادة تنظيم قواته داخل بولندا من خلال التوقيع على اتفاقية مع الحكومة البولندية في ١٧ كانون الأول عام ١٩٥٦ عرفت باتفاقية (مركز القوات)، ومنحت بموجبها لبولندا حق الاشراف على القوات السوفيتية المتواجدة في اراضيها، واعطاء اشعارات مسبقة للحكومة البولندية عن أي تحرك سوفيتي على الأراضي البولندية، وتحديد الدعم المالي السوفيتي لقواته في بولندا (احمد, ٢٠١٩, ٢٢٢)، الان ان بولندا قد عادت وطرحت مشروعاً عرف بـ (مشروع راباكي)، (الذي عد من اهم المقترحات التي قدمت لفك الاشتباك في اوربا عن طريق

اقامة منطقة محدودة منزوعة السلاح لتقف خاصة بين الكتلتين الغربية والشـــرقية، وفـــي النهاية اصبح للقيادة البولندية دورا في حلف وارسو).

كما واجه الحلف ازمة أخرى تمثلت بالأزمة الهنغارية عام ١٩٥٦، والتي انـــدلعت رداً على تواجد القوات السوفيتية والعبء الذي شكله مادياً على الحكومة الهنغارية، فضلا عن معاناة الشعب من سوء معاملة عناصر الجيش السوفيتي الموجودين داخـــل الـــبلاد، والذي ادى الأمر الى تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية في البلاد، وبالمقابـــل عمـــل الاتحاد السوفيتي على تهدئة الأوضاع داخل هنغاريا من اجل الحفاظ عليها وابقائها ضمن تطابقها من خلال توجيه دعوة الى الزعيم الهنغاري لأجراء محادثات، والتي جرت فعـــلا بين السفير السوفيتي في مدينة بودابست وبين الزعيم الهنغاري والتي تم التطرق فيها الى مسألة تدهور الوضع في هنغاريا والى الاضطرابات التي اخذت تنتشر بسرعة بين العمال والمثقفين والتي وصلت الى عناصر من الجيش ورجال الأمن في البلاد (عبـــاس, ٢٠١٢, ٦٠-٦١).

وبعد تطورات متتابعة داخل الأراضي الهنغارية، شرعت الحكومة الهنغارية بتقـــديم طلب الى الامم المتحدة بأدراج الازمة الهنغارية ضمن جدول اعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، كما قام الرئيس الهنغاري بإذاعة انذاراً من الراديو للقوات السوفيتية بانه يستخدم القوة الجوية اذا لم تغادر القوات السوفيتية بودابست، وحينها شـــعرت حكومـــة الاتحـــاد السوفيتي بالخطر الذي يهدد وجودها في هنغاريا وادركت ان انهيار الحـــزب الشـــيوعي الهنغاري اصبح وشيكا وفي المقابل هذه التطورات فشلت مساعي الولايات المتحـــدة فـــي دعوة مجلس الأمن الدولي لمناقشة قضية هنغاريا في اجتماع طـــارئ، بســـبب اســـتخدام موسكو حق النقض (الفيتو)، وادى في النهاية الى استخدام القوة العسكرية في القضاء على هذه التمردات والازمات (اياد, ٢٠١٦, ٩٧).

وأدت تلك الازمات والمتمثلة بالأزمة البولندية والازمة الهنغارية الى جانب الأزمات التي واجهت الحلف ايضاً في كل من رومانيا والبانيا الى ضعف الحلـــف، فضـــلا عـــن عوامل أخرى قد ادت الى ضعفه وبالتالي الى حله، ومن بين تلك العوامل هـــو ســـيطرة

القائد السوفيتي على قوات الحلفاء، وغلبة الاسلحة الروسية على تسلح الحلف، الى جانب التغيير في السياسات المحلية والذي مثل العامل الاساس في ضعف الحلف وتفككه هو التحولات الداخلية في الدول الاعضاء والمتمثلة بالاتجاهات السكانية والاجتماعية التي طرأت على شعوب دول شرق ووسط اوربا، كما أن تغيير النظم الموالية لموسكو قد مثل عاملاً من عوامل ضعف الحلف والتي أدت بالتالي إلى تغير ترتيبات التحالف (زوليخة, ٢٠١٦, ٤٠-٤٢)، وبدأ هذا التغير حينما أصدرغورباتشوف (ارنست, ١٩٩١, ١٠٤) قراراً بحق دول شرق اوربا في نهج طريقها المستقل وتقليص القوات اوربا السوفيتية في دول شرق ووسط اوربا، وكان ذلك عام ١٩٨٥ (زوليخة, ٢٠١٦, ٤٢).

وبدأ على اثر ذلك الاتحاد السوفيتي نفسه بالانهيار، حينما تم سحب الجيوش الروسيةمن أوربا، على اثر تغيير المفاهيم الاستراتيجية والايديولوجية والتي تقوم عليها الكتلة الشرقيةالشيوعية وانتهى معه الحلف والامبراطورية السوفيتية.

وقد اجتمع الموقعون على معاهدة حلف وارشو (معاهدة الصداقة والتعاون والمعونة المتبادلة لعام ١٩٥٥), وحضرتها ست دول فقط هي (تشيكوسلوفاكيا- بلغاريا- المجر- بولندا- رومانيا- الاتحاد السوفيتي)، اما العضوان الغائبان عن التوقيع فهما البانيا التي انسحبت نهائيا من الحلف عام ١٩٦٨، والمانيا الشرقية التي لم تعد قائمة بقيام الوحدة بين شطري المانيا عام ١٩٩٠ ، اذ أقر الموقعون عليه بتصفية الهيكل العسكري للحلف ولم يبق منه سوى الهيكل السياسي، وهذا ما قد تولاه بروتكول براغ في ١٩٩١/٧/١ الذي تم بموجبه حل حلف وارشو ونص بروتوكول براغ على ان معاهدة وارشو لن تعود قائمة من يوم أن يصبح هذا بروتوكول نافذ أو هذا ما جاء في المادة الأولى منه، اما المادة الثانية فنصت على انه ليست هناك أي منازعات بين الدول اطراف المعاهدة، في حين جاءت المادة الثالثة المنقسمة على فقرتين نصت الأولى على شرط التصديق على البروتوكول، وتعلقت الثانية بالنص على ايداع وثائق التصديق بأرشيف الحكومة التشيكوسلوفاكية التي تقوم بدورها بأخطار بقية الاطراف ، والمادة الرابعة والتي تفيد بان

هذا البروتوكول سوف يصبح نافذ المفعول في اليوم الذي ترد فيه اخر وثيقة تصادق عليه الى الارشيف (السياسة الدولية, ١٩٩١, ٦٤).

الخاتمة

تم التوصل الى مجموعة من النتائج ومنها :

١. أن توقيع الحلف جاء رداً على السياسة التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية بتوقيعها على حلف شمال الأطلسي.
٢. ان حلف وارشو قد جاء نتيجة تخوف الاتحاد السوفيتي من ان تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية وحلفها على الساحة الأوربية وبالتالي تتحول مخالفته الدفاعية الىتحالف هجومي.
٣. انضمام العديد من الدول الى جانب حلف وارشو لانها تجد فيه الخطوة الصحيحة للحفاظ على مصالحها والابقاء على استقلالها على الرغم من انسحاب البعض من هذا الحلف فيما بعد.
٤. يلاحظ في ضوء المعلومات الواردة عن الحلف في هذا البحث هيمنة الاتحادالسوفيتي وسيطرته على بقية الدول الاعضاء وهذا ما اثر بالتالي إلى ضعف الحلف وتفككه.
٥. أدت السيطرة السوفيتية الكاملة على الحلف الى ظهور العديد من الحركات الاستقلالية ومحاولة التخلص من هذه السيطرة مثلما حصل في كل من هنغاريا ورومانيا وبولندا والبانيا.
٦. ان الحلف قد تمكن من بناء قوته العسكرية سواء في المجال الجوي والبحري بل وحتى الأجواء الأرضية.
٧. ظهور العديد من العوامل والتي ادت الى ضعف الحلف وحله في عام ١٩٩١ منها المتغيرات الداخلية للدول الاعضاء.

الملحق رقم (١)

وثيقة رقم (٢) النظام الأساسي لمعاهدة وارشو القيادة الموحدة ٧ سبتمبر ١٩٥٥(,Voj 80).

Document No. 2: Statute of the Warsaw Treaty Unified Command, September 7, 1955

The Statute of the Unified Command governed the structure and division of authority within the Warsaw Treaty Organization. Like the treaty itself, it was supplied by the Soviets and imposed on their allies. Unlike the treaty, it was kept secret throughout the Cold War, although it was occasionally referred to in public, for example in 1956 and in 1968 when the Poles and Czechoslovaks, respectively, criticized it for assigning all prerogatives to the Soviet Union and all obligations to the East European signatories. In fact, the provisions of the statute were left deliberately vague so that the Soviet Union could interpret them to its advantage. Later, in 1969, the document was revised and the language made more precise. This version of the statute came from the Polish archives.

Draft
TOP SECRET

General Provisions of the Warsaw Treaty
Armed Forces Unified Command

PART I

The Supreme Commander of the Armed Forces

The Supreme Commander chairs the unified armed forces of the members of the Warsaw Treaty on friendship, cooperation and mutual aid, adopted on May 14, 1955.
The responsibilities of the Supreme Commander are:

a) to carry out resolutions of the Political Consultative Committee, which deal directly with the unified armed forces;
b) to supervise and direct operational and combat preparation of the unified armed forces and to organize unified exercises of troops, fleets and staff under the command of the Unified Armed Forces;
c) to have a comprehensive knowledge of the state of troops and fleets under the command of the Unified Armed Forces, and to take all necessary measures in cooperation with the governments and ministers of defense of the respective countries in order to ensure the permanent combat readiness of the forces;
d) to work out and present to the Political Consultative Committee constructive proposals on the further improvement of the qualitative and quantitative state of the available staff.

80

الملحق رقم (٢)

وثيقة رقم (٣) برقية امري ناجي للبعثات الدبلوماسية في بودابست تعلن جهاد المجر ١ نوفمبر ١٩٥٦(Voj, 83)

Document No. 3: Imre Nagy's Telegram to Diplomatic Missions in Budapest Declaring Hungary's Neutrality, November 1, 1956

This document reflects the first instance of a Warsaw Treaty member declaring its intention to withdraw from the alliance. This took place during the course of the 1956 Hungarian revolution, after an initial intervention by Soviet forces. Imre Nagy, the Hungarian communist leader, attempted to declare his country's neutrality and have it recognized by the United Nations in hopes that this would deter the Soviets from mounting a second invasion of the country. For many years, it was widely believed that the Soviet move came in response to the neutrality declaration; however, recent archival evidence shows that Moscow had already decided to intervene before the declaration was issued.[1] Given the rudimentary nature of the alliance in the military sense, the main question for Moscow concerning Hungary's possible withdrawal was a political one, and included the desire to prevent other member-states from considering a similar move.

The prime minister of the Hungarian People's Republic, in his role as acting foreign minister, informs your excellency of the following:

The Government of the Hungarian People's Republic has received trustworthy reports of the entrance of new Soviet military units into Hungary. The President of the Council of Ministers, as acting Foreign Minister, summoned Mr. Andropov, the Soviet Union's special and plenipotentiary ambassador to Hungary, and most firmly objected to the entrance of new military units into Hungary. He demanded the immediate and fast withdrawal of the Soviet units. He announced to the Soviet ambassador that the Hungarian government was withdrawing from the Warsaw Pact, simultaneously declaring Hungary's neutrality, and that it was turning to the United Nations and asking the four Great Powers to help protect its neutrality.

The Soviet Ambassador acknowledged the objection and announcement of the president of the Council of Ministers and acting foreign minister, and promised to ask his government for a reply without delay.

Your Excellency, please accept with this my most sincere respects.

[*Source: Hungarian People's Republic*, The Counterrevolutionary Conspiracy of Imre Nagy and his Accomplices (*Budapest: Information Bureau of the Council of Ministers, [1958]*). *Also published in József Kiss, Zoltán Ripp and István Vida, ed., "Források a Nagy Imre-kormány külpolitikájának történetéhez,"* Társadalmi Szemle *48, no. 5 (1993): p. 86. Translated by David Evans.*]

[1] For further documents and analysis, see the relevant volume in this CEU Press series, Csaba Békés, Malcolm Byrne and János Rainer, eds., *The 1956 Hungarian Revolution: A History in Documents*, (Budapest: CEU Press, 2002).

83

الملحق رقم (٣)

وثيقة رقم (٥) المذكرة البولندية حول اصلاح اتفاق وارسو ١ يناير ١٩٥٧ (Voj, 87)

Document No. 5: Polish Memorandum on Reform of the Warsaw Pact, January 10, 1957

This memorandum, also prepared by Polish Gen. Drzewiecki, deals with the question of reform of the Warsaw Treaty Organization. Prepared for Polish leader Wladyslaw Gomulka for discussion with the Soviets, the memo does not question the need or the merits of the alliance—a highly sensitive topic in view of the Hungarian and Polish crises of 1956—but it does point out deficiencies within the organization. These include the obligations imposed on the East European members and the burden of high military spending which undercut the policy of raising living standards in the region. Of course, the attempt at reform was unsuccessful. As indicated elsewhere, the Soviet supreme commander angrily dismissed the objections, saying: "What do you imagine, that we would make some kind of NATO here?"[1]

MEMORANDUM

"The Warsaw Treaty and the Development of the Armed Forces of the People's Republic of Poland"

The Warsaw Treaty, adopted in May 1955 (especially its military provisions), as well as different bilateral agreements signed by the representatives of the USSR and People's Republic of Poland prior to the Warsaw Treaty and ratified after the adoption of the Treaty, require a thorough analysis and revision. This mostly concerns Polish obligations regarding organizational, quantitative and technical supplies of the Armed Forces, the production of military equipment, and the strategic positioning of the country.

The need to revise earlier agreements is caused by the political and economic conditions of our country.

The earlier agreements and the ensuing obligations do not correspond to the policy of independence and sovereignty of our country enunciated by the party and the government of the People's Republic of Poland.

Despite the constant changes in the obligations acquired by Poland on the basis of the bilateral agreements, their implementation would not be feasible without considerable financial expenditures assigned to the Armed Forces and military industry. Such a policy would be inconsistent with the course of the party and the government aimed at the constant improvement of living standards of the Polish people.

Taking into consideration the above-mentioned situation, the General Staff of

[1] See footnote 26 in the Introduction to this volume.

87

المصادر والمراجع

اولا: الرسائل والاطاريح

١. احمد ناظم عباس العابدي، وارشو دراسة تاريخية في العلاقات الدبلوماسية والعسكرية ١٩٥٥-١٩٦٤، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، (جامعة بغداد: كليةالآداب، ٢٠١٩).

٢. ايمان قسطلي وصحرة ناصري، حلف وارسو واوربا الشرقية في ظل القطبيةالثنائية، رسالة ماجستير غير منشورة ، (الجزائر: جامعة العربي التبسي, ٢٠١٦).

٣. براهمية نوارة ومسعي زينة، الاحلاف العسكرية وجورها في اذكاء الصراع بينالقطبين، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجزائر: جامعة العربي التبسي،٢٠١٦).

٤. بشرى طايس عبد المؤمن، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفيتي في النطاق الأوربي (١٩٥٣-١٩٩١)، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعةبغداد: كلية التربية للبنات,٢٠١٣).

٥. حنان عباس خير الله السعيدي، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من القضيةالبولندية (١٩٤٣-١٩٤٥) رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة ذي قار: كليةالتربية، ٢٠١١).

٦. زوليخة زرقاوي، حلف وارسو (١٩٥٥-١٩٩١), رسالة ماجستير غير منشورة، (الجزائر : جامعة بوضياف، ٢٠١٦).

٧. سعد رستم حمادي الراجحي , منظمة حلف الشمال الأطلسي وموقفها من القضايا الدولية (١٩٤٩-١٩٩٩)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: كليةالتربية-ابن رشد، ٢٠١٨)

٨. سعدي عائشة، مظاهر الصراع الايديولوجي بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي (١٩٤٥-١٩٨٩) رسالة ماجستير غير منشورة (الجزائر: جامعة محمدخضير-بسكرة ٢٠١٤).

٩. عباس هادي موسى، الاتفاقية الهنغارية عام ١٩٥٦ ومواقف الدول الكبرى منها، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة البصرة كلية الآداب,٢٠١٢).
١٠. فارس ابراهيم الكاتب حلف بغداد في صحيفة الزمان، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الدول العربية: معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠٩).

ثانيا: الكتب الاجنبية

1- DAVID Hollow Ax and JANE M.O. SHARP, the earsaw Pact. ALLINCE IN TRANSITI ON?, (Brilain: the Macmllan press, 1984.
2- Laurien crump, the Warsaw pact Reconsidced international relations in Eastern Europe 1955-1969, (N.P, N.D).
3- VOJTECH MASTN and MAL coh MBXRNE, A cardboard Castle&An inside History of the warsaw pact 1955-1991, (New xovk: centra) European University Press, 2005.

ثالثا: الكتب العربية

١. ارنسنت ماندل, الاتحاد السوفيتي في ظل غورباتشيف, ترجمة: بولا الخوري (البنان, دار الواحة ١٩٩١).
٢. اسماعيل صبري مقلد, والعلاقات السياسية الدولية دراسة في الاصول والنظريات، (القاهرة: المكتبة الاكاديمية،١٩٩١).
٣. الآن تد ديمقراطيات, ودكتاتوريات سادت اوربا والعالم بين ١٩١٩ و ١٩٨٩ تعريب: مروان ابو جيب,(لبنان: شركة الحوار الثقافي، ٢٠٠٤).
٤. اياد طارق خضير العلواني، سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية ١٩٥٦-١٩٦٤، (السليمانية : دار سردم, ٢٠١٦).
٥. ايناس سعدي عبد الله ، الحرب الباردة دراسة تاريخية للعلاقات الأمريكية السوفيتية (بغداد: اشور بانيبال للكتاب, ٢٠١٥)
٦. فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان (١٨٥٣-١٩٧٢) ، ط٣ ، د. م:د. مط، ١٩٩٧).

٧. محمد عزيز شكري، الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، (الكويت: عالمالمعرفة، ١٩٧٨).
٨. موسى محمد آل طويرش، العالم المعاصر بين حربين من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب الباردة ١٩١٤-١٩٩١، ط٤، (بغداد: مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ٢٠٠٩).
٩. نجدة فتحي صفوة، هذا اليوم في التاريخ، المجلد الخامس (بيروت: دار الساقي,٢٠١٨).
١٠. هنري كيسنجر، مذكرات هنري كيسنجر, ص ج ١، ترجمة: عاطف احمد عمران (الاردن: الاهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)

رابعا: البحوث المنشورة

١-مؤيد محمود حمد، سياسة الأحلاف الغربية وانعكاساتها على الوطن العربي ١٩٤٥-١٩٥٨، سر من رأى (مجلة) تكريت، المجلد٦، العدد٢٢، تشرين الأول،٢٠١٠.

خامسا: الموسوعات

١- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج١، ج٢، ج٣، ج ٦(د. م: المؤسسة العربية للدراسات والنشر, د.ت).

سادسا: المجلات

١-السياسة الدولية، (مجلة)، مؤسسة الأهرام، مصر، العدد١٤، ١٩٦٨.
٢- السياسة الدولية (مجلة)، مؤسسة الأهرام، مصر، العدد١٩، ١٩٧٠.
٣-السياسة الدولية، (مجلة)، مؤسسة الأهرام، مصر، العدد ١٠٦، ١٩٩١.

سابعا : شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

1. www.wiki.ar.ar.m.wikipedeia. Or.
2. political. Encyclopedia. Org.
3. www.politics-dz. Com.
4. www.mimir book. Com.

References

First: Letters and Thesis

1. Ahmed Nazim Abbas Al-Abedi, Warsaw, A Historical Study of Diplomatic and Military Relations 1955-1964, PhD thesis (unpublished), (University of Baghdad: College of Arts, 2019).

2. Iman Qustali and Sahra Nasseri, The Warsaw Pact and Eastern Europe in the Shadow of Bipolarity, an unpublished master's thesis, (Algeria: Al-Arabi Al-Tepsi University, 2016).

3. Brahmi Nawara and Masa'i Zina, Military Alliances and Their Prejudice in Fueling the Conflict between the Two Poles, an unpublished master's thesis, (Algeria: Al-Arabi Al-Tibsi University, 2016).

4. Bushra Tayes Abd al-Mu'min, The Policy of the United States of America towards the Soviet Union in the European Domain (1953-1991), an unpublished doctoral dissertation, (University of Baghdad: College of Education for Girls, 2013).

5. Hanan Abbas Khairallah Al-Saeedi, The position of the United States of America on the Polish issue (1943-1945), an unpublished master's thesis, (Dhi Qar University: College of Education, 2011).

6. Zoulikha Al-Zarqawi, The Warsaw Pact (1955-1991), unpublished master's thesis,

(Algeria: Boudiaf University, 2016).

7. Saad Rustum Hammadi Al-Rajhi, The North Atlantic Treaty Organization and its position on international issues (1949-1999), an unpublished doctoral dissertation, (University of Baghdad: College of Education - Ibn Rushd, 2018)

8. Saadi Aisha, Manifestations of the Ideological Conflict between the Eastern Camp and the Western Camp (1945-1989), an unpublished master's thesis (Algeria: University of Muhammad Khudair - Biskra 2014).

9. Abbas Hadi Musa, The Hungarian Agreement of 1956 and the Positions of the Great Powers towards it, an unpublished doctoral dissertation, (University of Basra, College of Arts, 2012).

10. Fares Ibrahim Al-Katib, Pact of Baghdad in Al-Zaman newspaper, an unpublished master's thesis,

(League of Arab States: Institute of Arab History and Scientific Heritage, 2009).

Second: foreign books

1- DAVID Hollow Ax and JANE M.O. SHARP, the earsaw Pact. ALLINCE IN TRANSITI ON?, (Brilain: the Macmillan press, 1984.

2- Laurian crump, the Warsaw pact Reconsidced international relations in Eastern Europe 1955-1969, (N.P, N.D).

3- VOJTECH MASTN and MAL coh MBXRNE, A cardboard Castle&An inside history of the warsaw pact 1955-1991, (New xovk: centra) European University Press, 2005.

Third: Arabic books

1. Ernst Mandel The Soviet Union Under Gorbachev Translated by Paula El Khoury (Lebanon, Dar Al-Waha 1991).

2. Ismail Sabri Muqalled and International Political Relations: A Study of Fundamentals and Theories, (Cairo: Academic Library, 1991).

3. Now democracies and dictatorships prevailed in Europe and the world between 1919 and 1989. Arabization: Marwan Abu Jib, (Lebanon: Cultural Dialogue Company, 2004).

4. Iyad Tariq Khudair al-Alwani, The Foreign Policy of the Soviet Union 1956-1964, (Sulaymaniyah: Dar Sardam, 2016).

5. Enas Saadi Abdullah, The Cold War: A Historical Study of US-Soviet Relations (Baghdad: Ashurbanipal Books, 2015)

6. Fawzi Darwish, The Far East, China and Japan (1853-1972), 3rd Edition, Dr. M: Dr. Matt, 1997).

7. Muhammad Aziz Shukri, Alliances and Clusters in Global Politics, (Kuwait: The World of Knowledge, 1978).

8. Musa Muhammad Al Tuwarish, The Contemporary World Between Two Wars, From World War I to the Cold War 1914-1991, 4th edition, (Baghdad: Misr Mortada Foundation for Iraqi Books, 2009).

9. Najda Fathi Safwa, This Day in History, (Beirut: Dar Al Saqi, 2018), Volume V.

10. Henry Kissinger, Henry Kissinger's Memoirs, translated by: Atef Ahmed Omran (Jordan: Al-Ahlia for Publishing and Distribution, 2005), pg. 1.

Fourth: published research

1- Moayad Mahmoud Hamad, The Policy of Western Alliances and Its Repercussions on the Arab World 1945-1958, Sirr Man Ra'a (magazine) Tikrit, Vol. 6, No. 22, October 2010.

Fifth: encyclopedias

1- Abd al-Wahhab al-Kayyali, Encyclopedia of Politics, (Dr. M: The Arab Institute for Studies and Publishing, Dr. T), Part 1, Part 2, Part 3, Part 6.

Sixth: Journals

1- International Policy, (magazine), Al-Ahram Foundation, Egypt, No. 14, 1968.

2- International Policy (magazine), Al-Ahram Foundation, Egypt, No. 19, 1970.

3- International Policy, (magazine), Al-Ahram Foundation, Egypt, No. 106, 1991.

Seventh: International Information Network (Internet)

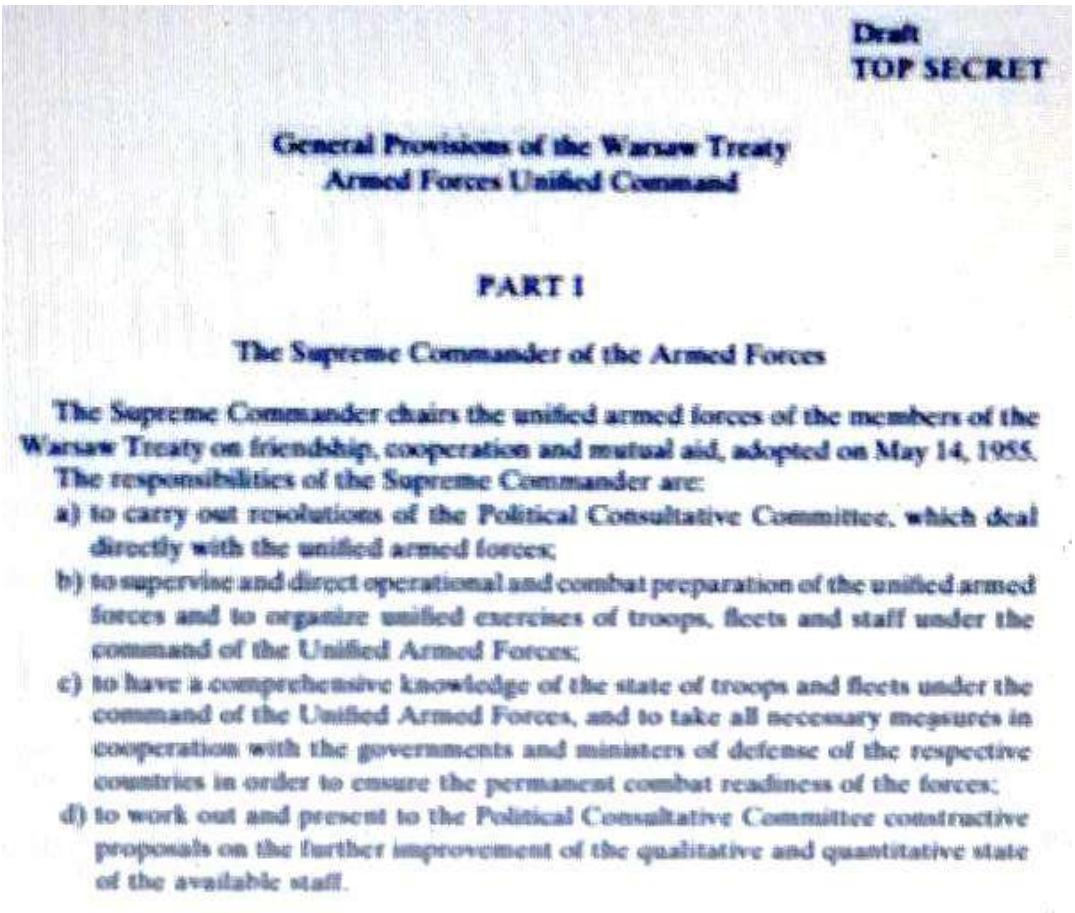
1. www.wiki.ar.ar.m.wikipedeia. Or.

2. political. Encyclopedia. Org.

3. www.politics-dz. Com.

4. www.mimir book. Com.

الملحق



Draft
TOP SECRET

General Provisions of the Warsaw Treaty
Armed Forces Unified Command

PART I

The Supreme Commander of the Armed Forces

The Supreme Commander chairs the unified armed forces of the members of the Warsaw Treaty on friendship, cooperation and mutual aid, adopted on May 14, 1955.
The responsibilities of the Supreme Commander are:

a) to carry out resolutions of the Political Consultative Committee, which deal directly with the unified armed forces;
b) to supervise and direct operational and combat preparation of the unified armed forces and to organize unified exercises of troops, fleets and staff under the command of the Unified Armed Forces;
c) to have a comprehensive knowledge of the state of troops and fleets under the command of the Unified Armed Forces, and to take all necessary measures in cooperation with the governments and ministers of defense of the respective countries in order to ensure the permanent combat readiness of the forces;
d) to work out and present to the Political Consultative Committee constructive proposals on the further improvement of the qualitative and quantitative state of the available staff.

.(VOJTECH, ٢٠٠٥, ٨٠)

الصناعات الزجاجية في ضوء المصادر المدونة في بلاد الرافدين

سعاد عبد الحسين خديه مرهج

Suaadabdalhussein@gmail.com

أ . م . د . فيحاء مولود علي

fayhaamawlood@coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الآثار

الصناعات الزجاجية في ضوء المصادر المدونة في بلاد الرافدين

سعاد عبد الحسين خديه مرهج
أ . م . د . فيحاء مولود علي

المقدمة

عرضنا في موضوع هذه البحث على جمع وترتيب الكثير من المصادر المدونة الخاصة في صناعة الزجاج في بلاد الرافدين والجدير بالذكر ان اغلب النصوص المسمارية والتي زودتنا بها التنقيبات تعود الى عصور متأخرة (آشوري حديث – بابلي الحديث), ونظراً الى أهمية الموضوع فقط ارتأينا الى تقسيم البحث الى محاور عدة حسب المادة الواردة في النصوص المسمارية, المحور الأول نصوص المكونات والنسب والمحور الثاني نصوص طرائق الصناعة, اما المحور الثالث والأخير تناول النصوص الاقتصادية الخاصة بصناعة الزجاج .

Abstract

Earadna fi mawdue hadhih albahth ealaa jame watartib alkathir min almasadir almudawanat alkhasat fi sinaeat alzujaj fi bilad alraafidayn waljadir bialdhikr an aighlab alnusus almismariat walati zawadatna biha altanqibat taeud alaa eusur muta'akhira (ashwri hadith – babil alhadith), wnzraan alaa 'ahamiyat almawdue faqat airtayayna ala taqsim albahth alaa mahawir eidatan hasab almadat alwaridat fi alnusus almismariati, almihwar al'awal nusus almukawinat walnisab walmihwar althaani nusus tarayiq alsinaeati, ama almihwar althaalith wal'akhir tanawal alnusus alaiqtisadiat alkhasat bisinaeat alzujaj.

الصناعات الزجاجية في ضوء المصادر المدونة في بلاد الرافدين

تعتمد مصادر معلومات صناعة الزجاج في بلاد الرافدين بشكل عام وعند الآشوريين بشكل خاص بالدرجة الأساس على النصوص المسمارية والآثار الزجاجية التي وصلت عن طريق اعمال الحفر والتنقيب عن الآثار، وكذلك عن طريق الحفريات غير الشرعية.

ارفدتنا مكتبة الملك اشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٧ ق . م) في العاصمة نينوى بأعداد جيدة من النصوص المسمارية التي ساعدتنا في القاء الضوء على هذه الصناعة غير ان نصفها كان عبارة عن كسر من الرقم وليس نصوصاً كاملة (Brill, 1972, p. 330)

تم حفظ هذه المجموعة من النصوص في المتحف البريطاني بعد أن تم تجميع بعض الكسر وتركيبها واضافة بعضها الى بعض تمكن الباحثون في النهاية من استخلاص أربعة نصوص كاملة في مضمونها عن صناعة الزجاج وبناء افرانها (العلاق، الصفحات ٣٩–٤٠)، تم تقسيم النصوص المسمارية بحسب المضامين الى محاور عدة.

اولاً: نصوص المكونات والنسب

تعرف هذه النصوص باسم النصوص الكيميائية والتي تتناول نسب المواد الداخلة في تركيب وصناعة الزجاج.

ففي الألف الثاني قبل الميلاد تطورت صناعة الزجاج بشكل ملحوظ إذ عثر على نص مسماري في مدينة بابل يعود للعصر البابلي القديم (٢٠٠٠–١٥٩٥ق.م) محفوظ في المتحف البريطاني أُرخ هذا النص الى زمن الملك "كولكيشار"، ويذكر أن النص تم الكشف عنه في موقع قريب من تل عمر (سلوقيا)، ويذكر النص اسم الكاتب وهو ليبالط – مردوك (– marduk libalit) وهو ابن اوشران – مردوك (ušša–an–marduk) الذي كان كاهناً للإله مردوك في بابل (حسين، ١٩٨٥، صفحة ٧٦).

ومن المرجح أن هذا الشخص أول من عرف صناعة الزجاج بشكل نهائي وقد إحتوى النص على أقدم تسجيل لتركيبة صناعة الزجاج المخلوط مع النحاس والرصاص (راضي، ٢٠٢٠، صفحة ٧٣).

إذ قام بقراءته العالمان كامبل طومسن والسير كاد، ويعد الرقيم وثيقة قديمة تتحدث عن كيفية تحضير المواد الخاصة بعملية التزجيج الداخلي في صنع الأنية الفخارية (عباس، ٢٠٠٩، صفحة ٣١٢).

ومن هذه النصوص التي تذكر فيها النسب والمكونات الخاصة بصناعة الزجاج والتي تعود إلى العصر الآشوري الحديث، فهي:

النص (١)

((أذا أردت أن تعمل زجاج من نوع بوصو عليك أن تخلط خمس منات() من رماد بذور نبات القلي وخمس منات من مسحوق حصى الكوارتز... الخاص بزجاج "انزخو anzaḫḫu" الرجولي مع أربعة شيقلات من نبات ابيض....)) (راضي، ٢٠٢٠، صفحة ١٠٤).

النص (٢)

((لعمل زجاج من نوع بوصو يجب خلط خمس منات من بذور الكتان القلي مع خمس منات من مسحوق حصى الكوارتز... وبعد ذلك يجب إضافة كمية من زجاج انزخو الأبيض اللون)) (Oppenheim, 1970, p. 66).

نص (٣)

((انت تقوم بجمع ١٠ منات من مستخلص التيرسيتو وعشر منا من زجاج البوصو ورماد نبات الناكا المنخول وبالكمية اللازمة، و٣/٢ من مادة بيضاء و١و ٣/٢ منا من زجاج الانزاخو النظيف...) (العلاق، صفحة ٥٢).

نص (٤)

((اذا اردت ان تعمل زجاج (زاكندرو zaginduru) () الملوك عليك ان تسخن جيداً وعلى انفراد عشر منات من حجر امانكو، وخمس عشر منات من رماد مسحوق نبات ناكا و ١ و٣/٢ من نبات ابيض اللون...)) (العلاق، صفحة ٥١).

نص (٥)

((.... عليك ان تطحن بشكل جيد، وبشكل منفصل كل عشرة مينا من حجر اليمانكو، مينا من نبات "رماد" تقوم بخلط هذه معاً...)) (Oppenheim, 1970, p. 35).

نص (٦)

(لاستخلاص منا واحد من مستحضر تيرسيتو تأخذ ثلث منا من زجاج مطحون ناعم "بوصو" وثلث منا من معدن الايمانكو وخمس شيقلات من مواد خام بيضاء وتمزج هذه المواد وتطحن بشكل ناعم وتجمع البودرة المطحونة في قالب وتعجنه.... ((Oppenheim, 1970, p. 40).

نص (٧)

(منا واجد من مستحضر الترسيتو و٢ منا من معدن الشادو) (Oppenheim, 1970, p. 40).

نص (٨)

((..... تأخذ ثلاث منا من نبات التارابانو ذي نوعية مشدودة وخمس شيقلات من خام ابيض من البحر والمعمول من المرجان وشيقلان من (شرشيرو šešerrur) الوان معروفة بهذا الاسم وأربعة شيقلات من الشب الأحمر وخمس شيقلات من اصباغ الليرو، وست شيقلات من الخام الأبيض وتمزج هذه المكونات سوية...)) (Oppenheim, 1970, p. 40).

يتبين لنا من خلال استعراض هذه النصوص معرفة المكونات والنسب الخاصة بالمواد المستخدمة لعمل العجينة الزجاجية وبالأسلوب المتبع آنذاك ويجب ان تكون هذه المكونات ذات نسب معينة للحصول على زجاج جيد.

كما ذكرت النصوص المسمارية النسب والمكونات الخاصة في كيفية الحصول على اللون الأزرق من خلال ذكر المكونات، اذ اعتمد بشكل كبير على حجر اللازورد وقد عثر على هذه الصبغات في قصر الملك شروكين (سرجون الآشوري) (٧٢٢-٦٠٥ق.م) في (خرسباد دور شروكين قديماً) من العصر الآشوري الحديث (Oppenheim, 1970, p. 40).

ومن هذه النصوص التي تذكر النسب والمكونات في كيفية الحصول على اللون الأزرق الذي يعد من ابرز الألوان المميزة في بلاد الرافدين (Shiyanthi Thavappalan, 2016)، لكونه يرمز الى الصفاء والامل وقد تعدى استخدامه الملابس إذ استخدم في تزين قطع الأثاث لاسيما في قصور الملوك إذ تميز الملوك باستخدام الصبغة الزرقاء على حاجياتهم من ملابس واثاث وحلي، كما اصبح لهذا اللون قدسية وذلك لأن جواهر الالهة عشتار مصنوعة من حجر اللازورد، ولأحجار اللازورد المزينة للإلهة عشتار علاقة بالنجوم المتلألئة (الجادر، ١٩٧٢، صفحة ٢٢٠) بالسماء:: نقرا منها:

نص (١)

((ثلاث منا من مستحضر التيرسيتو وثمان منا من زجاج زوكو zukû وواحد ونصف مناً من معدن الايماناكو و١٢ شيقل من زجاج الازاخو والمكونات.... لزجاج ملون لازورد....)) (Oppenheim, 1970, p. 40).

وعند تلوين الزجاج باللون الأزرق الغامق او احد مشتقاته، وذلك يكون بزيادة نسب المواد التي تضاف اليه وهي ٩٠٠ جزء من tersitu وكذلك ٢٤٠٠ جزء من زجاج zuku و ٤٥٠ جزء من šadû و١ جزء من الملح الصخري (Thompson, 1936, p. XXXXI).

اما بالنسبة للون الأحمر فقد ذكرت النصوص المسمارية التي تعود إلى العصر الآشوري الحديث النسب والمكونات الخاصة في استخراج زجاج من هذا اللون، نقرأ من هذه النصوص:

نص (١)

((لكل مينا من زجاج زوكو zukû تأخذ عشرة شيقل من الرصاص، وخمسة عشر شيقل من النحاس، ونصف زوكو zukû وشيقل من زجاج انزاخو، ونصف من الانتيمون هذه هي المادة المستخدمة في الزجاج الأحمر الآشوري (العلاق، صفحة ٧٤)

نص أخر يذكر النسب والمكونات الخاصة بالحصول على اللون الأحمر نقرأ فيه:

((لكل مينا من زجاج زوكو نأخذ سدس شيقل من الرصاص، وعشرة شيقل من النحاس، وشيقل واحد من الانتيمون وشيقل واحد من زجاج انزاخو، هذه هي مادة الزجاج الاكادي الأحمر اللون)) (Oppenheim, 1970, p. 40)

نص أخر:

((تطحن مناً واحداً من مستحضر الترسيتو بشكل ناعم ونصف منا من زجاج البوصو ونصف مناً من معدن الامانكو.... وتمزج الخلطة فأنها تصبح زجاج ازرق محمر)) (Oppenheim, 1970, p. 40).

كما ذكرت النصوص المسمارية التي تعود إلى العصر الآشوري الحديث كيفية الحصول على الزجاج بلون البرونز، كما تنوعت الألوان التي تم تصنيعها وخلطها مع الزجاج لأستخراج انواعاً والواناً جديدة ومنها اللون البرونزي وقد ذكر في أحد النصوص ما يأتي:

((أذا أردت أن تصنع مزيج البرونز المتماسك عليك ان تصنع ... منا من رماد نبات "اخوسو aḫussu"، (أي نبات قلوي ومسحوق جص الكوارتز وان تكون كمية رماد القلي (مادة قلوية) الى كمية مسحوق حصى الكوارتز نسبة ١/ ٢ الى ١، ان كمية مسحوق حصى الكوارتز المذكور في النص هي عشر منات (أي من يساوي خمس كيلوغرامات وخمسين غراماً (٠,٠٥٠ كيلوغرام)، بينما كمية رماد القلي كانت خمسة عشر مناً (أي ما يساوي ٧ كيلوغرامات ونصف وخمس غرامات)، وما دامت كمية مسحوق حصى الكوارتز في النص هي عشر منات لذلك نخمن بان كمية رماد نبات القلي هي عشر منات او اقل من ذلك بقليل، وذلك لان الزجاج المراد تصنيعه يميل بلونه الى الحمرة فلا نحتاج باعتقادنا الى كمية من رماد القلي تزيد بمقدارها على كمية مسحوق جص الكوارتز (العلاق، صفحة ٧٠).

كما ذكرت النصوص المسمارية اللون الأخضر وكيفية الحصول عليه وكان يحضر هذا النوع من الزجاج وفق نسب ومكونات معينة خاصة من أوكسيد النحاس مع

الصودا (راضي، ٢٠٢٠، صفحة ١١٠)، وقد ورد في احدى النصوص تسمية الزجاج بالزجاج الأخضر، يرد في النص:

((ستين من الزجاج العادي، وعشرة أجزاء من الرصاص، وخمس عشر جزء من النحاس، ونصف جزء من ملح البارود (نترات البوتاسيوم) ونصف جزء من الكلس، واذا استعملت نفس المقادير وفق ٦٠، ١٥، ١٤، ١، ٢، تكون النتيجة هي الحصول على ما يعرف بزجاج اكدي)) (راضي، ٢٠٢٠، صفحة ١١٠).

وايضاً أستخدم الذهب في الزجاج وقد وصلنا إلى الوصفة الأكثر إثارة للأهتمام على الأطلاق، لجعل المرجان أحمر من خلال تضمين كمية لا حصر لها من الذهب، مع بعض المعادن غير النقية التي تحتوي على القصدير، والمشكلة أن النص قد تشوه بشكل سيء فيما يتعلق بالنص نفسه، فيمكننا أن نرى الوصفة على النحو التالي (Thompson, 1936, p. XXXI):

((٧٢٠٠ جزء من زجاج زوكو، ٣٢ (spodos)، ملون من أوكسيد الزنك ٢٠ من (ابرو) التي كانت في فترة مبكرة من الرصاص ولكن في أوقات لاحقة متقدمة أصبحت عشرة من القصدير لتحل محل الرصاص)، وكمية غير معروفة من الملح الصخري وأجزاء من KU3... والتي يمكن ان تكون فقط (GI).KU3، الذهب، KU3.BABBAR الفضةاو (C) KU3[PAD.DU] وهو امر مستحيل علمياً في الواقع انها الكمية المتناهية الصغر من U3...knoaZ هذا (7250) مما يجعل الذهب شبه مؤكد لانه لن يكون هناك جدوى من ادخال كمية صغيرة جداً من أي مادة أخرى تعرف الان كمية متناهية الصغر من الذهب عند اذابتها فما كان يعرف باسم اكواريجيا، ستعطي الزجاج لوناً احمر، (إذ اضيف كلوريد القصدير باستخدام الذهب هكذا)، من خلال هذا النص يتبين لنا ان الآشوريين كانوا قادرين على استخدام الذهب في الزجاج بعد تفككه (Thompson, 1936, p. XXXII).

اعتقد هنا حول استخدام المعادن ضمن مكونات تركيب الزجاج كان يساعد في الحصول على نوع من البريق المعدني وهذا ينطبق ايضاً على الخزف الذي يعرف بالخزف ذو

البريق المعدني فهنا الحالة مشابة تماماً وذلك بإضافة نسبة معينة من المعادن مع المكونات الأساسية من السيلكا والأكاسيد المعدنية والقاعدية لإنتاج أنواع مميزة ومتنوعة الألوان.

ثانياً: نصوص طرائق الصناعة

تعددت النصوص المسمارية التي تذكر طرائق صناعة الزجاج والخطوات المتبعة في الحصول على هذه المادة كما تذكر النصوص الافران المستخدمة في الصناعة.

ومن هذه النصوص التي تذكر كيفية الحصول على زجاج "زوكو zukû"، إذ يرد في النص:

((.....امزج الخليط جيداً وضع المزيج في فرن بارد، له أربعة فتحات للنار، وعلى ان يتوسط المزيج فتحات النار الأربعة، وعليك ان تديم اشعال نار خالية من الدخان حتى يذوب المزيج وينصهر، حينئذ عليك ان تخرج المادة المنصهرة من الفرن واتركها حتى تبرد وبعد ان تبرد اسحبها ثانية وبصورة جيدة، ثم اجمع المسحوق وضعه في وعاء "دبتوdabtu" نضيف، وضع الوعاء في التجويف الداخلي لفرن البارد، وعليك ان تديم اشعال النار جيدة وخالية من الدخان حتى يتوهج المزيج ويصبح اصفراً بلون الذهب، ثم صب المزيج على حجرة حامية بالفرن(القالب)، وهذا هو الذي يسمى زجاج "زوكوzuku")) (العلاق، صفحة ٥١) (Oppenheim, 1970, p. 35).

نقرأ في نص أخر:

((تضع الخليط في فرن بارد يحتوي على اربع فتحات من نار ثم ترتب (الخليط) من تلك الفتحات الأربعة وعليك ان تحتفظ بنار عالية وعديمة الدخان، وبمجرد ان يضيء الخليط الخاص باللون الأحمر، اخرج واتركه يبرد وعليك ان تطحنه بدقة مرة أخرى، وثم تقوم بتجميع (المسحوق) في وعاء نظيف وعليك ان تضعه في فرن حجرة باردة، وعليك ان تحافظ على شعلة النار جيدة ولا فيها دخان، وبمجرد ان يتوهج باللون الأصفر الذهبي، تصبه على طوب يعمل بالفرن، ويسمى هذا الزجاج (بزجاج زوكو)) (Oppenheim, 1970, p. 38).

وعندما تريد الحصول على زجاج "بوصو pūṣu" هناك خطوات يجب اتباعها في الحصول على هذا النوع من الزجاج والذي يذكرها النص التالي:

((..... عليك وضع المزيج في تجويف الفرن البارد، ثم عليك اضرام النار وادامة اشتعال بعد ذلك اخلط المزيج ومن ثم ضعه في وعاء "خاراكَو Ḫaragu" (CDA، صفحة ٣٢٢). واحرص على استمرار اشتعال النار، ثم اخرج (المزيج) وصبه في الماء، وبذلك نحصل على زجاج "بوصو Pūṣu " المجرب جيداً) (راضي، ٢٠٢٠، صفحة ١٠٤).

كما تذكر النصوص الطريقة الخاصة للحصول على زجاج باللون الأزرق باستخدام البرونز إذ يرد في النص:

((..... عليك وضع المسحوق في فرن بارد، ثم اضرم النار واحرص على ادامة اشتعالها حتى يبدا الزجاج بعمل خيوط، ثم ضع المزيج في وعاء "خاراكو – ḫaragu" ستعمل له غطاء وادخل إلى تجويف الفرن، ثم عليك صب (صب المزيج وهو ساخن ثم أطفئ الضوء من خلال اغلاق الفرن، ثم افتحه في اليوم الرابع (أي بعد مرور أربعة أيام من اغلاق الفرن) واخرج المزيج منه، وبذلك تحصل على زجاج جيد وبلون حجر اللازورد ومعمول من مركب النحاس)) (العلاق، صفحة ٦٨).

هذه إشارة مهمة بأنه عملية صناعة الزجاج احياناً تكون لمدة طويلة قد تستغرق عدة أيام كما هوه واضح في هذه النص ان عملية الصناعة تحتاج الى أربعة أيام لإنجاز الحصول على زجاج بالون الازوارد .

كما ذكرت النصوص المسمارية كيفية الحصول على الزجاج بلون البرونز إذ نقرأ في النص:

((نضع المواد..... في داخل فرن بارد ثم عليك اشعال نار جيدة وتديم اشعالها، ثم عليك خلط المزيج وضعه بعد ذلك في اوعية غير مستعملة وتضعها داخل الفرن ثم عليك خلط المزيج مرة أخرى وصبه بعد ذلك في ماء بارد وفي اليوم المناسب... وعليك بعد ذلك تقديم خروف ضحية امام (الاله كوبو) وان تضع البخور في الجمر، ان تكرار هذه العملية عند وضع المزيج في الفرن وذلك من اجل الحصول على نوعية جيدة من الزجاج المتماسك)) (راضي، ٢٠٢٠، صفحة ١٠٣).

كما يذكر النص ايضاً:

((كل ذلك عليك عمله... وفي اليوم المناسب عليك ان تضيء التجويف الداخلي للفرن وتضع داخله اوعية ثم عليك اضرام النار في منتصف الليل بأستخدام خشب (الحور) الذي قطع في شهر... ثم عليك ان تديم اشعال النار في موقد الفرن حتى مطلع الفجر" (العلاق، صفحة ٦٧)، وبعد ذلك عليك ان تضع..... منا من (مركب) البرونز المتماسك بواسطة المغرفة وتضعها فوق اناء، ثم عليك ان تديم اشعال نار حامية، وتعمل على مراقبتها، وحالما يبدا المزيج بالفرقعة عليك ان تصب زجاج " زوكو zukû " فوق (مركب) البرونز واحرص على استعمال اشعال النار، حتى تبدأ الفرقعة ثانية، وبعد ذلك عليك ان تفقا الفقاعات التي تتكون على سطح المزيج ثلاث مرات بواسطة أداة التحريك(الخاصة بالمزيج) وبعد ذلك تضع ثانية في الفرن، والمستحضر الناتج يدعى "ترسيتو–tersitu" وهو المناسب لعمل زجاج لونه بلون حجر اللازورد المائل الى الحمرة" (العلاق، صفحة ٥٢).

نص اخر يذكر الطريقة الخاصة في الحصول على زجاج من نوع tersitu، حيث يرد فيه:

((عليك ان تضع عشر منات من أوكسيد النحاس في وعاء dabtus نظيف، وعليك ان تضعه في التجويف الداخلي لفرن حار ثم اغلق باب الفرن، وعليك ان تديم اشعال نار جيدة وخالية من الدخان حتى يتوهج مزيج النحاس ويصبح احمر اللون، ثم هشم واسحق جيداً عشر منات من زجاج "زوكو zukû" ثم عليك فتح باب الفرن ورمي (المسحوق) على مزيج النحاس، وبعد ذلك اغلق باب الفرن ثانية، وحالما يمتزج مسحوق زجاج "زوكو zukû" مع مركب النحاس في سطح الخليط، ومركب النحاس ينزل الى اسفل الصهير، عليك تحريكه ببطئ لفترة من الزمن بأداة خاصة للمزج، وعندما يحصل المزيج على لون قرمزي، دعه يغلي لفترة من الوقت، ثم صب المزيج على حجرة حامية في الفرن وهذا يسمى عملية تحضير tersitu)) (العلاق، صفحة ٥٢).

يتبين من خلال هذه النصوص ان الصانع الرافديني قد امتاز بالدقة والمهارة في هذه الصناعة ونظراً لتطورها فأن هذه الصناعة لم تكن صناعات اعتيادية بل جاءت لتحاكي الذوق العام اذ ورد في العديد من النصوص المسمارية او خلطات تزيين الأواني

الزجاجية بالألوان الزاهية، وكذلك الحلي المصنوعة من مادة الزجاج والتي لا يكاد يخلو منها موقعاً اثرياً فيما العصور التاريخية المتأخرة.

ثالثا: النصوص الاقتصادية

ورد ذكر الزجاج في النصوص الاقتصادية من عصر أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ق.م) في نص مدون من مدينة كرسو (رشيد، ١٩٨٧، الصفحات ٢٦١ – ٢٦٣)() ، مؤرخ إلى السنة ٤٢ من حكم الملك شولكي ويتضمن النص أدوات معدنية وزجاجية متنوعة نقرأ منه:

1 ma- al-tum2 un- zaḫ ki-lá-bi 5/6 ma- na 4gin2

١ طاسة معمولة من الزجاج زنتها ٥٤ شيقل((Thurean– Dangin, (:1903) .

وفي نص آخر وردنا من مدينة اري–ساكرك (اشاركي) (الزيدي، ٢٠١٨، الصفحات ١٥١–١٦٠)() مؤرخ في السنة التاسعة من حكم الملك امارسين يتضمن النص مواد معدنية وحجرية وزجاجية كحساب رأس المال لـــــــ مات–ايلي الكاهن نقرأ منه: (Owen)

حلقة من الزجاج

الخلاصة

تم العثور على الكثير من المصادر المدونة التي تلقي الضوء على صناعة مهمة وهي صناعة الزجاج في بلاد الرافدين ومن خلال هذه الدراسة توصلنا الى الأمور الأتية:-

١-تعدد النصوص المسمارية التي تذكر نسب ومكونات صناعة الزجاج حيث ذكرت النصوص المسمارية الوصفات والنسب الخاصة بتصنيع الزجاج الملون والمواد المستخدمة لصناعة الزجاج وبالأسلوب المتبع آنذاك ويجب ان تكون هذه المكونات ذات نسب معينة للحصول على زجاج جيد.

٢-ذكرت النصوص المسمارية المكونات والنسب في كيفية الحصول على زجاج في لون معين (كالأزرق ولأحمر والأخضر) وغيرها من الألوان .

٣-تعددت النصوص المسمارية التي تذكر طرائق صناعة الزجاج والخطوات المتبعة للحصول على العجينة الزجاجية كما تذكر النصوص المسمارية الأفران المستعملة في صناعة الزجاج .

٤-تنوع الأدوات التي وردت في النصوص الاقتصادية منها أدوات معدنية وأدوات متنوعة .

٥-ورد في العيد من النصوص المسمارية خلطات تزيين الأواني الزجاجية بالألوان الزاهية وذلك الحلي المصنوعة من مادة الزجاج والتي لايكاد يخلو منها موقعاً اثرياً لاسيما العصور التاريخية المتأخرة .

المصادر العربية الأجنبية

١- أبا ذر راهي سعدون الزيدي. (٢٠١٨). *موقع المدينة السومرية اريساكرك (الشراكي) "دراسة في ضوء النصوص المسمارية"*. بغداد: مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦٥،.

٢- حسين محمد راضي. (٢٠٢٠). *كيمياء الالوان وتطبيقاتها الصناعية في بلاد الرافدين*. بغداد: جامعة بغداد كلية الاداب – رسالة ماجستيرغير منشورة , قسم التأريخ .

٣- حنون عطية عبد الرحيم و اثير احمد حسين. (١٩٨٥). *فن التزجيج في تجميل الواجهات الجدارية في العراق القديم*. ميسان: جامعة ميسان – كلية التربية – قسم التاريخ – العدد ٥٨.

٤- قحطان رشيد. (١٩٨٧). *الكشاف الاثري في العراق*. بغداد.

٥ قصي صبحي عباس. (٢٠٠٩). *فن وصاعة التزجيج في العراق القديم دراسة تحليلية في ضوء الادلة الاثرية*. بغداد: مجلة دراسات في التاريخ والاثار – العدد ١٢ جامعة بغداد كلية الأداب قسم الاثار.

٦- مهدي موسى العلاق. (بلا تاريخ). *دراسة تاريخية لتطور صناعة الزجاج*.

٧- وليد الجادر. (١٩٧٢). *الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر*. بغداد.

8- Brill, R. H. (1972). *Some Chemical Observations on the Cuneiform Glassmaking Texts," Annales du 5e Congrès de l'Association Internationale pour l'Histoire du Verre.*

9- CDA.(بلا تاريخ) .

10- Šarrāki –Āl /Cuneiform Texts Primarily from Iri-sağrig ".(بلا تاريخ) .D.I Owen *and The History of The Ur III Period".* NISABA.

11-Thurean- Dangin, F.(1903) Recueil Destablettes Chaldennes. , paris.

12- Oppenheim, L. (1970). *Glass and Glass making in Ancient Mesoptamia.* New York.

13- Shiyanthi Thavappalan, J. S. (2016). *Jens Strenger and Snow, Color and Meanthing Ancient Mesopotamia.* The Case of Egyptian Blue ZA, Band.

14- Thompson. (1936). *A Dictionary of Assyrian Chemistry and Geology.* Oxford.

طبيعة العلاقات الاقتصادية السوفيتية – التركية قبل الحرب العالمية الثاني

١٩٣٩ - ١٩٤٥

ا. م. د. معاذ هلال جاسم

طبيعة العلاقات الاقتصادية السوفيتية – التركية قبل الحرب العالمية الثاني١٩٣٩ – ١٩٤٥

ا. م. د. معاذ هلال جاسم

الملخص

شهدت العلاقات الاقتصادية بين روسيا والدولة العثمانية عدم الاستقرار وارتباطها بالعلاقات السياسية بين البلدين، وفي كثير من الفترات كانت تنقطع العلاقات الاقتصادية بسبب الحروب المتكررة بين البلدين . لكن شهدت العلاقات الاقتصادية بعد الحرب العالمية الأولى تبادل تجاري كبير وكذلك علاقات اقتصادية في كل المجالات من تبادل خبرات وتطوير مصانع ومعامل وخبراء اقتصاديين وغيرهم.

كانت للمضايق العثمانية أهمية كبيرة لروسيا، لكونها الشريان الرئيس للتجارة الروسية مع العالم الخارجي والمنفذ الوحيد للمياه الدافئة، ونجد روسيا في كل اتفاقياتها مع الدولة العثمانية ومن بعدها تركيا الحديثة تحاول الحصول على امتيازات خاصة لعبور سفنها من المضايق التركية بدون شروط في أوقات السلم او الحرب .

بعد ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ وتشكيل الاتحاد السوفيتي، سعت الحكومات بنفس نهج الروسي القديم من توقيع اتفاقيات مع تركيا تضمن فيها حرية الملاحة في المياه التركية ومن خلال مضايقها، مع تقديم عروض اقتصادية كبيرة لتركيا، وهذا ما نتج عن تطور التجارة البلدين، وإقامة اتفاقيات تجارية طويلة الأمد معظمها لصالح تركيا.

Abstract

The economic relations between Russia and the Ottoman Empire witnessed instability and connection with the political relations between the two countries. In several periods of time, these relations were interrupted due to the repeated wars between the two countries. However, these economic relations after the First World War witnessed a large trade exchange, as well as economic relations in all fields, such as the exchange of experiences, the development of

factories, complexes, and exchanging economic experts, among others. The Ottoman straits were of great importance to Russia being the main artery of the Russian trade with the external world and the only outlet for warm waters. Russia in all its agreements with the Ottoman Empire and then modern Turkey was trying to obtain special concessions for its ships to unconditionally cross through the Turkish straits in times of peace or war. After the October Revolution in 1917 and the formation of the Soviet Union, governments sought the same Old Russian approach to sign agreements with Turkey, guaranteeing freedom of navigation in Turkish waters and through its straits, in return Turkey obtained great economic offers. This led to the development of trade between the two countries, and the signing of long term trade agreements, mostly in favor of Turkey.

الكلمات المفتاحية : العلاقات الاقتصادية ، الاتحاد السوفيتي ، تركيا ، تجارية ، علاقات .

المقدمة

امتازت العلاقات الروسية – التركية تاريخيا بالتوتر والعداء ، وكثرة الحروب التي دارت رحاها بين الدولتين كان لها اثر على ضعف التبادل التجاري ، تخللتها فترات سلم بين الحرب والأخرى تنشط التجارة بينهم ، وأن المتتبع لسير العلاقات بين الجانبين السياسية والاقتصادية يلاحظ بأن طابع الصراع أوسع في الحقيقة من فترات السلم التي فرضتها بعض الظروف المحيطة و الخاصة بالبلدين . ولعل نشوء الدولة العثمانية نهاية القرن الثالث عشر الميلادي عند التخوم الشمالية الغربية لبلاد الأناضول ، وما حققته من انتصارات وما صاحبها من زخم كبير خاصة بعد فتح القسطنطينية ١٤٥٣م وإقرار تتار القرم بالتبعية لها ١٤٧٥م وتحول البحر الأسود الى بحيرة عثمانية ، وما نتج عن ذلك من جوار جغرافي للروس وقياصرتهم الحالمين دوماً بجعل دوقية موسكو دولة كبرى ، ما يفسر كثرة الصدامات المسلحة التي وقعت بينهما فالحديث عن علاقة الروس بالعثمانيين له باعه الطويل وجذوره الممتدة الى ما يقارب الخمسة قرون ، ومهما يكن من أمر فأن لهذا الصراع الطويل أسبابه المتعددة وعند الخوض في عوامل الصراع هذا لابد وأن يأتي ذكر المضايق المائية على رأس تلك الأسباب ، لذلك اثرة العلاقات السياسية على النشاط

الاقتصادي بين البلدين ، لكن نشط التبادل التجاري والاقتصادي بعد الحرب العالمية الأولى بشكل كبير، ولعبت المضايق البحرية دور في النشاط بين البلدين .

- **جذور العلاقات الاقتصادية بين البلدين**

تعود جذور العلاقات الاقتصادية بين البلدين إلى أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي ، وقد وصلت أول سفينة تجارية روسية إلى العاصمة اسطنبول في عام ١٤٩٥م ، لذا تطلب الأمر إقامة أول علاقات دبلوماسية بين الجانبي[١]

وكان لتبادل الممثلين الدبلوماسيين فيما بين الطرفين اعطى بالفائدة الكبيرة على الروس بالتحديد ، وعاد بالإيجابية على واقع الحياة الاقتصادية الروسية آنذاك ، إذ كان التجار الروس وسطاء ما بين الشرق والغرب، كان لهم حق توزيع التجارة من مختلف جهات آسيا وأوربا عن طريق الانهار التي تصب في البحر الأسود ثم عبر القسطنطينية ، حتى أنهم دخلوا في منافسة حقيقة مع التجار الانكليز وليس لهذا فحسب وانما كثيراً ما صرفت البضائع الروسية إلى الأسواق العالمية عبر المضايق التركية[2] وقد إزدادت بذلك الاهمية الاقتصادية الاستراتيجية لمضيقي البسفور والدردنيل ، ولم يكن من أمر وصية (١٦٨٢ – ١٧٥٥) وحروبه ومن بعدها حروب Peter the Greatبطرس الأكبر القياصرة الذين تلوه في حكم روسيا والتي شنت على ممتلكات الدولة العثمانية الا تأكيداً لأهمية المضايق الاقتصادية بالنسبة لروسيا ، لهذا ما يفسر ما أولته القيصرة كاترينا الثانية (١٧٦٢ – ١٧٩٦) الجانب الاقتصادي من اهمية بالغة عند عقدها لمعاهدة كوجك كينارجي Kutchuk Kentdji ، بعد انتصارها على الدولة العثمانية[3] في تموز ١٧٧٤م ومن شروط المعاهدة أن تكون الملاحة للسفن الروسية التجارية حرة ومفتوحة وغير مشروطة ويكون لها الحق في المرور في المضايق العثمانية بين البحرين الأسود والأبيض المتوسط وحرية دخول الثغور والموانئ الواقعة على سواحل البحر الأسود وممارسته التجارة فيها وتعهدت أيضا بدفع خمسة عشرة الف كيس من الذهب ، بينما كانت الدولة العثمانية في السابق وفي ذروة قوتها تفرض سيطرتها الكاملة على البحر الأسود والمضايق ، وكانت معظم الدول تحترم الشروط التي وضعتها الدولة العثمانية ، إلى حد إذا أراد الرعايا الروس ممارسة التجارة في موانئ البحر الأسود ، كان عليهم أن ينقلوا بضائعهم على السفن العثمانية تحمل العلم العثماني [4] .

- **تطور العلاقات الاقتصادية بداية القرن العشرين**

كانت هنالك علاقات تجارية بين البلدين منذ تأسيس الدولتين[٥] لكن لم تشهد تطورها كما في القرن العشرين ، ويعود سبب ذلك لكثرة الحروب بين البلدين ، ولاسيما بعد عام ١٥٦٨ ، مما أدى الى ضعف التجارة بين البلدين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨.[٦] ونشطت التجارة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

شهدت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ازدياد اهمية المضايق العثمانية على الصعيدين الاقتصادي والاستراتيجي بالنسبة لروسيا مع التنامي الكبير في الاقتصاد الروسي خصوصاً في المناطق المتاخمة للبحر الأسود إذ بلغت نسب الانتاج في تلك المناطق الروسية ٧٨% من انتاج الفحم و٧٤% من انتاج الفولاذ و٩٠% من انتاج النفط الخام ، من انتاج روسيا الكلي ، كما كان لجورجيا مكاناً للصدارة من انتاج المنغنيز في العالم ، لذا اصبح تصدير المواد الخام والمواد الأولية والزراعية على رأسها الحبوب من اساسيات الاستراتيجية لروسيا ومن الخطوط العامة في استراتيجية الدولة الاقتصادية وقد اتضح ذلك جلياً في كلمات ذكرها فايشنيكر أدسكي Vyshngr adskii وزير المالية الروسي في عام ١٨٨٠م " لكي تحصل روسيا على العملات الصعبة التي تنقل روسيا بدورها من بلد متخلف قائم على النظام الزراعي إلى بلد صناعي عصري ، عليها أن تصدر "[٧] .

ان الصادرات الروسية ، وخاصة الحبوب التي كانت تصدر من المضايق العثمانية الى غرب اوربا بلغت ٥٠% من مجمل صادرات روسيا خلال أعوام (١٩٠٠ – ١٩١٣). وتجاوزت ٥٤% من مجمل التجارة الروسية أيضا تعبر المياه العثمانية ولنفس الفترة الزمنية[٨]. لذلك ادرك الروس إن غلق المضايق ولأي سبب كان سيؤدي إلى كارثة اقتصادية بالنسبة لهم ، وقد تأكدت مخاوفهم تلك بين عامي (١٩١١ – ١٩١٢) بسبب الحرب القائمة آنذاك بين ايطاليا والدولة العثمانية والتي أدت إلى غلق المضايق العثمانية والذي اثر عملياً على الاقتصاد الروسي وتكدس الحبوب وتأثرت اسعارها بسبب غلق المضايق وحدوث اضطرابات داخل الاسواق في المدن الروسية حتى المصارف تأثرت لذلك أوقفت التعامل بالحوالات الخارجية لعدم قدرة تجارها الايفاء بالتزاماتهم في توفير البضائع في الاسواق الروسية[٩] .

بلغت الصادرات الروسية ما بين اعوام (١٩٠١ – ١٩١٣) ٣٥ مليون روبل روسي يقابلها ١٨ مليون روبل من الصادرات العثمانية إلى روسيا في ظل نفس الفترة الزمنية، لذا فلا غرابة من التصدي الروسي للنفوذ الألماني داخل حدود الدولة العثمانية ومحاولة التقليص من ذلك النفوذ الألماني في تلك المرحلة [١٠].

اثارت مخاوف روسيا من حصول المانيا على امتياز انشاء سكة حديد بغداد عام ١٨٩٨ م، والذي يعد مشروع يهدد مصالح روسيا والدول الكبرى التي لها مصالح في الأراضي العثمانية . وشهد طرح المشروع الى معارضة قوية من روسيا وبريطانيا ، واتضحت المعارضة بشكل واضح بعد الاتفاق البريطاني – الروسي حول تقسيم ايران عام ١٩٠٧م.[١١]

لكن تمكنت روسيا من التفاهم مع المانيا من خلال اتفاقية بوتسدام (Potsdam) عام ١٩١١ م ، اذ تعهدت المانيا بالاعتراف بادعاءات روسيا في ايران وعدم التدخل في الشؤون الإيرانية ، مقابل ذلك عدم اعتراض روسيا على انشاء خط حديد برلين .وكذلك ترك روسيا مشروع سكة حديد بغداد – خانقين ، وفي مطلع عام ١٩١٤م وصلت المانيا إلى تفاهم مع فرنسا بخصوص مشروع سكة حديد بغداد – برلين ، بعد اقرار الألمان بأن النظام الحديدي في شمال الأناضول الذي يربط البحر الأسود بهضبة الأناضول من اختصاص فرنسا ، وكذلك فرع الخط الحديدي إلى الاسكندرية وشمال سوريا . [١٢]

عملت الدولة العثمانية على تهيئة الظروف المناسبة لأنهاء المعارضة البريطانية بعد الاتفاق مع بريطانيا في آب ١٩١٣م ، و تعهدت بمقتضاها الدولة العثمانية بعدم التمييز بالنسبة للتجارة المحمولة بالسكك الحديدية ، وتعين عضوين بريطانيين في مجلس إدارة شركة سكة حديد بغداد– برلين وعدت البصرة هي نقطة الانتهاء بالنسبة للخط ولا يجوز تمديده جنوباً الا بموافقة بريطانيا غير ان قيام الحرب العالمية الأولى اوقف تنفيذ المشروع واوقف كل أمل الماني في الهيمنة والتعدي لمنطقة الخليج العربي ،على أن الذي يهمنا من هذا الكلام روسيا وموقفها المناهض لأي نفوذ الماني في الدولة العثمانية خوفاً على مصلحها عموماً والمضايق خصوصاً[١٣] .

ولعل السبب المباشر وراء المعارضة التي ابدتها روسيا تجاه الامتياز الألماني – المذكور – خط سكة حديد بغداد– برلين ، أن روسيا لها مطامع في الحصول على

امتيازات داخل اراضي الامبراطورية العثمانية ، وقد نالت ما أرادت إلى حد ما بعد توقيع اتفاقية ٣١ آذار عام ١٩٠٠م مع الباب العالي حول انشاء سكك حديدية على شواطئ البحر الأسود ، واسند المشروع إلى شركات روسيا بشروط مشابهة إلى تلك التي أعطيت للشركات الألمانية المكلفة بأنشاء سكة حديد بغداد– برلين [١٤] الا أن تلك الشركات (الروسية) لم تباشر بالعمل حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى والغي المشروع[١٥] .

أدى اشتراك الدولتين في حدود طويلة[١٦] إلى قيام صلات تجارية بينهما ، فلم يشغل التجار الروس دور الوسطاء لنقل البضائع ذات المناشيء المتعددة إلى الاسواق العثمانية وانما زجت الكثير من المنتجات الروسية إلى تلك الاسواق ، الأمر الذي دفع مسؤولي وارتي التجارة والصناعة الروسيتين ، أن يطلبوا من القائمين على وزارة الخارجية الروسية لإقامة قنصليات تجارية داخل مدن الدولة العثمانية[١٧] لذا افتتح مع مطلع القرن العشرين فرع لمصرف التجارة الخارجية الروسي في مدينة اسطنبول واخذت اللجان التجارية بالتشكيل داخل القنصليات الروسية في مدينتي أزمير واسطنبول[١٨] ، وارسلت روسيا معرضاً عائماً أمضى عدة ايام مبحراً في مياه البسفور عام ١٩٠٩م وقد اجتذب إليه الكثير من شرائح المجتمع العثماني وقد قدر عدد الزوار الذين زاروا المعرض الروسي بأكثر من سبعين الف مواطن عثماني[١٩] ، الا انه لم يكن هناك تلاقي ما بين الحكومة القيصرية برسالتها التاريخية باعتبارها رائدة الطائفة الارثوذكسية والتي تعد نفسها وريثة طبيعية للقسطنطينية وبين تصاعد مصالحها داخل الدولة الجارة الجنوبية ، وقد بقيت مصالح روسيا الاقتصادية بمثابة الشريان الذي يمكن تمزيقه في أي وقتٍ ممكن، في وقت كانت صادراتها تشكو في تخلف واضح في ظل أجواء تنافسية للاستحواذ على الأسواق المستهلكة بين كل من بريطانيا وفرنسا والمانيا ، ولا تعد كونها منتجات متخلفة من بلد زراعي ليس لها رواجاً في أسواق المدن العثمانية صاحبة الاقتصاد الزراعي هي الأخرى[٢٠] ولم يتجاوز مجموع الصادرات الروسية إلى الدولة العثمانية أكثر من نسبة ٢,٥% حتى عام ١٩١٣م من مجموع الصادرات الروسية إلى العالم ، و شكلت تلك الصادرات الروسية ٦% فقط من مجموع ما تستورده الدولة العثمانية بعد كل من بريطانيا بنسبة ٢٢% والنمسا ١٦% وفرنسا ١٢% والمانيا ٩% وايطاليا ٨% ولم يكن هناك وجود غرف تجارة روسية على الأرض العثمانية أو حتى ملحقات تجارية ، باستثناء اسطنبول وازمير – التي سبق ذكراها – ولم يكن هناك وجود حقيقي لأية استثمارات

لأموال روسية أو مصالح في السكك الحديدية أيضاً ويعزى ذلك كله بطبيعة الحال إلى التخلف الاقتصادي الذي كان يخيم على واقع روسيا[٢١] .

- **تطور العلاقات الاقتصادية بعد حرب الاستقلال التركية**

انقطعت الصلات التجارية نهائياً بين البلدين خلال الحرب العالمية الأولى وذلك لدخول كل دولة في كتلة معادية للأخرى ، اذ دخلت روسيا الحرب بالوفاق مع بريطانيا وفرنسا ، أما الدولة العثمانية فسارت نحو القطب الألماني بعد أن أقدم أنور باشا على ربط مصير الامبراطورية العثمانية في ٢ آب ١٩١٤م بألمانيا بعد اندلاع الحرب مباشرة في اتفاقية ، و لم يكن السلطان محمد الخامس (١٩٠٩ – ١٩١٨) راغب بدخول الحرب وخاصة ضد روسيا [٢٢].

شهدت العلاقات الاقتصادية بين البلدين تطوراً ملحوظاً بعد ظهور حرب الاستقلال التركية (١٩٢٠ – ١٩٢٣) ونظراً لحاجة تركيا الكبيرة للسلع الاستهلاكية السوفيتية بسبب انشغال الحركة الكمالية في شرق الاناضول في مواجهة الغزو الأجنبي، سعى الاتحاد السوفيتي الى زيادة صادراتهم إلى تركيا واستمرار الدعم المادي للحركة وبسخاء غير محدود وبناءً على ذلك فأن التجارة السوفيتية مع تركيا قد وصلت إلى مستويات عالية وغير مسبوقة خلال عقد العشرينات من القرن الماضي ، وارتفعت معدلاتها بسرعة أكبر من أي قطر شرقي اخر ، وأنها شكلت بين عامي (١٩٢١ – ١٩٢٣) ما يقارب ٢٥% من مجموع التجارة الخارجية السوفيتية[٢٣] . وتمثلت السلع السوفيتية التي استوردتها تركيا بالقمح والفحم والخشب والنفط والسكر والمنسوجات القطنية بالإضافة إلى معادن أخرى ، أما عن السلع التي كانت تصدرها تركيا للاتحاد السوفيتي هي الفواكه وجوز الهند والتبوغ والسجاد[٢٤] .

لم يكن دعم الاتحاد السوفيتي للحركة الوطنية التركية بشكل غير مدروس ، وانما نظر السوفيت إلى الحركة الكمالية على أنها فصيل مقاتل من فصائل الثورة العالمية وحليف غير معلن لها في عدائها لبريطانيا ، و تصرفت الحكومة البلشفية على هذا الاساس في تقديم الدعم السياسي والعسكري اللامحدود لحركة شرق الأناضول ولم يقتصر لهذا الدعم على تصدير الأسلحة و الذخيرة لتركيا أو تقديم الأموال لها فقط، وانما تعداه إلى تقديم مساعدات عينية فضلاً عن كميات من الذهب والفضة[٢٥] .

مثلت معاهدة موسكو لعام ١٩٢١م الركيزة الأساسية في سجل العلاقات بين تركيا والاتحاد السوفيتي خاصة فيما يتعلق بالمجال الاقتصادي ، كما كانت أول معاهدة دولية متكافئة تعقدها تركيا مع دولة كبرى ، وقد اولت المعاهدة جانباً كبيراً من الأهمية للجانب الاقتصادي ما بين البلدين ، اذ نصت المادة الثانية من المعاهدة على منع حرية مرور بضائعها ذهاباً واياباً خلال ميناء باطوم التابع لجورجيا السوفيتية مع اعفائها من كل الرسوم والضرائب ، كما نصت لمعاهدة على الاهتمام بطرق النقل والمواصلات بين البلدين وخطوط المواصلات الكبيرة كالسكك الحديدية وغيرها وخطوط التلغراف والبرق والبريد وكل وسائل الاتصالات الاخرى بالسرعة الممكنة (البند).[٢٦] وبعد توقيع معاهدة موسكو ازداد الاهتمام الخاص من لينين Lenin شخصياً بالمسائل المتعلقة بمنح المعنوية للشعب التركي[٢٧] كما أكدت معاهدة قارص[٢٨] Kars ٢٠ أيلول ١٩٢١م وفق المادة الثامنة عشر على وجوب الاهتمام بالتبادل التجاري بين جمهوريات القفقاس السوفيتية وتركيا من جهة أخرى وتأكيداً على ذلك ، تم عقد مؤتمر اقتصادي سوفيتي حضرته تركيا في العاصمة الجورجية تفليس بتأريخ ٢٢ آذار ١٩٢٢م لتسوية القضايا الاقتصادية والمالية العالقة بين الطرفين[٢٩] .

شهدت العلاقات الاقتصادية تحسن كبير خلال عقد العشرينات من القرن العشرين بين الدولتين لكن رغم التحسن العلاقات الاقتصادية ظهرت عقبات خطيرة منذ عام ١٩٢٣م يمكن ايجازها في النقاط التالية :-

أ- الحصانة الدبلوماسية التي كان يتمتع بها موظفو مكاتب التجارة السوفيتية في جميع المدن التركية وقد اصرت السلطات السوفيتية على بقاء تمتع موظفي مكاتبها التجارية داخل تركيا بتلك الحصانة رغم الاحتياجات المتكررة التي ابدتها لأكثر من مرة لإلغاء ذلك الامتياز[٣٠] وربما كانت تركيا قلقة من نشاطات موظفي السوفيت فيما يتعلق بنشر الفكر الشيوعي على الأرض التركية .

ب- لم تحصل الصادرات الروسية على استثناء من الضرائب والرسوم الكمركية الوقائية التركية التي نفذتها منذ عام ١٩٢٢م والتي طالما ناشدت الجهات السوفيتية لإلغائها لكن نظيرتها التركية لم تأخذ ذلك بعين الاعتبار[٣١] .

وعلى اثر ذلك الخلاف فرضت تركيا حظراً على سلع السوفيت ، كما أوقفت كل مشترياتها من حبوب القمح السوفيتي ، وعوضت عنها بالحبوب الاسترالية ، الا ان ذلك

الحظر التركي على البضائع السوفيتية لم يستمر سوى شهرين ، ورغم ذلك الحق ضرراً بالعلاقات الاقتصادية بين الطرفين ولم تحسم تلك المشاكل بصورة نهائية وضلت كمصدر قلق بين البلدين [٣٢].

يتضح مما سبق إن الحكومة التركية ومنذ عام ١٩٢٣م اتبعت سياسة اقتصادية حذرة مع نظيرتها السوفيتية ، تلك السياسة التي تناقصت مع تحسن العلاقات السياسية الرسمية التي اتصفت به العلاقات السياسية بين الدولتين[٣٣]، تطورت العلاقات التجارية بين البلدين مع بداية عام ١٩٢٤ م ،وأصبحت العلاقات التجارية منتظمة ، اذ تم الاتفاق في شهر كانون الثاني عام ١٩٢٤م ، بتصدير واستيراد البضائع بين البلدين بون ترخيص او طلب الحصول على إجازة حاصة بالتصدير ، وخاصة للبضائع التركية المصدرة الى الاتحاد السوفيتي [٣٤] وقد سمي ذلك بـــ(الوضع المؤقت للتجارة السوفيتية التركية)[٣٥] .

كانت لهذه الاجراءات اثر في ازداد حجم التبادل التجاري بين البلدين ففي عام ١٩٢٥م على سبيل المثال بلغت صادرات الاتحاد السوفيتي إلى تركيا أكثر من ستة ملايين ليرة تركية في حين وصلت الايرادات السوفيتية من الجمهورية في ذات العام إلى ما يقارب ٤,٩مليون ليرة تركية[٣٦] .

لم يمض وقت طويل حتى برزت عراقيل جديدة أمام عمليات التبادل التجاري بين البلدين ، منها عدم موافقة الاتحاد السوفيتي على منح أي رخصة لدخول السلع التركية إلى ميناء أوديسا odisa على البحر الأسود طوال شهر آيار ١٩٢٦م ، مما أدى إلى احتجاج بالغ من قبل الإدارة التركية على ذلك القرار ومن اجل تجاوز ذلك الخلاف ، التقى جيجرن chichrne وزير الخارجية السوفيتي بنظيره اراس Arase في شهر تشرين الأول ١٩٢٦م ، ورغم تلك المباحثات الثنائية لم يتوصل الأثنين إلى الحل النهائي بسبب نقطتين أساسيتين هما :-

الأولى : لم يكن الاتحاد السوفيتي راغباً بدخول البضائع الشبه كمالية التركية إلى الموانئ السوفيتية إذ عدها غير ضرورية بالنسبة له[٣٧]

الثانية : الخلاف بشأن افتتاح الاتحاد السوفيتي فروع جديدة له لوكالات تجارية في كبرى المدن التركية مثل أزمير ، ارضروم ، اسطنبول وغيرها[٣٨] .

- **اتفاقية التجارة والملاحة ١٩٢٧**

ادرك الطرفان (السوفيتي – التركي) بوجوب وضع أسس متينة وراسخة لتنظيم التبادل التجاري بينهما ، وسعى الطرفان الى إيجاد أسس تنظم العلاقات التجارية بين البلدين الاتفاق على عقد مؤتمر سوفيتي – تركي في العاصمة الجديدة أنقرة وذلك في شهر نيسان من عام ١٩٢٦م من أجل التمهيد لعقد اتفاقية ذات اسس تجارية بحتة والاتفاق على ميثاق كمركي . وعلى اثر ذلك اجتمع وزيري خارجية البلدين في منتصف كانون الثاني ١٩٢٧م بقصد عقد اتفاقية اقتصادية بين البلدين ، لكن المباحثات تلك أصابتها بعض العراقيل أيضاً ، كالمعارضة من قبل الاتراك لعدد من المطالب السوفيتية كالإصرار السوفيتي على رفضه لبعض المنتجات التركية المصدرة الى الاتحاد السوفيتي كما أثيرت من جديد مسألة الحصانة الدبلوماسية لبعض المؤسسات الاقتصادية التابعة للاتحاد السوفيتي داخل تركيا ، كما طالب الاتحاد السوفيتي بأن تكون التجارة حصراً بيد السلطتين الرسميتين السوفيتية – التركية بعيداً عن شخصيات القطاع الخاص[٣٩]. واشارت جريدة (مليت) و (وقت) التركيتين الى رغبة الطرف التركي في تلك المفوضات على اتمامها ثم عقد الاتفاقية[٤٠] ، والتي وقعت في ١١ آذار ١٩٢٧م تحت عنوان (اتفاقية التجارة والملاحة)[٤١] .

تألفت الاتفاقية من فصلين و ملحق وتكون الفصل الاول منها من تسعة مواد جاءت بنود خاصة بالمسائل الاقتصادية التي تعود لمواطن كلا الدولتين ،واهم هذه البنود ، ضمنت المادة الأولى حرية الانتقال للأشخاص مع عدم تجاوز الانظمة المحلية ، على ان يعاملوا معاملة حسنة في الدولة الاخرى (المادة الثانية) ، واعفاء المتعاقدين من كلا البلدين من الخدمة العسكرية والضرائب (المادة الثالثة) كما أمنت الاتفاقية لمواطني الدولتين حق إكتساب جميع انواع الملكيات في البلد الآخر ،ثم تحويلها بنفس الطريقة التي تضمنها تلك الدولة لمواطنيها وقد مكنتهم (المادة السادسة) ضمن الفصل الأول من القيام بفعاليات اقتصادية مختلفة سواء كانت تجارية أم صناعية بالإضافة الى اعمال اخرى بنفس القيود المفروضة على مواطني الدولة المفضلة ، اما (المادة الثامنة) أعطت مواطني الدولتين المتعاقدين في حالة انتقالهم الى اراضي البلد الام من كل اشكال الضرائب والرسوم عليهم وعلى بضائعهم.

اما الفصل الثاني : تطرق الى قضايا التجارة والملاحة الخارجية وقد أعطت تركيا الوفد التجاري السوفيتي مع وكالاته الحق بتنفيذ بعض من النشاطات التجارية على الأرض التركية مثل :

- للاتحاد السوفيتي الحق بإدارة مصالحه بخصوص التجارة الخارجية .
- تنسيق التجارة الخارجية (عملية التبادل) بين الحكومتين .
- وضع أسس متينة ومتطورة لتعزيز العلاقات الاقتصادية بين تركيا والاتحاد السوفيتي[٤٢] .

وافقت الإدارة التركية ضمن المعاهدة على عد الوفد التجاري السوفيتي جزءاً من السفارة السوفيتية داخل تركيا وبذلك أعتبر الممثل التجاري ووكيله جزءاً من مؤسسة السفارة السوفيتية لهم ما للسفارة من حصانة دبلوماسية (المادة العاشرة) ويعتبر ذلك مكسباً للسوفيت وتراجعاً حقيقياً من قبل تركيا التي دائما ما كانت ترفض الاستجابة لهذا الطلب السوفيتي ، كما إتفق الطرفان وفق (المادة الخامسة عشر) على السماح للممثلية التجارية السوفيتية لفتح فروع لها داخل كبرى مدن وموانئ تركيا في إسطنبول وطرابنزون وارضروم وغيرها وفي مقابل ذلك وافق السوفيت على إعطاء تركيا حرية المرور لبضائعها المصدرة من خلال باطوم الى البلدان الشرقية (المادة الثامنة عشر) ونصت المواد (٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) على تنظيم الملاحة إذا اشارت الى تمتع السفن التي ترفع علم اي من الطرفين المتعاقدين أثناء الدخول والخروج من مياه الطرف الآخر سواء كانت فارغة أو محملة كما أشارت تلك المواد العشرينية الى حق الجانبين في طلب شهادة صادرة عن كل من الدولتين توثق منشأ البضائع والسلع والصناعات المتبادلة[٤٣] .

أما عن البروتوكول الذي الحق بالاتفاقية التجارية ، فقد جاء بصدد من التأكيدات التي طمأنت الطرفين من بعض المخاوف التي ساورت تجاه بعض مواد الاتفاقية نفسها ، منها فيما يتعلق بالبند الثامن العشر إذا أقر الملحق بتبعية المنظمات التجارية والمتواجدة في كلا الدولتين الى الأنظمة والاسس الاقتصادية والمحلية بجميع أنواعها ولهذا ما بدد مخاوف

الاتراك من نشاط الممثليات التجارية السوفيتية داخل تركيا ، اذ كانت الحكومة التركية ترى فيها مقراً لمزاولة الأنشطة الاشتراكية .

وفي ٣٠ آذار صادقت الحكومة السوفيتية على المعاهدة ، وفي ٢١ آيار صادق عليها المجلس الوطني الكبير التركي ، وفي ٤ حزيران تبادل الجانبان وثائق التصديق لتدخل الاتفاقية مجال التنفيذ(٤٤) .

ويمكن القول إن اتفاقية ١٩٢٧م التي تعتبر أول اتفاقية تجارية سوفيتية – تركية في تأريخ البلدين(٤٥) قد وضعت الأسس القانونية للتبادل الاقتصادي بين الدولتين ، كما انها ساعدت على التبادل التجارة بينهما بشكل لا يستهان به(٤٦) . وعلى الرغم من صفر حجم نصيب الاتحاد السوفيتي في تجارة تركيا الخارجية نسبياً التي تراوحت في المدة من ١٩٢٣م الى ١٩٢٨م بين ٢% و ٣،٧% بالنسبة للتصدير و ٢،١ % و ٥،٤% بالنسبة للاستيراد ، فأن العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي كان لها بالنسبة الى تركيا أهمية كبيرة ، لآنها كانت تساعد على تصدير البضائع التقليدية التركية وتؤدي إلى سد احتياجات الداخلية من بضائع الضرورة الاولى(٤٧) .

- **الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩–١٩٣٣) وأثرها على العلاقات الاقتصادية بين البلدين**

ساعد الاتحاد السوفيتي خلال فترة الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩–١٩٣٣) تركيا ،والتي بدأت الازمة في الولايات المتحدة الامريكية ، ولتأثر على اقتصاد دول العالم ، باستثناء الاتحاد السوفيتي الذي لم يتأثر بها نظراً لطبيعة تكوين نظامها السياسي والاقتصادي ، وقع الاتحاد السوفيتي وتركيا معاهدة تجارية ثانية في ١٦ حزيران١٩٢٧ ، وكانت هذه المعاهدة من اجل التجار الاتراك ،واصبح من حق التاجر التركي عقد صفقاتهم التجارية مع الاتحاد السوفيتي من خلال الممثلية التجارية للاتحاد(٤٨). ولم تكن المعاهدة الشيء الوحيد الذي قدمه الاتحاد السوفيتي لتركيا في هذا الشأن ، ففي ١١ تشرين الثاني وافق الاتحاد السوفيتي الى تأسيس شركات تجارية مشتركة مع تركيا ،كما أسس

مصرفاً زراعياً وثانياً صناعياً وثالثاً للمعادن ، كما فتحوا أبوابهم لدخول البضائع التركية بعد أن تناقضت صادرات الأخيرة بسبب الازمة المذكورة اعلاه[٤٩] وسعى الاتحاد ايضاً الى استقرار العملة الوطنية التركية من خلال شراء جزءاً كبيراً من أسهم الاتحاد المصرفي العام وتحويله الى تركيا [٥٠]. وقد ساعد ذلك لاحقاً على التخفيف من آثار الازمة الاقتصادية العالمية على تركيا ، ونتيجة لتلك العلاقات الحسنة بين الطرفين وبعد عدة مباحثات تم التوصل في ٨ آيار ١٩٣٢م الى عقد اتفاقية حصلت بموجبها تركيا على قرض بقيمة ٨ ملايين دولار دون فائدة تذكر[٥١] كما تعهد الاتحاد السوفيتي باستقبال المتخصصين والفنيين الاتراك في المدارس والمعاهد السوفيتية لنقل الخبرات الفنية لبلدهم[٥٢] وقد قال عصمت أينيو Ineneu في اثناء زيارته للاتحاد السوفيتي مع مطلع العام ١٩٣٣م وهو يتجول في إحدى مصانع الاتحاد في كلمات لا تخلو من المجاملة والتملق : ((إن منتوجات الصناعة السوفيتية الجميلة تنهض في حياتنا الصناعية رمزاً لصداقة خالدة))[٥٣] كما كانت تركيا كثيراُ ما تستورد من الاتحاد السوفيتي خلال عقد الثلاثينيات المكائن والمعدات اللازمة لمصانعها وعلى رأسها مصانع النسيج وغيرها[٥٤] .

- **العلاقات الاقتصادية حتى عام ١٩٣٩**

حصلت تركيا على مكاسب اقتصادية أخرى عندما وقعت على معاهدة مع الاتحاد السوفيتي في العام ١٩٣٤م بخصوص منح الائتمان الوطني لتركيا والذي كان بمثابة ابرز معالم لهذه المرحلة التاريخية فضلاً عن مساعدات الفعالة في مجالات الانشاء الصناعي وتدريب المتخصصين الصناعيين الاتراك . ولم تقتصر المعونات السوفيتية للأتراك على الاموال والاغراض الصناعية بل شملت كذلك الخبرة الفنية في مجال التخطيط الاقتصادي وكان لتوجيهات بعثة خبراء السوفيت الاقتصاديين مشاركة حتمية في رسم الخطة الخمسية (١٩٣٤ – ١٩٣٨) في الجمهورية التركية[٥٥] .

ورغم الحفاظ على تلك الصداقة حتى عام ١٩٣٤م فأن فتوراً تدريجيا في العلاقات بدأ بالظهور نظراً للإجراءات التي اتخذها مصطفى كمال بسبب شكوكه المتزايدة من نشاطات السوفيت السرية ضمن الحدود التركية اولاً والتحول التدريجي باتجاه الدول الغربية ثانياً[٥٦] .

اما ما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية التركية – السوفيتية على الرغم من الاندماج السوفيتي في اقامة مشاريع صناعية في صناعة تركيا وتقديم مساعدات مالية على شكل قروض بدون أي فوائد لمنع تقارب تركيا مع الغرب ، الا ان تلك العلاقات لم ترق الى مستوى العلاقات السياسية بينهما ، والشيء نفسه ينطبق على العلاقات التجارية بين تركيا والاتحاد السوفيتي عند مقارنتها مع تركيا وغيرها من دول العالم ، بسبب العراقيل التي وضعها السوفيت بوجه التجارة التركية[٥٧] ، ومهما يكن من أمر قد اسهم المجهود السوفيتي من الناحية الاقتصادية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية في نهوض واقع تركيا الاقتصادي ، وفي الايام القليلة التي سبقت الحرب الأخيرة احتفظت تركيا بتعامل اقتصادي نشط مع المانيا وبعلاقات قائمة بعد ما اصابها الضعف وعدم الثقة بالاتحاد السوفيتي. ولم تشهد العلاقات التجارية والاقتصادية بين عامي ١٩٣٤-١٩٣٨ تطور كبير ، لدخول المانيا باتفاقيات تجارية كثيرة مع تركيا وتسهيلات للتجارة مع المانيا. [٥٨]

الخاتمة

اتسمت العلاقات الاقتصادية بين الروسية القيصرية والدولة العثمانية بعدم الاستقرار ولم تشهد نشاط تجاري بشكل متميز حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

كانت الحروب المستمرة بين البلدين والصراع على توسيع ممتلكاتهم له الأثر في ضعف التجارة وخاصة في القرن الرابع عشر والخمس عشر وحتى القرون التي تلتها حتى نهاية القرن التاسع عشر ، ولم يتم توقيع اتفاقيات تجارية بين البلدين خلال الفترة المحددة لها اثر على تطوير العلاقات الاقتصادية .

كانت المضايق البحرية العثمانية الشريان الرئيسي للتجارة الروسية ، اذ بلغت ٨٠% من تجارتها تمر من خلال المضايق العثمانية التي تصدر الى اوربا ودول العالم . وان أي نشاط عسكري او حروب كانت لها اثر على غلق المضايق يؤثر على الاقتصاد الروسي وتجارتهم كما حدث عندما غلقت المضايق خلال الحرب العثمانية مع انطاليا (١٩١١-١٩١٢) ، لذلك سعت روسيا بكل الطرق السيطرة او استحصال اتفاقية تمنح الروس امتيازات العبور من خلال المضايق بدون شروط .

شهدت العلاقات الاقتصادية تطور كبير بين البلدين بعد الحرب العالمية الأولى وتبادل للخبرات الاقتصادية وللوكالات التجارية بين البلدين وتعززت بشكل كبير قبيل الحرب العالمية الثانية

الهوامش :

(١) كمال مظهر أحمد ، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، تعريب : محمد الملا ، بغداد – ١٩٧٧ ، ص٥٣ .

(٢) ماركس وآنجلز ، حول روسيا ، تعريب جورج طرابيشي ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص٢٢ .

(3) D.S Mergolinth , " Turkish Diplacy in Eighteenth century , century ((the muslim world)) vol.vll , No.1 , London , jonuuery , 1917 , P.37 .

(4) Harry N.Howard , the problem of the Turkish straits , Washington , 1947, P. 14 – 15 .

(٥) كمال مظهر أحمد ، مصدر سابق ، ص٥٣ .

(6) J.A.R Morriott the Eatern Question : an Historical study in Euopean Diplomoacy , Oxford , 1969, P.43 .

(7) A. Bodger Russia and the End ottoman Empire " in the great powers and ottoman Empire " , Edited by Merien Kent London 1984 , P.83 .

(٨) توفيق علي برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ، ص ٣٩٨ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ – ٣٩٩ .

(10) Bod ger , op. cit , P.84 .

(١١) كاظم باقر علي ، البحرية الفارسية في الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٣٥ – ٣٦ .

(١٢) كاظم باقر علي ، المصدر السابق ، ص٣٥ – ٣٦ .

(١٣) الكسندر آلوف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، تعريب : هاشم صالح التكريتي ، البصرة ، ١٩٨٩ ، ج١ ، ص٢٨١ .

(١٤) صالح هاشم التكريتي ، الصراع الروسي – الانكليزي حول المضايق ١٩١١م ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٦ ، ١٩٧٣ ، ص٤٢٣ .

(15) Howard , the prtition of the Turkey , P.49 .

(١٦) تشترك تركيا مع روسيا في حدود يبلغ طولها ٣٧٠ ميلاً ، للمزيد ينظر : فؤاد عبد الله ، تركيا بين التصدع الداخلي واستراتيجيات الأطلنطي ، السياسة الدولية ، العدد ٧٣ ، ١٩٨١م ، ص١٧٢ ؛ أحمد نوري النعيمي ، تركيا وحلف الشمال الأطلسي ، ص٤٦ .

(١٧) كمال مظهر أحمد ، كردستان في سنوات الحرب ، ص٥٦ – ٥٧ .

(١٨) تايلور ، أصول الحرب العالمية الثانية ، ص٥٦٥ .

(19) Bod ger , op. cit , P.86 >

(20) Bod ger , op. cit , P.84 .

(21) I bid , P.84 – 86 .

(22) Roderic H. Davison , Turkey a short History London 1988 , P.115 .

(23) Edward Reginald , Turkish foreign policy (1918 – 1948) im preimerie Franco – Suisse Ambily – Annemasse , 1950 , P. 70 .

(24) I bid , P.71 .

(25) Gürün , Kamaren , Turk – soviet I lisklere 1920 – 1953 , Ankara , 1991 , S.12 .

(٢٦) ــــــــــــ ، العلاقات الاقتصادية التركية – السوفيتية (المراحل والميول) ، سلسلة الدراسات المترجمة رقم (٤) عن سلسلة الدراسات الشرقية في الاتحاد السوفيتي ، رقم (٥) لعام ١٩٨٢ ، الجامعة المستنصرية ، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، تعريب : هجير عدنان ، ص٥ ؛

Hurewitz , the middle East and north Africa in world … , P.250 .

(٢٧) ــــــــــــ ، العلاقات الاقتصادية التركية – السوفيتية (المراحل والميول) ، ص٥ .

(٢٨) وفقاً للبند الخامس عشر من اتفاقية موسكو ١٩٢١م بدأت مفاوضات لعقد معاهدة بين جمهوريات القفقاس الثلاثة (ارمينيا ، جورجيا ، اذربيجان) على غرار اتفاقية موسكو – السابقة الذكر – ، وعلى هذا الاساس افتتح مؤتمر قارص ٢٦ أيلول ١٩٢١م وقد مثل فيه تركيا عضو مجلس الشعب كاظم قرة بكر قائد جبهة القفقاس ووفداً مشتركاً عن جمهوريات القفقاس كما حضر المؤتمر مندوبين عن السوفيت ضمنهم السفير الروسي ياكوف غانتسكي بصفة مراقب ، وقد تكونت هذه الاتفاقية من ٢٠ مادة و٣ ملاحق تشبه إلى حد كبير في محتواها لما جاء في معاهدة موسكو بدرجة عالية ، خصوصاً بما أقرته معاهدة موسكو بشأن أقاليم قارص واردهان وباطوم . ينظر

Zhkov , (et. el) , op . cit , P.40 .

(29) I bid .

(30) Edward , op. cit , P.70 .

(31) Altemur Kilic , Turkey and the world , Washington , public Affairs press ,1959 , P.56.

(32) Edward , op. cit , P.70 .

(٣٣) حنا عزو بهنان ، العلاقات التركية السوفيتية (١٩٢٥ – ١٩٣٥) ، ص١٢ .

(٣٤) بيوتر موييسف ، الاتحاد السوفيتي – تركيا نصف قرن من التعاون الاقتصادي ، مجلة العلوم الاجتماعية والعصر ، اصدارات اكاديمية العلوم السوفيتية ، موسكو ، ١٨٨٣ ، ص٩٠ .

(٣٥) انتصار زيدان الجنابي ، العلاقات السوفيتية – التركية ، ص١٦٣ .

(36) Edward , op. cit , P.214 .

(37) DVPSSSR , T vIII , No. 219 , str. 370 .

(38) DVPSSSR ,I.Ix , str. 640 .

(39) Toynbee Arnold , Survey of Inter national AFFFairs (1928) , London , 1929 , p.368 .

(٤٠) جريدة الاستقلال ، ٧ آذار ، ١٩٢٧ .

(41) Dvpsssr , T.X , No .48 , str . 80 – 85 .

(42) I BID , P.85 – 88 .

(43) Degras , Vol.II , p.168 – 173 .

(44) Dvpsssr , T.V II , No . 48 , str . 101 .

(٤٥) بيوتر موبيسيف ، مصدر سابق ، ص ١٠ .

(46) A.D. Novichev , Turtsiya , kratkaya , Istoriya moskova , 1965 , str.177 .

(٤٧) انتصار زيدان الجنابي ، العلاقات التركية – السوفيتية (١٩٢٣ – ١٩٢٧) ، ص ٢١٦ .

(48) Gürün Kamaren , op.cit . s. 118 .

(٤٩) (د . ك . و . ع) تقرير ، المفوضية العراقية في انقرة لشهر آذار ١٩٣١ ، الى وزارة الخارجية في بغداد ، رقم ١٩٦٠ ، ملف ٧١٧ / ٣١١ ، وثيقة رقم ٣٦ ، ص ١٠٠ .

(٥٠) بيوتر موييسيف ، مصدر سابق ، ص ٦ .

(٥١) سعاد حسن جواد ، تركيا في سنوات الحرب العالمية الثانية ، ص ٣٣ .

(٥٢) كمال المنوفي ، مجلة السياسة الدولية ، تطور العلاقات السوفيتية – التركية ، العدد ٢٤ ، القاهرة ، نيسان ، ١٩٧١ ، ص ١١٦ .

(٥٣) رودي مكريدس ، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم ، تعريب : حسن صعب ، بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٥٨٣ .

(٥٤) بيوتر موييسيف ، مصدر سابق ، ص ١١ .

(55) Fischer , The soviet in world AFFiare .... , p.281 .

(٥٦) حنا عزو بهنان ، العلاقات التركية – السوفيتية (١٩٢٥ – ١٩٣٥) ، ص ٢١ .

(٥٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

(٥٨) سعاد حسن جواد ، تركيا في سنوات الحرب العالمية الثانية ، ص ٦٣ .

ديوان الانشاء في عهد الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤م)

Diwan of construction in the era of the Rasulid state(626-858 AH/ 1229-1454 AD),

م . فاتن كامل شاهين

٠٧٧٣٤٩٣٨٤٤٣

Faten kaml Shaheen

مديرية تربية كربلاء المقدسة / fatn kaml 84gmail.com

ديوان الانشاء في عهد الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤م)

م . فاتن كامل شاهين

الملخص

تعد الدولة الرسولية التي حكمت بلاد اليمن (٦٢٦-٨٥٨هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤م) ، احدى الدول الإسلامية التي كان لها نصيب وافر في الدراسات التاريخية المعاصرة ، ولعل من أسباب اهتمام الدارسين بها ان هذه الدولة استطاعت ان توحد اليمن ، كما انها كانت من اكثر الدول استقراراً واطولها بقاءاً ، ولها حضوراً سياسياً في التاريخ اليمني ، لذلك اهتمت اهتماماً كبيرا بديوان الانشاء الذي عد مظهر من مظاهر الاستقرار والاصالة السياسية والإدارية والعلمية .

الكلمات المفتاحية : الدولة الرسولية ، اليمن ، ديوان الانشاء ، السياسة ، الدراسات التاريخية .

Abstract

The Rasulid state that ruled the country of Yemen (626-858 AH/ 1229-1454 AD), is one of the Islamic countries that had a great share in contemporary historical studies, perhaps one of the reasons for the students ' interest in it that this state was able to unite Yemen. It has been stable and longest lasting, as it has political presence in Yemeni history,Therefore, It paid great attention to the creation office, which is considered a mainifestation of stability and political, administrative and scientific originality.

Key words: The Rasulid state, Yemen, the creation office politicsK, Historical studies.

المقدمة

عنيت الدولة الرسولية بديوان الانشاء عناية كبرى ، واتخذته وسيلة لرفعة قـدرها ونشرها في الافاق ذلك ان كتابه يشيدون بمجد الرسوليين فيما يكتبون من رسائل وغيرها، فيعنون في قلوب الشعب اجلالهم وتقديسهم ، كما ينشرون اسمهم محاطاً بهالة من التعظيم في انحاء العالم ، ولهذا كان لا يرأس هذا الديوان الا اجل كتـاب البلاغـة ، ويخاطـب بالشيخ الاجل ويدعى ، بكاتب الدست .

وعدت الدولة الرسولية ديوان الانشاء مظهراً مـن مظـاهر الاسـتقرار والاصـالة السياسية والإدارية والعلمية ، ذلك ان الديوان قد تركزت فيه بحق كـل صـور البراعـة الدبلوماسية ، والمهارة السياسية والحنكة الإدارية ، والقدرة البلاغية والثقافة العلمية ، فهو اشبه بوزارة الخارجية في وقتنا الحاضر ، فمنه تصدر المراسلات الرسمية الخارجية من السلاطين الرسوليين الى غيرهم من الحكام المسلمين وغير المسلمين ، ويشـرف رئيسـه على المفاوضات المتعلقة بأمور داخلية او خارجية ،

ومن هنا جاء اختيارنا لدراسة " **ديوان الانشاء في عهد الدولة الرسـولية (٦٢٦-٨٥٨هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤م)** " لتسليط الأضواء على أهمية ودور ووظـائف ديـوان الانشاء باعتبار ان الإدارة في الدولة الرسولية كانت تدار كما كان سابقاً بواسطة سـلطة الدواوين .

اقتضت حاجة البحث الى تقسيمه على مبحثين تسبقها مقدمة وتتلوه خاتمة تضـمنت اهم النتائج التي توصلت اليها الباحثة ، وقائمة باهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليهـا البحث .

خصص **المبحث الأول** لدراسة " **تاريخ الدولة الرسولية** " ، وقد انتظم في **ثلاثة نقاط** ، تناولنا في **النقطة الأولى** : " اصلها " ، وركزنا **في النقطة الثانية** : " وصولهم لليمن " ، **اما النقطة الثالثة** فقد ذكرنا فيها " اعلان قيام دولتهم " .

وافردنا **المبحث الثاني** لدراسة " **ديوان الانشاء وظائفه ومهامه** " ، وشمل **ثلاثة نقاط** : ركزنا في **النقطة الأولى** على " تعريف ديوان الانشاء " ، **والنقطة الثانية** تضمنت " مراحل تطور ديوان الانشاء " ، **والنقطة الأخيرة** ذكرنا فيها " وظائفه " .

المبحث الأول / تاريخ الدولة الرسولية

١- اصل بني رسول

ينسب الرسوليون الى جدهم محمد بن هارون بن ابي الفتح بن يوحي بن رستم الملقب برسول . (١)

اما اصلهم فقد كان مثار الخلاف بين المؤرخين ، فمن قائل انهم من التركمان (٢) ، ومن قائل(٣) انهم من الاكراد (٤)، والبعض ينسبهم الى الفرس . (٥)

بينما يذهب اخرون الى انهم من أصول عربية غسانية ، خرجوا الى بلاد التركمان ، واستوطنوها فلحقت بهم هذه النسبة . (٦)

الا ان العديد من الدراسات ، التي تناولت في ثناياها النسب الرسولي اكدت نسبتهم الى التركمان ، وان انتسابهم للأصول اليمنية ، لا يعدوا كونه محاولة لصبغ حكمهم بالصبغة الوطنية على اعتبار انهم ورثة ملوك اليمن القدامى ، مما يكسبهم الشرعية في سلطان اليمن دون غيرهم ، (٧) ويؤيد ذلك ما صرح به **الجندي** (٨) مؤرخ اليمن بوصفهم بالغز (٩).

وعن سبب تلقيب جد الاسرة برسول ، يقول **الخزرجي** [١٠] : " **وكان محمد بن هارون ، جليل القدر فيهم فأدناه الخليفة العباسي وأنس به واختصه برسالته الى الشام ومصر ، ورفع الحجاب فيما بينه وبينه فأطلق عليه اسم رسول وشهر به وترك اسمه الحقيقي حتى جهل ... ثم انتقل من العراق الى الشام ومن الشام الى مصر** " [١١] .

ويبدو ان الخزرجي أراد بهذه الرواية ، صنع ماضٍ مرموق لجد الاسرة يتلاءم ومكانتها ابان معاصرته لها ، اذ يكتنف الرواية الابهام والغموض ، فهو لم يذكر اسم الخليفة الذي اتخذه رسولاً ، كما لم يعلل تركه العراق ودار الخلافة وهو الحظي عند الخليفة والمقرب منه ، اضف الى ذلك سكوت المصادر عن ذكره وهو من ارباب الوظائف ، ناهيك على ان من يختص بحمل رسائل الخلفاء ويترسل لهم يعرف بالفيج او الساعي او الفرانق . [١٢]

ويؤيد ما ذكر انفاً ، بل ويخطأ رواية الخزرجي من أساسها ، ما أورده **السلطان الأفضل** [١٣] ، اذ يقول : " **أبو المحاسن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ... ولد جده في بلد التركمان** " .

ولعل هذا النص يساعد في كشف بعض الغموض الذي أحاط بهذه الاسرة قبل قدومها اليمن اذ يفيد بأن والد المنصور مؤسس الدولة علي ، ولد بأرض التركمان ، وهذا يعني انه التحق بخدمة نور الدين الزنكي [١٤] ، ثم خرج الى مصر في معية صلاح الدين الايوبي (ت٥٨٩هـ / ١١٩٣م) [١٥]، وعمه اسد الدين شيركوه (ت٥٦٤هـ / ١١٦٨م) ، وبعد انفراد صلاح الدين بأمر مصر ، يبدوا ان علي بن رسول قد بقي في خدمة الايوبيين وتدرج في الجندية ، حتى اوفد الى اليمن سنة (٥٧٩هـ / ١١٨٣م) [١٦] في حملة طغتكين بن أيوب (٥٧٩-٥٩٣هـ / ١١٨٣-١١٩٦م) [١٧]

٢- وصول الرسوليين اليمن

سبق الإشارة الى ان مقدم بني رسول الى اليمن كان بصحبة الملك سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة (٥٧٩هـ / ١١٨٣م) ، الا ان المصادر لا تمدنا بشئ من

اخبارهم خلال هذه الفترة ، سوى ما أورده بعض المؤرخين عن المكانة الخاصة التي حظي بها علي بن رسول لدى السلطان طغتكين [١٨] وتوليه اعمال حيس [١٩] .

الا ان ظهورهم على مسرح الاحداث وبشكل بارز ، كان في سنة (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) حين اسند اليهم الاتابك سنقر (ت٦٠٨هـ / ١٢١١م) عدداً من المناصب الإدارية والسياسية . فولى الامير علي بن رسول حصن حب [٢٠] ، وابنه أبا بكر وصاب [٢١] كما عهد ريمه [٢٢] الى أخيه الحسن ، الذي ولي فيما بعد اعمال حرض [٢٣] والهلية [٢٤] بمساعدة أخيه نور الدين عمر . [٢٥]

وما من شك ان تولي امراء بني رسول لهذه المناصب ، يدل على كسبهم ثقة السلاطين ، وذلك لما تميزوا به ، من براعة في القيادة وحسن تدبير .

٣- اعلان قيام الدولة الرسولية

ما ان وصل خبر وفاة الملك المسعود سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) [٢٦] لليمن ، حتى شرع نائبه الأمير نور الدين عمر في العمل على الاستقلال بما تحت يديه من اعمال، وهو يظهر الولاء والقيام بأعمال النيابة للايوبيين ، فأخذ يولي على المدن والحصون من يثق في ولائه ، ويعزل ويأسر من يخشى خلافه ، وانطلقت مسيرته من زبيد – قاعدة الحكم آنذاك – وبعد ان بسط سلطانه على الاعمال التهامية ، [٢٧] توجه نحو الجبال ، اذ كان عليه مواجهة القوى المناهضة له داخليا آنذاك والمتمثلة في ثلاث جبهات [٢٨] :

اولهما : زوجة الملك المسعود المشهورة باسم " بنت جوزا " وتعرف بالست ام قطب الدين ، وكانت تحتمي بحصن تعز . [٢٩]

ثانيهما : اشراف بني حمزة [٣٠] من الزيدية . [٣١]

ثالثها : الأمير نجم احمد بن زكري صاحب صنعاء . [٣٢]

ولقد عمل نور الدين على مباغته خصومه ، والانفراد بكل منهم على حدة ، والسرعة في مواجهتهم لاحتواء خطرهم ، مع السعي الى ضم الأجزاء الأخرى من البلاد فسار الى حصن تعز وحاصره مرتين حتى اخذه صلحاً ، ثم عقد على الست ام قطب الدين وتزوجها ، كان ذلك في سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) [٣٣] كما عقد في السنة نفسها صلحاً مع الاشراف من بني حمزة ، تعاهدوا فيه على المناصرة ، وحثوه على الاستقلال بالأمر ، فأقرهم على بلادهم . [٣٤]

ولم يبق بعد ذلك امام الأمير نور الدين سوى صاحب صنعاء ، الذي ما كان منه سوى طلب العفو والدخول في طاعة الأمير ، فعفا عنه وانعم عليه بمدينة المهجم [٣٥] اقطاعاً . [٣٦]

وبعد ان تمكن نور الدين عمر من احتواء القوى المناهضة له ، وبسط نفوذه على معظم بلاد اليمن ، قام بخلع طاعة الايوبيين وإعلان استقلاله بأمر اليمن ، وتلقب بالملك المنصور ، واتخذ من مدينة تعز عاصمة له ، وكان ذلك في سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) [٣٧]

ولاستكمال مظاهر الاستقلال وشعاراته ، قام الملك المنصور سنة (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) بضرب السكة [٣٨] بأسمه ، وامر الخطباء بالدعاء له بالمساجد . [٣٩]

وعملاً لإكساب ولايته الصبغة الشرعية ، اوفد المنصور رسله الى الخليفة العباسي المستنصر بالله جعفر بن الظاهر (٦٢٣-٦٤٠هـ / ١٢٢٦-١٢٤٢م) [٤٠]في بغداد طالباً منه التفويض ، فوصله التقليد سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) وارتقى رسول الخليفة المنبر وخطب قائلاً : " **يا نور الدين ان العز يقرئك السلام ويقول : قد تصدقت عليك باليمن وولايتك إياه** " [٤١] .

ولا شك ان انشغال الايوبيين بالمنازعات القائمة فيما بينهم ، قد مهد للملك المنصور الاستقلال بملك اليمن [٤٢] ، بل ان المنصور عمد الى مهاجمة الحامية الايوبية [٤٣]في مكة سنة (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) ، ويرجع ذلك فيما يبدو لخشيته من محاولة الايوبيين استرداد اليمن ، ولكون الحجاز المعبر الوحيد للقوات الايوبية لليمن ، لذا عمد الى بسط سلطانه عليه ، او على اقل تقدير نقل أي مواجهة محتملة مع الايوبيين الى خارج حدود اليمن ، ولقد توالت الحملات الرسولية على الحجاز حتى كان لهم ضم مكة سنة (٦٣٩هـ / ١٢٤١م) . [٤٤]

ومما سبق القول ان التاريخ الحقيقي لقيام الدولة الرسولية يرجع الى سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) ، السنة التي خلع فيها الملك المنصور طاعة الايوبيين، واعلن قيام دولته [٤٥] وتعتبر الفترة بين (٦٢٦-٦٢٨هـ / ١٢٢٨-١٢٣٠م) هي فترة مكملة للحكم الايوبي لليمن لكون المنصور كان قائماً بأعمال النيابة لبني أيوب . [٤٦]

وبقيام هذه الدولة ، دخلت بلاد اليمن حقبة تاريخية جديدة ، عدها البعض ، ازهى فترات الحضارة الإسلامية في التاريخ اليمني الوسيط . [٤٧]

كما تعتبر الدولة الرسولية من اكبر الدول المستقلة في جنوب الجزيرة العربية ، والتي امتد سلطانها ليشمل اغلب اليمن ، وتهامة [٤٨]وحضر موت [٤٩]وظفار [٥٠]، كما ضم في فترات أخرى الحجاز . [٥١]

ومما يلاحظ ان لقوة الدولة وضعفها اثر واضح في اتساع نفوذها وانحساره ، فتارة يمتد نفوذها الى مكة وأخرى ينحصر في بعض الحصون الداخلية في اليمن .

المبحث الثاني / ديوان الانشاء وظائفه ومهامه

١- تعريف ديوان الانشاء

اسم مركب من مضاف وهو ديوان ، ومضاف اليه وهو الانشاء ، اما الديوان بكسر الدال فسمى للموضع الذي يجلس فيه الكتاب ، واصل كلمة ديوان ، دوان فأبدلت احدى الواوين ياء فقيل ديوان وتجمع على دواوين . (٥٢)

وذكر **ابن منظور** (٥٣) الديوان مجتمع الصحف ، وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش واهل العطاء .

واما الانشاء : فنقول انشأ الكاتب الكتاب ابتدأ عمله على غير مثال يحتذيه ، قال الله تعالى : " قل يحيها الذي أنشأها اول مرة " (٥٤) ، وتقول العرب : أنشأ يفعل كذا ، وأنشأ يقول كذا ، اذا ابتدأ ، وانشأ الله الخلق ينشئهم اذا ابتدأ خلقهم . (٥٥)

والانشاء مصدر أنشأ ، واضافة الديوان للانشاء تحتمل امرين :

الامر الأول : لانه تنشا منه وتبدأ الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات .

الامر الثاني : الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالاً ، وكان هذا الديوان يسمى قديما ديوان الرسائل ، تسمية بأشهر الانواع التي تصدر عنه ، ولان الرسائل اكثر أنواع كتابة انشاء واعمها ، وربما قيل ديوان المكاتبات ، ثم غلب عليه هذا الاسم واشتهر به . (٥٦)

٢- مراحل تطور ديوان الانشاء

اهتم المسلمون منذ ظهور الإسلام بالمراسلات التي عرفت فيما بعد بالمراسلات الديوانية ، ثم اتخذت كلمة " الانشاء مدلولا وظيفيا خاصاً ، أي انها أصبحت وظيفة لها شروطها ، بل ان الشروط التي تطلب توافرها فيمن يشغلها بلغت حداً لم تبلغه أي وظيفة أخرى اللهم الا " الخلافة " حين وضع الفقهاء لها شروطاً لا تعقد الا بها ، (٥٧) وذكر **القلقشندي** (٥٨) انه كان لرسول الله ﷺ ما يزيد على ثلاثين كاتباً ، ومن اشهر أبو بكر

الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب عليه السلام وغيرهم ،ويقول **القضاعي** [٥٩] ان زيد بن ثابت كان ترجمان النبي ﷺ ، وكان كاتبه الى الملوك لانه كان يعرف الفارسية واليونانية ، وان الزبير بن العوام ، وجهم بن الصلت كانا يكتبان للنبي ﷺ أموال الصدقات ، وان المغيرة بن شعبه والحصين بن نمير كانا يكتبان المداينات والمعاملات ، فان صح ذلك فتكون هذه الدواوين قد وضعت في زمنه ﷺ .

وقد ظل الكاتب من اهم الموظفين المدنيين في العصر الاموي ، اذ كان بمثابة الوزير في معاونة الخليفة او الوالي ، غير انه كان بمنأى عن الاخطار التي تهددت الوزير العباسي فيما بعد ، وكان الى جانب ذلك يقوم بأنواع الكتابة الإدارية المختلفة ، ومن الثابت ان غير المسلمين كان يشارك المسلمين في القيام بهذه المهمة ، لاسيما قبل نقل الدواوين الى العربية في عهد عبد الملك بن مروان . وظل لفظ " الكاتب " يطلق طوال عصر بني امية على متولي امر المكاتبات حتى ولي الخلافة أبو العباس السفاح فأستوزر أبا سلمه الخلال [٦٠]، وتوالت الوزراء من بعده من بعده لخلفاء بني العباس [٦١] .

ومنذ تولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة ومن بعده من الخلفاء وامر ديوان الانشاء في زمن كل واحد منهم مفوض الى كاتب يقيمه الى حين انقراض دولتهم ، وكان الخليفة هو الذي يوقع على القصص بنفسه ، والكاتب يكتب ما يبرز اليه من توقيعه ويصرفه بقلمه على حكمه ، ومن اشهر كتابهم عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد اخر خلفائهم . [٦٢]

وفي العصر العباسي زادت المكاتبات الإدارية زيادة دعت الى تنظيمها واسناد مهمتها الى ديوان خاص اخذت اختصاصاته تتحدد على مر الزمن ، وفي بداية الامر كان الاشراف عليه للوزير مباشرة ، الا انه نظراً الى تضخم اعمال الديوان من جهة وزيادة أعباء الوزير من جهة ثانية ، كان الديوان ينفصل عن اشراف الوزير المباشر أحيانا لينفرد به رئيس خاص ، ثم انتهى الامر بان اصبح من القواعد المقررة ان يستقل

بالاشراف على هذا الديوان رئيس خاص كان اقل من الوزير في المرتبة ، ويرجع اليه في اموره. (٦٣)

وكان رئيس الديوان يسمى تبعاً لتسمية الديوان في العصور المختلفة ، ففي أوائل العصر العباسي كان يسمى " صاحب ديوان الرسائل " او " المكاتبات " (٦٤) ثم سمي رئيس او " صاحب ديوان الانشاء " ، وقد كان يجمع احياناً لفظ الديوان فيقال " صاحب دواوين الانشاء بالممالك الإسلامية " كما كان مصطلح العصر المملوكي . (٦٥)

كانت المرحلة الأولى في قيام الديوان في مصر مصاحبة للفتح العربي لها . وهذه المرحلة لم يحدث تطور في الكتابة لقرب مصر من العهد البيزنطي لغلبة اللسان القبطي على العامة وبعض الخاصة ، وقد أعاد **القلقشندي** (٦٦) صرف الهمة عن الديوان في هذه المرحلة الى ان المسؤولين منذ بداية الفتح العربي حتى أوائل الدولة الطولونية (٦٧) ثم الفتح سنة (٢١هـ / ٦٤١م). وبدأ حكم احمد بن طولون (٦٨) سنة (٢٥٤هـ / ٨٦٨م) على المكاتبات لابواب الخلافة والنزر اليسير من الولايات . قال " **ولذلك ليصدر عنهم ما يدون في الكتب ولا يتناقل بالالسنة** " وقد كان الولاة في مصر يقتصرون في اول الامر على اتخاذ كتاب يتولون انشاء الكتب عنهم الى الخلافة حتى جاء احمد بن طولون فكان اول من انشا ديوان المكاتبات في مصر وذلك على مثال ديوان الانشاء في عاصمة الخلافة جرياً على سياسته العامة في تنظيم دولته بمصر على منوال الإدارة في بغداد وسامراء ، (٦٩) وكذلك كان للامراء الاخشيديين (٧٠) في مصر ديوان يشرف على مكاتباتهم ، وفي أواخر الدولة الاخشيدية نظم كافور (٧١) ديواناً فرعياً في سوريا ، ربما كان الأول من نوعه (٧٢)، واسند رياسته الى يعقوب بن كلس (٧٣) .

ومنذ بداية العصر الفاطمي اخذ نفوذ ديوان الانشاء يزداد تدريجيا ، اذ كانت مصر قد أصبحت ذات علاقات تجارية وسياسية مستقلة بكثير من الدول والولايات ما بين إسلامية ونصرانية ، وكان من مهمة ديوان الرسائل انشاء المكاتبات الصادرة باسم رئيس الدولة ، وتصديرها، ومع ارتفاع شأن ديوان الانشاء في هذا العهد ، وفي العهود التالية ، يمكن

اعتباره على حد تعبيرنا اليوم " امينا عاما لرئاسة الدولة " مطلعاً على اسرارها ، عالما بمسالك علاقاتها الداخلية ودبلوماسيتها الخارجية [٧٤]

وقد عرف هذا الديوان بأسماء مختلفة في عصر الفاطميين : فقد كان يطلق عليه في اول الامر اسم " ديوان الرسائل " ، ومن هنا سمى ابن الصيرفي كتابه (قانون ديوان الرسائل) [٧٥]كما كان يطلق عليه احياناً اسم " ديوان المكاتبات " ، كما سماه أيضا ديوان الانشاء ، ولم يعرف الاسم الأخير في مصر قبل العصر الفاطمي . [٧٦]

وكان متولي ديوان الانشاء في العصر الفاطمي يعرف بكاتب الدست، وكاتب السر [٧٧]، ومن الألقاب الفخرية العامة التي خوطب بها لقب الشيخ الاجل، وربما كانت لفظ الشيخ رمزا لمهمته المدنية ، ولفظ الاجل – وهو من القاب الوزراء – مشيرا الى أهميته ورفعة قدرته السياسية ، [٧٨] هذا وقد اتخذت النعوت الشخصية أواخر العصر الفاطمي نمطاً خاصاً سرى الاخذ به الى العصر الايوبي ، حيث صاروا يلقبون بالفاضل والرشيد والعماد وما اشبه ذلك ، ثم شملهم عموم التلقيب بالإضافة الى الدين : ذلك التلقيب الذي فشا استعماله في اعقاب العصر السلجوقي . وظل ذلك معمولاً به حتى أواخر عصر[٧٩] المماليك . [٨٠]

ولا يغيب عن ذهن الباحثة أهمية ديوان الانشاء الفاطمي في تاريخ هذا الديوان بمصر اذ ان تقاليده في حقيقة الامر اصلاً لما جد في العصر الايوبي وعصر المماليك . فضلاً عن ان كثير منها ظل معمولاً به في هذين العصرين حتى فيما يتعلق بمقاطع الورق، وربما يرجع الفضل في ذلك الى القاضي الفاضل الذي خدم في ديوان الانشاء الفاطمي ، وتمرس بانظمته قبل ان يستولي صلاح الدين على مقاليد الحكم ويسلبه رئاسة ديوان الانشاء بل والاشراف على الحكومة نفسها في بعض الأحيان . [٨١]

انتعش ديوان الانشاء في بداية عصر الايوبيين انتعاشا ملحوظا كان من مظاهره ان اتسع في اختصاصاته ، وضم دواوين الشام الى اشرافه ، وسمو المشرف عليه في بعض الأحيان الى منصب النيابة عن السلطان ، وكثرة اعماله نظراً الى حالة النشاط الذي شمل

الدولة في ذلك الوقت ما كان منها علو شأن موظفيه علواً دام لبعضهم مع الأجيال ، وادى هذا كله الى الاقبال على تعلم فنون الكتابة والتدرب على الانشاء ، ولذلك الانتعاش كان له عدة أبواب منها في تقاليد الديوان الفاطمي نفسه ، وكفاءة موظفيه ، وبعضها جاءت وليدة الظروف الجديدة التي صاحبت تأسس الدولة الايوبية ، (٨٢) وديوان الانشاء الفاطمي الذي صار اصل الديوان الايوبي كان ذا قيمة أدبية عالية – فضلاً عن أهميته الحكومية – فقد كان الفاطميون يولون عناية كبرى لفن الانشاء ولا يولون ديوان إنشائهم الا رئيسا على علم تام بأصول هذا الفن ، لذا كان كبار موظفي الدولة يدربون أولادهم في هذا الديوان حتى يتعلموا فن الكتابة ويتدربوا على الإدارة ويلموا بخبرة عملية في كل منها (٨٣) تساعدهم في مستقبل حياتهم الأدبية والإدارية . ولقد ظلت نظم ديوان الانشاء وتقاليده معمولاً بها في عصر الايوبيين فقد كان من سياسة صلاح الدين عدم المساس بنظم الفاطميين الإدارية ، فأبقى على ديوان الانشاء بتقاليده وانظمته . (٨٤)

وساعد على استمرار تقاليد الانشاء الفاطمية من جهة ، وازدهار شأن الديوان من جهة أخرى ان تولى رئاسته قبيل القضاء على الخلافة الفاطمية وظل مسيطراً عليه بعد مجيء صلاح الدين اديب فذ قدر له ان يؤدي اهم الأدوار في تاريخ الحركة الإدارية والأدبية في ذلك العصر الا وهو القاضي الفاضل . (٨٥)

والقاضي الفاضل هو محي الدين أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن البيساني الأصل ، الذي نجح في اثبات كفاءته في مباشرة وظيفة الكتابة ، والتحق بخدمة الديوان وتدرج في عدة وظائف إدارية منها وظيفة كاتب بمال مصر ، وفي ديوان الجيش بالقاهرة، وفي ديوان الانشاء بالإسكندرية (٨٦) ثم استقر في وظيفة كاتب الانشاء لاسد الدين شيركوه بعد استقلاله بالوزارة ، فاظهر كفاءة نادرة . فلما خلف صلاح الدين عمه في وزارة العاضد استبقاه في رئاسة ديوان الانشاء وقربه اليه ، واخذ القاضي الفاضل يرتفع عند السلطان صلاح الدين الايوبي حتى عهد اليه بالاشراف على الإدارة في مصر وركن الى ارائه في اهم أمور الحرب والسياسة ثم انابه في حكم مصر حين انصرف الى حرب الصليبيين عند عكا . (٨٧)

لقد وصل القاضي الفاضل الى ما وصل اليه من مركز ممتاز عند صلاح الدين ببراعته في الانشاء وألمامه بفنون الكتابة ، الى جانب اخلاصه وكرم اخلاقه ، وحسن رأيه . ولقد بلغ اعجاب صلاح الدين بمكاتبات القاضي الفاضل ان كان يقول " **فتحت البلاد بمكاتبات القاضي الفاضل لا بالعساكر** " . (٨٨)

وكان لتعاون القاضي الفاضل مع عماد الدين الكاتب الاصبهاني اثر كبير في التوفيق بين تقاليد الديوانيين : الفاطمي والعباسي ، بحيث استفاد الديوان الايوبي من غنى التجربتين معاً . والبعض يعتبر ان العماد الاصبهاني هو الركن الثاني الذي قام عليه ديوان الانشاء الايوبي . (٨٩)

وفضلاً عن هاتين الشخصيتين اللتين اديا دورهما في الرقي بديوان الانشاء وطبعه بطابع خاص ظل ملازما له حتى عصر المماليك ، عملت ظروف أخرى على ازدياد العناية بديوان الانشاء في هذا العصر ، ولعل أهمها كان محاربة صلاح الدين للفلسفة والأبحاث العقلية التي كانت احدى وسائل الدعاية للمذهب الفاطمي ، والتي كانت بغيضة عند فقهاء السنة حتى لقد ورد عن الشافعي قوله : **لئن القى الله بكل خطيئة – عدا الشرك – اهون من ان القاه بعلم الكلام** . (٩٠)

ولما قامت دولة المماليك اصبح متولي ديوان الانشاء من المكانة المرموقة في الدولة بحيث يصاحب السلطان في حله وترحاله ، ويرافقه في حروبه وغزواته ، وفي هذا العصر اصبح صاحب ديوان الانشاء ينقل من مصر الى الشام – اذ كان هذان الجناحان للعالم الإسلامي قد اجتمعا منذ مدة طويلة تحت سلطة مركزية واحدة – فقد نقل الناصر محمد بن قلاوون (٩١) القاضي شرف الدين بن فضل الله العمري من مصر الى كتابة السر في دمشق بعد ان كان قد كتب للأشرف بن قلاوون واخيه الناصر محمد وللعادل كتبغا والمنصور لاجين والمظفر بيبرس . (٩٢)

وحفلت هذا الفترة بأسماء كثيرين من كتاب الانشاء قد يرجع البعض منهم الى اسرة واحدة ، ويأخذ كل منهم نفسه بالاهتمام بالفنون اللازمة التي تهيئه لتولي وظيفة كاتب السر ، ولعل ابرز هؤلاء اسرة ابن فضل الله العمري التي تولى خمسة افراد منها وظيفة

صاحب ديوان الانشاء او كاتب السر في دولتي المماليك البحرية والبرجية لمدة تزيد على القرن من الزمان ، وقد شغل افراد هذه الاسرة هذه الوظيفة عن جدارة أدبية واستحقاق لا يرقى اليهما الشك . (٩٣)

ويمكننا القول ان ديوان الانشاء – من حيث التنظيم والفاعلية والدور القيادي على مستوى الإدارة في الدولة – وان مصطلح الكتابة – من حيث التقنين والدقة والضبط – قد بلغ اوجهما حتى استطاع خليل الظاهري ان يقرر في أواخر العصر المملوكي بأن العناية بمصطلح الكتابة بلغت من الدقة والضبط بحيث صار لا يمكن التلاعب به ، بحيث اصبح هذا الديوان " **على الأوضاع المحكمة والقانون المستقيم بين رتب الناس ومنازلهم** " . (٩٤)

٣- وظائفه

كانت وظائف الدولة الرسولية تنقسم الى : وظائف ارباب الأقلام (٩٥)، الوظائف الدينية ، ووظائف ارباب السيوف (٩٦)، كما هو الحال في الدول الإسلامية في العصور الوسطى . فيجمع القسم الأول الوظائف الديوانية ، والثاني الوظائف الدينية ، والثالث الوظائف الحربية . (٩٧)

والنظم الديوانية الرسولية هي وراثة للنظم الديوانية التي تطورت تطورا كبيرا في العهد الايوبي ، الا انها كانت اكثر وضوحا وتركيزا ، بسبب عمل سلاطين بني رسول على تطويرها وتطعيمها بما استجد عليها عند المماليك في مصر والشام ، فكان ان وجدت الدواوين بمختلف أنواعها ، مثل : الانشاء ، والمال ، والجيش وغيرها . (٩٨)

ولقد كان عماد الدواوين في زمن بني رسول طبقة الكتاب (٩٩) ، حيث كانت صناعة القلم مهنة مهمة في الدولة ، كما ان حذق الكتابة كان يؤهل الى اكبر الوظائف ، وكان كبار الكتاب لا يتعينون الا من قبل السلطان وبمراسيم خاصة ، اما الصغار فيعينهم الوزير او كبار الكتاب . وربما كان لكبار الكتاب شارات خاصة تميزهم عن غيرهم من الكتاب ، وكان لسائر الكتاب مرتبات

شهرية مالية وربما عينية [١٠٠] الا انه ليس لدينا معلومات وافية عن مقدار ما كان يتقاضاه كل كاتب .

ويعد الانشاء من اهم الاعمال الديوانية في العصر الرسولي ، وكان الديوان القائم به هو ديوان الانشاء ، وتنظيم هذا الديوان صورة مشابهة لتنظيم ديوان الانشاء المملوكي [١٠١] ، وربما يعزو السبب في ذلك الى استعانة بني رسول ببعض الكتاب الذين سبق لهم العمل في الديوان المملوكي ، فكان رئيسه من رجال القلم ويعرف بكاتب الانشاء ، واحيانا بصاحب ديوان الانشاء ، او كاتب السر. [١٠٢] وكان تحت يده عدة كتاب ، وهم على نوعين : النوع الأول كتاب الدست [١٠٣] ويقومون بالكتابة الرئيسية في الديوان ، والنوع الاخر كتاب الدرج [١٠٤] ، ويقومون بالمراجعة والتلخيص ، او ما يعين لهم من صغار الكتابات . [١٠٥]

ونظرا لخبرة أبناء اليمن المحدودة بالنسبة للنظم الديواني بصفة عامة ، والانشاء بصفة خاصة ، فقد عمد بنو رسول في البداية الى الاستعانة بنخبة من كتاب الامصار الإسلامية الأخرى ، للاستفادة من خبراتهم في هذا الميدان ، [١٠٦] فكان الاديب والكاتب موسى بن الحسن الموصلي (ت٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) [١٠٧] من ابرز أولئك الكتاب ، حيث قدم الى اليمن في حوالي سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م . فحظي بمكانة مرموقة لدى السلطان المظفر [١٠٨]، واسند اليه امر تنظيم ديوان الانشاء ، فكان له دور كبير في تطويره ، والرقي بالكتابة الفنية في اليمن ، وقد صنف كتاباً في الانشاء سماه " **البرد الموشى في صناعة الانشا** " [١٠٩] ، والذي جاء تأليفه بناء على رغبة السلطان المظفر وكانت معظم مكاتبات الديوان تتم على يده ، ويقول عنه **الجندي** [١١٠] وعن منزلته لدى السلطان الرسولي : : " **وكان غالب من يصل باب المظفر من الاعيان والفقهاء خاصة انما يصلون الى بيته – الموصلي – ويسعى هو في امره . وكان حسن اللفظ ، جيد الضبط ، ثابت الخط ، وكان المظفر يجله ويبجله ويقول : لولا رزن سمعه لكان من يصلح وزيراً** ... " ويقول عنه **الخزرجي** [١١١] عندما تولى السلطان المؤيد [١١٢] الحكم : " **وكتب تاج الدين الموصلي في ذلك اليوم – أي يوم تولى المؤيد – مكاتيب الى**

بلاد التهائم بأجمعها ، والى الجبال بأجمعها ، والى جهة صنعاء والاشراف فدخل الناس في الطاعة افواجا افواجا ... " ، كما يذكر **ابن حجر العسقلاني** [١١٣] ان جميع الكتب الصادرة من البلاط الرسولي خلال عهد المظفر الى نظيره المملوكي كانت صادرة عن الموصلي .

ثم ظهر جيل جديد من الادباء والكتاب اليمنيين تولوا الكتابة في ديوان الانشاء الرسولي واسهموا اسهاماً فعالاً في تطويره والرقي به ؛ من اهمهم : الاديب والمؤرخ عبد الباقي بن عبد المجيد [١١٤] ، والفقيه الاديب إسماعيل بن ابي بكر المقرئ [١١٥] الذي كان ابرز من تولى الكتابة للسلطان الملك الناصر، وغير هؤلاء مما لا يتسع المقام لاستقصائهم [١١٦].

ويمكن تلخيص اعماله أيضا فيما يلي

١- المكاتبات

شكلت المكاتبات الخاصة بشؤون الدولة الرسولية وسلاطينها في الداخل والخارج العمل الرئيس لديوان الانشاء ، وكان لإنشاء هذه المكاتبات صيغة بالنسبة للجهة المرسل إليها ، وهذه المكاتبات نفسها لها أسماء مختلفة ، مثل تقاليد ، مرسوم او مراسيم ، مناشير، تواقيع ، مكاتبات وما الى ذلك ، وجرت العادة ان يذكر السلطان في هذه المكاتبات اسمه والقابه وبعض الجمل الدعائية المفخمة ، فضلاً عن علامته الشريفة على المكتوب [١١٧] ويذكر **العمري** [١١٨] انه رأى علامه السلطان المؤيد داود على بعض الرسائل وكانت على النحو التالي : الشاكر لله على نعمائه ، في سطر ، وتحته داود ، في سطر مستقل .

وقد كان لكل صنف من هذه المكاتبات صيغة متداولة تختلف عن الأخرى ، الا انها غالباً تشترك في الاعتماد على الاقتباسات المختلفة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والشعر العربي ، هذا بالإضافة الى المحسنات البديعية من سجع وجناس وخلافة من الفنون البلاغية . [١١٩] وكانت تستفتح بالبسملة وحمد الله والثناء عليه

والصلاة على رسوله ﷺ ، ثم اما بعد ، ثم يتبعها الموضوع الذي من اجله كتبت الرسالة ، ثم يأتي في الختام بتاريخ الكتاب ، هذا فيما يخص المكاتبات الداخلية ، ولا سيما عهود التقليد وكتابات السلاطين لولاة أقاليم الدولة المختلفة . (١٢٠)

اما فيما يخص المكاتبات الخارجية ، فقد احتفظت لنا المصادر ببعض مكاتبات سلاطين الدولة الرسولية مع نظرائهم في الامصار الإسلامية الأخرى ، منها بعض مكاتباتهم مع سلاطين المماليك في مصر ، ويظهر من خلالها انهم يستهلون الكتاب بأفتتاحية نصها : " **اعز الله تعالى انصار المقام الشريف ، العالي ، المولوي ، السلطاني** " ثم يذكرون اسم السلطان ، واسم المكان الذي صدر منه الكتاب ، والمقصد منه ، ثم تأتي الخاتمة ، وتشمل الدعاء ، وتاريخ الكتابة . (١٢١)

٢- البريد

لا يعرف على وجه التحديد اصل هذا النظام ، بسبب الاختلاف في معنى كلمة " بريد " ولكن الرأي المتداول هو انه لفظ فارسي اصله " بريدة دم " ويعني مقصوص الذنب كناية عن استخدام الخيول ، والبغال في نقل الرسائل ، وقص اذنابها . (١٢٢)

وقد شاع استخدامه عند المسلمين في نقل الاخبار والرسائل منذ وقت مبكر ، حيث اخذه الامويون وصبغوه بالصبغة الإسلامية ، ثم تطور واتسعت رقعته واختصاصاته ووضعت له قوانين خاصة خلال العصر العباسي ، وصار من معاني كلمة بريد الدابة ، والمسافة ، وقدرها أربعة فراسخ . (١٢٣)

وفي العصر المملوكي شهد نقلة حضارية مهمة سواء من حيث التنظيم او الاختصاصات ، حيث اصبح نظاماً سلطانياً يشمل كل صغيرة وكبيرة ، وصار يدخل في اختصاصات ديوان الانشاء . (١٢٤)

اما في العصر الرسولي فقد كان البريد يتناول أمور عديدة ، كنقل الاخبار والمراسلات بمختلف أنواعها ، الإدارية والدبلوماسية والاوامر والمناشير ، والكتب الصادرة من عمال الولايات ، هذا فضلاً عن انه يمثل جهاز استخبارات للسلطان على

الولاة والامراء والاقطاعيين في شتى انحاء الدولة ، شأنه في ذلك شأن البريد في معظم الدول الإسلامية في العصور الوسطى . (١٢٥)

ومن البديهي ان تشكل الدواب ، وخاصة الخيل ، العمود الفقري لنقل البريد ، الا انه ربما وجد الحمام الزاجل ايضاً ، وهي الوسيلة التي عرفت عند معظم الشعوب منذ القدم . ومن المرجح انه كان للبريد محطات معروفة على امتداد طرق المواصلة بين مختلف الأقاليم ، يتوقف فيها للاستراحة ولتغيير الدابة او ناقل البريد نفسه او كلاهما .

الخاتمة

هذه اهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث :

- تعد الدولة الرسولية من اشهر الكيانات السياسية التي حكمت اليمن خلال العصر الوسيط ، بعد ان انتقل الحكم اليها من الايوبيين في سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) حتى نهاية حكمهم على يد الطاهريين في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) ، فقد شهد هذا العصر تطورا حضاريا في سائر مناحي الحياة ، فهو ارقى العصور التي مرت بها بلاد اليمن في العصر الإسلامي .
- امتازت اليمن خلال العصر الرسولي بوجود دواوين كثيرة ، ومن بينها ديوان الانشاء الذي شاع استخدامه لديهم وعمل على تنظيم العلاقات بين الرعية والدولة من جهة ، وبين الدولة وغيرها من جهة أخرى ، بل بلغوا حدا كبيرا من الدقة في ضبط عمله .
- برز منذ بداية العصر الرسولي ازدياد نفوذ ديوان الانشاء تدريجيا ، فقد اصبح ديوان له إدارة مميزة ذات رئيس مباشر يتبع تبعية عامة للوزير ، وما برح ديوان الانشاء قائما حتى عصر المماليك ، وعرف هذا الديوان بأسماء مختلفة ، حيث اطلق عليه في اول الامر اسم ديوان الرسائل ، وكان يطلق عليه أحيانا ديوان المكاتبات .

- كانت مهمة هذا الديوان انشاء المكاتبات باسم رئيس الدولة ، وتصديرها ، وتسليم ما يرد اليه من شكاوي وكتب وعرضها عليه ، وتوجيه تعليقاته عليها الى الجهات المختصة ، والعمل على تنظيم ذلك كله .

الهوامش:

(١) الخزرجي ، علي بن الحسن (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، نشر : محمد بن علي الاكوع ، ط٢ (صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٨٣م) ، ج١ ، ص٣٦ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٢م) ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، ط٢ (د: م ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٦م) ، ج٢ ، ص١٩٠ .

(٣) المقريزي ، احمد بن علي (ت٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، (مصر : مكتبة الخانجي ، ١٩٥٥م) ، ص٧٩ .

(٤) الأكراد : يرجع أصل الكرد إلى نظريتين : أحدهما تعتبرهم من أصول إيرانية – أوروبية، والأخرى تقول انهم شعب أصيل مع وجود صلة قرابة بينهم وبين الشعوب الآسيوية القديمة الأخرى كالكلدنيين والجورجيين والأرمن ، وبلاد الأكراد كردستان وتعني بلاد الكرد وأغلب الكرد مسلمون سنيون يتكلمون اللغة العربية ، وهم متفرقون اليوم في تركيا والعراق وسوريا وإيران وإرمينيا وغيرها ، ومن أكراد العراق بنو أيوب الذي ظهر منهم صلاح الدين الأيوبي . انظر : ابن حاتم : محمد بن حاتم بن احمد (ت بعد ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) ، السمط الغالي الثمن في اخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق : ركس سميث ، (لندن : مجموعة جب ، ١٩٧٤م) ، صص١-٩ .

(٥) شلبي ، احمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط٣ (د : م ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م) ، ج٧ ، ص٣٥١ .

(٦) الاشرف الرسولي ، عمر بن يوسف (ت٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) ، طرفة الاصحاب في معرفة الانساب ، تحقيق : ك . وستر ستين ، ط٢ ٠ (بيروت : منشورات المدينة ، ١٩٨٥م) ، ص٥٨ ؛ ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : نبيل عبد العزيز ، (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٨م) ، ج٥ ، ص٣٠٧ .

(٧) عسيري ، محمد بن علي ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الايوبي ، ط١ (جدة : دار المدني ، ١٩٨٥م) ، صص١٧٢-١٧٣ ؛ عليان ، محمد عبد الفتاح ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول ، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة : كلية الاداب ، ١٩٧٣م) ، صص٣٢-٣٤ .

(٨) محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع ، ط١ (اليمن : وزارة الاعلام ، ١٤٠٩هـ) ، ج٢ ، صص٣١٥-٣١٦ .

(٩) الغز : قبيلة تركية تسمى أيضا (الأغوز) رحلوا من أواسط آسيا –تركستان– نحو الغرب منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، وقد دخلوا في خدمة ملوك الدولة الإسلامية في كل من بلاد العراق والشام فترات تاريخية لاحقه ، وظهرت منهم طائفة عسكرية في جيوش الدولة الفاطمية في مصر سميت بطائفة الغز

المصطنعة ، وقد أطلقت تسمية الغز في اليمن من قبل بعض المؤرخين على العناصر التي وفدت إليها مع الحملة الأيوبية من عناصر مختلفة من الأكراد أو من الأتراك . ابن حاتم : السمط الغالي ، ص١- ٩ .

(١٠) ا الجندي ، السلوك ، ج٢ ، ص٣١٦ .

(١١) العقود ، ج١ ، ص٣٧ . وعنه نقل اغلب المؤرخين . ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج١ ، ص٢٤٥ .

(١٢) الرفاعي ، طلال جميل ، نظام البريد ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة ام القرى : كلية الشريعة ، ١٩٨٧م) ، ج١ ، صص٢٩٥-٣٢١ .

(١٣) العباس بن علي (٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) ، نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء ، تحقيق : نبيلة داود ، (مكة : دار الكتاب العربي ، د. ت) ، ص٢٦٣ .

(١٤) نور الدين محمود عماد الدين الزنكي ، تولى الجزء الغربي من الدولة الزنكية ، وجعل عاصمته حلب وذلك سنة (٥٤١هـ / ١١٤٦م) ، وكان له دور كبير في جهاد الصليبيين في الشام ، توفي سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) . انظر : أبو شامة ، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) ، الروضتين في اخبار الدولتين ، (بيروت : دار الجيل ، د. ت) ، صص٥-١١ .

(١٥) يوسف بن ايوب بن شاذي ابو المظفر الملقب بالملك الناصر من اشهر ملوك الاسلام ، كان ابوه واهله من قرية دوين في شرقي اذربيجان ، اشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م . انظر : الزركلي ، خير الدين زكريا بن محمد (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط٥ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م) ، ج٨ ، ص٢٢٠ .

(١٦) عليان ، الحياة السياسية، ص٣٦ .

(١٧) هو سيف الاسلام طغتكين بن ايوب بعثه اخوه صلاح الدين الايوبي في سنة ٥٧١هـ / ١١٨٣م الى اليمن لاعادة تثبيت النفوذ الايوبي بعد ان دب الخلاف بين نواب تورانشاه بعد وفاته ، وقد تمكن من القضاء على الفتن والثورات ، توفي سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م . انظر : الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد(ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : بشار عواد معروف ، يحيى هلال السرحان ، ط٤ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م) ، ج٢١ ، ص٣٣٣ .

(١٨) الخزرجي ، العقود ، ج١ ، ص٤٠ .

(١٩) حيس : بلدة عامرة في تهامة من نواحي زبيد . الاكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية عند ياقوت ، ط٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٨م) ، ج٤ ، ص١٠٧ .

(٢٠) حصن حب : حصن مشهور في مخلاف بعدان . المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٨٧ .

(٢١) وصاب : تنحية كبيرة كانت تعرف بجبلان العركبة ، وتتكون الان من ناحيتين ، وصاب العالي ومركزها الدن ، ووصاب السافل ومركزها مصباح . المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٠٠ .

(٢٢) ريمه : هي ريمة الاشابط ، وتقع بين وادي سهام شمالا ، ووادي رمع جنوبا وجبالها تطل على تهامة . المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٧ .

(٢٣) حرض : بلدة عامرة في تهامة شرق ميناء ميدي . الاكوع ، البلدان اليمانية ، ج١ ، ص٩٤ .

([٢٤]) الهلية : قرية من اعمال زبيد . ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٧٩م) ، ج٥ ، ص٤٠٩ .

([٢٥]) ابن حاتم ، السمط ، ص١٥٨ .

([٢٦]) الملك المسعود يوسف الأيوبي : هو أحد حكام الدولة الأيوبية في اليمن أرسله والده الملك الكامل بن أيوب لحكم بلاد اليمن سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م ، ثم سافر إلى مصر بعد أن أناب عنه في اليمن عمر بن علي بن رسول سنة ٦٢٠هـ/١٢٢م ، ثم عاد إلى اليمن سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م ، وهو آخر ملوك بني أيوب في اليمن . انظر : المقريزي: الذهب المسبوك ، ص ١٦-١٩ .

([٢٧]) الخزرجي ، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، ط٢ (صنعاء : دار الكتب ، ١٩٨١م) ، ص١٩٣ .

([٢٨]) عليان ، الحياة السياسية ، ص٤٨ .

([٢٩]) حصن تعز : حصن بني على جبل صبر المنيع ، والمطل على مدينة تعز ،. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٤ .

([٣٠]) بني حمزة : ينسبون الى حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن ابي هاشم الحسن ، من نسل الحسن بن علي . وهم من الاسر الزيدية ، وكان لهم حكم عدة حصون . الملك الاشرف ، طرفة الاصحاب ، صص١٠٣-١٠٤ .

([٣١]) الزيدية : طائفة ودولة شيعية فهي طائفة ترجع تسميتها بالطائفة الزيدية إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي (ع) (٨٠-١٢٢هـ) (٦٩٨-٧٤٠م) وتعتبر الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة والجماعة ، حيث يتصف مذهبهم بالابتعاد عن غلو باقي فرق الشيعة ، أما دولة الأئمة الزيدية فقد أسسها الإمام الهادي بن الحسين سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م ، وهو أول من أدخل مذهب الزيدية باليمن . محمد ، صلاح مهران ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأئمة الزيدية باليمن ، رسالة دكتوراه غير منشورة (مصر : دامعة المنيا ، ١٩٨٧م) ، ص ١٧ .

([٣٢]) صنعاء : هي قصبة نجد اليمن ، وقد كانت أجمل وأكبر ، وأعمر من زبيد. أنظر: المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٣ (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩١م) ، ص٨٦

([٣٣]) الخزرجي ، العقود ، ج١ ، ص٥٣ .

([٣٤]) ابن حاتم ، السمط ، ص٢٠٣ .

([٣٥]) المهجم : وهي مدينة تهامية مشهورة واكثر بواديها واهل البأس منهم من خولان . الهمداني ، الحسن بن احمد (ت٣٣٤هـ / ٩٤٥م) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع ، ط١ (صنعاء : مكتبة الارشاد ، ١٩٩٠م) ، ص٩٧

([٣٦]) ابن حاتم ، السمط ، ص٢٠٤ .

([٣٧]) الكبسي ، محمد بن إسماعيل ، اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية ، (القاهرة : مطبعة السعادة ، د. ت) ، ص٧٨ .

([٣٨]) السكة : هي الحديدة التي يطبع عليها الدراهم ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكة ، وقيل : هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيها صورا وكلمات مقلوبة ، ويضربها على

الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظـاهرة مسـتقيمة . ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق : المستشرق الفرنسي أ . م كاترميز ، ط١ (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٩٢م)، ج٢ ، ص٤٧ ؛ للتفصيل اكثر انظر : الكعبي ، عبد الحكيم غنتاب ، نشأة النقود وتطورها من القرن السابع ق . م حتى القرن السابع الميلادي ، مجلة دراسـات تاريخية ، (جامعة الموصل : كلية التربية ، العدد (١٥) ، ٢٠١٣م) ، ص٥٦ وما بعدها

([٣٩]) الخزرجي ، العقود ، ج١ ، ص٥٦ .

([٤٠]) المستنصر بالله : منصور بن محمد (الظاهر بأمر الله) خليفة عباسي تولى الخلافة سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م كان حازما عادلا ، حسن السيرة والسياسة ، كثير الصدقات محسنا إلى الرعية، وهو مؤسـس المدرسـة المستنصرية في بغداد على المذاهب الأربـعة م توفي سنة٦٤٠هـ/١٢٤٢م . الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني ، (د : م ، دار الكتب ، د. ت) ، ج٣ ، ص٢٣٩ ؛

([٤١]) الخزرجي ، العقود ، ج١ ، ص٥٩ .

([٤٢]) عليان ، الحياة السياسية ، ص٤٩ .

([٤٣]) الأيوبيون : تنسب هذه الدولة إلى مؤسسها في اليمن الملك المعظم توران شاه بن أيوب عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م ، ثم تداولها بعض الأمراء الأيوبيين حتى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م ، وكانت عاصمتها مدينة تعـز .انظـر : احمـد ، الايوبيون في اليمن ، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٠م) ، صص٨٤-٢٧٣

([٤٤]) الفاسي ، محمد بن احمد (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : محمد حامـد الفقي ، ط٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦م) ، ج٣ ، ص١٩٦.

([٤٥]) ذهب بعض الباحثين الى ان التاريخ الحقيقي لقيام الدولة الرسولية هو سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ، بينمـا تشـير الروايات التاريخية الى خلاف ذلك ، اذ قد ناصب المنصور الايوبيين العداء وهاجم حاميتهم بمكة سنة (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) ، وهذا يؤيد خلعه طاعتهم قبل هذا التاريخ وهو ما اشير اليه انفا . السنيدي ،عبد العزيز بـن راشـد ، المدارس واثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية ، رسالة ماجسـتير غيـر منشـورة ، (جامعة الامام محمد بن سعود ، كلية العلوم الاجتماعية ، ١٩٩٠م) ، ص٢١ .

([٤٦]) احمد ، الايوبيون ، ص٢٨٢ .

([٤٧]) الشماحي ، عبد الله بن عبد الوهاب ، اليمن الانسان والحضارة ، ط٣ (مكة المكرمـة : منشـورات المدينـة ، ١٤٠٦هـ) ، ص١٤٥ .

([٤٨]) تهامة : هي الأراضي الساحلية المطلة على البحر الأحمر ، قيل أنها سميت تهامة لإنخفاض أرضها وشـدة حرارتها وهي منطقة زراعية ، ومن أشهر مدنها الحديدة وزبيد . المقحفي : معجم البلدان ج١ ، ص٢٤٣ .

([٤٩]) حضر موت : الفتح ثم السكون وفتح الراء والميم مدينة مشهورة جنوب اليمن تسمى بالاحقاف هي ميناء تجاري هام على بحر العرب . الحجري ، محمد بن احمد ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق : إسماعيل بن علي بن الاكوع ، (صنعاء : وزارة الاعلام والثقافة ، ١٩٨٤م) ، ج١ ، صص٢٦٣-٢٦٤ .

([٥٠]) ظفار : وهي مدينة باليمن . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٠ .

([٥١]) عليان ، الحياة السياسية ، ص٥١ .

([٥٢]) القلقشندي ، احمد بن علي (ت٨٢١ هـ / ١٤١٨م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، د: م ، دار الفكر ، د. ت) ، ج١ ، ص١٢٣ .

([٥٣]) محمد بن مكرم (ت٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، ط٣ (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٤م) ، ج١٣ ، ص١٦٦

([٥٤]) سورة يس ، اية رقم ٧٩ .

([٥٥]) الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ / ٩٤٦م) ، ادب الكتاب ، شرح وتعليق : احمد حسن لبج ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م) ، ج٢ ، ص١١٩ .

([٥٦]) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٣ ، صص٥٦٦-٥٦٩ .

([٥٧]) ابن شيث ، عبد الرحيم بن علي (ت٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) ، معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨م) ، ص٥ .

([٥٨]) صبح الاعشى ، ج١ ، ص١٢٦ .

([٥٩]) محمد بن سلامه (ت٤٥٤هـ / ١٠٦٢م) ، عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف ، تحقيق : جميل عبد الله محمد المصري ، (د: م ، د. مط ، ١٩٩٥م) ، ص٢٣٨ .

([٦٠]) أبا سلمه الخلال : وزير ال محمد ، من ادهى رجال الدعوة العباسية وابعدهم نظرا في الأمور ، واعلاهم كعباَ في التدبير ، دعاه إبراهيم الامام وقلدة الوزارة ، وكتب الى النقباء انه اسند امرهم اليه واوصاهم بالطاعة له وامره بالمسير الى خراسان والنظر فيما يصلح امر الشيعة هناك ، وما كاد يتسلم مقاليد الشيعة حتى ظهرت كفاءته وجدارته في إدارة الأمور وحفظ الاسرار. الثعالبي ، عبد العزيز ، سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية (١٣٢هـ / ٧٥٠م) ، تحقيق : حمادي الساحلي ، ط١ (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٥م) ، ص٥٦ .

([٦١]) ابن شيث ، معالم الكتابة ، ص٦ .

([٦٢]) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١ ، ص١٢٧ .

([٦٣]) باشا ، حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ، ط١ (مصر : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م) ، ص١١

([٦٤]) المقريزي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار المسمى بالخطط المقريزية ، تحقيق : محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، (د. م : مكتبة مدبولي ، د. ت) ، ج٢ ، ص٢٢٥ .

([٦٥]) الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص١١ .

([٦٦]) صبح الاعشى ، ج١ ، ص١٢٩ .

([٦٧]) الدولة الطولونية : نسبة إلى مؤسسها أحمد بن طولون، رجل تركي، حكمت هذه الدولة مصر باسم الخلافة العباسية من سنة (٢٥٤هـ/ ٨٦٤م- ٢٩٢هـ/ ٩٠٢م). الكندي، أبو عمرو محمد بن يوسف المصري (ت: ٣٥٠هـ/٩٦٠م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح رفن كست ، (بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨م)، صص٢١٢- ٢١٦.

([٦٨]) احمد بن طولون : وُلد أحمد بن طولون بسامَرَّا من بلاد العراق في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة عشرين ومائتين، في وقت بدأتْ فيه العواصف السياسية تثور، وسلطة الخلفاء العباسيين تتدلَّى بتغلُّب الأتراك من أتباعهم. ونشأ أحمد في حِضْن والدَيْه حتى العشرين من سِنِّه . الكندي ، الولاة ، صص٢١٨-٢١٩ .

([٦٩]) الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص١٦ .

(٧٠) الدولة الاخشيدية : نسبة إلى أبي بكر الأخشيدي محمد بن طغج عبد الرحمن بن جف بن بلتكين ، الفرغاني الأصل، تولى القاهرة عن الخليفة العباسي القاهر بالله سنة ٣٢١هـ/ ٩٣١م. الكندي، كتاب الولاة ، ص٢٩٤ .

(٧١) أبو المسك كافور، كان عبداً أسود اللون بديناً ثقيلاً قبيحاً رجلاه مشوهتان ملكه أحد أثرياء مصر، وأنتقل إلى ملك أبي بكر محمد بن طغج الأخشيد سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٢م وكان أحد رؤساء الأجناد، ولما آلت ولاية مصر إليه أخذ كافور يترقى في بلاطه ولما مات سيده أستطاع كافور بمهارته وذكائه أن يستولي على الحكم بتعين من الخليفة العباسي سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م، فخطب له على منابر مصر والشام والحجاز، توفي سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م. الصنهاجي، محمد بن علي (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق : التهامي نقره وعبد الحليم عويس ، ط١ (القاهرة : دار الصحوة ، د. ت) ، ص٤٩ .

(٧٢) ابن شيث ، معالم الكتابة ، ص٩ .

(٧٣) يعقوب بن كلس : هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس، وأصله يهودي، ولد ببغداد، أنتقل إلى الشام بصحبة أبيه، ثم جاء إلى مصر وأتصل بخدمة كافور الأخشيدي الذي عينه على خزائن الدولة، وأسلم سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م، ثم ألتحق بخدمة المعز بالمغرب، توفي سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م. المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٠م)، ص٢٤١

(٧٤) ابن شيث ، معالم الكتابة ، ص٩ .

(٧٥) ط١ (بيروت : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٠م) ، المقدمة ص٨ .

(٧٦) ابن شيث ، معالم الكتابة ، ص٩ .

(٧٧) سمي بكاتب السر لانه يكتب اسرار الدولة ووظيفته قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة اجوبتها ، واخذ خط السلطان عليها وتفسيرها والجلوس بدار العدل لقراءة الطلبات والاستدعاءات والتوقيع عليها ومشاركة الوزير في بعض الأمور مع التحدث في أمور البريد ومشاركة الدوادار في اكثر الأمور السلطانية . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص٣٠ ؛ البقلي ، محمد قنديل ، التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م) ، ص٢٨٢ .

(٧٨) ابن الصيرفي ، الإشارة ، صص٦٤-٦٦ .

(٧٩) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ ، ص٤١٧

(٨٠) المماليك : جموع الرقيق الأبيض الذين كانوا يصبحون رقيقا إما نتيجة للأسر في الحرب أو الشراء من التجار الذين يجلبونهم من بلاد ما وراء النهر وفرغانة وآسيا الصغرى والقوقاز وشواطئ البحر الأسود ، وكان الخلفاء العباسيون هم أول من استخدم المماليك –أو الرقيق الأبيض– في توطيد دولتهم ثم جلبهم الفاطميون إلى مصر ثم السلاطين المتأخرون من الأيوبيين ، كي يدربوا على الجندية وخدمة السلطان . عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، العصر المماليكي في مصر والشام ، ط٢ (بيروت : دار العودة ، ١٩٨٠م) ، صص١-١٥ .

(٨١) الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص٢٠ .

(٨٢) ابن شيث ، معالم الكتابة ، صص١٠-١١ .

(٨٣) أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص١٩٢

(٨٤) ابن شيث ، معالم الكتابة ، ص١١ .

(٨٥) المصدر نفسه ، ص١١ .

([٨٦]) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ، الوافي بالوفيات ، (الاستانه ، د. مط ، ١٠٣١م) ، ج١٥ ، ص١٦ .

([٨٧]) أبو شامه ، الروضتين ، ج١ ، ص٢٧٣ .

([٨٨]) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٥ ، ص١٦ .

([٨٩]) الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص٢٤ .

([٩٠]) المصدر نفسه ، ص٢٧ .

([٩١]) الملك الناصر : هو محمد بن قلاوون بن عبد الله ابن السلطان الملك المنصور ، من كبار سلاطين الدولة المملوكية ، وكان ملكا عظيما دانت له البلاد وملك الأطراف بالطاعة ، وكان يعظم أهل العلم والمناصب الشرعية ، توفي بالقاهرة سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م . ابن الوردي ، عمر بن مظفر ، (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) ، تاريخ ابن الوردي ، ط٢ (النجف : الطبعة الحيدرية ، ١٩٦٩م) ، ج ٢ ، ص٤٧٢ .

([٩٢]) الظاهر بيبرس: هو الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس بن عبد الله البندقداري ، أحد سلاطين الدولة المملوكية ، حكم من سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، واستمر حتى وفاته سنة٦٧٦هـ/١٢٧٧م . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م) ،ج ٧ ، ص٩٤-٢٠٠ .

([٩٣]) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ، صص١٣١-١٣٢ .

([٩٤]) الظاهري ، خليل بن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، اعتنى بتصحيحه بولس راويس ، (باريس : د. مط ، ١٨٩٤م) ، ص١٠١ .

([٩٥]) ارباب الأقلام : هي الوظيفة الثانية بعد وظيفة الوزارة حيث كانت الوظائف الديوانية في الدولة الفاطمية تقسم الى أربعة أنواع وهي : الوزارة (اذا كان الوزير صاحب قلم وكان أغلب وزرائهم من أصحاب الاقلام)، وديوان الانشاء ، وديوان الجيش والرواتب ، والدواوين الادارية التي تشمل حوالي أربعة عشر ديواناً وهي : " ديوان النظر ، ديوان التحقيق ، وغيرها. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١٠ ، ص٣٠٨ .

([٩٦]) ارباب السيوف : هم أفراد ينتمون الى الطبقة العسكرية ، وكانت أغلب وظائف أرباب السيوف تنقسم الى نوعين : ١- وظائف عامة الجند وتشمل تسع أنواع من الوظائف هي : الوزارة (أذا كان الوزير صاحب سيف) ، الاسفسهلار ، حامل المظلة ،حامل سيف الخليفة ، حامل رمح الخليفة ، حامل السلاح ، والي القاهرة ، والي مصر الفسطاط ؛ ٢- وظائف خواص الخليفة من الاستاذين وتنقسم الى نوعين : ١- الاستاذين المحنكين ٢- الاستاذين من غير المحنكين . ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص١٢٠ وما.

([٩٧]) الحسيني ، الحسن بن علي (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) ، نبذ من كتاب ملخص الفطن والالباب ومصباح الهدى للكتاب ، دراسة وتحقيق ، طلال جميل الرفاعي ، (مكة المكرمة : المكتبة التجارية ، ١٩٩٢م) ، صص٤٣-٤٥ .

([٩٨]) المصدر نفسه ، ص٥٩ .

([٩٩]) الموصلي ، موسى بن حسن (ت٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) ، البرد الموشى في صناعة الانشاء ، تحقيق : عفاف سيد صبرة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م) ، ص٤٥ .

([١٠٠]) الجندي ، السلوك ، ج٢ ، صص٥٧٦-٥٧٧ .

(١٠١) ماجد ، عبد المنعم ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر : دراسة شاملة للنظم السياسية ، ط٢ (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٩م) ، ج١ ، صص٥٤-٦٦ .

(١٠٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص٣٠ .

(١٠٣) كتاب الدست : عرفوا بهذا الاسم لانهم يرافقون السلطان ويجلسون بين يديه في سدته . المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٤٣٦ .

(١٠٤) وعرفوا بهذا الاسم لانهم كانوا يكتبون رسائلهم في تروج الورق المستطيل المركب من عدة اوصال مدرجة الى بعضها الخزرجي ، العقود ، ج٢ ، ص٦٣.

(١٠٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٨ .

(١٠٦) الجندي ، السلوك ، ج٢ ، ص٥٦٦ -٥٦٩ .

(١٠٧) موسى بن الحسن الموصلي تاج الدين أبو محمد موسى بن الحسن الموصلي تاج الدين أبو محمد ذكره الشهاب ابن فضل الله كان أبوه من كتاب الديار المصرية في ديوان الإنشاء في زمن الظاهر بيبرس وكان يعرف بسمسار الخير . المصدر نفسه ، ج٢ ، صص٥٦٦-٥٦٧ .

(١٠٨) من افضل السلاطين الرسوليين ، نشا نشأة علمية ، وتشرب حب العلم والعلماء عن والده ، يصفه **الخزرجي** " **كان مشتغلاً بالعلم ، اخذ من كل فن بنصيب** " ، اشتغل بطلب العلم على كبار علماء عصره ، لا في اليمن فحسب ، بل وعلى علماء الحرم ، واقتنى نفائس الكتب . توفي سنة (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) . العقود ، ج ١، ص٢٣٣ ؛

(١٠٩) ابن حجر العسقلاني ، الدرر ، ج٥ ، ص١٤٥ .

(١١٠) السلوك ، ج٢ ، ص٥٦٧ .

(١١١) العقود ، ج١ ، ص٢٥١ .

(١١٢) الملك المؤيد حسين بن الظاهر بن الاشرف ، قام في زبيد سنة (٨٥٥هـ / ١٤٥٢م) ، ويعد اخر السلاطين ، اذ دخل عدن عقب خروج السلطان المسعود منها ، فوافاه بنو طاهر هناك فتنازل عن السلطنة في سنة (٨٥٨هـ / ١٤٥٤م) . ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٤٠ .

(١١٣) الدرر ، ج٥ ، ص١٤٥ .

(١١٤) الخزرجي ، العقود ، ج١ ، صص٣٤٢-٣٤٣ . وهو تاج الدين أبو محمد عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليماني المخزومي ، ولد في سنة (٦٨٠هـ / ١٢٨١م ، ثم ارتحل من اجل العلم الى عدة من الامصار الإسلامية ، كان ابرزها الحجاز وبلاد الشام ، وفي الأخيرة مكث فترة طويلة يدرس على اكابر علمائها لاسيما في العلوم العربية ،. الجندي ، السلوك ، ج٢ ، صص٥٧٦-٥٧٨ .

(١١٥) هو ابن المقري إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم ابن علي بن عطية بن علي الشاوري الزبيدي اليمني الحسيني الشافعي، يكني أبو محمد ويلقب شرف الدين المعروف بابن المقري. ولد وتعلم في أبيات حسين، بني شاور، باليمن، شمال غرب شبه الجزيرة العربية تلقى تعليمه بداية على يد علماء بلده في العلوم الشرعية واللغة ونظم القوافي، وواصل طلب العلم، وسعى لتحصيله على يد كبار علماء عصره . توفي سنة (٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) . ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج٢ ، صص٣٨٦-٣٨٩ .

(١١٦) الفاسي ، العقد الثمين ، ج٤ ، ص١٣٢ .

(١١٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٨ ، ص٧٣ .

([118]) مسالك الابصار ، ص٤٨ .

([119]) العبادي ، الحياة العلمية ، صص٣٥٥-٣٥٦ .

([120]) ابن حاتم ، السمط ، ص٢٩١ .

([121]) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٨ ، صص٧٣-٧٧ .

([122]) المصدر نفسه ، ج١٤ ، ص٣٦٧ .

([123]) المصدر نفسه ، ج١٤ ، ص٣٦٧ . الفرسخ يساوي ٦كم تقريبا . هنتس ، فالنز ، المكاييل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسيلي ، ط٢ (عمان : الجامعة الأردنية ، ٢٠٠١م) ، ص٩٤ .

([124]) ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ، ج١ ، ص٦١ .

([125]) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١٤ ، صص٣٩٧-٣٩٩ .

قائمة المصادر والمراجع

- **القران الكريم**

أولا / المصادر العربية المطبوعة

- الاشرف الرسولي ، عمر بن يوسف (ت٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)

١- طرفة الاصحاب في معرفة الانساب ، تحقيق : ك . وستر ستين ، ط٢ ٠ (بيروت : منشورات المدينة ، ١٩٨٥م)

- ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)

٢- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : نبيل عبد العزيز ، (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٨م)

- الجندي ، محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)

٣- السلوك ،في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع ، ط١ (اليمن : وزارة الاعلام ، ١٤٠٩هـ)

- ابن حاتم : محمد بن حاتم بن احمد (ت بعد ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م)

٤- السمط الغالي الثمن في اخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق : ركس سميث ، (لندن : مجموعة جب ، ١٩٧٤م)

- ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٢م)

٥- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، ط٢ (د: م ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٦م)

- الحسيني ، الحسن بن علي (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م)

٦- نبذ من كتاب ملخص الفطن والالباب ومصباح الهدى للكتاب ، دراسة وتحقيق ، طلال جميل الرفاعي ، (مكة المكرمة : المكتبة التجارية ، ١٩٩٢م)

- الخزرجي ، علي بن الحسن (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م)

٧- العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، ط٢ (صنعاء : دار الكتب ، ١٩٨١م)

٨ - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، نشر : محمد بن علي الاكوع ، ط٢ (صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٨٣م)

٩- المقدمة ، تحقيق : المستشرق الفرنسي أ . م كاترميز ، ط١ (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٩٢م)

- الذهبي ، محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

١٠- سير اعلام النبلاء ، تحقيق : بشار عواد معروف ، يحيى هلال السرحان ، ط٤ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م)

١١- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني ، (د : م ، دار الكتب ، د. ت)

- السلطان الأفضل ، العباس بن علي (٧٧٨هـ / ١٣٧٦م)

١٢- نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء ، تحقيق : نبيلة داود ، (مكة : دار الكتاب العربي ، د. ت)

- أبو شامة ، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)

١٣- الروضتين في اخبار الدولتين ، (بيروت : دار الجيل ، د. ت)

- ابن شيث ، عبد الرحيم بن علي (ت٦٢٥هـ / ١٢٢٧م)

١٤- كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨م)

- الصفدي ، خليل بن ايبك (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ،

١٥- الوافي بالوفيات ، (الاستانه ، د. مط ، ١٠٣١م)

- الصنهاجي، محمد بن علي (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

١٦- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق : التهامي نقره وعبد الحليم عويس ، ط١ (القاهرة : دار الصحوة ، د. ت)

- الصولي ، محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ / ٩٤٦م)

١٧- ادب الكتاب ، شرح وتعليق : احمد حسن لبج ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م)

- ابن الصيرفي ، علي بن منجب (ت٥٤٢هـ / ١١٤٧م)

١٨- الإشارة لمن نال الوزارة ، تحقيق : ايمن فؤاد سيد ، (د. م : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٠م)

١٩- قانون ديوان الرسائل ، ط١ (بيروت : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٠م)

- الفاسي ، محمد بن احمد (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٩م)

٢٠- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦م)

- القضاعي ، محمد بن سلامه (ت٤٥٤هـ / ١٠٦٢م)

٢١- عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف ، تحقيق : جميل عبد الله محمد المصري ، (د: م ، د. مط ، ١٩٩٥م)

- الكندي، محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/٩٦٠م)

٢٢- كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح رفن كست ، (بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨م)،

- المقدسي ، محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)

٢٣- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٣ (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩١م)

- المقريزي ، احمد بن علي (ت٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

٢٤- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، (مصر : مكتبة الخانجي ، ١٩٥٥م)

٢٥- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار المسمى بالخطط المقريزية ، تحقيق : محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، (د. م : مكتبة مدبولي ، د. ت)

- ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ / ١٣١١م)

٢٦- لسان العرب ، ط٣ (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٤م)

- الموصلي ، موسى بن حسن (ت٦٩٩هـ / ١٢٩٩م)

٢٧- البرد الموشى في صناعة الانشاء ، تحقيق : عفاف سيد صبرة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م)

- الهمداني ، الحسن بن احمد (ت٣٣٤هـ / ٩٤٥م)

٢٨- صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع ، ط١ (صنعاء : مكتبة الارشاد ، ١٩٩٠م)

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

٢٩- معجم البلدان ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٧٩م)

ثانيا / مراجع العربية

- الاكوع ، إسماعيل بن علي ،

٣٠- البلدان اليمانية عند ياقوت ، ط٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٨م)

- باشا ، حسن

٣١- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ، ط١ (مصر : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م)

- البقلي ، محمد قنديل

٣٢- التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م)

- الثعالبي ، عبد العزيز

٣٣- سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية (١٣٢هـ / ٧٥٠م) ، تحقيق : حمادي الساحلي ، ط١ (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٥م)

- الحجري ، محمد بن احمد

٣٤- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق : إسماعيل بن علي بن الاكوع ، (صنعاء : وزارة الاعلام والثقافة ، ١٩٨٤م)

- الرفاعي ، طلال جميل

٣٥- نظام البريد ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة ام القرى : كلية الشريعة ، ١٩٨٧م)

- الزركلي ، خير الدين زكريا بن محمد (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م)

٣٦- الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط٥ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م)

- شلبي ، احمد

٣٧- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط٣ (د : م ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م)

- الشماحي ، عبد الله بن عبد الوهاب

٣٨- اليمن الانسان والحضارة ، ط٣ (مكة المكرمة : منشورات المدينة ، ١٤٠٦هـ)

- الظاهري ، خليل بن شاهين

٣٩- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، اعتنى بتصحيحه بولس راويس ، (باريس : د. مط ، ١٨٩٤م)

- الظاهري ، خليل بن شاهين

٤٠- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، اعتنى بتصحيحه بولس راويس ، (باريس : د. مط ، ١٨٩٤م)

- عاشور ، سعيد عبد الفتاح

٤١- العصر المماليكي في مصر والشام ، ط٢ (بيروت : دار العودة ، ١٩٨٠م)

- عسيري ، محمد بن علي

٤٢- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الايوبي ، ط١ (جدة : دار المدني ، ١٩٨٥م)

- عليان ، محمد عبد الفتاح

٤٣- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول ، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة : كلية الاداب ، ١٩٧٣م)

- الكبسي ، محمد بن إسماعيل

٤٤- اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية ، (القاهرة : مطبعة السعادة ، د. ت)

- المناوي، محمد حمدي

٤٥- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٠م)

- هنتس ، فالنز

٤٦- المكاييل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسيلي ، ط٢ (عمان : الجامعة الأردنية ، ٢٠٠١م)

ثالثا / المجلات والدوريات

- الكعبي ، عبد الحكيم غنتاب

٤٧- نشأة النقود وتطورها من القرن السابع ق . م حتى القرن السابع الميلادي ، مجلة دراسات تاريخية ، (جامعة الموصل : كلية التربية ، العدد (١٥) ، ٢٠١٣م)

رابعا / الرسائل والاطاريح

- السنيدي ،عبد العزيز بن راشد

٤٨- المدارس واثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الامام محمد بن سعود ، كلية العلوم الاجتماعية ، ١٩٩٠م)

- محمد ، صلاح مهران

٤٩- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأئمة الزيدية باليمن ، رسالة دكتوراه غير منشورة (مصر : دامعة المنيا ، ١٩٨٧م)

التنافس السياسي على السلطة في اليابان ١٩٧٢-١٩٨٢ من خلال الوثائق العراقية.

أ.د حسين جبار شكر

كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة كربلاء

drjebbar@gmail.com

٠٧٧٠٣٩٩٥٤٤٢

التنافس السياسي على السلطة في اليابان ١٩٧٢-١٩٨٢ من خلال الوثائق العراقية.

أ.د حسين جبار شكر

تعد الكتابة على اليابان بشكل عام وتطوراتها السياسية بشكل خاص من الموضوعات التي تثير الاهتمام وتعطي الدافعية للباحث لاسباب متعددة في مقدمتها قلة الدراسات العراقية والعربية عن تاريخ اليابان، وان ظهرت في الاونة الاخيرة بعض الدراسات العراقية والعربية القيمة التي اختطت جوانب من تاريخ اليابان السياسي والثقافي والاقتصادي، فضلا عن بعض الدراسات الاكاديمية، فكانت هناك مجموعة من العوامل مثلت دافعا للباحثين للولوج في البحث عن تاريخ اليابان في العالم يعطينا حافزا اخر للخوض في معرفة طبيعة النظام السياسي الذي سار بهذا البلد الى تلك الدرجة المتقدمة في العالم ، إذ غزت العالم اقتصاديا من دون استثناء حتى في الدول المعادية لليابان مثل كوريا الديمقراطية والاتحاد السوفيتي، بنهضته الاقتصادية السريعة ذات الكفاءة العالية، فضلا عن معرفة الشخصيات التي ادت دورها في ذلك التطور.

ما شجعنا على الولوج في موضوع بحثنا(التنافس السياسي في اليابان ١٩٧٢-١٩٨٢ من خلال الوثائق العراقية) ما وقع تحت ايدينا عدد من الوثائق العراقية الصادرة من سفارتنا في طوكيو ومنظمة حزب البعث(المنحل) في طوكيو وما اصدرته وكالة الانباء العراقية، وان كانت قليلة لكنها غطت مدة البحث نوعا ما لتكشف عن امرين، الامر الاول مدى الصراع والتنافس الموجود في الساحة اليابانية على السلطة بين المعارضة المتمثة بالحزب الشيوعي والاشتراكي، والطرف الاخر ممثلا بالحزب الديمقراطي الليبرالي ، والامر الاخر الصراع القائم بين اجنحة الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم للوصول الى رئاسة الحزب والحكومة.

هنا، لابد من طرح عدد من التساؤلات التي حاولنا الاجابة عليها في متن البحث، اهما هل كان اليابان بلدا مستقرا سياسيا؟ ومانوع النزاعات الدائرة في الساحة السياسية

اليابانية؟ وهل امتاز سياسيو اليابان بالنزاهة ام كانوا مثل غيرهم من سياسي العالم الذين لحقت بهم تهم الرشاوى والانتفاع الشخصي على حساب المال العام؟ وهل نجحت المعارضة في التاثير بالشارع الياباني وفي قرارات الحكومات اليابانية؟فضلا عن التعرف على طبيعة النظام السياسي الذي سارت عليه اليابان خلال مدة البحث، وما السياسة الخارجية التي اتبعها اليابان ؟

قبل الدخول في عقد السبعينيات جرت انتخابات الحكومة اليابانية في العام ١٩٦٩، والتي امتازت بكثرة الخلافات السياسية بشأن عدد من المشكلات والقضايا التي اثارت الخلاف بين الحزب الحاكم واحزاب المعارضة، فأصبحت بمثابة الدعاية لكلا الطرفين في تلك الانتخابات ، وبالوقت نفسه مثلت الوسيلة لاسقاط كل طرف للطرف الآخر، لاسيما ان المعارضة اوقعت اللوم والتقصير على الحزب الحاكم لعدم تمكنه من حل تلك المشكلات او التعثر فيها، وأهم تلك القضايا مسألة اعادة جزيرة اوكيناوا[١] والتمديد الاوتوماتيكي لمعاهدة الامن المشترك مع الولايات المتحدة الامريكية، ومشكلة الاسعار في السوق اليابانية، وتخفيض الضرائب، ومشاكل الجامعات، وتلوث المحيط، ومشكلة ازدحام الضواحي ومشاكل المرور، فضلاً عن مشكلة اعادة العلاقات الطبيعية مع الصين [٢].

على الرغم من الحملة الاعلامية الدعائية للانتخابات ودعوة الشعب الياباني الى المشاركة بها غير ان اعداد كبيرة من الناخبين اليابانيين قاطعو الانتخابات، فقد وصل عدد الناخبين الغائبين عن التصويت(٢٠ مليون) نسمة من مجموع (٦٩٧٠٠٠٠٠) ناخب ، ما دل على عزوف الناخب الياباني عن الانتخابات وعدم اكتراثه بها مدى العداء الذي يكنه تجاه مصداقيتها او لعدم ثقته بما تفرزه من نتائج [٣] او قد يعود كل ذلك الى يأس المواطن الياباني من اجراءات الحكومات التي بنظره لم تخدم الشعب الياباني بما يطمح به من حقوق وخدمات مما ولد نفوراً من المشاركة في الانتخابات التي عدوها لا فائدة منها، او في ذلك مؤشراً على تدخل الحكومة في سير الانتخابات على اساس ان النتائج تأتي لصالح الحزب الحاكم كل السنوات الماضية.

افرزت نتائج انتخابات عام ١٩٦٩ ، عن حصول الحزب الحاكم على الاغلبية التي تؤهله لتأليف الحكومة وقيادة اليابان لثلاث سنوات قادمة، فقد حصل على ٢٨٤ مقعد، وبالمقابل مثلت نتائج الانتخابات ضربة قاسية للمعارضة التي حصلت على ١٨٢ مقعد فقط،[٤] فشكل اياكو ساتو الحكومة الثانية وحكومته الثالثة في ١٤ كانون الثاني ١٩٧٠-٢٧تموز ١٩٧٢[٥]، أي حصل الحزب الليبرالي الديمقراطي الحاكم على الاغلبية البرلمانية التي تمكنه من الحكم، وبالوقت نفسه اضعاف المعارضة البرلمانية.

استمرت الحكومة اليابانية في اتباع السياسة التقليدية، محاولة منها تخطي المشكلات التي واجهتها في انتخابات عام ١٩٦٩، لكن على ما يبدو لم تحقق طفرات ايجابية ملحوظة في الشارع الياباني الذي ظل ساخطاً على ادائها، وهذا ما نلمسه من الصراع الدائر بين الاحزاب السياسية اليابانية في استعداداتها لانتخابات عام ١٩٧٢، اذ حل مجلس النواب في دورته السبعين غير الاعتيادية التي انتخبت في ٢٧تشرين الاول عام ١٩٧٢[٦] ، ويمكن ان نلحظ ان طبيعة الصراع بين احزاب المعارضة والحزب الحاكم اقل وطأةً وشدةً عما كانت عليه في انتخابات عام ١٩٦٩، لان الحكومة اليابانية نجحت في انهاء عدد من المشكلات موضوع الخلاف الذي ذكرناها سابقاً والتي كانت بنظر الاحزاب والشارع الياباني اهم من المشكلات المتبقية، والتي في مقدمتها اعادة العلاقات الطيبة بين اليابان والصين[٧]، ونذكر ان مواقع او مشكلات الخلاف على سياسة الحكومة او كما يسمونها سياسة الحزب الحاكم. فقد ازدادت المعارضة على ما انتهجته الحكومة اليابانية من سياسة في بناء المجتمع الياباني والتي تمثلت بآراء تاناكا التي اعرب عنها في كتابه المعنون (تغيير معالم الجزر اليابانية)[٨]، ويمكننا تلخيصها في اعادة توزيع الصناعات، والقضاء على تمركزها وتمركز السكان في المدن، وتحسين وضع القطاع الزراعي والريف وتحويله مشابهاً الى مجتمع المدينة، والقضاء على مشكلة التلوث، واتخاذ عدد من الاجراءات الكفيلة بتحقيق مجتمع الرفاهية لليابانيين كافة[٩]، ويبدو ان هذه الافكار والاجراءات الذي سعت الحكومة الى تنفيذها ماهي الا اجراءات وجدتها ضرورية للنهوض بالمجتمع الياباني، وبالوقت نفسه معالجة قضايا الخلاف مع المعارضة لكي لا

تترك لها مجالاً لتعيد الكرة في انتخابات عام ١٩٧٢، بتوجيه كيلاً من الاتهامات والانتقادات على سوء اداء الحكومة.

في الواقع انعكست نتائج الاجراءات الحكومية سلباً على علاقاتها مع المعارضة التي وجدت فيها دافعاً للاستمرار في معارضتها، فقد عدت كل تلك الاجراءات ماهي الا "انصياعاً لرغبات الرأسمالية الكبيرة" (١٠)، فضلاً عن ارتفاع اسعار الاراضي وانتشار مشكلة التلوث في انحاء اليابان كافة، وما زاد الامر سوءًا اجتماع الحكومة اليابانية وتبليغ قواتها العسكرية بما خصص من اموال طائلة لميزانية الدفاع للسنوات الخمسة القادمة، مما اثار حفيظة المعارضة التي شنت حملة قاسية ضد الحكومة واتهامها بنية" عسكرة اليابان وجعلها قوى كبرى"(١١)، وهذا يخالف المادة التاسعة من دستور اليابان التي تحرم على اليابان امتلاك القوة العسكرية الهجومية(١٢)، وبالوقت نفسه قررت الحكومة اليابانية الاستمرار بالعمل بمعاهدة الامن المشترك التي عقدتها مع الولايات المتحدة الامريكية في العام ١٩٦٠، متجاهلة كل الاصوات اليابانية المطالبة بألغائها او اعادة النظر في بنودها على اقل تقدير، لكن الحكومة اليابانية بدلاً من ذلك اتخذت قراراً استثنت بموجبه القوات العسكرية الامريكية المرابطة في اليابان بعدم خضوعها لقانون السيطرة على وسائل النقل، ومنحت القوات الامريكية حرية الحركة الكاملة فكانت سببا لشن المعارضة حملة ضد المعاهدة (١٣).

وفي المجال نفسه قررت الحكومة اليابانية مساندة الحكومة الامريكية بحربها في فيتنام، وان لم تكن بشكل مباشر، اذ سمحت للقوات الامريكية المرابطة في اليابان بنقل المعدات الثقيلة بعد تصليحها في اليابان الى ميدان القتال في فيتنام، وهذا يتعارض مع معاهدة الامن المشترك مع الولايات المتحدة الامريكية وعدته المعارضة "تطبيق واسع وخطير لنصوص المعاهدة"(١٤).

اثيرت كل تلك المسائل من قبل احزاب المعارضة لكسب اصوات الناخبين بعد ان نجح الحزب الحاكم في الانتخابات السابقة من توجيه ضربة قاسية لاحزاب المعارضة التي تحولت الى "جماعات صغيرة"(١٥)، ولتلافي الاخطاء السابقة التي وقعت فيها

المعارضة اصرت على ضرورة المشاركة الفعالة في الانتخابات وعدم تكرار ظاهرة التغيب، لانها ادركت ان فشلها في انتخابات عام ١٩٧٢، "سيكون عليها ان تعيش تحت الضغط لفترة اخرى على اقل تقدير[١٦]، وهذا شجع احزاب المعارضة الى الدخول بثقلها، ولاسيما الحزب الاشتراكي لاستعادة مكانته التي اشارت الى تراجع الحزب الحاكم بعد الهزائم التي مني بها مرشحيه في انتخابات الحكومات المحلية للمقاطعات، اذ وصل عدد الحكام التقدميين من احزاب المعارضة ثمانية حكام من ضمنها اهم واكبر المقاطعات طوكيو ويوكوهاما واوكيتاوا، وغيرها[١٧]، فجرت الانتخابات في منتصف كانون الاول عام ١٩٧٢، وفاز الحزب الديمقراطي الليبرالي بالاغلبية المطلوبة لتأليف الحكومة وادارة البلاد[١٨].

انهيار حكم تاناكا ووصول ميكي الى السلطة

عند تسلم تاناكا لرئاسة الحكومة نظر اليه الكثيرون انه الشخص الذي سينفذ الاصلاحات المطلوبة، لذلك لم يعارض احداً في البرلمان على طلب تاناكا بمنحه جميع الصلاحيات والسلطات التي تمكنه من تحقيق الاصلاح والقضاء على كل العراقيل التي توضع في طريقه[١٩]. وبالفعل باشر تاناكا الاجراءات على الصعيدين الداخلي والخارجي، فحقق شوطاً لابأس به من الاستقرار الداخلي، فضلاً عن فتح اسواق واسعة امام البضائع اليابانية في الاسواق الصينية بعد زيارته الى الصين الشعبية[٢٠]، فعدته مجلة نيوزويك الامريكية "بلدوزر اليابان الالكتروني" لتحقيقه انتصارات دبلوماسية ضخمة بزيارته للصين الشعبية، وعقده اتفاقيات اقتصادية متعددة مع عدد من الدول التي زارها مما فتح اسواق العالم امام البضائع اليابانية[٢١]. فضلا عن حله المشكلات القائمة بين بلده والولايات المتحدة الامريكية[٢٢]، وهذا ما جعله يتصرف على انه باقي في الحكم على اساس انه المنقذ لليابان.

لم يدم تأثير الانتصارات والانجازات الاقتصادية والدبلوماسية التي حققها تاناكا في الشارع الياباني، فقد تسربت اخبار فضائح مالية ونسائية نالت من سمعة تاناكا وحزبه الحاكم[٢٣]، بعد ان فشلت كل الجهود المبذولة لابقاء تلك الفضائح في طي الكتمان

والسرية، ونفى تاناكا ما نسب اليه من تهم وقال "ان كل ما نشر او شيع هو من تصميم وتدبير خصومه السياسيين الذين يسعون الى الاطاحة به من المركز الذي يشغله"[٢٤]، وكان عليه للبقاء على رأس السلطة كسب تأييد الاحزاب والشخصيات السياسية المختلفة، لكن الدلائل الدافعة لكل دفاعه برزت الى العيان، فقد بلغت قيمة قصره في طوكيو ثلاثة ملايين دينار، ولديه دور اخرى في المنتجعات الجبلية لاتقل قيمة الواحد منها عن قيمة قصره[٢٥]، فكيف حصل تاناكا على كل تلك الاموال، وهو الصبي القروي الصغير الذي تحول فيما بعد الى مليونير[٢٦].

يبدو ان ثروة تاناكا كان مصدرها التلاعب على الحكومة واستغلال الحزب الحاكم، فقد اشارت مجلة يونشون اليابانية الشهرية ان دخل تاناكا السنوي (راتب) ٢٠ الف دينار، لكن لديه مداخيل كثيرة بصفته مساهماً كبيراً فيما لا يقل عن نصف درزينة من الشركات الصناعية الكميائية وشركات النقل، فأخبر تاناكا وزارة تحصيل الضرائب ان دخله عام ١٩٧٣، مئة الف دينار[٢٧]، واشار المعارضون لتاناكا انه باع قطعة ارض ملك مشاع للدولة لصديقه المقرب كينيي اوساتو الذي بدوره باع قطعه الارض بربح صاف بلغ ثلاث ملايين دينار، فأشترى احد شركات تاناكا الخاسرة بقيمة مليوني دينار وسعرها ٧٥٠ الف دينار[٢٨] .

من جانب آخر، كان تدخل للحزب الحاكم مبالغ ضخمة وصلت ما يقارب الى ٣١مليون دينار عام ١٩٧٢، حصل عليها من اصحاب المصانع والشركات والمصانع والمعامل، والتي قلت الى ٢٥مليون عام ١٩٧٣، بسبب العداء بين تاناكا وتوشيو دوكو رئيس اتحاد الصناعيين في اليابان ورئيس مجلس ادارة شركة توشيبا الكهربائية ورئيس مجلس ادارة شركة ايهي لصنع السفن[٢٩]، ووصفته مجلة يوتشون اليابانية بقولها"ان المال الزلال جاء عن طريق سوء استعمال الاموال العائدة للحزب السياسي الذي يترأسه تاناكا لكن المال الاكثر زلالاً هو ذلك المتوافر من التلاعب على الدولة في دفع الضرائب"[٣٠].

في تلك الاثناء تصاعدت الازمة الاقتصادية في اليابان بتزايد التضخم النقدي [٣١]، لذلك بدأت الاوساط السياسية في داخل الحزب الحاكم تعمل على اسقاط تاناكا الذي اساء الى حزبهم بعد ان كان "صانع المنجزات الياباني"[٣٢]، فنشبت معركة بين تاناكا الذي تمسك بمنصبه ودافع عنه، وبين الشخصيات الحزبية الاخرى التي وجدت من الضروري التخلص منه للمحافظة على مكانة وهيبة الحزب واصلاح ما تسببه من سوء السمعة للحزب، فحاول تاناكا شراء المؤيدين له، بتوزيع الاموال عليهم، فقد وزع مع مطلع عام ١٩٧٤، حتى استقالته في تشرين الثاني عام ١٩٧٤، ما يقارب ١٠٠مليون دينار[٣٣]، لذلك هدد وتوشيو دوكو بقطع المساعدات المادية عن الحزب الحاكم في حال استمرار الحزب على نهجه السياسي الذي ساده الانشقاق بقوله"على الحزب الليبرالي الديمقراطي ان يسعى كل جهده من اجل تغيير النظام الانتخابي، ومن اجل حل الكتل النيابية المتنوعة ضمن صفوفه ومن اجل تحسين طريقة الانفاق لديه، فاذا لم يتم ذلك كله فان الفعاليات الاقتصادية ستتوقف عن دفع العملة للحزب"[٣٤]، فاثرت تلك الفضائح في انخفاض الاصوات التي حصل عليها الحزب الحاكم، فلم يحصل تاناكا في آخر انتخابات الا على نسبة ١٨% وهي اوطأ نسبة حصل عليها رئيس وزراء ياباني بعد الحرب العالمية الثانية[٣٥]، وبدوره اثر في انتخابات مجلس النواب التي جرت اواخر حكم تاناكا، فلم يحصل الحزب الا على اغلبية قليلة جداً[٣٦]، فظهرت مشكلة ثانية امام الحزب وهي كيفية اجبار تاناكا المصر على تمسكه بمنصبه على الاستقالة؟

سارت الاجنحة السياسية في الحزب الحاكم على سياسة التخلص من تاناكا قبل اسابيع من تقديم استقالته في تشرين الثاني ١٩٧٤، فكلف اوهيرا وزير المالية التحقيق في التهم الموجهة لتاناكا بشأن اساليبه السياسية المشبوهة في مضاعفة ثروته في المضاربات العقارية المريبة التي مارسها، ومغامراته العاطفية باحتفاظه بأكثر من عشيقة[٣٧] واستقال عدد من السياسيين من حكومة تاناكا وعلى رأسهم فوكودا[٣٨]، لكن ذلك لو يؤثر به كثيراً الا بعد وصول الازمة الى حياته العائلية، فقد نشب خلاف بينه وبين ابنته التي نصحته بالاستقالة، فقال احد المقربين لتاناكا الذي وصف اوضاعه بأنها (ورطة) لايمكن حلها. عند وصولها الى عائلته فقال: "ان الساسة قادرون على تذليل المصاعب التي

يتعرضون لها خارج بيوتهم، ولكن اذا كانت لديهم متاعبهم في منازلهم ايضاً، فمن المؤكد انها ستؤدي الى تحطيمهم"[٣٩]، فأذعن تاناكا واعترف بأخطاءه معرباً عن اسفه لجلبه "العواصف الممطرة لبلاده"[٤٠]، وقال "انني انا المسؤول الوحيد الذي يلام على حقيقة شؤوني الخاصة التي ولدت سوء الفهم لدى الشعب، واني لأشعر بألم لا استطيع تحمله"، واضاف "اني اطمع في ان اجلو الحقائق ذات يوم، لكي استعيد تفهم الشعب لقضيتي، ولكن المشاكل التي تتطلب حلاً عاجلاً تتراكم داخل وخارج البلاد، ولهذا السبب فقد قررت ان اقدم استقالتي"[٤١]، فنتجت امام الحزب الحاكم مشكلة اختيار خليفة لتاناكا واعادة توحيد صفوفه .

لم يكن من السهل اختيار شخصية تنوب او تخلف تاناكا بسبب السياسة التي اتبعها الاخير وتركت مرارة كبيرة في الاوساط السياسية والحزبية، لاسيما انه في اعلانه استقالته لم يرشح احداً ليخلفه[٤٢]، فظهر على ساحة الحزب الحاكم اربع شخصيات سياسية مثلت الاجنحة البارزة في الحزب تنافست على رئاسة الحزب والحكومة هم:-

١- تاكيو فوكودا العمر ٦٩عام.
٢- ماسايوشي اوهيرا بعمر ٦٤عام.
٣- ابيشابورو شينا بعمر ٧٦عام.
٤- تاكيو ميكي بعمر ٦٧ عام[٤٣].

وكان فوكودا واوهيرا اقوى المرشحين لامتلاكهم اجنحة قوية داخل الحزب[٤٤]، لان ميكي لا يمتلك تأييداً قوياً في الحزب، فضلاً عن كونه (مثالياً جداً) ودعا الى اجراء اصلاح داخلي في الحزب الذي لم ينل تأييد الكثير من السياسيين في الحزب الحاكم[٤٥].

ولابعاد الانشقاق والصراع داخل الحزب الحاكم كلف شينا اكثر الزعماء السياسيين احتراماً في وسط الحزب الحاكم ونائب رئيس الحزب، للتوصل الى شخصية مناسبة تحتفظ للحزب بمنصبه وتصلح ما سببته فضائح تاناكا ، فعمل ليلاً ونهاراً بعقد الاجتماعات مع زعماء الحزب واعضاء البرلمان، وبعد مشاورات مطولة توصل الى

قناعة بأن اختيار اوهيرا او فوكودا سيؤدي الى انشقاق خطير في صفوف الحزب، والذي يتسبب في فقدان الحزب للحكم(٤٦)، لاسيما بعد فضائح تاناكا التي ادت الى الاستقالة(٤٧).

نجح شينا في اقناع الزعماء السياسيين ان افضل طريقة لتحسين صورة الحزب تتم بأصلاح عملية تمويل الحزب والانتخابات الداخلية، وتكللت جهوده بعقد اجتماع لكل زعماء الحزب، فطرح اسم مرشحه ميكي لرئاسة الحزب على اساس انه الاوفر حظاً والاكثر كفاءةً على تنفيذ اصلاحاته التي اعلن عنها(٤٨)، لكن على ما يبدو ان الخبر فاجأه وأذهل بقية الزعماء حتى ميكي نفسه الذي عبر عن موافقته بالاشارة، واصر اوهيرا وفوكودا على التشاور مع انصارهما قبل ابداء الموافقة، وسرعان ما حصل بتأييد شينا تزايد التأييد لميكي بين اعضاء الحزب، فأضطر امام تصاعد الموقف كل من اوهيرا وفوكودا على الموافقة على ترشيح ميكي(٤٩)، ويبدو ان اختيار ميكي كان اختيارا موفقا في تلك المدة بتوحيد صفوف الحزب . وهذا ما عبر عنه تاناكا نفسه بقوله:" اذا كان الحزب في امس الحاجة الى الوحدة، فقد ازف الوقت الان"(٥٠).

يعد ميكي اول شخصية سياسية وصلت الى رئاسة الحزب والوزارة، من دون صراعات ومشاكسات ضمن اجنحة الحزب الديمقراطي الحر، فظمت وزارته جميع الاجنحة السياسية للحزب الحاكم، مما رجح ان تكون حكومة ذات فعالية اوسع من الوزارة السابقة لتاناكا(٥١)، وشاع في الاوساط السياسية اليابانية ان فوكودا وميكي عقدا صفقة سرية بتسليم ميكي لرئاسة الحزب الى فوكودا بعد انتهاء مدة رئاسته وهي ثلاث سنوات(٥٢)، كما برز على الساحة السياسية قناعة بأن الفضل في استقرار الوضع السياسي يرجع الى مهارة ومكانة شينا في ادارة دفة الامور، مما اعطى انطباعاً بتمتعه بنفوذ واسع بين الدوائر السياسية ودوائر رجال الاعمال (في البلاد) لدرجة ان حكومة ميكي سميت بـ(حكومة شينا) الذي عد في الظاهر الشخص الثاني في الحزب وعملياً هو الشخص الاول في الحزب(٥٣)، وحددت مهمة ميكي بمعالجة جراح الحزب ومعالجة جراح الشعب، وانتشرت قناعات بأن حكومته ستنجح الى حد كبير في مهمتها

لتأييد فوكودا واهيرا وتاناكا لحكومته[٥٤]، وحدد ميكي في خطابه الاول امام البرلمان الخطوط العامة لسياسة حكومته بأنها تتمثل في مكافحة التضخم والانكماش ونقص الطاقة والطعام، وتمسكه بسياسة اليابان التقليدية بالتأكيد على الصداقة مع جميع الدول والسعي لعقد اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي والصين، ودعا الى اتباع سياسة الاستهلاك من النفط من دون الاضرار بالاقتصاد الياباني[٥٥]، ولتوافر المنتجات النفطية التي تستورد اليابان اكثرها من الشرق الاوسط زار ميكي ثمانية دول عربية في مقدمتها العراق [٥٦]. ولكن السؤال الذي يمكن اثارته الى أي مدى سيستمر فوكودا واهيرا الطامعين والطموحين في الحصول على منصب رئاسة الحزب والحكومة، في تأييدهما لحكومة ميكي؟ وهذا ما قد يدخل اليابان في محنة سياسية كبيرة.

في الواقع ان سياسة ميكي الجادة في اصلاح الحزب الحاكم اثارت حفيظة الاجنحة السياسية والزعماء السياسيين في الحزب الحاكم وخارجه وعلى رأسهم شينا الذي له الفضل الاول والاخير في ايصال ميكي الى رئاسة الحزب، فقد اصر ميكي على تشديد القيود المفروضة على مكافحة الاحتكارات، وخطى نحو التصالح مع الحركة العمالية وفتح حواراً مع جمهورية كوريا الديمقراطية [٥٧]، ومما زاد من استياء الزعماء من ميكي اصراره على الاستمرار بالتحقيق في فضيحة لوكهيد الامريكية التي دفعت ١٢مليون دولار رشاوي الى رجال الاعمال اليابانيين لترويج مبيعات الشركة[٥٨]، لكن التنافس السياسي على السلطة في الولايات المتحدة الامريكية طور التحقيق في الولايات المتحدة بشأن المتورطين في قضية لوكهيد ، التي اكدت على توافر الادلة التي تدين عدد من الشخصيات الحكومية اليابانية، فطلب الوفد الياباني من لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي ان تزود البرلمان الياباني بكل الادلة التي يتم الحصول عليها، فوافقت وزارة العدل الامريكية باجراء مرافعات في محكمة اتحادية بحظور الوفد الياباني لطرح الاسئلة على المسؤولين في شركة لوكهيد[٥٩]، ويبدو ان شينا كان من بين السياسيين اليابانيين الذين وردت اسمائهم في لائحة المتورطين بالرشاوي، فشن حملة واسعة ضد ميكي، وعقد اجتماعات متعددة مع السياسيين اليابانيين لحشد التأييد لأقصاء ميكي من الحكومة

واستبداله بشخصية توقف التحقيق بقضية شركة لوكهيد، وكان ابرز ما حققه في هذا المجال اقناع اوهيرا وزير المالية وفوكودا نائب رئيس الوزراء بتقديم استقالتهما من الحكومة لاحراج موقف ميكي واضعافه[٦٠]، وبعد ذلك قدم ستة من وزراء حكومة ميكي ممن ينتمون الى الحزب الحاكم استقالاتهم[٦١]، ولحقهم ستة من اعضاء البرلمان بتقديم استقالاتهم من الحزب الديمقراطي الحر احتجاجاً على تورط قيادات في الحزب بفضيحة لوكهيد[٦٢]،

لقد وصل الخلاف بين زعماء الحزب الحاكم اعلى درجاته فهناك مجموعة تؤيد ميكي وهناك تنافس وصراع بين شينا وفوكودا على المنصب، وهذا يعني ضرورة اقصاء ميكي عن طريق البرلمان، ولا يمكن تحقيقه الا بتأييد احزاب المعارضة التي كانت تعد ميكي افضل السيئين كما جاء على لسان احد الساسة اليساريين (المعارضة) قائلاً :"ان ميكي هو احسن ما في الشلة السيئة، فلماذا نطرد الاحسن لنأتي بالاسوء"[٦٣]، ومما زاد في تعقيد الامور على منافسي ميكي حصول الاخير على وثائق قضية لوكهيد، فأعطته سلاحاً قوياً لمنافسة شينا[٦٤]، لاسيما بعد تأكد وزارة العدل اليابانية على ان ما يقارب ١٣٠ شخصية سياسية كبيرة في اليابان متورطه في فضيحة لوكهيد، فأصر ميكي على مواصلة محاربة المفسدين رغم الانتقادات التي وجهت اليه من خصومه "ضعفه في البرلمان واخفاقه في معالجة الفضيحة"[٦٥]، فوصل الامر الى طريق مسدود بين الطرفين ،وصرح ميكي بعدم اجراء أي انتخابات جديدة في البلاد لحين نشر تفاصيل فضيحة لوكهيد على الرأي العام[٦٦]، وبعد نشر الوثائق اضطر ميكي الى تقديم استقالته بعد ان فشل الحزب من تحقيق اغلبية ساحقة، وما ظهر عليه الحزب من صورة هزيلة وسيئة بسبب تلك الفضائح، فأعلن ميكي تحمله مسؤولية المظهر السيئ الذي ظهر عليه الحزب لنشره اخبار فضيحة لوكهيدا، فجرت انتخابات لرئاسة الحزب فاز بها فوكودا بالاجماع فتسلم رئاسة الحزب الديمقراطي الليبرالي والحكومة في اليابان[٦٧].

تنافس اجنحة الحزب الديمقراطي الليبرالي على السلطة ١٩٧٨-١٩٨٢ :-

نجح الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم في الانتخابات المحلية التي جرت في ٨ نيسان١٩٧٨، من الحاق اقصاء تام لليسار الذي نتج عن هزيمته في الانتخابات فقدانه المدن الكبرى اليابانية التي سيطر على ادارتها في انتخابات عام ١٩٧٦، وفي مقدمتها مدينة طوكيو لدرجة ان مينون محافظ طوكيو الاشتراكي، لم يرشح نفسه في انتخابات عام ١٩٧٨ [٦٨]، وفاز سوزوكي الذي شغل منصب نائب رئيس عمدة طوكيو منذ العام ١٩٥٩، بمنصب عمدة طوكيو على منافسه الاشتراكي اوتا، الذي ادى دوراً بارزاً في المظاهرات النقابية التي حدثت في ربيع عام ١٩٧٨، بفارق ٣٠٠ الف صوت ، ويعود الفضل في ذلك الى التأييد الذي حصل عليه سوزوكي من الاحزاب اليمينية المتمثلة بحزب المركزية والحزب الديمقراطي الحر وحزب الكوميتو ذو النزعة البوذية الذي اصبح له شأناً واضحاً في المسرح السياسي الياباني[٦٩].

اثبتت نتائج الانتخابات المحلية لعام ١٩٧٨، انهيار قوى اليسار امام قوى اليمين الحاكم، فقد اصبح من الصعب توحيد المعارضة لمواجهة الحزب الحاكم، لاسيما بعد نجاح حزب الكوميتو من احتواء عدد من التنظيمات السياسية، وبالوقت نفسه العزلة التي عاشها حزبي الاشتراكي والشيوعي وضعفهما، مما اضعف من تأثيرهما في الساحة السياسية اليابانية[٧٠]، فبعد ان كانت الاحزاب اليسارية تسيطر على ٤٥% من المجالس البلدية اليابانية نتيجة لتبنيه سياسة المطالبة بحقوق الشعب الياباني بتوافر مجانية العلاج للمسنين ومكافحة التلوث وحل مشاكل النقل وغيرها من المطالب، غير ان الحكومة التي يرأسها الحزب الديمقراطي الحر لم تساند اجراءات البلديات التي تساهم في حل المشكلات التي تواجهها، بل على العكس زادت في المصاعب امام ادارة اليساريين لمجالس البلديات لتظهره بمظهر العاجز عن ادارة تلك المجالس[٧١]، وفضلاً عن ذلك نجح الحزب الحاكم في استغلال العزلة التي عاشها اليساريون وعدم قدرتهم على تكييف سياستهم حسب تغير الاوضاع[٧٢].

على الرغم من التقدم الذي ناله الحزب الحاكم في الانتخابات المحلية لعام ١٩٧٨، وفرض سيطرته على اغلب الادارات الحكومية والتراجع الواضح لليسار المعارض، مما صب في صالح تقوية موقف اوهيرا في انتخابات عام ١٩٧٩، غير انه بقى يعاني من ملاحقة شبح الفضائح المالية التي اضفت طابعها على الحياة السياسية في اليابان، لاسيما ان المتورطين في تلك الفضائح هم اعضاء في حزبه المحافظ ومن الشخصيات التي ترأست الوزارات السياسية من قبله(٧٣).

دعا اوهيرا بوقت مبكر جداً لاجراء انتخابات لمجلس النواب الياباني، وبالتحديد قبل ثلاثة عشر شهراً من موعدها المحدد(٧٤)، وعد قراره مفاجئاً في الاوساط السياسية، ولكن عندما ننظر الى نتائج استفتاء الرأي العام الذي اجرته بعض الصحف، والتي اكدت نتائجها المغرية لصالح الحزب الديمقراطي الليبرالي بأنه يتمتع بشعبية لم يتمتع بها منذ خمسة عشر عاماً(٧٥)، فطمح اوهيرا من تقديم الانتخابات ظناً منه انه سيحقق مجموعة من الاهداف في صالحه، اولها زيادة مقاعد حزبه البرلمانية لتصل الى ٢٧١ مقعد، وهي النسبة التي تؤهل الحزب لحكم البلاد من دون الرجوع الى الاحزاب الاخرى، وبالوقت نفسه يهمش احزاب المعارضة، كما اراد تقوية كتلته في داخل الحزب الحاكم على حساب كتل ميكي وفوكودا وناكاسوني(٧٦)، فضلاً عن رغبته بتقوية مركزه في الحزب قبل اجراء انتخابات رئاسة الحزب الديمقراطي الليبرالي في كانون الاول من العام ١٩٨٠(٧٧).

وقع اوهيرا بخطأ افقده مساندة الناخبين والكتل السياسية الاخرى في داخل حزبه، فقد اعلن في حملته الانتخابية عن نيته رفع نسبة الضرائب بفرض ضريبة جديدة تمكنه من الاستغناء عن الحاجة الى اصدار سندات ذات فائدة عالية على الخزينة لتغطية العجز في الميزانية، والتي تغطي ٤% من الميزانية في موعد اقصاه عام ١٩٨٥(٧٨)، فأثار ضده السخط الشعبي وحزبه الذي صدر تصريح عنه جاء فيه" انه لا حاجة مستعجلة هناك الى اعتماد نوع من انواع ضريبة القيمة المضافة"(٧٩)، وعد مسؤولو الحزب الحاكم ان اجراء الانتخابات في غير موعدها المحدد (غلطة)،وعبر

احد اعضاء الحزب الحاكم عن معارضته لقرار زيادة الضرائب وحمله المسؤولية بقوله:"انه هو الذي خلق المشكلة وعليه تترتب كامل عقباها"[٨٠]، فاضطر اوهيرا العدول عن موقفه قبل اسبوعين من اجراء الانتخابات، لاسيما بعد ان ظهرت نتائج استفتاءات الراي العام بأن ثلاثة ارباع الناخبين عارضوا فكرة زيادة الضرائب[٨١]، كما تزامن مع تلك المدة زيادة التضخم وسوء الاوضاع الاقتصادية للبلاد[٨٢]، واعلان اوهيرا استحالة تخفيض النفقات الحكومية ووضع حد للتبذير في تلك النفقات[٨٣].

وفي مجال اخر، انتشرت الشائعات قبل الانتخابات مفادها ان بعض المؤسسات العامة والوكالات اعطت دفعات مالية غير مشروعة الى الموظفين، ومكافأت غير رسمية مستندة تلك الشائعات على بيانات مزورة، مما اثار مخاوف وقلق الناخبين بشأن نزاهة وصحة الطريق الذي يسير عليه الحزب الديمقراطي الليبرالي[٨٤].

يبدو ان عدول اوهيرا عن قراره بفرض ضرائب جديدة لم يأت ثماره او بعبارة اخرى فات الاوان لانه جاء متأخراً قبل اسبوعين من اجراء الانتخابات، كما ان احزاب المعارضة استغلت كل تلك النزاعات والخلافات بين السياسيين في الحزب الحاكم، فصممت على التكتل لانهاء وجود الحزب الديمقراطي الليبرالي على رأس السلطة في اليابان[٨٥]، فقد ظهرت ثلاث كتل داخل الحزب الحاكم يترأسها ميكي وتاناكا واوهيرا الذي اصبحت كتلته اقوى الكتل البرلمانية مما انعكس سلباً على الحزب، لاسيما بعد تخلي او تنصل ميكي عن مسؤولياته تجاه اوهيرا[٨٦].

جرت انتخابات مجلس النواب الياباني في السابع من تشرين الاول ١٩٧٩، بمشاركة احزاب المعارضة وعلى رأسها الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي، والاحزاب اليمينية وعلى رأسها الحزب الديمقراطي الليبرالي، وجاءت نتائجها مخيبة لامال اعضاء الحزب الحاكم، والتي عدت نكسة جديدة يمنى بها الحزب الحاكم، وحمل اوهيرا مسؤولية هذا الاخفاق لتسرعه في حل مجلس النواب، واجراء الانتخابات قبل اوانها، فقد حصل الحزب الديمقراطي الليبرالي على ٢٤٨ مقعداً من مجموع ٥١٠ مقعداً في مجلس النواب، وهو العدد نفسه الذي كان يحتفظ به في البرلمان السابق،

ويعود هذا الاخفاق الى ما ذكرنا اعلاه، لكنه لايعني ان الحزب الحاكم فقد سيطرته على تأليف الحكومة، إذ انه حصل على ٤٤.٥% من مجموع الاصوات، وازداد عدد الناخبين الذين صوتوا له ٤٠٠ الف صوت مقارنةً بما حصل عليه الحزب في انتخابات عام ١٩٧٦[٨٧]. وما يلفت النظر او المفارقات ان ما عد انتكاسة بحق الحزب الحاكم بسبب نتائج الانتخابات هي نفسها تعد اول زيادة حققها الحزب الحاكم في مشاركاته في انتخابات مجلس النواب منذ عام ١٩٥٥[٨٨]. وهنا يمكن اثارة تساؤل في غاية الاهمية كيف سيتمكن اوهيرا من تأليف حكومته مع المعارضة الموجودة داخل حزبه والانقسامات التي اصابته؟ وكيف يحقق الاغلبية المطلوبة في تمرير سياسة حزبه؟

بعد انتهاء الانتخابات وفوز الحزب الديمقراطي الليبرالي ب ٢٤٨ مقعداً وحصول المعارضة على ١٥٠ مقعداً منها ٣٩ مقعداً للحزب الشيوعي الياباني و١٠٧ مقعداً للحزب الاشتراكي الياباني و٤ مقاعد لحزب الاتحاد الليبرالي المنشق عن الحزب الديمقراطي الليبرالي عام ١٩٧٦[٨٩] ، فأين تكمن خطورة المعارضة في البرلمان على الحزب الحاكم؟

استقالت الحكومة اليابانية برئاسة اوهيرا المتكونة من ٢١ وزيراً، وفق لوائح الدستور الياباني التي تحتم على الحكومة الاستقالة بعد اعلان نتائج الانتخابات[٩٠]، لتترك اليابان قرابة شهر من دون حكومة رسمية، إذ ساد الانقسام بين فئات او كتل الحزب الحاكم، ووصل درجة متأزمة بين فوكودا واوهيرا للفوز برئاسة الحزب الديمقراطي الليبرالي، لدرجة ان مجلس النواب الجديد الغى جلسة كانت مقررة لانتخاب رئيس الحكومة اليابانية[٩١]، وقد ساند تاناكا رئيس الوزراء السابق اوهيرا في تنافسه مع فوكودا، فاستمر في ممارسة منصبه مؤقتاً كرئيس وزراء متجاهلا كل طلبات حزبه بتقديمه الاستقالة من رئاسة الحزب والاعتراف بخطأه وتحمله مسؤولية الاخفاق في الانتخابات[٩٢]، فبدأت سلسلة من المفاوضات بين اعضاء الحزب الحاكم الغاضبين على اجراءات اوهيرا، فطلبوا من اوهيرا وضغطوا عليه منح المناصب

الوزارية الحساسة الى شخصيات لها مكانة مرموقة في الحزب الحاكم[٩٣]،وبالمقابل طالبت المعارضة منحهم تلك المناصب الوزارية[٩٤]، الا انه لم يصغ لاحد او يذعن لمطالبهم، واستند على كتلته داخل الحزب التي اصبحت اقوى كتلة في الحزب ومجلس النواب[٩٥].

في تلك الاثناء، تحركت قوى المعارضة لتوحيد جهودها في محاولة لانهاء وجود الحزب الديمقراطي الليبرالي على رأس السلطة في اليابان، إذ اتفق حزبا الاشتراكي الياباني والشيوعي الياباني على التنسيق بينهما لتحقيق هدفهم المشترك[٩٦]، وباشر الحزب الاشتراكي الياباني على التنسيق مع نقابات العمال، فدعا مجلس اتحاد نقابات العمال لعقد جلسة يناقشون فيها سبل التعاون المشترك بينهما، وتحديد سياستهما في المستقبل، ولادراك الحزب الاشتراكي وجديته في هذا العمل حاول كسب الدعم الخارجي، فقرر ارسال بعثات الى كل من الولايات المتحدة الامريكية واوربا والشرق الاوسط لشرح وتوضيح اجراءات الحزب في مواجهة الحزب الديمقراطي الليبرالي[٩٧].

يبدو ان الانتعاش الذي حصلت عليه احزاب المعارضة لم يكن الا نجاحاً ظاهرياً فهي لايمكنها ممارسة سلطات فعالة ومؤثرة في البرلمان مقارنةً بما كانت تتمتع به في البرلمان السابق[٩٨]، فالزيادة في عدد المقاعد التي حصل عليها الحزب الشيوعي الياباني البالغة ٣٩ مقعداً بعد ان كانت لديه ١٩ مقعد، كانت على حساب الحزب الاشتراكي الذي فقد ١٠ مقاعد في البرلمان، كما فقد حزب الاتحاد الليبرالي ٩ مقاعد بعد حصوله على ٤ مقاعد في الانتخابات بعد ان كان يمتلك ١٣ مقعداً في انتخابات عام ١٩٧٦[٩٩]، لكن احزاب المعارضة تأمل في استغلال الغياب المستمر لاغلبية اعضاء الحزب الديمقراطي الليبرالي في جلسات مجلس النواب مما يتيح لها ممارسة تأثير فعال في المجلس[١٠٠]، لاسيما توسع الخصومات والخلافات بين كتل الحزب الديمقراطي الليبرالي التي زادت من الهوة بين اوهيرا وبقية رؤساء الكتل الاخرى.

لم يقف اوهيرا مكتوف الايدي امام تلك التهديدات سواء التي كانت من داخل حزبه ام من المعارضة، فعمد على استمالة النواب المستقلين المحافظين للوقوف الى جانبه والبالغ عددهم ١٠ نواب ، وهم اعتادوا على مساندة الحزب الديمقراطي الليبرالي[١٠١].

عقد اوهيرا مع بقية زعماء الكتل السياسية في حزبه جلسة برلمانية خاصة في الثالث والعشرين من تشرين الاول ١٩٧٩،للتوصل الى حل يرضي جميع الاطراف بتوزيع الحقائب الوزارية بصورة عادلة على الكتل التي يتزعمها ميكي وفوكودا وياساهيرو ناكاسوني وزير الدفاع السابق، وتاناكا[١٠٢]، فضلاً عن محاولات اوهيرا كسب تأييد احزاب الوسط المتمثلة بحزب كوميتو وحزب الحكومة النظيفة البوذي[١٠٣]، فطلب ميكي من اوهيرا تقديم استقالته من رئاسة الحزب وعدها(مسألة شرف)[١٠٤]، واصر فوكودا منافس اوهيرا على رئاسة الحزب على ضرورة العمل بالشكل الذي يحقق وحدة الحزب، بينما بقى ناكاسوني احد الطامحين في منصب رئاسة الوزراء صامتاً[١٠٥].

عقدت الجلسة الخاصة في السادس من تشرين الثاني ١٩٧٩، لانتخاب رئيس الوزراء ففاز اوهيرا بـ ١٣٨ صوت مقابل ١٢١ صوت لفوكودا، وهو فارق بسيط من الاصوات. وما يلحظ ان الحزب الديمقراطي الليبرالي شهد لاول مرة تنافس مرشحين من اعضائه على رئاسة الوزراء، فقضى الحزب في انقساماته وخصوماته وتنافس اعضائه مدة شهر كامل لاختيار رئيس الوزراء، فصرح ناداؤو الناطق باسم مجلس النواب ان الحزب الديمقراطي الليبرالي"اضاع فترة شهر كامل بأنهماكه بمسألة الانقسام وانتخاب رئيس الوزراء من وقت الامة وعمل على تأخير فترة الانتخاب بسبب اختلافاته الطويلة، وهذا يتمشى عكسياً مع المصالح السياسية للحزب الحاكم"[١٠٦].

اعلن اوهيرا عن تأليف وزارته الجديدة في الثامن من تشرين الثاني ١٩٧٩، التي ضمت ٢٢ وزيراً، ولم يحتفظ أي وزير بمنصبه السابق[١٠٧] ، وجاء في قرار تأليف الحكومة الجديدة :

١. سايوشي اوهيرا رئيس الوزراء.
٢. تاداؤو فرنيشي وزير العدل.
٣. سايورو اوكيتا وزير الخارجية.
٤. تويورو تاكيثيتا وزير المالية.
٥. ماسايوشي اوهيرا وزير التربية والتعليم.
٦. كيوتشي تورو وزير الصحة.
٧. كابون موتو وزير الزراعة والغابات والاسماك.
٨. يوشيتاكي سازاكي وزير الصناعة والتجارة الدولية.
٩. اوسايورو تشيزاكي وزير النقل.
١٠. ماساؤو اونيشي وزير المواصلات والبريد.
١١. ناكاؤو فوجيتامي وزير العمل.
١٢. آي ايتشي واتانابي وزير الانشاء والتعمير.
١٣. ماساهارو جوتودا وزير الشؤون الداخلية والرعاية.
١٤. ماسايوشي ايتو وزير دولة(رئيس سكرتارية رئاسة الوزراء).
١٥. كيزو اوبوتشي وزير دولة(مدير عام مكتب رئيس الوزراء).
١٦. سوسوكي اونو وزير دولة(مدير عام وكالة الشؤون الادارية).
١٧. انجي كوبوتا وزير دولة(مدير عام وكالة الدفاع الذاتية).
١٨. كيجيرو شوجي وزير دولة(مدير عام وكالة التخطيط الاقتصادي).
١٩. يوجي اوسادا وزير دولة(مدير عام وكالة العلوم والتكنلوجيا ورئيس هيئة الطاقة)[١٠٨].

امتاز عام ١٩٨٠، بأهمية بالغة في الساحة السياسية اليابانية لوقوع حدثين في غاية الاهمية بالنسبة الى ادارة البلاد وحكمها، اولهما، انتخاب نصف اعضاء مجلس الشيوخ، والحدث الاخر، انتخاب رئيس الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم، وبطبيعة الحال يعني انتخاب رئيس الوزراء[١٠٩]، كما نوهنا اليه سابقا وفق تقاليد الحزب الديمقراطي الليبرالي بان يكون رئيس الحزب هو نفسه رئيس الوزراء.

بدأت الشائعات والاخبار تتناقل في الساحة السياسية اليابانية عن بقاء اوهيرا في منصبه رئيساً للحزب والحكومة، واقترن بقاءه في منصبه على ما يحققه حزبه من انتصارات في انتخابات مجلس الشيوخ، لان فشله في انتخابات مجلس الشيوخ يعني احتمال حدوث انقلاب ضده بقيادة خصومه في الحزب(١١٠)، وكان توكوسا بورو كوساكا مدير وكالة التخطيط الاقتصادي ابرز المنافسين لاوهيرا، فقد فاز في انتخابات رئاسة الحزب عام ١٩٧٨، بالمرتبة الثالثة بعد اوهيرا اولاً وفوكودا ثانياً(١١١)، وظهر على مسرح الاحداث طامحا في انتزاع رئاسة الوزارة والحزب من ايدي اوهيرا، فباشر بتأليف ما عرف بأسم""مجموعة الثمانين" لعدم امتلاكه كتلة خاصة به في داخل الحزب ومجلس النواب اسوة بمنافسيه من زعماء الحزب الاخرين الذين امتلك كل واحد منهم كتلة من النواب تدعو له وتسانده(١١٢)، فقد اعتمد في ترشيحه قبل تأليفه "مجموعة الثمانين" على عشرين عضواً برلمانياً كل واحد منهم ينتمي الى كتلة احد زعماء الحزب، غير انه استغل ما حققه من مكانة سياسية كونه رجل اعمال مارس النشاط السياسي، فأصبح لديه نفوذ لايستهان به في الدوائر السياسية والاعمال معاً، فضلاً عن نجاحه في حصوله على مركزاً "منيعا" بين رجال الحزب الحاكم(١١٣)، فأكد لاعضاء كتلته في احد الاجتماعات قائلاً: "يجب ان نتحد وننتصر"، فعد ذلك ترشيحاً غير مباشر له للانتخابات(١١٤).لكنه في العلن انكر مسألة ترشيحه مؤكداً ان"مجموعة الثمانين انما شكلت لتكون قوة دافعة لاستعادة الحيوية والاستقرار لحزب (المحافظين) وتمكينه من تحديث نفسه خلال الثمانينات"(١١٥). ويبدو انه لم يكن راضياً عن سياسة الحزب بشكل عام وسياسة اوهيرا بشكل خاص في تسيير امور اليابان، لكنه لايريد الانفصال او شق صف الحزب الديمقراطي الليبرالي، وانما سعى في تصريحاته قبل الانتخابات الى ضرورة العمل للحفاظ على وحدة صف الحزب والتخلص من امور الفساد التي سادت تصرفات الحكومة، لانها الحل الوحيد برأيه لاعادة الثقة بالحزب بين الناخبين فقال:"سوف يكون مصير السياسات اليابانية الفشل اذا لم نبذل جهداً لتصحيح الموقف السياسي، فلا يمكننا البقاء سلبيين في الوقت الذي يتفشى الفساد في بيروقراطية الحكومة وسواها، ومهمتنا هي تطهير الجو السياسي الذي يقوده الحزب"(١١٦)، واعتمد كوساكا في ترشيحه لمنصب رئاسة

الحزب على تسعة نواب لاينتمون الى كتلة معينة داخل الحزب، وانما هم شخصيات تقلدت مناصب وزارية وحزبية في الحكومات السابقة، لكنهم تركوها لسبب او لاخر، اهمهم سوناو سوتودا ونوشيو كيمورا وزيران سابقان للخارجية واساو ميهارا المدير العام السابق لمكتب رئيس الوزراء وميشيتا ساكاتا المدير العام السابق لوكالة الدفاع وسيسكه اوكوما وزير التعليم السابق، وتأتي اهمية هذه الشخصيات لما لهم من جاذبية ونفوذ بين ابناء الشعب لكونهم"خبراء كل في ميدانه"(١١٧).

ان حقيقة الامر ان "مجموعة الثمانين" ما هي الا نقطة الانطلاق لتأليف كتلة جديدة داخل الحزب الديمقراطي الليبرالي لتكون منافساً جديداً على رئاسة الحزب والوزارة في الانتخابات القادمة. وهذا ما نلمسه صراحة في تصريح احد معاوني كوساكا بقوله:"اننا نود ان نضاعف عدد اعضاء هذه المجموعة [الثمانين] واستقطاب اكبر عدد ممكن من النواب المحافظين لكي تحولها الى كتلة في المستقبل القريب"(١١٨) ، فكثفت "مجموعة الثمانين" نشاطهم داخل حزبهم وبين الشعب لتحقيق اهدافهم في كسب التأييد الشعبي والحزبي(١١٩).

والمرشح الثالث شنتارو ابي رئيس مجلس الشؤون السياسية في الحزب الديمقراطي الليبرالي، والمرشح الرابع ونوبورو تاكيشنا وزير المالية في حكومة اوهيرا(١٢٠).

لم يكن التنافس داخل كتل الحزب الديمقراطي الليبرالي فقط على رئاسة الحكومة ، التي كانت على ثقة بانتصارها في انتخابات مجلس الشيوخ، فقد شهدت الساحة السياسية اليابانية تحرك احزاب المعارضة لاقامة تعاون وتحالف فيما بينها للفوز بانتخابات مجلس الشيوخ، وارغام الحزب الديمقراطي الليبرالي على تأليف حكومة ائتلافية(١٢١).ولتحقيق التقارب اعلن اتشيوا سوكاتا رئيس الحزب الاشتراكي الياباني رفضه اشراك الحزب الشيوعي الياباني في الحكومة الائتلافية التي تضم الحزب الاشتراكي وحزب كومي المعتدل، مما ساعد على تقارب الحزبين بعقد اتفاق رسمي لتأليف الحكومة الائتلافية بعد خسارة الحزب الديمقراطي الليبرالي في انتخابات مجلس الشيوخ، ويبدو ان كلا الطرفين

كانا متأكدان وعلى ثقة تامة بالفوز بانتخابات مجلس الشيوخ الذي سيحدد شكل الحكومة اليابانية.

مع حلول انتخابات مجلس الشيوخ في حزيران عام ١٩٨٠، اصاب الحزب الديمقراطي الليبرالي حالة التمزق بين كتلتين رئيستين، احداهما التي تؤيد اوهيرا والاخرى تعارضه، ولم تنته تلك الانقسامات الا بموت اوهيرا قبل الانتخابات، ولتحقيق وحدة صف الحزب الحاكم اختير سوزوكي رئيساً للحزب الذي عرف بميوله ونزعته التوفيقية واتباعه المرونة كحل وسط بين الاجنحة المتنافسة في الحزب، والذي نال موافقة الجميع ليفوز الحزب الديمقراطي الليبرالي بانتخابات مجلس الشيوخ وهيمنته على السلطة، ومنيت المعارضة بهزيمة ثانية حالت دون مشاركتها في الحكم(١٢٢).

استمرت النزاعات بين الكتل السياسية في داخل الحزب الديمقراطي الليبرالي طوال رئاسة سوزوكي، لكنها لم تتجرأ على اعلان ذلك بشكل صريح او بعبارة اوضح ان اجنحة الحزب المختلفة كانت تعد العدة لتولي منصب رئاسة الحزب في حال تخلي سوزوكي عن ترشيح نفسه، وهذا ما نلمسه في الاعمال التي واجهت سوزوكي، فقد تأزمت الاوضاع الاقتصادية في البلاد وفشله في معالجتها(١٢٣)، ومع اقتراب موعد انتخابات رئاسة الحزب الديمقراطي الليبرالي المقرر عقدها في منتصف تشرين الثاني ١٩٨٢، اعلن زينكو سوزوكي بشكل مفاجئ في الثاني عشر من تشرين الاول من العام نفسه، انسحابه وعدم ترشيح نفسه لرئاسة الحزب والوزارة للمرة الثانية، واستدعى في اليوم نفسه كلا من نيكايدو سكرتير عام الحزب ومسؤولي اجهزة الحزب التنفيذية الاربعة، واخبرهم بقراره، وطلب منهم توفير مناخ ملائم لايجاد زعيم جديد للحزب والوزارة ليكمل منجزات ومهام الحزب والوزارة، ولاسيما في الامور المالية والادارية(١٢٤).

واختلفت تفسيرات انسحاب سوزوكي، فقد اعلن بنفسه ان سبب انسحابه من اجل تمكن الحزب من تجاوز حالة التمزق والخلافات التي سادت بين كتل الحزب الرئيسة، والتي سببت فراغاً سياسياً داخل الحزب، لاسيما ان هناك عناصر داخل الحزب عملت على ايجاد عراقيل امام الكتلة الرئيسة في انتخابات عام ١٩٨٠(١٢٥). في حين اجمعت

احزاب المعارضة على ان انسحاب سوزوكي ما هو الا دليل على عجزه في معالجة المشكلات المالية ، والمشاكل الداخلية الاخرى التي عانت منها البلاد طوال حكم الحزب الديمقراطي الليبرالي[١٢٦]، واكد الحزب الشيوعي ان النزاعات الداخلية في الحزب الحاكم هي السبب في استقالته بما جاء على لسان الناطق بأسمه "ان الازمات الخطيرة التي يعاني منها الحزب الحاكم والاكاذيب الجارية من وراء وامام سوزوكي هي التي تفسر اعلان استقالته المفاجئ"[١٢٧]، واشار الحزب الاشتراكي انه "ليس بوسع الحزب الحاكم بحكم تركيبته السياسية ان يحل المشاكل القومية للبلاد"[١٢٨].

في الواقع ان طبيعة الازمة التي مر بها الحزب الحاكم منذ سنين طويلة لاتزال تلقي بضلالها على المسرح السياسي الياباني كلما اقترب موعد انتخاب رئاسة الحزب الديمقراطي الليبرالي، ويبدو ان الازمة هذه المرة كانت قاسية وعنيفة نتيجة للصراع المرير بين كتل الحزب، وادراك سوزوكي حتمية فشله وخسارته في المعركة الانتخابية مما يفقده منزلته السياسية في جلبة هذا النزاع الداخلي،فأراد حفظ ماء الوجه وسمعته السياسية[١٢٩]، ولايمكن ان نستبعد ما قاله بنفسه بأنه اراد ابعاد الحزب عن تكرار مأساة حالة التمزق التي مر بها نتيجة الصراع بين الكتل الرئيسة عام ١٩٨٠[١٣٠]، كما مر بنا .وانه كان بالامس القريب المنقذ للحزب ووحدة صفه، فلا يريد ان يكون السبب في اعادة التمزق لصفوف الحزب.

كانت ردود الفعل متباينة بين كتل الحزب والمعارضة، لكن العامل المشترك بينها ان الجميع تفاجأوا بقرار سوزوكي، ولم يكن احداً منهم ينتظر مثل هذا القرار، فطالب الحزب الاشتراكي بتخلي الحزب الحاكم عن السلطة وتسليمها الى "الاشتراكيين"[١٣١]، واتجهت جميع كتل الحزب الى عقد الاجتماعات الطارئة لتدارس الموقف واتخاذ القرارات الجريئة، فظهرت اطماع وطموحات الكتل كافة في الوصول الى رئاسة الحزب والوزارة، فأعلن كاكيو تاناكا احد رؤساء الاجنحة الرئيسة للحزب الحاكم والمناصر القوي لسوزوكي بان القرار((كان هزة مفاجئة...ان لم يختر سوزوكي خليفته فأن جناحه [جناح تاناكا] سيختار مرشحه لهذه الانتخابات))[١٣٢]، وصرح كل من كومونو وتاناكا وناكاسوني

رؤساء الاجنحة الاخرى في الحزب الحاكم عن رغبتهم في اجراء المشاورات اللازمة بين اعضاء اجنحتهم لاتخاذ موقف واضح ازاء الترشيح للانتخابات، وصرح ناطق بأسم جناح فوكودا الذي يعد اكبر مراكز الثقل في الحزب الحاكم،"ان جناحهم سيرشح شنتارو آبي وزير التجارة الدولية والصناعة في حالة اتفاق الاجنحة الاخرى على ترشيح ناكاسوني[١٣٣]، هذا يعني ولادة جناحين رئيسين في داخل الحزب الحاكم احدهما يؤيد ترشيح ناكاسوني والاخر ايد ترشيح شنتارو آبي.

في الواقع ان العوامل الرئيسة في تحديد المرشحين توقفت على المشاركة بين تلك الاجنحة الرئيسة، ومدى الاتفاقات التي تصل اليها والتي تضمن حصولها على المناصب الحزبية والوزارية،والاتفاق على نوع وطبيعة الصيغة التي يتفقوا عليها داخل الاجنحة في معالجة الازمة المالية السائدة في اليابان[١٣٤]، واشارت الاوساط السياسية والمراقبين ان بوشيرو ناكاسوني وزير وكالة الشؤون الادارية اقوى المرشحين لرئاسة الحزب والوزارة، ويليه كوموتو وزير وكالة التخطيط الاقتصادي، ويليه نيكايدو سكرتير عام الحزب[١٣٥].

انتخب يوسهيرو ناكاسوني رئيساً للحزب الديمقراطي الليبرالي والوزارة اليابانية بعد فوزه بانتخابات الحزب التي جرت في الخامس عشر من تشرين الاول ١٩٨٢،وجاء بالمرتبة الثانية كوموتو وبالمرتبة الثالثة شنتارو الرابع تاغاكاوا[١٣٦].واعلن عن تشكيل الوزارة كالاتي:

١. ياسهيرو ناكاسوني رئيساً للوزراء بعمر اربع وستون عاماً.
٢. اكيرا هاتانو وزيراً للعدل بعمر واحد وسبعين عاماً وغير منتمي لاحد الكتل، درس في كلية مسائية في جامعة تيهورن في طوكيو، ويعد اول خريج مسائي تولى منصب ضابط شرطة على خلاف التقاليد التي تؤكد على ضرورة ان يكون ضابط الشرطة خريج الكليات الرصينة(الصباحية).تقلد منصب ضابط شرطة واصبح برتبة مفتش عام لقسم الشرطة، ودخل المعترك السياسي بعد استقالته من منصبه

عام ١٩٧٠،ورشح نفسه لمنصب حاكم طوكيو لكنه فشل في الانتخابات التي فاز بها منافسه ريوكيشي مينويه[١٣٧].

٣. شنتارو آبي وزير الخارجية بعمر ٥٨ عاماً من جناح فوكودا، عد من قادة الحزب الجدد في وقته، وهو متزوج من ابنة رئيس الوزراء تويوسوكه كيشي والخليفة المحتمل لتاكيو فوكودا برئاسة احد اجنحة الحزب الحاكم، مارس الصحافة في صحيفة الماينيشي، وتقلد منصب وزير الصناعة والتجارة الدولية ثماني مرات[١٣٨].

٤. نويورو كشيتا وزيراً للمالية بعمر ٥٨ عاماً، ينتمي الى جناح تاناكا، وهو من القادة الجدد في الحزب الحاكم، ومن الشخصيات المقربة الى تاناكا، وموضع ثقة كبيرة لديه، تقلد منصب وزير المالية مرتين، وهو الشخصية الثالثة في جناح تاناكا ومساوياً بالمكانة للسكرتير العام للحزب سوسومو تيكايد، وهو المرشح الاقرب لخلافة تاناكا لرئاسة جناحه داخل الحزب الحاكم، ابتدأ عمله السياسي بعد تخرجه من جامعة واسيدا بطوكيو ضمن حلقة الحزب المحلية في مقاطعة شيماتي، عمل بعد ذلك سكرتيراً للحكومة في عهدي ساتو وتاناكا ووزيراً للاعمار في عهد تاكيو ميكي ووزيراً للخارجية في حكومة ماسايوشي اوهيرا[١٣٩].

٥. متسوو سيتوياما وزيراً للتربية بعمر ٧٨ عاماً ينتمي الى جناح فوكودا، تقلد وزارة الاعمار في حكومة ساتو ووزارة العدل في حكومة فوكودا، وهو احد الاعضاء الرئيسين في جناح فوكودا، وتولى الحملة الدعائية لانتخاب ابي في انتخابات الحزب لعام ١٩٨٢، وله علاقات طيبة مع تاناكا[١٤٠].

٦. يوشيرو هاياشي وزيراً للصحة والرعايا الاجتماعية بعمر ٥٥ عاماً ينتمي الى جناح تاناكا، اشتهر باعماله المكتبية قبل دخوله الساحة السياسية، عرف عنه بقدرته على صنع القرار السياسي، عمل في وزارة الصناعة والتجارة الدولية لمدة ١٩ عاماً، وتقلد عضوية مجلس النواب لمدة ١٣ عام، واصبح عضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٦٩، وكان له دوراً في انقاص تكاليف الحزب الحاكم الى النصف اثناء عمله في قسم الشؤون المالية في الحزب[١٤١].

٧. اوزاوا كانيكو وزيراً للزراعة والغابات وصيد الاسماك بعمر ٧٥ عاماً، ينتمي الى جناح سوزوكي، متخصص في شؤون الاعمال لمقاطعة تازاكي، انتخب عام ١٩٥٨ لعضوية مجلس النواب، وعرف عن نشاطه السياسي في مقاطعته وعمل عضواً في مجلس المقاطعة ورئيساً للمجلس، وكان له دوراً في الاعتراف الدولي بمركز البحث العلمي في مدينة تسوكويو العلمية، وله المام بفن الكيوكي، وكثير التردد على المسرح [١٤٢].

٨. سادانورى ياماناكا وزيراً للصناعة والتجارة الدولية بعمر ٦١ عاماً، ينتمي الى جناح ناكاسوني، احد قادة جناحه وخبيراً بشؤون السياسات المحلية،ترأس مجلس بحوث الشؤون السياسية في الحزب الحاكم ورئيساً لمجلس بحوث نظام الضرائب في الحزب، ومثل مقاطعة كاغوشيما احد عشر مرة في مجلس النواب، واخر منصب تقلده هو مدير عام وكالة الدفاع في حكومة تاناكا[١٤٣].

٩. تاكاشي هاسيكاوا وزيراً للنقل بعمر ٧٠ عاماً، ينتمي الى جناح ناغاكاوا احد الاعضاء الرئيسين في جناحه، متداخل ضمن جناح تاغاكاوا وحكومة سوزوكي، عمل صحفياً ثم تحول الى العمل السياسي، وتقلد وزارة العمل في حكومتي تاناكا وميكي[١٤٤].

١٠. توكوتارو هيغاكي وزيراً للبريد والاتصالات السلكية بعمر ٧٦ عاماً ينتمي لجناح ناكاسوني،متخصصاً في شؤون الزراعة،تخرج من جامعة طوكيو والتحق بوزارة الزراعة والغابات ، امتاز بمهارته وعطفه على مساعديه[١٤٥].

١١. اكيرا اونو وزيراً للعمل بعمر ٥٤عاماً غير منتمي الى جناح معين، ابن نائب رئيس الحزب الحاكم السابق ياموكو اونو، ولد في مقاطعة جيفو، وتولى عضوية مجلس النواب سبع مرات، و تولى مناصب عدة اهمها نائب السكرتير العام للحزب الحاكم[١٤٦].

١٢. هيديو اوتسومي وزيراً للاعمار بعمر ٥٤ عاماً، ينتمي الى جناح تاناكا،تخرج من جامعة جو بطوكيو، عمل سكرتيراً لوالده احد اعضاء مجلس النواب، انتخب ست مرات ممثلاً لمقاطعة مياكي في مجلس النواب، ومتحالف مع تاناكا[١٤٧].

١٣. ساجيو ياماموتو وزيراً للداخلية ورئيساً للجنة الوطنية للامن العام بعمر ٧١عاماً ينتمي الى جناح تاناكا،انتخب خمس مرات عضواً في مجلس النواب، وعمل رئيساً لشرطة اوساكا ونائب لوزير الاعمار(١٤٨).

١٤. ماساهيرو كوتودا وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء بعمر ٦٨عاماً،ينتمي الى جناح تاناكا،احد المقربين لتاناكا، عمل ضابطاً للشرطة ورئيساً للشرطة الوطنية، ومرتين عضواً لمجلس النواب(١٤٩).

١٥. هيوسوكي نيوا وزير دولة مدير عام مكتب مجلس الوزراء،مدير وكالة تطوير اوكيناوا بعمر ٧١عاماً ينتمي الى جناح كوموتو،متخصص في شؤون الزراعة في الحزب الحاكم،تولى اول منصب وكيل وزارة الاراضي الوطنية عام ١٩٧٤بحكومة تاناكا، وانتخب لمجلس النواب تسع مرات(١٥٠).

١٦. كونيكيجي سايتو وزير دولة لوكالة التطوير الزراعي بعمر ٧٣عاماً ، ينتمي الى جناح سوزوكي،تخرج من جامعة طوكيو وعمل ضابط تحقيق في وزارة الداخلية، وبعد الحرب العالمية الثانية انتقل الى وزارة العمل،واحد الاعضاء المهمين في جناح سوزوكي، وتولى الاشراف على حملات انتخاب ناكاسوني لرئاسة الحزب(١٥١).

١٧. كازوو تانيكاوا وزير دولة لوكالة الدفاع الذاتي بعمر ٥٢عاماً،ينتمي لجناح كوموتو، تمتع بثقافة امريكية، تقلد عضوية مجلس النواب عام ١٩٥٨، وهو ابن احد اعضاء الحزب الحاكم وتمتع بصداقات واسعة مع الدول الاجنبية وصاحب الموقف الحمائمي(المهادن)في القضايا الدفاعية والدبلوماسية(١٥٢).

١٨. جون شيوزاكي وزير دولة لوكالة التخطيط الاقتصادي بعمر ٦٥عاماً،ينتمي لجناح سوزوكي،ادى دوراً قيادياً في شؤون الحزب الحاكم الضرائبية، قضى ٢٦عاماً في وزارة المالية، وله الفضل في وصول ناكاسوني الى رئاسة الحزب(١٥٣).

١٩. تاكا اكي ياسوتا وزير دولة لوكالة العلوم والتكنلوجيا(مدير عام وكالة العلوم والتكنلوجيا رئيس هيئة الطاقة النووية)بعمر ٦٦عاماً،ينتمي الى جناح

سوزوكي،متخصص بالشؤون المحلية في مجلس المستشارين، ولاسيما في حقلي الضرائب والمال، تولى منصب نائب محافظ مقاطعة ايشيكاوا ،رفع تقريراً عن انخفاض الضريبة واعادة بناء الشؤون المالية في نيسان١٩٨١(١٥٤).

٢٠. ماتازو كاجيكي وزير دولة لوكالة شؤون الاراضي بعمر ٦٣عاماً،ينتمي الى جناح تاناكا،عمل بعد تخرجه من جامعة كيوتو بوزارة الزراعة والاسماك والغابات لتنفيذ مشاريع اصلاح الاراضي، اسس لجنة في عام ١٩٨٠، بمجلس المستشارين، وترأس لجنة سياسة البرلمان في الحزب الحاكم، وهو المحرك الرئيس للتعريف بنظام التمثيل في انتخابات مجلس الشيوخ(١٥٥).

٢١. موتسوكا كاتو وزير دولة لوكالة شؤون الاراضي الوطنية بعمر ٥٦عاماً،ينتمي الى جناح فوكودا اتهم بقضية شركة لوكهيد الامريكية (١٥٦) .

يبدو ان الاسس والاعتبارات التي انبثقت في تقسيم المناصب الحزبية داخل الحزب الديمقراطي الليبرالي لم تختلف عن الاسس التي اتبعت في تقسيم المناصب الوزارية، ووفق العرف السياسي للحزب الحاكم يتقلد صاحب النسبة الاعلى من الاصوات في انتخابات رئاسة الحزب، فتقلد ناكاسوني رئاسة الحزب الديمقراطي الليبرالي، وتقلد سوسومو نيكايدو الذي ينتمي الى جناح تاناكا منصب سكرتير عام الحزب، وتقلد كيجيزو هوسودا رئاسة المجلس التنفيذي، وهو من جناح فوكودا وتقلد روكوسكا تاناكا رئاسة مجلس السياسة الذي ينتمي الى جناح سوزوكي(١٥٧) . أي ان الاجنحة الرئيسة في الحزب الحاكم وبالتحديد الجناحين المؤيدين والمساندين لناكاسوني في الانتخابات تولت ادارة المناصب الحساسة والمؤثرة في الحزب والوزارة.

من الانتقادات التي وجهت لناكاسوني في اختيار شخصيات وزارته انه راعا المحاصصة والتوافقات في اختيارهم، وكما قيل بأنه رد الجميل الى الاجنحة الرئيسة في الحزب الحاكم التي كان لها الاثر الواضح في فوزه على منافسيه، لاسيما جناح تاناكا، وهو الجناح الاكبر في داخل الحزب الحاكم، فقد حصل على سبعة مقاعد وزارية، وحتى وزير العدل اكيرا هاتانو، وان لم يكن ينتمي رسمياً لاي جناح سياسي الا انه من المقربين الى تاناكا، وحصول جناح سوزوكي على اربعة مناصب وناكاسوني على وزارتين

ورئاسة الوزارة، وجناح فوكودا على ثلاثة مناصب وجناح ناغاكارا على منصب وزاري واحد،وجناح كوموتو على منصبين وزارتين ومنصب وزاري لشخص مستقل لا ينتمي الى جناح معين. أي ان الاجنحة الرئيسة تقلدت اربعة عشر مقعداً وزارياً من اصل واحد وعشرين مقعداً، والسبعة المتبقية من الحقائب الوزارية وزعت على الاجنحة الاقل اهمية او وزناً داخل الحزب والعناصر المستقلة.

يدل هذا التقسيم على رغبة ناكاسوني ارضاء جميع الاطراف داخل الحزب الحاكم الرئيسة والثانوية ليتمكن من ادارة البلاد والحزب بشكل يبعده عن اثارة المشكلات امام اجرائاته وادارته.

وبالوقت نفسه، دافع ناكوسوني على تشكيلته الوزارية بانه اعتمد على الكفاءات في اختيار الوزراء، وانه وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ولم يكن اختياره على اساس التوافق مع الاجنحة الاخرى او رد الجميل[١٥٨]، ويبدو لنا ان كلا الرأيين فيهما شيء من الصحة، فنظرة بسيطة لتشكيل الوزارة والمناصب الرئيسة للحزب يمكننا القول ان التوافقية والمحاصصة وسياسة رد الجميل واضحة جداً، وان ناكاسوني لم يكن امامه خيار اخر سوى الانصياع الى التفاهمات التي سبقت الانتخابات التي اشرنا اليها سابقاً، وانه نجح في كسب تأييد الاجنحة الثلاثة الرئيسة،التي ترأسها تاناكا وناكاسوني وسوزوكي، بعد ان وعدهم في اعطائهم المناصب الوزارية التي يريدونها، وظهر هذا واضحاً في نتائج الانتخابات عندما حصل على تأييدهم الكامل مما اضطر منافسيه الثلاثة الى الانسحاب في مرحلة الانتخابات من الجولة الاولى بسبب النتائج الساحقة التي حصل عليها ناكاسوني امامهم،لذلك لم يجد في الجولة الاخيرة مصاعب في فوزه برئاسة الحزب والحكومة. ومن جانب اخر، نلحظ من خلال تراجم الشخصيات ،وان كانت مختصرة، التي دونت اعلاه انه تم اختيارهم على اساس الكفاءة والامكانيات العلمية والمهنية التي تمتعوا بها، وان كانت من تلك الاجنحة الرئيسة التي ساندته في الانتخابات، ولهذا ذكر انه اختار الرجل المناسب في المكان المناسب.

ان نتائج الانتخابات وتشكيل الحزب والحكومة توحي الى اتفاق مسبق بين ناكاسوني وبقية اجنحة الحزب الحاكم، ولم يقتصر اتفاقهم على توزيع المناصب، بل تعدى الى الاتفاق المسبق على طبيعة السياسة التي ستتبعها الحكومة اليابانية الجديدة، فأعلن ناكاسوني في مؤتمر صحفي عقده بعد تاليف الوزارة حدد فيه الخطوط العريضة التي ستسير عليها حكومته، بالعمل على اعادة الوحدة الى صفوف الحزب، ودافع عن توجيه الاتهامات والانتقادات الى بعض وزرائه بقوله: "ان كاتو[هو موتسوكي كاتو وزير الاراضي والمتهم في فضيحة لوكهيد، الذين اطلق عليهم الاشخاص الرماديين] يعد من العناصر البارزة والمتميزة في انشطة الحزب السياسية"[١٥٩]،واكد على تكريس الجهود لادخال الاصلاح الاداري والمالي للدولة مؤكداً على عدم زيادة الضرائب[١٦٠] .

واكد ان سياسة حكومته الخارجية لن تتغير عن سياسة سلفه سوزوكي القائمة على "تعميق العلاقة بين بلاده والولايات المتحدة باعتباره حجر الزاوية في سياسة اليابان الخارجية، فضلاً عن تقوية روابط الصداقة مع الدول المجاورة"[١٦١]، واشار الى ان حكومته ستدافع عن بلاده بنفسها لذلك قال:"دفاعنا عن اراضينا بانفسنا"، ودافع عن معاهدة الامن اليابانية–الامريكية بقوله:"ان لليابان عقيدتها الدفاعية الخاصة بها، وان معاهدة الامن اليابانية–الامريكية هي بمثابة حجر الزاوية في اجراءات الدفاع الوطني لليابان"[١٦٢]. ويبدو ان ناكاسوني الشاب ذو الحماس الوطني بدأ يهيأ الاجواء لادخال اليابان في المسائل الدولية، وبناء قوة دفاعية وهجومية لذلك المح الى امكانية تغيير المادة في الدستور التي تحرم على اليابان بناء قوة هجومية لاسيما انه عرف باحد""الصقور" داخل الحزب، لكن الضغوط والاتهامات الموجهة اليه باتباعه الولايات المتحدة الامريكية جعله يعمل بصمت من دون الاعلان عن ذلك، بل انه اعلن لابعاد تلك التهم من ميزانية الدفاع لتي تزيد عن ١% من الدخل الاجمالي لليابان[١٦٣].

الخاتمة:

١. كان عدد من الوزراء اليابانيين في الوزارة الاخيرة من الشخصيات التي اعمارهم في عقد الخمسينيات، وهذا شيئ غريب نوعاً ما على الساحة اليابانية التي هيمن فيها على المناصب الوزارية شخصيات اعمارهم كبيرة اغلبهم بعقد السبعينيات من عمرهم.ولهذا عرفوا في الوسط الوزاري او الحزبي بأنهم زعماء جدد لاسيما في الحزب الحاكم.

٢. اكثر الوزراء الذين تقلدوا مناصبهم كانوا ممن تقلدوا حقائب وزارية في الوزارات السابقة او في المناصب الحزبية داخل الحزب الحاكم.

٣. ادت الانشقاقات داخل الحزب الحاكم الى عدم حصوله على الاغلبية المريحة في انتخابات البرلمان مما اوجد معارضة قوية من قبل الحزب الاشتراكي.

٤. على الرغم من الطفرات الاقتصادية التي حققها اليابان خلال مدة البحث الا ان الساحة السياسية عانت من الفساد الاداري والمالي بين صفوف اعضاء الحكومات التي توالت على ادارة البلاد.

٥. شهدت اليابان خلال مدة البحث مجموعة من الاحداث التي عكست مدى الخلافات والنزاعات السائدة بين اجنحة الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم، إذ لكل زعيم وجناحه الذي يسانده داخل الحزب والبرلمان للوصول الى رئاسة الحزب والحكومة، فضلا عن محاولة احزاب المعارضة المتمثلة بالحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي منافسة الحزب الديمقراطي الليبرالي، ومحاولة ازاحته عن احتكار الحكم في اليابان، فكانت تلك النزاعات على اوجها لكن الغلبة في نهاية الامر كانت للحزب الديمقراطي الليبرالي المحافظ على حساب اليساريين التقدميين لاسباب متعددة في مقدمتها الدعم المادي الذي حصل عليه المحافظون قياسا باليساريين، فضلا عن قناعة المواطن الياباني بان اصلاح الاوضاع الاقتصادية مرتبط ببقاء الحزب الديمقراطي الليبرالي في الحكم لارتباطه بالمؤسسات الصناعية الكبرى المسيطرة على اقتصاد البلد.

٦. ادت كثرة الانقسامات والنزاعات بين اعضاء الحزب الواحد ، ولا سيما بين صفوف الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم التي ظهرت اوضح مما هي عليه في الحزب الاشتراكي ذو التوجهات العقائدية المختلفة، الى مرور اليابان باوضاع سياسية خطرة اثرت على بقاء معاناة المواطن الياباني من دون توفر مطالبه بالقضاء على التلوث والازمة الاقتصادية التي اثرت على حياة المواطن الياباني.

٧. لم تشهد اليابان خلال مدة البحث اكمال أي رئيس وزراء مدة رئاسته ويرجع ذلك الى اسباب متعددة ، السبب الاول بما ان الحزب الديمقراطي الليبرالي سيطر على حكم اليابان كل تلك المدة، فان من تقاليده من يترأس الحزب يصبح رئيسا للحكومة مباشرة، وبما ان انتخابات رئاسة الحزب تجري كل سنتين، فان الحكومة تتبدل بتبدل رئيس الحزب، والسبب الثاني شهدت اليابان موت رئيس الوزراء كما في حالة اوهيرا، والسبب الثالث تعرض رؤساء الوزراء بسبب الاخفاق في ادئهم وتكاتف بقية اجنحة الحزب ضده فيقدم استقالته ويتم اختيار رئيس جديد للحزب والحكومة.

٨. يبدو ان الانتخابات لا تقوم على اساس برامج الاحزاب وما تطرحه من اهداف يجب تنفيذها بقدر ما هي متعلقة بشخصيات الاحزاب او الكتل ، وهذا ما نلمسه في تنافس اجنحة الحزب الحاكم.

٩. نجحت احزاب المعارضة في السنوات ١٩٧٦-١٩٧٨، في تحقيق بعض التقدم على الحزب الحاكم في انتزاع الادارة المحلية للاقاليم مما بدا تهديدا واضحا لانتزاع السلطة من يد الحزب الديمقراطي الحاكم لاسباب متعددة في مقدمتها قلة الموارد والدعم لاحزاب المعارضة وكثرة الانشقاقات التي سادت فيها والتي حالت دون نجاحها، فبقت احزاب معارضة على الهامش من دون ان تؤثر على سير سياسة الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم.

الهوامش:

[١] السفارة العراقية في طوكيو، التقرير الصحفي ، شؤون اليابان،الانتخابات القادمة، العدد صحفية/٢/١،٢٦،٢٨٢، ١٩٧٢، ص٦.

[٢] المصدر نفسه،ص٥.

[٣] المصدر نفسه، ص٦

[٤] المصدر نفسه.

[٥] المصدر نفسه.

[٦] المصدر نفسه، ص٥.

[٧] المصدر نفسه،ص٦.

[٨] المصدر نفسه،ص٥.

[٩]المصدر نفسه.

[١٠] المصدر نفسه.

[١١] المصدر نفسه.

[١٢] المصدر نفسه.

[١٣] المصدر نفسه.

[١٤] المصدر نفسه.

[١٥] المصدر نفسه، ص٦.

[١٦] المصدر نفسه.

[١٧] المصدر نفسه.

[١٨] المصدر نفسه.

[١٩] وكالة الانباء العراقية،بحوث وتقارير،شعبة البحوث،اليابان نظرة الى المستقبل،١١ تموز ١٩٧٦،ص٦٥.

[٢٠] المصدر نفسه، ص٦٥.

[٢١] المصدر نفسه، ص٦٩.

[٢٢] المصدر نفسه، ص٦٥.

[٢٣] المصدر نفسه، ص٧١.

[٢٤] صالمصدر نفسه، ص٦٥.

[٢٥] المصدر نفسه، ص٦٦.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٢٩) المصدر نفسه، ص٦٨.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٣١) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٦٧-٦٨.

(٣٥) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٣٦) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٣٧) المصدر نفسه، ص٧١.

(٣٨) المصدر نفسه،ص٧٢.

(٣٩) المصدر نفسه، ص٧١.

(٤٠) المصدر نفسه.

(٤١) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) المصدر نفسه، ص٧٣.

(٤٥) المصدر نفسه.

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) المصدر نفسه، ص٧٤.

(٥٠) المصدر نفسه.

(٥١) المصدر نفسه.

(٥٢) المصدر نفسه، ص٧٥.

(٥٣) المصدر نفسه، ص٧٤-٧٥.

(٥٤) المصدر نفسه، ص٧٥.

(٥٥) المصدر نفسه، ص٧٦. وقعت اليابان اتفاقية السلام والصداقة مع الصين عام ١٩٧٨، وقد وجهت انتقادات كبيرة للقيادة اليابانية على اساس انها تابعة وخاضعة للارادة الصينية وان هذه الاتفاقية موجهة ضد الاتحاد السوفيتي، لكن وزير الخارجية الياباني دافع عن الاتفاقية مؤكدا بانها لا تملي أي سياسات على اليابان وان بلاده ترسم سياستها الخارجية بنفسها ولن تتخذ أي موقف عدائي تجاه السوفيت، واشار الى حرص السياسة الخارجية اليابانية على الحفاظ على علاقاتها مع الولايات المتحدة الامريكية وبالوقت نفسه تسعى لتطوير علاقتهم مع دول العالم كافة من ضمنها دول المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي.وزارة الاعلام،دائرة العلاقات العامة،مديرية العلاقات الخارجية،حول الاتفاقية اليابانية الصينية،الرقم:خارجية/٢/١٨٦ في ٢٨ ايلول ١٩٧٨،ص١-٣؛ مجلس قيادة الثورة،مكتب امانة السر،التقرير السياسي السنوي لسفارتنا في طوكيو،العدد/٣/٣/٥٤٨٨ في ١٨ نيسان ١٩٧٩، ص١.

(٥٦) وكالة الانباء العراقية،بحوث وتقارير،شعبة البحوث،اليابان نظة الى المستقبل،١١ تموز ١٩٧٦،ص٧٦.

(٥٧) المصدر نفسه،ص١.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) المصدر نفسه،ص٢.

(٦٠) المصدر نفسه.

(٦١) المصدر نفسه.

(٦٢) المصدر نفسه.

(٦٣) المصدر نفسه،ص٧.

(٦٤) المصدر نفسه،ص٣.

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) المصدر نفسه،ص٢٣.

(٦٨) وكالة الانباء العراقية،قسم الخدمة الصحفية،العالم الرأسمالي،جريدة لوموند،١٠ نيسان ١٩٧٩،ص٣٧.

(٦٩) المصدر نفسه،ص٣٨.

(٧٠) المصدر نفسه،ص٣٩.

(٧١) المصدر نفسه.

(٧٢) المصدر نفسه.

(٧٣) المصدر نفسه،ص٣٧.

(٧٤) وكالة الانباء العراقية،قسم التقارير والبحوث،٢٥ تشرين الاول ١٩٧٩،ص٣٥.

(٧٥) وكالة الانباء العراقية،التقارير والبحوث،رويتر،٣ تشرين الثاني ١٩٧٩،ص٢٥.

(٧٦) المصدر نفسه.

(٧٧) المصدر نفسه.

(٧٨) المصدر نفسه،ص٢٦.

(٧٩) المصدر نفسه، ص٢٦.

(٨٠) وكالة الانباء العراقية،قسم التقارير والبحوث،٢٥ تشرين الاول ١٩٧٩،ص٣٦.

(٨١) وكالة الانباء العراقية،التقارير والبحوث،رويتر،٣ تشرين الثاني ١٩٧٩،ص٢٥.

(٨٢) وكالة الانباء العراقية،قسم التقارير والبحوث،٢٥ تشرين الاول ١٩٧٩،ص٣٦.

(٨٣) وكالة الانباء العراقية،التقارير والبحوث،رويتر،٣ تشرين الثاني ١٩٧٩،ص٢٦.

(٨٤) المصدر نفسه، ص٢٧.

(٨٥) وكالة الانباء العراقية،قسم التقارير والبحوث،٢٥ تشرين الاول ١٩٧٩،ص٣٦.

(٨٦) المصدر نفسه.

(٨٧) وكالة الانباء العراقية،قسم التقارير والبحوث،٢٥ تشرين الاول ١٩٧٩،ص٣٥..

(٨٨) المصدر نفسه.

(٨٩) المصدر نفسه،ص٣٧-٣٨.

(٩٠) المصدر نفسه،ص٣٤.

(٩١) المصدر نفسه.

(٩٢) المصدر نفسه.

(٩٣) المصدر نفسه،ص٣٨.

(٩٤) المصدر نفسه، ص٣٦.

(٩٥) المصدر نفسه، ص٣٧-٣٨.

(٩٦) المصدر نفسه، ص٣٤.

(٩٧) المصدر نفسه، ص٣٥.

(٩٨) المصدر نفسه، ص٣٧.

(٩٩) المصدر نفسه.

(١٠٠) المصدر نفسه.

(١٠١) المصدر نفسه، ص٣٥.

(١٠٢) وكالة الانباء العراقية،التقارير والبحوث،رويتر،٣ تشرين الثاني ١٩٧٩،ص٢٤.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص٢٤.

(١٠٤) المصدر نفسه،ص٢٧.

(١٠٥) المصدر نفسه .

(١٠٦) سفارةالجمهورية العراقية في طوكيو ،التقرير الصحفي لعام ١٩٧٩، العدد بلا ، ص٤.

(١٠٧) المصدر نفسه،ص٤.

(١٠٨) المصدر نفسه،ص٥.

(١٠٩) وكالة الانباء العراقية،بحوث وتقارير،شعبة البحوث،اضواء على المسرح السياسي في اليابان.ظهور منافسين لرئيس الوزراء اوهيرا،١٩٨٠،ص١٢.

(١١٠) المصدر نفسه،ص١٣

(١١١) المصد نفسه،ص١٢

(١١٢) المصدر نفسه،ص١٣.

(١١٣) المصدر نفسه.

(١١٤) المصدر نفسه.

(١١٥) المصدر نفسه،ص١٤.

(١١٦) المصدر نفسه.

(١١٧) المصدر نفسه.

(١١٨) المصدر نفسه.

(١١٩) المصدر نفسه.

(١٢٠) المصدر نفسه.

(١٢١) المصدر نفسه،ص١٣.

(١٢٢) حزب البعث العربي الاشتراكي(المنحل)،منظمة السفارة في اليابان، الصراع داخل الحزب الديمقراطي الحر الحاكم في اليابان ،العدد:احزاب/٢/ ١٥٢، ١٤ تشرين الاول ١٩٨٢، ص٢.

(١٢٣) المصدر نفسه،ص٢.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص١.

(١٢٥) المصدر نفسه،ص١.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص٢.

(١٢٧) المصدر نفسه.

(١٢٨) المصدر نفسه.

(١٢٩) المصدر نفسه.

(١٣٠) المصدر نفسه.

(١٣١) المصدر نفسه.

(١٣٢) المصدر نفسه،ص١.

(١٣٣) المصدر نفسه،ص٢.

(١٣٤) المصدر نفسه،ص٢-٣.

(١٣٥) المصدر نفسه،ص٢.

(١٣٦) سفارة الجمهورية العراقية في طوكيو،الرقم:٢٣٥/٣/١، التشكيلة الوزارية والحزبية الجديدة،١كانون الاول ١٩٨٢ ،ص٢.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص٢.

(١٣٨) المصدر نفسه،ص١.

(١٣٩) المصدر نفسه،ص٢.

(١٤٠) المصدر نفسه.

(١٤١) المصدر نفسه.

(١٤٢) المصدر نفسه،ص٢-٣.

(١٤٣) المصدر نفسه،ص٣.

(١٤٤) المصدر نفسه.

(١٤٥) المصدر نفسه،ص٣-٤.

(١٤٦) المصدر نفسه،ص٤.

(١٤٧) المصدر نفسه.

(١٤٨) المصدر نفسه.

(١٤٩) المصدر نفسه،ص٤-٥.

(١٥٠) المصدر نفسه،ص٥.

(١٥١) المصدر نفسه.

(١٥٢) المصدر نفسه.

(١٥٣) المصدر نفسه،ص٦.

(١٥٤) المصدر نفسه.

(١٥٥) المصدر نفسه.

(١٥٦) المصدر نفسه.

(١٥٧) المصدر نفسه، ص٣.

(١٥٨) المصدر نفسه

(١٥٩) المصدر نفسه.

(١٦٠) المصدر نفسه.

(١٦١) المصدر نفسه،ص٣-٤.

(١٦٢) المصدر نفسه،ص٣.

(١٦٣) المصدر نفسه.

خطباء مصر في العصر الفاطمي بنو عبد السميع انموذجاً

أ.م.د. وسن سمين محمد امين

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

Preachers of Egypt during the Fatimid period, Banu Abd al-Sami`, as a model

Assistant Professor Dr. Wasan Samin Muhammad Amin

University of Baghdad/ College of Education Ibn Rushd for Human Sciences

رقم الهاتف/ ٠٧٨٠٨٥١٤١٦١

wasan.sameen@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

خطباء مصر في العصر الفاطمي بنو عبد السميع انموذجا

أ.م.د. وسن سمين محمد امين

الملخص:

يختص هذا البحث بأسرة بني عبد السميع بمصر ودورها خلال العصر الفاطمي، وهي من الاسر التي وفدت لمصر وتوارثوا علوما عدة مثل: علم الحديث الشريف والفقه، وهذا يفسر لنا كيف شغلوا مناصب متعددة فضلا عن منصب الخطابة ولمدة من الزمن وما نالوه من مكانة متميزة لدى الدولة الفاطمية.

من هذه اللمحة المتيسرة لدينا عن بني عبد السميع يمكن ان نكتب عنهم بأنهم من الشخصيات التي عمل افرادها بمنصب القضاء في العراق ومصر، وامارة الحج وامامة الحرمين، وخطباء مصر لمدة ٦٤ عام على عهد الفاطميين(٣٨٥-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧٥م)، بدأ بنو عبد السميع يشتهرون بمصر لاسيما عندما تولوا منصب الخطابة وتمتعوا بصفات وفضائل وأصبح لديهم منافسين وحاسدين لمنصبهم، الا انهم استطاعوا ان ينافسوهم، وعندما سقطت الدولة الاخشيدية(٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) ودخلت مصر تحت سلطة الفاطميين، استمر بنو عبد السميع خطباء للفاطميين تقريبا الى عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله(٤١١-٤٢٧هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٥ م)

الكلمات المفتاحية:(بنو، عبد السميع، مصر، خطباء، الفاطمي)

summary:

This research deals with the family of Banu Abd al-Sami' in Egypt and its role during the Fatimid era, and it is one of the families that came to Egypt and inherited several sciences such as: the science of hadith and jurisprudence, and this explains to us how they occupied various positions in addition to the position of rhetoric and for a period of time and what they obtained from a privileged position in the state Fatimid

From this glimpse available to us about the Banu Abd al-Sami', we can say about them that they are among the personalities whose members worked in the judiciary in Iraq and Egypt, the emirate of Hajj and the Imamate of the Two Holy Mosques, and the preachers of Egypt for 64 years during the Fatimid era. With qualities and virtues, they had competitors and envious people for their position, but they were able to compete with them, and when the Ikhshidid state fell and Egypt entered under the authority of the Fatimids, the Banu Abd al-Sami' continued to preach to the Fatimids almost until the era of the Fatimid Caliph al-Zahir to honor the religion of God (411-427 AH / 1020-1035 AD)

Keywords:(banu,abd al-Samee,Egypt,preachers,fatimid)

المقدمة:

اكتسبت اسرة بني عبد السميع مكانة متميزة في مصر خلال العصر الإسلامي من خلال توليتهم لوظيفة الخطابة، ولم تخرج تلك الوظيفة من أيديهم فكانت تنتقل في أبناء واحفاد تلك الاسرة لتصبح متوارثة فيهم على توالي الأجيال، مع الاحتفاظ بلقب الجد الأعلى، فأصبح كل من يتولى هذه الوظيفة يلقب بـ(ابن عبد السميع)

وقد نبغ الكثير من افراد بني عبد السميع في المجال الديني والإداري، وذلك بناء على المستوى الثقافي والمعرفي لهم، وقربهم من السلطات وشهرتهم ومكانتهم المجتمعية، فتقلدوا العديد من الوظائف الدينية كوظيفة الامامة والخطابة داخل بعض الجوامع والمساجد.

مشكلة الدراسة:

تبرز مشكلة البحث في عدم وجود دراسة مستقلة عن الخطابة والخطباء في العصر الفاطمي حسب علم الباحث، الا ما يتوافر من إشارات منثورة في بعض الكتب مما لا يتناسب واهمية هذه المدة التاريخية لذلك تسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

١-ما اهمية الخطابة في هذا العصر في الحياة السياسية والاجتماعية.

٢-ما أثر الخطابة والخطباء في الاحداث التاريخية المفصلية في تلك الفترة

٣-الى أي المواطن تنتمي أصول اسرة بني عبد السميع، وما المؤهلات والامكانيات والظروف التي اهلت بنو عبد السميع لتولي وظيفة الخطابة.

٤-ما الوظائف التي تقلدها بنو عبد السميع الى جانب الخطابة.

٥-الى أي مدى ارتبط بنو عبد السميع بالحكام والوزراء وما هي طبيعة تلك العلاقات السائدة بينهم.

اهداف الدراسة:

١-بيان أهمية الخطباء وتأثير الاحداث السياسية والتاريخية والاجتماعية في طبيعة الخطابة

٢-بيان أنواع الخطابة في هذا العصر والتعريف بمشاهير الخطباء

وبناء على ذلك تم اختيار هذا الموضوع الموسوم بـ(خطباء مصر في العصر الفاطمي بنو عبد السميع أنموذجا) بهدف دراسة تلك الاسرة والتعرف على أصولها واهميتها، وعملها المحوري الديني والسياسي في مصر في الحقبة الإسلامية، تطلب البحث ان نقسمه الى المقدمة وثلاثة مباحث اما المبحث الأول: تعريف الخطابة ومفهومها وعوامل ازدهارها في العصر الفاطمي والمبحث الثاني: بنو عبد السميع، والمبحث الثالث: خطباء بنو عبد السميع في العصر الفاطمي، ويتضمن دورهم في الإعلان عن الاتجاهات العامة لسياسة الدولة، دورهم في الاذان، دعائهم للخليفة في خطبة الجمعة والعيدين، دلالة للولاء والطاعة، ودورهم في دعائهم لولي العهد، اما الرابع: لكشف العلاقة القائمة بين بني عبد السميع والسلطة الحاكمة، وكذلك علاقتهم بالسلطات الأخرى وتأتي بعدها الخاتمة التي تضمنت ابرز النتائج

واعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي وهذا ما يتطلبه البحث للوصول الى النتائج التي ينبغي التوصل لها

المبحث الأول: تعريف الخطابة ومفهومها وعوامل ازدهارها في العصر الفاطمي

أولا: تعريف الخطابة

تعد الخطابة من مظاهر الرقي الإنساني وعلامة على تطور المجتمعات، ولهذا عني بها كل شعب واداة لاصلاح المجتمعات. وللخطابة مكانة مهمة في العلوم الأدبية فكان الخطباء من افصح الناس كما انها تبين مقدرة الخطيب على امتلاك مفاتيح الكلام وذكر صاحب كتاب الاعشى[١]:(قال أبو جعفر النحاس وهي من آكد ما يحتاج اليه الكاتب وذلك ان الخطب من مستودعات سر البلاغة ومجامع الحكم بها تفاخرت العرب في مشاهدهم وبها نطقت الخلفاء والامراء على منابرهم) وبذلك عدت اهم من الكتابة

ثانيا: مفهوم الخطابة

مفهوم الخطابة لغويا: الخطبة مصدر الخطيب، والخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب[٢]

اصطلاحا: الخطابة، فن مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته[٣]

ارتبطت الخطابة في العصر الفاطمي بموضوعين هما الدين والسياسة سواء تعلق الامر بالفاطميين ومذهبهم الشيعي الإسماعيلي او المذاهب الأخرى[٤]

ان الخطابة في العصر الفاطمي هي مزيج بين الدين والسياسة، وان الفاطميين اتخذوا من الخطابة منبرا لدعايتهم المذهبية واحقيتهم بالخلافة. وقد أولى الخلفاء الفاطميون الخطب الدينية كالجمعة والاعياد وسيلة لتوصيل الرسائل الداعمة لحكمهم آنذاك. [٥]

أنواع الخطابة:

الخطابة السياسية: وهي التي يعالج فيها الخطيب قضايا البلد والناس والأمور السياسية، وتلقى في الأعياد والمناسبات الرسمية

الخطابة الدينية: وهي التي يلقيها الائمة في الأعياد الدينية وايام صلاة الجمعة[٦]، والخطابة الدينية في المساجد باسم خليفة ما كانت تعد بمثابة اعلان البيعة والولاء والطاعة لذلك الخليفة والتوقف عن الخطابة باسم خليفة ما كان يعد نزعا ليد الطاعة واعلانا للتمرد على ذلك الخليفة ولا ادل على ذلك من قطع الخطبة عن الخليفة الفاطمي العاضد بن يوسف وذلك ان دلّ على شيء فأنما يدل على أهمية الخطابة الدينية في إضفاء الشرعية على الخلفاء والحكام. والخطابة الاجتماعية: ما يلقى في الإصلاح والعزاء والأمور العائلية

ثالثا: عوامل ازدهارها

اشتمل العصر الفاطمي على احداث كثيرة ومنها قيام الدولة الفاطمية في المغرب ومصر ونشر الدعوة الإسماعيلية بكافة المناطق التابعة للدولة. وزاد اقبال الادباء في هذا العصر على الإنتاج الادبي بشكل عام وذلك يرجع الى تقريب الحكام للادباء وتقلدوا مواقع مهمة في حكم القضاء والدواوين، ومن العوامل التي أدت دورا واضح هي: النهضة العلمية في هذا العصر فقد شهد نهضة علمية وادبية واكبت النهضة السياسية والحربية، بناء المساجد والمدارس، فكانت تمثل منارات علم وادب ومنابع لاحياء جيل جديد من العلماء المتمرسين في الدين واللغة والداعين لمبادئ المنهج الإسماعيلي الفاطمي لاسيما في مصر بالتدريس والوعظ والخطابة في المساجد والمدارس، وتنافس العلماء للحصول على مناصب الخطابة فيها اذ كانت توقف لها اوقاف مجزية ويمنح الخطباء والمدرسون مرتبات محفزة. تقريب الخلفاء الفاطميين للعلماء والقضاة والخطباء وتقليدهم مناصب هامة في الدولة فما عاد العلماء والخطباء مهمشين ومضطهدين فقد قربوهم واجزلوا لهم الاعطيات والمرتبات.

والخطابة ظاهرة اجتماعية تنمو بنمو المجتمع وتنضج بنضوجه، فقد مورست الخطابة في مناسبات دينية ولكن تتم ممارستها بأسلوب جمعي حيث يشارك فيها معظم افراد المجتمع نحو: الخطابة والوعظ في مجالس الاحتفال بالمولد النبوي ويوم عاشوراء...الخ

المبحث الثاني: بنو عبد السميع

أولا: أصول بني عبد السميع:

تعود أصول هذه الاسرة الى مدينة بغداد، وهم من الاشراف من بني هاشم ويرجع نسبهم الى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عبيد الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب،[٧] وينتسبون الى جدهم الاكبر عبد العزيز بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي[٨] ومن اولاده الحسن بن عبد العزيز شغل وظيفة امام في جانب الرصافة ببغداد، وابنه أبو بكر الامام في دار الخلافة، وعثمان الامام في مدينة بغداد وأيضا علي الامام في بقية المدن،[٩] وابنه الاخر وهو والد الاسرة عمر بن الحسن بن عبد العزيز[١٠] شافعي المذهب وكان فقيها وقاضيا واماما للحرمين ومصر وغيرهما من المدن، فضلا عن توليه مناصب أخرى ومنها امامة الحرمين بالحجاز، وامامة الجامع العتيق بمصر، وتولى امرة الحج بالناس لمدة عشرين عاما، كما ولي القضاء نيابة عن أخيه محمد بن الحسن لما تولى قضاء بغداد والممالك الأخرى وذلك بعد ان صرف ابن وليد في رجب عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، فركب الى الجامع مرتديا السواد ومعه القضاة والشهود والامناء والاشراف ووجوه اهل البلد[١١]

استخلف عمر بن الحسن على الاحكام أبا بكر الحداد، وقرئ عهده في الجامع اخو عمر وهو محمد بن الحسن، وعهد أخيه من قبل الخليفة العباسي المطيع، وعلاوة على تلك المناصب اضيف اليه قضاء الإسكندرية والرملة وطبرية واعمالها، فكان ابن الحداد يقضى في دار عمر بن الحسن يومي السبت والخميس، وفي منزله يوم الاثنين فقط[١٢]

وكان لعمر بن الحسن الحظوة والمكانة الرفيعة لدى الامراء الاخشيديين، ففي ولايته للقضاء حدثت مشاكل بين ابن وليد وبين الشهود ورفعوا شكواهم للامير أبو القاسم بن الاخشيد والأستاذ كافور، وادعى ابن وليد ان تحت يد احدهم أموالا كثيرة لا أصحاب لها، فاعتقله كافور، فتوسط عمر بن الحسن الهاشمي وسائر وجوه الناس لدى كافور بالشفاعة له حتى اطلق سراحه[١٣]

وفي مدة حكم عمر بن الحسن للقضاء استقامت له الأمور، وعدّل جماعة ورد شهادة آخرين، وتصلب في الاحكام، وعفا عن أموال الناس ولم يقبل لأحد هدية، وكان نزيها، امينا، ويذكر انه اتلف أموال كثيرة لنفسه في أمور القضاء حتى استقامت الأمور له، غير انه استعفي من منصبه.

وعندما تولى نائب عمر بن الحسن، وهو محمد بن صالح بن ام شيبان[١٤](٢٩٣-٣٦٠هـ/ ٩٠٥- ٩٧٠ م)، منصب قضاء القضاة ببغداد استخلف بدلا عنه ابن وليد ولم يكتف بذلك بل قام عدد من الشهود ممن كانت لهم خلافات مع عمر بن الحسن نتيجة لسجنهم بسبب مخالفات وإساءة بعملهم، بالذهاب لكافور وشهادتهم بصلاحية ابن وليد للمنصب.

وعندما سمع عمر بن الحسن توجه مع ابن الحداد وغيرهم من اكابر البلد الى كافور وذكروا له مساوئه، وقال احدهم: ان رأى الأستاذ ان يصون هذه الشيبات ويقبل شفاعتهم فليفعل، فتوقف امر تعيينه وارسل يحيى بن رجاء الى بغداد املا بتولي قضاء مصر غير ان طلبه قوبل بالرفض[١٥]

ولم يبق عمر بن الحسن بمنصبه اذ عزله كافور الاخشيدي وذلك في ذي الحجة عام ٣٣٩هـ/٩٥٠م، اثناء عودته من الحج متوجها من الحجاز الى مصر، ولم يقم ابنه عبد السميع بأي جهد للتأثير على كافور بالرجوع عن قرار العزل، فتوانى وفتر، وبرجوع عمر بن الحسن لم يحرك ساكنا إزاء هذا القرار، لأنه لم يكن لديه ميل ورغبة بالمنصب، غير انه عاد لمنصبه مرة أخرى، وما يدل على ذلك انه توفي عام ٣٤٦هـ/٩٥٧م وهو مازال في منصبه للقضاء[١٦]

ثانيا: <u>اعمال بني عبد السميع العلمي والاداري:</u>

نبغ الكثير من بني عبد السميع في المجال العلمي والديني والإداري في بغداد والحجاز ومصر خلال العصر الإسلامي، وذلك بناء على المستوى الثقافي والمعرفي لهم، وقربهم من السلطات الحاكمة، إضافة الى مكانتهم المجتمعية وشهرتهم، فتقلدوا العديد من تلك

الوظائف الدينية والعلمية والإدارية، فتولت بعض الشخصيات من اسرة بنو عبد السميع وظيفة القضاء والنظر في الاحكام خلال الحكم العباسي والاخشيدي والفاطمي، كالقاضي عمر بن الحسن بن عبد السميع(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) -جد الاسرة-[١٧] اذ تولى منصب القضاء في الحرمين ومصر وذلك في جمادي الاخرة عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م كما اضيف اليه قضاء الإسكندرية والرملة وطبرية واعمالها في السنة نفسها[١٨] وتوجه الى الجامع مرتديا السواد ومعه الشهود والقضاة والامناء والاشراف ووجوه اهل البلد، وقرأ كتاب العهد من قبل أخيه محمد بن الحسن في الجامع[١٩] ونظر بين الخصوم، والاحكام وبقي في منصبه الى النصف من ذي الحجة عام ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م، واستمر في منصبه حوالي ثلاث سنين ونصف، واتصف بالورع في القضاء، وافر الدين، حميد السيرة، استعفي اكثر من مرة من القضاء، وكان ينوب عنه في غيابه واذا حج، أبو بكر بن الحداد[٢٠] ومن الوظائف الأخرى التي تولاها امارة الحج للركب المصري مدة عشرون عاما[٢١]

وجدير بالذكر فأن العديد من افراد تلك الاسرة ممن تولوا منصب القضاء ومنهم محمد بن الحسن بن عبد العزيز بن ابي بكر عبدالله بن عبيد الله ويكنى بأبي بكر(وعند شفاء الغرام بأبي جعفر) الذي تولى قضاء مصر عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م فضلا عن قضاء مدينة الرملة وطبرية والإسكندرية وغيرها واستخلف مكانه في بادئ الامر ابن وليد ثم بعد ذلك اخاه عمر بن الحسن، وكان محمد بن الحسن احد افراد اسرة بني عبد السميع ممن جمع بين الخطابة والامامة فكان خطيب الجامع العمري بمصر وامامه أيضا، كما تولى إقامة الحج وامامة الحرمين وذلك بعد عزله وتوليه امارة مكة على عهد علي بن الاخشيد،[٢٢] محمد بن الحسن بن عبد السميع المكنى بأبي جعفر، فقد تولى القضاء في مكة المكرمة على عهد العباسيين والاخشيديين للمدة ما بين ١٣٢-٣٥٧هـ/ ٢٠٩-٩١٦ م. ومن الفقهاء الذين تولوا منصب القضاء الفقيه عمر بن الحسن، وفي عهد الخليفة المطيع لله(٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٥-٩٧٣ م) الذي ولى محمد بن الحسن القضاء في بغداد والممالك، وقبل ذلك كان قاضيا في مصر فأناب عنه في المنصب أخيه عمر بن الحسن بعد ان صرف ابن وليد في رجب عام ٣٣٦هـ. كما نبغ عدد من أبناء وعلماء بني عبد السميع في شتى فنون العلوم الشرعية وتضلعوا بالتدريس والقاء العلوم الشرعية ومنها

الفقه[٢٣] للطلاب الراغبين عبر حلقات العلم بالمسجد او من خلال لقاء الطلبة ببيوتهم، كالفقيه عبد العزيز بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس(ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٧ م)[٢٤] الذي كان يدّرس الفقه ويروي الحديث للطلبة في بغداد، وكان من اشهر الفقهاء الموجودين آنذاك، واحد الرواة الثقاة في مجال رواية الحديث، فروى عن كبار المحدثين، وتلقى على يديه الكثير من اعلام العالم الإسلامي الفقه والحديث، كما وفد اليه عدد من المحدثين للسماع وتلقى الحديث على يديه ببغداد، في حين روى عنه عدد من المحدثين في مصنفاتهم.[٢٥]

ولأسرة الفقيه عبد العزيز بن عبدالله نصيبا وافرا بعلم الفقه ورواية الحديث، فيعد الفقيه عمر بن الحسن بن عبد العزيز بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس(ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) الذي كان احد الفقهاء المعروفين في بغداد قبل انتقاله الى مصر وسكنه بها، وكان له قدر ومنزلة عظيمة ببغداد.[٢٦] وكذلك أخيه علي بن الحسن بن عبد العزيز أبو الحسن الهاشمي احد كبار الرواة الثقاة في مجال رواية الحديث، وكان ذا باع كبير في هذا المجال، فروي الحديث عن كبار المحدثين مثل محمد بن يحيى المروزي وجعفر الفريابي والفقيه احمد بن يوسف بن الضحاك وحمزة بن محمد الكاتب وغيرهم، وتلقى على يديه الكثير من اعلام العالم الإسلامي الفقه والحديث، كما وفد اليه كبار المحدثين للسماع وتلقي الحديث على يديه ببغداد، في حين روى عنه كبار المحدثين في مصنفاتهم كأبي الفضل بن دودان الهاشمي والحافظ أبو نعيم الاصبهاني[٢٧]

واشتغل بعض افراد اسرة بنو عبد السميع بوظيفة امارة الحج وجمعوا بين وظيفتي امارة الحج والخطابة، فقد تولى الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله(ت٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) امارة الحج في مكة وحج بهم عام ٣١٢هـ/ ٩٢٣م،[٢٨] وعام ٣١٣هـ/٩٢٤م تولاها أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبدالله بن العباس بن محمد، اما عمر بن الحسن بن عبد العزيز فيذكر المسعودي،[٢٩] انه امير عباسي حج بالناس عام ٣١٧هـ/٩٢٨م و ٣١٨هـ/٩٢٩م، وهناك من يقول انه في عام ٣١٧هـ اصبح اميرا للحج خلفا لابيه الحسن بن عبد العزيز لكن هجوم الجنابي صده عن الحج وبذلك لم تتوجه اية قافلة للحج الى عرفات نتيجة لهجوم القرامطة بقيادة سليمان بن الحسن على مكة

وأهلها اثناء موسم الحج وقتله للحجاج وغيرها من اعمال التخريب التي قام بها القرامطة هناك.[٣٠] وكذلك خرج خلفا لأبيه بإمارة ركب الحاج المتوجه لمكة عام ٣٢٠هـ/٩٣١م، وعام ٣٣٢هـ/٩٤٣ م وكذلك عام ٣٣٣هـ اذ حج بالناس ووقف بهم بمكة لغاية عام ٣٣٥هـ عندما تولى امارة الحج فضلا عن منصبه كقاضي لمكة المكرمة ومصر خلال هذه المدة[٣١]؛ كما ولي الصلاة فيذكر انه في عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م صلى عمر بن الحسن بالناس واستمر على الصلاة خلال المدة من ٣٣٢-٣٣٥هـ/ ٩٤٣-٩٤٦م، وقام بإلقاء الخطب أيضا في الأيام المخصوصة[٣٢]وظل على هذا المنصب اميرا للحج الى عام ٣٣٦هـ [٣٣]

ولابد من التنويه ان امارة الحج أصبحت لقضاة مكة المكرمة وهم الذين يتولوها واختيارهم يكون من قبل الخليفة العباسي ومقره في العاصمة بغداد فكان يختار من قضاة مكة المكرمة لمنصب امارة الحج من يتسم بصفات فاضلة واخلاق كريمة[٣٤]

وقد اختلفت آراء المؤرخين حول بقاء عمر بن الحسن بن عبد العزيز في منصبه كقاضي، فمنهم من ذكر انه بقي في منصبه لغاية عام ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م،[٣٥] والبعض الآخر يذكر انه بقي بالمنصب الى وفاته عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٨ م[٣٦]؛ وكذلك اميرا للركب المصري كالفقيه القاضي عمر بن الحسن ولمدة عشرون عاما، وابنه عبد السميع بن عمر بن الحسن فيذكر انه في عام ٣٤١هـ/٩٥٢ م أو ٣٤٧هـ/٩٥٩ م تولى امارة الركب المصري والحج بالناس من مصر هو عمر بن الحسن العباسي، وصادف ان حصل في هذا العام اتفاق بين امير الحج من بغداد وهو محمد بن عبدالله العلوي بإقامة الخطبة في الحرمين للخليفة العباسي فقط وترك ابن بويه في بغداد وابن الاخشيد في مصر، الا ان امير ركب بغداد نقض الاتفاق ومكر بهم فحضر حول الخطيب واخبره بإقامة الخطبة لابن بويه، اما امير الحج المصري(عبد السميع بن عمر بن الحسن) فعاقبه كافور واغرمه نتيجة لعمله هذا[٣٧]

وتعقيبا على هذه الرواية فنجد ان بعض المصادر التي بين أيدينا قد وقعت بخطأ عند ذكرهم ممن تولى امارة الحج المصري، فالبعض يذكر ان امير ركب الحاج المصري هو

عمر بن الحسن بن عبد العزيز الذي كان قاضي مكة ومصر وغيرها من المدن في نفس الوقت، وهناك روايات تذكر ان امير الحاج كان ابنه عبد السميع بن عمر بن الحسن والسبب يعود ان عمر بن الحسن كان يستعفى من منصبه اكثر من مرة ثم يعود اليه بعد ذلك، كما حدث عندما تولى القضاء نيابة عن أخيه محمد بن الحسن عام ٣٣٦هـ/٩٤٧م،[٣٨] كما اختلفوا في تحديد العام نفسه فالبعض يحدده بعام ٣٤٦هـ/٩٥٨ م والآخر يجعله عام ٣٤٧هـ/٩٥٩ م. وامام هذا اللبس ووفقا لما اطلعت عليه من مصادر تاريخية توافرت بين أيدينا ووفقا للحقائق التاريخية وتراجم لهؤلاء الشخصيات، لاحظنا ان وفاة عمر بن الحسن كان عام ٣٤٦هـ وهو العام الذي توجه فيه عمر الى مصر ودفن بالقرب منها وتقلد بعده ابناءه وهم: عبد السميع وعبد العزيز الصلاة والخطابة بمصر والحرمين. اما تحديدهم لعام ٣٤٧هـ وان الذي تولى امارة الحج هو عبد السميع فهذه رواية أخرى، لكننا نرجح عام ٣٤٦هـ والذي كان امير الحج هو عمر بن الحسن الذي كان يستعفى ويرجع لمنصبه كما مر سابقا في الأعوام ٣٣٦هـ و٣٣٩هـ وما يؤكد قولنا انه في هذا العام وعند حدوث الحيلة والمكر من قبل امير الحج البغدادي بإقامة الخطبة للخليفة وما حدث عقب ذلك، وقيام كافور بمعاقبته فور رجوعه من الحجاز وكان عام ٣٤٦هـ وهو العام الذي توفي فيه ودفن بمصر.

وتبقى وظيفة الخطابة وامامة الصلاة –الأكثر شهرة وارتباطا ببني عبد السميع–والتي توارثها أبناء عبد السميع منذ تولي جدهم لهذه الوظيفة على عهد أبو المسك كافور الاخشيدي (٢٩٢–٣٥٧هـ/ ٩٠٤–٩٦٩م) ومنذ عام ٣٤٧هـ/٩٥٩م، وجعلت لهم المكانة المرموقة داخل الوسط السلطاني والمجتمعي عبر العصور المتلاحقة، وهو ما سنلقي عليه مزيد من الضوء في الصفحات اللاحقة.

ثالثا: دور علماء الاسرة في الامامة والخطابة :

الخطبة: هي الكلام المنشور والمسجع الذي يلقى على المنبر[٣٩]، والغرض منها هو ترغيب الناس فيما يفهم من أمور معاشهم ومعادهم[٤٠]

تعد الخطابة والامامة من الوظائف الدينية التي تولاها العلماء وتتطلب من يشغلها ان يكون على قدر كبير من العلم. ويعد الخطباء من رياسة القلم حسب ما أشار الى ذلك الدمشقي[٤١] في معرض حديثه عن تقسيم الوظائف ومكانة كل واحد منهم الاجتماعية بقوله: (الرياسة التي تنال بها الحال الدنيوية مقسومة بين السيف والقلم، فأما رياسة السيف فللملوك والامراء والحجاب...، واما رياسة القلم فللوزراء والكتاب والقضاة والخطباء...). وتعد من الوظائف الدينية التي تولاها العلماء وتتطلب من يشغلها ان يكون على قدر كبير من العلم، فقد تولى العلماء من بنو عبد السميع وظيفتي الامامة والخطابة في مسجد عمرو بن العاص ومساجد مصر عامة، وغالبا ما كان يجمع متوليها بين وظيفتي الامامة والخطابة عدد من العلماء من اسرة بنو عبد السميع حتى أصبحت شبه محصورة في هذه الاسرة.

ومن الملاحظ ان للخطباء دور هام في ذلك الوقت، لما للخطابة من اهمية لاسيما بعد تأسيس الفاطميون لدولتهم بالمغرب ومصر والشام، واستخدامهم للدعاة ونشرهم للخطباء للإعلان عن انفسهم والدعاية لمصالحهم، واعلوا ذكر الخطابة وجعلوا لها منزلا وقدرا[٤٢]

ولم يخل عصر الدولة الفاطمية من رجال بلغوا القمة في الخطابة وصاروا مضرب الامثال في الفصاحة وقوة التأثير لاسيما الخطابة والوعظ، ومنهم بنو عبد السميع، وكان من تولاها منهم: عبد السميع بن عمر بن الحسن فقد خلف اباه القاضي عمر بن الحسن على الخطبة في جامع عمرو بن العاص،[٤٣] فقد مارس الخطابة في مصر منذ عصر الاخشيديين، فخطب عبد السميع لابي الفوارس،(احمد بن علي بن محمد بن طغج بن جف بن بلتكين بن فوران بن فوري بن خاقان، الأمير ابي الفوارس بن ابي الحسن بن ابي بكر الاخشيد بن ابي محمد الفرغاني،[٤٤] وهو حفيد الاخشيد وتوفي عام ٣٧٧هـ/ م،[٤٥] فقد تولى حكم الاخشيديين بعد وفاة كافور عام ٣٥٧هـ وعمره ١١ سنة و٧ أيام وتولى الخطبة بولايته، عبد السميع بن عمر العباسي ودعا لابي الفوارس في نفس السنة، اما اخوه عبد العزيز بن عمر العباسي فقد خطب أيضا لابي الفوارس في جامع احمد بن

طولون، وكان قد حدث اضطراب من قبل الجند بمنع الدعاء له، فامتنع عن الدعاء ونزل من المنبر وصلى بالناس يوم الجمعة(٤٦)

استمرت الخطابة يتولاها عبد السميع بن عمر واحتفظ بمنصبه كخطيب لجامع مصر على الرغم من امتناعه لعدة شهور عن اعتلاء المنبر وتولاها من بعده ابناءه وذريته، لتصبح هذه الوظيفة متوارثة في اسرته من الأبناء والاحفاد، مع الاحتفاظ بلقب الجد الأعلى، فاصبح كل من يتولى هذه الوظيفة يلقب بأبن عبد السميع العباسي، ومن الملاحظ ان العراقيين من اسرة عبد السميع ظلوا يتولون منصب الخطابة حتى عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله، بدليل ان محمد بن عبد السميع بن عمر بن الحسن الذي شغل وظيفة خطيبا بجامع عمرو بن العاص في مصر بعد وفاة ابيه وظل بمنصبه لغاية وفاته عام ٤٢٧هـ (٤٧).

كانت الخطابة تمارس قبل الخطباء بشكل عام في مساجد تابعة لسلطة الدولة مقابل اجر يخصص لهم فضلا عن الميزات الأخرى، وغالبا ما يتم انتقاؤهم من العلماء او القضاة، وقد أشار القلقشندي الى شرف هذه الوظيفة. (٤٨) وكانت هذه الوظيفة تتطلب عدة أمور يجب ان يتصف بها القائم بأمور الخطابة، كالحلم والفصاحة والبلاغة وقوة التأثير والوعظ، وسعة الصدر في اثناء الموقف الخطابي، فالخطيب بحاجة الى ان يكون هادئا يتحمل جهل من يجهل عليه، ويفوت الفرصة على من يريد استفزازه، او من يتهجم عليه.

وذكر الصفدي(٤٩) صفات الخطيب للذين ترجم لهم، فالخطيب يعبر عن اصله الطيب الذي يورثه الثقة بين الناس، كما ان العلم الذي يفيض في كلام الخطيب ولفظه الحسن ذا الإيقاع المناسب صفات مهمة تورث الخطيب القبول والاقبال عليه

ووظيفة الخطابة قد يكون فيه ما يثير او يستفز بسبب تصرفات بعض الحاضرين الذين قد يتعمد احدهم الاستفزاز، فعلى الخطيب ان يتحلى بالهدوء والحلم، وان يتسع صدره لسماع الرأي المخالف، وان يكون ثابتا هادئا مبديا للناس بمظهره وثباته ان هذا ليس بشيء يهتم به ثم يستمر في بساطة وهدوء، فيذكر انه في جمادي الأولى عام ٣٥٨هـ/ ٩٧٠م صلى عبد السميع بالناس وقرأ سورة الجمعة وقنت في الركعة وانحط

ساجدا ونسي ان يركع، فصاح به علي بن الوليد قاضي العساكر في جيش جوهر الصقلي بقوله: بطلت الصلاة، اعد صلاة الظهر اربع ركع.[٥٠] وفي السياق نفسه، نجد ان جوهر الصقلي تدخل في شؤون الخطيب عبد السميع وعمله، فقد رفض جوهر طريقته بعدم قراءته للبسملة في كل سورة ولا في الخطبة، لكنه لم يأبه له وفعل ذلك في الجمعة الأخرى عند الصلاة بهم،[٥١] وعندما دعا الخطيب عبد السميع لجوهر في الخطبة رفض جوهر ذلك الفعل ومنعه من القيام به مرة أخرى، ولما كانت الجمعة المقبلة فعل عبد السميع ما امر به[٥٢]

اما عن النيابة في الخطابة بمصر فمن العلماء الذين تولوها لاسيما ممن ينيبون عن بني عبد السميع في الخطبة، ففي ١٠ شعبان عام ٣٥٨هـ وعند نزول جوهر الصقلي بعسكره في الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) بالفسطاط ليؤدي صلاة الجمعة، خطب به خليفة عبد السميع بن عمر العباسي وهو هبة الله بن احمد، وكان يخطب بهم وهو مرتدي البياض وبعد ذلك دعي لهم من رقعة قرأها[٥٣]

ومع وجود الائمة من الشيعة الإسماعيلية الا ان الامام الأصلي للمسجد خلال العصر الفاطمي كان سني المذهب، فقد كانت اسرة بني عبد السميع سنية المذهب، وعندما استبدل جوهر الصقلي عبد السميع بن عمر بخطيب سني وتعيينه لنائبه هبة الله بن احمد ليقوم بخطبة الجمعة في شعبان عام ٣٥٨هـن واستمرارا لتلك السياسة نلحظ ان جوهر استقطب بعض فقهاء السنة، فعين الفقيه علي بن احمد الاشبيلي واقنعه بمذهبه برؤية الهلال وصلاة العيد، فصلى الاشبيلي وخلفه جوهر الصقلي وخطب خطبة العيد وجوهر جالسا يستمع له. وان كثير من فقهاء السنة من قربهم جوهر الى جانبه بقوا على مذهبهم فكان هدفه تحقيق الدعاية للدولة الفاطمية ولمذهبها الإسماعيلي[٥٤]

المبحث الثالث: اثر خطباء بني عبد السميع في العصر الفاطمي السياسي والديني والاجتماعي

ومن الملاحظ ان للخطباء دور هام في ذلك الوقت لاسيما بعد تأسيس الفاطميون لدولتهم بالمغرب ومصر وبلاد الشام، واستخدامهم للدعاة ونشرهم للخطباء للاعلان عن انفسهم والدعاية لمصالحهم.[٥٥]

وكان لخطباء الجوامع دور في رسم الاطار العام لسياسة الدولة، لاسيما ما يتعلق بالمناوئين والخارجين عن سلطة الدولة الفاطمية ففي عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م جاءت رسل الامام(الخليفة) المعز من المغرب بالقضاء على محمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتي ومعه ثلاثة الاف رأس، وكان بن خزر من ملوك زناتة وعندما هجم عليه أبو الفتوح يوسف بن زيري بن مناد وهو في قلة من أصحابه واحيط به من كل مكان قتل نفسه بسيفه وذلك في ١٧ ربيع الآخر عام ٣٦٠هـ وجيء برأسه الى المعز لدين الله، وعند وصول الخبر الى مصر من قبل رسل المعز قام الخطيب عبد السميع بن عمر بقراءة كتاب المعز الذي تضمن ذلك الخبر[٥٦]. كان المسجد وسيلة لبث الآراء والخوض في أمور بالضد من سياسة الدولة، فقد وجد عام ٣٦٠هـ رقاع في الجامع العتيق فيها التحذير من القائد جوهر، ولما علم بذلك جمعهم ووبخهم على فعلهم ذلك فاعتذروا (٥٧)

وتعد وظيفة الخطابة من الوظائف المتوارثة، وبلغ الحرص على هذه الوظيفة واستمرار توارثها في الاسرة ان البعض كان يعهد بالوظيفة من بعده لابنه، فكان امام جامع القرافة هو محمد بن عبد

السميع(ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)[٥٨]، وحصل على اجازات علمية وسمع من علماء عدة وهم على سبيل المثال: ابي الحسن علي بن عبدالله بن الفضل البغدادي ومحمد بن احمد بن عبدالله، كما سمع منه ابو القاسم عبدالله بن برد البيهقي الدمياطي[٥٩] ويذكر انه في ذي الحجة عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م، لم يصلي بالناس الجمعة لتعرضه لحادث بطريق للقرافة، فرجع الناس من غير صلاة الجمعة هناك[٦٠]

كما تصدى بنو عبد السميع خطباء مصر بالدعاء لولي العهد، فأشار البعض انه في عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م كان اخو عبد السميع وهو عبد العزيز بن عمر بن الحسن العباسي خطيبا للجامع العتيق، وانه صعد منبر الجامع المصادف يوم الجمعة ودعا لولي عهد المعز لدين الله فقال: "اللهم صل على عبدك ووليك ثمرة النبوة ومعدن الفضل والامامة، عبدالله معد ابي تميم المعز لدين الله... واشدد آزره واعز نصره بالأمير نزار ابي المنصور ولي عهد المسلمين الذي جعلته القائم بدعوته...)[٦١]

ومن بين السجلات التي تولى قراءتها بنو عبد السميع سجل الأمان في جمادي الآخرة عام ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م وكان سبب ذلك انه في ربيع الآخر عام ٣٩٤هـ تخوف الناس من الخليفة الحاكم بأمر الله لصدور أوامره بعمل شونة مما يلي الجبل وملئت بالسنط والحلفاء واكتملت في ربيع الأول عام ٣٩٥هـ، فخرج الناس للقصر يسألون العفو، فكتب لهم امانات ما يزيد عن المئة سجل للغلمان والأتراك وامراء الحمدانية وصبيان الدار الغلمان الحاكمية وللزويليين والبرقيين ولأهل الأسواق بمختلف طبقاتهم، وتولى احمد بن عبد السميع قراءة السجلات في الأسواق على طبقاتهم وقرات السجلات في القصر ثم تسلم اهل كل سوق او حرفة او صنعة ما كتب لهم، ومما جاء فيه:(كتاب من عبدالله ووليه المنصور ابي علي الامام الحاكم بأمر الله امير المؤمنين لاهل مسجد عبدالله انكم من الآمنين بأمان الله وامان جدنا محمد خاتم النبيين وابينا علي خير الوصيين)[٦٢]

وكان لخطباء مصر في العصر الفاطمي دور هام في الإعلان عن تولية القضاة وقادة الجيش، ففي ١٦ رجب عام ٣٩٨هـ/١٠٠٨م قام الخطيب احمد بن عبد السميع بقراءة سجل تولية مالك بن سعيد الفارقي للقضاء وهو قائم والشخص المعني بالتولية عقب صلاة الجمعة في الجامع العتيق فكان واقفا على المنبر حتى ينهي الخطيب قراءة السجل[٦٣]. وهذا ما حدث مع صالح بن علي الوزباري، عندما اجتمع وجوه الدولة ووزرائها والحاشية في القصر في ٧ شعبان عام ٣٩٨هـ وبعد أدائهم لصلاة الجمعة في الجامع قام الخطيب احمد بن عبد السميع بإخراج سجلا وقرأه على الملأ وجاء فيه برد

سائر الأمور التي ينظر فيها قائد القواد حسين بن جوهر اليه، وبعد ذلك قام وقبّل الأرض وعند انتهاء الخطيب ابن عبد السميع من القراءة يقومون بتهنئة الشخص المقلّد ويخرج ومعه الهدايا والاعطيات(٦٤)

ولم يقتصر خطباء اسرة بنو عبد السميع عن الإعلان بتقليد القضاة او قائد للقواد او وزير، وانما كان للخطب دورا هاما في الإعلان عن سياسة الدولة لاسيما فيما يتعلق بأمور الدعوة الفاطمية والتنديد بكل ما يهدد فكر الدعوة، ففي عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م قام أحد الخطباء بنو عبد السميع بقراءته لسجل يأمر بقطع مجالس الحكمة التي كانت تقرأ على الاولياء في يوم الخميس والجمعة من كل شهر. كما قرأ سجل في الجامع العتيق من قبل خطباء بنو عبد السميع آنذاك بترك الناس الكلام فيما لا يعنيهم والجدل في أمور الدعوة(٦٥)

كما اوكل لخطباء بنو عبد السميع بمهمة قراءة سجل برد التثويب في الآذان، والسماح للناس في صلاة الضحى وصلاة القنوت، وقيام الخطيب من بني عبد السميع بتوحيد سائر الجوامع في قراءة سجل يدعو الى ترك الآذان بحي على خير العمل، وزيادة في آذان الفجر بعبارة(الصلاة خير من النوم) وان يكون ذلك من قبل مؤذني القصر عند قولهم: السلام على امير المؤمنين ورحمة الله فأذعن الناس جميعا الى ذلك وعمل بهذا السجل في انحاء مصر(٦٦). كما كان لخطباء بنو عبد السميع دورا في قراءتهم لسجلات تخص الجانب الأخلاقي لاسيما فيما يتعلق بالمسكرات وغيرها، ففي عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م قرئ سجل يندد فيه بشرب النبيذ وجميع أنواع المسكر، وكان ذلك على عهد الحاكم بأمر الله ضمن الإجراءات التي قام بها(٦٧).

غير ان الخطباء كانوا يذعنون لأوامر الخليفة الفاطمي لاسيما الحاكم بأمر الله الذي كان يصدر قرارات جديدة تلغي القديمة منها وخلال مدد قصيرة جدا قد تصل الى خمسة اشهر أحيانا وذلك ما حصل عام ٤٠١هـ/١٠١٠م عندما قرأ ابن عبد السميع سجلا في سائر الجوامع بأن يؤذن بحي على خير العمل ويرفع من آذان الصبح الصلاة خير من النوم، والمنع من إقامة صلاة الضحى وصلاة التراويح، فضلا عن النهي عن معارضة

الامام الفاطمي فيما يفعله، وترك الخوض في أمور لا تعنيهم، وإعادة الدعوة والمجلس على الرسم المخصص له[٦٨]

تولى بنو عبد السميع قراءة سجلا في الجوامع كافة بزجر السفهاء والتوقف عن الاعمال التي كانت تهدد امن وسلامة المجتمع المصري آنذاك، وان يدخل الناس الى دورهم عقب صلاة العشاء، وكان ذلك على خلفية الحوادث التي وقعت عام ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م لكثرة الحرائق نتيجة اللعب بالنيران ووقوع الحرائق[٦٩]

تماشيا مع ما تم ذكره، فأن للخطباء دورا هاما من خلال توجيه رجال الدولة من عمال وولاة وغيرهم لتصحيح سياستهم لاسيما بما يتعلق بتسترهم على من يسيء للمجتمع والدولة آنذاك، ففي ٨ جمادي الاخرة عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م، سلم رفق الخادم منشور وسجل[٧٠] الى الخطيب ابي طالب علي بن عبد السميع العباسي، فصعد ابي طالب الى المنبر وقرا المنشور على الناس كافة في صحن الايوان بالقصر، وكان مضمونه ان جماعة من الزعر بالارياف ارتكبوا جرائم وكانوا يجتمعون بالولاة، فأمرهم الخطيب بأن يكفوا عن حمايتهم وفقا لما جاء في المنشور من قبل الدولة وبشكل غير مباشر.[٧١]

وتحدثنا المصادر انه اقيمت خطبتان على منبر جامع راشدة في وقت واحدن وقد تعرض بنو عبد السميع الى المنافسة من قبل الآخرين والمحاولة بأخذ مكانهم في ارتقاء المنبر والقاء الخطب وهذا ما حصل في ١١جمادي الآخرة عام ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م عندما حضر أبو طالب علي بن عبد السميع بأمر قاضي القضاة أبو العباس احمد بن محمد[٧٢] لاقامة الخطبة على منبر جامع راشدة لاسيما بعد سفر خطيبها العفيف البخاري الملقب بالعفيف مع زين الملك[٧٣] الى الشام، وفي الوقت نفسه سعى ابن عصفورة لدى بعض خدام وحاشية القصر فصدر الامر من قبل ابي الحسن علي بن الحاكم بامر الله(الظاهر لاعزاز دين الله) بان يسمحوا له بالخطبة على منبر الجامع نفسه، فصعدا الى المنبر وخطب الاثنان معا ووقف احدهما دون الآخر، وهذه سابقة لم تشهدها المدة الماضية ودلالة على تحكم حاشية القصر بأمور الدولة وتدخلهم باتخاذ قرارات فردية دون الرجوع الى الخليفة نفسه، وبعد ذلك صدرت الأوامر بان تستقر الخطابة لابي طالب بن عبد

السميع وان يخلفه فيه ابن عصفورة، دلالة على مكانة بنو عبد السميع واحقيتهم بالخطابة دون غيرهم لدى الدولة الفاطمية(٧٤)

اكتسبت قراءة السجلات والمناشير الصادرة عن الدولة اهمية كبيرة عند الخطباء باعتباره انه حلقة وصل بين الرعية والخليفة، فضلا عن ايصال أوامر الامام(الخليفة) الفاطمي للناس كافة، ودعوتهم للأخذ بها وتنفيذها. ومن الملاحظ ان ذلك أثّر في العلاقات العائلية ما بين افراد اسرة بني عبد السميع اذ نشبت بعض الخلافات والمنافسات ما بين الاخوة وهذا ما حدث بالفعل في عام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م عندما صدر منشور من قبل القصر وان يتولى قاضي القضاة آنذاك بقراءته على المنبر بالجامع العتيق، غير ان أبا طالب علي بن عبد السميع العباسي أراد ان يقوم بنفسه بقراءته بدلا عن أخيه الأكبر أبو جعفر الذي كان حينذاك خطيب الجامع العتيق وصرف عن قراءة السجلات، فجاء رد أبو جعفر لاخيه: ويحك، ما تحتشم في لسني ولأني اخوك الأكبر. وذكّره بجميل قد صنعه له عندما خلصه من عقاب الخليفة الحاكم بأمر الله عندما تشّفع عنده بالعفو عن أخيه بعد صدور امرا بضرب عنقه، فخلصه من القتل وضمن له التوبة والانابة. وبالمقابل أصدر القاضي أوامره بتسليم السجل لابي جعفر فقرأه فوق المنبر على كافة الناس ومضمون السجل انه وصل الى الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمي ان المستخدمين في الصناعة يقومون بمنع الناس من النزول للبحر وكذلك القوارب لإنقاذ الناس حتى يأخذوا دينارين ونصف على كل غريق وهذا ما فرضه متولي دار الصناعة محمد الحسيني العجمي فمنع الخليفة الفاطمي ذلك(٧٥)

اما بخصوص علاقتهم بالسلطة الحاكمة، ارتبطت اسرة بني عبد السميع-خطباء مصر-بطبقة الحكام ونال منهم المكانة المرموقة والخلع، ويعود ذلك لمكانتهم السامية عندهم، وكانت من مظاهر العناية والاهتمام من قبل الدولة لبني عبد السميع من خلال الانعامات والارزاق، وقد أشار الى ذلك بعض المؤرخين فيذكر انه في ٨ جمادي الأولى عام ٣٥٨هـ/ ٩٧٠م صلى عبد السميع بن عمر بن الحسن في جامع احمد بن طولون وخطب هناك، وكان مرتديا قلنسوة وشي وطيلسان وشي(٧٦)

ومن الامتيازات الأخرى التي تمتع بها الخطباء ان أسمائهم مدونة في ديوان الرواتب الذي يشمل أسماء كل مرتزق في الدولة وجار وجراية، فكان راتب خطباء الجوامع من عشرين دينار الى عشرة دنانير.(٧٧) كما كان الخطباء يحضرون الاسمطة الفاخرة التي تقيمها الدولة الفاطمية لاسيما في الأعياد الدينية الإسلامية والاحتفالات بتخليق عمود المقياس وفتح الخليج، ومنها السماط في دار المقياس احتفالا بوفاء النيل، ويحوي الأطعمة الفاخرة وتوقد عليهم الشموع حتى الصباح(٧٨)

ومن مظاهر العناية والاهتمام من قبل الدولة ببني عبد السميع، ان الدولة قامت بمنحهم العديد من الهدايا والحلوى، فكانت دار الفطرة احتفالا بالمولد النبوي تقوم بأعداد كميات كبيرة من الحلوى اليابسة يستعمل فيها ٢٠ قنطارا من السكر اليابس وتعبأ في ثلثمائة صينية من النحاس وتوزع على رجال الدولة ومنهم الخطباء بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد(٧٩)

وشارك بنو عبد السميع خطباء مصر في الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي، فيتبارى خطباء الجوامع الكبرى في الخطابة وذكر مناقب الرسول(ص) وما يناسب هذه الذكرى الجليلة ويختمون خطاباتهم بالدعاء للخليفة(٨٠). كما شاركوا الاحتفال بمولد الأجداد (الامام علي بن ابي طالب وزوجته السيدة فاطمة الزهراء ووولديهما الحسن والحسين عليهم السلام) ومولد الخليفة الفاطمي الحاضر وهي من الأعياد الشيعية ذات الطابع الخاص والتي انتهت بزوال الدولة الفاطمي، وكانت على غرار الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فحضر بنو عبد السميع الاحتفال الذي كان يقام ليلا في القصر ويحضره الداعي والقاضي والفقهاء وقرّاء الحضرة، ويمنع سلوك الناس للطريق بين القصرين، ويجلس الخليفة في المنظرة في القصر ويتقبل التهاني من الحاضرين، ويلقي الخطيب خطبة بهذه المناسبة كما يخطب فوق المنبر الى ان يصل الى النبي(ص) فيقول: وان هذا يوم مولده الى ما منّ الله به على ملة الإسلام من رسالته، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الاقمر فيخطب كذلك، ويختم خطبته بمدح

الخليفة وكانت توزع أنواع راقية من الحلوى على كبار رجال الدولة وقرّاء الحضرة وائمة وخطباء الجوامع بالقاهرة والفسطاط [٨١]

وفي السياق نفسه كان للخطباء من اسرة بني عبد السميع دورهم في الاحتفال بليالي الوقود وهي اربع ليالي تسبق اول رجب ونصفه وأول شعبان ونصفه[٨٢]، فكان يقوم الخطباء من بني عبد السميع في جوامع الازهر والانور والاقمر بألقاء الخطب التي تعبر عن فضيلة هذه الليلة ويختمون خطبهم بالدعاء للخليفة وبعدها يعود قرّاء الحضرة بقراءة القرآن الكريم وجميع هذه الاحتفالات تكون بحضور الخليفة الذي يجلس في منظرة عالية قرب باب الزمرد احد أبواب القصر الكبير الشرقي، وعند جلوس الخليفة هناك يحضر الخطباء الثلاثة ويخطبون كالموالد ويذكرون استهلال رجب، وبعد ذلك يتوجه الموكب الى دار الوزير ويمثل قاضي القضاة والشهود بين يدي الوزير اما الخطباء بالجوامع فيلقون الخطب ذاتها لكن بشكل اقل من خطبهم بمقام الخليفة، تكريما لهذه الليلة، ويدعون للوزير ومن ثم يخرجون عنه والمساجد مضاءة، كما شاركوا المشايخ والعلماء والقرّاء بقراءة القرآن والدعاء عند المقياس في ليلة الاحتفال بوفاء النيل حيث يتم تكليفهم بالمبيت في المقياس لاقامة الصلوات في جامع المقياس والدعاء ويحدث بينهم وبين الآخرين تبادل المعارف الدينية[٨٣]

علاقتهم بالسلطات الأخرى، تميزت العلاقات القائمة بين بنو عبد السميع والوزراء والولاة والامراء وقادة الجيش وغيرهم في الاغلب بالمودة والتعاون فيما بينهم، الا انه كان يحدث صراعات أحيانا بين بنو عبد السميع وبعض أصحاب السلطات الأخرى التي كان لها نفوذ وسلطان ومراقبة على اعمال بنو عبد السميع ويؤكد ذلك ما حدث بين عبد السميع بن عمر بن الحسن وبين قاضي العسكر علي بن الوليد في جيش جوهر الصقلي من خصومات وصدامات، ويعود ذلك انه في ٨ جمادي الأولى عام ٣٥٨هـ صلى عبد السميع بن عمر بن الحسن في جامع احمد بن طولون فقرأ سورة الجمعة(واذا جاءك المنافقون) وقنت في الركعة الثانية وانحط ساجدا ونسي ان يركع فصاح به قاضي عسكر جوهر الصقلي وهو علي بن الوليد بقوله: بطلت الصلاة! اعد ظهرا اربع ركعات[٨٤]

ولم يتوقف الامر عند ذلك فقد استمرت تلك الصدامات ويعود ذلك الى السياسة المتبعة من قبل الفاطميين لتدعيم وتقوية المذهب الإسماعيلي الفاطمي في مصر، فقد انكر جوهر الصقلي على عبد السميع بن عمر بن الحسن انه لم يقرأ البسملة في كل سورة ولا قرأها في الخطبة، واستمر عبد السميع بذلك حتى عندما صلى بهم في الجمعة الأخرى وكرر الشيء نفسه، كما دعا عبد السميع لجوهر في الخطبة بجامع احمد بن طولون، فرفض جوهر ذلك ومنعه من الدعاء له مرة أخرى. وقام جوهر بعدها باستبدال الخطيب والامام عبد السميع بخطيب سني آخر بالجامع العتيق، فعين نائبه مكانه وهو هبة الله بن احمد، وبالفعل اقام الخطبة بيوم الجمعة المصادف ٢٠ شعبان عام ٣٥٨هـ، فما كان من عبد السميع بن عمر الى اذعانه مرغما لمطالب جوهر الصقلي وعاد خطيبا للجمعة واذن المؤذنون بحي على خير العمل في الجامع العتيق وجامع احمد بن طولون وسائر المساجد، وذلك في جمادي الأولى عام ٣٥٩هـ/ ٩٧١م. وقام عبد السميع بإدخال الشعائر الدينية في الصلاة كالقنوت في الجمعة والحيعلة والجهر بالبسملة في كل سورة في الصلاة، وكانوا لا يفعلون ذلك في العصور السابقة بمصر[٨٥]

كان لرجال الدين والفقهاء في عصر الدولة الفاطمية ومنهم خطباء المساجد ملابس تميزهم عن غيرهم من ملابس فئات المجتمع الأخرى[٨٦]، واضيف لهم كل التقدير والاحترام والابهة، ومن اهم مظاهر التقدير هي الاحتفاظ بالعمامة على الرأس، اذ تضيف على لابسها مظاهر مهمة[٨٧] فقد ألزم جوهر الصقلي عقب دخوله لمصر عام ٣٥٨هـ، ومن ضمن سلسلة الإجراءات التي اتخذها بأنه أزال السواد- شعار العباسيين- والبس الخطباء في الجوامع الثياب البيض شعار الفاطميين[٨٨] فكان زي خطباء المساجد يتكون في الغالب من ثلاث قطع وهي الجبة والبردة(البردة: كساء يلتحف به مثل العباءة) والطيلسان، لذا اطلقوا عليهم (ارباب الطيالس) في الدولة الفاطمية[٨٩]

الخاتمة:

-تنوع فئات العلماء في مصر، فلم تقصر السلطة هذه الوظيفة على علماء مصر الأصليين بل عيّن فيها العلماء من الوافدين الى مصر

-ان التعيين في الوظائف كان له أكبر الأثر في استقرار واستيطان العلماء بمدن مصر وعدم العودة الى اوطانهم التي وفدوا منها وصار من الصعب ان تفرق بينهم لأنه يجمعهم هدف واحد وهو العلم ونشره

-ان تعيين العلماء في الوظائف الهامة في مدن مصر كان له أكبر الأثر في الهجرة طمعا في الحصول على هذه الوظائف

-استعمل الفاطميون للدعوة ونشر الخطباء والدعاة للإعلان عن أنفسهم والدعاية لمصالحهم وأعلوا من شأن الخطبة

-تعد الخطابة من الوظائف الدينية وتتطلب من يشغلها من العلماء ان يكون على قدر كبير من العلم

-شهدت الحياة العلمية والأدبية تطورا في العصر الفاطمي نتيجة الاستجابة للنهضة السياسية التي هيأت للعلماء مجالا للأبداع وتشجيع الخلفاء على الابداع في كافة العلوم واحتضانهم للعلماء والمفكرين

-شهدت الخطابة الدينية والوعظية ازدهارا في هذا العصر لما لها أثر في حركة الإصلاح الاجتماعي والسياسي

-كان للخطباء دور في إضفاء الشرعية للخلفاء، فكان الدعاء للخليفة في الخطبة يمثل اعتراف ديني وشعبي بشرعية خلافته(امامته)

-مورست الخطابة بشكل واسع من الخطباء المعينين بشكل رسمي من الدولة، وكانت الخطب السياسية والدينية ذات نشاط واسع دعما للحكم الفاطمي ولنشر مبادئ الفكر الإسماعيلي وكذلك لاخذ البيعة لولي العهد

-مورست الخطابة الاجتماعية في المناسبات الاجتماعية والدينية الاحتفالية التي اتخذت طابع اجتماعي نحو: المولد النبوي، ورأس السنة الهجرية والمولد السبعة وحزن عاشوراء، بينما عالجت الخطابة الدينية والوعظية مظاهر الفساد التي اعترت المجتمع نتيجة التأثر الثقافي بعادات وتقاليد خارجية

-سيطرت النزعة الدينية على معظم الخطب التي قيلت في هذا العصر من حيث العاطفة وكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية، وكثرة الاقتباس منهما

-تعد اسرة بني عبد السميع من الاسر العلمية التي نبغت في الفقه والحديث، وحمل لواءه الفقيه عمر بن الحسن في مصر وكيف ان اسرته حملت لواء هذا العلم من بعده

-شهدت اسرة بني عبد السميع نبوغ أكثر من عالم فيها في ألوان متعددة من الثقافة

-تولي عدد من افراد تلك الاسرة وظائف أخرى عدا الخطابة كوظيفة الامامة وامارة الحج والقضاء

-نال بنو عبد السميع الحظوة لدى حكام الدولة الفاطمية وتمتعهم بالامتيازات والاعطيات

الهوامش:

١-القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ)، تح:شمس الدين محمد حسين،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٧ ،ج١،ص٢٥٣

٢-ابن منظور،لسان العرب،ط٣،دار صادر، بيروت،٢٠٠٤،ص٩٦

٣-ناصيف، اميل، أروع ما قيل عن الخطب، ط١، دار الجيل، بيروت،١٩٩٥، ص٥

٤-حوالة، يوسف احمد ، الحياة العلمية في افريقية، المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس الهجري، ط١،جامعة ام القرى، مكة المكرمة،٢٠٠٠،ص١٨١

٥-حوالة، الحياة العلمية في افريقية، ص١٨٢

٦- فاخوري، حنا ، الموجز في الادب العربي وتاريخه، ط٣، دار الجيل، بيروت،٢٠٠٣،ص٣٤٥-٣٤٦

٧- وهم من الاشراف وهو لفظ يطلق على كل من ينسب الى بيت النبوة اذ اطلق على أبناء العباس اعمام بن ابي طالب الذين اسلموا وحسن اسلامهم، وكان لال العباس بن عبد المطلب السقاية حتى ظهور الإسلام واقرها الرسول على ولايته ومن بني العباس وهم عبدالله بن العباس وله بقية عقب ببغداد وهم بنو عبد السميع الذين يرجع نسبهم اليهم، وكذلك يرجع بنو عبد السميع بنسبهم الى الأمير العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أبو الفضل الهاشمي، وهو اخو الخليفتين العباسيين المنصور والسفاح، ولاه الخليفة المنصور دمشق وبلاد الشام. ينظر:ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري(ت٢١٣هـ)،السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا واخرون،ط٢، مط: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥،ج١، ص١٧٨؛ المصعب الزبيري، بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير(ت٢٣٦هـ)، نسب قريش، تح: ليفي بروفنسال،ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج١، ص ٣٤؛ ابن حزم،أبو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي(ت٤٥٦هـ)، جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية، د.مك، ١٩٨٣،مجلد ١، ص٣٣؛ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد(ت٥٨١هـ)، الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢، ج٢، ص١٩٥

٨- الهاشمي وكنيته ابو القاسم، ونسبه العباسي، القرشي، الهاشمي، وهو الجد الأكبر لاسرة بنو عبد السميع، ولد عام ١٨٩هـ وعاش في بغداد وكانت وفاته في ذي الحجة عام ٢٧٥هـ، وله من العمر

٨٦ سنة، وكان جميلا وسيما وبهيا، ويعد من الرواة الثقاة. ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢،ج١٢، ص٢٧١

٩-التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم داود البصري(ت٣٨٤هـ)، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، د.مك، ١٣٩١هـ، ص١٨٨

١٠- ولد عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٥ م الذي اسكن اسرته مصر عند قدومه اليها من بغداد عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م على عهد الخليفة المطيع العباسي(٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٥-٩٧٣م)، شافعي المذهب. الفاسي، تقي الدين محمد بن احمد الحسني(ت٨٣٢هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط٢، دار الكتب المصرية، مصر،١٩٨٥،ج٦،ص٢٨٧

١١-ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، رفع الآصر عن قضاة مصر، تح: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨، ص٢٩٠

١٢-ابن حجر، رفع الآصر، ص٢٩٠

١٣-ابن حجر، رفع الآصر، ص٢٩٠

١٤-هو أبو الحسن محمد بن صالح بن علي بن يحيى بن عبدالله الهاشمي المعروف بابن ام شيبان، ولد في بغداد عام ٢٩٣هـ، من اهل الكوفة وقدم الى بغداد مع والده عام ٣٠١هـ وتكرر دخوله اليها ومن ثم انتقل للسكن بها عام ٣١٦هـ،كان على مذهب مالك، وهو اول من تقلد منصب قاضي القضاة في بغداد من بني هاشم، قلّده المطيع قضاء مدينة الشرقية فضلا عن بغداد وصار على الجانب الغربي في رجب عام ٣٣٥هـ/٩٤٦توفي عام ٣٣٦هـ صدرت الأوامر بنقله الى مصر وتولى القضاء هناك وكذلك الرملة وبعض اعمال الشام. ينظر: الخطيب البغدادي، احمد بن علي(ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ج٢،ص٤٣٨؛ الدروبي، إبراهيم عبد الغني، مراجعة وتقديم: أسامة ناصر النقشبندي، ط٢، دار الوثائق، دمشق، ٢٠٠٩، ص١١٨- ١١٩)

١٥-ابن حجر، رفع الآصر، ص٢٩٠

١٦-ابن حجر، رفع الآصر، ص ٢٩١؛خاشع المعاضيدي،"الفاطميون في مصر"،مجلة كلية الاداب،ع١٣،بغداد،١٩٧٠،ص٢٧٢

١٧- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، الولاة وكتاب القضاة، تصحيح: رفن كست، مطبعة الإباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص١٩٢؛المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتصحيح: شارل بلا، ط١،د.مك،١٤٢٢هـ، ص ٥٢٢؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٩٢،ج٧،ص٣٣٧

١٨-ابن حجر، رفع الآصر، ص٢٩٠

١٩-ابن حجر، رفع الآصر، ص٢٩٠

٢٠-الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٩٩٣،ج٧،ص٣٣٧؛ الفاسي، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام، تح: لجنة من العلماء والادباء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٠،ج٢، ص ٢٣٠؛ ابن حجر العسقلاني، رفع الآصر، ص٢٩٠

٢١-الكندي، الولاة والقضاة، ص١٩٢

٢٢- الفاسي، شفاء الغرام ، ج٢، ص ٢٣٠؛ ابن حجر العسقلاني، رفع الآصر،ص٣٥٥

٢٣- المقصود بالفقه، هو العلم بالاحكام الشرعية العلمية المكتسبة من ادلتها التفصيلية، فأذا استخرجت الاحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي حامد(ت ٧٥٦هـ)، الابهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول الى علم الأصول للبيضاوي(ت ٧٨٥هـ)، مط:دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٥،ج١،ص٢٨؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ)، المقدمة، تح: خليل شحادة، ط٢، مط: دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ص ٥٦٣

٢٤- بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، الهاشمي ويكنى بأبي القاسم ونسبه العباسي القرشي الهاشمي ورتبته ثقة، عاش ببغداد وولد عام ١٨٩هـ،وتوفي ١٢ من شهر ذي الحجة عام ٢٧٥هـ وهو في سن ٨٦ سنة، وكان جميلا ووسيما وبهيا. الدارقطني، علي بن عمر(ت٣٨٥هـ)، سنن الدارقطني، تح: شعيب الارناؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة،ط١،بيروت-لبنان،٢٠٠٤،ج٣،ص١٢؛الاصبهاني،أبو نعيم احمد(ت٤٣٠هـ)،مسند الامام ابي حنيفة،تح:محمد عبد الشهيد النعماني،ط٢،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، ٢٠١٥، ص٢٦٧؛الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج١٠،ص٤٥١

٢٥- الدارقطني، سنن الدارقطني، ج٥،ص٤٦١؛الخطيب البغدادي،ج١٠،ص٤٥١؛ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢، ص٢٧١

٢٦- ابن حزم، جمهرة انساب العرب، مجلد ١، ص٣٣

٢٧- التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١٣، ص ٣١٥

٢٨- وهو والي الصلاة بالحرمين ومسجد الرصافة ببغداد، توفي عام ٣٣٣هـ وله من العمر ٧٥ سنة. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٤١؛ الفاسي، العقد الثمين،ج٥،ص٣٢٧؛ رفعت، ابراهيم(ت ١٣٥٣هـ)، مرآة الحرمين، دار الكتب المصرية، ط١،القاهرة، ١٩٢٤، ص١٩٧

٢٩- مروج الذهب، ج٤، ص ٤٠٨

٣٠- الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط٢، دار المعارف،مصر،١٩٦٧،ج١١،ص١٢٦

٣١- ابن الجوزي،المنتظم،ج١٤،ص٤٠؛ ابن فهد، عمر بن محمد بن محمد بن محمد(ت٨٨٥هـ)، اتحاف الورى باخبار ام القرى، تح:فهيم محمد شلتوت، ط١، مركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣، ج٢، ص٣٩١؛ وعند الفاسي يحددها لغاية عام ٣٣٦هـ، العقد الثمين، ج٦، ص٢٨٧؛رفعت، مرآة الحرمين، ص ١٩٧

٣٢- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله(ت٣٣٥هـ)، اخبار الراضي بالله والمتقي لله او تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ الى ٣٣٣هـ من كتاب الأوراق لابي بكر محمد بن يحيى الصولي، نشر:ج. هيورث ون، لندن، ١٩٣٥، ج٢، ص١٣٨؛ رفعت، مرآة الحرمين،ص١٩٧

٣٣- الفاسي، العقد الثمين،ج٥، ص٣٢٧

٣٤- رفعت، مرآة الحرمين، ص١٩٧

٣٥-الكندي، الولاة والقضاة، ص٤٩٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٥،ص٣٥٦

٣٦-ابن حجر، رفع الآصر، ص٢٩١

٣٧-الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد الانصاري الحنبلي(ت٩٧٧هـ)، الدرر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تح: محمد حسن محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢،ج١، ص ٣٢٩

٣٨- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٥،ص٣٥٦

٣٩-الشامي، محمد بن يوسف(ت٩٤٢هـ)، سبيل الهدى والرشاد، تح: عادل احمد عبد الموجود، علي محمد، مط: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،١٩٩٣،ج١،ص٤٥٤

٤٠-الجرجاني، علي بن محمد(ت٨١٦هـ)، التعريفات، ليبسك،١٨٤٥م، ص١٠٤

٤١-أبو الفضل جعفر بن علي (ق ٦هـ)، الإشارة الى محاسن التجارة، د.ط، د. مط، القاهرة، ١٣١٨هـ، ص٤٢

٤٢- محمد، إسماعيل علي ، فن الخطابة ومهارات الخطيب بحوث في اعداد الخطيب الداعية، ط٥، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر،٢٠١٦،ص٧١- ٧٢؛العبادي،احمد مختار،سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس،مجلة معهد الدراسات الإسلامية،ع١٢،مجلد٥،مدريد،١٩٥٧،ص٢٠٤

٤٣-الكندي، الولاة والقضاة، ص٥٨٩،٥٧٥؛ المقريزي، احمد بن علي(ت ٨٤٥هـ)، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٩١،ج٣، هـ٢،ص٩٩

٤٤-المقريزي، المقفى، ج١، ص٥٣٦

٤٥-ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن عبدالله(ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، د.ت، ج٤،ص٢١؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد عبد القادر احمد عطا، ط١، دار الكتب المصرية، بيروت-لبنان، ٢٠٠١،ج١، ص١٠٩؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم(ت٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠، ج١، ص٦٢

٤٦-المقريزي، المقفى، ج١،ص٥٣٨

٤٧- ابن الزيات، شمس الدين أبو عبدالله محمد الانصاري(ت٨١٤هـ)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٨، ص ٦٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١١؛والمقفى، ج٦، ص٧٠

٤٨-صبح الاعشى، ج١،ص٢٥٣

٤٩-خليل الدين بن ايبك(ت٧٦٤هـ)،الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، د. ط، دار احياء التراث، بيروت،٢٠٠٠،ج٤،ص ١٢٢

٥٠-المقريزي،المقفى،ج٣،ص١٠٣؛ واتعاظ الحنفا،ج١،ص١٩٠

٥١- المقريزي، المقفى،ج٣،ص١٠٣

٥٢- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٩٠

٥٣- للمزيد عن مضمونها ينظر: النويري، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم(ت٧٣٣هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ج٢٨، ص١٣١؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٨٦- ١٨٧؛

٥٤-خليفة، عبد الباقي،" اثر الدعايات والادعاءات في قيام دولة العبيديين ونشر المذهب الإسماعيلي بين المصريين من الجانب الديني او الاجتماعي او السياسي"، مجلة البيان، ع٣٥٣، ٢٠١٦، شبكة الانترنت

٥٥- محمد، فن الخطابة ،ص٧٢

٥٦- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١،ص١٩٨

٥٧- المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج١، ص١٩٨

٥٨- هو محمد بن عبد السميع بن عمر بن الحسن بن عبد العزيز بن عبدالله، وكنيته أبو جعفر ، ولد في ذي الحجة عام ٣٥٢هـ/ ٩٦٣ م وهو احد أبناء عبد السميع ممن تولى الخطابة بجامع عمرو بن العاص بمصر وجامع القرافة، المقريزي، المقفى، ج٦،ص٧٠

٥٩- المقريزي، المقفى، ج٦،ص٧٠

٦٠- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٠٩

٦١- المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج١،ص٢٧٧

٦٢-المقريزي، الخطط المقريزية،ج٣، ص٤١-٤٢

٦٣- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٣٦٨-٣٦٩

٦٤- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٣٦٩

٦٥- المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج١،ص٣٧٥

٦٦- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٣٧٥

٦٧- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٣٧٥

٦٨- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٣٧٨؛عنان،محمد عبدالله،عصر الخفاء في مصر الإسلامية،مجلة الرسالة،ع٩٧،الرياض،١٩٣٥،ص٢١

٦٩- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٣٩١

٧٠-امر صادر عن الخليفة بتبليغ بعض قرارته الى دواوين الدولة. السجل: كانت تطلق في عهد الفاطميين على المكاتبات التي يبعث بها من ديوان الانشاء الى الاعمال بمصر والاقطار التابعة لها، لابلاغ حادثة من الحوادث التي تختص بالخليفة كركوبه في الأعياد والمواسم، او لإشهار احد أو أمر الخليفة بإضافة القاب لاحد الوزراء او النقباء. المسبحي، عز الملك محمد بن عبيدالله بن احمد(ت٤٢٠هـ)، اخبار مصر، تح: ايمن فؤاد سيد وتياري بيانكي، المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية، القاهرة، د.ت، ج٤٠، هـ ٥، ص٤

٧١-المسبحي، اخبار مصر، ص٤-٦؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢،ص٩-١٠

٧٢- بن عبدالله بن محمد بن احمد بن يحيى بن الحارث بن ابي العوام السعدي، فقيه حنبلي ولد بمصر عام ٣٤٩هـ/ م، وولي قضاء مصر عام ٤٠٥هـ/ م وكان اليه النظر في المعيار ودار الضرب والصلاة والمواريث والمساجد والجوامع، واستمر بالقضاء على عهد الظاهر الى وفاته عام ٤١٨هـ/ م. الكندي، الولاة والقضاة، ص٤٩٦؛ ابن ظافر، جمال الدين علي(ت ٦٢٣هـ)، اخبار الدول المنقطعة القسم الخاص بالفاطميين، تعقيب: اندريه فريه، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢، ص٦٢-٦٣؛ ابن حجر، رفع الآصر، ص٦١٠-٦١٢

٧٣-هو أبو القاسم علي بن مسعود متولي صور. المسبحي، اخبار مصر، هـ ٤،ص١٠

٧٤- المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج٢،ص١٠؛ والخطط المقريزية، ج٤، ص٦٧؛ المسبحي،اخبار مصر،ص١٠

٧٥- المسبحي،اخبار مصر،ص٤١-٤٢؛المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج٢،ص ١٩؛كباشي،غنية ياسر،"ست الملك الفاطمية"٣٥٩-٤١٤هـ/٩٧٠-١٠٢٣م، مجلة الأستاذ، ع٦٧،جامعة بغداد/كلية التربية-ابن رشد،٢٠٠٨،ص١٠٥٨

٧٦- المقريزي، المقفى، ج٣، ص١٠٣

٧٧- ابن الطوير،أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت٦١٧هـ)، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تح: ايمن فؤاد سيد،ط١،المعهد الألماني للأبحاث الشرقية،بيروت، ١٩٩٢،ص٨٣-٨٤؛الوزنة،يحيى،ملامح من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مصر الفاطمية،مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية،ع٢٧،الرياض،٢٠٠٣،ص١٠

٧٨- القلقشندي، صبح الاعشى،ج٣، ص ٥١٢؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المسمى الخطط المقريزية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ، ج١،ص٤٧٦

٧٩- ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٢١٧؛القلقشندي،صبح الاعشى، ج٣،ص٤٩٨-٤٩٩

٨٠- القلقشندي،صبح الاعشى،ج٣، ص٤٩٩؛ المقريزي، الخطط المقريزية،ج١، ص٤٣٣

٨١- المقريزي، الخطط المقريزية،ج١،ص٤٣٢؛ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١٩؛محمد،احمد محمد عبد الحميد،"بنو الرداد"،مجلة الدراسات التاريخية والحضارة المصرية،ع١٢،ج٢، ٢٠٢٢،ص٨٢

٨٢- القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣،ص٥٧٤؛المقريزي، الخطط المقريزية،ج١، ص٤٦٦

٨٣-ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٢١-٢٢٢؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٥٧٤- ٥٧٥؛ حسن، حسن إبراهيم، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ، ص٢٧٢؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية،القاهرة،١٩٨٧،ص١٩٨

٨٤-المقريزي، المقفى، ج٣،ص١٠٣

٨٥-المقريزي، المقفى، ج٣، ص١٠٣، ج٦، ص٧٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص ٣٧٩؛كباشي،"العقائد الإسماعيلية في المجالس المؤيدية"،مجلة كلية الاداب،ع١٠٤،جامعة بغداد،٢٠١٣،ص٢٩٠

٨٦-المقريزي، اتعاظ، ج١، ص ١٨٦؛ سلطان، عبد المنعم عبد الحميد ، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية، دار الثقافة العلمية، مصر،١٩٩٩، ص٢٩٨- ٢٩٩

٨٧-ابن سعيد المغربي، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عبد الملك الغرناطي(ت٦٨٥هـ)، النجوم الزاهرة في حلي مصر والقاهرة وهو جزء من كتاب المغرب في حلي المغرب، تح: حسين نصار، القاهرة، دار الكتب، ١٩٧٠،ص ٥٨؛الدليمي،عبد الجبار،زينب شريف جاسم،"مظاهر الترف في الوظائف ابان العصر الفاطمي"،مجلة التراث العلمي العربي،ع٥٠،جامعة بغداد،مركز احياء التراث العلمي العربي،أيلول ٢٠٢١،ص١٤٥

٨٨-ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٣٧٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٢٥؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١١٩؛ القرشي، الداعي ادريس عماد الدين(ت٨٧٢هـ)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٨٥، ص٦٨٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣٢

٨٩-ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي(٦١٤هـ)،رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة برحلة ابن جبير، اشراف لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص٢٤، ٢٥؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج١،ص٤٤١

المصادر والمراجع:

المصادر:

١-الاصبهاني، أبو نعيم احمد(ت٤٣٠هـ)،مسند الامام ابي حنيفة، تح: محمد عبد الشهيد النعماني،ط٢،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠١٥

٢-ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن عبدالله(ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، د.ت

٣-التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم داود البصري(ت٣٨٤هـ)، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، د.مك، ١٣٩١هـ

٤-ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي(٦١٤هـ)،رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة برحلة ابن جبير، اشراف لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١

٥-الجرجاني، علي بن محمد(ت٨١٦هـ)، التعريفات، ليبسك،١٨٤٥م

٦-الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد الانصاري الحنبلي(ت٩٧٧هـ)، الدرر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تح: محمد حسن محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢

٧-ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢

٨-ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، رفع الآصر عن قضاة مصر، تح: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨

٩-ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي(ت٤٥٦هـ)، جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية، د.مك، ١٩٨٣

١٠-الخطيب البغدادي، احمد بن علي(ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ

١١-ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم(ت٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠

١٢-الدارقطني، علي بن عمر(ت٣٨٥هـ)، سنن الدارقطني، تح: شعيب الارناؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت-لبنان،٢٠٠٤

١٣-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ)، المقدمة، تح: خليل شحادة، ط٢، مط: دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨

١٤-الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ق ٦هـ)، الإشارة الى محاسن التجارة، د.ط، د. مط، القاهرة، ١٣١٨هـ

١٥-الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢

١٦-ابن الزيات، شمس الدين أبو عبدالله محمد الانصاري(ت٨١٤هـ)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٨

١٧- السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي حامد(ت ٧٥٦هـ)، الابهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول الى علم الأصول للبيضاوي(ت ٧٨٥هـ)، مط:دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٥

١٨-ابن سعيد المغربي، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عبد الملك الغرناطي(ت٦٨٥هـ)، النجوم الزاهرة في حلي مصر والقاهرة وهو جزء من كتاب المغرب في حلي المغرب، تح: حسين نصار، القاهرة، دار الكتب، ١٩٧٠

١٩-السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد(ت٥٨١هـ)، الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢

٢٠-الشامي، محمد بن يوسف(ت٩٤٢هـ)، سبيل الهدى والرشاد، تح: عادل احمد عبد الموجود، علي محمد، مط: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،١٩٩٣

٢١-الصفدي،خليل الدين بن ايبك(ت٧٦٤هـ)،الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، د. ط، دار احياء التراث، بيروت،٢٠٠٠

٢٢-الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله(ت٣٣٥هـ)، اخبار الراضي بالله والمتقي لله او تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ الى ٣٣٣هـ من كتاب الأوراق لابي بكر محمد بن يحيى الصولي، نشر:ج. هيورث ون، لندن، ١٩٣٥

٢٣-الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط٢، دار المعارف،مصر،١٩٦٧

٢٤-ابن الطوير،أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت٦١٧هـ)، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تح: ايمن فؤاد سيد،ط١،المعهد الألماني للأبحاث الشرقية،بيروت، ١٩٩٢

٢٥-ابن ظافر، جمال الدين علي(ت ٦٢٣هـ)، اخبار الدول المنقطعة القسم الخاص بالفاطميين، تعقيب: اندريه فريه، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢

٢٦-الفاسي، تقي الدين محمد بن احمد الحسني(ت٨٣٢هـ)،

-العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط٢، دار الكتب المصرية، مصر،١٩٨٥

-شفاء الغرام باخبار البلد الحرام، تح: لجنة من العلماء والادباء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٠

٢٧-ابن فهد، عمر بن محمد بن محمد بن محمد(ت٨٨٥هـ)، اتحاف الورى باخبار ام القرى، تح:فهيم محمد شلتوت، ط١، مركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣

٢٨-القرشي، الداعي ادريس عماد الدين(ت٨٧٢هـ)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٨٥

٢٩-القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ)، تح:شمس الدين محمد حسين،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٧

٣٠-الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، الولاة وكتاب القضاة، تصحيح: رفن كست، مطبعة الإباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨

٣١-المصعب الزبيري، بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير(ت٢٣٦هـ)، نسب قريش، تح: ليفي بروفنسال،ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت

٣٢-المقريزي، احمد بن علي(ت ٨٤٥هـ)،

-اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد عبد القادر احمد عطا، ط١، دار الكتب المصرية، بيروت-لبنان، ٢٠٠١ـ

-المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٩١

-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المسمى الخطط المقريزية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨ه

٣٣-المسبحي، عز الملك محمد بن عبيدالله بن احمد(ت٤٢٠هـ)، اخبار مصر، تح: ايمن فؤاد سيد وتياري بيانكي، المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية، القاهرة، د.ت

٣٤-المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتصحيح: شارل بلا، ط١، د.مك،١٤٢٢هـ

٣٥-ابن منظور، لسان العرب، ط٣،دار صادر، بيروت،٢٠٠٤

٣٦-النويري، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم(ت٧٣٣هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ

٣٧-ابن هشام، ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا واخرون، ط٢، مط: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥

المراجع:

١-حسن، حسن إبراهيم، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ

٢-حوالة، يوسف احمد ، الحياة العلمية في افريقية، المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس الهجري، ط١،جامعة ام القرى، مكة المكرمة،٢٠٠٠

٣-الدروبي، إبراهيم عبد الغني، مراجعة وتقديم: أسامة ناصر النقشبندي، ط٢، دار الوثائق، دمشق، ٢٠٠٩

٤-رفعت، ابراهيم(ت ١٣٥٣هـ)، مرآة الحرمين، دار الكتب المصرية، ط١،القاهرة، ١٩٢٤

٥-سلطان، عبد المنعم عبد الحميد ، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية، دار الثقافة العلمية، مصر،١٩٩٩

٦-عاشور، سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٨٧

٧-فاخوري، حنا، الموجز في الادب العربي وتاريخه، ط٣، دار الجيل، بيروت،٢٠٠٣

٨-ناصيف، اميل، أروع ما قيل عن الخطب،ط١، دار الجيل، بيروت،١٩٩٥

٩-محمد، إسماعيل علي، فن الخطابة ومهارات الخطيب بحوث في اعداد الخطيب الداعيـــة، ط٥، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر،٢٠١٦

الدوريات:

١-خليفة، عبد الباقي،" اثر الدعايات والادعاءات في قيام دولة العبيديين ونشر المذهب الإسماعيلي بين المصريين من الجانب الديني او الاجتماعي او السياسي"، مجلة البيان، ع٣٥٣، ٢٠١٦ (منشورة على شبكة الانترنت)

٢-الدليمي،عبد الجبار،زينب شريف جاسم،"مظاهر الترف في الوظائف ابان العصر الفاطمي"،مجلـــة التراث العلمي العربي،ع٥٠،جامعة بغداد،مركز احياء التراث العلمي العربي،أيلول ٢٠٢١

٣-العبادي،احمد مختار،"سياســـة الفـــاطميين نحـــو المغـــرب والاندلس"،مجلـــة معهـــد الدراســـات الإسلامية،ع١٢،مجلد٥،مدريد،١٩٥٧

٤-عنان،محمد عبدالله،"عصر الخفاء في مصر الإسلامية"،مجلة الرسالة،ع٩٧،الرياض،١٩٣٥

٥-كباشي،غنية ياسر"العقائد الإسماعيلية في المجالس المؤيدية"، بحـــث منشـــور فـــي مجلـــة كليـــة الاداب،ع١٠٤،جامعة بغداد،٢٠١٣

٦-كباشي،"ست الملك الفاطمية"٣٥٩-٤١٤هـــ/٩٧٠-١٠٢٣م، مجلة الأستاذ، ع٦٧،جامعة بغداد/كلية التربية-ابن رشد،٢٠٠٨

٧- محمد،احمـــد محمـــد عبـــد الحميـــد،"بنو الرداد"،مجلـــة الدراســـات التاريخيـــة والحضـــارة المصرية،ع١٢،ج٢، ٢٠٢٢

٨-المعاضيدي،"الفاطميون في مصر"،مجلة كلية الاداب،ع١٣،بغداد،١٩٧٠

الأنهار الجارية بين العراق وإيران في ضوء أحكام القانون الدولي

أ م د٠جعفر خزعل جاسم المؤمن
مستشار في مجلس الدولة

الأنهار الجارية بين العراق وإيران في ضوء أحكام القانون الدولي

أ م د٠جعفر خزعل جاسم المؤمن

ملخص البحث

إذا كان إستغلال الانهار الجارية ضمن حدود دولة واحدة والتي تسمى بالانهار الوطنية يعد من الامور الميسورة والواضحة ، فان إستغلال مياه الانهار التي تجري ضمن أقاليم عدد من الدول أو تشكل حدوداً فيما بينها والتي تسمى بالانهار الدولية ، يثير في الغالب صعوبات ومشاكل عدة بين الدول المتشاطئة او المتقاسمة لهذه الانهار ، ويشكل على الدوام بؤرة للخلافات والنزاعات المستمرة فيما بينها ، لاسيما وان الدراسات والبحوث المعنية بشؤون المياه تشير الى ان القرن الحالي سيشهد صراعات وأزمات حادة بين هذه الدول فيما أصبح يعرف بـــ (حروب الماء) ، بسبب النقص المحتمل في موارد مياه هذه الانهار والتي أصبحت بمثابة سلعة نادرة وقيمة قد تتجاوز أهميتها الاقتصادية أهمية النفط نفسه ، لاسيما في ظل إرتفاع نسب التعداد السكاني المتعاظم على مستوى العالم وتعاظم معدلات النمو البشري فيه ، الى جانب الأرتفاع غير المسبوق في درجات الحرارة وبروز ظاهرتي الأحتباس الحراري وتغير المناخ العالميتين على نحو خطير وجدي ٠ وقد حذرت الامم المتحدة في أكثر من مناسبة ، من ان التغييرات المناخية قد تثير الصراعات حول الماء ، لاسيما في منطقة الشرق الاوسط التي تضم عددا كبيرا من الانهار الدولية المهمة كدجلة والفرات والنيل والاردن , والتي تعد من بين أكثر المناطق الساخنة بهذه الصراعات وأشدها حساسية تجاه هذا الموضوع على المدى المنظور أو البعيد ، بالنظر الى محدودية مواردها المائية ازاء الاحتياجات المتصاعدة والمتنامية وازديـــــــــــاد الحاجة اليها على الأصعدة كافة ٠

وفي هذا السياق ، فأن الجارة إيران قامت في العقود الأخيرة منفردة ودون التشاور مع الحكومة العراقية ، بقطع العديد من مجاري الأنهار الحدودية المشتركة مع العراق ـــــ بلغت أكثر من أربعين نهراً حدودياً مشتركاً مابين كبير وصغير ـــــ وتحويلها الى داخل أراضيها أو إقامة مشاريع مائية ضخمة في أحواضها من سدود وخزانات وقنوات وأنفاق للأستفادة منها في الداخل بشكل كامل دون أي إعتبار الى حقوق العراق التأريخية المكتسبة منذ القدم في هذه

الأنهار والتأثير البالغ لتلك الأعمال والأنشطة على الحياة الطبيعية والبيئية والأجتماعية فيه سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ، لاسيما وأن بعض هذه الأنهار يشكل بطبيعته الجغرافية والتكوينية منابع وروافد مهمة لنهري دجلة وشط العرب وللأهوار الجنوبية ، كما أنه يشكل عنصراً مهماً للحياة الطبيعية في المناطق والمدن والقصبات العراقية الحدودية ٠ ولاشك ان مثل هذه ألأعمال تشكل بحد ذاتها إنتهاكاً واضحاً من جانب ايران لمبادئ وقواعد استخدام مياه الأنهار الدولية المعترف بها دوليا سواء أكانت اتفاقية ــ لاسيما إتفاقية ألأمم المتحدة لعام ١٩٩٧ الخاصة بأستغلال الانهار الدولية للاغراض غير الملاحية ــ أم عرفية أم مبادئ عامة إستقرت في محيط العلاقات الدولية بوجه عام وبين الدول المتشاطئة في هذه الأنهار بوجه خاص ، فضلاً عن ان القضاء والفقه الدوليين قد أقرها وأعتمدها في العديد من أحكامه وقراراته وآراءه الفقهية والأستشارية ٠

Abstract

If the exploitation of rivers running within the borders of one country, which is called national rivers, is one of the easy and clear things, the exploitation of the water of rivers that flow within the territories of a number of countries or form borders between them, which are called international rivers, often raises several difficulties and problems between riparian or sharing countries of these rivers, and is always a focus of disputes and continuous disputes among them, especially since studies and research on water affairs indicate that The current century will witness severe conflicts and crises between these countries in what has become known as (water wars), due to the possible shortage of water resources of these rivers, which have become a rare and valuable commodity whose economic importance may exceed the importance of oil itself, especially in light of the high rates of the growing population in the world and the growing rates of human growth in it, in addition to the unprecedented rise in temperatures and the emergence of global warming and climate change phenomena in a dangerous and serious manner. The United Nations has warned on more than one occasion that climate change could provoke conflicts over water, especially in the Middle East, which includes a large number of important international rivers such as the Tigris, the Euphrates, the Nile and Jordan. Which is among the hotspots in these conflicts and the most sensitive towards this

issue in the foreseeable or long term, given the limited water resources in the face of the escalating and growing needs and the increasing need for them at all levels.

In this context, the neighboring Iran, in recent decades, alone and without consulting with the Iraqi government, has cut off many of the rivers shared with Iraq, amounting to about forty border rivers shared between large and small, and converted into its territory or the establishment of huge water projects in its basins, including dams, reservoirs, canals and tunnels, to benefit from them in the interior fully without any regard to Iraq's historical rights acquired since ancient times in these rivers and the great impact of these actions and activities on the natural, environmental and social life in it, whether directly or indirectly, especially since some of these rivers constitute by their geographical and formative nature important sources and tributaries of the Tigris and Shatt al-Arab rivers and the southern marshes, and it is also an important element of natural life in the Iraqi border areas, cities and kasbahs. There is no doubt that such actions constitute in themselves a clear violation by Iran of the principles of And the rules of use of the waters of internationally recognized international rivers, whether it is a convention, especially the United Nations Convention of 1997 on the exploitation of international rivers for non-navigational purposes, customary or general principles settled in the vicinity of international relations in general and between the riparian countries in these rivers in particular, as well as that the international judiciary and jurisprudence has approved and adopted in many of its rulings, decisions and jurisprudential and advisory opinions

تمهيـــــــــد

تعد الانهار فضلاً عن أهميتها في الاغراض الزراعية والبيئية والصناعية والخدمية وغيرها من الاستخدامات , رابطة للتقارب الانساني والاجتماعي , وحلقة وصل طبيعية بين الشعوب والامم التي تعيش على مياهها . ولهذا قامت عند احواضها أعرق الحضارات , وشيدت على ضفافها أقدم المدن التأريخية , ووجدت المجتمعات الانسانية بقربها الاستقرار والطمانينة ٠ ولاشك ان لموضوع استغلال الانهار الدولية في شتى جوانب الحياة , أهمية كبيرة متعاظمة على الصعيدين الحالي والقادم , لاسيما بعد ان وضع العلم الحديث تحت تصرف الدول قدرات وإمكانات تقنية عالية في هذا المضمار , أسهمت بشكل واضح في تطور أساليب واغراض هذا

الاستغلال , وانتقالها من الميادين البسيطة كالملاحة والصيد وسقي المزروعات , الى الاهتمام بمجالات اخرى أكثر قيمة وفائدة , وخاصةً في مجال إنشاء السدود والخزانات المائية العملاقة التي تستخدم في توليد الطاقة الكهربائية وتنفيذ مشاريع الارواء الكبرى ومد المدن والتجمعات السكانية والمنشآت الصناعية الحديثة بالمياه , بل وحتى في تصدير او نقل المياه الى دول اخرى كما هو الحال في مشروع أنابيب السلام الذي خططت تركيا لتنفيذه لصالح بعض دول الشرق الاوسط في العام عام ١٩٨٦ ، وقدرت تكلفته في حينه نحو ٢٤ مليار دولار ولمدة عشر سنوات (١) ٠ ولاشك ان لهذه العوامل ومارافقها من زيادة مستمرة في عدد سكان العالم ومن تطور في العادات الاجتماعية نحو حياة التحضر والتمدن ، الاثر البالغ في التنامي المطرد في استغلال الموارد الطبيعية بوجه عام وموارد المياه على وجه الخصوص (٢)٠

وإذا كان استغلال الانهار الجارية ضمن حدود دولة واحدة والتي تسمى بالانهار الوطنية يعد من الامور الأعتيادية الخالية من المشاكل بوجه عام ، فان استغلال الانهار التي تجري ضمن أقاليم عدد من الدول أو تشكل حدوداً فيما بينها والتي تسمى بالانهار الدولية , يثير صعوبات ومشاكل في الغالب بين الدول المتشاطئة او المتقاسمة لهذه الانهار , ويشكل على الدوام بؤرة للخلافات والنزاعات المستمرة فيما بينها , لاسيما اذا كان هناك تباين واضح فيما بينها في الرؤى والمسائل الايديولوجية والسياسية والاجتماعية والثقافية , وتفاوت في المستوى الاقتصادي لكل منها ٠ ولذلك أشارت العديد من الدراسات الحديثة التي أجرتها بعض المراكز العالمية للبحوث السياسية والعلمية والاستراتيجية ، كما أكد الخبراء المعنيون بشؤون المياه , الى ان القرن الحالي سيشهد صراعات وأزمات حادة بين الدول فيما أصبح يعرف بـــ (حروب المياه) ، بسبب النقص المحتمل في موارد مياه الانهار والتي قد تتجاوز أهميتها الاقتصادية أهمية النفط نفسه ٠ وقد حذرت الامم المتحدة في آذار من العام ٢٠٠٩ ، من ان التغييرات المناخية قد تثير الصراعات حول حول الماء , لاسيما في منطقة الشرق الاوسط التي تضم عدداً كبيراً من الانهار الدولية المهمة كدجلة والفرات والنيل والاردن , والتي تعد من بين أكثر المناطق الساخنة بهذه الصراعات , وأشدها حساسية تجاه هذا الموضوع على المدى المنظور أو البعيد , بالنظر الى محدودية مواردها المائية ازاء الاحتياجات المتصاعدة والمتنامية ، وازديـــــــــــاد إستغلال مياهها على نحو واسع ومضطرد دون الاكتراث بحقوق الدول المتشاطئة الاخرى فيها من جهة ثانية ٠ لذلك يعد وضع الدول العربية في هذا الاطار الاكثر حراجة وخطورة في هذا الموضوع ٠ ذلك ان نحو {٦٧%} من المياه الواردة اليها تنبع من

أراضي الدول المجاورة , مما يجعلها أكثر تأثراً من المشاريع والاعمال التي تنفذها تلك الدول على هذا الصعيد (٣) ٠ وفي مقدمة الدول المتاثرة بهذا النوع من الاستغلال العراق ٠ وهذا مايمكن ان نراه واضحاً من خلال سياسة تنفيذ المشاريع المائية العملاقة والكبيرة والمتوسطة فضلاً عن الصغيرة التي إنتهجتها الحكومة الأيرانية في أحواض ومجاري الانهار الحدودية المشتركة مع العراق والبالغة أكثر من {٤٥} نهراً ورافداً رئيساً فضلاً عن العديد من الجداول الحدودية الموسمية ٠ اذ انه وبسبب موقعه الجغرافي بوصفه دولة المصب , يعد المتأثر الاول والمباشر من أي أعمال او مشاريع مائية يجريها الجانب الأيراني في أحواض هذه الانهار بأعتبارها دول منبع لها تستطيع استخدام هذا الملف لتحقيق أهداف ومكاسب سياسية واقتصادية وأمنية , ناهيك عن مشاكل نهر شط العرب التي تمثل مياهه أهمية بالغة الخطورة للعراق لايمكن التغافل عنها بأي حال من الاحوال (٤) ٠ فعلى الرغم من تعدد الانهار التي تجري أو تصب في الاراضي العراقية عبر الحدود الأيرانية ، الا ان العراق يعانـــــــي

منذ مدة ليست بالقصيرة من أزمات مائية خطيرة ذات تأثيرات متفاوتة على النواحي الاجتماعية والزراعية والاقتصادية والصناعية فيه ٠ وقد أدت ظاهرة التغير المناخي والاحتباس الحراري وعدم وجود ادارة إستراتيجية عراقية فعالة لمواجهة مثل هذه المخاطر ومعالجة آثارها بشكل فعال الى تفاقم واستفحال هذه الأزمات والتهديد بحدوث ظاهرة جفاف واسعة في المستقبل مالم تتدارك الحكومة العراقية هذا الموضوع بشكل صحيح وواقعي او تعمل على الحد من آثاره المدمرة على أقل تقدير (٥) ٠ فمنذ مدة طويلة والاراضي العراقية تتأثر سلباً بتناقص المياه الواردة اليها عبر هذه الانهار , مما سبب ذلك خسارة كبيرة في حجم ألاراضي الزراعية وبساتين النخيل والحمضيات التي تستقي من مياه الأنهار ، لاسيما بعد أن خاض الطرفان حرباً ضروساً إستمرت لأكثر من ثمان سنوات وما تبعها من علاقات متوترة دامت الى حين سقوط النظام السياسي في العراق عام ٢٠٠٣ ٠ وقد أنشئت ايران خلال تلك السنين ولاتزال العديد من السدود والخزانات والمشاريع المائية المختلفة ، وغيرت مجاري العديد من الانهار الحدودية الى داخل أراضيها ، الأمر الذي أثر بشكل كبيرعلى مياه الانهار المنحدرة نحو العراق كماً ونوعاً ، حتى اصبح مايصل اليه لايكفي لسد احتياجات الزراعة والصناعة والطاقة وتربية المواشي , بل وصل الامر الى مياه الشرب والحاجات الانسانية , كما بدأ اللسان الملحي القادم من الخليج العربي بعملية المد والجزر يضرب عمود المياه العذبة

في وسط شط العرب , كما تغلغلت الاوبئة في مياه الشرب ولوثتها , بسبب تدني مناسيب مياه الانهار وتغير نوعيتها الطبيعية ٠

وسنحاول في هذه الدراسة تغطية جوانب هذا الموضوع الحيوي ولوعلى نحو الآيجاز والاختصار في بعض الجوانب من خلال مطالب ثلاثة ٠ نتناول في الأول بيان مفهوم الانهار الدولية والقواعد التي تحكم إستغلالها ، فيما نتعرف في الثاني على الأنهار الحدودية المهمة بين العراق وإيران والقواعد القانونية الخاصة التي تحكم إستغلال مياهها ٠ أما الثالث فنتناول فيه المشاكل القائمة بين البلدين منذ أمد طويل والناجمة عن الأستغلال الأيراني لبعض هذه الأنهار، ومدى تأثير ذلك الأستغلال على العراق :

المطلب الأول

القواعد الدولية المنظمة لأستغلال الأنهار الدولية

بينا في معرض التمهيد لهذه الدراسة أهمية وحساسية موضوع المياه بوجه عام , وحجم علاقته بحياة الناس والشعوب وما يمكن ان يثيره من مشاكل وخلافات دولية قد تصل الى حد النزاعات المسلحة ٠ وقد قال رسول الله (ص) في حديث شريف ثابت السند (الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلأ والنار) (٦) ٠ ولذلك يتوجب علينا ونحن نسعى الى توضيح وإبراز حقوق العراق المائية الثابتة في الانهار الحدودية المشتركة مع إيران , من خلال دراسة أحكام قواعد القانون الدولي بهذا الشأن ، أن نبين أولاً المقصود بالانهار الدولية وأنواعها وأساس إستغلالها ، ثم نتناول ثانياً بشيء من الايجاز أحكام القواعد الدولية المتعلقة باستغلالها في غير شؤون الملاحة ، وذلك من خلال الفرعين الآتيين :

الفرع الأول

التعريف بالانهار وألأساس القانوني لإستغلالها

أولاً : التعريف بالانهار :

النهر لغة يراد به مجرى المياه العذبة أو هو الماء العذب الغزير في حالة الجريان ٠ وهو عبارة عن مجرى مائي طبيعي لتصريف المياه في المناطق التي تجري فيها , سواء نجمت هذه المياه بفعل الثلوج الذائبة ام بفعل سقوط الامطار ام كان مصدرها العيون والينابيع (٧) ٠ ولذلك فأن تعبير حوض النهر يشمل جميع الجبال والوديان والهضاب والسهول المنحدرة عادة الى مجراه (٨) ٠

وتصنف الانهار على نحو عام , الى عدة انواع يختلف أحدها عن الاخر بحسب الاساس الذي تستند اليه ٠ فقد تصنف على أساس مناخي او طبقاً لمصادر تغذيتها الرئيسة ونسبتها في تكوين مياهها , كالثلوج أو المياه الجوفية اوالامطار ٠ كما تقسم الى أنهار ملاحية واخرى غير ملاحية وفقاً لقابليتها او ملائمتها للملاحة ٠ وقد تصنف على أساس جغرافي الى أنهار وطنية وأخرى دولية تبعاً لتحديد مناطق جريانها في أقاليم الدول , وهذا هو التصنيف الشائع والمستخدم قانونا (٩) ٠ فالانهار الوطنية (وتسمى أيضاً بالانهار القومية او الانهار الداخلية) تقع مجاريها الطبيعية من منبعها حتى مصبها فضلاً عن جميع روافدها وفروعها في اقليم دولة واحدة ، كنهر التايمز في بريطانيا ونهر السين في فرنسا ٠ ويعد النهر في هذه الحالة جزءً من إقليم الدولة ويخضع لسيادتها المباشرة , شانه في ذلك شان بقية أجزاء اقليمها , حيث يحق لها ان تقوم بجميع أنواع الاستغلال المشروع مالم تتقيد بمعاهدة او اتفاقية خارجية ٠ أما الانهار الدولية ، فهي الانهار التي تجتاز أو تفصل بين اقليمي دولتين او اكثر , كنهر دجلة والفرات والنيل والكونغو والهندوس والامازون والدانوب والراين وغيرها (١٠) ، مع ان لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة التي أعدت اتفاقية قانون إستخدام المجاري المائية الدولية في الاغراض غير الملاحية لسنة ١٩٩٧ (وسيأتي الكلام عن هذه النقطة بشيء من التفصيل فيما بعد) إعتمدت تعريف جديد للأنهار الدولية يقوم على مفهوم حوض النهر الدولي أو حوض الصرف الدولي أو شبكة المياه الدولية كمورد طبيعي مشترك ، بأعتبار إن مياه هذه الشبكة تشكل كلاً لايتجزء يجمعها حوض واحد ، سواءٌ أكانت مجار رئيسة أم فرعية أم ثانوية طالما أنها تتألف من عناصر هيدروجرافية تشكل بحكم الطبيعة كلاً متكاملاً ومترابطاً بصرف النظر عن الدول التي تجري في أراضيها ٠ ومن ثم فأن أي استخدام أو استغلال للمياه في جزء من هذه الشبكة يمكن أن يؤثر على كمية أو نوع المياه في الأجزاء الأخرى (١١) ٠ حيث إن لكل دولة متشاطئة الحق في أن تمارس إختصاصها الاقليمي على الجزء النهري الجاري في اقليمها في شتى المجالات الزراعية والصناعية والخدمية , شريطة ان لاتؤثر على حقوق الدول المتشاطئة ألأخرى في النهر (١٢) ٠ وتنقسم الانهار الدولية بحسب طبيعة جريانها الى انهار محاددة او متاخمة , وهي الانهار التي تمثل حداً فاصلاً بين إقليمي دولتين او أكثر , كنهر الراين الذي يفصل بين المانيا وسويسرا وبين المانيا وفرنسا أيضا ، والى انهار متتابعة او مشتركة , وهي الانهار التي تخترق او تجتاز اقليمي دولتين او اكثر , كنهر الفرات والنيل والدانوب والراين والنيجر , مع انه قد تكون للنهر الدولي هاتان الصفتان معاً كما هو الحال في

نهر الراين مثلاً (١٣) ٠ واذا كان التمييز بين الانهار المحاددة والانهار المتتابعة غير ذي أهمية بالنسبة الى تعريف النهـــر الدولي او تحديد ماهيته ، فأن من الملاحظ ان الدولة التي تشترك في نهر دولي متتابع تستطيع أن تجري على الجزء النهري المار باقليمها وبحرية كاملة جميع التصرفات المشروعة الداخلة في إختصاصها الاقليمي من دون مشاركة أي دولة أخرى فيها ٠ أي انها تتمتع بحق خالص في السيادة على هذا الجزء والتحكم بطريقة استغلاله , مادامت تراعي في ذلك حقوق الدول المتشاطئة الأخرى في هذا النهر٠ وهذا بخلاف الانهار المحاددة التي قد تتساوى فيها مراكز الدول القانونية الواقعة عليها (١٤) ٠

ثانياً : الأساس القانوني لأستغلال الانهار الدولية :

من المبادئ العامة المعروفة في نطاق القانون الدولي العام , إن لكل دولة الحق في ان تمارس السيادة الكاملة على عموم إقليمها , أو ان تباشر اختصاصها الداخلي فيه على نحو فردي مستقل , مادام لاتوجد هناك قواعد دولية تحد من هذا الاختصاص (١٥) ٠ ومن نافلة القول , ان استغلال الدولة المتشاطئة للجزء النهري الجاري في اقليمها وفقا لمبدأ المساواة بين الدول الذي اكدته المادة (الثانية) من ميثاق منظمة الامم المتحدة لعام ١٩٤٥ ومبدأ سيادة الدول على مواردها الطبيعية الذي أقرته وأكدت عليه الجمعية العامة لهذه المنظمة في عدة مناسبات , يعد حقاً من حقوق السيادة المسلم بها دولياً (١٦) ٠ بيد ان علينا ان نشير هنا الى ان هذا الاستغلال قد يكون غير مشروع وفقاً لأحكام القواعد الدولية فيما اذا الحق أضراراً بالدول المتشاطئة الاخرى , سواء أنجمت هذه الاضرار عن خطأ من هذه الدولة ام بدون خطأ منها , وهو مايعرف بالتعسف في إستخدام الحق (١٧) ٠ وقد كان الاتجاه الفقهي القديم يرى بأن سيادة الدولة على إقليمها على نحوٍعام وعلى الانهار الجارية فيه على نحو خاص , هي سيادة مطلقة لاتتقيد الا بارادتها المنفردة , غير ان هذا الاتجاه قد تغير بعد ذلك وبات لزاماً على كل دولة ان تتقيد بما تفرضه القواعد الدولية من التزامات تعلو على ارادة أي منها (١٨) ٠ ومع ذلك , لايزال مبدأ السيادة بمفهومها المرن في مقدمة المبادئ التي يقوم عليها النظام القانون الدولي المعاصر على الرغم من الانتقادات الفقهية الموجهة الى مفهومه النظري , بدليل ان جميع الدول ,ولاسيما دول العالم الثالث التي إستقلت حديثاً , تحرص على تأكيد سيادتها واستقلالها الوطني (١٩) ٠ وعلى ذلك فأن الدول المتشاطئة وطبقا للمبادئ والقواعد الدولية , تقف على قدم المساواة فيما يتعلق باستغلال

الانهار الدولية , مالم توجد قيود دولية تنص على خلافها أو تحد منها , وهذه المساواة لاتنصرف الى الحقوق والواجبات في طبيعتها , وانما تعني المساواة في القدرة أو الاهلية القانونية التي تتمتع بها هذه الدول لأكتساب الحقوق والتقيد بالالتزامات ٠ ومع ذلك , فأن على هذه الدول أن تراعي حقوق بعضها البعض عند ممارستها ذلك الاستغلال , والا عدّ ذلك انتهاكا منها للقواعد الدولية المنظمة لهذا الموضوع (٢٠) ٠

الفرع الثاني

القواعد الدولية في استغلال الانهار الدولية

يمكن دراسة هذه القواعد على النحو التالي وفقا للتسلسل الوارد لمصادر القواعد الدولية في المادة {٣٨} من النظام الاساس لمحكمة العدل الدولية المرفق ضمن ميثاق منظمة الأمم المتحدة لعام ١٩٤٥ التي أوردت ترتيب مصادر القواعد الدولية تبعاً لأهميتها ، وما ينسجم ومفهوم الرضا بين الدول الذي يعدّ أساس القانون الدولي العام في الوقت الحاضر ، والسبب الكامن وراء إضفاء الصفة الدولية على القواعد القانونية (٢١) :

أولاً : الاتفاقيات والمعاهدات الدولية : وتعد المصدر الاول لانشاء القواعد الدولية ، وهي على نوعين :

أ : الاتفاقيات العامة : وفي مقدمتها إتفاقية قانون استخدام المجاري المائية الدولية في الاغراض غير الملاحية الموقـــــع عليهـــــا في نيويـــورك في ١٩٩٧/٥/٢١ (٢٢) ٠ وهي اتفاقية اطارية بوجه عام , حددت المبادئ الاساسية التي يتم بمقتضاها تقاسم مياه الانهار الدولية , وقررت حق جميع دول المجرى المائي الدولي في الانتفـــــــاع والمشاركة في مياه النهر الدولي بطريقة منصفة ومعقولة , وبشكل لايسبب ضرراً ذا شان لدول المجرى المائي الدولي الاخرى ٠ كما بينت الاتفاقية الكيفية التي يتم بها حل النزاعات المائية في حالة فشل المفاوضات بين الدول المتشاطئة , مـــــن خلال تشكيل لجنة لتقصي الحقائق والتوفيق بين الدول المتنازعة , او اللجوء الى التحكيم او القضاء الدوليين في حالة موافقة هذه الدول عليهما صراحة ٠ وفي هذا الأطار نذكر أيضاً إتفاقية جنيف المعنية بتنمية الطاقة المائية المؤثرة في أكثر من دولة واحدة , التي عقدت في جنيف في ٩ كانون الاول ١٩٢٣ برعاية عصبة الامـــم واثناء انعقاد المؤتمر العام الثاني للنقل والمواصلات (٢٣) ٠

ب : الاتفاقيات الخاصة (الثنائية أوالجماعية) , وهي كثيرة جداً , وقد عقدتها الـــــــدول المتشاطئة في أنهار دولية سعياً منها الى تحديد حقوقها المائية في هذه الانهار , وتعيين

الالتزامات المتقابلة فيما بينها , وتعزيز روابط التعاون المشترك والتنسيق المتبادل في مجال أنشطة الاستغلال المائي المختلفة ٠

ثانياً : قواعد العرف الدولي (٢٤) : وتعد المصدر الثاني لأنشاء القواعد الدولية ٠ وهي مجموعة من الأحكام غير المكتوبة التي تنشأ من تكرار التصرفات المتماثلة للدول شعوراً منها بوجوب احترامها ومراعاتها بوصفها قواعد مستقرة ثبتت لها قوة الألزام ٠ وفي الواقع فأن هذه القواعد تلعب دوراً كبيراً في مجال استغلال الانهار الدولية عند غياب القواعد الاتفاقية المعنية بهذا الجانب ٠ حيث تقر معظم هذه القواعد للدول المتشاطئة في أنهار دولية بالسيادة على الأجزاء الواقعة في اقاليمها من هذه الانهار وبحقها الكامل في استغلال مياهها , شريطة أن يكون ذلك على نحوٍعادل ومعقول ، وبما لايمثل مساساً بالحقوق المماثلة للدول المتشاطئة الأخرى ٠ ومن أبرزهذه القواعد : عدم الأعتراف بالسيادة الاقليمية المطلقة للدول المتشاطئة في الانهار الدولية ، وتوزيع مياهها بينها واستخدامها على نحوٍ عادل ومعقول ، ومراعاة الحقوق المكتسبة والتأريخية للدول الأخرى ، والتشاور المسبق بين جميع الدول بشأن المشاريع المائية المزمع إقامتها في أحواض الانهار ، وعدم الأستخدام الضار لمياهها ، والتعويض عن الاضرار التي يمكن أن تلحق بالدول الاخرى نتيجة القيام بمثل هذه المشاريع بصورة انفرادية ، وعدم إجراء أي تحويل أو تغيير في مياه الانهار من شأنها أن تؤدي الى التأثير في كمية المياه أو طبيعتها ، وتسوية المنازعات التي يمكن أن تحدث تسوية سلمية وبصورة ودية ، والتعويض العادل عن الأضرار المتحققة عن الأستخدام السيء للمياه ٠

ثالثاً : المبادئ العامة للقانون (٢٥) : وتعد المصدر الثالث في تكوين القواعد الدولية طبقا للمادة {٣٨} الآنفة الذكر ٠ ويراد بها تلك المبادئ التي أقرتها وطبقتها الامم والدول على نحو فعلي , وليس المبادئ المثالية او الطبيعية ٠ ويكفي لهذه المبادئ ان تمثل النظم القانونية الاساسية في العالم دون الحاجة الى الاعتراف بها من قبل الدول كافة ٠ وفي مقدمة المبادئ التي يمكن تطبيقها في هذا المجال (٢٦) :

- مبدأ الحقوق المكتسبة ٠
- مبدأ عدم جواز التعسف في استعمال الحق ٠
- مبدأ حسن الجوار ٠
- مبدأ حسن النية ٠

- مبدأ استخدام اقليم الدولة بما لايضر الآخرين ٠
- مبدأ التعويض عن الاضرار التي تصيب الغير ٠
- مبدأ العدالة والأنصاف ٠

ويعد مبدأ الحقوق المكتسبة أو الحقوق الثابتة اوالتأريخية أوالقديمة كما يسميها البعض من أهم المبادئ العامة الراسخة في القانون الدولي التي إعتـرف بهـا القضـاء والتحكيـم الدوليين في مجال إستغلال مياه الانهار الدولية في اكثر من قرار او حكم فضلاً عن آراء وفتاوى الفقه الدولي ٠ فقد جاء على سبيل المثال في مذكرة للامانة العامة للامم المتحدة الى لجنة تقنين القانون الدولي عام ١٩٤٨ , ان مبدأ الحقوق المكتسبة ، هو من المبادئ المقررة التي لاتقبل المناقشة (٢٧) ٠ وتستند فكرة الحقوق المكتسبة الى ان الوضع القائم يبقى قائماً ومستقراً على ماهو عليه ولا يصح التعرض له الا في أضيق الأحوال ٠ ولهذا فان هذا المبدأ يهدف الى حماية الاوضاع القائمة بشأن استغلال مياه الانهار الدولية ، وحظر تغيير او تعديل أوجه هذا الاستغلال بقدر الامكان ٠ وعلى الدول المتشاطئة ان تحترم هذا المبدأ ، وان تمتنع عن القيام بأي عمل من شانه الإضرار بالحقوق المقررة لبعضها تجاه البعض الاخر (٢٨) ٠ ويمكن القول ، ان المبادئ المتقدمة تستند الى ثلاثة مفاهيم أساسية : مفهوم العدالة وألأنصاف أو الأستعمال المعقول والمنصف ، ومفهوم عدم ألأضرار بالدول ألأخرى ، ومفهوم التعاون الدولي بين الدول المتشاطئة في الأنهار الدولية لضمان ألأنتفاع الأمثل بمياهها (٢٩)

رابعاً : الاحكام القضائية والآراء الفقهية : تعد الأحكام الصادرة عن القضاء والتحكيم الدوليين وكذلك الآراء التي يدلي بها كبار فقهاء القانون في العالم ، بمثابة مصادر احتياطية او مساعدة او ثانوية او استدلالية في انشاء القواعد الدولية طبقا لما اشارت اليه المادة (٣٨) المارة الذكر ٠ اذ يستعان بها على نحو أساس للدلالة على وجود هذه القواعد ومدى تطبيقها في المحيط الدولي ٠ وقد حرصت معظم الاحكام القضائية والتحكيمية الصادرة بهذا الخصوص , على حق كل دولة متشاطئة في استغلال الجزء الواقع تحت سيادتها من النهر الدولي , بما يضمن حقوق بقية الدول فيه , ويعزز من روابط التعاون وحسن الجوار فيما بينها (٣٠) ٠

أما الفقه الدولي , فيكاد ينعقد إجماعه على ضرورة تقييد سيادة كل دولة متشاطئة في نهر دولي عند إستغلالها لمياه النهر المار في أراضيها بما يضمن ويصون حقوق الدول المتشاطئة الاخرى ٠ ولذلك فأن عليها ان لاتقوم بأي عمل انفرادي من شأنه المساس بهذه الحقوق (٣١) ٠

وفي هذا السياق أيضا , فأن بعض الهيئات الدولية المشهورة المعنية بدراسة وتدوين وتطوير قواعد القانون الدولي كمعهد القانون الدولي وجمعية القانون الدولي قد إنبرت من جانبها منذ عهد مبكر في التصدي لهذا الموضوع من خلال العديد من المبادئ والقواعد والمقررات التي أصدرتها بهذا الشأن , لاسيما المبادئ الاساسية التي أصدرها المعهد عامي ١٩١١ و١٩٦١ , والقواعد التي أصدرتها الجمعية عام ١٩٦٦ المعروفة بقواعد هلسنكي , والقواعد التكميلية التي أصدرتها عام ١٩٨٦ ٠

ومن خلال مراجعة مجمل هذه الاعمال والاصدارات , يتبين لنا بانها ترفض الاخذ بمفهوم النظرية التقليدية في السيادة المطلقة للدول المتشاطئة في نهر دولي لما فيها من إجحاف واضح لحقوق الدول المتشاطئة الاخرى , وعدم توافقها مع مبادئ ومفاهيـــم القانون الدولي المعاصر , وتبنت بدلاً عن ذلك ألاتجاه الفقهي الحديث الداعي الى تقييد سيادة الدول وحثها على التعاون المشترك في هذا المجال طبقاً لمبادئ حسن الجوار وحسن النية وعدم إضرار الآخرين , وبالنظر الى مايمثله النهر الدولي من وحدة طبيعية متكاملـــــــة لاتقبل التجزئة وعلى الرغم من إن أحكام هذه المبادئ والمقررات لاتعدو عن كونها أحكام ارشادية او توجيهية في الأساس خالية من عنصر الالزام , الا ان الدول المعنية كثيراً ما تستهدي بها في حل خلافاتها المتعلقة بتقاسم المياه في الانهار الدولية ٠

ومن جانب آخر , فقد تصدت لجنة القانون الدولي التابعة الى الجمعية العامة للامم المتحدة المعنية بتدوين قواعد القانون الدولي العام وتطويرها طبقا للمادة {١٤} من ميثاق الامم المتحدة لهذا الموضوع الحيوي منذ عام ١٩٥٩ , وأغنت جوانبه المتعددة بشكل كبير من خلال المناقشات الفقهية المستفيضة التي رافقت جهودها المضنية المستمرة في صياغة مشاريع مواد قانون خاص بهذا الموضوع , وعبر العديد من التقارير المهمة التي قام باعدادها المقررون الخاصون المكلفون بهذه المهام ٠وقد توجت هذه الاعمال باتفاقية قانون استخدام المجاري المائية الدولية في الاغراض غير الملاحية لعام ١٩٩٧ التي يمكن أن نقول انها قد طورت وقننت معظم أحكام القواعد القانونية المتعلقة بأستغلال مياه الانهار الدولية التي إستقرت في محيط العلاقات الدولية , سواء استندت الى المصادر الاصلية لقواعد القانون الدولي العام من اتفاقيات وأعراف ومبادئ قانونية عامة أم الى مصادره الاحتياطية من أحكام قضائية أو آراء فقهية ٠ ويمكن إيجاز أهم هذه الأحكام على الوجه الآتي :

١ ــ يمثل النهر الدولي من منبعه حتى مصبه وحدة طبيعية متكاملة غير قابلة للتجزئة , بصرف النظر عن الدول التي يجري فيها ٠

٢ ــ لكل دولة متشاطئة حصة عادلة ومعقولة من مياه النهر لايجوز المساس بهـــــــا أو إنقاصها , ولها الحق في استغلالها على نحو مباشر أو غير مباشر بما يتفـــــق والقواعد الدولية المعنية , وبما لايضر بالدول المتشاطئة الأخرى ٠ ويتم احتساب هذه الحصة في ضوء عوامل موضوعية عديدة , وفي إطار كل حالة على حدة ٠

٣ ــ على كل دولة متشاطئة , ان تحترم عند استغلالها لمياه النهر الحقوق المكتسبة للدول الاخرى في هذه المياه , وان تسعى جهد إمكانهـــــا لصيانة هذه المياه والمحافظة عليها , بما ينسجم ومبادئ حسن الجوار وحسن النية وعدم التعسف في استخدام الحق ٠

٤ ــ على كل دولة متشاطئة أن تمتنع عن تنفيذ أعمال انفرادية في حوض النهر من شانها المساس بحقوق الدول الاخرى فيه , مالم تتفق معها مسبقا على ذلك ٠

٥ ــ تمتنع الدول المتشاطئة عن إجراء التغييرات او التحويرات الماسة بالنظام الطبيعـــي للنهر التي تهدد على نحو مباشر او غير مباشر حقوق الدول الاخرى في هذه النهر , مالم تتفق مسبقا مع هذه الدول ٠

٦ ــ على الدول المتشاطئة التي تخطط لتنفيذ مشاريع مائية في حوض النهر من شانـــها التاثير سلبياً في مصالح الدول المتشاطئة الاخرى , ان تقوم باخطار هذه الدول بذلك قبل وقت مناسب , وان تزودها بالوثائق والمعلومات المهمة المتصلة بهذه المشـــاريع , بغية إتاحة الفرصة الكافية لها لتقويم آثارها المحتملة عليها , وابداء رأيها فيها خلال مدة مناسبة ٠ وعلى الدول المخططة للمشاريع عند اعتراض تلك الدول عليـــها , أن تمتنع عن البدء بتنفيذها حتى يسوى الخلاف نهائيا ٠

٧ ــ يحق لكل دولة متشاطئة ان تعارض أي استغلال مقترح من قبل دولة متشاطـــئة أخرى لمياه النهر , اذا كان من شأنه ان يلحق أضراراً بمصالحها او يهدد باحداثها لاحقاً ٠

٨ ــ على كل دولة متشاطئة ان تقوم على وجه السرعة بابلاغ الدول المتشاطئة الاخرى عن حالات الطوارئ او الاحداث الفجائية الخطيـــرة المتعلقـــــة باوضـــــاع النهـــر او بالمنشآت المقامة في حوضه , بقصد تفادي وقوع كوارث او خسائر بشرية او مادية فادحة في هذه الدول , والعمل على التصدي لها بكل الوسائل المتاحة لديها ٠

٩ ــ على الدول المتشاطئة ان تبذل الجهود المشتركة الهادفة الى تنمية الموارد المائية لحوض النهر , وأن تعمل وتتعاون فيما بينها بشكل وثيق وبحسن نية على حماية بيئته الطبيعية واتخاذ الاجراءات الفعالة لمنعحدوث تلوث فيها , او العمل على تخفيف حدة التلوث الحاصل وخفضه الى أدنى مستوى ممكن ٠

١٠ ــ ليس هناك أولوية او أفضلية لأستغلال مائي على آخر , مالم يكن هناك التزام دولي يقضي بخلاف ذلك ٠ ومع ذلك , يجب ان يعطي الاستغلال المتعلق بالمصالح الحيوية ذات الاتصال الوثيق بحياة السكان ومعاشهم أهمية استثنائية في مثل هذه الامور ٠

١١ ــ تكون الدول المتشاطئة مسؤولة دولياً عن أي أضرار تسببها مشروعاتها المقامة في حوض النهر لدولة اخرى , ويبقى للأخيرة الحق في ان تطالبها باصلاح هذه الاضرار او التعويض عنها ٠

المطلب الثاني

الانهار الحدودية بين العراق وايران

لم يكن استغلال العراق لمياه الانهار الحدودية الجارية إليه من إيران وليد متطلبات الحاضر او لدواعي الحاجة الماسة , وانما كان قائما منذ مدة طويلة بحكم الواقع الجغرافي والأجتماعي والأقتصادي ٠ وقد بقي كذلك على الرغم من جميع الحقب المظلمة التي مرت بهذا البلد ٠ بل يمكن القول ان إستغلال العراق لمياه الانهار الدولية الجارية فيه ومن بينها الانهار الحدودية الجارية من إيران يعد السبب الرئيس في إستيطان الانسان ونشوء الحضارات القديمة في بلاد مابين النهرين ٠ ولذلك يمكن القول إن العراق قد إكتسب حقاً تاريخياً ازلياً لايجوز إنكاره او إنقاصه او التغافل عنه ٠ وهذا ماتقره القواعد الدولية المعنية التي تجعل للحقوق التاريخية او المكتسبة في مياه الانهار الدولية ، مكاناً متميزاً على غيرها من الحقوق , بوصفها حقوقاً سابقة على أي حقوق اخرى تنشأ من إستغلال مائي لاحق ٠ ولهذا كان على جميع الدول المتشاطئة في أنهار دولية , ان تعترف بهذه الحقوق وتراعيها عند تقاسم أو تحديد الحصص المائية فيما بينها , وهذا مايتفق تماماً ومفهوم مبادئ العدل والانصاف بهذا الخصوص , وفي مقدمتها مبدأ الاستغلال العادل للمياه (٣٢) ٠

وقد سبق أن أثار موضوع الأستغلال الايراني الأحادي غير المشروع لبعض الانهار الحدودية المشتركة مع العراق عدد من النزاعات والصدامات الحدودية بين البلدين ساعدت

على خلق حالة من التوترات المستمرة بينهما ، كما كانت أحد أسباب الشكوى التي رفعها العراق أمام عصبة الامم عام ١٩٣٤ (٣٣) ٠

وتمثل الموارد المائية القادمة من إيران الى العراق عبر الانهار الحدودية المشتركة نحو (٣٥%) من معدل موارده المائية السنوية البالغة تأريخيا نحو (٧٠) مليار م٣ ٠ ويمكن تصنيف هذه الأنهار لغرض التبسيط الى الفئات الأربع التالية (٣٤) :

الفئة الاولى : وتمثل منابع الانهار الكبيرة وروافدها في المرتفعات الايرانية , لاسيما نهر الزاب الصغير الذي يغذي بحيرة دوكان ثم يصب في نهر دجلة الى الشمال من مدينة بيجي ، ونهر ديالى الذي يغذي بحيرتي دربندخان وحمرين ثم يصب في نهر دجلة الى الجنوب من مدينة بغداد ٠

الفئة الثانية : وتمثل الانهار ومجاري السيول الموسمية لاسيما في المناطق الواقعة في محافظة واسط بين مدينتي شيخ سعد وعلي الغربي ، وفي المناطق الواقعة في محافظة ميسان كنهري الطيب ودويريج ٠

الفئة الثالثة : وتتمثل بمياه النهرين الكبيرين الكرخة والكارون ٠ حيث يصب الاول في هور الحويزة جنوب شرق مدينة العمارة ويغذي كلاً من نهر دجلة شمال مدينة القرنة عن طريق نهر الكسارة ونهر شط العرب جنوب مدينة القرنة عن طريق نهر السويب ٠ أما نهر الكارون فيصب في نهر شط العرب الى الجنوب من مدينة البصرة بنحو (٣٠) كم ٠

الفئة الرابعة : وتتمثل بمياه نهر شط العرب التي تتكون في الأصل من مجموع مياه الأنهار الأربعة الكبرى الفرات ودجلة والكرخة والكارون ٠ حيث تتأثر مياه هذا النهر الكبير بظاهرة المد والجزر المرتبطة بحركة مياه الخليج العربي الذي يصب فيه الى الجنوب من مدينة الفاو

ولغرض تغطية موضوع إستغلال مياه الانهار الحدودية بين العراق وايران , والقواعد الاتفاقية الخاصة التي تحكمه , والمشاريع الايرانية المؤثرة على حصص العراق في هذه المياه, إرتأينا تقسيم هذا المطلب على الفرعين الآتيين :

الفرع الاول

الانهار الحدودية المهمة بين العراق وإيران

هنالك مايزيد على أربعين نهراً حدودياً مهماً جارياً بين إيران والعراق تتراوح مابين الانهار الكبيرة والروافد الصغيرة , فضلاً عن عدد من الوديان والمجاري المائية القصيرة والموسمية وهذه كلها تنبع من الجبال والمرتفعات الايرانية القريبة من الحدود المشتركة مع العراق

والبالغة أكثر من (١٢٠٠) كم , وتجري بوجه عام باتجاه الغرب أو الجنوب الغربي لتكوّن حدوداً دولية بين الدولتين أو لتعبر الى داخل الاراضي العراقية حيث يتلاشى قسم منها في المناطق القريبة من هذه الحدود , في حين يلتقي القسم الآخر بغيره من الفروع والمجاري ليكوّن أنهاراً صغيرة أو روافداً أكبر كما هو الحال في روافد نهري الزاب الصغير وديالى , أو ليكوّن أنهاراً صغيرة يصب بعضها في نهر دجلة مباشرة أو ينتهي في الاهوار والمنخفضات الجنوبية من العراق (٣٥) ٠ والواقع ان هذه الأنهار تتباين في بعض الخصائص الجغرافية والمناخية , كأختلافها من حيث الطول ومساحة الحوض وطبيعة المجرى , وإختلافها من حيث الواردات المائية تبعاً لتفاوت مقادير سقوط الامطار والثلوج في أحواضها , وتباين معدلات درجات الحرارة فيها , وغيرها من العوامل الطبيعية (٣٦) ٠

الفرع الثاني

القواعد الاتفاقية في إستغلال مياه الانهار الحدودية بين العراق وإيران

لاشك في إن العراق قد إكتسب عبر التأريخ حقوقاً ثابتة في استغلال الانهار الحدودية الجارية اليه من إيران ٠ حيث إن هذا الاستغلال يجري منذ عهد قديم جداً ويسهم بشكل رئيس في تركيز وإستقرار دعائم الحياة والنماء في المناطق الشرقية منه ٠ وليس أدل على ذلك من وجود العديد من المدن والقرى والتجمعات السكانية فيها , فضلاً عن وجود المزارع والبساتين المعمرة لأشجار النخيل والحمضيات والفواكه الاخرى , مما يدل على نحو قاطع على إستيطان المواطن العراقي لهذه المناطق منذ زمن طويل , واعتماده في معيشته بصورة أساسية على مياه هذه الانهار ٠ واذا كان العرف المحلي أو القواعد العرفية هي التي سادت وحكمت موضوع تنظيم واستغلال هذه الانهار منذ عهود طويلة إسوة بالعديد من الأنهار الدولية في تلك العهود , فأن العصر الحديث قد شهد ظهور وإستقرار عدد كبير من القواعد أو النصوص الاتفاقية التي حكمت ونظمت بشكل أو بآخر هذا الموضوع ولو بطريقة غير مباشرة أحياناً كما سيتبين ٠ وفيما يلي عرض موجز لأهم هذه النصوص ٠

أولاً : القواعد الاتفاقية الخاصة بتنظيم إستغلال مياه الانهارالحدودية بين العراق وايران

على الرغم من أهمية وجود اتفاقات خاصة لتحديد حصص الطرفين في مياه الانهار الحدودية ووضع قواعد تنظيمية ثابتة لأستغلالها , الا انه لايوجد في الواقع سوى اتفاق واحد خاص أبرم بين البلدين في عام ١٩٧٥ ٠ وفيما عدا ذلك , فأن هناك بعض النصوص الاتفاقية الاخرى

التي وضعت في الأصل لتحديد الحدود المشتركة بين الدولتين وتخطيطها والتي يمكن الاستدلال بها أيضاً في بيان حقوق العراق في هذه الانهار ٠ وسنورد فيما يأتي أهم الأحكام التي جاء بها الاتفاق المذكور بهذا الصدد , فيما سنقدم بعدها صورة موجزة عن تلك النصوص :

أ : الاتفاق الخاص باستغلال الانهار الحدودية بين العراق وايران (٣٧) :

عقد هذا الاتفاق في بغداد في ١٩٧٥/١٢/٢٦ ، وهو واحد من بين أربعة اتفاقات خاصة بمسائل الحدود عقدت في التأريخ نفسه كجزء ملحق بمعاهدة الحدود الدولية وحسن الجوار التي عقدت بين الدولتين في العام ذاته (٣٨) ٠

وقد تضمنت المادة (الثانية) من هذا الاتفاق الأحكام الآتية :

أ ٠ تقسيم مياه أنهار {بناوه سوتا , قره تو , كنكير} مناصفة , ويجري ذلك التقسيم في مواقع مناسبة يتفق عليها الطرفان ٠

ب ٠ تقسيم مياه نهر الوند , كنجان جم , الطيب , دويريج , بين البلدين على أساس محاضر جلسات قومسيون تخطيط الحدود العثمانية الفارسية لعام ١٩١٤ والعرف ٠

جـ ٠ تقسيم مياه الأنهار المتتابعة والمحاددة التي لم تذكر في الفقرتين (أ) و (ب) أعلاه بين البلدين طبقاً لأحكام هذا الاتفاق ٠

أما المادة (الثالثة) من هذا الاتفاق , فقد نصت على تشكيل لجنة فنية من عدد متساوٍ من الخبراء لأجراء الدراسات الفنية والمشاريع المشتركة والاشراف على كل مايخص الممرات المائية ٠ واستناداً الى ذلك , تألفت لجنة فنية دائمة من البلدين لغرض وضع أحكام هذا الاتفاق موضع التنفيذ ٠ وقد إنبثقت عنها لجنـــــــــة فرعية لتعيين مواقع ملائمة لقسمة مياه الانهار المشار إليها في الفقرة (أ) المذكورة آنفاً , حيث قامت بانجاز أعمالها على نحو كامل ٠ كما إنبثقت لجنة فرعية أخرى خلال عام ١٩٧٨ بدراسة الانهار المذكورة في الفقرة (ب) المذكورة آنفاً وأجرت إستطلاعات أولية لأحواضها الواقعة في كلا البلدين بيد إنها لم تكمل ألاعمال الموكلة إليها ٠ أما المادة (الرابعة) من الاتفاق , فقد أشارت الى ضرورة تحقيق الاستخدام الأمثل لمياه ألأنهار الحدودية من خلال تحديد أطرٍ زمنية للرصد المشترك وتحديد الحصص المائية للطرفين بناءًعلى ذلك , في حين نصت المادة {الخامسة} منه على أن يتعهد الطرفان بضمان الجريان الطبيعي للمياه المتوافرة في الانهار المتتابعة والمحاددة وفقاً للأسس والحصص المائية المبينة في هذا الاتفاق ٠ كما يتعهدا بعدم قيامهما باستغلال مياه هذه الانهار بوجه يخالف أحكام هذا الاتفاق أو بطريقة تؤدي الى الاضرار بمصالح الطرف الآخر ٠

وعلى الرغم من ان الاتفاق المذكور قد شكل إطاراً جيداً للتعاون بين البلدين , لكن الجانب الايراني قد تنصل عن الالتزام بأحكامه , وأخذ يستغل مياه الانهار الحدودية المشتركة بطريقة تعسفية ضارة دون الالتفات الى حقوق العراق الثابتة فيها ٠ وقد أدى نشوب النزاع المسلح بين الجانبين في عام ١٩٨٠ الى توقف تنفيذ بنود هذا الاتفاق على نحو كامل وأصبح في النهاية بحكم الميت أو المنسي ٠ كما إن تغير النظامين السياسيين بعد ذلك في كلٍ من البلدين المسؤولين عن توقيعه لم يؤد الى تفعيل أحكامه أو حتى الحديث عن تطبيقها على الرغم من التقارب السياسي والاقتصادي والاجتماعي بينهما بعد العام ٢٠٠٣ ٠

ثانياً : القواعد الاتفاقية المتعلقة بالحدود الدولية بين العراق وايران :

فضلاً عما تقدم من قواعد أو نصوص خاصة تحكم موضوع استغلال الانهار الحدودية بين العراق وايران ، يمكن إستخلاص عدداً من القواعد الأخرى التي أن تحكم هذا الموضوع ، من خلال إستعراض أهم النصوص التالية ولو على نحو الأيجاز :

أ ــ ماجاء في بروتوكول الأستانة لعام ١٩١٣ حول تحديد خط الحدود بين الدولة العثمانية ـــــ بضمنها العراق بوصفه إحدى ولاياتها في ذلك الوقت ـــــ والدولة الفارسية التي أصبحت تعرف الآن بـــأيران ٠

ب ــ ماجاء في محاضر جلسات لجنة تخطيط الحدود لعام ١٩١٤ التي إستندت بالاساس الى بروتوكول الأستانة المذكور ٠

إذ يتبين لنا من خلال دراسة الفقرة {الاولى} من بروتوكول الأستانة , ان خط الحدود المرسوم بين البلدين قد تقاطع مع الانهار الحدودية تارةً تاركاً مياهها تدخل الاراضي العراقيةـــــ كما هو الحال في أنهار عباسان وسورو شيرين وسارخر وجنكلة والزفراني ودويريج ـــــ في حين سار مع مجاريها تارةً أخرى تماشياً مع قاعدة خط وسط مجرى المياه المتبعة في تحديد الحدود الدولية في الانهار غير الملاحية ، وهذا ماكان بشأن أنهار الزاب الصغير وباني وخليل آباد وقزلجة وبناوه سوتا وقره تو والوند وآبي نفط ٠ فقد جاء على سبيل المثال في الفقرة المذكورة في شأن نهر كيالو(الزاب الصغير) مايأتي : { وبعد اتصال خط الحدود بمجرى نهر كيالو ، يسير متبعاً إياه باتجاه معاكس للمجرى تاركاً الضفة اليمنى منه (الان عجم) على الجانب الايراني والضفة اليسرى على الجانب التركي } ٠ وفي شأن أنهار خليل آباد وقزلجة وبناوه سوتا ، تشير الفقرة ذاتها الى مايأتي : { ومن هناك تتبع الحدود جدول خليل آباد سائرة في اتجاه المجرى الى حد ملتقاه بنهر جام قزلجة ، وبعد ذلك تتبع نهر جام

قزلجة مع المجرى لحد مصب ساعده الايسر الذي يصب في قرية بناوه سوتا ٠ ثم تتبع جدول بناوه سوتا مع المجرى ٠٠٠الخ } ٠ وفيما يتعلق بنهر قره تو تشير الفقرة أيضاً الى الآتي : {ومن هناك تتبع الحدود مجرى نهر قوراطو لحد القرية المسماة بذلك الاسم } ٠ وفي شأن نهر الوند تشير الى مايأتي { ومن هناك تتبع نهر الوند مع المجرى لحد النقطة الكائنة على بعد مسافة ربع ساعة نزولاً من ملتقاه بجدول كيلان } (٣٩) ٠

ولدى الرجوع الى محاضر جلسات لجنة تخطيط الحدود للعام ١٩١٤ ، نجد انها قد إعتمدت في الاساس على ماورد في بروتوكول الاستانة بشأن الانهار الحدودية ، كما إنها إعتمدت القاعدة السابقة أيضاً في تخطيط الحدود النهرية بين البلدين ٠ فقد جاء في محضر الجلسة الثامنة والثلاثين بشأن تخطيط الحدود في نهر قره تو مايأتي : { ٠٠٠ يصعد خط الحدود متبعاً خط وسط مجرى نهر قوراطو ٠٠٠ الخ } ٠ وفي شأن نهر الوند ذكر مايأتي : { ٠٠٠ بعد العلامة [٥٠] فأن خط الحدود يتبع وسط مجرى نهر الوند } ٠ كما جاء في محضر الجلسة الخمسين بشأن نهر كيالو {الزاب الصغير} مايأتي : { ٠٠٠ يجب ان تتبع الحـــدود خط وسط المياه لنهر كيالو } ٠ وفيما يتعلق بنهر وزنه , أشار محضرالجلسة الرابع والستين الى الآتي : { ٠٠ تدخل الحدود في نهر وزنه , وعند ذلك يسير خط الحدود متبعاً خط وسط مجرى النهر حتى مقابل العلامة ١١٢ } ٠

إضافة الى ذلك ، فقد أوضحت اللجنة بشأن نهر كيله رش { باني } مايأتي : {٠٠٠ وان الحدود تسير مع وسط نهر كيله أولاً ثم الزاب الصغير الى الأعلى حتى درجة ٣٦ من خط العرض } ٠ كما أوضحت في شأن نهر الخيين {السليماني} مايأتي : {٠٠٠ ويتبع خط وسط مجرى قناة الخيين حتى نقطة اتصال القناة المذكورة بشط العرب عند مصب نهر نازالله }(٤٠) فضلاً عن ذلك , فقد نظم عدد من محاضر جلسات اللجنة المذكورة موضوع مياه بعض ألانهار الحدودية ، ومنها ماورد مثلاً في محضر الجلسة الثامنة والعشرين الذي نص صراحة على حق استغلال مياه نهر كنكير وتقسيمها مناصفة بين مدينتي مندلي العراقية وسومار الايرانية ٠ ومنها كذلك ماجاء صراحة في محضر الجلسة السادسة والعشرين الذي نص على حق مواطني الطرفين في استغلال مياه نهر كنجان جم عند المنطقة التي يمثل فيها مجراه حداً فاصلاً بينهما , غير انه لم يضع قاعدة معينة لهذا الاستغلال ولا لكيفية توزيع هذه المياه (٤١) ٠ كما جاء أيضاً في محاضر الجلسات السابعة والثامنة والثانية عشرة , مايؤكد حق العراق في المشاركة

باستغلال مياه نهر دويريج , في حين تضمن محضر الجلسة الرابعة عشر مايفيد بمثل ذلك في نهري الطيب والوند (٤٢) ٠

وعلى الرغم من عدم كفاية نصوص بروتوكول الاستانة لعام ١٩١٣ ومحاضر جلسات لجنة تخطيط الحدود لعام ١٩١٤ في معالجة موضوع تنظيم استغلال مياه الانهار الحدودية بين العراق وايران على نحو شامل ودقيق , فانها تمثل في الحقيقة المرجع الاساس الأول في أي اتفاق متعلق بهذه الانهار ، ولاسيما بعد أن أقرتها واستندت اليها معاهدة الحدود المعقودة بين الدولتين في ٤ تموز ١٩٣٧ , والبيان الصادر عنهما في الجزائر في ٦ آذار ١٩٧٥ , فضلاً عن معاهدة الحدود الدولية وحسن الجوار التي عقدت وفقاً لهذا البيان في ١٣ حزيران من العام نفسه , والبروتوكول الملحق بها بشأن إعادة تخطيط الحدود البرية بين الجانبين , وأخيراً الاتفاق الخاص بأستغلال الانهار الحدودية بين العراق وايران الذي سبقت الاشارة اليه , مما يوفر للعراق حجة قانونية أخرى في إثبات حقوقه المشروعة في هذه الانهار , بالنظر لما تمثله القواعد الاتفاقية على الصعيد الدولي من مصدر مهم وثابت للحقوق وألألتزامات الدولية , ولكونها تفصح عن ارادة الدول المتعاقدة ورضاها بأسلوب صريح (٤٣) ٠

والى جانب النصوص الاتفاقية التي عرضناها لأثبات حقوق العراق في مياه الانهار الحدودية , فأن هناك عدداً من القواعد الدولية العرفية التي لها في الواقع دور كبير في تنظيم استغلال هذه المياه بين البلدين , والتي تم على أساسها اعتماد أغلب هذه النصوص , خاصة وان كلاً من بروتوكول عام ١٩١٣ ومحاضر لجنة عام ١٩١٤ فضلاً عما ذكرناه في اتفاق ١٩٧٥ قد نصا صراحة على ضرورة مراعاتها والتقيد بها بشأن المسائل التي لم يرد نص بشأنها , سواء أكان ذلك في استغلال هذه الانهار ام في مسائل الحدود الاخرى ٠ فقد نصت الفقرة الاولى من بروتوكول عام ١٩١٣ في معرض وصفها سير خط الحدود على عبارة {وفقاً لمبدأ إبقاء الوضع على ماكان عليه سابقاً } في أكثر من موضع , مما يدل دلالة قاطعة على الاقرار بالاعراف الجارية والتقاليد القديمة بوصفها قواعد ملزمة لتنظيم استغلال مياه الانهار الحدودية , وعدم وجود حاجة ملحة في حينها للنص على كيفية استغلال الجانبين مياه كل نهر جاري بينهما ٠ أما محاضر لجنة ١٩١٤ , فقد أقرت بالاساليب المعمول بها منذ القدم في المناطق الحدودية والتي يتبعها عادة مزارعو البلدين في عمليات تقسيم مياه الانهار الحدودية وتوزيعها فيما بينهم , مما يشير بوضوح الى حق العراق التأريخي الثابت في المشاركة بهذه المياه , والى حقه في استغلالها والاستفادة منها ٠ وهذا مأكده تقرير [درويش باشا] الممثل

العثماني في هذه اللجنة ٠ فقد جاء مثلاً في البند {٢٠} من الصفحة {١٢} من هذا التقرير مايؤيد حقوق العراق في مياه بدرة وزرباطية ٠ كما تأكد هذا أيضاً في مياه نهر دويريج ٠ اذ جاء في البند الخامس عشر من التقرير نفسه مايأتي {حسب العرف الجاري بين الدولتين , ان القسم الايسر من دويريج للأيرانيين والقسم الأيمن للعثمانيين} (٤٤) ٠

المطلب الثالث

مشاكل إستغلال بعض الانهار الحدودية بين العراق وإيران

تمثل مياه الانهار الحدودية بين العراق وإيران أهمية بالغة في حياة السكان العراقيين المقيمين في المناطق الحدودية المتاخمة لأيران , ومنها المناطق الواقعة ضمن محافظات ديالى وواسط وميسان على نحو خاص ذات الطابع الجاف والمطر القليل والتي تضم بعض المدن الحدودية مثل خانقين ومندلي وبدرة وجصان وزرباطية , فضلاً عن العديد من القرى المنتشرة حولها ٠ كما ان لهذه الانهار أهمية لاتغفل في تزويد نهر دجلة بالمياه سواء عن طريق روافده الرئيسة أم على نحو مباشر (٤٥) ٠ وبالنظر لغياب النصوص الاتفاقية الخاصة بتنظيم استغلال مياه الانهار الحدودية بين البلدين مدة طويلة , وعدم التزام الجانب الايراني بما هو موجود منها , فقد بقيت قواعد العرف المحلي الجاري وتقاليد التعامل القديم هي السائدة في هذا المجال على الرغم من مرونتها واتساعها وصعوبة تحديدها في بعض الاحيان , مما ساعد في النهاية في ظهور المشاكل المتعلقة بهذا الاستغلال , الناجمة على نحو مباشر من الأعمال الايرانية غير المشروعة في حوض بعض هذه الانهارالمجافية لعلاقات الجوار ومبادئ الاسلام الحنيف٠ومن هذه الأعمال على سبيل المثال لا الحصر:

١ ــ تحويل مجاري بعض الأنهار الى داخل الاراضي الايرانية وحرمان العراق من مياهها ٠

٢ ــ إقامة السدود والنواظم الدائمة والمؤقتة للتحكم في مياه الانهار والسيطرة عليها ٠

٣ ــ الاستغلال المفرط لمياه بعض الانهار عن طريق حفر الجداول والقنوات والسواقي , وتوسيع مساحات الاراضي الزراعية القائمة ٠

٤ ــ التسبب في زيادة ملوحة مياه بعض الانهار الناجمة عن مخلفات المصانع والمعامل الايرانية القائمة عليها , فضلاً عن تصريف مياه المبازل الزراعية المالحة اليها مباشرة , مما يؤدي الى إنعدام فائدتها على نحو كبير , بل والتسبب في إحداث أضرار بليغة فيما لو أستعملت بعد ذلك .

وقد سعت الحكومة العراقية منذ وقت مبكر الى بحث هذه المواضيع مع الحكومة الايرانية بقصد ايجاد الحلول العادلة لها ، وعلى النحو الذي يرضي الطرفين ويضمن حقوقهما في هذه الانهار ٠ وقد قدمت اليها بهذا الصدد عدداً من الاقتراحات العملية الكفيلة بحل هذه المشكلات على اختلاف حالاتها ٠ وبدلاً من أن تحرص الحكومة الايرانية على المساهمة في هذا المسعى الجاد , أخذت في المماطلة ووضع العقبات والتذرع بشتى أنواع الحجج والاعذار الواهية التي دأبت على اختلاقها والتشبث بها عند مناقشة قضايا الحدود والمياه مع الحكومة العراقية , كأقتراحها مثلاً إمكانية تأجيل حل هذه القضايا الى حين الانتهاء من ايجاد الحلول المتعلقة بمشاكل الحدود الاخرى , في حين انها كانت تسعى جاهدة الى كسب الوقت وعرقلة ايجاد هذه الحلول بأي وسيلة كانت (٤٦) ٠

وسنحاول من خلال الفرعين التاليين ، التعرف عن كثب على بعض الانهار الحدودية ذات المشاكل القائمة بين البلدين , وطبيعة هذه المشاكل وآثارها على العراق , والحلول العملية المناسبة لحلها :

الفرع الأول

الأنهار الحدودية ذات المشاكل القائمة بين العراق وايران

تعاظم استغلال ايران لمياه الانهار الحدودية خلال العقود الاخيرة , وأخذ يهدد بشكل جدي وخطير حقوق العراق الثابتة والتأريخية في هذه الانهار ، بل ولحياة الناس في هذه المناطق وتهديد مصادر عيشهم ٠

ويمكن تلمس ذلك بشكل خاص في استغلال مياه بعض هذه الانهار ٠ حيث تتسع الاراضي الزراعية المعتمدة على هذه المياه في ايران فضلاً عن الاستخدامات الصناعية المتجددة ، كما تزداد نسب السكان المنتفعين من مياه هذا الانهار ٠ ولهذا فقد حرصت إيران بشكل متزايد , على إقامة عدد كبير من المشاريع الصناعية والاروائية في حوض الانهار كالسدود والخزانات ومحطات توليد الطاقة الكهرومائية , كما إنهـــا سعت باستمرار الى زيادة حصصها المائية من هذه الانهار , الأمر الذي إنعكس سلبياً بالطبع على حصص العراق المقابلة والمحددة في هذه المياه ٠ وقد تجلى هذا الأمر بشكل واضح بعد التغيير السياسي الذي حدث في العراق في العام ٢٠٠٣ ٠ حيث إستغلت الحكومة الأيرانية الأوضاع غير المستقرة في البلد وقامت بقطع أكثر من (٤٠) نهراً ورافداً حدودياً مع العراق ، من بينها (٢٢) نهراً رئيساً ، فضلاً عن العشرات من الجداول الموسمية المتدفقة باتجاهه ، من خلال تشييد العديد من السدود والنواظم على

مجاري هذه الأنهار والروافد والجداول أو تحويل مياهها الى داخل أراضيها ، كان آخرها قطع مياه نهر (هوشياري) في شهر آب من العام ٢٠١١ الذي يغذي نحو (١٣) ألف دونم من الاراضي الزراعية ضمن محافظة السليمانية ، كما عملت إيران بمشاركة الشركات الصينية على إستثمار مايقارب عشرة مليارات دولار في تنفيذ مشاريع لخزن المياه بما يسمى بمشاريع (الأفق الأزرق) التي تهدف بمجموعها الى تحويل مجاري الأنهار الحدودية المشتركة مع العراق الى داخل أراضيها لمسافات تصل الى نحو (٨٠٠) كم ٠ ومن هذا ألانهار نهر الوند والكرخة والكارون ، على الرغم من إحتجاج العراق وإعتراضه المستمر على تنفيذ مثل هذه المشاريع (٤٧) ٠ ومن أهم الانهار الحدودية ذات المشاكل القائمة والمتجددة بين العراق وإيران ، نذكر على سبيل المثال الانهار الآتية (٤٨) :

١ ٠ **نهر الزاب الصغير :** ينبع هذا النهر البالغ طوله نحو (٤٠٠) كم من مرتفعات لاجان الايرانية , ويشكل خطاً حدودياً بين الدولتين لمسافة (٣٣) كم قبل أن يدخل العراق من شرق مدينة قلعة دزة ، ثم يجري في مناطق جبلية وعرة وصولاً الى منطقة طقطق حيث يصب بعدها في نهر دجلة على بعد (٣٥) كم جنوب مدينة الشرقاط ٠ ويتكون النهر من رافدين أساسيين هما جمي تيت وجمي ماوت , كما ترفده عدة روافد أخرى في محافظة السليمانية منها زراوة , وزنة , خيري نيرزنك , باني , جانبيرو , خليل آباد , قزلجة ٠ وتبلغ مساحة حوض النهر نحو (٢١٤٧٥) كم ٢ , يقع نحو (٦ر٧٤%) منها داخل العراق ٠ وتموّن هذه النسبة النهر حوالي (٦ر٦٤%) من وارده المائي السنوي ٠ ويبلغ معدل تصريف النهر السنوي نحو (٢٢٢) م٣ ومعدل ايراده السنوي نحو (٧) مليار م٣ ، الا انه انخفض في العام ١٩٩٩ الى (٨٥ر١) مليار م٣ ٠ وقد شيدت الحكومة الايرانية العديد من السدود والخزانات على مجرى النهر , منها مشروع سد كرزال الذي تبلغ سعته الاجمالية نحو (٠٨٠ر١) مليارم٣ سنوياً وينتج طاقة كهرومائية مقدارها (٤٠) ميجا وات / ساعة سنوياً ، ومشروع سد وخزان بريسو الذي تبلغ سعته الاجمالية نحو (١٨ر١) مليار م٣ وينتج طاقة كهرومائية نحو (٧٠) ميجا وات / ساعة سنوياً , كما أكملت العام ٢٠١٧ بناء سد كولكة سردشت على مجرى النهر بقدرة تخزينية تصل الى (٨٠٠) مليون م٣ , فضلاً عن مشروع آخر لأحياء بحيرة ورنة الجافة من خلال تحويل مياه النهر اليها , كما تخطط لأنشاء ثلاثة سدود ضخمة على بعض روافد النهر(٤٩) ٠

٢ ٠ **نهر ديالى :** يتشكل مجرى هذا النهر من رافدين أساسيين هما رافد سيروان الذي ينبع من مرتفعات لورستان في ايران ثم يشكل حدوداً دولية مع العراق لمسافة (٢٥) كم ، ورافد زلم الذي ينبع من خلف قصبة أحمد آوا ضمن قضاء حلبجة ثم ينحدر بأتجاه شهرزور ويصب في بحيرة دربندخان ٠ ويبلغ طول نهر ديالى نحو (٣٦٨) كم ٠ وتقدر مساحة تغذيته نحو (٣١٨٩٦) كم٢ يقع منها نحو (١٣٦٦٠) كم٢ داخل العراق ٠ ويبلغ معدل تصريفه نحو (١ر١٧٠) م٣/ثا , ومتوسط وارده المائي السنوي حوالي (٤ر٥) مليار م٣ (إنخفض في العام ١٩٩٩ الى نحو ٢٣ر١ م٣) تشكل نسبة (٥٧ر١٣%) من الوارد المائي الكلي لنهر دجلة ٠ وقد أنجزت الحكومة الايرانية سداً كبيراً على مجرى نهر قشلاغ (أحد روافد نهر ديالى الاخرى) العام ١٩٧٨ يبلغ ارتفاعه نحو (٧٠) م وطوله عند القمة (٢٠٠) م , بسعة تخزينية تبلغ نحو مليار م٣ من المياه ٠ كما عملت على إنشاء سد كاوشان التخزيني لنقل (٢٦٠) مليون م٣ من المياه سنوياً من حوض رافد سيروان الى حوض نهر الكرخة في الجنوب لري أراضي ضمن سهول كامران وبيلور تقدر بنحو (٣٠٠) ألف هكتار , فضلاً عن تأمين نحو مليون م٣ من المياه سنوياً لمشروع كرمنشاه (٥٠) ٠

٣ : نهر بناوه سوتا (٥١) :

ينبع هذا النهر من المرتفعات الجبلية الغربية لأيران , وبعد أن يسير مع خط الحدود لمسافة{٤} كم مابين الدعامتين الحدوديتين {٩٠} و {٩١} , يدخل الاراضي العراقية من الجنوب الشرقي لقرية بناوه سوتا , حيث يجري بعدها باتجاه الشمال الغربي لهذه القرية ويصب في نهر جام قزلجة أحد روافد نهر الزاب الصغير ٠ وقد جرى استغلال مياه هذا النهر طبقا للتقاليد القديمة المعمول بها في المنطقة والتي قضت بتوزيع هذه المياه على نحو متساوٍ من خلال تخصيص ثلاث سواق في كل جانب لري الاراضي الزراعية القريبة من النهر ٠ وقد ظهرت أولى مشكلات هذا النهر في العام ١٩٥٤ حينما طالب مفوض الحدود الايراني في مريوان {القومسير} بأغلاق احدى السواقي العراقية المتفرعة من النهر بحجة انها قد حفرت حديثا , في حين ظهر انها تمتد مئات الامتار في مجارٍ قديمة لتصريف المياه في وقت الفيضان ٠ وقد اتفق الطرفان في حينها على تأليف لجنة مشتركة للكشف على المنطقة المعنية ووضع حل مناسب للمشكلة , الا ان الطرف الايراني تهرب فيما بعد عن تأليف هذه اللجنة بحجة إرجاء النظر في هذه المشكلة الى حين بحثها مع مشكلات الحدود المعلقة الاخرى ٠ وبعد أن تم اغلاق الساقية

العراقية , قام المزارعون الايرانيون من جانبهم , بحفر ساقية اضافية , أدت الى انخفاض مياه النهر الواردة الى الجانب العراقي , واتلاف المزارع والحقول فيه على نحوٍ كبير ٠

٤ : نهر قره تو (٥٢) :

ينبع هذا النهر البالغ طوله نحو {٤٠} كم من الجبال الايرانية الغربية ٠ وبعد أن يسير مع خط الحدود لمسافة {٣٨} كم تقريباً مابين الدعامتين الحدوديتين {٥٩} و {٦٠} , يدخل الاراضي العراقية من منطقة تنجي حمام الواقعة الى الشمال من مدينة خانقين , حيث يجري ليصب في نهر ديالى بعد ان يجتاز ناحية قره تو بمسافة قصيرة ٠ وتبلغ مساحة حوض النهر نحو {٧٥٠} كم٢ تشكل نسبة {٢%} من مساحة حوض نهر ديالى , يقع منها في العراق نحو {٢٤٦} كم٢ وفي ايران نحو {٥٠٤} ٠ وقد جرى استغلال هذا النهر طبقاً للتعامل القديم السائد في المنطقة , وذلك بأن يتناوب الطرفان على استغلال مياه النهر بواقع خمسة أيام لكل منهما ٠ غير ان المزارعين الايرانيين بدلاً من يلتزموا بهذه القاعدة , أخذوا يقيمون السداد المؤقتة على مجرى النهر خاصة في أوقات انقطاع المطر في فصل الصيف بغية رفع منسوب مياه النهر وتحويلها الى الاراضي الزراعية المجاورة خلال المدة المحددة للمزارعين العراقيين , مما أدى الى انخفاض تصريف هذه المياه صيفا الى {٥ , ٠} م٣/ثا بعد ان كان يتراوح مابين {٥, ١ـــ ٢} م٣/ثا , والتسبب في إلحاق أضرار كبيرة في المزارع العراقية المعتمدة في إروائها على هذه المياه ، حتى ان تأثير ذلك قد وصل في بعض السنوات الى إحداث ندرة في توفر مياه الشرب في ناحية قره تو ٠

٥ : نهر الوند :

ينبع هذا النهر من جبال كرند الواقعة في غرب إيران ٠ وبعد أن يسير مع خط الحدود لمسافة {٢ر٤} كم مابين الدعامتين الحدوديتين {٥٠} و {٥١} , يدخل الاراضي العراقية بالقرب من مدينة خانقين التي يجتازها ليصب فيما بعد في نهر ديالى الى الشمال من مدينة جلولاء ٠ ويعد نهر الوند من الانهار الحدودية المهمة , حيث يبلغ طوله نحو {١٣٠} كم , يقع منها نحو {٥٠} كم داخل العراق , ويتراوح عرضه مابين {٣٠ ـــ ١٠٠} م ٠ أما مساحة حوضه فتبلغ نحو {٣٤٥٠} كم٢ أو مايعادل {١٠ر٦ %} من مساحة حوض نهر ديالى , يقع منها {٨٣ر٧% } في إيران والباقي في العراق ٠ ويتم استغلال مياهه في إرواء الاراضي الواقعة على الضفة اليسرى لنهر ديالى من خلال عدد من السواقي الكبيرة والصغيرة المتفرعة منه , فضلاً عن استغلالها في إرواء المزارع والبساتين الواقعة في مدينة خانقين والمناطق المحيطة بها (٥٣)

وقد شرعت الحكومة الايرانية في العام ١٩٥٣ بحفر قناة بالقرب من مدينة قصر شيرين لتحويل مياه النهر الى مدينة خسروي المقابلة لمدينة خانقين ، غير انها اضطرت الى وقف العمل بعد أن إعترضت الحكومة العراقية عليه في عدد من المذكرات الرسمية التي أكدت فيها على حق العراق التأريخي في مياه هذا النهر , وعلى عدم مشروعية هذا العمل لما يمثله من إعتداء واضح على هذا الحق , ومايمكن ان يسببه من أضرار وخسائر لرعاياها ٠ وفي العام ١٩٥٨ , إستأنفت الحكومة الايرانية العمل فجأة في حفر هذه القناة ، مما دعا الحكومة العراقية الى مطالبتها بضرورة تأجيل هذا العمل ريثما يتم التوصل بينهما الـــى إتفاق حول تنظيـم إستغلال مياه الانهار الحدودية , طبقاً لمبدأ إبقاء الوضع الراهن على ماهو عليه { STATUS QUE } الذي كانت الحكومتان قد اتفقتا عليه ، ولحين تأليف لجنة حدود مشتركة تقوم بحسم مشكلات الحدود المعلقة بينهما ٠ ومع هذا , فقد رفضت الحكومة الايرانية هذا الطلب وأكدت في اطار الاجابة عليه , على عدم علاقـــــــــة تصرفها هذا بالمبدأ المذكور , بوصفه تصرفاً داخلياً وليس من قضايا الحدود العالقة (٥٤) ٠ وهكذا تم حفر القناة وتحويل المياه اليها دون أدنى مراعاة للحقائق الثابتة التي بينتها الحكومة العراقية خلال سعيها لحل هذه المشكلة , مما أدى الى انخفاض معدل تصريف مياه النهر صيفاً من {٦} م/ثا٣ الى {٣} م٣ /ثا , والحاق أضرار كبيرة في الاراضي الزراعية العراقية التي تروى من هذا النهر (٥٥) ٠ وقد قامت الحكومة العراقية في العام ١٩٦٠ سعياً منها للتخفيف من حدة هذه الاضرار بتنفيذ مشروع إرواء منطقة خانقين لتأمين مياه الشرب وإرواء أكثر من {٨٧} ألف دونم من الاراضي الزراعية , عن طريق مد قناة الى هذه المنطقة وايصالها الى قناة بلاجو البالغ طولها {١١} كم ليصبح طول قناة المشروع نحو {٤٠} كم , بدءاً من نقطة تفرع قناة بلاجو من الضفة اليسرى لنهر ديالى حتى النقطة الواقعة في جنوب سد دربند خان ٠ وعلى الرغم من ضخامة المشروع , فانه لم يغط جميع الاراضي الزراعية التي كانت تروى من نهر الوند قبل انشاء القناة الايرانية , كما ان تكاليف الارواء في بعض المناطق قد بلغت حداً كبيراً , نظراً لأستخدام مضخات كبيرة لرفع منسوب المياه التي تمر في هذه المناطق الى بعض الاراضي المرتفعة نسبياً (٥٦) ٠ وقد إستمرت الحكومة الايرانية طيلة العقود الماضية بتجاوزاتها المتكررة على مياه النهر الى الحد الذي إنخفضت فيه كمية تصريف المياه العام ٢٠٠٥ الى نحو متر مكعب واحد /ثا , ثم إنقطعت المياه فيه تماماً العام ٢٠١١ على الرغم من إعتراض الحكومة العراقية ومطالبتها باطلاق الحصة المائية المقررة للعراق في النهر البالغة نحو (٦) م٣/ ثا أو على

الاقل إطلاق نحو (٢) م٣/ثا كحد أدنى ٠ ومع ذلك رفضت الحكومة الايرانية إطلاق هذه النسبة القليلة , الامر الذي أدى الى خسائر مادية بالغة تجاوزت ثلاثة مليارات دولار , وتراجع الانتاج الزراعي بنسب كبيرة وصلت الى نحو (٨٠%) مع تردٍ كبير في جودتها , فضلاً عن هجرة مئات الآلاف من سكان المناطق والمدن الحدودية في محافظة ديالى نتيجة النقص الحاد في المياه ، لاسيما في مواسم الصيف والجفاف (٥٧) ٠

٦ : نهر كنكير (وادي حران) (٥٨) :

ينبع نهر كنكير من الجبال الايرانية القريبة من الحدود المقابلة لقضاء مندلي ٠ وبعد أن يقطع مسافة {٢٥} كم تقريباً , يدخل الاراضي العراقية من مضيق كوماسنك الواقع في جبل شمبار على بعد {٨} كم شمال مدينة مندلي , حيث يجري في مناطق منبسطة سهلية , ثم ينحدر بعد ذلك بأتجاه الجنوب الغربي ليصب في هور الشبيجة الواقع ضمن محافظة ديالى ٠ وتبلغ مساحة حوض النهر نحو {١٧٢٠} كم٢ ٠ وقد أستغلت مياهه في إرواء بساتين مدينتي مندلي وقزانية من خلال عدد من القنوات والسواتر المتفرعة منه , فضلاً عن إستغلالها في إرواء الاراضي الزراعية المنتشرة حول هاتين المدينتين ٠ وكما بينا من قبل , فقد نُظم استغلال مياه هذا النهر بموجب المحضر الثامن والعشرين من محاضر جلسات لجنة تخطيط الحدود لعام ١٩١٤ على أساس تقسيم مياه النهر على نحو متساوٍ بين أهالي مدينة سومار الايرانية وأهالي مدينة مندلي العراقية ٠ ومع ذلك فقد إمتنعت السلطات الايرانية عن الالتزام بهذا الاتفاق , كما سمحت للمزارعين الايرانيين في منطقة سومار بتوزيع الاراضي الزراعية المروية من مياه النهر بحجة عدم كفاية مياه الامطار الساقطة في المنطقة وانقطاعها أحياناً ٠ كما قامت كذلك بأنشاء سد قاطع على مجرى النهر وتحويل مياهه الى وادي نفط شاه الايراني , مما أدى الى انخفاض مياه النهر الواردة الى الاراضي العراقية الى حدٍ كبير بعد أن كانت تتراوح مابين {٥ر٣ ــ ٧} م٣/ثا صيفاً , كما أدى الى زيادة نسبة ملوحة هذه المياه عن السابق الى درجة كبيرة أيضاً (٥٩) ٠ وقد لحق بالعراق من جراء هذه الاعمال أضراراً كبيرة أمكن حصرها لغاية العام ١٩٦٠ على النحو الآتي (٦٠) :

أولاً : هلاك نحو {٧٠%} من أشجار الفواكه والحمضيات , وانخفاض إنتاج النخيل الى نحو {٣٠%} ٠

ثانياً : عدم قدرة الفلاحين العراقيين على الزراعة في فصل الصيف واقتصارهم على الزراعة في فصل

الشتاء فقط ، إعتماداً على مياه الامطار الساقطة ومايفيض عن حاجة الفلاحين الايرانيين من مياه النهر ٠

ثالثا : خراب مساحات واسعة من الاراضي الزراعية الخصبة التي قدرت بنحو {٨٣} ألف دونم ضمن مدينة مندلي , وبنحو {٤٥} ألف دونم ضمن مدينة قزانية , فضلاً عن حرمان هذه المناطق من إمكانية التوسع والزيادة في زراعة المحاصيل الزراعية , على الرغم من وجود العديد من الاراضي الصالحة للزراعة فيها ٠

رابعاً : هجرة العديد من سكان المناطق المستفيدة من مياه النهر , بسبب تردي الأنشطة الزراعية القائمة على هذه المياه , وانخفاض مستويات المعيشة تبعاً لذلك ٠ وهذا ماتأكد خلال إحدى الاحصائيات السكانية التي أشارت الى تناقص سكان قضاء مندلي من {٥٣} ألف نسمة في العام ١٩٤٧ الى {٣٩} ألف نسمة في العام ١٩٥٧ والى {٣٠} ألف نسمة في العام ١٩٦٥

وقد قامت الحكومة العراقية أزاء هذه الاضرار , بأرسال عدد من المذكرات الرسمية الى الحكومة الايرانية , حاولت فيها تفادي آثار هذه الاضرار أو التخفيف من حدتها على أقل تقدير, كما أقترحت عليها حلاً لهذه المشكلة , أن يتم تأليف لجنة مشتركة من مزارعي البلدين برئاسة مفوضية الحدود لمنطقتي مندلي وسومار , تتولى مهمة الاشراف الدائم على عمليات استغلال مياه النهر بين الطرفين , وتأمين توزيع المياه بينهما طبقاً لما جاء في محضر الجلسة {٢٨} ٠ غير ان الحكومة الايرانية لم تقبل بهذا الاقتراح وانما وعدت في مذكرة لها بتأريخ ١٩٥٩/١/١٩ بأن تقوم بتأمين حصة أهالي مندلي من المياه على نحوٍ مؤقت ريثما تقوم لجنة تثبيت دعائم الحدود بين البلدين بأيجاد حل لهذه المشكلة ٠ ومع ذلك , فقد تراجعت فيما بعد عن الالتزام بهذا الوعد , مما أدى الى استمرار شحة مياه النهر وانقطاعها في بعض الاحيان ٠ وقد قامت الحكومة العراقية مرة أخرى بتقديم اقتراح عملي جديد لأقامة بعض السداد والنواظم على النهر في منطقة سومار بقصد السيطرة على المياه وضبط تدفقها وتقسيمها على نحوٍ عادل بين الطرفين , غير انه رفض هو الآخر من قبل الحكومة الايرانية (٦١) ٠ وإضطرت الحكومة العراقية بالتخفيف من حدة الآثار الناجمة من قلة مياه النهر , الى البحث عن حلٍ عاجلٍ ومؤقت لهذه الأزمة , حيث استعانت بعدد من الخبراء العراقيين والاجانب لدراسة امكانية الاستفادة من المياه الجوفية في المنطقة ٠ وقد قامت مديرية الري العراقية بهذا الصدد , بتنفيذ عدد من الاعمال الهادفة الى تحسين الجداول المتفرعة من النهر عن طريق توسيعها وإكساء قيعانها وجوانبها بالاسمنت المانع من ترشح المياه , كما قامت أيضاً بحفر عدد من الآبار الجوفية في

قاع النهر نفسه ونصب المضخات الرافعة عليها , بغية تزويد هذه الجداول بالمياه الكافية لأرواء بساتين مندلي القريبة ومزارعها ٠ كما أنشأت فضلاً عن ذلك بعض الشلالات الصناعية في صدور الجداول الرئيسة للنهر لغرض توزيع المياه على الوجه الذي يحتاجه كل جدول ٠ ومع ذلك , فقد عجزت المياه الجوفية المستخرجة بهذه الأساليب عن تلبية المتطلبات الزراعية في المنطقة , مما دعا الحكومة العراقية الى دراسة تنفيذ عدد من المشاريع الكبيرة , ومنها مشروع إيصال المياه الى قضاء مندلي بواسطة انشاء قناة تتصل بنهر ديالى والذي باشرت بتنفيذه العام ١٩٦٨, وكذلك مشروع حمرين الأروائي الخاص بتأمين المياه الى هذا القضاء أيضاً , فضلاً عن عدد من المشاريع المقترحة بهذا الخصوص (٦٢) ٠

٧ : نهر كنجان جم :

ينبع هذا النهر من المرتفعات الواقعة الى الجنوب الغربي من مدينة عيلام الايرانية ثم يجري بأتجاه الحدود المشتركة مع العراق ويسير معها لمسافة {١٣} كم إبتداءاً من الدعامة الحدودية رقم {٣٢} , حيث يلتقي بعدها بنهر كافي رود (كاوي) الى الجنوب الشرقي من مدينة زرباطية العراقية ليكوّنا معاً نهر بدرة المعروف محلياً بـــ {كلال بدرة} الذي يسير بدوره مع الحدود الدولية لمسافة ٦ كم قبل أن يدخل الاراضي العراقية عند الدعامة الحدودية {٣١} , حيث يجري بعد ذلك في الاراضي السهلية لبدرة وجصان ليصب أخيراً في هور الشويجة الواقع الى الشمال من مدينة الكوت (٦٣) ٠ ويبلغ طول نهر كنجان جم من منبعه حتى التقائه بنهر كافي رود حوالي {٧٧} كم , وتقدر مساحة حوضه بنحو {١٠٠٠} كم٢ ٠ أما معدل إيراده السنوي من المياه فيبلغ نحو {٣٩٠} مليون م٣ , في حين يبلغ المعدل السنوي لنهر كافي رود نحو {٢٢٥} مليون م٣ (٦٤) ٠ وتستغل مياه نهري كنجان جم وكلال بدرة , في إرواء أراضي زرباطية وبدرة وجصان والمناطق المحيطة بها , عن طريق عدد من القنوات الاروائية المتفرعة منهما , ومنها قناة مرزآباد البالغ طولها نحو {٢٤} كم , وقناة جصان البالغ طولها نحو {٢٠} كم , وقناة عرفات , وقناة ناهيير , وقناة خيروي , وغيرها من القنوات الاخرى (٦٥) ٠ وقد جرى إستغلال مياه نهر كنجان جم بين البلدين وفقاً للعرف المحلي الجاري منذ القدم , والذي قضى بتخصيص ثلاثة أخماس للجانب العراقي وخمسين للجانب الايراني ٠ وأستمرت الاوضاع قائمة على هذا النحو حتى العام ١٩٣٠ عندما ادعت العشائر الايرانية القاطنة في المنطقة , بأن حصة العشائر العراقية من مياه النهر {٢٠%} , وان لها الحق في إستغلال النسبة المتبقية من المياه ٠ وعلى الرغم من تسوية هذا الخلاف في حينها عن طريق

المسؤولين في المنطقة , ظهر خلاف آخر العام ١٩٣١ عندما قام الحاكم العسكري لمنطقة منصور آباد الايرانية سعياً منه لتوطين العشائر الايرانية الرحالة وتوسيع الاراضي الزراعية في الجانب الايراني , بحفر قناة إضافية على النهر وانشاء سد قاطع في مجراه لرفع المياه وتحويلها الى الاراضي المستصلحة الجديدة (٦٦) ٠ وقد أدت هذه الاعمال الى إحداث نقص كبير في مياه النهر الواردة للعراق ولاسيما في فصل الصيف , مما دعا الحكومة العراقية الى إرسال عدد من المذكرات الرسمية الى الحكومة الايرانية بتاريخ ١٧ آذار و٢٦ تموز و٣٠ آب و ٩ أيلول من العام نفسه , احتجت فيها على هذه الاعمال وطالبت بتأليف لجنة مشتركة لأجراء التحريات الموقعية والتوصل الى اتفاق خاص باستغلال مياه النهر يقوم على أساس احترام التعامل القديم المتبع في المنطقة وما جاء في محضر الجلسة {٢٦} من محاضر لجنة تخطيط الحدود لعام ١٩١٤ , غير ان الحكومة الايرانية رفضت من خلال المذكرة التي بعثتها بتأريخ ٢٠ أيلول ١٩٣١ تأليف هذه اللجنة , كما أكدت على عدم رسمية تلك المحاضر ، وبأن حصة زرباطية من مياه النهر ماهي الا الزيادة المتبقية من هذه مياه بعد استغلال الطرف الايراني لها ، مما حمل الحكومة العراقية مرة أخرى , على ارسال مذكرة جوابية بتأريخ ٥ تشرين الاول من ذلك العام , أعربت فيها عن أسفها لما جاء في هذه المذكرة , وأكدت في الوقت ذاته على صحة المحاضر المذكورة وشرعية الاوضاع الحدودية المرسومة فيها (٦٧).

وقد مضت الحكومتان بعد ذلك في تبادل المذكرات الخاصة بهذه المشكلة دون أن تتمكنا من التوصل الى حل عادل لها ٠ واستمر الطرف الايراني من جانبه في التجاوز على حصة العراق المائية في نهر كنجان جم حتى وصل الامر في بعض الاحيان الى نقص مياه الشرب في زرباطية ٠ وبأزاء هذه الاوضاع , قامت الحكومة العراقية برفع شكوى أمام مجلس عصبة الامم بتأريخ ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٣٤ , أدرجت فيها مشكلة إسغلال مياه هذا النهر الى جانب بعض المشكلات الحدودية الاخرى ٠ وقد أوصى المجلس في عام ١٩٣٥ بحل هذه الخلافات عن طريق إجراء المفاوضات المباشرة بين البلدين ٠ وبناءاً على هذه التوصية , أجرت الدولتان سلسلة من المفاوضات الثنائية انتهت بتوقيع معاهدة الحدود لعام ١٩٣٧ ٠ ومع ذلك , فقد خلت هذه المعاهدة من الاحكام الخاصة بمعالجة مشكلات استغلال الانهار الحدودية , مما زاد من حدة هذه المشكلات بين البلدين ومنها مشكلة نهر كنجان جم ٠ اذ لم تكتف السلطات الايرانية بما استحوذت عليه من مياه النهر على حساب حصة العراق فيه , بل سعت الى تحويل مياهه كليةً الى داخل أراضيها من خلال انشاء سد قاطع في مجراه عند مدينة

مهران , وإقامة بعض الخزانات والقنوات الاخرى عليه (٦٨) ٠ وقد تسببت هذه الاعمال في انخفاض التصريف المائي لنهر كلال بدرة الى مايقرب من {٧٥ر٠} م٣ / ثا صيفاً بعد ان كان يزيد على {٥ر٢} م٣/ ثا ، مما أدى بدوره الى إنخفاض مساحة الاراضي الزراعية في قضاء بدرة ومن ضمنها الاراضي الواقعة في زرباطية وجصان الى نحو {١٥} ألف دونم بعد ان كانت نحو {١٠٣} ألف دونم , كما تناقصت مساحة البساتين من {٣٣٩٠} دونم الى {٢٩٨٠} دونم تقريباً إقتصرت في معظمها على أشجار النخيل بعد أن كانت تزخر بأشجار الحمضيات ٠ وقد أدى تناقص المياه أيضاً , الى العزوف عن زراعة المحاصيل الصيفية الى حد كبير , والتركيز على المزروعات الشتوية التي تدنت هي الاخرى الى مستوى الثلث عما كانت عليه سابقاً ٠ كما أدى كذلك الى هجرة السكان من هذه المناطق وانخفاض عددهم من {٦٠} ألف نسمة الى نحو {١٨} ألف نسمة في العام ١٩٦٧ (٦٩) ٠

وقد قامت الحكومة العراقية سعياً منها لتخفيف آثار هذه الاضرار , بتأمين مياه الشرب الى هذه المناطق بواسطة السيارات الحوضية من مدينة الكوت التي تبعد نحو {٧٠} كم من مدينة بدرة , كما قامت أيضاً بدراسة عدد من المشروعات الرامية لأيصال المياه الى قضاء بدرة بواسطة عدد من القنوات التي تشـــق من نهر ديالى , أو من نهر دجلة مباشرة , غير ان إرتفاع تكاليف تنفيذ هذه المشروعات في حينها , قد حال دون انجاز بعضها ٠ ومع هذا , فقد قامت شركة ماكدونالد الاستشارية في العام ١٩٦١, بتنفيذ مشروع ري بدرة ــ جصان ــ زرباطية عبر قناة تتصل بنهر دجلة ، كما تم في العام ١٩٦٢ تنفيذ مشروع السوادة لري الاراضي السيحية في المناطق الواقعة الى الجنوب من مدينة جصان عن طريق قناة تتصل بهذا النهر أيضاً ٠ وعلى الرغم من ذلك , بقيت مشكلة نقص المياه في النهر قائمة الى يومنا هذا دون حل جذري (٧٠) ٠

٨ : نهر الطيب (٧١) :

ينبع هذا النهر من مرتفعات زاكروس الايرانية , ثم يجري ويدخل الاراضي العراقية الى الشمال من مخفر الطيب العراقي بعد أن يسير مع خط الحدود لمسافة كيلومترين بأتجاه الدعامة الحدودية رقم {٢٤} ٠ وبعد ذلك يتجه جنوباً حيث يستفاد منه في إرواء الاراضي الواقعة في شمال شرق مدينة العمارة قبل أن يصب في هور السنّاف الواقع في ناحية المشرّح التابعة الى محافظة ميسان ٠ وتبلغ مساحة حوض النهر نحو {خمسة آلاف} كم٢ ٠ ويبلغ طول النهر

حوالي {١٣٠} كم , منها نحو {٦٥} كم داخل العراق , أما أعلى تصريف له في موسم الفيضان فقدر بنحو {١٠٠٠} م٣/ ثا ٠

وقد أكدت محاضر لجنة تخطيط الحدود لعام ١٩١٤ على تقسيم مياه هذا النهر مناصفة بين الجانبين , غير ان الحكومة الايرانية لم تتقيد كعادتها بهذه القاعدة الاتفاقية , كما لم تحترم العادات القديمة المتبعة في المنطقة التي تتماشى مع هذه القاعدة , بل قامت بأنشاء السدود والنواظم على مجرى النهر وحولت معظم مياهه الى داخل أراضيها على الرغم من إحتجاجات الحكومة العراقية العديدة على ذلك , مما أدى الى حرمان الفلاحين العراقيين من حصتهم الثابتة في هذه المياه , واقتصارهم فيما بعد على بعض المياه المسحوبة من النهر بواسطة المضخات التي نصبت على مجراه , مما أدى الى الحاق أضرار كبيرة بمناطقهم الزراعية المروية من هذا النهر , وإضطرارهم أخيراً الى الهجرة والرحيل الى مناطق أخرى (٧٢) ٠

٩ : نهر دويريج (٧٣) :

ينبع هذا النهر البالغ طوله نحو {١٦٠} كم من مرتفعات زاكروس الايرانية أيضاً , ثم يجري ويدخل الاراضي العراقية عند الدعامة الحدودية رقم {٢٢} القريبة من مخفر الفكة العراقي حيث يسمى بعدها بنهر خرخيرة ٠ وبعد أن تنحدر اليه بعض المجاري المائية من مرتفعات فوكي الواقعة ضمن حدود العراق , يسير بأتجاه الغرب لمسافة {٢٧} كم ليصب أخيراً في هور السنّاف الى الجنوب من نهر الطيب بحوالي {٢٠} كم ٠ وتقدر مساحة حوض النهر بنحو {٥٥٠٠} كم٢ , وبلغ تصريفه المائي المسجل بتأريخ ١٩٦٧/٣/٥ نحو {١٨} م٣/ ثا ٠ أما أعلى تصريف له في موسم الفيضان فقدر بنحو {١٠٠٠} م٣/ ثا , ولذلك يعد من الانهار الغزيرة الجريان في موسم الأمطار والفيضانات ٠ وقد جرى استغلال مياه النهر في العراق لأرواء الاراضي الزراعية الواقعة بين طريق الفكة ـــ المشرّح ـــ العمارة , وطريق العمارة ـــ الطيب ٠ وعلى الرغم من تأكيد محاضر جلسات لجنة العام ١٩١٤ على ان نهر دويريج هو نهر مشترك بين العراق وايران , عمدت السلطات الايرانية منذ العام ١٩٦٥ الى إقامة بعض المشروعات الاروائية على مجرى النهر لتوسيع رقعة الاراضي الزراعية , كما بدأ المزارعون الايرانيون من جانبهم بأقامة عدد من السداد المؤقتة خلال فصل الصيف لرفع منسوب المياه التي تقل خلال هذا الموسم وتحويلهاالأستصلاح أراضٍ جديدة ٠ وقد أدت هذه الأعمال الى تناقص مياه النهر الجارية للعراق , وانخفاض الاراضي الزراعية المروية منها تبعاً لذلك الى نحو {٤٩} ألف دونم بعد أن كانت تقدر بنحو {٧٠} ألف دونم ٠ كما تسببت

أيضاً في زيادة نسبة ملوحة المياه المتبقية من النهر الى درجة إضطر معها سكان المنطقة الى اللجوء في سد إحتياجاتهم من مياه الشرب الى مياه العيون والينابيع المنتشرة داخل الحدود العراقية , أو القيام بتأمين هذه المياه عن طريق جلبها بواسطة السيارات من مناطق بعيدة ٠

١٠ : شط الأعمى (٧٤) :

يتفرع هذا النهر من نهر دويريج في الاراضي العراقية عند نقطة الحدود القريبة من الدعامة الحدودية رقم {٢٢} , ثم يسير بعد ذلك مع خط الحدود جنوباً لمسافة {٣٨} كم حتى مصبه في هــور الشيــب عنــد الدعامة الحدودية رقم {١٥} الواقعة في منطقة أم شير ٠ وقد إندرس هذا النهر وأصبح خالياً من المياه بعد أن قامت الحكومة الايرانية بتحويل مجراه الى داخل أراضيها واستحوذت على جميع مياهه , مما أدى الى حرمان المزارعين العراقيين القاطنين في منطقة الحدود من استغلال هذه المياه لأغراضهم الزراعية والمعاشية , واضطرارهم فيما بعد الى حفر بعض الآبار في قاع النهر لتأمين مياه الشرب العذبة على الرغم من معارضة السلطات الايرانية لذلك ٠ وقد أثار تفرع هذا النهر من الضفة اليسرى لنهر دويريج مابين مخفري الفكة العراقي والفكة الايراني , مشكلة استغلال أخرى ٠ حيث زعمت السلطات الايرانية بوقوع هذه المنطقة في أراضيها لا في أراضي العراق , مستندة في ذلك الى وجود أحد مجاري الانهار القديمة المجاورة التي تتصل بنهر دويريج في الاراضي العراقية , والذي عدته صدراً لنهر شط الأعمى الأصلي , خلافاً لما هو مثبت على الخارطة الحدودية رقم {٢} بصفتها إحدى الخرائط الحدودية الرسمية التي أعدتها لجنة تخطيط الحدود لعام ١٩١٤ ٠ ولذلك فقد عارضت نصب المضخات الزراعية على النهر في الاراضي الممتدة مابين هذه المنطقة ومجرى النهر القديم المذكور , على الرغم من وقوع هذه الاراضي داخل العراق الى الغرب من الدعامة الحدودية رقم {٢٢} المثبتة في هذه الخارطة ، والتي ثبت فيها أيضاً الدعامات الحدودية الموجودة بين أم شير ودويريج أبتدءاً من الدعامة رقم {١٥} جنوباً وانتهاءاً بالدعامة رقم {٢٢} شمالاً , مما يدل على نحوٍ قاطعٍ على عدم مشروعية هذه التصرفات، وتعارضها مع الوثائق الحدودية الدولية المثبتة بين الجانبين٠

١١ : نهر الكرخة (٧٥) :

ينبع هذا النهر من الجبال الغربية لأيران , وتحديداً من مناطق همدان وكرمنشاه وخرم آباد , ويصب خلال موسم الفيضان في هور الحويزة الواقع بين العراق وايران ٠ ويبلغ طوله نحو {٤٩٠} كم إبتداءاً من جنوب شرق مدينة عيلام ، في حين تبلغ مساحة حوضه الممتدة شمالاً

الى مرتفعات كرمنشاه نحو {٥٠٠ ر٥٢} كم٢ تقع كليةً في ايران ٠ وقد بلغ تصريفه عند الفيضان نحو {١٤٣٠} م٣ / ثا أما أعلى تصريف له فقدر بـــنحو {٢٥٠٠} م٣/ ثا ٠ ويتفرع من نهر الكرخة عدد من الجداول المهمة وهي نعمة ونيسان والسابلة والكسرة والخرابة وعمود السيدية التي تزود هور الحويزة المياه شتاءاً , بينما تنعدم فيها المياه صيفاً بأستثناء الجدول الأخير الذي تجري فيه المياه على مدار السنة ٠ ويعد نهر الكرخة بمثابة الرافد الثاني لنهر شط العرب بعد نهر الكارون والمغذي الرئيس لهور الحويزة , إذ بلغ معدل وارده السنوي من المياه عند محطة الحميدية الواقعة الى الشمال الغربي من مدينة الأحواز نحو (٣ر٦) مليار م٣, فضلاً عن تحويل (٤ ر٠) مليار م٣ من مياه نهر الكارون إليه خلال موسم الزراعة الصيفية , عبر عدد من القنوات التي أنشأت للربط بينهما ٠ وتم تصريف مياه نهر الكرخة صوب الجهة الجنوبية لهور الحويزة عن طريق نهر السويب الذي يصب الى الجنوب من مدينة القرنة بنحو (٥ر٦) كم , وبهذا تنحدر مياهه مع مياه نهر دجلة الى شط العرب ٠ وقد زاد اهتمام الحكومة الايرانية بأستغلال مياه هذا النهر بعد العام ١٩٤٩ , نظراً لمروره في سهول الأحواز الواسعة التي تمكنها من إقامة المشاريع الرامية الى السيطرة على مياهه والتحكم فيها ٠ ولهذا فقد أقامت عدداً من السدود والخزانات على النهر , وفتحت عدداً من الشبكات الاروائية المتصلة به ويعد السد المقام في شمال مدينة الحميدية ضمن المنطقة المعروفة بسن العباس , من أهم المشروعات المقامة على نهر الكرخة ٠ اذ يبلغ طول هذا السد {١٥٠٠} م تتخلله ست فتحات ذات أبوب حديدية , وبسعة تخزينية بلغت نحو (٩ر٥) مليار م٣ وقدرة انتاجية للكهرباء تصل الى (٥٢٠) ميغا واط ٠ ويهدف الى رفع مناسيب المياه لأرواء الاراضي الواقعة على جانبي النهر بواسطة عدد من القنوات التي أقيمت في مقدمة السد والتي يبلغ طولها مابين {١٠٠ ـــــ ١٢٠} كم ٠ وقد إحتجت الحكومة العراقية على إقامة ذلك السد عبر مذكرة أرسلتها الى السفارة الايرانية في بغداد بتأريخ ١٩٦١/١٢/١٦ ٠ وقد انخفضت نتيجة لذلك , المياه الواردة للعراق صيفاً من النهر الى نحو {٢٥%} عما كانت عليه سابقاً , مما أثر على نحوٍ مباشر في مستوى معيشة المزارعين العراقيين في المنطقة , الذين يعتمدون في الاساس على زراعة الرز في هذا الفصل ٠ كما انخفضت أيضاً كمية المياه الواردة في فصل الشتاء بالقياس الى ما كانت عليه في السابق , مما انعكس على نحوٍ ملحوظٍ على زراعة المحاصيل الشتوية في المنطقة ٠ فضلاً عن ذلك قامت الحكومة الايرانية العام ١٩٩٢ بأنشاء سد كرخة /١ الذي يعد من أكبـــر السدود الايرانية في منطقة عربستان تم إفتتاحه العام ١٩٩٧ بطاقة استيعابية (٨ر٧) مليار م٣ ,

إضافة الى إنشاء سد كرخة /٢ بطاقة إستيعابية (٥٠ر٣) مليار م٣ , وسد كرخة /٣ بسعة خزن (٩٩ر١) مليار م٣ , وكلاهما على رافد سيماره ٠ وبهذا تبلغ القدرة الأستيعابية للسدود الثلاثة معاً نحو (٢٩ر١٣) مليار م٣ , فضلاً عن إنشاء عدد من السدود التحويلية متمثلة بسد خير آباد وشافور ٠ ونتيجة لهذا إنحسرت واردات مياه النهر الى العراق الى نحو {٧٥%} وأثرت بشكل كبيرعلى كمية المياه الواردة منه الى شط العرب , فضلاً عن تردي نوعيتها وتأثيرها الضار على البيئة (٧٦) ٠

١٢ : نهر الكارون (٧٧) :

ينبع هذا النهر البالغ طوله نحو {١٣٦٠} كم من جبال بختياري ضمن مرتفعات زاكروس الايرانية , ثم يجري بعد ذلك في مناطق جبلية حتى يصل الى سهول عربستان , حيث يتفرع قرب مدينة شوشتر الواقعـــة على بعد {٥٥} كم شمال مدينة الأحواز الى فرعين رئيسين أحدهما شرقي ويسمى آبي كريكار ، والثاني غربي ويسمى آبي شطيط الذين يلتقيان ثانية عند باندي كسر الى الشمال من مدينة الأحواز بـــ {١٨} كم ٠ وبعد أن يمر النهر بهذه المدينة , يجري بأتجاه الجنوب الغربي لمسافة {١٨٠} كم تقريباً حتى يصل الى مدينة المحمرة ويصب في شط العرب ٠ وتقدر مساحة حوض نهر الكارون نحو {٩٣٠ر٦٦} كم٢ تقع بكاملها في ايران ٠ وقد بلغ معدل تصريفه المائي عند مدينة الأحواز نحو {٧٨٢} م٣/ ثا ٠ ويمتاز النهر بغزارة مياهه وسرعة جريانه الناجمة عن قصر مجراه وانحداره الشديد ٠ ولنهر الكارون روافد مهمة منها رافد آبي دز الذي يصب في شمال مدينة الأحواز بـــ {٤٠} كم والذي يسهم بنسبة {٣٧%} من تصريف مياهه ٠ وقد أقامت السلطات الايرانية سنة ١٩٦٣ على هذا الرافد سدين كبيرين لخزن المياه , بلغت سعة أحدهما نحو {٣٥ر٣} مليار م٣ ٠ وهناك مشاريع سدود أخرى على هذا الرافد ٠ ومن الروافد الاخرى لنهر الكارون رافدا كسر وزانيده رود اللذان أقيم عليهما سدان كبيران لأرواء نحو {٧٨٤} ألف دونم من الاراضي الزراعية ٠ كما أقيمت أيضاً سبعة سدود أخرى على المجرى الرئيس لنهر الكارون ، بحيث يبلغ مجموع الخزن الكلي للسدود التسعة نحو {٩ر١٨} مليار م٣ من المياه ٠ وقد خططت الحكومة الايرانية إنشاء {١١} سد كبير على الروافد العليا الرئيسة لنهر الكارون , من بينها {٥} سدود تم الانتهاء منها ٠ وقد تم في العام ١٩٧٧ انشاء سد كودفند التحويلي قرب مدينة كودفند بلغ معدل تصريفه نحو {١٠١} م٣/ثانية , وكذلك سد كارون /١ الذي يعد ثاني أضخم سد في إيران ٠ وفي العام ٢٠٠٠ إنتهت الحكومة الايرانية من إنجاز مشاريع مائية ضخمة لنقل المياه من سدود أعالي

نهر الكارون الى محافظتي أصفهان ويزد في وسط أيران من خلال أنابيب ممتدة الى مسافات طويلة تصل الى أكثر من {١٠٠٠} كم ٠ كما أنشأت سد كارون /٣ العام ٢٠٠٥ ٠ وفي سنة ٢٠٠٩ قامت بتحويل مياه نهر الكارون تماماً الى داخل الاراضي الايرانية وقطعت مياهه كلياً عن نهر شط العرب ٠ وبذلك انقطعت المياه العذبة بشكل مؤثر عن شط العرب وأرتفعت نسبة الملوحة فيه الى معدلات عالية هددت الحياة البشرية والحيوانية والزراعية في محافظة البصرة (٧٨) ٠ وفضلاً عن ذلك , أعدت السلطات الايرانية خططاً واسعة وأنجزت مشاريع مائية متطورة من أنفاق وسدود وخزانات في حوض نهر الكارون , مما أثر سلبياً في كمية المياه الواردة منه الى شط العرب ونوعيتها (٧٩) ٠

ومن الجدير ألتأكيد هنا بشكل واضح ، على إن المشكلات المتعلقة بنهر الكارون وكذلك بنهر الكرخة لاتنصب بالاساس على كيفية تقسيم مياه هذين النهرين وتوزيعها بين الطرفين بالنظر لوقوعهما بشكلٍ كاملٍ في الاراضي الايرانية , وإنما تنصب في الحقيقة على الآثار المباشرة وغير المباشرة للأستغلال الايراني الواقع عليهما , والتي تنعكس على نحو واضح على حجم المياه الواردة منهما الى هور الحويزة وشط العرب من ناحية , وعلى عذوبة هذه المياه ونقاوتها من ناحية ثانية ٠ اذ يقع هور الحويزة في الجزء الجنوبي الشرقي من العراق , وهي منطقة جافة شديدة التبخر خلال فصل الصيف ٠ ولذلك فأن أي استغلال ايراني لنهر الكرخة على النحو الذي ذكرناه , سيؤثر دون شك في مقدار المياه الواردة للهور من هذا النهر وعلى عذوبتها أيضاً , فضلاً عن تأثيره اللاحق في مياه الهور الجارية الى شط العرب عبر نهر السويب , والتي يمكن أن تسهم بقسط كبير في الحد من ظاهرة الملوحة التي تصيب الشط من جراء طغيان المياه المالحة للخليج العربي في أوقات المد ٠ أما مياه نهر الكارون فلها أثر أكبر في التخفيف من حدة هذه الظاهرة وإنحسارها وفي الحفاظ على عذوبة مياه الشط ٠ ولذا فأن من شأن الاستغلال الايراني الواسع لهذا النهر أن يؤدي الى تناقص تدريجي للمياه الواردة منه الى شط العرب بل وإنقطاعها عنه تماماً كما حصل في السنوات الأخيرة , مما يساعد بدوره في بروز ظاهرة الملوحة في شط العرب في أوقات المد ٠ ومن الطبيعي ان لهذه الملوحة اخطاراً كبيرة على الحياة الزراعية القائمة في الجانب العراقي , والتي تعتمد في إروائها على المياه العذبة لشط العرب , وتأتي في مقدمتها بساتين النخيل المنتشرة حول ضفاف هذا النهر , والتي تزيد مساحتها على {٦ر١} مليون مشارة تضم فيها أكثر من سبعة ملايين نخلة مثمرة , فضلاً عن الاراضي المزروعة بين هذه البساتين , والتي يتم اروائها عن طريق

العديد من الجداول , والقنوات والسواقي المتوزعة على ضفتي النهر , والتي تدخلها المياه في أوقات المد على نحو طبيعي , هذا فضلاً عن المضخات الزراعية والنواعير المعدة للغرض نفسه (٨٠) ٠ وهكذا فأن الاضرار التي أصابت العراق من جراء هذه المشاريع لم تقتصر على كمية وحجم المياه الواردة من النهر اليه , وانما تعدت الى نوعية وطبيعة هذه المياه ٠ حيث أشارت الأحصائيات الى ان نحو (٢٠٠) مليون م٣ من المياه الصناعية و (١٥٠) مليون م٣ من مياه المجاري والاستعمالات المدنية الاخرى تلقى سنوياً في مجرى النهر , فضلاً عن كميات ضخمة من مياه البزل واستصلاح الاراضي الزراعية (٨١) ٠

١٣ : شط العرب (٨٢) :

يتكون هذا النهر الكبير بالأساس من إلتقاء نهري دجلة والفرات عند مدينة كرمة علي الى الشمال من مدينة البصرة بحوالي {١٠} كم ٠ وفي الواقع فان مياه نهر شط العرب تتكون من المياه الوافدة إليه من الأنهار الأربعة دجلة والفرات والكرخة إضافة الى نهر الكارون الذي يصب فيه عند ضفته اليسرى بالقرب من مدينة المحمرة والذي يعد الرافد الكبير له ، حيث يزوده بكميات كبيرة من المياه تقدر بنحو {٢٧} مليار م٣ سنوياً تمثل نحو (٣٣%) من مياهه ، بينما لايزوده نهرا دجلة والفرات بأكثر من {خمسة} مليارات م٣ سنوياً على الرغم من حجم وارداتهما السنوية الكبيرة ٠ ويبلغ طول نهر شط العرب من مدينة كرمة علي وحتى مصبه في الخليج العربي نحو {١١٠} كم تقريباً , تشكل الـــ {٨٠} كم الاخيرة منه خط الحدود الدولية بين العراق وايران ، ويبلغ عرضه عند مصبه نحو {٢} كم ٠ وقد بقي هذا الخط يسير في معظمه مع الضفة اليسرى (الشرقية) للنهر حتى توقيع اتفاقية آذار بين الدولتين العام ١٩٧٥ , حيث أعيد ترسيمه بموجبها على أساس الخط الملاحي العميق للنهر (Thalweg) ٠ والواقع ان المشاكل الرئيسة لاستغلال هذا النهر متعلقة بالانشطة الملاحية فيه وأسلوب تنظيمها وصيانتها بين الجانبين , فضلاً عن نقص إيراداته المائية وازدياد نسبة الملوحة فيه تبعاً لذلك بسبب المشاريع المقامة في حوضه من قبل الحكومة الايرانية ، وتحويل مجراه بعيداً عن منطقة مصبه فيه قرب مدينة المحمرة ٠ وهذا بدوره أثر سلبياً على الموانئ العراقية في شط العرب ومراسي السفن , ووسّع من مساحة المياه الاقليمية الايرانية على حساب مساحة المياه الأقليمية لعراقية , كما تسبب بأضرار بيئية وجيولوجية بالغة على الزراعة والأحياء المائية في حوض الشط والمنطقة عموماً (٨٣) ٠ ومما زاد الأمر سوءاً , ان نهر شط العرب يعاني بالأساس من مشاكل تراكم الطمي والغرين السنوي بكميات كبيرة جداً , لاسيما عند مصب نهر الكارون فيه

وعند مصب قناة بهمشير المتفرعة من الأخير في الخليج العربي , مما ساهم بالتالي في انحراف مجرى شط العرب غرباً عند مصبه في الخليج العربي بأتجاه الجانب العراقي وخور عبد الله , الأمر الذي قد يؤدي بلا شك الى إضافة مناطق جديدة وواسعة لأيران على حساب الجانب العراقي فيما اذا جرى ترسيم جديد للحدود على هذا الأساس (٨٤) ٠ وعلاوة على ذلك ، فأن ظاهرة إمتداد اللسان الملحي القادم الى نهر شط العرب من مياه الخليج العربي وتوغله شمالا الى منطقة {أبي فلوس} شمال نقطة المصب السابق لنهر الكارون بمسافة {١٣٠} كيلو متر ، وقيام الحكومة الايرانية في الوقت نفسه بتسليط كميات كبيرة من مياه البزل المالحة والمياه المتخلفة من الأنشطة الصناعية الى بعض الروافد المغذية للنهر أو الى النهر نفسه ، قد أسفرت عن حدوث ظاهرة تلوث كبيرة للبيئة في المنطقة ، وتدهور البيئة الزراعية والحيوانية في محافظة البصرة بشكل كبير لاسيما في محيط المدن والنواحي والقرى العراقية الواقعة على او بالقرب من النهر ، ودون أدنى إكتراث أو شعور بالمسؤولية أو إحترام لمبادئ حسن الجوار من الحكومة الايرانية ٠ فقضاء الفاو على سبيل المثال , يعد من أكثر المناطق العراقية المتضررة من جراء ظاهرة إمتداد اللسان الملحي وتلوث مياه الشط ٠ وقد أسفرت هذه الظاهرة في العام ٢٠٠٨ الى نزوح أكثر من (٣٠٠) أسرة عندما بلغت نسبة التركيز الملحية في مياه الشط نحو (٣٠) ألف جزء في المليون (٨٥) ٠ والواقع إن مسألة ترسيم الحدود الدولية بين العراق وايران في شط العرب أو إعادة تثبيتها او توضيحها في الوقت الحاضر , هي من المسائل المعقدة والصعبة سواء من الناحية الفنية أم القانونية ام التأريخية ، لاسيما وانها كانت من الاسباب المباشرة لأندلاع الحرب العراقية الايرانية في الاعوام ١٩٨٠ ـــ ١٩٨٨ وماخلفته من آثار مدمرة على الجانبين في مختلف الاصعدة ٠ لذلك فنحن نؤيد حسم هذا الموضوع بالنظر الى أهميته الحيوية البالغة للعراق ، شريطة أن يتم حساب ومراعاة جميع التغيرات والتحولات الطبيعية وغير الطبيعية التي طرأت في مجرى النهر وحوضه بأعتبارها أضرت بمصالح العراق وحقوقه الى نحوٍ كبير ٠ وهذا يستوجب بالضرورة إبرام اتفاقية جديدة او تعديل الاتفاقية السابقة لعام ١٩٧٥ بالشكل الذي يعيد هذا الخط الحدودي للمجرى الى وضعه السابق المرسوم طبقاً للأحداثيات المثبتة في تلك الأتفاقيـــة للاحداثيات المثبتة في تلك الاتفاقية ، وبشرط ان لايؤثر إمتداد هذا الخط جنوباً في مياه الخليج العربي على وضعه السابق في العام ١٩٧٥ الذي يجعل كلاً من مينائي العميق والبصرة العراقيين واقعين ضمن البحر الاقليمي العراقي ٠ وهذه مسألة مهمة وخطيرة جداً يتعين على المفاوض العراقي التنبه

والالتفات لها , لأن القول خلاف ذلك يؤدي الى جعل هذين المينائين الحيويين واقعان ضمن المياه الاقليمية لأيران بحسب ما ترغب وتسعى وتدعيه الآن ٠ لذا نرى ان يتم الاتفاق في هذا السياق أيضا وضمن صفقة واحدة ، على ترسيم الحدود البحرية بين البلدين في شمال الخليج العربي في ظل مبادئ حسن الجوار وأحكام اتفاقية قانون البحار لعام ١٩٨٢ , لاسيما ما يتعلق منها بتحديد حدود البحر الاقليمي , بالنظر الى الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع للجانب العراقي , في ظل أزمة ميناء مبارك الكويتي ومشروع ميناء الفاو الكبير , وماخلفته الحرب العراقية الايرانية بين عامي ١٩٨٠ ــ ١٩٨٨ وحرب الكويت العام ١٩٩١ والحرب الاخيرة على العراق في العام ٢٠٠٣ من أوضاع وآثار وقرارت دولية مجحفة بحقوق ومصالح العراق الحيوية بوجه عام وبحقوقه البحرية بوجه خاص ٠ وهكذا يجب أن تتم تسوية موضوع شط العرب الى جانب الملفات الحدودية الاخرى العالقة بين البلدين , كملف الحدود البرية وملف المياه وملف الحقول النفطية المشتركة وملف الأمن في المناطق الحدودية ، والاتفاق عليها جميعا في سلة واحدة وضمن اتفاقية شاملة ٠ وفي الوقت نفسه , يتعين على الحكومة العراقية المضي قدماً في تفعيل وتنفيذ بنود وأحكام معاهدة الحدود الدولية وحسن الجوار المعقودة بين الحكومتين العراقية والايرانية في ٦ آذار ١٩٧٥ المعروفة بـــ (اتفاقية الجزائر) والبروتوكولات الثلاثة الملحقة بها مع ملحقاتها الموقع عليها في بغداد بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٧٥ ، وكذلك تفعيل وتنفيذ بنود وأحكام الاتفاقات الاربعة المكملة لها مع ملحقاتها الموقع عليها في بغداد بتاريخ ٢٦ كانون الاول ١٩٧٥ وكذلك ألرسائل المتبادلة والمحاضر المشتركة ، ومنها بوجه خاص الاتفاق المتعلق بتنظيم الاستغلال المشترك للانهار الحدودية المشتركة بين البلدين , نظراً لخطورة وحساسية موضوع المياه في الوقت الحاضر , ومانجم عن قطع أو تحويل أو تغيير كميات المياه الجارية في هذه الانهار وطبيعتها من قبل الجانب الايراني من آثار بشرية وبيئية واقتصادية فادحة بل ومدمرة للمناطق الحدودية العراقية , كقطع مياه روافد أنهار الزاب الصغير وديالى والوند والكرخة والكارون وغيرها من الأنهار الحدودية ، أو تحويل مجاريها للداخل الأيراني كما أسلفنا ، إو تسريب مياه البزل أو المياه الملوثة أو المالحة أو غير الصالحة باتجاه العراق وخاصة في مواسم الأمطار والفيضان ، وغير ذلك من الأعمال والتجاوزات والمشاريع التي أقامتها إيران في أحواض ومجاري هذه الأنهار والتي أضرت بنحوٍ بالغ ومؤثر وكبير في حقوق العراق فيها ٠

هذه نبذة عامة ومختصرة عن أهم المشاريع المائية المنفذة من قبل الحكومة الايرانية في حوض ومجاري بعض الانهار الحدودية المهمة مع العراق , او التي هي في طور التنفيذ حاضراً او على المدى القريب ٠ اما عن تاثير هذه المشاريع على الحقوق التأريخية الثابتة للعراق في هذه الانهار , فلاشك انها انعكست بآثار سلبية جداً على هذه الحقوق , سواءٌ من حيث كمية المياه الواردة اليه منها ام من حيث نوعيتها , الامر الذي أدى ويؤدي الى آثار خطيرة للغاية وعلى كافة الاصعدة البشرية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية , وهذا ماسنتطرق اليه في الفرع الثاني القادم ٠ وجدير بالذكر , ان الحكومة الايرانية ، وفي الوقت الذي تعمد فيه الى استغلال مياه الأنهار الحدودية المشتركة مع العراق بهذا الشكل الضار بحجة حاجتها المتعاظمة اليها في الداخل , نراها تتفاوض أحياناً وتتفق مع بعض دول الخليج العربي لمدها بالمياه الصافية من بعض هذه الانهار (٨٦) ٠

الفرع الثاني

طرق حل المشاكل القائمة في استغلال مياه الانهار الحدودية

نخلص مما تقدم , إن الانهار الحدودية الجارية بين العراق وايران , تعد بمثابة أنهاراً دولية مشتركة بين هاتين الدولتين , تخضع بالاساس الى أحكام القواعد والأحكام الخاصة بأستغلال مياه الانهار الدولية والتي تجسدت في إتفاقية الامم المتحدة لعام ١٩٩٧ بشأن قانون إستخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية التي سبق الاشارة اليها ٠ تلك المبادئ والقواعد التي تحظر على الدولة المتشاطئة العليا القيام بقطع أو تحويل الجزء النهري الخاضع لسيادتها , أو استغلاله على نحو ضار بالدولة المتشاطئة السفلى , أو بما يحول بين هذه الاخيرة وبين استغلالها للجزء الخاص بها على نحو نافع ومشروع ٠ وعلى هذا فأن أي استغلال إيراني للأنهار الحدودية على النحو السابق , يعد انتهاكاً واضحاً لهذه القواعد , كما ويرتب المسؤولية الدولية المباشرة على الحكومة الايرانية تجاه الاضرار التي تصيب العراق من جرائه ٠ ولذلك يتعذر على هذه الحكومة إن تجد المبررات المقنعة والمقبولة لتصرفاتها هذه , خاصة وان معظم التبريرات التي قدمتها بشأنها , كالادعاء بعدم وجود اتفاق خاص بأستغلال هذه الانهار , او بأن ماتقوم به من أعمال يقع ضمن أراضيها وطبقاً لأختصاصها الداخلي , هي تبريرات تتنافى مع القواعد والمبادئ الدولية المعنية والحقائق الثابتة لهذه الانهار ٠ ومن الجدير أن نشير هنا الى إن إيران قد مرت بشأن استغلال مياه نهر الهلماند الذي تقع منابعه الرئيسة في أفغانستان ويجري في أراضيها بنفس موقف العراق الحالي منها بشأن الانهار

الحدودية , وتمسكت بذات القواعد والحقوق التي يتمسك بها حيالها ٠ كما انها لم تكتف بالحصة المقررة لها في مياه هذا النهر , بل طالبت الحكومة الافغانية بحصة إضافية أكبر (٨٧) ، مع إن إيران في الواقع تعد بلداً غنياً بالمياه ولاتعاني أي نقصاً فيها سواء من حيث كمية مواردها أم نوعيتها ٠ ففيها نحو خمسة آلاف نهر مابين كبير ومتوسط وصغير ٠ أكثرها أنهار جارية على مدار السنة , وبعضها أنهار موسمية يزيد طول (١٧) منها على (٣٠٠) كم ٠ كما إن هناك (١٧) نهر حدودي مشترك دائمي وموسمي مع دول أخرى كتركيا وآذربيجان وأفغانستان وباكستان وتركمانستان , يشكل مجموع أطوالها نحو (١٢٢٧) كم من حدود إيران مع هذه الدول ٠ ويعد نهر آراس الذي يشكل حدوداً بطول (٣٦٠) كم مع آذربيجان أطول هذه الانهار, في حين يعد نهر كنجان جم البالغ طوله نحو (١٠) كم أقصر هذه الانهار ٠ وقد أبرمت إيران عدة اتفاقيات مع هذه الدول لضمان وتأمين حقوقها في مياه هذه لانهار ٠ من بين هذه الاتفاقيات نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

- الاتفاقية الموقعة في موسكو مع الاتحاد السوفياتي (سابقاً) في ١٩٢١/٢/٢٦ التي نصت المادة (٣) منها على تمتع طرفيها بحقوق متساوية في استغلال مياه نهر أتراك (ATRAK) وبقية الانهار والممرات المائية الحدودية المشتركة ٠
- الاتفاقية الموقعة مع تركيا عام ١٩٥٥ والتي حصلت ايران بموجبها على نحو (١ر٨) مليون م٣ من مياه رافدي ساراصو وكاراصو اللذان ينبعان من الاراضي التركية بأتجاه أراضيها ٠
- المعاهدة الموقعة في ١٩٥٧/٨/١١ مع الاتحاد السوفياتي (سابقاً) بشأن استغلال نهر آراس (ARAS) والتي نصت على التعاون في مجال الارواء وتوليد الطاقة الكهربائية وتشكيل لجنة فنية ثنائية لتنفيذ وادارة المشاريع المائية المشتركة بينهما (٨٨) ٠

ونستطيع القول دون أدنى شك , بأن استغلال الحكومة الايرانية لمياه الانهار الحدودية المشتركة مع العراق على النحو الذي مر بنا وماسبّبه او يسبّبه من أضرار وخسائر كبيرة للعراق , يعد انتهاكاً سافراً للقواعد الدولية المتعلقة بهذا الأستغلال , بالنظر الى وجوب تقيدها بأحكام الاتفاقات المعنية بين الطرفين ، ووجوب إحترامها للأعراف التي استقرت منذ مدة طويلة بشأن استغلال هذه المياه , وعدم تجاهلها للحقوق التأريخية والثابتة التي إكتسبها العراق في هذه الانهار منذ القدم , فضلاً عن وجوب مراعاتها لمبادئ حسن النية وعلاقات حسن الجوار وعدم التعسف في استعمال الحق التي يجب سيادتها في العلاقات الدولية ٠ فقد تبين لنا

مما سبق , إن ماقامت به السلطات الايرانية من إستغلال غير مشروع لمياه الانهار الحدودية , يمثل تجاوزاً واضحاً على حقوق العراق المكتسبة عبر التأريخ في هذه الانهار , والتي تأكدت على نحو صريح في اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ , فضلاً عما ورد في بروتوكول علم ١٩١٣ ومحاضر لجنة عام ١٩١٤ المارة الذكر ٠ حيث تجاهلت السلطات الايرانية القواعد الاتفاقية الواردة في هذه النصوص ، كما انها لم تراع قواعد العرف المحلي السائدة منذ عهد طويل , ولم تحترم مبادئ القانون العامة والحقوق المكتسبة المعترف بها في نطاق القانون الدولي , بل قامت في محاولة منها للأستئثار والأستحواذ على مياه هذه الأنهار وتسخيرها لخدمة مصالحها وأهدافها , بتحويل مجاري بعضها الى داخل أراضيها , وانشاء عدد من المشاريع الاروائية على بعض آخر لغرض إستغلال مياهها العذبة على أوسع نطاق ممكن وإطلاق مياه التصريف المالحة عوضاً عنها ٠ وقد أدت هذه التصرفات كما تبين لنا , الى الحاق أضرار جسيمة بالمناطق الحدودية في العراق , تمثلت في انخفاض مساحات الاراضي الزراعية وتقلص انتاجها السنوي المعتاد تبعاً لذلك , فضلاً عن هلاك الجزء الأكبر من بساتين النخيل والحمضيات المثمرة ٠ كما أثر ذلك أيضاً في الحياة المعيشية لسكان هذه المناطق وفي الثروة الحيوانية فيها , مما أدى في النهاية الى إضطرار قسم كبير من هؤلاء السكان الى الهجرة والرحيل الى مناطق أخرى ذات مستوى معيشي أفضل ٠ وفـــي الواقع , فأن أي مشروع مائي يقام من قبل إيران بأعتبارها دولة المنبع في حوض الانهار الحدودية المشتركة يؤثر بشكل مباشر على الحقوق المائية للعراق بأعتباره دولة المصب , إستناداً الى حقائق علمية ثابتة هي ان نقص كل مليار متر مكعب من حصة العراق المائية في هذه الانهار , يؤدي الى اخراج نحو {٢٦٠} ألف هكتار من الاراضي الزراعية فيه ٠ فلو فرضنا مثلا , ان مجموع الاستغلال الحالي لأيران هو عشرة مليارات م٣ من مياه الانهار سنوياً وانها بصدد زيادته الى عشرين مليار م٣ , فأن مقدار الزيادة هذا البالغ عشرة مليارات متر مكعب سيحسم يالنتيجة من حصة العراق في هذه المياه , على أساس ان الواردات السنوية للأنهار هي واردات محدودة وثابتة نسبيا ٠ لذلك كان لابد من التوصل سريعاً الى عقد اتفاقية ثنائية مع إيران قبل ان تستكمل مشاريعها المائية الحالية والمستقبلية ، تحدد بشكل واضح وقاطع ونهائي حصة كل طرف في مياه هذه الأنهار وكل على حده (٨٩) ٠

وإستناداً الى الحقائق السابقة , فان العراق من جانبه قد حرص في أكثر من مناسبة وإنطلاقا من وعيه بحقيقة هذه الاخطار وحجمها وأبعادها , على إجراء العديد من المفاوضات

والمباحثات واللقاءات الثنائية مع إيران من أجل التوصل الى اتفاق من هذا النوع يحدد الحصص المائية في كل نهر على اساس عادل ومعقول ٠ كما سعى من خلال هذه الجهود الى وضع الحلول العملية لعدد من المسائل الاخرى المتعلقة باستغلال المياه , كأسبقية إنشاء السدود والخزانات وطريقة تشغيلها ووقت إملائها , وكيفية تقسيم الزيادة اوالنقص الذي يطرأ على الوارد المائي , وكيفية تصنيف الاراضي الصالحة للزراعة , وغيرها من المسائل الاخرى ٠ ومع ذلك , فقد أخفقت هذه الجهود في إيجاد الحلول الحاسمة والجذرية لهذه المواضيع والتوصل الى اتفاق دائم بشأنها , ويعود ذلك في الحقيقة الى تعنّت الجانب الايراني ومماطلته وتهربه وعدم جديته في التوصل الى اتفاق ثنائي مع العراق بهذا الشأن , ورغبته في تأجيل ذلك الى أطول فترة ممكنة , حتى يستكمل مشروعاته الاروائية والخزنية ضمن أحواض الانهار ويجعل العراق أمام الامر الواقع ، ولكي يمهد لأنجاز مشروعات تنموية اخرى تمكنه من خلق واقع زراعي جديد يرتب له حقوقاً مائية اضافية في هذه الانهار ٠ وهكذا بقيت مشكلات استغلال هذه الانهار قائمة لحد الان دون التوصل الى اتفاق بشأنها ٠

وفي الواقع ، إننا لو حاولنا تحليل الموقف الأيراني هذا على نحو متأن , لوجدنا بان سبب تعنت الجانب الايراني إنما يرجع في الاساس الى إعتقاده او ادعائه بأنه يتمتع بحق سيادي مطلق على الانهار الحدودية ضمن حدود بلاده ، بوصفها أنهار وطنية خالصة تنبع من أراضيه وليست أنهار دولية , الامر الذي يعطيه ــ بحسب رأيه ــ الحرية الكاملة في التصرف في مياهه وفق ماتقتضيه مصالحه , ودون الالتفات الى مصالح الدولة المتشاطئة الاخرى وحقوقها ٠ وواضح من هذا الاعتقاد او الزعم انه يتنافى مع المبادئ والقواعد الدولية التي تحكم هذا الموضوع في محيط العلاقات الدولية , كما انه لايعدو عن كونه تعبيراً حقيقياً عن نظرية السيادة المطلقة التي نادى بها بعض الفقهاء القدامى المتعصبين وطواها الزمن منذ مدة طويلة ٠ إذ لاشك إن هذا الادعاء هو إدعاء ضعيف جداً لايصمد أمام الحقائق الطبيعية الثابتة للأنهار الحدودية من جهة , ولاينسجم بحال من الاحوال مع مبادئ وقواعد القانون الدولي التي بيناها من جهة اخرى ٠ فمياه كل نهر تجري منذ الأزل في مجارٍ طبيعية متكاملة لايمكن اهمال أي جزء منها أو إسقاطه ، بأعتبار إن لكل نهر كيان طبيعي واحد إبتداءاً من منبعه حتى مصبه , ولذلك يجب أن يعامل على هذا الأساس بوصفه وحدة اقليمية واحدة بصرف النظر عن الحدود السياسية المصطنعة بين الدول ٠ هذا من ناحية , ومن ناحية اخرى فان منابع الانهار الحدودية المشتركة موضع الدراسة لاتقع بكاملها داخل الاراضي الايرانية وإنما هناك منابع او روافد

اخرى لها داخل الاراضي العراقية ٠ وعلى هذا , فان إعتقاد إيران بوجود منابع الانهار الحدودية كاملة في أراضيها هو إدعاء يجانب الواقع الطبيعي لها ٠ اما عن مخالفة الادعاء الايراني للقواعد الدولية المعنية بتنظيم إستغلال مياه الأنهار الدولية , فيكمن في إن تعريف النهر الدولي وفقاً لهذه القواعد وكما مرّ بنا ينطبق على النهر الذي يجتاز او يفصل بين اقليمي دولتين او اكثر ٠ حيث تمارس كل دولـــــــــــة متشاطئة اختصاصها الاقليمي على الجزء النهري الجاري في اراضيها بالشكل الذي لايتعدى على حقوق ومصالح الدول الاخرى المتشاطئة على هذا النهر ٠ وقد صيغ هذا التعريف بشكل او بآخر في معظم الاتفاقيات الشهيرة المتعلقة بالانهار الدولية , كاتفاقية فينا لعام ١٨١٥ , واتفاقية برشلونة لعام ١٩٢١ , فضلاً عن عدد كبير من القرارات والاحكام الصادرة بهذا الشأن عن محاكم التحكيم والقضاء الدوليين ٠ كما ان الفقه الدولي { فقهاء ـــــ جمعيات ومعاهد قانونية } يأخذ بهذا التعريف منذ مدة طويلة (٩٠) ٠ أما اتفاقية قانون استخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية لعام ١٩٩٧ والتي جاءت بعد جهود حثيثة طويلة ومضنية للجنة القانون الدولي التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة كما سبقت الأشارة إليها من قبل , فقد أعطت معنىً واسعاً للنهر الدولي (أو بحسب تعبيرها المجرى المائي) يتفق مع المعنى الذي بيناه في ردنا على الحجج الايرانية ٠ اذ عرفت الفقرة (أ) من المادة (٢) من هذه الاتفاقية المجرى المائي , بانه { شبكة المياه السطحية والمياه الجوفية التي تشكل بحكم علاقتها الطبيعية بعضها ببعض , كلاً واحداً وتتدفق عادة صوب نقطة التقاء مشتركة } ٠ كما عرفت الفقرة {ب} من المادة نفسها المجرى المائي الدولي بانه { أي مجرى مائي تقع اجزاؤه في دول مختلفة } ٠ أما الفقرة {ج} منها , فعرفت دولة المجرى المائي الدولي بانها { دولة طرف في هذه الاتفاقية , يقع في اقليمها جزء من مجرى مائي دولي ٠٠٠ } ٠ وهذا في الواقع تجسيد واضح لما طرأ على الفقه الدولي الحديث الذي أحل فكرة الحوض المائي الدولي او الشبكة المائية الدولية محل الفكرة القديمة للنهر الدولي , بحيث شملت جميع مياه الحوض النهري بوصفها وحدة طبيعية متكاملة دون أن تقتصر على مياه المجرى الرئيس للنهر , سواء أكانت هذه المياه سطحية ام جوفية (٩١) ٠ وبتعبير آخر ، فأن مفهوم الحوض الطبيعي للنهر هو الذي يشمل جميع مياه النهر المتصلة ببعضها أتصالاً طبيعياً سواء كانت مياهاً سطحية أم جوفية ، كما يشمل جميع المجاري الرئيسة والثانوية للنهر سواء أكانت من الروافد الأنمائية للمياه أم من الفروع الموزعة لها ٠ لذلك يكفي في الفقه

الدولي المعاصر لأعتبار حوض النهر دوليا , ان يكون أحد روافده جاريا بين اقليمي دولتين او أكثر (٩٢) ٠

ومن هذا نخلص ونكرر القول بأن الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران هي أنهار دولية تخضع في إستغلالها الى أحكام القانون الدولي , بحيث لايجوز لدولة متشاطئة فيها ان تمارس سيادة مطلقة على الجزء النهري الجاري في أراضيها دون الالتفات الى حقوق ومصالح الدولة الاخرى ٠ ولاشك في ان إستغلال إيران لمياه الانهار الحدودية مع العراق على النحو المتقدم , وما سببه او سيسببه من أضرار وخسائر جسيمة للعراق بل ومهددة للحياة فيه على المديين المنظور وغير المنظور , يعد تعسفاً منها في إستعمال حقها في هذه المياه وإنتهاكاً واضحاً للقواعد العرفية والمبادئ الدولية التي ذكرناها من قبل فضلاً عن القواعد ألأتفاقية ، لاسيما وان أحكام إتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ المتعلقة بهذا الموضوع ـــ وقبلها بروتوكول الأستانة لعام ١٩١٣ ومحاضر جلسات لجنة تخطيط الحدود لعام ١٩١٤ ـــ قد أكدت صراحةً على ضرورة مراعاة كل طرف حقوق الطرف الثاني عند استعماله لحقوقه ، وعلى وجوب إحترام كـــل منهما المبادئ والقواعد العرفية والتعامل الجاري القديم والتقيد بأحكامها في المسائل التي لم يرد نص بشأنها في تلك الأتفاقية (٩٣) ٠ والجدير أن نشير هنا، الى أن عناصر قيام المسؤولية الدولية المدنية بالتعويض قد تتحقق عند حدوث أي خرق أو إنتهاك لهذه القواعد أو المبادئ أو إعادة الحال الى ماكان عليه قبل وقوع الخرق أو الانتهاك ، لاسيما وان المجتمع الدولي ممثلاً بمنظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي التابع لها على وجه التحديد لايمكن أن يتغاضى عن الأنتهاكات التي يمكن أن تشكل تهديداً جدياً للأمن والسلم الدوليين أو أحدهما وفقاً لأحكام ميثاق هذه المنظمة لعام ١٩٤٥ أياً كان كان المسؤول عنها ، بالنظر لخطورة ذلك ومايترتب عليه من أضرار بشرية وبيئية وأجتماعية وأقتصادية بالغة وجسيمة سواء أكانت متحققة أم محتملة ٠ وهذا ما أكدت عليه لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة بشأن المسؤولية الدولية في قانون الانهار الدولية تحت أسم (المسؤولية عن النتائج الضارة عن أفعال لايحظرها القانون الدولي) ٠ الأمر الذي يعني إمكانية تحمل كل دولة متشاطئة في نهر دولي المسؤولية ألدولية عن الاضرار ألخطيرة التي يمكن أن تصيب دول متشاطئة أخرى اذا ماتم إثبات نسبة تلك الاضرار اليها (٩٤) ٠

وإستناداً الى كل ماتقدم , يمكن القول بان إيران تتحمل المسؤولية الدولية المباشرة عن تعويض أي اضرار خطيرة تصيب العراق من جراء سياستها المائية في استغلال مياه الانهار

الحدودية المشتركة معه , طبقـــــــــــاً لقواعد المسؤولية الدولية , وما تمليه مبادئ العدل والانصاف بهذا الشأن ٠ وهذا ما أشارت اليه المادة (٧) من اتفاقية الامم المتحدة لعام ١٩٩٧ المارة الذكر المعنونة (الالتزام بعدم التسبب في ضرر ذي شأن) في فقرتها (الثانية) ٠

ويجدر بنا ونحن نختتم الكلام عن هذا الموضوع ، أن نؤكد مرة أخرى , على ضرورة الاسراع في عقد إتفاقية ثنائية جديدة وواضحة بين البلدين ، تنهي بصورة عادلة ومنصفة مشاكل الحدود القائمة بينهما منذ أمد طويل , وتعمل على إزالة أسباب التوتر والخلاف القائم بينهما ، من خلال تنظيم موضوع تقاسم مياه الانهار الحدودية المشتركة بينهما ، بالصيغة التي تبين بشكل واضح وبصورة ثابتة وقاطعة الحصص المائية لكل منهما في كل نهر , وتضع الاسس العادلة والمعقولة لتنظيم استغلالها بين الطرفين ، بقصد الوصول الى حلول ناجعة ومنصفة تعالج المشاكل الناجمة عن هذا الأستغلال بشكل نهائي ، وبما يضمن حقوق البلدين الجارين ، سواء تم ذلك على نحوٍ مستقلٍ عن طريق عقد هذه الأتفاقية وهذا مايستحسن بالطبع , أم تم بصيغة بروتوكول منفصل أو ملحق بها ٠ ونعتقد ان مسألة تحديد أو تقدير الحصص المائية للأنهار الحدودية أمر يمكن تحقيقه أو الوصول اليه ٠ فمن أجل التعرف على المقدار الطبيعي لحصة العراق المائية في كل نهر من الانهار الحدودية مثلاً , لابد لنا ان نقف أولاً على مقدار المعدل السنوي لوارداته المائية الداخلة الى أراضيه خلال الاعوام السابقة , والتي تمثل الاساس الحقيقي في تحديد حقوقه المائية في هذا النهر ٠ فعلى سبيل المثال , بلغ المعدل السنوي لأيراد نهر الزاب الصغير من المياه نحو (٧/٣٩) مليار م٣ , منها نحو (٤٠%) تأتي من إيران ، على الرغم من ان مساحة حوضه فيها لاتشغل سوى (٢٥/٢٦%) من مجموع مساحته الكلية (٩٥) ، في حين بلغ المعدل السنوي لأيراد نهر كنجان جم من المياه الداخلة الى العراق نحو (٣٩٠) مليون م٣ , ومن نهر كافي رود نحو (٢٢٥) مليون م٣ وهكذا (٩٦) وفضلاً عن ذلك ، ينبغي على الطرفين عند تعيين الحصص المائية , أن يراعيا حالة كل نهر وخصوصيته على حدة , بحيث يتم تنظيم استغلال مياه كل نهر وفقاً للخصائص الجغرافية والطبيعية له , وما أشارت اليه القواعد الاتفاقية وجرى عليه التعامل المحلي القديم ٠ وبناءاً على ماتقدم ، وإنسجاماً مع قواعد ومبادئ القانون الدولي , وإسترشاداً بأحكام إتفاقية الامم المتحدة لعام ١٩٩٧ المذكورة آنفا والأتفاقيات الدولية ذات الصلة , يتعين تضمين ألأتفاقية الجديدة المزمعة أو البروتوكول الملحق أو المكمل لها النقاط الاساسية الاتية :

أولا : تحديد حصة مائية ثابتة وواضحة لكل من الجانبين في مياه هذه الانهار استناداً الى الاستغلال السابق لهذه المياه ووفقاً لمساحة حوض كل نهر من هذه الأنهار وطول مجراه في اقليم كل منهما , على أن تكون حصة العراق المائية في كل نهر ثابتة ومستقلة عن حصصه المائية في الانهار الاخرى ٠ ويتعيـــن الأخــذ بنظر الاعتبار عند إحتساب هذه الحصص , الواقع الزراعي في كل دولة , كمساحة الاراضي الصالحة للزراعة او التي سيتم إصلاحها مستقبلاً ، وطبيعة المحاصيل الزراعية ، وما يحتاجه الدونم الواحد من المياه , ومقدار الضائعات المائية السنوية , فضلاً عن الصناعات القائمة على مياه هذه الأنهار , والكميات اللازمة لسد حاجات السكان منها ، مع مرعاة العوامل المناخية والجغرافية لكل من الدولتين , كدرجات الحرارة والرطوبة ومعدلات سقوط الامطار ٠ كما يجب مراعاة طريقة توزيع الزيادة أو تحمل النقصان اللذين قد يطرءان على مياه الانهار ٠

ثانياً : إمتناع الجانب الايراني عن القيام بأي عمل انفرادي في أحواض الانهار ، من شأنها الاضرار او التهديد بأحداث أضرار في العراق ٠ كأحداث تغييرات في النظام المائي لهذه ألأنهار او لروافدها أو تحويل مجاريها الطبيعية الى الداخل الايراني ، او التأثير في كمية مياهها او نوعيتها ٠ ومنها كذلك (بل وفي مقدمتها) القيام بتنفيذ مشاريع مائية كبرى في أحواض تلك الانهار ذات آثار خطيرة او كارثية على الواقع البيئي والمعيشي للعراق ٠

ثالثاً : تلتزم الحكومة الايرانية عند اعتزامها القيام بمشروع مائي في أحواض الانهار الحدودية من شأنه الاضرار بحقوق العراق ومصالحه ، أن تقوم في أقرب وقت ممكن بأطلاعه على طبيعة هذا المشروع ومواعيد البدء بتنفيذه وإكماله وتشغيله ومايمكن أن يطرأ عليه من تغييرات او تعديلات , فضلاً عن تزويده بالمعلومات والبيانات والمواصفات الفنية وغير الفنية المتعلقة به , بالقدر الذي يتيح له التعرف عليه على نحو كافٍ ٠ وفي حالة اعتراضه عليه ، فأن على ايران أن تتوقف عن تنفيذه مالم تتفق معه على خلاف ذلك , كما ان عليها ان تتعهد له في الوقت نفسه , عن استعدادها للتعويض عن أي أضرار او خسائر يسببها له هذا المشروع ٠

رابعاً : إنشاء لجنة فنية مشتركة بين الطرفين للأشراف الدائم على حسن تنفيذ بنود هذه الاتفاقية ويتعين على هذه اللجنة ان تراقب كمية المياه الواردة من كل نهر في النقاط الحدودية ونوعيتها, عن طريق انشاء محطات حديثة للرصد والقياسات المائية ونصبها , والقيام بالمشاهدات الميدانية او الاعمال الاخرى التي تمكنها من أداء عملها على الوجه الأكمل ٠ وعلى إيران ان

تقوم على نحو دوري وتلقائي بأطلاع اللجنة على مشروعات الانهار التي تجرى من قبلها , وان تتقيد بجميع التدابير والاجراءات اللازمة التي توصي بها ضمن هذا الاطار ٠

خامساً : التزام الجانب الايراني بالتعاون بروح من حسن النية وعلاقات حسن الجوار في جميع المسائل المتعلقة باستغلال الموارد المائية للأنهار الحدودية ٠ ومنها التزامه ببذل قصارى جهده في الحفاظ على كمية هذه الموارد ونوعيتها , والعمل على تطويرها وتنميتها وحفظ بيئتها الطبيعية ٠ وتحقيقاً لهذه الغاية , فأن عليها ان تتعاون مع العراق على تبادل المعلومات والخبرات والبيانات المتصلة بهذا الموضوع , وان تسعى الى انشاء مؤسسات او هيئات او أجهزة فنية مشتركة تقوم بأدارة هذه الموارد واجراء الدراسات والابحاث والمسوحات الخاصة بها , فضلاً عن تهيئة البرامج والخطط الكفيلة بتحقيق هذه الاغراض ٠ ولهذه المؤسسات والهيئات أن تستعين بالمنظمات والوكالات الاقليمية او الدولية المختصة بما تقدمه من خبرات في هذا المجال ٠ فضلاً عن ذلك , فأن على الدولتين , ان تلتزما بالتعاون فيما بينهما , على حماية مياه الانهار من أي تلوث ضار بالصحة العامة او البيئة الطبيعية او بأحد الاوجه المفيدة لأستغلال المياه ٠ ولهما في سبيل تحقيق هذه الغاية , أن ينشئا على نحو مشترك او منفرد , هيئات او لجان متخصصة , تقوم بالتعاون ـــــ مع الجهات الاقليمية او الدولية ذات العلاقة ـــــ بفحص وتدقيق دوريين لمياه الانهار الحدودية , وتقديم المشورات والتوصيات الملائمة والمناسبة بشأنها , بغية اتخاذ التدابير والاجراءات اللازمة لمنع وقوع تلوث فيها او الحد منه على أقل تقدير ٠

سادساً : النص على تسوية المنازعات التي تحصل بين الطرفين بشأن استغلال مياه الانهار الحدودية او أي مشكلة أخرى متعلقة بها تسوية سلمية وبشكل ودي ، وتحديد الطرق والوسائل التي يتعين على الطرفين سلوكها في هذا السبيل ٠ كأن ينص على وجوب لجوءهما أولاً الى طريق المفاوضات او الوساطة او التوفيق او غيرها من الوسائل السلمية التي تحددها الاتفاقية ، على ان يكون لهما عند تعذر الوصول الى حل للنزاع بهذه الطرق , ان يرفعا نزاعهما الى التحكيم او القضاء الدوليين بحسب مايتفقا عليه ٠

وفي الوقت الذي نطمح فيه الى عقد مثل هذه الاتفاقية لضمان حقوق العراق في استغلال مياه هذه الانهار وتأمين حصته المائية في كل منها , نتمنى على السلطات العراقية المختصة وتفادياً لأي طارئ , أن تنتهج اسلوب الاستغلال الأمثل للمياه المتوافرة ، وترشيد الاستخدامات المتعددة لها ٠ وهذا يتأتى من خلال تركها الأساليب القديمة التي تؤدي الى هدرها وضياعها

خاصة في عمليات الري , والعمل على الأخذ بالاساليب العلمية المتطورة والحديثة التي ثبت نجاحها وفائدتها ٠ كما يتعين على هذه السلطات أن تعطي اهتماماً متميزاً لمشاريع الخزن الستراتيجي لمياه الانهار ، وإنشاء السدود وألأنفاق والقنوات اللازمة للسيطرة عليها وخزنها ونقلها وتوزيعها وحفظها من الضياع أو التبذير ٠ وعليها أن تستفيد في ذلك , من السنوات التي تزيد فيها الواردات المائية للأنهار على معدلاتها الطبيعية خلال فصلي الشتاء والربيع ٠

مما تقدم نخلص الى ان الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران هي أنهار دولية طبقاً لكل القواعد الدولية الاتفاقية والعرفية ومبادئ القانون لعامة الراسخة في هذا المجال بين الدول المتشاطئة في الانهار الدولية , وان لكل واحد من هذه الانهار حوضاً مائياَ وخصائص طبيعية يستقل بها عن بقية الانهار الأخرى أو يشترك معها فيها ٠ وانها بهذه الصفات الدولية والطبيعية والجغرافية والتأريخية , ترتب لكل من الدولتين حقوقاً مائية متقابلة وثابتة , لايجوز لأي منهما المساس بها او إنقاصها او التأثير عليها باي شكل من الاشكال او تحت أي ذريعة او ظرف , الا بالاتفاق المسبق بينهما ٠ ولما كان العراق واقعاً في أسفل حوض هذه الانهار أو يمثل الجانب الاسفل لمجاريها الطبيعية { دولة المصب } , لذلك يعد المتأثر الاول والمباشر من أي مشروع صناعي او إروائي مقام من قبل الحكومة الإيرانية في أحواضها أو في مجاريها ٠ ومما يزيـــــــد الطين بلة في تعاظم آثار وتداعيات هذا الواقع المرير وزيادة شحة الموارد المائية في العراق ، هو نشوء ظاهرة التغير المناخي والأحتباس الحراري وتفاقمها في العقدين الاخيرين بشكل واضح وتأثير ذلك على دول المنطقة ومنها العراق بطبيعة الحال الذي عانى في السنوات الأخيرة من انخفاض واضح في معدلات الرطوبة وأرتفاع درجات الحرارة ومعدلات الجفاف ، لاسيما في فصل الصيف اللاهب الذي قد تزيد درجة الحرارة فيه عن الخمسين درجة ٠ فقد بلغ متوسط هطول الامطارالى {٢٣٠} ملم/ في السنة خلال عقد التسعينات من القرن المنصرم , ثم إنخفضت معدلات تساقط الامطار خلال عامي ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨ لتصل الى {١٢٠} ملم / في السنة في مدة لاتزيد على {٤٠} يوماً في أغلب مناطق العراق عدا المناطق الشمالية التي تصل الى {٧٠} يوماً , الامر الذي أثر بصورة سلبية على حجم الموارد المائية السطحية وتغذية المياه الجوفية وأنذر في ظهور أزمات مائية خطيرة ، فضلاً عن انتشار ظاهرة التصحر واتساعها يوماً بعد يوم ، حتى قيل أنها قد تصل في الوقت الحاضر نحو {٨٠%} من مساحة العراق الاجمالية (٩٧) ٠ واذا ما علمنا إن اجمالي احتياجات العراق السنوية من المياه المطلوب تأمينها في مختلف الانشطة والاغراض ومع

ازدياد أعداد السكان فيه بشكل مضطرد تقدر باكثر من {٧٤} مليار م٣ ابتداءاً من عام ٢٠٠٠ , ونحو {١٠١} مليار م٣ إبتداءاً من عام ٢٠٢٠ من دون احتساب فواقد التبخر من الخزانات والمسطحات المائية , فأننا سندرك حتماً حجم وأبعاد الكارثة الكبيرة التي تنتظر هذا البلد العريق لاقدر الله (٩٨) ٠

واذا كانت الحكومة الايرانية لاتكترث بوجود قواعد قانونية دولية عامة وخاصة تنظم موضوع استخدام مياه الانهار الحدودية المشتركة مع العراق ، ولا تعبأ حتى بوجود قواعد عرفية دولية تنظم هذا الموضوع , فأن ذلك لايمنع من مقاضاتها أمام محاكم القضاء أو التحكيم الدوليين ، ومسائلتها طبقاً لقواعد المسؤولية الدولية المعروفة في القانون الدولي عن تعويض أي أضرار ذات شأن تلحق بالعراق من جراء النقص الحاد والمستمر لحصصه المائية في الانهار الحدودية المشتركة معها بل وإنعدامها تماماً كما هو الحال الآن في بعض هذه ألأنهار , او حتى عن رداءة نوعية المياه الواردة اليه منها أو تلوثها ٠

وعلى الرغم من تأخر الحكومة العراقية في هذه المعالجات , الا إنها أحسنت صنعاً حينما قامت أخيراً بتأسيس مجلس أعلى للمياه برئاسة رئيس مجلس الوزراء وعضوية وزيري الموارد المائية والزراعة وعدد من الخبراء والمختصين في مجال المياه ٠ ومن المهام الرئيسة لهذا المجلس هي رسم سياسة توزيع المياه بين المحافظات , وضمان توفير حصص مياه كافية للاستخدامات الاروائية والخدميـــة ٠ ومن المؤمل أن يدعم هذا المجلس خطوات الحكومة في إبرام إتفاقيات دولية مع دول الجوار المشتركة مائياً مع العراق بغية مكافحة الجفاف الذي يهدده ٠ كما إن هناك مشروع قانون أعدته وزارة الموارد المائية لهذا الغرض لرسم سياسة الموارد المائية الداخلية وتنظيمها بما يضمن توزيعها توزيعاً عادلاً بين المحافظات والاقاليم ٠

واذا كانت علاقات الدول تبنى على أساس تحقيق المصالح القومية لكل منها دون المساس بحقوق ومصالح الدول الاخرى , فأن للعراق تحقيقاً لمصالحه الوطنية أكثـــــرمن ورقة ضاغطة باتجاه دفع إيران على الجلوس على مائدة المفاوضـــــات والخروج بصيغة اتفاقية معينة بصدد هذا الموضوع , لاسيما وانه يمتلك ثروات وطنية هائلة وموقع استراتيجي متميز , ولديه خطط ومشاريع اقتصادية ضخمة وواعدة ومتنوعة , فضلاً عن حاجة إيران المستمرة للعراق في أكثر من موضوع كالأمن والتجارة والحدود والسياحة الدينية وعمل الشركات الأيرانية فيه ، وتصدير السلع والمنتجات المختلفة اليه , وغير ذلك من المسائل المهمة الاخرى التي يمكن توظيفها لخدمة المفاوض العراقي ٠

خاتمـــــة البحـــــث

تبين لنا في هذا البحث مدى أهمية موضوع أستغلال مياه الأنهار الدولية لغير الملاحة حاضراً ومستقبلاً بعد ان وضع العلم الحديث تحت تصرف الدول في هذا المضمار قدرات وطاقات هائلة أسهمت الى حد كبير في تطوير أساليب وأغراض هذا الأستغلال وانتقالها من التركيز على بعض الأنشطة القديمة كالملاحة والصيد وتعويم الأخشاب الى الاهتمام بمجالات اخرى أكثر قيمة وفائدة ، كتوليد الطاقة الكهربائية المشاريع الاروائية الكبرى ومد المدن والمنشأت الصناعية بالمياه اللازمة وغيرها من الأستخدامات الأخرى ٠ وإذا كان أستغلال الأنهار الدولية ينطلق في الماضي من مفهوم السيادة المطلقة الذي يجيز للدولة التي يخضع لسيادتها جزء من نهر دولي بأن تتصرف تجاه هذا الجزء بحرية تامة وبأرادتها المنفردة فقط دون ان يكون للدول االمتشاطئة الأخرى التي يجري النهر في أقاليمها حق الأعتراض عليه ، فأن هذا المفهوم لم يعد مقبولاً الان في ظل العلاقات السياسية المتداخلة والمصالح الأقتصادية المتشابكة بين الدول ، كما لم يعد يتماشى مع مبادئ القانون الدولي المعاصر القائمة على مبدأ السيادة المرن وأسس التعاون المشترك وحسن الجوار وعدم إضرار الآخرين ، وبأعتباره مفهوماً نابعاً من روح الفردية القائمة على الفكرة التقليدية للملكية الخاصة التي يمكن أن تقود الى حالة من الفوضى والأضطراب في مجال أستغلال المياه الدولية أو في غيره من المجالات، والتسبب في نشوب خلافات مستمرة بين الدول المتشاطئة وربما الى صراعات خطيرة فيما بينها تهدد الأمن والسلام العالميين . ولهذا كله فقد رفض هذا المفهوم من قبل الفقه والقضاء المعاصرين وعلى مختلف الأصعدة الدولية والأقليمية والوطنية ، وتم تبني أتجاه آخر أكثر توافقاً مع الواقع المتطور في العلاقات الدولية الراهنة ، وأكثر انسجاماً مع روح العدالة والأنصاف والمعايير المنطقية السليمة . ويدعو هذا الأتجاه الى تقييد سيادة الدولة المتشاطئة في نهر دولي الى الحد الذي يضمن حقوق بقية الدول في النهر ولا يمثل مساساً أو تهديداً جدياً لها . وعلاوة على هذا فقد ظهر في الآونة الأخيرة مفهوم فقهي حديث تبنته لجنة القانون الدولي التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة خلال إعدادها لإتفاقية الامم المتحدة لعام ١٩٩٧ بشأن قانون إستخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية ، وهو مفهوم الحوض الطبيعي للنهر أو الشبكة المائية الدولية للنهر الذي يعد النهر الدولي (بكل أجزائه من منابع وروافد وفروع) وكأي نهر طبيعي آخر ، أنما يمثل قبل كل شيء وبصرف النظر عن أقاليم الدول التي يجري فيها أو يحادد بينها ، وحدة طبيعية متكاملة ومترابطة ، غير قابلة للتجزئة .

ولقد تأكد لنا في هذا البحث أيضاً ، ان الاتفاقيات الدولية العامة منها والخاصة هي المصدر الرئيس الأول والأفضل في تعيين وتحديد القواعد المتعلقة بأستغلال الأنهار الدولية لغير الملاحة ، نظراً لما تمثله هذه الأتفاقيات من توافق صريح لأرادات الدول بشأن احداث مراكز قانونية متقابلة فيما بينها ، سواء تعلقت بتحديد حقوق أم بترتيب التزامات . ومع هذا فأن عدم وجود مثل هذه الأتفاقيات لا يعني البتة عدم وجود قواعد دولية تنظم هذا الأستغلال ، بل ان هناك في الواقع جملة قواعد قانونية قد استقرت في محيط العلاقات الدولية وتم الأعتراف بها وتطبيقها على نطاق واسع في العالم . وتعد الأعراف الدولية بهذا الخصوص من أقدم المصادر التي تستند أليها هذه القواعد وأكثرها تطبيقاً من الناحية العملية . كما تجد هذه القواعد أساسها أيضاً في المبادئ العامة للقانون التي ثبتت وأقرت بين الدول ، وفِي مقدمتها مبدأ الحق المكتسب ومبدأ عدم جواز التعسف في أستعمال الحق ومبدأي حسن النية وحسن الجوار . فضلاً عن ذلك ، فقد جرى الأقرار بهذه القواعد والعمل بها من لدن محاكم التحكيم والقضاء الدوليين ، والمحاكم العليا في الدول الأتحادية ، فضلاً عن أقرارها في آراء كبار الفقهاء والكتاب الدوليين ، وفِي المقررات الصادرة عن المعاهد والجمعيات القانونية الدولية والأقليمية. كما يتردد صداها أيضاً في ظل مبادئ العدل والأنصاف التي يمليها الشعور الأخلاقي والضمير الأنساني بضرورة تحقيق العدالة والمساواة بين جميع الدول المتشاطئة في نهر دولي . اما أهم الأحكام المستخلصة من هذه القواعد ، فيمكن إيجازها على الوجه الآتي :

١ ـــــ يمثل النهر الدولي أبتداءً من منبعه حتى مصبه وبصرف النظر عن الدول التي يجري فيها ، وحدة طبيعية متكاملة ومترابطة غير قابلة للتجزئة.

٢ ـــ تتمتع كل دولة متشاطئة بحصة عادلة ومعقولة من مياه النهر لا يجوز المساس بها أو انقاصها ٠ ولها الحق الكامل في أستغلالها على نحو مباشر أو غير مباشر ما لم تكن هناك قيود دولية من أتفاق أو عرف ملزم أو غيره تحد من هذا الحق ، وبشرط أن لا تلحق أضراراً بالدول المتشاطئة الأخرى ٠ ويتم أحتساب هذه الحصة في ضوء العوامل المتصلة بالموضوع ، وفِي أطار كل حالة على حدة.

٣ ـــ تحترم الدول المتشاطئة عند أستغلالها لمياه النهر حقوق الدول المتشاطئة الأخرى ومصالحها في هذه المياه ٠ وتسعى جهد إمكانها وبحسن نية ، للمحافظة عليها ومراعاتها ، بما ينسجم مع مبادئ حسن النية وحسن الجوار وعدم التعسف في أستعمال الحق.

٤ ـــ تمتنع الدول المتشاطئة عن تنفيذ أي أعمال أنفرادية في حوض النهر من شأنها المساس

بحقوق الدول المتشاطئة الأخرى ، مالم تتفق مقدماً معها على ذلك.

٥ ـــ تمتنع الدول المتشاطئة عن أجراء أي تغييرات أو تحويرات جوهرية في النظام الطبيعي للنهر يمكن أن تهدد على نحو مباشر أو غير مباشر حقوق الدول المتشاطئة الأخرى في هذا النهر ، مالم تتفق مسبقاً مع هذه الدول.

٦ ـــ على الدولة المتشاطئة التي تخطط لتنفيذ مشروع مائي في حوض النهر من شأنه التأثير سلبياً على مصالح الدول المتشاطئة الأخرى ، أن تقوم بأخبار هذه الدول بذلك قبل وقت مناسب ، وأن تزودها بالوثائق والمعلومات المهمة المتصلة بالمشروع بغية أتاحة الفرصة لها لتقويم آثاره المُحتملة عليها وأبداء رأيها فيه خلال مدة معقولة ٠ وعلى الدولة المخططة للمشروع عند إعتراض تلك الدول عليه ، أن تمتنع من البدء بتنفيذه حتى يسوّى الخلاف نهائياً.

٧ ـــ على كل دولة متشاطئة أن تقوم على وجه السرعة بأبلاغ الدول المتشاطئة الأخرى عن حالات الطوارئ أو الأحداث الفجائية الخطيرة المتعلقة بأوضاع النهر أو بالمنشأت المقامة في حوضه ، بقصد تفادي وقوع كوارث أو خسائر بشرية أو مادية فادحة في هذه الدول ، والتصدي لها بكل الوسائل المتاحة لديها.

٨ ـــ على الدول المتشاطئة مجتمعةً أو منفردةً ، بذل الجهود الحثيثة والجدية لحماية البيئة الطبيعية لحوض النهر ، والسعي الى تنمية موارده المائية ، وأتخاذ الأجرائات الفعالة والفورية لمنع حدوث تلوث فيها ، أو العمل على تخفيف حدة التلوث الحاصل وخفضه الى أدنى مستوى ممكن.

٩ ـــ ليس هناك أولوية أو أفضلية لأستغلال مائي على آخر مالم يكن هناك التزام دولي بخلاف ذلك . ومع هذا يجب أن يعطى الأستغلال المتعلق بالمصالح الحيوية ذات الأتصال الوثيق بحياة السكان ، أهمية أستثنائية في مثل هذه الأمور.

١٠ ـــ تكون الدول المتشاطئة مسؤولة دولياً عن أي أضرار تسببها مشروعاتها المقامة في حوض النهر لدولة أخرى ٠ ولها الحق في مطالبتها بأصلاح هذه الأضرار أو التعويض عنها أو إعادة الحال الى ماكان عليه وفقاً لقواعد المسؤولية الدولية المعروفة في القانون الدولي ٠

هذه هي أهم القواعد والأحكام القانونية (من أعراف ومبادئ دولية) السائدة بين الدول التي يتعين تطبيقها في موضوع أستغلال الأنهار الدولية لغير الملاحة عند أنعدام وجود الأتفاقيات الدولية الكفيلة في معالجة هذا الموضوع وتنظيمه . ومع ذلك ، وعلى الرغم من وجود هذه القواعد والأحكام وأستقرارها في محيط العلاقات الدولية ، إلا إنها تبقى أقل قوة وتأثيراً من تلك

الناشئة من الأتفاقيات ، وأكثر تعرضاً منها للخرق والأنتهاك من لدن الدول المتشاطئة في أنهار دولية ، ولاسيما دول أعالي المجرى المائي ٠ وهذا ما بدأ واضحاً خلال دراستنا هذه ٠ حيث قامت الحكومة الايرانية بوصفها دولة المنبع للانهار الحدودية المشتركة مع العراق (بوصفه دولة المصب لهذه الأنهار) ونتيجة للأهتمام المتزايد بأستغلال المياه ، بأنتهاك هذه القواعد وخرقها مراراً من خلال أستغلالها غير المشروع لمياه هذه الانهار وتعدّيها المتواصل على حقوق العراق المكتسبة وحصصه الثابتة فيها . وقد ظهر تأثير هذه السياسة على نحوٍ كبيرٍ في العقود الاخيرة حينما أنخفضت المياه السنوية الواردة للعراق من هذه الانهار ، بل انعدمت تماماً في البعض منها من جراء بناء السدود والخزانات العديدة في أحواضها أو تحويل مجاريها الطبيعية الى داخل أراضيها ، متسببة في ذلك في إحداث أضرار أقتصادية وأجتماعية بالغة جداً للعراق ٠

ولا شك في أن أستمرار تنفيذ وتخطيط المشاريع المائية في حوض الانهار الحدودية بهذا الأسلوب المكثف ، يمثل تهديداً حقيقياً للحياة الزراعية والمعيشية لسكان العراق ، ومنهم سكان المناطق والمدن والقرى الحدودية على وجه التحديد ، فضلاً عن الآثار السلبية الأخرى ٠ ويمكن القول من وجهة نظر القانون الدولي الأنساني ، ان إستخدام مياه الأنهار الدولية من قبل دول المنبع على النحو المتقدم من شأنه أن يهدد حياة السكان بشكل مباشر بأعتبارهذه المياه عصب الحياة لديهم ، ناهيك عن التهديد بنشوب صراعات ونزاعات ليس لها أول ولا آخر(٩٩) ٠

وعلى الرغم من إدراك الحكومة العراقية المبكر لحجم هذه المسألة وأبعادها ، والمساعي المخلصة التـــــــي بذلتها في التوصل الى أتفاق ثنائي لتحديد الحقوق المائية لكل من الدولتين ، ألا أنها لم تفلح في مسعاها الجاد هذا ولَم يتم التوصل الى هذا الأتفاق ، نظراً لتعنت الجانب الايراني ومماطلته في إيجاد مخرج قانوني أو سياسي سليم وعادل لهذه المشاكل ، يحفظ وينظم حقوق الطرفين ، وينهي النزاعات المستمرة بينهما منذ مدة طويلة ٠ولذلك فقد أستمرت مشكلات أستغلال هذه الانهار قائمة الى الآن دون حل , واستمر الجانب الايراني في إنتهاك القواعد الدولية المعنية ، وفِي مقدمتها القواعد الأتفاقية الخاصة بتنظيم استغلال بعض هذه الأنهار ٠ حيث إستمر بتحويل المجاري الطبيعية لبعض الأنهار الحدودية الى داخل أراضيه ، وأنشاء السدود والخزانات والنواظم والقنوات على البعض الآخر ، مما أثّر على نحوٍ كبيرٍ في المياه الواردة للعراق من هذه الأنهار كماً ونوعاً ، وتسبب في إلحاق أضرار بالغة جداً

في المناطق الحدودية ٠

ومع أن مشكلات الأنهار الحدودية هي من مشكلات الحدود العالقة بين البلدين منذ مدة طويلة، ألا أن التوصل الى حل شامل بشأنها ، ليس من الأمور المستحيلة أو المتعذرة ، خاصة وأن الدولتين لم توقعا بعد على أتفاقية ثنائية لأزالة أسباب النزاع المسلح الذي توقف بينهما عام ١٩٨٨ وإرساء دعائم الأمن والأستقرار بدلاً عنه ٠ ولذلك يتعين على الجانب العراقي أن يقوم مستقبلاً بأستثمار هذه الفرصة وحسم هذا الموضوع على نحو نهائي ومنصف ٠

وبهذا نختتم الكلام في موضوع هذا البحث ، آملين أن نكون قد وفقنا بعض الشيء في إبراز أهميته الحيوية ، واظهار جوانبه الجوهرية ، والقاء الضوء على زواياه الخفية . ويقيناً أن دراستنا هذه أنما هي خطوة مترابطة مع غيرها من الخطوات الجادة التي سبقتها في هذا السبيل، أو مع الخطوات الأخرى التي ستتبعها فيه أن شاء الله ، وصولاً الى رسم صورة واضحة ومتكاملة عن الموضوع ، وأنسجاماً مع ما يستحقه الآن وفِي المستقبل من عناية وأهتمام كبيرين . فمن الله العون والسداد ، وله الحمد من قبل ومن بعد.

الهوامـــــش

(١) للمزيد عن مشروع أنابيب السلام , راجع : خليل ابراهيم الناصري : التطورات المعاصرة في العلاقات العربية التركية , مطبعة الراية , بغداد ــ ١٩٩٠ , ص ١٦٤ــــ ١٧١ ٠ وكذلك د٠ خليل خير الله : الصراع على المياه في الشرق الأوسط ،المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية / مجلس وزراء العدل العرب / جامعة الدول العربية ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٦ ، ص ٧٨ –٧٩ ٠ وتشير دراسة لأحد المراكز العلمية الامريكية الى ان نحو (٤٠%) من سكان العالم يعتمد على مياه أنهار وبحيرات تتقاسمها أكثر من دولة انظر : أسامة المدلل , حول انبوب السلام للمياه , صحيفة الرأي الاردنية , ع ٧٧٦٤ في ١٩٩١/١١/٥ , ص ١٨

(٢) على سبيل المثال , ان زيادة عدد سكان المدن في المدة من عام ١٨٠٠ الى عام ١٩٥٠ , قد فاقت نسبة زيادة حجم السكان في العالم ٠ ففي حين زاد عدد سكان المدن في العالم نحو (٢٣) مرة خلال هذه المدة , لم يزد عدد سكان العالم الا نحو (٢،٦) مرة فقط وخلال نفس المدة ٠ أنظر في هذا : د ٠ عبد المنعم شوقي : علم الاجتماع الحضري , القاهرة ــ ١٩٦١ , ص ١٦ ــ ١٧ ٠

(٣) انظر بهذا الصدد : مجلة الوطن العربي الصادرة في باريس , ع ١٥١–٦٧٧ , السنة ١٣ في ١٩٩٠/٢/٢ , ص٣٠–٣١ ٠ جريدة المدى الصادرة في بغداد , العدد٢١٣٠ في ٢٠١١/٥/١٥ , ص ٨ ٠

(٤) للمزيد عن الموضوع : انظر : توريس : مخطط ايراني لقطع الانهار عن العراق ٠٠ منشور في الموقع الألكتروني // www . turess . com / alkhabir / 240 / news / Arabic : http في ٢٠١١/٨/٢١ ٠ وكذلك في الموقع الألكتروني : www.aljazeera.net في ٢٠١١/٨/٢١ ٠

(٥) انظر في ذلك : د٠ مثنى العبيدي : مقالة بعنوان الحصار المائي / لماذا تصاعدت التوترات العراقية مع ايران وتركيا , مركز المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة , منشور في الموقع الألكتروني : https : 11 futureuae . com < Item < الدولة في ٢/تموز/ ٢٠١٨

(٦) أخرج الحديث أبو داوود في سننه برقم (٣٤٧٧) ، وأحمد بن حنبل في مسنده برقم (٢٣١٣٢) ٠

(٧) أنظر في ذلك الأستاذ جورج سل :

Scelle . G : Cours De Droit International Public , Paris , 1948 , P. 457

وللمزيد عن الموضوع ، أنظر : د٠ جعفر خزعل جاسم المؤمن : حقوق العراق في نهري دجلة والفرات في ظل المشاريع المائية التركية والسورية , بحث قانوني منشور في مجلة التشريع والقضاء , العدد الاول / بغداد ـــ ٢٠١٢ ، ص ٢٧ ٠

(٨) أنظر في ذلك : د٠ محمد طلعت الغنيمي : الوجيز في قانون السلام , ط٢ , الاسكندرية ـ ١٩٧٧,ص٤٥٧ ٠وكذلك د٠ ابراهيم المشهداني : محاضرات في جغرافية العالم العربي , ج١ , مطبعة أسعد , بغداد ـ ١٩٦٩ , ص ٣١ ٠ (٣٠)

(٩) أنظر في ذلك كل من : د٠ محمد أزهر سعيد السماك و د٠ باسم عبد العزيز الساعاتي : جغرافية الموارد الطبيعية , جامعة الموصل / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي , الموصل ـ ١٩٨٨ , ص ١٣٩ـ١٤١ ٠ وكذلك د٠ فؤآد شباط : الحقوق الدولية العامة , ط٥, دمشق ـ ١٩٦٥ , ص٤٣٢ ٠

(١٠) راجع تعريف الأستاذ وايتمان للنهر الدولي : Whiteman . M .M : Digest of International Law , Publication , Vol . 3 , Washington , 1964 , P. 872

(١١) أنظر في ذلك: د٠ خالد العزي : مشكلة الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران , أمانة الدراسات والبحوث , الاتحاد العام لنساء العراق , بغداد ـ ١٩٨١ , ص٥١ ٠ وأنظر في ذلك أيضاً د٠ أحمد قياتي : حق مصر في مياه النيل / دراسة مقارنة بين الفقه الأسلامي والقانون الدولي العام ، ط١ ، ٢٠٢٠ ، ص ٢٦ – ٢٧ ٠

(١٢) أنظر في ذلك : د٠ عبد العزيز محمد سرحان : القانون الدولي العام , دار النهضة العربية ، القاهرة ـــ ١٩٦٩ , ص٣٣٣ ٠ ويذكر الأستاذ (Berber) ان لمياه الأنهار الدولية صفة مزدوجة ، فهي في الوقت الذي تمثل فيه جزءً من إقليم دولة تخضع الى إختصاصها الداخلي ، فأنها ستكون في وقت لاحق جزءً من إقليم دولة أخرى ستخضع بدورها الى الأختصاص الداخلي لهذه الأخيرة ٠ والسبب في هذا يعود الى الطبيعة السائلة لهذه المياه التي تجعلها في حالة حركة مستمرة ، وهذا مايتعارض وطبيعة الأقليم الأساسية

التي تمتاز بالثبات والأستقرار ٠ ولهذا فأن الصفة المزدوجة للمياه قد أثارت الكثير من الأشكالات المعقدة في القانون الدولي ٠ أنظر :

Berber . F. J : Rivers in International Law , Stevens and Sons Limitid , London , 1959 , PP . 4-5

(١٣) انظر في ذلك : د ٠ فؤاد شباط , المصدر السابق , ص٤٣٢ ٠وانظر في ذلك أيضاً : د٠ جعفر عبد السلام : مبادئ القانون الدولي العام , ط٢ , دار النهضة العربية , القاهرة ــ ١٩٨٦ , ص٦٦١ ٠وللمزيد عن تصنيف الأنهار الى أنهار محاددة وأنهار متتابعة ، أنظر :

Oppenheim . L : International Law , Vol . 1 , Peace , Third Impression London - 1958 , P . 464

(١٤) انظر في ذلك : ممدوح توفيق القاضي : استغلال الانهار الدولية في غير شؤون الملاحة ومشكلة نهر الاردن , اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق / جامعة القاهرة عام ١٩٦٧ , ص٢٤ ومابعدها ٠ وتشير دراسة حديثة لأحد المراكز العلمية في الولايات المتحدة الامريكية الى ان نحو ٤٠% من سكان العالم يعتمد على مياه انهار وبحيرات تتقاسمها أكثر من دولة ٠ انظر : د٠ اسامة المدلل , المصدر السابق , ص ١٨ ٠

(١٥) انظر : ممدوح القاضي , المصدر السابق , ص٢٤ ٠

(١٦) أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة قرارات مهمة أكدت فيها على حق سيادة الدول على مواردها الطبيعية ٠ منها قرارها الشهير الصادر في ١٤ كانون الاول ١٩٦٢ الخاص بالسيادة الدائمة للدول على مصادرها لطبيعية ٠ كما أكدت على هذا الحق في العهدين الدوليين للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية والسياسية الصادرين عنها في ١٦ كانون الاول عام ١٩٦٦ ٠ انظر في ذلك : عز الدين علي الخيرو : الفرات في ظل قواعد القانون الدولي , إطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق /جامعة القاهرة عام ١٩٧٥ , ص ٤٠٣ ٠ وفي الحقيقة فأن الامم المتحدة لم تكن تسعى من خلال جهودها هذه الى خلق مركز قانوني جديد للدول , بقدر ماكانت تحاول التأكيد على حق الدول في السيادة على مواردها الطبيعية وحريتها الكاملة في استغلال هذه الموارد ، مع مراعاة القيود الدولية كافة الواردة على هذا الحق ٠انظر في ذلك : د٠ عمر حسن

عدس : استغلال حقول النفط الممتدة عبر الحدود الدولية , وكالة المطبوعات , الكويت , بدون تاريخ , ص ١٩- ٢٠

(١٧) أنظر في ذلك : عز الدين علي الخيرو , المصدر السابق , ص٤٠٥ ــ ٤٢٤ ٠

(١٨) المصدر نفسه , ص٤٠٢ ٠

(١٩) انظر : د٠ محمد سامي عبد الحميد : اصول القانون الدولي العام , ج١ , الجماعة الدولية , الاسكندرية ــ ١٩٨٦ , ص١٦٧ ٠

(٢٠) انظر : د : ممدوح توفيق القاضي , المصدر السابق , ص ٤٩ ٠

(٢١) أنظر في ذلك :

Henkin . L and others : International Law Cases and Materials , Second Edition , West Publishing Co , st . PAUL , MINN , 1987 , P . 35

(٢٢) إنضم اليها العراق بالقانون رقم (٣٩) لسنة ٢٠٠١ ٠

(٢٣) إنضم العراق اليها بالقانون رقم (٢) لسنة ١٩٣٦ ٠

(٢٤) انظر في ذلك كلاً من: د٠ مفيد محمود شهاب : القانون الدولي العام , ط٢ , دار النهضة العربية , القاهرة – ١٩٨٥ , ص ٦٦ ، و د٠ محمد حافظ غانم : مبادئ القانون الدولي العام , ط٣ , القاهرة ــ ١٩٦٣ , ص ٣٥٧ ــ ومابعدها و د٠ أحمد قياتي ، مصدر سابق ، ص ١٣٨ – ١٣٩ والجدير بالذكر إن ظهور أحكام متشابهة أو متماثلة في مجموعة كبيرة من المعاهدات والأتفاقيات الدولية بشأن موضوع ما ، يمثل مصدراً من مصادر العرف الدولي ، كما يعد شكلاً من ألأشكال الدالة على وجوده ٠ أنظر :

Schwarzenberger . G , Amanual of International Law , Stevens Sons Limitid , Fourth Edition , Vol .1 , London , 1960 , P . 28

(٢٥) أنظر في ذلك : د٠ محمد سامي عبد الحميد : اصول القانون الدولي العام , ج٢, القاعدة الدولية ، الأسكندرية – ١٩٨٤ ،ص ١٦٩ــ ١٧٠ ٠

(٢٦) الجدير بالأشارة هو أن أغلب هذه المبادئ قد وجد مجالاً للأعتراف والتطبيق في ميدان القضاء والتحكيم الدوليين ، كما ان العديد من المعاهدات والأتفاقيات الدولية المعنية بأستخدام مياه الأنهار الدولية قد أقرت هذه المبادئ بل ونصت عليها ٠أنظر بهذا الصدد كلاً من :

Griffin . W , The use of water of international and drainage basins under customary in international law , American Journal of International Law , Vol . 53 , PP . 58 – 59

و د٠ مفيد محمود شهاب : المبادئ العامة للقانون بوصفها مصدرا للقانون الدولي , المجلة المصرية للقانون الدولي , العدد ٢٣ ، ١٩٦٧ , ص ١٣ ومابعدها ٠

(٢٧) انظر : ممدوح توفيق القاضي : المصدر السابق , ص ٧٣ وما بعدها ٠

(٢٨) انظر في ذلك : د٠حامد سلطان : القانون الدولي العام في وقت السلم , ط ٦ , دار النهضة العربية ، القاهرة – ١٩٧٦ ، ص ٣٩٦ – ٣٩٧ ٠ وأيضاً د٠ أحمد قياتي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ٠

(٢٩) أنظر د٠ خليل خير الله ، المصدر السابق ، ص ٧١ ٠وللمزيد عن طبيعة مبدأ العدالة وألأنصاف وتطبيقه في محيط القانون الدولي ، أنظر كلاً من :

, The Law of Nations , Sixth Edition , Oxford University Press , 1963 Brierly . J . I P. 231

Connell . D . P , International Law for Students , Stevens and Sons Limited , O' London , 1971

(٣٠) انظر في ذلك : د٠ جعفر خزعل جاسم المؤمن , المصدر السابق , ص ٢٩ ومابعدها ٠

وبشأن الأحكام القضائية والتحكيمية الصادرة بهذا الخصوص , راجع على سبيل المثال الحكم الصادر عن محكمة العدل الدولية الدائمة عام ١٩٣٧ في قضية نهر (الموز) بين بلجيكا وهولندا ٠ والحكم الصادر عام ١٩٥٧ عن محكمة التحكيم الخاصة بقضية بحيرة (لانو) بين فرنسا واسبانيا ٠ والحكم الذي اصدرته محكمة العدل الدولية في ١٩٩٧/٩/٢٥ بين هنغاريا وسلوفاكيا بشأن اقامة مشروع مشترك على نهر الدانوب ٠انظر بهذا الصدد : قسمة المياه في القانون الدولي / حقائق بشأن المياه المشتركة مع تركيا , وزارتا الخارجية والري العراقيتان , بغداد ــ ١٩٩٩ , ص ١٩ ٠

(٣١) انظر على سبيل المثال آراء الفقهاء :ــ د٠ حامد سلطان : المصدر السابق , ص ٣٩٦ ــ ٣٩٧ ٠ــ د٠ علي صادق ابو هيف : القانون الدولي العام , ط ١١ , الاسكندرية ــ ١٩٧٥ , ص ٣٦٤ ٠ــ د٠ محمد طلعت الغنيمي , المصدر السابق , ص ٤٦٩ ٠ــ د٠ محمد حافظ غانم , المصدر السابق , ص ٣٥٦ ٠

(٣٢) انظر في ذلك : د٠ حسن أحمد الراوي : شحة المياه في نهر الفرات , بحث غير منشور مقدم في ندوة نقابة الزراعيين الفنيين العراقية المؤرخة في ١٩٧٥/٤/١٩ , ص ٣٩ــ٤٠ ٠

(٣٣) انظر في ذلك : د٠عباس علي التميمي : طبيعة مشكلات الأنهر الحدودية العراقية الايرانية ، مجلة آداب المستنصرية ، كلية الآداب/الجامعة المستنصرية , العدد السابع , ١٩٨٣, ص ٣٥٨ ٠

(٣٤) انظر : د٠حسن الجنابي , ملف المياه المشتركة بين العراق وايران , الجزء الاول , بحث منشور في الموقع الألكتروني

: 11 WWW . dw . com : https في <30/12/2013

(٣٥) انظر : د٠ عباس علي التميمي , المصدر السابق , ص ٣٦٠ ٠

(٣٦) من أهم الأنهار الحدودية التي يشار إليها في هذا المجال بحسب تسلسل موقعها الجغرافي من الشمال الى الجنوب مايلي :

أولاً : { روافد نهر الزاب الصغير (أحد الروافد الخمسة الرئيسة لنهر دجلة) الجارية ضمن محافظة السليمانية } وهي :

زاراوه ، وزنه ، خيري نيرزنك ، باني ، جانبيرو ، خليل آباد ، قزلجه ، بناوه سوتا ، ليو ، تشينران ، كوكه سور ، بياره ، وادي طويله ، سيروان ، زمكان ٠ (مع ملاحظة ان ألأربعة منها الأخيرة تقع ضمن روافد حوض نهر ديالى) ٠

ثانياً : {روافد نهر ديالى (أحد الروافد الخمسة الرئيسة لنهر دجلة) الجارية ضمن محافظة ديالى } وهي :

عباسان ، قره تو ، ديربنديك ، الوند ، آبي نفط ، كنكير ، وادي إمويلح ، وادي الحزام ، طلخ آب ، وادي طهلاو ، وادي كورسنك ، وادي ترساق ، وادي سويته ٠

ثالثاً : { الأنهار الجارية ضمن محافظة واسط } وهي : سورو شيرين ، زلي آب ، كنجان جم ، بالك ٠

رابعاً : { الأنهار الحدودية ضمن محافظة ميسان } وهي : سارخر، جنكله ، الزفراني ، الطيب ، دويريج ، الأعمى ، الكرخه ٠

خامساً : { الأنهار الحدودية ضمن محافظة البصرة } وهي : شط العرب ، الكارون ، الخيين (السليماني) ٠

أنظر في ذلك : فلاح شاكر أسود , الحدود العراقية الأيرانية / دراسة في المشاكل القائمة بين البلدين ، مطبعة العاني , بغداد ــ ١٩٧٠ , ص ٢٦ ــ ٢٧ ٠

(٣٧) انظر بشأن هذا الاتفاق والاعمال التي أنجزت بصدده : علي غالب عبد الخالق , مشاكل المياه والحدود بين العراق وايران ،بحث غير منشور , قسم الهيئات الوطنية والمياه الدولية , وزارة الري العراقية , ١٩٨١, ص ٧ ٠

(٣٨) صادقت الحكومة العراقية على هذه المعاهدة مع جميع ملحقاتها ومرفقاتها ومن بينها هذه الاتفاقات بالقانون رقم (٦٩) لسنة ١٩٧٦ ٠

(٣٩) راجع بشأن هذا البروتوكول : النزاع العراقي الايراني/ ملف وثائقي , اللجنة الاستشارية / وزارة الخارجية / الجمهورية العراقية ، كانون الثاني, ١٩٨١, ص٣٠١ ومابعدها ٠

(٤٠) انظر بهذا الشأن : د٠جابر ابراهيم الراوي , الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية / دراسة قانونية وثائقية , بغداد ، ١٩٧٥ , ص٢٥٥ ــ ٢٥٦ ٠

(٤١) انظر : حقائق عن الحدود العراقية الايرانية , تقرير غير منشور , وزارة الخارجية / الجمهورية العراقية , كانون الثاني , ١٩٦٠ , ص ٥ــ ٦ ٠

(٤٢) انظر في ذلك : د٠ خالد العزي , المصدر السابق , ص ١٠٧ ٠

(٤٣) راجع المواد الاولى من الاتفاقات الاربعة الخاصة بمسائل الحدود المعقودة بين العراق وايران في ١٩٧٥/١٢/٢٦ الملحقة بمعاهدة الحدود الدولية وحسن الجوارالتي عقدت بين الجانبين في العام نفسه ٠ جدير بالذكر ان ماسمي باتفاقية الجزائر لعام١٩٧٥ بين العراق وايران قد غلب عليها الطابع السياسي على الجوانب الفنية والجغرافية ٠ فلم تكن حلاً لمشاكل حدودية بين الطرفين بقدرماكانت تلبية لرغبة الحكومة العراقية آنئذٍ في إخماد النزاع الكوردي المسلح المدعوم من شاه إيران ٠ لذلك حصلت ايران بموجبها على مكاسب حدودية جديدة ٠ فهي كانت أشبه بالصفقة أراد العراق من خلالها أن يحل مشاكله مع إيران لكي يتفرغ لأخماد النزاع المسلح مع الأكراد في شمال العراق ووضع حد لمساعدة ايران لهم ٠ أنظر في ذلك : د٠ خليل خير الله ، المصدر السابق ، ص ٩٣

(٤٤) انظر : د٠خالد العزي , المصدر السابق , ص ١٠٦ ٠

(٤٥) انظر بشأن هذا الموضوع , عباس علي التميمي , المصدر السابق , ص ٣٦٢ وما بعدها ٠

(٤٦) انظر : حقائق عن الحدود العراقية الايرانية , المصدر السابق , ص٥ ٠

(٤٧) انظر في ذلك : : جمال علي حسين : الحقوق المشتركة في الانهار الدولية وتطبيقاتها في العراق ٠ رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون / الجامعة المستنصرية عام ٢٠١٢ , ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥ ٠

(٤٨) انظر في هذا : د٠ عبدالأمير أحمد عبدالله , الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران وأثرها على الاراضي الزراعية والأمن المائي العراقي , مجلة جامعة تكريت للعلوم , المجلد ٢٠ ، العدد ١ ، ك٢/٢٠١٢ , ص ٣٦٠ ٠

(٤٩) انظر في ذلك : جمال علي حسين , المصدر السابق , ص ٢٥٨ – ٢٥٩ ٠
وكذلك : إيران ومياه العراق : طرائق في الخنق (٢) , ورقة بحث منشورة في موقع السفير العربي الأكتروني assafirarabi . com / 03/ 05 / 2018 > ٠

(٥٠) انظر في ذلك : جمال علي حسين , المصدر السابق , ص ٢٥٩ــــ ٢٦٠ ٠
وكذلك:فؤاد قاسم الأمير : الموازنة المائية في العراق وأزمة المياه في العالم , بحث منشور بتأريخ ٢٠١٧/٤/١٧ في الموقع
الألكتروني (صوت اليسار العراقي) تصدرها مجموعة من الصحفيين والكتاب العراقيين ٠ العنوان الألكتروني : http // saotaliassar . org

(٥١) انظر : د٠فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص٥٢ – ٥٣ ٠

(٥٢) المصدر نفسه , ص ٥٣ – ٥٤ ٠

(٥٣) انظر : خالد العزي , المصدر السابق , ص ١٩ــ٢٠ ٠

(٥٤) حول سعي الحكومة العراقية بهذا الصدد , انظر : حقائق عن الحدود العراقية الايرانية , المصدر السابق , ص ٧ ــ ٨ ٠

(٥٥) انظر : د٠ فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص٥٧ ٠

(٥٦) انظر : د٠ عباس علي التميمي / المصدر السابق , ص٣٧٥ ٠

(٥٧) فمدينة خانقين مثلاً تعرضت فيها نحو (٥٠) قرية للجفاف , فضلاً عن (٣٠٠٠) دونم من بساتين النخيل والحمضيات ٠ أنظر في هذا : جمال علي حسين , المصدر السابق , ص ٢٨٠ ٠ و ايران ومياه العراق , بحث سابق ٠

(٥٨) انظر بهذا الصدد : خالدة رشيد السعدون , تحليل العوامل التي ترسم خط الحدود بين العراق وايران , رسالة ماجستير , كلية الآداب / جامعة بغداد , ١٩٧٠ , ص ٨٤ ٠

(٥٩) انظر : د٠خالد العزي , المصدر السابق , ص ٢٦ – ٢٧ ٠ وانظر كذلك : خالدة رشيد السعدون , المصدر السابق , ص ٩٢ – ٩٣ ٠

(٦٠) انظر فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص ٦١–٦٤ ٠

(٦١) راجع بهذا الصدد : حقائق عن الحدود العراقية الايرانية , المصدر السابق , ص ٦ ٠ وكذلك : د٠ خالد العزي , المصدر السابق , ص ٢٨ ٠

(٦٢) انظر فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص ٦٤ – ٧٢ ٠

(٦٣) انظر : د٠ عباس علي التميمي , المصدر السابق , ص ٣٧٥ ٠ وأيضاً د٠ خالد العزي , المصدر السابق , ص ٣٣ ٠

(٦٤) انظر في ذلك : محمد جعفر جواد السامرائي : الانهار الحدودية في محافظة واسط , رسالة ماجستير , كلية الآداب / جامعة بغداد , ١٩٨٥ , ص٤٨ و ٦٣ ٠

(٦٥) انظر : فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص ٧٦ – ٧٧ ٠ وللمزيد عن هذا الموضوع :

انظر :صاحب الربيعي : حرب المياه بين العراق وايران / الدوافع والأسباب / دراسة منشورة على الموقع الألكتروني :

http : // www . watersexpert . se / Iran . htm في 2016/11/23

(٦٦) انظر : فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص ٧٤ ٠

(٦٧) انظر في ذلك : د٠خالد العزي , مشكلة شط العرب في ظل المعاهدات والقانون , وزارة الثقافة

والأعلام / الجمهورية العراقية , بغداد – ١٩٨٠ , ص ٤٥ – ٦٩ ٠

(٦٨) المصدر نفسه , الصفحات نفسها ٠

(٦٩) انظر في ذلك :محمد جعفر جواد السامرائي , المصدر السابق , ص ١٣٧ ٠ وكذلك : د٠ عباس علي التميمي , المصدر السابق , ص ٣٧٦ ٠

(٧٠) انظر في ذلك : فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص ٧٦ – ٧٩ ٠ وكذلك : محمد جعفر جواد السامرائي , المصدر السابق , ص ١٣٩ ٠

(٧١) انظر : فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص ٨٠ ٠

(٧٢) انظر : د٠ خالد العزي , مشكلة الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران , المصدر السابق ، ص ٤٠ ٠

(٧٣) المصدر نفسه , ص ٤١ ٠ وانظر أيضاً : خالدة رشيد السعدون , المصدر السابق , ص ٨٨ ٠

(٧٤) انظر : فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص ٨٢ – ٨٣ ٠ وكذلك : د٠ خالد العزي , مشكلة الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران , المصدر السابق , ص ٤٣ ٠

(٧٥) انظر في ذلك : فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص ٨٣ – ٨٦ ٠ و د٠ خالدة السعدون ، المصدر السابق , ص ٨٩ –٩٠ ، وكذلك : ايران ومياه العراق , مصدر سابق ٠

(٧٦) انظر : د٠ عبد الامير أحمد عبد الله , المصدر السابق , ص ٣٧٣ ٠
وأيضاً : جمال علي حسين , المصدر السابق , ص ٢٨٤ ٠

(٧٧) انظر : فلاح شاكر أسود , المصدر السابق , ص ٨٧ – ٨٨ ٠ وكذلك : د٠ خالد العزي , مشكلة الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران , المصدر السابق , ص ٤٤ – ٤٥

(٧٨) انظر : د٠ عبد الامير أحمد عبد الله , المصدر السابق , ص ٣٧٤ ٠

(٧٩) انظر في ذلك : فلاح شاكر أسود , نهرا دجلة والنيل / دراسة في علاقة الجوار , مجلة الجمعية الجغرافية العراقية , العدد ٢٠ , ١٩٨٧ , ص ١١٥ – ١١٦ ٠

(٨٠) انظر في هذا : حميد جواد حسن الخطيب : الحدود العراقية الايرانية والوضع القانوني لشط العرب , رسالة ماجستير , كلية القانون والسياسة , جامعة بغداد – ١٩٧٢ , ص ٣٠٠ – ٣٠٤ ٠ وكذلك : د٠ عباس علي التميمي , المصد السابق , ص ٣٦٢ – ٣٧٨

(٨١) انظر في هذا : جمال علي حسين , المصدر السابق , ص ٢٨٣ ٠

(٨٢) انظر : فلاح شاكر أسود : الحدود العراقية الأيرانية , المصدر السابق , ص ٩٤ ٠
و د٠ عبد الامير أحمد عبد الله , المصدر السابق , ص ٣٦٨ ٠

(٨٣) انظر : د٠ عبد الامير أحمد عبد الله , المصدر السابق , ص ٣٧٥ – ٣٧٦ ٠

(٨٤) انظر : د٠ عبد الامير أحمد عبد الله , المصدر السابق , ص ٣٦٨ ٠
وللمزيد عن هذا الموضوع : انظر : د٠حسن الجنابي , ملف المياه المشتركة بين العراق وايران , الجزء الرابع / هور الحويزة من المواجهة الى آفاق التعاون , بحث منشور في الموقع الألكتروني :
Articles < Arabic < Zowaa ٠ co ٠Uk وأيضاً الموقع الالكتروني :
https : 11 WWW . dw . com < ملف المياه ٠٠٠ في ٢٠١٣/١٢/٣٠ ٠

(٨٥) : انظر في ذلك : جمال علي حسين , المصدر السابق , ص ٢٨٤ ــ ٢٨٦ ٠

(٨٦) تدرس الحكومة الايرانية إمكانية تصدير نحو ملياري م٣ من مياه هذه الانهار الى بعض دول الخليج العربي ٠ لذلك أجرت مفاوضات مع الحكومة القطرية عام ١٩٨٩ لتزويدها بالمياه الا ان الطرفين فشلا في التوصل الى اتفاق نهائي بهذا الشأن ٠ كما أجرت مفاوضات مماثلة مع الحكومة الكويتية عام ١٩٩٩ لتزويدها بالمياه من نهر الكرخة ٠ وتوصل الطرفان في ١٣ ك١ عام ٢٠٠٣ الى اتفاق يقضي بتزويد الكويت نحو (٣٠٠) م٣ من المياه سنوياً لمدة (٣٠) سنة ٠ كما أجرت الحكومة الايرانية محادثات مماثلة مع الحكومة السعودية ٠للمزيد عن هذا الموضوع : راجع : جمال علي حسين , المصدر السابق , ص ٢٥٣ – ٢٥٤ ٠

(٨٧) : انظر في ذلك : حقائق عن الحدود العراقية الايرانية , المصدر السابق , ص ٩

(٨٨) للمزيد : انظر : جمال علي حسين , المصدر السابق , ص ٢٨٨ ــ ٢٩٠ ٠

(٨٩) انظر : اللقاء الصحفي الذي أجري مع وكيل وزارة الزراعة والري العراقية المنشور في صحيفة القبس الكويتية , العدد (٦٣٦٧) في ١٩٩٠/١/٢٩ , ص ١٨ ٠

(٩٠) للمزيد عن هذه الاتفاقيات والأحكام وغيرها , راجع حولية لجنة القانون الدولي التابعة الى الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام ١٩٧٤ باللغة الانكليزية , المجلد الثاني / العدد الثاني ٠ وكذلك حوليتها لعام ١٩٧٦ باللغة الانكليزية , المجلد الثاني / العدد الثاني

(٩١) للمزيد عن هذا الموضوع : راجع حولية لجنة القانون الدولي لعام ١٩٨٤ , المجلد ٢ , ج١ , وثائق الدورة السادسة والثلاثين , ص ١٧٦ ٠ وحوليتها لعام ١٩٨٥ , المجلد ٢ , ج١ , وثائق الدورة السابعة والثلاثين , ص ١٢٩ ٠ وتقريرلجنة القانون الدولي عن أعمال دورتها الأربعين , ٩ آيار – ٩ تموز –١٩٨٨ , الأمم المتحدة , نيويورك , ١٩٨٨ , ص ٦٧ وما بعدها ٠

(٩٢) انظر : د٠ حامد سلطان , مصدر السابق , ص ٣٩٢ ٠

(٩٣) انظر في ذلك : د٠ خالد العزي , مشكلة الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران , المصدر السابق , ص ١٠٦ ٠ وكذلك : د٠ محمد حافظ غانم , المصدر السابق , ص ٣٥٧ وما بعدها ٠

وللمزيد عن مفهوم التعسف في إستعمال الحق في القانون الدولي والطبيعة القانونية لهذا المبدأ ، أنظر :

Louterpacht . H , International Law , Vol . 1 , Printed in Great Britain , 1970 , P.385

وكذلك : Oppenheim , OP . Cit , P . 345

(٩٤) أنظر في ذلك ، د٠ أحمد قياتي ، مصدر سابق ، ص ٢٩٤- ٢٩٥ ٠

(٩٥) انظر في ذلك : عباس علي التميمي , المصدر السابق , ص٣٦٤- ٣٦٥ ٠

(٩٦) انظر في ذلك : محمد جعفر السامرائي , المصدر السابق , ص٤٨ و ص٦٣ ٠

(٩٧) انظر في ذلك , د٠عبد الأمير أحمد عبد الله , المصدر السابق , ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ٠

(٩٨) انظر في ذلك , حقائق بشأن المياه المشتركة مع تركيا , المصدر السابق , ص ١٥ – ١٦ ٠وكذلك : قسمة المياه في القانون الدولي , مصدر سابق , ص ١٥ – ١٦ ٠

(٩٩) انظر د٠ خليل خير الله ، المصدر السابق ، ص ٧٢ ٠

مصـــــادر البحـــــث

أولاً : المصادر العربية :

١ ــ د٠ ابراهيم المشهداني : محاضرات في جغرافية العالم العربي ، ج١ ، طبعة أسعد , بغداد ــ ١٩٦٩ ٠

٢ ــ د٠ أحمد قياتي : حق مصر في مياه النيل / دراسة مقارنة بين الفقه الأسلامي والقانون الدولي العام ، ط١ ، ٢٠٢٠ ٠

٣ ــ أسامة المدلل , حول انبوب السلام للمياه , صحيفة الرأي الاردنية ، ع ٧٧٦٤ في ٥ /١١/١٩٩١ ٠

٤ ــ د٠جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية / دراسة قانونية وثائقية , بغداد ، ١٩٧٥ ٠

٥ – د٠ جعفر خزعل جاسم المؤمن : حقوق العراق في نهري دجلة والفرات في ظل المشاريع المائية التركية والسورية , بحث قانوني منشور في مجلة التشريع والقضاء , العدد الاول / بغداد ـــ ٢٠١٢ ٠

٦ ــ د٠ جعفر عبد السلام : مبادئ القانون الدولي العام ، ط٢ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ــ ١٩٨٦ ٠

٧ ــ د٠حامد سلطان : القانون الدولي العام في وقت السلم , ط ٦ ، دار النهضة العربية ، القاهرة – ١٩٧٦ ٠

٨ ــ د٠ حسن أحمد الراوي : شحة المياه في نهر الفرات ، بحث غير منشور مقدم في نـــــــــدوة نقابة الزراعيين الفنيين العراقية المؤرخة في ١٩/٤/١٩٧٥ ٠

٩ ــ د٠حسن الجنابي , ملف المياه المشتركة بين العراق وايران , الجزء الاول , بحث منشور في الموقع الألكتروني : https : 11 WWW . dw . com > في ٣٠/١٢/٢٠١٣ ٠

١٠ ــ د٠حسن الجنابي ، ملف المياه المشتركة بين العراق وايران ، الجزء الرابع / هور الحويزة من المواجهة الى آفاق التعاون ، بحث منشور في الموقع الألكتروني :

Articles < Arabic < Zowaa ٠ co Uk . com TEIISKUF في ٢٠١٤/١/٢٩ ٠
١١ ــ حميد جواد حسن الخطيب : الحدود العراقية الايرانية والوضع القانوني لشط العرب ، رسالة ماجستير ، كلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد – ١٩٧٢
١٢ ــ د٠خالد العزي ، مشكلة شط العرب في ظل المعاهدات والقانون ، وزارة الثقافة والأعلام / الجمهورية العراقية ، بغداد – ١٩٨٠ ٠
١٣ ــ د٠ خالد العزي : مشكلة الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران ، أمانة الدراسات والبحوث ، الاتحاد العام لنساء العراق ، بغداد ــ ١٩٨١ ٠
١٤ ــ خالدة رشيد السعدون ، تحليل العوامل التي ترسم خط الحدود بين العراق وايران ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٧٠ ٠
١٥ ــ خليل ابراهيم الناصري : التطورات المعاصرة في العلاقات العربية التركية ، مطبعة الراية ، بغداد ــ ١٩٩٠ ٠
١٦ ــ د٠ خليل خير الله : الصراع على المياه في الشرق الأوسط ، المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية / مجلس وزراء العدل العرب / جامعة الدول العربية ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٦ ٠
١٧ ــ صاحب الربيعي : حرب المياه بين العراق وايران / الدوافع والأسباب / دراسة منشورة على الموقع الألكتروني : www . watersexpert . se / Iran . htm // : http في ٢٠١٦/١١/٢٣ ٠
١٨ ــ د٠عباس علي التميمي : طبيعة مشكلات الأنهر الحدودية العراقية الإيرانية ، مجلة آداب المستنصرية ، كلية الآداب/الجامعة المستنصرية , العدد السابع , ١٩٨٣ ٠
١٩ ــ د٠ عبدالأمير أحمد عبدالله , الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران وأثرها على الاراضي الزراعية والأمن المائي العراقي , مجلة جامعة تكريت للعلوم , المجلد ٢٠ , العدد ١ ، ك٢/٢٠١٢ ٢٠ ــ د٠ عبد العزيز محمد سرحان : القانون الدولي العام ، دار النهضة العربية , القاهرة ـــ ١٩٦٩ ٠
٢١ ــ د ٠ عبد المنعم شوقي : علم الاجتماع الحضري , القاهرة ــ ١٩٦١ ٠
٢٢ ــ عز الدين علي الخيرو : الفرات في ظل قواعد القانون الدولي ، إطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق /جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ ٠

٢٣ ــ د٠ علي صادق ابو هيف : القانون الدولي العام , ط ١١ ، الاسكندرية ــ ١٩٧٥
٢٤ ــ علي غالب عبد الخالق ، مشاكل المياه والحدود بين العراق وايران ، بحث غير منشور ، قسم الهيئات الوطنية والمياه الدولية ، وزارة الري العراقية ، ١٩٨١ ٠
٢٥ ــ د٠ عمر حسن عدس : استغلال حقول النفط الممتدة عبر الحدود الدولية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، بدون تاريخ ٠
٢٦ ــ د٠ فؤآد شباط : الحقوق الدولية العامة , ط ٥, دمشق ــ ١٩٦٥ ٠
٢٧ ــ فلاح شاكر أسود , الحدود العراقية الأيرانية / دراسة في المشكل القائمة بين البلدين , مطبعة العاني , بغداد ــ ١٩٧٠ ٠
٢٨ ــ فلاح شاكر أسود ، نهرا دجلة والنيل / دراسة في علاقة الجوار ، مجلة جمعية الجغرافية العراقية ، العدد ٢٠ ، ١٩٨٧ ٠
٢٩ ــ د٠ مثنى العبيدي : مقالة بعنوان الحصار المائي / لماذا تصاعدت التوترات العراقية مع إيران وتركيا ، مركز المستقبل للدراسات والبحوث ، منشور في الموقع الالكتروني https : // futureuae . com /ar – AE / Mainpage / Item /4033 في ٢٠١٨/٧/٣ ٠
٣٠ ــ د٠ محمد أزهر سعيد السماك و د٠ باسم عبد العزيز الساعاتي : جغرافية الموارد الطبيعية ، جامعة الموصل / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الموصل ــ ١٩٨٨
٣١ – محمد جعفر جواد السامرائي : الانهار الحدودية في محافظة واسط ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ٠
٣٢ – د٠ محمد حافظ غانم : مبادئ القانون الدولي العام ، ط٣ ، القاهرة ــ ١٩٦٣ ٠
٣٣ – د٠ محمد سامي عبد الحميد : اصول القانون الدولي العام ، ج١ ، الجماعة الدولية ، الاسكندرية ــ ١٩٨٦ ٠
٣٤ – د٠ محمد طلعت الغنيمي : الوجيز في قانون السلام ، ط٢ ، الاسكندرية ــ ١٩٧٧
٣٥ – د٠ مفيد محمود شهاب : القانون الدولي العام ، ط٢ ، دار النهضة العربية ، القاهرة – ١٩٨٥ ٠
٣٦ – ممدوح توفيق القاضي : استغلال الانهار الدولية في غير شؤون الملاحة ومشكلة نهر الاردن ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق / جامعة القاهرة عام ١٩٦٧ ٠

٣٧ ــ النزاع العراقي الايراني/ ملف وثائقي ، اللجنة الاستشارية/ وزارة الخارجية / الجمهورية العراقية ، كانون الثاني , ١٩٨١ .

٣٨ ــ حقائق عن الحدود العراقية الايرانية ، تقرير غير منشور ، وزارة الخارجية / الجمهورية العراقية ، كانون الثاني ، ١٩٦٠ .

٣٩ ــ قسمة المياه في القانون الدولي / حقائق بشأن المياه المشتركة مع تركيا ، وزارتا الخارجية والري العراقيتان ، بغداد ــ ١٩٩٩ .

٤٠ ــ حولية لجنة القانون الدولي لعام ١٩٨٤ ، المجلد ٢ ، ج١ ، وثائق الدورة السادسة والثلاثين

٤١ ــ حولية لجنة القانون الدولي لعام ١٩٨٥ ، المجلد ٢ ، ج١ ، وثائق الدورة السابعة والثلاثين

٤٢ ــ تقرير لجنة القانون الدولي عن أعمال دورتها الأربعين ، ٩ آيار – ٩ تموز – ١٩٨٨ ، الأمم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٨٨ .

ثانياً : المصادر ألأجنبية :

1 . Berber . F. J : Rivers in International Law , Stevens and Sons Limitid , London , 1959 .

2 . Brierly . I . J : The Law of Nations , Sixth Edition , Oxford University Press , 1963

3 . Griffin . W : The use of water of international and drainage basin under customary in international law , American International Law , Vol . 53 . Journal of

4 . Henkin . L and others : International Law Cases and Materials , Second Edition , West Publishing Co , st . PAUL , MINN , 1987

5 . O Connell . D . P : International Law for Students , Stevens and Stevens and Sons Limited , London , 1971

6 . Louterpacht . H : International Law , Vol . 1 , Printed in Great Britain , 1970

7 . Oppenheim . L : International Law , Vol . 1 , Peace , Third Impression, London - 1958 .

8 . Scelle . G : Cours De Droit International Public , Paris 1948

9 . Schwarzenberger . G : Amanual of International Law Stevens Sons Limitid , Fourth Edition , Vol .1 , London , 1960 .

10 . Whiteman . M .M : Digest of International Law , Publication , Vol . 3 , Washington , 1964 .

نشأة الخراج فى العصر الإسلامي

أ.د. وفاء عدنان حميد

جامعة بغداد كلية الاداب قسم التاريخ

نشأة الخراج فى العصر الإسلامي

أ.د. وفاء عدنان حميد

اختلف مدلول مصطلح الخراج فى كتابات مؤرخى وفقهاء العصر الإسلامى، بل شمل الاختلاف أغلب استخدامات المعاصرين لهذا المصطلح. فقد أشير به أحيانا إلى دخل الخلافة ككل، أو دخلها من إحدى ولاياتها، واستخدمه أبو يوسف بين دفتى كتابه الشهير [1]، للإشارة إلى نظام ضريبى معين يفرض على أرض زراعية تسمى أرض الخراج، والتى تعتبر من الناحية الفقهية أرضا موقوفه على بيت المال ومملوكة للأمة الإسلامية كلها[2] (وفى إطار هذا التعريف الأخير للمصلطح، يتناول هذا المقال موضوع الخراج).

والخراج، وفقا لهذا التعريف، قد شكل لب النظام الاقتصادى فى العصر الإسلامى، وخاصة فى عهوده المزدهرة .. حيث أنه كان النظام الرئيسى فى مجال الإنتاج الزراعى الذى كان بدوره أهم مجالات الإنتاج فى العصر الوسيط برمته[3] . يترتب على ذلك بالضرورة أن نظام الخراج كان أهم النظم الاقتصادية اطلاقا من حيث تشكيل معالم الحياة اليومية وتحديد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للغالبية العظمى من السكان المعاصرين .. وبالتالى أسهم بمختلف الطرق المباشرة وغير المباشرة فى تشكيل مجمل النظم المعاصرة الأخرى.

على أن التأريخ لنظام الخراج – على أهميته الكبرى – يُعد مشكلة عويصة لا زالت تعترض الباحثين، نظرا لقلة اهتمام المصادر التاريخية به، واقتصار تناوله فى أغلب الاحيان على الناحية الفقهية، دون العناية بالنظم العينية لجبايته وتحديد مقداره واوجه صرفه .. وما طرأ على كل ذلك من تغييرات عبر الزمن[4]. ويمكن تتبع نشأة نظام الخراج فى عهد عمر ابن الخطاب وارهاصاته فى عهد الرسول عن طريق كتاب البلاذ رى؛ فتوح البلدان. والمقال مدين إلى أبعد الحدود للمعلومات التى أوردها ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، فى الصفحات التى خصصها لموضوع الخراج فى مصر. كذلك أورد الجهشيارى فى كتابه : الوزراء والكتاب مادة تاريخية حول دواوين الخراج، تتميز

بعموميتها وعدم تعرضها للتفاصيل والنظم العينية لدواوين الخراج. ولعل كتاب أبو يوسف الذى سبقت الإشارة إليه. يمكن أن يعد من أهم الكتب الفقهية فى أحكام الخراج، نظرا لمنزلة مؤلفه عند الخليفة العباسى "الرشيد" ونظرا لأن الكتاب قد ُصف بناء على طلب الخليفة. وتتركز أهمية كتاب ضياء الدين الريس حول الخراج والنظم المالية – بجانب جهده المحمود فى تحقيق المقاييس الإسلامية – فى جمعه لمعلومات تاريخية مختلفة تتعلق بالأوضاع السياسية والاقتصادية تمس من نواحى متعددة نظم الخراج. ولكن الكتاب فى مجموعة لم يوفق فى تحقيق الغرض الذى يدل عليه عنوانه.

وفى حدود هذه المصادر، سوف يتناول المقال مواضيعا خمسة رئيسية، وهى إرهاصات ونشأة نظام الخراج، وأسسه الاقتصادية، ونظم جبايته، ثم علاقات نظام الخراج بكل من حائزى أرض الخراج والدولة. كذلك أفردنا حيزا لنشأة نظام الإقطاع وطبيعته وعلاقته بنظام الخراج.

لم يحل إدراك المعاصرين لأسبقية نظام الخراج تاريخيا – فى دولة الفرس على الأقل[5] – على الفتوحات الإسلامية، دون تناولهم له كفرع من فروع الفقه الدينى الخاص بالمعاملات. وفى محاولتهم تكييف نظام الخراج تكييفا فقهيا، رجعوا إلى سنة الرسول وسابقات الخلفاء الراشدين. ورغم اختلاف الأهداف، لا يسعنا سوى أن نقتفى خطاهم على نفس الطريق.

كان النبى إذا فتح أرضا بإسلام أهلها دون قتال، يترك لهم الاحتفاظ بالأرض[6] ، ويفرض عليها ضريبة العشر إذا كانت تسقى بالراحة أو نصف العشر إذا كانت تسقى بآلات الرفع[7] .أما إذا فتح النبى أرضا بصلح مع أهلها من أهل الكتاب، وحتى إذا سبق الصلح حصار حربى، كانت الأرض تعد ملكا له بصفته الدينية والسياسية، وليس بصفته الشخصية. وكان الرسول أما أن يطرد أهل هذه الأرض – كأحد شروط الصلح – ويتولى زراعتها بنفسه[8] ، وخاصة إذا كانت الأرض واقعة فى متناول جماعة المسلمين والرسول، بحيث يمكن العناية بالأرض دون التخلى عن الإقامة فى المدينة ، وهى حصن الدعوة ؛ وإما أن يقر أهلها على زراعة الأرض ، فيشتمل الصلح على مقاسمة الرسول إياهم نتاج الأرض[9] ، ويسمى نصيب الرسول من هذا النتاج خراجا. كذلك كان للرسول

مطلق الحرية – فى حدود الدين – فى التصرف فى هذه الأرض ومحصولاتها، فكان ينفق منها على أهله أو يقطع بعضها للمهاجرين أو غيرهم، أو ينفق من عائدها على الفقراء[10]. وتجدر الإشارة إلى أن الرسول، لأنه لا يورث، تنتقل ملكيته هذه من بعده إلى جماعة المسلمين [11]. فليست ملكيته للأرض إذن سوى شكل لملكية الدولة الإسلامية للأرض.

أما الأراضى التى فتحها الرسول عنوة، مثل أرض خيبر وأرض بنى قريظة، فكان يقسم أربعة أخماسها على الفاتحين، ويحتفظ بالخمس الباقى طبقا لحكم القرآن[12] .وإلى تلك السابقات استند الذين عارضوا ما فعله عمر بن الخطاب من وقف الأراضى المفتوحة على بيت المال مطالبين بتقسيمها[13]. ولكن يلاحظ أن تقسيم مثل هذه الأراضى قد اتخذ أحيانا منحى صوريا. وآية ذلك أن الرسول عندما فتح خيبر و وادى القرى، ترك هذه الأرض لأهلها مقابل شطر من نتاجها[14]. فالأرجح هنا أن هذا الشطر هو الذى كان يقسم وليس الأرض فى أيدى أهلها حتى لا تتشتت قوة المسلمين فى خارج المدينة. ومما يرجح هذا التعليل، أن الرسول قد قسم أرض بنى قريظة تقسيما فعليا بين الفاتحين، إذ أن هذه الأرض واقعة ضمن نطاق المدينة.

حين تم فتح الشام والسواد (العراق) فى عهد عمر بن الخطاب، قام جدل واسع حول كيفية التصرف فى هذه الأرض التى افتتحت عنوة. فقد رفض عمر تقسيم الأرض على المقاتلين كما طالب بلال وآخرون، مستندين إلى نص القرآن وسنة الرسول. واشتد الخلاف بين العشرة المبشرين بالجنة وبين المهاجرين وبعضهم البعض، فلجأ عمر إزاء ذلك إلى استشارة زعماء الأنصار لحسم الخلاف. كانت حجة عمر بن الخطاب أن هذا الفيىء ملك لكل المسلمين، فإذا ما قسمت الأرض، لن يبقى شئ للأجيال القادمة من غير ابناء الفاتحين، كما أن التقسيم سيستتبع تفرغ الفاتحين لإدارة أراضيهم الشاسعة، وبالتالى هجر الأمصار والثغور، بالإضافة إلى أن حرمان بيت المال من خراج هذه الأرض بتقسيمها، سيعجز الخلافة عن الإنفاق على الجنود لسد الثغور. وهكذا اقتنع زعماء الأنصار بأن العدول عن تطبيق نظام الخراج على الأرض المفتوحة يهدد بإستعادة أعداء الدولة الناشئة لهذه البلدان[15]. وهذا يعنى أن عمر بن الخطاب قد جعل قضية الإسلام

ومركزية الدولة ونظام الخراج والعصبية العربية قضية واحدة. وتدل الحوادث على أن عمرا كان حريصا كل الحرص على توفير أسباب الحفاظ على تماسك العصبية العربية وإبقائها تحت سيطرة الخلافة فى نفس الوقت، فعمل على أن تقام الأمصار حيث يمكن أن ترعى الأبل[16] ، بقصد إبقاء نمط معيشة سكانها العرب البدوى – الرعوى – الحربى المنفصل عن نمط معيشة سكان البلاد المفتوحة، كما كان حريصا على توفير عطاء الجند وأسرهم [17]، حتى يظلوا معتمدين فى معاشهم على الدولة وحتى لا يتحولوا للزراعة والاستقرار. أما مبدأ تقسيم الفيىء الذى ورد فى القرآن فقد قصره عمر على ما يحرزه المقاتلون فى المعارك من مال أو سلاح[18]. كذلك طبق عمر نظام الخراج فى مصر[19]. وترتب على ما فعله عمر اعتماد نظام الدواوين الخاصة بالخراج، والتى ورثها العرب عن البلاد المفتوحة[20]، وإنشاء ديوان العطاء.

ترتب على تزايد أهمية نظام الخراج أن وضع الفقه الإسلامى على عاتقه مهمة التكيف مع هذا الواقع والتشريع له. ورغم المعاناة والحيرة التى لقيها الفقهاء[21] ، إلا أنهم أنجزوا مهمتهم. وصارت تشريعاتهم الاقتصادية تنزع فى الأغلب الأعم إلى الحفاظ على قوة نظام الخراج وبقائه، مقتفين أثر عمر بن الخطاب. فقد منع عمر تحويل أرض الخراج إلى أرض عشر إذا أسلم أهلها، واقتفى أثره الفقهاء واكتفوا بإلغاء الجزية على الرؤوس متعللين بأن لحظة الفتح تحديدا هى التى تحدد ما إذا كانت الأرض أرض عشر أم أرض خراج [22]. بل ويصل الأمر بأبى يوسف إلى حد منع الخلفاء من أخذ أرض الخراج من أهل الخراج[23]. وحتى بالنسبة للأراضى البور الواقعة ضمن أرض الخراج، أى فى نطاقها، يفرض الخراج عليها إذا ما استصلحت وعمرت [24]. وما من شك أن مجمل هذه الأحكام تضع قيودا متعددة على الملكية الخاصة للأرض الزراعية[25]. والأساس القانونى لحق الملكية الخاصة للأرض، ألا وهو حق وضع اليد، جرى حصره إلى حد كبير بالحكم الخاص بفرض الخراج على الأرض المستصلحة الواقعة ضمن أرض الخراج.

ان مقولة غياب الملكية الخاصة للأرض فى نطاق أرض الخراج. ليست مجرد مقولة نظرية مستندة من الفقه. فإذا ما بحثنا فى طبيعة الخراج نفسه لوجدناه مختلفا تماما عن الضريبة والزكاة .فيتضح من بعض ما أورده أبو يوسف فى كتابه[26]، أن الخراج أكبر

من العشر بل والعشرين. وهذا ليس مجرد فارق كمى بل هو فارق كيفى، إذ أن ضخامة الخراج المفروض على قطعة الأرض تجعله ما يمكن أن نسميه بمصطلحات علم الاقتصاد فائض الإنتاج الاجتماعى، أى يكافئ بلغة عصرنا الضريبة والريع والربح معا. كما أن حائز أرض الخراج لا يحق له أن يمتنع عن زراعتها [27]، لأنها أرض ملك للدولة الإسلامية. ويؤكد ذلك ما ذكره ابن عبد الحكم عن نظام فرض الخراج فى مصر [28]، إذ كان يفرض على القرى جملة تبعا لمساحة كل قرية من الأرض العامرة، وتقسم هذه المساحة على الأسر فى القرية بحسب قدرتها على الفلاحة، أى بحسب ما تحوزه من قوة العمل. وما يفيض من أرض القرية مما لا يرغب سكانها فى فلاحته كان يقسم عليهم ويلزمون بزراعته. هذه الحقائق تحول دون قبول ما يذكره أبو يوسف، عن حق حائز أرض الخراج فى توريثها و بيعها[29] ، فنظرا لطبيعة الخراج باعتباره فائض الإنتاج الاجتماعى، ونظرا لكل ما سبق ، فقول أن ما يتوارث هنا هو حق الحيازة أو حق المنفعة ، وهى وراثة مشروطة بالقدرة على فلاحة الأرض وتعميرها. كذلك لا تستقيم فكرة حيازة أهل الخراج لحق الرقبة مع ما يذكره أبو يوسف عن وجوه المزارعة[30] ففيها : يكون الخراج على صاحب الأرض، أى حائزها، ويحصل الزارع على المحصول، ذلك على عكس أرض العشر بحيث يكون العشر على صاحب الزرع أو على الاثنين معا. فواضح هنا أن القيام على أرض الخراج وحيازتها واجب على الحائز أكثر منه حق له. كما يتضح أن كافة أحكام أرض الخراج مكيفة بحيث تضمن الدولة حقها فى خراج الأرض[31].

إلام يستند حق الدولة فى الحصول على فائض الإنتاج من أرض الخراج ؟ إذا ما طرحنا جانبا الأحكام الفقهية وما تقدمه من تبريرات لهذا مما سبق ذكره، سنجد الأساس الحقيقى لنظام الخراج فى نظام الرى. فالحكومة تعد مسئولة عن صيانة نظام الرى من حفر وتعميق للأنهار والترع والمصارف الرئيسية وبناء الجسور لحماية الأرض من الفيضان وتتكفل بنفقة كل ذلك فضلا عن أن جهاز الدولة هو الأداة الرئيسية والضرورية لإنجاز هذه الأعمال العامة[32]. أيضا، تعد الدولة مسئولة من حيث الإشراف والتخطيط بالنسبة لأعمال الرى المقامة على نطاق أصغر من هذا، بحيث لا تتسبب فى الإضرار

بنظام الرى النهرى فى مجموعه [33]. مثل هذا الدور الجوهرى الذى تلعبه الدولة فى صيانة الشروط الأساسية للنشاط الزراعى، وهو النشاط الاقتصادى الرئيسى، يستدعى بالضرورة هيمنتها على الموارد المالية، كما يعطيها الفرصة فى استغلال سلطاتها الجوهرية الناشئة عن دورها هذا فى مد سلطانها إلى كافة المجالات الأخرى.

كانت الدولة تجبى الخراج عن طريق موظفين ينتظمون فى جهاز يسمى ديوان الخراج يرأسه والى الخراج [34].وقد عرفت ثلاثة نظم لجباية الخراج. كان عمر بن الخطاب قد جبى خراج السواد طبقا لنظام المساحة، الذى كانت دولة فارس قد أخذت به بدءا من عهد كسرى أنو شروان[35] .وهو نظام يقوم على مسح الأرض وإحصاء الناس[36]، وتحديد الحيازات وما فيها من مزروعات فى سجلات، بحيث تتحدد قيمة الخراج تبعا لمساحة الأرض وجودتها ومدى بعدها عن السوق ونوع المحصول المزروع [37]. وفى عهد المهدى تحولت الخلافة العباسية إلى نظام المقاسمة، نظرا لشكوى الحائزين من إنخفاض أسعار المحصولات بحيث صاروا عاجزين عن أداء الخراج. ويقضى نظام المقاسمة بأن تحصل الدولة على نسبة تتراوح بين النصف والربع من المحصول تبعا لطريقة الرى[38]. لا شك أن نظام المقاسمة يحتاج إلى مسح الأرض لتحديد الحيازات ووسيلة الرى ونوع المحصول. ويشدد أبو يوسف[39] على أهمية نظام المساحة، نظرا لأنها تمنع تعدى الأقوياء على حق الضعفاء، ويترتب على ذلك العجز عن أداء الخراج، فضلا عن المساس بهيبة الدولة. ونجاح أى من هذين النظامين يرتبط أشد الأرتباط بألا يتطرق الفساد إلى جهاز الدولة وألا يتحول ولاء موظفيها، وخاصة كبارهم ممن يتولون الولاية العامة أو ولاية الخراج. لذلك ينصح أبو يوسف[40] بألا يتولى ولاية الخراج إلا من كانوا من أهل الصلاح والدين والأمانة، وأن تصرف حقوق الولاة والجنود من قبل ديوان العطاء فلا تكون لهم علاقة مباشرة بجباية الخراج من الولاية[41] ، مما يجعل من الصعب على الحاميات العسكرية الانفصال بالولاية. ويبدو أنه لنفس السبب، فصل سليمان بن عبد الملك منصب والى الخراج عن الولاية العامة فى مصر، واقتفى أثره من تلاه من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية فى أغلب الحالات. وحرصا على عدم تفشى الفساد الإدارى،

كان بعض الخلفاء الأقوياء، حين يلمس كسرا فى الخراج بسبب الظلم، يرسل من قبله من يفتش على أعمال الولاء ويقتص للرعية منهم [42].

أما النظام الثالث لجباية الخراج، فهو نظام *القبالة*. وفيه تعهد الحكومة – عن طريق مزاد علنى فى أغلب الأحوال – إلى أحد الأشخاص بجباية خراج دائرة أو ولاية معينة فيصير مسئولا عن توريد المبلغ الذى تعهد بدفعه للحكومة، وله أن يحصل على ما يفيض عن ذلك من نتاج الجباية. وهذا النظام من مضاره أنه يضع الحائزين تحت رحمة المتقبل الذى يلجأ عادة لاعتصار أهل الخراج من أجل زيادة أرباحه، مما يترتب عليه فرار الحائزين من الأرض أو لجوئهم للتخريب . والأرجح أن الدولة ما كانت تلجأ إلى هذا النظام إلا إذا ما تفشى الفساد فى الإدارة بنهب مستحقاتها عن طريق الموظفين.

ومع أن الدولة هى التى تحدد نظام جباية الخراج ومقداره، إلا أن سلطتها فى هذا المجال مقيدة من الناحية الموضوعية بمصلحتها فى الحفاظ لحائزى أرض الخراج على الحد الأدنى من الدخل اللازم لمعاشهم وأسرهم، وإلا "إنكسر الخراج [43] بتعبير أبو يوسف. بالإضافة إلى حماية جهاز الدولة من الفساد الإدارى ومركزة نظام الخراج، مما ذكر سابقا ، يشدد أبو يوسف على ضرورة توحيد معايير الخراج و أن يقتسم الموظفون المحصول مع الزارع مرة واحدة بعد التذرية والدرس وأن يتم الدرس بأسرع ما يمكن حتى يتاح للفلاحين أخذ نصيبهم بسرعة فلا يصابوا بالعوز أو اضراره [44]. رغم كل هذه الإجراءات كان تعذيب أهل الخراج، وبأبشع الوسائل ، شيئا معتادا فى هذا العصر[45].

والواقع أن كل هذه الإجراءات لم تستهدف بالدرجة الأولى – إذا كانت تستهدف أصلا –تحقيق العدل أو الرحمة بالرعية، وإنما كان هدفها الأساسى الحفاظ على نظام الخراج ومقداره. لذلك نجد أبو يوسف يشدد فى كل نصائحه للخليفة الرشيد على أضرار مخالفة هذه النصائح بمقدار الخراج. وعمرو بن العاص الذى عاب على خلفه فى ولاية مصر تحميل أهل الخراج فوق ما يحتملون يحدد وضع القبط الاجتماعى بأنهم خزنة العرب[46] ، ويشبه أرض مصر بالبقرة الحلوب[47] وحليبها الخراج. كذلك أمر عمر بن الخطاب بأن "يختم فى رقاب أهل الذمة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم، ويجزوا نواصيهم، ولا يدعوهم يتشبهون بالمسلمين فى لبوسهم" [48].

وحتى هذا العدل الذى يستهدف عدم كسر الخراج لم يكن دائم الحدوث. فعوامل من قبيل تزايد احتياجات الحكومة للانفاق على الجنود والحفاظ على مظاهر الترف، أو اقطاع المقربين أو الجنود، كثيرا ما دفعت الخلفاء إلى التعدى على الحد الأدنى لمعيشة أهل الخراج. ومن أمثلة هذا ما حدث فى عهد سليمان بن عبد الملك، حيث جاءه وإلى الخراج بمصر أسامة بن زيد قائلا : "أنى ما جئتك حتى نهكت الرعية وجهدت، فإن رأيت أن ترفق بها وترفه عنها وتخفف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها وصلاح معايشها فافعله فإنه يستدرك فى العام المقبل". فقال سليمان : "*هبلتك أمك، أحلب الدر فإذا انقطع فاحلب الدم والنجا*" [49] فإذا ما اشتد الأمر على أهل الخراج كانوا يلجأون للثورة ضد الدولة، وسنستعرض هنا ثورات المصريين الرئيسية ضد الأمويين والعباسيين. ثار القبط ثورتهم الأولى فى علم ١٠٧ هـ، بعد أن قرر والى الخراج فيها زيادة الخراج بما يساوى خمسة بالمائة منه[50]. وكانت ثورة مصر الكبرى الثانية فى عهد المهدى واستمرت من عام ١٦٧ إلى عام ١٦٩ هـ فى الصعيد والدلتا، بسبب تشدد الوالى فى اعتصار الخراج وزيادته[51]. وتعددت ثورات العرب الذين استوطنوا منطقة الحوف الشرقى، فثاروا ثلاث مرات فى عهد الرشيد. كانت أولى ثوراتهم فى عام ١٧٨ هـ، بسبب زيادة قيمة الخراج، والثانية فى عام ١٨٦ هـ بسبب التلاعب بمسح الأرض. ويصل بهم الأمر فى عام ١٩١ هـ إلى حد الامتناع عن أداء الخراج، وقمعت كل هذه الثورات سريعا[52]. ثم ثار عرب الحوف ثورتهم الكبرى فى عهد المأمون فى عام ٢١٤ هـ وقمعت، ولكن الثورة ما لبثت أن اشتعلت مرة أخرى فى عام ٢١٦ هـ، واشترك فيها القبط والعرب كلاهما بالوجه البحرى. ولم تهدأ الثورة إلا بعد حضور المأمون بنفسه فى عام ٢١٧ هـ[53].

وخلاصة هذا كله أن نظام الخراج يستتبع بالضرورة أن تصبح علاقة السياسة بالاقتصاد علاقة مباشرة. فمسئولية الدولة عن نظام الرى وما يستتبعها من ملكية الدولة للأرض وحصولها على الفائض الاجتماعى بواسطة جيش من الجباه، كل ذلك يحول كل احتجاج للسكان ضد العسف والنهب الاقتصادى مباشرة إلى ثورة سياسية الطابع [54]،

حتى ولو كان سبب هذا العسف هو تراخى قبضة الدولة المركزية عن دواوين الولايات .. ففى كل الأحوال يأتى هذا النهب عن طريق الجباة وزبانية الدولة.

وتتجلى العلاقة المباشرة بين السياسة والاقتصاد على وجه آخر، من حيث أن الخراج هو العماد الحقيقى والرئيسى لمركزية الدولة، فمن الخراج عطاء الجند، ومنه أرزاق القضاة والعمال والولاة[55] ، وسائر الموظفين. وهذه العلاقة بدورها كان المعاصرون يدركونها فقد قال المأمون : "قد كان لأخى (الأمين) رأى لو عمل به لظفر بنا ، لو كتب لأهل خراسان وطبرستان ودنباوند أنه قد وهب لهم الخراج لسنة، لم تخل من أحد حالين : أما رددنا فعله ولم نلتفت إليه فعصانا أهل هذه البلدان ،وأما قبلناه وانفذناه، فلم نجد ما لا نعطى منه من معنا وتفرق جندنا ووهن أمرنا" [56]. ولكن الأمين كان فى شغل عن أمور الخراج بمجالس الندماء [57].

على أن أكبر تهديد يواجه نظام الخراج، هو توسع نظام الاقطاع على حسابه. وقد لجأت الدولة الإسلامية إلى الإقطاع من أجل مكافأة أنصارها وكبرائها. وكان الرسول أول من اقطع أرضا فى العصر الإسلامى، فقد أقطع – على سبيل المثال – من أرض بنى النضير – وكانت أرض خراج – الزبير بن العوام[58]. كما أعطى منها المهاجرين واثنين من الأنصار شكيا الفقر[59]. كان معيار الاقطاع إذن هو التقدير الشخصى للرسول لمصالح المجتمع الناشئ. وفى الأراضى المفتوحة كان عثمان بن عفان أول من أقطع أرض الصوافى فى العراق[60]. وأرض الصوافى هى الأرض التى كانت فى يد كسرى ومرازبته وأهل بيته، ومن قتل فى الحرب أو لحق بدار الحرب، وغير ذلك[61]. وكذلك أقطع معاوية[62] والخلفاء الأمويون أنصارهم. ومع تقدم الزمن بالدولة الأموية تخطى نظام الاقطاع الصوافى إلى أرض الخراج واستمر ذلك حتى جاء عهد المنصور العباسى، فصادر كل ذلك وأعاد أرض الخراج إلى ما كانت عليه [63]. ويبدو أن الخلفاء العباسيين الأقوياء كانوا يقطعون الأراضى البور بصفة خاصة [64]، من أجل مد العمران، وبالتالى تزايد موارد الدولة. ولذلك يستشهد أبو يوسف بما قاله عمر بن الخطاب من أن الأرض المقطعة التى لا يعمرها صاحبها لمدة ثلاث سنوات لا تكون من حقه[65]. ومن ذلك نستنتج أن الاقطاع وظيفة من حيث الجوهر، وبواسطته توكل الحكومة تعمير الأرض، وهو

الواجب الموضوع على عاتقها، إلى أحد الأفراد، وهذا الاقطاع مترتب على وظيفة الشخص، أى أهميته داخل جهاز الدولة. فهو اقطاع متفرع عن سلطة الدولة، على عكس الاقطاع الأوروبى.

إذا أقطع الإمام أرضا واقعة ضمن أراضى الخراج لمقطع، فللإمام أن يفرض عليها الخراج [66].أما إذا كانت مع أرض القطائع، فيفرض عليها العشر ونصف العشر[67] ، وإذا كانت تشرب من أنهار الخراج فللإمام أن يفرض عليها الخراج[68]. والأرجح أنه قلما كان الإمام يفرض على المقطع الخراج. نظرا لأن المقطع يتحمل مؤونة إستصلاح الأرض وتعميرها إذا كانت بورا [69]، ولأن الإقطاع إنما هو هبة من الدولة فلا يعقل أن يأخذ المقطع من المزارعين فى الأرض المقطعة خراجا ويعطيه للدولة، إذ لن يتبقى له شئ أو يلجأ لأن يحمل المزارعين ما يفوق طاقتهم.

ولما كان الإقطاع وسيلة من وسائل مكافأة الأنصار والحفاظ على ولائهم، يصعب أن نتصور ألا يكون نزع الإقطاع وسيلة للعقاب والحرمان والقضاء على نفوذ المناوئين لحكم الخليفة. ورغم تأكيدات أبو يوسف العديدة لعدم حق الخلفاء فى انتزاع إقطاعات من أقطعهم الخلفاء المهديون وتحريم ذلك[70] ، ولا نشك فى أن نكبة البرامكة، أو انتقال الحكم من الأمين للمأمون بعد حرب أهلية أو تأرجح موقف الخلفاء الأمويين بين القيسية واليمنية، تستتبع كلها نزع إقطاعات الخصوم وإعادة إقطاعها للأنصار.

ولاشك أن اتساع الثغرات التى يفتحها نظام الإقطاع فى نظام الخراج، كظاهرة مميزة لعهود تراخى قبضة الدولة وانهيار السلطة المركزية، ليس من قبيل الصدفة أو التوافق الزمنى .. إنما هو توافق ناتج عن ارتباط الأمرين ارتباط العلة بالمعلول. فانتشار نظام الإقطاع يعنى ظهور جماعات من الحائزين الأقوياء لحقوق عينية على الأرض، لهم مصالح منفصلة عن مصلحة الدولة، ويمكنهم أن يستخدموا ثرواتهم فى تحقيق مآربهم داخل جهاز الدولة بالرشوة وغيرها. ويترتب على فساد رجال الدولة وظهور هؤلاء المقطعين الأقوياء، لجوء الدولة إلى نظام القبالة لعجزها عن السيطرة على أطراف الجهاز الحكومى وإلى اضطرار حائزى أرض الخراج إلى إلجاء أرضيهم[71]. وكل هذه الظوهر تؤدى للإجهاز على مركزية الدولة، أو أضعاف العصبية بتعبير ابن خلدون.

يمكن القول أن نظام الخراج يقوم على دعامتين أساسيتين : أولاهما احتفاظ الدولة بملكية الرقبة لأرض الخراج، وثانيهما حصولها على فائض الإنتاج من هذه الأرض بواسطة موظفيها. ويستند تعميم هذا النظام وانتشاره إلى وظيفة الدولة الاقتصادية فى الإشراف على نظام الرى والإنفاق على إصلاحه وترميمه. كما يترتب على سيادة هذا النظام فى المجال الزراعى، أن يصبح هذا النظام الأساس الاقتصادى لمركزية الدولة، بينما ترتبط ظاهرة انهيار هذه المركزية بانهيار نظام الخراج لصالح نظام الإقطاع واللجوء لنظام القبالة فى جمع الخراج وتفشى الفساد فى جهاز الخراج، وانتشار ظاهرة إلجاء الأرض، وكل ذلك يعنى وقوع وظائف الدولة الاقتصادية على عاتق فئات اجتماعية أخرى لا تستمد مكانتها وثروتها من مجرد وضعها داخل جهاز الدولة.

****

الهوامش:

[1] الخراج، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا، القاهرة ١٩٨١. والكتاب رغم عنوانه يتناول مختلف الأمور التى يمكن إدراجها تحت عنوان (أحكام المالية العامة).

[2] للمزيد حول خلط المعاصرين فى استخدام مصطلح الخراج، راجع : محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط ٤، القاهرة ١٩٧٧، المقدمة.

[3] لا تنتمى التجارة العابرة (الترانسيت) إلى مجال الإنتاج، وإنما إلى مجال التبادل وعلى ذلك لا تمس أهميتها كمصدر دخل للخلافة والتجار أدنى مساس بالفكرة التى ذكرت توا.

[4] فى كتابة "قوانين الدواوين" تحدث ابن مماتى بشكل مختصر نوعا عن بعض من هذه النظم فى مصر. ولكن كتابه، فضلا عن صغر حجمه واقتضاب معلوماته، يرجع إلى عهد الايوبيين، وهو عهد شهد – كما يتضح من الكتاب – بيع الوظائف العامة وظواهر أخرى تجعل من الصعب الاستناد إلى مؤلفات هذا العهد فى وضع معالم نشأة وتطور نظم الخراج فى العهود الأسبق.

[5] الجهشيارى، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط ٤، القاهرة ١٩٣٨. ص ص ٤ – ٥ ؛ الريس، الخراج والنظم المالية، ص ٩٥.

[6] البلاذرى، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وآخر، القاهرة ١٩٥٧، ص ٧٩.

[7] البلاذ رى، فتوح البلدان، ص ٩٥،

[8] نفس المصدر، ص ٢٧. وقد حدث هذا فى أرض بنى النضير، إذ اشترط عليهم الرسول فى الصلح خروجهم من المدينة.

[9] البلاذ رى، فتوح البلدان، ص ٤١.

[10] نفس المصدر، ص ٢٧، ص ٤١.

[11] نفس المصدر، ص ٤٤.

[12] نفس المصدر، ص ٣٣، ص ٣٩. ونلاحظ أن هذا التفريق بين أرض الصلح وأرض العنوة ذو طابع عملى واضح يستهدف إغراء المسلمين على خوض الحروب مع الرسول، فالواقع أن الصلح وشروطه، ما هما نتاج لخشية من قبلوه من قوة المسلمين العسكرية.

[13] نفس المصدر، ص ٣٠٠.

[14] نفس المصدر، ص ص ٣٤ – ٣٥، ص ص٣٣ – ٣٤، ص ٢٧، ص ٤٧.

[15] البلاذ رى، فتوح البلدان، ص ص ٣٧٠ – ٣٧١؛ ابو يوسف، الخراج، ص ص ٦٧ – ٧٠. وإذا استخدمنا منهج ابن خلدون، قلنا أن عمر يعنى أن تقسيم الأرض سوف يضعف العصبية العربية؛ عماد الدولة والدين. وتجدر الإشارة إلى تشابه ما أورده عمر بن الخطاب من أسباب مع ما استنتجناه سابقا من أسباب اقرار الرسول أرض خيبر ووادى القرى فى أيدى أهلها. ففى الحالتين كان منطق مصلحة الدولة هو معيار اتخاذ القرارات.

[16] أبو يوسف، الخراج، ص ص ٨٧ – ٨٨.

[17] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢١٧.

[18] البلاذ رى، فتوح البلدان، ص ٣٧١؛ ابو يوسف، الخراج، ص ٦٨.

[19] وقد تسبب ذلك فى جدل طويل حول ما إذا كانت مصرقد فتحت عنوة أم صلحا : ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٢٩، ص١٣٠؛ البلاذ رى، فتوح البلدان، ص ص ٣٠١ – ٣٠٢. وقد وصل الأمر بالذين رأوا أن مصر قد فتحت صلحا أن ابتدعوا خلافا بين قيرس وإلى مصر البيزنطى وبين الامبراطور، بسبب دفاع قيرس عن القبط – وهو المشهور بعدائه الشديد لهم – فصالح عمرو بن العاص بالنيابة عنهم : ابن عبد الحكم، نفسه ص ١٠٧، ص ١٠٩ – ١١٠؛ البلاذ رى، نفسه، ص ٣٠٢ – ٣٠٣. والواقع ان

فكرة فتح مصر صلحا تحتاج بالضرورة إلى رئيس للقبط يعقد الصلح فكان قيرس ضالتهم !

[20] وقد ظلت دواوين الخراج بلغات أهل البلاد الأصلية، حتى تم تعريبها فى عهد عبد الملك بن مروان، ربما بفرض أحكام الرقابة عليها. راجع الريس، الخراج والنظم المالية، ص ٢١٠ – ٢١١.

[21] ويمكن تلمس مثال لهذه المعاناة فى نصوص متفرقة لابى يوسف فى كتابه الخراج. ففى ص ١٢٨، قال أن ما افتتح عنوة (من أرض البصرة وخراسان) هو أرض خراج. ويؤكد فى ص ١٢٩، أن الخراج (ويقصد أرض الخراج) هو ما افتتح عنوة من السواد وغيره، وكذلك فى ص ١٣٠. أما بالنسبة للمستقبل، فنجده يتبنى حلا توفيقيا، إذ ترك للخليفة حق توزيع الأرض على المقاتلين أو وقفها حسبما يتراءى له، ص ص ١٣٥ – ١٣٦، ص١٤٩.

[22] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ص٢٠٨ – ٢٠٩ ؛ ابو يوسف، الخراج، ص ص ٩٦ – ٩٧، ص ١٨٩؛ البلاذ رى، فتوح البلدان، ص ١٠١. وهنا يتضح تماما الهدف من اقرار نظام الخراج، ألا وهو أحكام سيطرة الدولة على الأرض الزراعية. فمن حيث المنطق، يصعب تلمس جريرة تفرق بين من أسلم فى عهد لاحق وبين من أسلم فى "لحظة الفتح" المنشودة.

[23] أبو يوسف، نفسه، ص ١٣٦.

[24] نقس المصدر ، ص ١٢٩ ،ص ١٤١ . و لكن إذا اقتطع الإمام أرضا منها، فيمكن أن يفرض عليها غير الخراج. و سيبحث ذلك لاحقا

[25] أرض العشر وحدها هى التى تعد بحق ملكية خاصة، وهى محدودة المساحة بأرض الحجاز الزراعية، والأرض التى اسلم عليها أهلها قبل الفتح، بالإضافة إلى حالة نظرية وهى الأرض المفتوحة عنوة إذا ما قسمها الإمام على المقاتلين : أبو يوسف، نفسه، ص ١٤٩.

[26] نفس المصدر، ص ١٣٠،ص ١٢٧

[27] البلاذ رى، نفسه، ص ٦٢٨.

[28] فتوح مصر والمغرب، ص ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

[29] الخراج، ص ١٣٦. اللهم إلا إذا كان ذلك خاصا بأرض معينة حول العاصمة بغداد بسبب الحركة التجارية النشطة التى كانت قائمة هناك وتأثيرها فى تفكيك أشكال الاقتصاد الاكتفائى.

[30] الخراج، ص ص ١٧٩ – ١٩٨.

[31] يستدعى هذا من الناحية المنطقية، أنه ليس من حق حائز أرض الخراج ان يتخلى عن زراعتها، إلا إذا وجد من يحل محله فى الالتزام بتأدية الخراج. غير أنه لا توجد – فى حدود علمنا الضيقة – نصوص حول هذا الموضوع.

[32] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٠٨؛ ابو يوسف، الخراج، ص ٢٠٩،ص ٢٣٣ ويلاحظ أن أبا يوسف يذكر فكرة معاكسة .. إذ يقرر أن أعمال الرى واقعة ضمن مسئولية الحكومة، لأن تخليها عن ذلك يؤدى لنقص الخراج. وهذه فكرة صحيحة فى حد ذاتها، غير أنه يبدو لنا أن نظام الرى هو الأصل لا الفرع، وذلك لا ينفى وجود تأثير متبادل بين النظامين.

[33] ابو يوسف، الخراج، ص ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

[34] يجدر بالذكر أن أبا يوسف يؤكد على عدم حق والى الخراج فى التنازل عن جزء من الخراج للحائز : الخراج، ص ١٨٩. على أن هذا النص إن دل على شئ فإنما يدل على ارتكاب بعض ولاة الخراج على الأقل لهذا الأمر.

[35] الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ص ٤ – ٥، الريس، الخراج والنظم المالية، ص ص ٧٣ – ٧٤. ولا نتفق مع مطابقة المؤلف بين نظام المساحة ونظام جباية الخراج نقدا.

[36] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ص ٢١٠ – ٢١١؛ ابو يوسف، الخراج، ص ٨٧، ٧٠ص ؛ ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية، ص ٢٤٥ – ٢٤٦. ويجدر بالذكر أن نظام مساحة الأرض وإحصاء الأفراد معروف منذ عهد الدولة الوسطى فى مصر الفرعونية على أقل تقدير.

[37] أبو يوسف، نفسه، ص ٩٧

[38] الريس، الخراج والنظم المالية، ص ص ٤٠٣ – ٤٠٤ ، ٤٠٦ – ٤٠٧.

[39] الخراج، ص ص ١١١ – ١١٢

[40] نفسه، ص ٢٢٧. انظر كذلك نصائح عبد الحميد الكاتب، آخر وزراء الدولة الأموية، لكتاب الخراج فى : الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ص ٧٥ – ٧٦.

[41] ابو يوسف، الخراج، ص ص ٢٢٨ – ٢٢٩. وفى نفس هذا المعنى يورد الجهشيارى نصيحة للملك الفارسى سابور بن اردشير بألا يولى قادة الجند جباية الخراج : الوزراء والكتاب، ص ص ٦ – ٧

[42] الجهشيارى، نفسه، ص ص ٢١٧ – ٢٢٠. وكسر الخراج : نقصه.

[43] أبو يوسف: الخراج ، ص ٢٢٥

[44] نفس المصدر، ص ٢٣٠.

[45] الجهشيارى، نفسه، ص ص١٤٢ – ١٤٣

[46] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٠٧؛ البلاذ رى، فتوح البلدان، ص ٣٠٣.

[47] البلاذرى ، نفسه ، ص ص٣١٣-٣١٤

[48] ابن عبد الحكم ، نفسه، ص ٢٠٥ . و مناطقهم : جذوعهم

[49] الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ص ٥١ – ٥٢. التشديد من عندنا. النجا : الجلد.

[50] الريس، الخراج والنظم المالية، ص ٢٤٥

[51] نفس المرجع، ص ٤١٦.

[52] نفس المرجع، ص ٤٤٦.

[53] نفس المرجع، ص ص ٤٤٧ – ٤٤٨.

[54] وذلك بعكس نظام الإقطاع الأوروبى الذى يتسم بطابع المحلية من جهة، كما يتسم بالعلاقة غير المباشرة بين نظام الإقطاع ونظام الضيعة من جهة أخرى. والعاملان معا يجعلان العلاقة بين السياسة والاقتصاد علاقة غير مباشرة، لذلك لم تشهد أوروبا فى عمرها الوسيط ثورات فلاحية عامة.

[55] ابو يوسف، الخراج، ص ص ٣٦٢ – ٣٦٣

[56] الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٣١١.

[57] نفس المصدر، ص ٢٩٩.

[58] البلاذ رى، فتوح البلدان، ص ٣١

[59] نفس المصدر والصفحة.

[60] نفس المصدر، ص ٣٨٢

[61] أبو يوسف، الخراج، ص ص ١٢٥ – ١٢٦. وهو يذكر أن عمرا قد اقطع من صوافى العراق. ولكن ذلك يبدو مستبعدا لما عرف ميل عمر لحبس وجهاء قريش والمسلمين فى الحجاز.

[62] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٢٦.

[63] الريس، الخراج والنظم المالية، ص ٣٩٠.

[64] الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ص ١١٧ – ١١٨

[65] ابو يوسف، نفسه، ص ١٣١

[66] نفس المصدر، ص ١٢٩

[67] نفس المصدر، ص ١١٥

[68] نفس المصدر، ص ١٢٧.

[69] نفس المصدر، والصفحة.

[70] نفس المصدر، ص ١٢٧،ص ١٣٠.

[71] ويذكر الجهشيارى نصيحة لأحد حكماء فارس موجهة إلى كسرى بهذا المعنى : الوزراء والكتاب، ص ٧.

نصوص مسمارية من العصر السومري الحديث

م.م. سمر عباس عبد الكريم

ماجستير اثار قديم

البريد الالكتروني:

Summer.abbas@coart.uobaghdad.edu.iq

نصوص مسمارية من العصر السومري الحديث

م.م. سمر عباس عبد الكريم

المقدمة

تميز العصر السومري الحديث (سلالة اور الثالثة)الذي حكم فيه خمسة ملوك مدة مئة عام بالإدارة المركزية المتميزة وسيطرة القصر والمعبد على كافة النشاطات و بالازدهار والانتعاش الاقتصادي الذي شمل معظم المدن السومرية وبكثرة النصوص ذات المضامين الاقتصادية الغنية بالمعلومات المهمة التي تعكس لنا جانبا مهما من حياتهم اليومية سواء على صعيد المؤسسات الإدارية او الاقتصادية .

تم تصنيف النصوص المسمارية من قبل علماء الاثار حسب الصيغة الفعلية منها صيغة المدخولات

وصيغة التسليم (Mu-du)

وصيغة النفقات(Šu-ba-ti)

كما صنفت حسب الصيغ التاريخية وحسب الحقبة الزمنية(Ba-zi)

تضمن البحث دراسة اربعة نصوص مسمارية اقتصادية التي تبين لنا أهمية الاقتصاد بكونه العمود الفقري لحياة المجتمعات وتطور الحضارة فهو الركن الأساسي الذي يوفر للإنسان تحقيق كافة متطلباته المعيشية.

IM.(204892)

NO.1

Obv.

Space

3(bán) -ŝe

su-a-ni$_3$-ga

ki a-bu-um-ili ta

Rev.

ba-zi

Kiŝib Lú-du$_{10}$-ga aŠlag

Zu$_2$-lum –im

iti-ezem-^{d}maḫ

المعنى العام:

الوجه:

فراغ

٣ سوتو من الشعير

سو–اني –كا

من ابوم أيلي

القفا:

نفقات/مصروفات

ختم لودوكا ئاش–لاك

زو–لوم

الشهر الحادي عشر ورد في تقويم مدينة اور

التحليل:

ba-zi: جملة سومرية تعني نفقات يقابلها باللغة الاكدية المصطلح ṢitumṢ

(Hallo,w.w, 1981, p. 70) (Gelb,I.J & others, 1956 f, p. 219)) [١]

bán:وحدة سومرية لقياس المكاييل يقابلها بالاكدية sutu [٢] (von soden ,w, (Labat ,R, 1988)1995ff)

Kiŝib:مفردة تعني ختم يقابلها بالاكدي kunukku[٣]

(Gelb,I.J & others, 1956 f, p. 543)

Lú-du$_{10}$-ga :اسم علم ورد في نصوص سلالة اور الثالثة بشكل كبير لاسيما نصور مدينتي كيش اور و اوما ودريهم ويعني الرجل الجيد

(OWEN, p. 80) [٤]

a-bu-um-ili: اسم علم [٥] (OWEN,I, 2013, p. 465)

ki.....ta: مصطلح سومري مركب يعني من يتكون من مقطعين (ki) يسبق الاسم (ta) يلحق بالاسم .[٦] (فوزي رشيد، ٢٠٠٩، صفحة ٧٣)

Zu$_2$-lum: اسم علم سومري ورد في نصوص من عصر اور الثالثة من مدينة اوما ينظر إلى [٧] (الحميدي,وحدان ناصر حسين، ٢٠١٥) كما ورد مصطلح سومري بمعنى تمر ويرادفه في اللغة الاكدية

Suluppū ينظر إلى [٨] (Gelb,I.J & others, 1956 f, p. 373)

(von soden ,w, 1995ff, p. 1057:a)

IM.(204890)

NO.2

Obv.

1(gur)2(pi) 1/3 Še-gur
Ša gan_2-$Še_3$
Ki i-sum-a-bu-[x]
$Šu-er_3$-ra

Rev.

Šu-ba-ti
Iti a_2-gir_4

المعنى العام :

الوجه :

١-١ كور و٢ بان و ٣/١ شعير

العائدة الى الحقل

من اسوم-أبو

شو-ايرا

القفا:

١-استلم

شهر ئا-كر

التحليل:

Ša : مفردة سومرية بمعنى (العائدة) يقابلها باللغة الاكدية المصطلح

Libbu[٩] (Borger,R, 1978, p. 157) (Gelb,I.J & others, 1956 f, p. 164:b)

gan_2 : مفردة سومرية تعني حقل يقابلها باللغة الاكدية

Eqlu

(رينيه,لابات، [١٠] (Black,j, and George,A, & and post gate,N, 2000, p. 90)

٢٠٠٤، صفحة ٨٧)

$Šu\text{-}er_3\text{-}ra$: شو–ايرا اسم علم[١١]

(OWEN,I, 2013, p. 527)

Šu-ba-ti:صيغة فعلية سومرية لفعل مركب يتكون من اسم وجذر فعل

(Šu-....-ti) ويقابله في اللغة الاكدية

(ilqe) [١٢]

(edzard,d,o, 2003, p. 145)

IM(206419)

NO.3

Obv.

36 lu_2-Še

10 $gana_2$-ta

[x]-a-$ŝa_3^{am}$ (eqlam)

da-gan ^{m}a-Še-pa

Še - bi 12-gur ud-1-$Še_3$

A_2 geme- kin-kin
Ki-ur-^{d}utu nu-banda (ta)

Rev.

^{d}amar-sin(en-zu) lugal
gur Šu-ba-ti
(mu) ^{d}amar-sin(en-zu)
(x)-kal-tum
(x)-ir_3-tum

iti-Še-kin-ku_5
mu-^{d}i-bi(sin)/
lugal

المعنى العام :

الوجه :

٣٦ للملك

١٠ للحقل

حقل

حقل يجاور

جراية شعير ١٢ كور ليوم واحد

اجرة عاملة طحن

من الاله اوتو المشرف

القفا:

الاله امار سين الملك

(مكسور) كور استلم

الاله امار سين

مكسور

مكسور

شهر شن كن كو

السنة التي نصب فيها ابي –سين ملك

التحليل:

geme kin-kin:مصطلح سومري بمعنى عاملة طحن يقابلها

يقابلها باللغة الاكدية

Amtu Ṭenu[١٣]

(Labat ,R, 1988, p. 123)

geme:مفردة سومرية تعني امة يقابلها باللغة الاكدية

Amatu(رينيه,لابات، ٢٠٠٤، صفحة ٥٥) [١٤]

IM(20491)

NO.4

Obv.

1 (pi) 5(ban_2)Še

2(ban) kaŠ-nag_2 -nag_2-[x]

Ur-^{d} mu-du

in-da-gal

Rev.

KiŠib ir-tum-^{d}Šu

Space

Iti - ri

Mu-u_4-en -^{d}inanna [maŠ]/-e i_3-bad_3

المعنى العام :

الوجه:

١ابي ٥ سوتو شعير

٢سوتو بيرة للشرب

اور – دنكر –مودو

للخزن او للحفظ

القفا:

ختم ار–تم– دنكر شو

فراغ

الشهر الخامس من تقويم مدينة اوما

في سنة وشهر التي اختيرت فيها الكاهنة انانا بالعرافة

التحليل:

kaŠ:مفردة سومرية تعني (جعة) او بيرة يقابلها باللغة الاكدية

Šikaru ينظر إلى :(١٥)

(Labat ,R, 1988, p. 123)

nag_2:مفردة سومرية بمعنى شرب يقابلها باللغة الاكدية

Šatu ينظر إلى (١٦)

(رينيه,لابات، ٢٠٠٤، صفحة ٥٥)

Ur-^{d} mu-du:اسم علم ينظر إلى (الدليمي ,انغام سليم محمد، ٢٠١٨)

in-da-gal: صيغة فعلية سومرية

I:سابقة تصريف

n:حشوة ضمير أداة الجار والمجرور للشخص الثالث المفرد

da:إدارة معية مع او ضد

gal:جذر فعل سومري متعدي ماضي بمعنى للحفظ او الخزن [١٧]
(Schramm,w, 2003, p. 40)

الملخص

تبين ان النصوص اقتصادية تتضمن تسليم الحبوب (الحنطة ,والشعير) الى عدد من الاشخاص

النص الأول يتضمن ٣ سوتو من الشعيرنفقات شهر العاشر من تقويم مدينة اور وبوزرش داكان

النص الثاني استلام ١ كور و٢ سوتو من شعيرالحقل من اسوم أبو الى شو ايرا

النص الثالث يتضمن (إعطاء)١٢ كور جراية شعير اجرة عاملة طحن ليوم واحد من الحقل الاله اوتو في السنة التي نصب فيها ابي سين ملك

النص الرابع يتضمن ١ بي٥ سوتو بيرة للشرب (الى) اور دنكرمودو

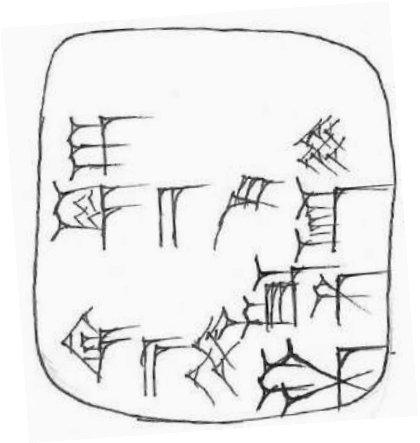
للخزن او للحفظ في الشهر الخامس من تقويم مدينة اوما وفي السنة التي اختيرت فيها الكاهنة انانا بالعرافة

الصور والاستنساخات

NO.1

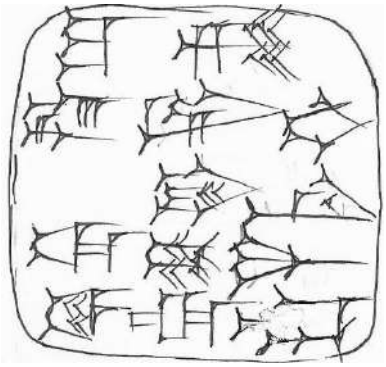
Obv.





Rev.

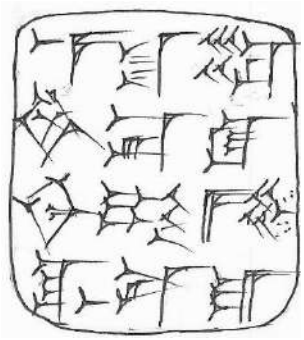




NO.2

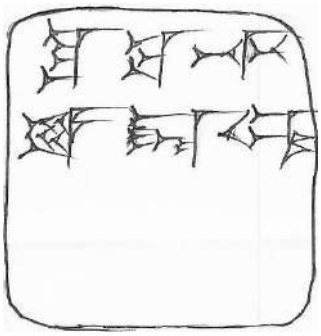
Obv.





Rev.

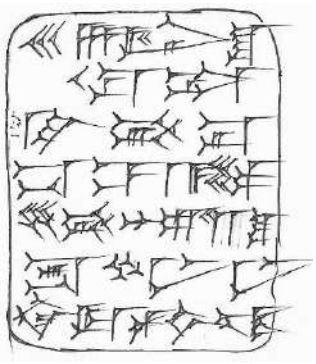




NO.3

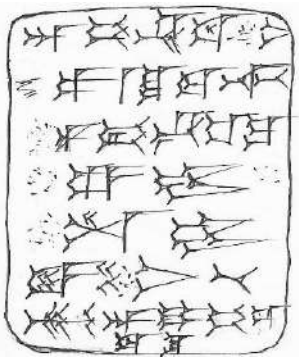
Obv.





Rev.

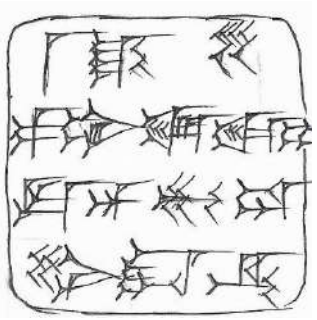




NO.4

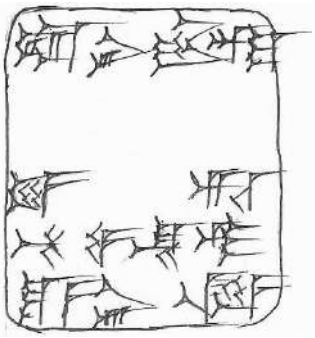
Obv.





Rev.





قائمة المصادر :

١-الدليمي ,انغام سليم محمد ,نصوص مسمارية غير منشورة من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م),رسالة ماجستير ,جامعة بغداد,كلية الاداب , قسم الاثار , (بغداد:٢٠١٨)

٢-رينيه لابات ,قاموس العلامات المسمارية ,(جامعة الموصل :٢٠٠٤),ص٨٧

٣- فوزي رشيد , قواعد اللغة السومرية , (دمشق :٢٠٠٩), ص٧٣

٤-الحيداوي , وجدان ناصر حسين,نصوص اقتصادية وإدارية غير منشورة من زمن سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق,م), رسالة ماجستير ,جامعة بغداد,كلية الاداب , قسم الاثار , (بغداد:٢٠١٥)

4-Borger,R.,assyrisch-babulonisische;a zeichenliste,AbZ,(Germany:1978),p.157:384;CAD,l,op.cit,p.164

5- Black,j.and George,A and post gate ,N,.aconcise dictionary of akkadian (CDA),Wiesbaden (2000),p.٩٠

6- Edzard,d.o., Sumerian Grammer ,(brill ,2003),p.145;CAD,l,op.cit,p.131

7- Gelb,I.J and others ,the Chicago assrian dictionary (CAD),Chicago,(1956 f);

8-Hallo,w.w.,appendix to david owen ,ASJ/3,(japan:1981),p.70

9- Labat,R.,manual D' epigraphie akkadiene (MDA),paris ,(1988),p.71

10- owen ,i.,cuneiform texts primarily from iri-sagrig/al-Šarraki and the history of the ur 111 period ,v 1, NISABA 15/1 ,(Maryland :2013),p.80

11- von sodden,w., akkadische handworterbuch (AHW) ,weisbaden ,(1995 ff)

12- Schramm,W.,akkadische logogramme ,GAAL/4),Gottingen,2003 ,p.40

وظيفة صناعة التماثيل واماكن حفظها

مريم علي حسين أ.م.د. أوسام بحر جرك
جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الاثار
maryaamali886@gamil.com

وظيفة صناعة التماثيل واماكن حفظها

مريم علي حسين
أ.م.د. أوسام بحر جرك

الملخص:

عرفت الحضارة الرافدينية بغزارة النتاجات الفنية في مختلف مجالات الفنون لاسيما فن النحت المجسم, اذ ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمجتمع بلاد الرافدين من خلال ما بينته من طبيعة المجتمعات القديمة والطقوس والشعائر الدينية التي مارسها سكان بلاد الرافدين، والتي كشفت بدورها عن الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد.

ان التطور في الفكر الديني في بلاد الرافدين ادى إلى تباين الوظائف او الغايات التي صنعت من اجلها التماثيل البشرية, فمنها ما صنع لاجل وظيفة دينية او لتمجيد شخصيات مهمة (الملك او الحاكم او كاهن), او لأغراض سحرية فضلاً عن تماثيل الأسس والتي تدفن في اسفل المباني.

الكلمات المفتاحية: التماثيل، طرق الصناعة، بلاد الرافدين، الفن، المعابد.

The Statues Sculpture and its Places Preservation

Mariam A. Hussein Assit. Prof. Awsam B. Charak

University of Baghdad/ College of Arts/ Department of Archeology

Abstract:

Widely considered to be the cradle of civilization, Mesopotamia brought significant cultural developments, including the oldest examples of arts, in the form of both statues and reliefs.

Art was associated with Mesopotamian society through the rituals and religious rituals practiced by the people of Mesopotamia, and it revealed the political, economic and social aspects of the country.

The development of thought in Mesopotamia clarifies the functions or purposes for which human statues were made, as some of them were made for a religious function or to glorify important personalities (the king, ruler, or priest), or for magical purposes, in addition to the foundation statues that are buried at the bottom of buildings.
Keywords: industry, statues, Mesopotamia, temples, arts.

مقدمة:

يعد الجانب الديني من الجوانب الاساسية والمؤثرة في الحياة الدنيوية, لذا عمل الانسان إلى عكس حياته اليومية وحروبه وانتصاراته ومعاناته بهيئة تماثيل بشرية حفظت في اماكن مختلفة منها المعابد والبيوت والقصور.

ارتبطت التماثيل البشرية بمعابد بلاد الرافدين ارتبطا كبيراً لان الانسان الرافديني، كان يشعر بالتبعية المطلقة للآلهة التي كان يعتقد انها مسيطرة على جميع مفاصل الحياة، لذا فان التماثيل البشرية صنعت في بادئ الامر لوظيفة عقائدية سحرية ثم تطورت بعد ذلك لتصبح ذات غاية دينة وسياسية واجتماعية. إن العدد الكبير من التماثيل البشرية والتنوع في اشكالها واحجامها وشخوصها ومواد صنعها، وأماكن وضعها والكتابات المرافقة لها كل هذه مؤشرات لاختلاف الوظائف التي صنعت منها تلك التماثيل، والتي سوف يسلط الضوء عليها من خلال البحث.

الوظيفة والغاية من التماثيل:

أولاً / وظيفة دينية عقائدية: تعددت أنواع التماثيل التي صنعت لهذه الغاية ومنها:

١-**تماثيل الإلهة:** كان للدين تأثيرا كبيراً في حضارة بلاد الرافدين، إذْ إنَّ الانسان كان يشعر على الدوام بأن استمرار وجوده متوقف على أرادة آلهته (رو، ١٩٨٤, ص١٢٨)، وهذه الآلهة التي تجسدت في الظواهر الطبيعية ذاتها بكل خصائصها الخيرة والشريرة (الدباغ، ١٩٦٧, ص ١٠٣-١٠٤)، التي كان يواجهها الانسان في

حياته اليومية في كل مكان وزمان (سمار و نهير، ٢٠١٠ , ص١٣٢-١٣٤)، ولا يعرف على وجه التحديد الوقت الذي ظهرت فيه العقيدة الدينية لبلاد الرافدين، في العصور التي سبقت اختراع الكتابة والتدوين، وقد دل على وجود بعض المعتقدات الدينية في تلك العصور ما خلفه الأنسان القديم في مواقع استيطانه الأولى في الكهوف والملاجئ الصخرية وفي القرى الزراعية الأولى (الدباغ، ١٩٩٢, ص١٣)، ومن بينها التماثيل البشرية والحيوانية التي ارتبطت بعقيدة الخصب، إذْ ادرك الأنسان القديم ان الأرض تحتاج إلى الخصوبة حتى يكثر الأنتاج فيها الذي هو أساس بقائه فعبر عن القوى المنتجة في شكل تمثال امرأة في حالة حمل أحياناً (lenick, 1991 ,pp.5,14,41)،

كان سبب اختيار تجسيد المراة (الأم) تعبيراً عن خصوبة الأرض وحيويتها، أنعكاساً لأيمانه بان القوى الخفية التي تحقق ذلك الأنتاج. مثلها مثل البشر لا يمكن التعبير عنها بأفضل من رمز الأمومة الأنسانية كونها قريبةٍ من حياته وتجسد صورة من صور الخصب والعطاء والتكاثر والخلق الجديد (الحبوبي، ٢٠٠٧ ,ص ١٠)، فضلاً عن مبدأ التشبيه بالبشر هو مبدأ الحيوية (الراوي , ٢٠٠١, ص٣٥) أي الاعتقاد بوجود قوى خفية وأرواح تقطن خلف الظواهر الطبيعة وتسيرها وفقا لأرادتها, وهذا ما جعل الهة بلاد الرافدين عديدة ومتنوعة وفقا لتعدد وتنوع الظواهر الطبيعية المحيطة بهم. أي ان الآلهة كانت ذات صفات بشرية، فهي كالإنسان العادي تخطط وتعمل وتأكل وتشرب وتحب وتكره وتتزاوج وتنجب ولها بيوت تقيم فيها إلاَّ إنَّها تتميز عن البشر بالخلود (بوتيرو، ١٩٩٠ ,ص ٢٥٦ – ٢٥٧). وبعض تماثيل الآلهة التي جسدت بالهيئة البشرية كان يقدمها الملوك كنذور للمعبد، وكذلك كانت توضع في القصور والبيوت السكنية ليعبدوها ويقدموا لها القرابين وأقامة الطقوس الخاصة بها (Bahar, 2020, p.239) .

اعتقد سكان بلاد الرافدين ان الإله هو مالك للحياة، وهو المسيطر عليها وعلى جميع مجرياتها، لذلك شيد مسكن للإله إلاَّ وهو (المعبد)، ليتمكن من عبادة الإله في المعبد عن طريق تجسيد الإله بشكل مادي ملموس، فصنع التماثيل على هيئة البشر، واعتقد ان هذا

التمثال المصنوع من المادة سوف تسكن روح الإله بداخله نجده قد أهتم بنحت تماثيل الإله من مواد ثمينة وتزينه بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة (طه، ٢٠٠٩, ص٣٦٧).

يوضع تمثال الإله الرئيس في الغرفة المقدسة في المعبد (Strommenger, 1964 Fig. 215) على دكة تشبه كرسي العرش في القصور الملكية أو في داخل كوة الجدار، فضلاً عن وجود دكة أخرى وضعت في وسط الغرفة لتقديم القرابين، أماَّ الغرفة التي تسبق الغرفة المقدسة المعروفة بـــ (غرفة المابين) فتوضع على جانبيها تماثيل الالهة الثانوية أو الملوك ومسلاتهم والقرابين المنذورة، تصنع تماثيل الآلهة على الأغلب من الحجر في مختلف أنواعه والمعادن والخشب الجيد (الراوي, ٢٠٠١، ص٣٦).

ليس جميع تماثيل الآلهة توضع في خلوة المعبد فبعضها تستخدم في أسس المباني، إذْ يطلق على تلك التماثيل (تماثيل الأسس) كانت الغاية منها سحرية لطرد الأرواح الشريرة ودكها في الأرض (Strommenger, 1964, Fig. 146)، وعلى الرغم من تعدد الالهة وكثرة معابدها في بلاد الرافدين وكثرة الكتابات التي تبين ان الملوك كانوا يصنعون تماثيل لالهتهم، إلاَّ ان أعداد قليلة نسبية من التماثيل التي كشف عنها تجسد الهة ربما لأنَّ تماثيل الآلهة كانت تصنع غالبا ما من مواد ثمينة، ولاسَّيما المعادن مما يحتمل مع الوقت، تصهر ويعاد أستعمالها, أو لأنَّ تماثيل الالهة تمثل احد رموز سيادة الدولة واستقلالها فكانت هدفا للأعداء عند تمكنهم من غزو البلاد أماَّ يدمروها او ينقلوها إلى بلدانهم*.

تماثيل الكهنة: احتل الكهنة مكانة عالية ومميزة في مجتمع بلاد الرافدين بوصفهم ممثلي الآلهة على الأرض (Nissen, 2009, p.50) (الذهب، ١٩٩٩ , ص١٤) وقمة الهرم للمجتمع و الهيئة الأدارية التي تنظم الشؤون الدينية و الاقتصادية والاجتماعية (حسين، ١٩٩١ ,ص١٠) ، لذا نحتت مجموعة من تماثيل الكهنة من مواد متنوعة وبوضعيات مختلفة

* هنالك اشارات عدة إلى نقل تماثيل الالهة إلى بلدان الملوك المحتلين، مثلاً نقل تمثال الاله سين إلى بلاد عيلام بعد ان تمكن العيلاميون من اسقاط سلالة اور الثالثة، وكذلك اخذ مورشيلي بعد احتلاله لبابل واسقاطه سلالة بابل الاولى تمثال الاله مردوخ وصربانيتم والتي تركها عند مدينة عانة (خانة). وقد تفاخر الملك نبوخذ نصر الأول بعد هزمه للعيلامين من اعادة هذه التماثيل لبابل. ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ ...، ص ٤٧٧.

وضعت في معابد بلاد الرافدين وجسدوا أحياناً وهم عراة حليقي الرأس والوجه بوضعية الصلاة السومرية (لويد، ١٩٨٠, ص١٥٦)، أو يحملون القرابين والنذور لأداء طقوس دينية، وأحياناً مثلوا يرتدون وزرة طويلة أو قصيرة والقسم العلوي من الجسم عاري فربما يمثلون حكام لأنَّ الحاكم في العصور القديمة من بلاد الرافدين كان يُعدَّ الكاهن الأعلى (حسين، ١٩٩١، الصفحات ٥٥,٤٩)، وكما ظهروا في بعض الأحيان حليقي الرأس ولهم لحية، وفي بعض التماثيل جسد الكاهن رشيق الجسم عاري وله شعر طويل مظفور ولحية طويلة ويضع على الرأس وعاء نحاسي للبخور لأغراض طقسية أو احتفالية (لويد، ١٩٨٠، ص١٧٧) .(Frankfort), 1943, pp.41-11

لم يقتصر تجسيد تماثيل الكهنة على جنس محدد بل اشتمل الجنسين من الرجال والنساء(Stol, 2016, p.591,fig.45) . اذ غالباً ما كانت تماثيل الكهنة تجسدهم وهم يؤدون اعمالهم الطقوسية داخل المعبد ربما كانت الغاية منها مشابهة للغاية من تماثيل المتعبدين إلاَّ وهي تذكير الآلهة بأستمراهم في العمل أو لتأكيدهم على أستمرار الطقس الذي يؤدوه (حسين، ١٩٩١، ص ١٥١).

تماثيل المتعبدين

حرص سكان بلاد الرافدين على نحت تماثيل تجسدهم في وضعية تعبد وصلاة يكرسها أصحابها للآلهة توضع في معابدها، الغاية منها الحصول على مباركة الالهة ورضاها ومنح أصحابها حياة طويلة وحمايته وحماية عائلته، وكما تنوب هذه التماثيل عن الوجود الفعلي لأصحابها في المعابد إذْ تضمن استمرار تواجدهم فيها وممارستهم للطقوس والشعائر الدينية الواجبة عليهم، وأحياناً تنحت هذه التماثيل وهي حاملة النذور والقرابين لتكون بدل النذور الحقيقة، ولتعمل على تذكير الالهة باستمرار تقديم اصحابها هذه المواد للمعبد، وربما من الأسباب التي دفعت بعض الناس لوضع تماثيلهم في المعابد وذلك لصعوبة دخول المتعبد اليها فعليا أو القيود التي تفرض على الافراد للدخول إلى معابد الآلهة ولاسَّيما في الأجزاء الأكثر قدسية (Bahar، 2020، p.235) .

وكانت معظم هذه التماثيل تعود إلى ملوك وحكام وأمراء، فضلاً عن تماثيل الكهنة وان بعض منها كانت لناس من افراد المجتمع، صنعت لإظهار التقوى والطاعة والولاء

والخضوع، ولكي لا يصبح عرضة للنسيان (البياتي، ١٩٩٧, ص٤٤)، فقد أمن نقش اسمه على التمثال نفسه (سلمان ، ٢٠١٢ ,ص١٢٩). ونلاحظ الكثير من التماثيل تحمل كتابة مسمارية (طه،١٩٧٠ ,ص١٠٤) توضح الغاية من صنع التمثال، مثل الكتابة على تمثال الحاكم كوديا توضح الغاية من صنع التمثال هي تذكير الإله بعبده المخلص الذي قدم صورته لتكون أمامه في كل وقت ويبقى تحت ناظريه (اكرم، ١٩٤٥ , ص١٣٣)، ورد فيها:

"**ليتكلم تمثالي إلى سيدي**" (Edzrd, 1997 , p. 35)

وتمثال آخر كتب عليه:

"**إلى سيدي الذي بنيت معبده وعسى ان يهبني الحياة**" (Edzrd, 1997, p.53).

ثانياً/ وظيفة سحرية:

السحر* من المعتقدات الدينية التي مارسها الأنسان منذُ أقدم العصور. نلاحظ ذلك من أثاره المتبقية في الكهوف التي استوطنها الانسان في بدايات حياته، التي قد أسهمت في الكشف عن جوانب من معتقداته التي حاول عن طريقها فهم وتفسير ما يحيطه به من الظواهر الطبيعة المختلفة (طه و عبد الواحد و سليمان، ١٩٨٠, ص٥).

إن الممارسات السحرية القديمة كانت قائمة على مبدأين أساسيين، الأول العلل المتشابهة الذي يقوم على أرجاع الاشياء إلى أصلها مثلاً لاحظ ان الحيوانات تلد اجناس شبيهة لها، ومثال على هذا المبدأ عملية الزاوج المقدس الذي يقوم على محاكاة الطبيعة لوفرة الانتاج والخصب وزيادة عدد الحيوانات، إذْ اعتقد القائمين بهذه العملية من القدرة على تحقيق الهدف المطلوب (رشيد، ١٩٨٦,ص١٠٥-١٠٦). اما الثاني يقوم على نظرية ان الاشياء المتصلة مع بعضها في وقت ما لاتزال مستمرة في التأثير على بعضها على الرغم من الانفصال الحاصل بينهما في الزمان والمكان، إذْ ينطبق على النباتات فبذور الحنطة والشعير متصلة مع بعضها في الأصل وعند اخراجها وزرعها تخرج نبتة

* السحر: كل امر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، إخراج الباطل في صورة الحق، استخدام القوى الخارقة بواسطة الارواح، فن وممارسات الساحر. ينظر: (عمر، ٢٠٠٨, ص١٠٤١)

جديدة تشبه أصل البذرة بكل مواصفاتها، يعمل هذا المبدأ لغرض الممارسات السحرية التي تستعمل لأغراضها اجزاء الشيء المراد عمل السحر له (رشيد، ١٩٨٦، ص١٠٧)، أي يمكن للساحر ان ينزل السحر بالشخص عن طريق انزاله بشيء مادي كان على اتصال به يوماً من الأيام سواء كان جزء من جسمه أو غير ذلك (فرايزر،٢٠١٤, ص٢٩).

انعكس المبدأ الأول على مخلفات الانسان في الكهوف ومنها الرسوم التي رسمها الانسان في العصر الحجري القديم ظناً منه إذا ما تمكن من صيد الحيوانات في الرسوم يمكنه في السيطرة عليه في الواقع، أستمر في ممارسة هذا المبدأ في العصور اللاحقة فعلى سبيل المثال عملت تماثيل طينية للانسان ثم تكسر يدها أو اتلاف عينها ظناً منه عندما يعمل هكذا فإنَّه سوف يلحق الضرر بالشخص المقصود الذي شبه بالتمثال (علي، ١٩٨٥,ص٢٠١),وكما ان سكان بلاد الرافدين اعتقدوا بان بامكانهم تحرير الشخص المسحور من السحر وتدمير اعداءه بواسطة حرق صور لهم أو تماثيلهم (فرانكفورت, ص١٥٦) .

جسدت بعض التماثيل بهيئة الآلهة او بشر (لويد، ١٩٨٠، ص١٠٤)عثر عيلها مدفونة تحت أسس المبانيز (العلوش، ٢٠٠١ ,ص٩،١٣)(الصيواني، ١٩٦٢,ص١٨٧). وكان الغرض منها طرد الأرواح الشريرة التي تلحق الاذى بالمباني عرفت هذه التماثيل بتماثيل الأسس (الدوري، ٢٠٠٩ ,ص١٢٦) التي أستعملت بشكل كبير في عصر فجر السلالات ,أما في العصر السومري الحديث فكانت تماثيل الاسس التي تدفن في اساسات المبنى وتخلد ذكرى ذلك البناء مثل تماثيل الاسس للملك اورنمو، وكذلك دفنت تحت الأبواب والأسوار (الأعظمي، ١٩٩٢ ,ص١٦٣) ودكة المحراب أو تحت المدخل أو تحت زوايا المعبد أو أسفل اسس المباني (ابراهيم، ٢٠١٧, ص ١٠)، وان أقدم نوع من هذه التماثيل يعود إلى عصر فجر السلالات الثاني (عمران، ٢٠١٤ ص٢٩٤)، إذ كانت على هيئة إله جاثي (مورتكات،١٩٧٥, ص١٩٥-١٦٠، لوح١٦٠) (ديلابورت، ١٩٩٧ ,ص١٨٤) على ركبتيه (رشيد، ١٩٨٠، ص١٤).

ثالثاً/ وظيفة سياسية:

لقد ركز الملوك والحكام في اعمالهم الفنية على إظهار النتائج الإيجابية، لكل اعمالهم الدينية والدنيوية ومنها عملياتهم العسكرية عن طريق اظهار اكبر الخسائر في صفوف العدو، فضلا عن إظهار تفوقهم المبالغ فيه كوسيلة من وسائل الحرب النفسية للتأثير في الخصوم عن طريق بث الرعب والترهيب والتشهير بالعدو بشكل مأساوي (رو، ١٩٨٤، ص ١٩٥- ١٩٦) .

يعد الفن وسيلة مهمة لمعرفة الأحداث السياسية والعسكرية، وكان فن النحت سجل حافل بنشاطات الملوك في السلم والحرب، والتعامل بين الحاكم والمحكوم، وكيفية التعامل مع الأعداء من ملوك وجنود وقتلى وأسرى حرب وحتى كوثيقة تسجيل انتصاراته. كانت بعض تماثيل الملوك والحكام ذات المضمون السياسي تنحت لغاية إعلامية دعائية وتوثيقية ولاسَّيما في وقت الحروب والحملات العسكرية والاتفاقيات والمعاهدات، لقد حرص الملوك على اختيار أنواع جيدة من الحجارة لصنع تماثيلهم التي تميزت بقوتها وصلابتها وجودتها، وكان هذا من ضمن أسلوب الدعاية الإعلامية (البياتي، ص٥٤).

نحتت تماثيل الملوك بملامح بارزة التي اظهرت شخصية الحاكم السياسي – العسكري القوي والحازم الذي يعكس الإدارة الملكية ودورها في تفعيل السلطة الحازمة، كدليل على البطولة الحربية لشخصية الملك والقوة المفرطة وجبروته (Mallowan , 1936 ,PP.105-107).

ان التماثيل البشرية الملكية التي نقش عليها بالكتابة المسمارية احد الدلائل المادية على انجازات واعمال الملوك العمرانية التي مثلت جانب دعائي وأعلامي وتوثيقي لأعمال الملوك والحكام والامراء، كتمثال الحاكم كوديا الملقب بالمهندس المعماري (Suter C. E., 2000 P.58, Fig:4) ، كما بالغوا في اظهار التشريح العضلي(Bertman,P.193) في تلك التماثيل للتدليل على عظمة شخصية (Crawford, 2004 PP.208-209) الملك كونه حاكماً سياسياً فذاً ومحارباً قوياً وفاتحاً مغواراً، وكما استعملوا الدعاية الدينية للحصول على مكاسب سياسية وكذلك لتوثيق اعمالهم و كوسيلة دعائية، إذْ نلاحظ هذا في

تماثيل الأسس التي انتشرت في عصر سلالة اور الثالثة، مثل الملك يحمل سلة البناء على رأسه لبناء معبد (Wooley, 1954, p. 148) (رشيد، ١٩٨٠، ص ١٤).

رابعاً/ وظيفة أجتماعية:

كانت بعض التماثيل تعبر عن الحياة اليومية للإنسان بمفرده أو مع عائلته ونشاطاتها سواء من داخل منزله أو في المعبد أو القصر كالصيد وممارسة الرياضة (المصارعة والملاكمة)، والموسيقى إذْ عثر على الكثير من التماثيل منها لمغني وأخرى لعازفة تحمل آلة القيثارة، وبعض من تلك التماثيل ممكن ان تكون لها أكثر من غاية في الوقت نفسه فعلى سبيل المثال تجسيد الزوج يعانق زوجته , (Frankfort, 1939, p.32 PL:69,B,C) في تمثال فهذا يدل على الرابطة الأجتماعية بينهما، التي بينت مدى الحب والانسجام بين الزوجين، وربما غايته هو حفظ هذه العلاقة للأبد، فضلاً عن الغاية الدينية (أي انه منذور للمعبد أو الإله) (Crawford 2004, P.151) (Bertman, P. 280) ، إذْ وجدت مثل تلك التماثيل موضوعة في المعابد إلى جانب تماثيل المتعبدين، وكما ان تجسيد بعض الاشخاص وهم يقومون بأعمالهم اليومية كالعزف (بارو، ١٩٧٧, ص٣١) او الصيد أو ممارسة الالعاب الرياضة أو الأعمال الأخرى ، ربما كان توثيقا لطبيعة عملهم أو أعلاماً عنهم، كما ان نحت تماثيل الاشخاص تبدو على ملامحهم مظاهر التعب والأرهاق من الاعمال المناطة بهم، أو الذل والأنكسار في تماثيل الأسرى، ان هذه التماثيل تحمل جانباً أعلامياً لما يعاني أصحابها، فضلاً عن الغاية الأساسية التي صنعت من أجلها والتي ربما تمثل جانباً دينياً اذا كان تمثال موضوع في معبد، أو جانباً سياسياً إذا كان تمثال أسير في قصر أو مبنى عام.

يمثل منظر الأنثى العارية موضوعاً دينياً – سحريا – أجتماعياً أرتبط مضمونه بتحقيق الخصب والتكاثر والوفرة (الدباغ،١٩٨٥، ص١٢٣) , ونستدل بذلك من حركة وضع اليدين ، فعندما تمسك ثدييها بكلتا يديها فإنَّها ترمز إلى دورها في تغذية صغارها عن طريق الرضاعة، أو عندما تضع يديها على بطنها فإنها ترمز إلى خصائص الأمومة والأنجاب، وهناك رأي آخر بشأن شكل الأنثى العارية، بكونه يمثل صورة ترمي إلى زيادة جاذبية الأنثى، أو قد تكون عامل مساعد للمرأة لتحقيق غرض الزواج، وربما

غرض يخدم المرأة المتزوجة لتحقيق رغبة الحمل والأنجاب (سلمان، ٢٠١٧, ص٢٦٠).

يتضح مما سبق ان لأبناء بلاد الرافدين غايات عدة دفعتهم لنحت تماثيل بشرية من أهمها الدينية إذْ كان للعقائد الدينية تأثير كبير في حياة سكان بلاد الرافدين، إذْ اعتقد ان ضمان بقاء وجوده مرتبط بالإلهة ورضاها، لذا عمل على كسب رضا الآلهة والتقرب لها عن طريق نحت تماثيل لها لأقامة الصلوات وتقديم القرابين و الطقوس والشعائر الدينية، من اجل تحقيق رغباته في وفرة الأنتاج وكثرة الخصب.

جسد أول تعبير له عن الدين بتماثيل أنثوية للمرأة الأم لكثرة الخصب والأنتاج، التي جسدها بصفة بشرية وضخم بعض أعضائها، ثم أنتشرت عدد كبير من التماثيل مثلت بعضها آلهة والبعض الآخر بشر متعبدين، إذ عثر على هذه التماثيل في المعابد والقصور. فضلاً عن ذلك صنعت التماثيل لغاية سحرية لحماية المباني الدينية والدنيوية من الأرواح الشريرة، إذ كانت تدفن تحت أسس المبنى، فضلاً عن الغاية السياسية التي كانت ذات وظيفة اعلامية وتوثيقة ودعائية استعملها الكثير من الملوك والحكام لجعل اعمالهم العمرانية خالدة، كذلك الغاية الاجتماعية التي بينت الكثير من جوانب الحياة اليومية لسكان بلاد الرافدين، ولاسَّيما حياة الأزواج والحياة اليومية.

المصادر العربية

١- احمد عزيز سلمان، عصر السلالات السومرية في ضوء تنقيبات تل الولاية، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد ,٢٠١٢).

٢- اكرم شكري، النحت السومري، سومر، ج١، ١٩٤٥.

٣- الأعظمي، محمد طه محمد، الأسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد /كلية الآداب/ قسم الآثار (بغداد , ١٩٩٢).

٤- البياتي , عبد الحميد فاضل, هيئة المنحوتات البشرية المدورة في العراق القديم, أطروحة دكتوراه غير منشورة / جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة/ قسم النحت, ١٩٩٧.

٥- البياتي، عبد الحميد فاضل، تاريخ الفن العراقي القديم، بابل –كلية الفنون الجميلة، ب– ت.

٦- الحبوبي، شيماء ماجد كاظم، الحيوية والاستمرارية في عقائد بلاد الرافدين القديمة حتى سقوط بابل ٥٣٩(ق.م)،(بغداد , ٢٠٠٧).

٧- الدباغ، تقي: "الثورة الزراعية والقرى الأولى"، حضارة العراق، ج١، (بغداد,١٩٨٥)،

٨- الدباغ، تقي، الهة فوق الارض "دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية في الشرق الادنى واليونان، سومر، مج ٢٣، ج ١، (بغداد – ١٩٦٧).

٩- الدباغ ، تقي، الفكر الديني القديم، ط١، (بغداد – ١٩٩٢).

١٠-الدوري، رياض عبد الرحمن، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، الهيئة العامة للأثار والتراث – ٢٠٠٩.

١١-الذهب , أميرة عيدان , الكاهنات في العصر البابلي القديم " دراسة في ضوء النصوص المسمارية المنشورة " رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد / كلية الاداب / قسم الاثار, ١٩٩٩.

١٢-الراوي، ثابت شيبان، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد / كلية الادآب / قسم الاثار،٢٠٠١.

١٣-الصيواني، شاه علي، الصيانة الاثرية في اور الموسم الثاني ١٩٦١-١٩٦٢، مجلة سومر، مج١٨،ج١-٢.

١٤-العلوش ,ايمان هاني سالم، كتابات الاسس المسمارية في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠١.

١٥-بارو، اندري، سومر فنونها وحضارتها، تر : عيسى سليمان، ، التكريتي، سليم طه، (بغداد – ١٩٧٧) .

١٦-بوتيرو، جان، بلاد الرافدين " الكتابة- العقل – الالهة " تر: البير ابونا، مر : الجادر، وليد، سلسلة المائة كتاب –الثانية –،(بغداد ,١٩٩٠).

١٧-ديلابورت، بلاد ما بين النهرين " الحضارتان البابلية والاشورية"، تر: محرم كمال ,مر : عبد المنعم ابو بكر، ط٢، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٧.

١٨-رشيد. صبحي انور، تماثيل الاسس السومرية، بغداد، ١٩٨٠،

١٩-رو، جورج، العراق القديم، تر : حسين علوان حسين، مر : فاضل عبد الواحد علي، (بغداد-١٩٨٤).

٢٠-سعد عبود سمار، علي فاضل نهير، "مبررات العقاب الإلهي في العراق القديم"، مجلة جامعة واسط، كلية التربية، العدد ١٢، ٢٠١٠.

٢١-طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط١، (بيروت، ٢٠٠٩).

٢٢-طه باقر، فاضل عبد الواحد ، عامر سليمان، تاريخ العراق القديم، ج٢،(بغداد,١٩٨٠).

٢٣-فاضل عبد الواحد علي، العرافة والسحر، حضارة العراق، ج١، (بغداد, ١٩٨٥).

٢٤-فرانكفورت،ما قبل الفلسفة "الانسان في مغامرته الفكرية الأولى، تر:جبرا ابراهيم جبرا.

٢٥-فرايزر، جميس جورج ، الغصن الذهبي " دراسة في السحر والدين "، تر: الخوص، نايف، ط١، (سوريا , ٢٠١٤).
٢٦-فوزي رشيد، السحر والعرافة لدى الانسان القديم، مجلة افاق عربية، السنة الحادية عشرة، (بغداد ,١٩٨٦).
٢٧-لويد، ستيون، اثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي، تر: سامي سعيد الاحمدي، (بغداد – ١٩٨٠).
٢٨-ليث مجيد حسين، الكاهن في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد / كلية الاداب / قسم الاثار، ١٩٩١.
٢٩-مريم عمران، الفكر الديني عند السومريين في ضوء الوثائق المسمارية ،(بغداد , ٢٠١٤).
٣٠-منير يوسف طه، تماثيل من تل معتوق، سومر، مج ٢٦، ج(١،٢).
٣١-هالة كريم ابراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين " دراسة حضارية"، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد / كلية الاداب / قسم الاثار، ٢٠١٧.

المصادر الاجنبية:

1- Bahar, Awsam, Statues and Votive Vessels from Tulūl al- Baqarāt , Zeitschrift fur Assyriologie, 2020.
2- Bertman, Stephen , Hand Book to Life Ncient Mesopotamia.
3- Claudia E. Suter, Cuneiform Monographs17, Gudeas Temple Building, The Represention of an Early Mesopotamian Ruler in Text and Image,2000.
4- Crawford, Harriet, Sumer and the Sumerians ,Second edition, (London,2004)
5- Edzrd , D . O . , Gudea and His Dynasty , Rima vol 3/ 1,(London , 1997).
6- Frankfort, H. Sculpture of The Third Milennium.B.C from Tell Asmar and Ghafajah , OIP. 44,(London – 1939).

7- Frankfort, H., More sculpture from the Diyala Region, Oip, Vol.LX, (Chicago, 1943).
8- Gwendolyn lenick , A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology,(London and New York, 1991).
9- Mallowan M. E. L., The Bronze Head of the Akkadian Period from Nineveh, Iraq, Vol. 3, No. 1 (1936).
10- Nissen ,Hans J. and Heine, Peter, From Mesopotamia to Iraq A Concise History, (London ,2009).
11- Strommenger , E., The Art of Mesopotamia ,(London, 1964).
12- Stol, Marten , Women in The Ancient Near East,(Berlin, 2016) .
13- Wooley. L., Excaration at Ur,(Londo,1954).

عمارة البيوت الدائرية في العراق القديم

في ضوء المكتشفات المعمارية

خانه أكرم محمد

قسم الآثار، جامعة صلاح الدين/ أربيل

khana.mohammed@su.edu.krd

عمارة البيوت الدائرية في العراق القديم في ضوء المكتشفات المعمارية

خانه أكرم محمد

Abstract

At all times and places on earth, man has needed a place to live and protect himself from human and natural accidents. Mesopotamia is one of these areas that led to a change in nature, climate, the needs of life, and the human need for homes and settlements to the idea of building buildings, and this invention of settlement comes after humans left them alive in the caves. The construction and development of architecture went through several stages, the most important of which was the construction of their homes and temples in the shape of a circle.

Where archaeological finds provide complete evidence that people in the Middle Ages and the Neolithic period, and later, had adopted circular buildings. Of course, there were many reasons for designing house plans, including human intelligence and knowledge level, the geographical nature of the area, the materials available, etc.

This study sheds light on the oldest designs of circular maps, and the study was accompanied by the remains of circular buildings that were found, as a result of archaeological excavations in different regions of Mesopotamia. However, in this study, the researcher tries to highlight the purpose of using circular buildings.

Keywords: Mesopotamia, settlement, constructions, circular house, results of archaeological excavations.

الملخص:

في الأزمنة، والأمكنة جميعها على وجه الأرض، يحتاج الإنسان إلى مكان يعيش فيه، ويحمي نفسه من الحوادث البشرية والطبيعية، ويعد وادي الرافدين إحدى أهم المناطق التي توفرت فيها عوامل الى تغيير الطبيعة: من المناخ، والتضاريس و وفرة المياه و المزدوج فضلاً عن حاجة ذلك الإنسان للمنازل والمستوطنات التي يأوي اليها من برد الشاء القارض و حر الصيف اللاهب و ليواجه جميع التحديات الطبيعية مع أخيه الأنسان، أن هذه المميزات لدى انسان بلادالرافدين ادت فكرة بناء المنازل، جاء هذا اختراع الاستيطان هذا بعد أن غادر البشر العيش في الكهوف. ولقد مرَّ بناء البيوتات وتطورها بعدة مراحل، كان من أهمها بناء منازلهم ومعابدهم على شكل دائرية. إذ تقدم

الاكتشافات الأثرية دليلاً كاملاً على أن الإنسان في العصرين الحجري الوسيط، والحجري الحديث. وفيما بعد ذلك قد اعتمدوا الأبنية الدائرية. ولا شك في أن هناك العديد من الأسباب لتصميم مخططات المنزل، بما في ذلك الذكاء البشري، ومستوى المعرفة، والطبيعة الجغرافية للمنطقة، والمواد المتاحة و غير ذلك. إن هذه الدراسة تسلط الضوء على أقدم تصاميم الخرائط الدائرية، إلى جانب بقايا الأبنية الدائرية التي عثُر عليها نتيجة الحفريات الأثرية في مناطق مختلفة من وادي رافدين. ومع ذلك ، تحاول الباحثة في هذه الدراسة إبراز الغرض من استخدام الأبنية الدائرية.

الكلمات المفتاحية: وادي الرافدين، مستوطنة، إنشاءات، منزل دائري، نتائج الحفريات الأثرية.

المقدمة:

تشير الدلائل، من الأثرية والبقايا العمارية و عن محاولات الانسان المبكرة في مجال البناء وممارسة فن العمارة. واذ كانت الأساسية من بناء البيوت هو لغرض الإيواء، والسكن، والاستقرار فيه؛ فضلاً عن حماية و مواجهة الأخطار والتهديدات، وكاستجابة لتأثيرات عوامل البيئة. لقد ابتكر الإنسان في العراق القديم أشكالاً مختلفة لتصاميم البيوت، وأن أقدم تصميم بنائي تم الكشف عنه، لحد الآن، هو التصميم الدائري للمباني.

ونتيجة لتوسع أعمال التنقيبات والدراسات الأثارية، فقد تم اكتشاف نماذج كثيرة ومتعددة في مجال تطور فن بناء البيوتات الدائرية في عدد من المواقع التي تعود إلى أدوار حضارية مختلفة. ومن خلال دراستنا لموضوع العمارة الدائرية اتضح لنا بأن نشاطات الإنسان في مجال العمارة كانت تسير بشكل مواز مع مؤثرات عوامل عديدة، من أبرزها العوامل المناخية التي لعبت دوراً مهما في تحديد التصاميم البنائية والمخططات السكنية، و فضلاً عن المواد المستخدمة في البناء و التي كان كان لها دوراً بارزاً في هذا المجال. وعلى مر العصور فقد حصل تطور وتغيير في مجال فنون العمارة، وتنوع التصاميم والأشكال لتلك المباني، اذ كانت البيوت تشيّد بشكل يلائم الظروف، ويتوافق مع الوظائف و الاحتياجات السكنية للإنسان.فبرزت تصاميم فرضت نفسها خلال المراحل الحضارية في العراق القديم.

أما عن خطة البحث، فيتألف البحث من فصلين وخاتمة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع مع ملحق خاص بالصور والمخططات. وتضمن الفصل الأول من مبحثين، الأول يتحدث عن نشأة البيوت الدائرية وظهورها، وخصص المبحث الثاني لدراسة أنواع البيوت الدائرية و وظائفها. أما الفصل الثاني فقد جا بثلاثة مباحث، خصص منه لاستعراض نماذج من البيوت الدائرية المكتشفة في عدد من المواقع التي تعود إلى العصر الحجري الوسيط (المرحلة الانتقالية) حتى نهاية العصر الحجري الحديث، أما المبحث الثاني، يتحدث عن البيوت الدائرية خلال العصر الحجري المعدني. أما المبحث الثالث، فتم استعراض البيوت الدائرية من عصر فجر السلالات والعصور التاريخية المكتشفة في عدد من المواقع في ضوء التنقيبات الحديثة.

اعتمدنا في كتابة البحث على مجموعة من الكتب، والبحوث، والدراسات الحديثة. وقد واجهنا في اثناء كتابة هذا البحث بعض المعوقات، منها: قلة المصادر، وصعوبة الترجم الكثير من المقالات ذات اللغات الأجنبية المختلفة.

١. البدايات الأولى لظهور البيوت الدائرية

١.١تأثير البيئة الطبيعية في نشأة البيوت الدائرية

أتخذ إنسان العصر الحجري القديم في بلاد الرافدين من الكهوف والملاجئ الطبيعية كمأوى اله من الأمطار و الرياح في الشتاء و حر الصيف اللاهب ، وليس من المستبعد أن بعض العناصر الرئيسة التي تكونت منها الكهوف قد انعكست على شكل وتصميم النماذج الأولى التي ابتكرها، أو شيدها الإنسان لأغراض السكن[١]. ومما لاشك فيه أن الإنسان خلال العصور الحجرية القديمة كان يعيش حياة قاسية وفي صراع مستمر مع البيئة المحيطة به، و يجابه تأثيرات العوامل الطبيعية من أجل البقاء والعيش فقد اضطر إلى ترك الكهوف. و الأمر الذي أدى الى بدأ ذلك الإنسان بالمزيد الجهود والمحاولات المستمرة في مجال توفير السكن الملائم و المناسب له ولهذه المحاولات التي قام بها جذور موغلة في القدم ساهمت في احداث تطورات وابتكارات في تصاميم بنائية وأساليب عمارية و الاستفادة من المواد المتوافرة في البيئة الطبيعية، التي يتم فيها استخدام تلك المواد الضرورية في بناء البيوت[٢].

إن فترة استقرار الإنسان في الكهوف كانت تمثل أطول الفترات صعوبة وتعقيدا في تاريخ البشرية[٣]، وعلى إثر بعض التبدلات والتغيرات في الحالة المناخية، اضطر ذلك الإنسان إلى ممارسة نشاطات اقتصادية في العراء، يعود ادراجة إلى الكهف؛ لذا اقتضت الضرورة من ذلك الأنسان عدم ترك الكهوف نهائياً [٤]، و لذا فقد أطلق الباحثون على المدة الزمنية بمرحلة الاستيطان الطبيعي، أو ما قبل الاستقرار السكاني في القرى. و تميزت هذه المرحلة ببناء مخيمات موسمية مكشوفة في العراء[٥]. وتمثل الزيادة الحاصلة في عدد سكان تلك المخيمات، والاستقرار النسبي في الظروف المناخية المعتدلة أذ كانت تلك الأسباب و يعود السبب في ذلك من العوامل المهمة التي أدت إلى انتقال الإنسان من الكهوف إلى السهول[٦].

و بحسب رأي الاستاذ بريد وورد، فإن المنطقة التي حدث فيها انتقال الإنسان من الكهوف إلى الاراضي السهلية كانت ذات بيئة متميزة وملائمة لنمو أصناف متنوعة من النباتات التي أصبحت مراع لأنواع عديدة من الحيوانات، مما اتاح للإنسان فرصة استغلال تلك المصادر، والقيام بممارسة عملية التدجين و الزراعة[٧]. وانعكس ذلك على الإنسان وساعد في تحقيق إنجازاته في مجال البناء والعمارة، اذ يؤكد البقايا لبنائية البيوت السكنية البدائية شيدت من الطين ذات مخططات دائرية غير منتظمة، كما هو الحال في موقع زاوي جمي بالقرب من كهف شانيدر في جبال برادوست ضمن منطقة أربيل، إذ اكتشف في الموقع بقايا بنائية تعود لبيوت سكنية ذات تصاميم دائرية شيدت من الطين والطوف، وكانت الجدران مبنية على أسس من الحجارة، وسقوفها من الطين والقصب ،والحصير[٨].

كما تم الكشف عن بقايا لبيوت دائرية في مناطق أخرى من الفترة الانتقالية، مثل ملفعات على نهر الخازر الواقع على الطريق بين أربيل والموصل، وموقع نمريك في ناحية فايدة في محافظة دهوك شمال مدينة الموصل، و قرمزدرة والمغزلية المواقعتان في محافضة نينوى- مدينة الموصل, اذ كانت هذه القرى تمثل بداية للاستيطان. ونتيجة لاستمرار حاجة الإنسان إلى مهارات جديدة؛ فقد تطور فكرة بناء الأكواخ التي ظهرت خلال الفترة المحصورة بين (١٠٠٠٠-٧٠٠٠ ق.م) (الشكل ١)، ثم انتقل إلى مرحلة

أخرى أكثر تقدما من الناحية العمارية في حدود (٦٠٠٠- ٧٠٠٠ ق.م)، إذ تكونت قرى كبيرة مثل جرمو، وحسونة، و تل الصوان وغيرها[٩].

و لم يقتصر الأمر علي بلاد الرافدين فقد تم الكشف عن نماذج من البيوت الدائرية خارج بلاد الرافدين في عدد من المواقع الاثرية كتلك التي وجدت في فلسطين والأردن، ففي منطقة عينان الواقعية على بحيرة الحولة، و وادي فلاح على البحر المتوسط، وعثر على بقايا جدران ضخمة لمباني ذات تخطيط دائري، و هذه المظاهر المعمارية هي بقايا لقرى دائمية تنتمي كلها إلى الحضارة النطوفية. ولقد احتوت كل قرية على ما يقارب الخمسين بيتاً دائرياً، و يصل قطركل منه إلى سبعة امتار، و هي مصطفة حول منطقة مركزية مكشوفة تحتوى على عدد كبير من المخازن كانت تستعمل لخزن الغلال والطعام. وأما في قرية عينان فقد عثر على بقايا معمارية ذات تخطيط دائري ربما كانت تستخدم كمدافن لدفن الموتى[١٠](الشكل ٢).

يرى بعض الباحثين أن البدايات الأولى لنشأة البيوت، ومعرفة توصل الإنسان إلى اساليب البناء يعود إلى الألف العاشر ق.م، وهي متزامنة مع التطورات الاقتصادية التي حدثت خلال المرحلة الانتقالية في أعقاب ترك الإنسان الكهوف، وظهور التجمعات الموسمية، والقرى البدائية [١١]. وتعرف هذه المباني بمستوطنات الصيد، أو معسكرات الصيد، أو سميت بفترة ما قبل الاستقرار في القرى، اذ حوطت ابان تلك المرحلة الأنسانية تلك البيوت هذه من الخارج تحيط بسور دفاعي دائري الشكل وتقسم بعض الغرف إلى وحدات داخلية متنوعة بأبعاد متباينة وتوحي هذه المظاهر إلى تغيير وتحسين تخطيط المباني ونمط السكن[١٢] .

إن اكتشاف النار من قبل الإنسان ومعرفة فوائدها يعدَ انجازاً عظيماً ساعد في تغيير طبيعة الحياة من العزلة، والتنقل إلى الاستقرار السكن والسيطرة على الموارد المتوافرة في الطبيعة وتوصله إلى معرفة استخدام تلك الموارد في مجالات مختلفة[١٣]، ولا سيما في أوقات الشتاء، إذ إن إقامة موقد النار في مكان مرتفع عن السهل المحيط به جنبه من خطر السيول والأمطار، فقد حاول الإنسان تغطية تلك المواقد بما يتوافر لديه من أغصان، أو قطع جلدية وجعلها مظلة. وبمرور الزمن بدأ بتوسيع وتعميق تلك المواقد ذات الشكل

الدائري، و لضمان استمرارها أحاطها بالأشجار لحمايتها من تأثيرات العوامل الطبيعية مثل الرياح[١٤]. قد يكون لهذه المواقد والحفر الدائرية تأثير بارز في ترسيخ فكرة بناء البيوت وتخطيطها، فضلاً عن احتمالية اقامة ذلك الإنسان بعض المراسيم والطقوس الدينية البدائية وجلوسه حول النار بشكل دائري[١٥]، وكذلك من المحتمل ايضاً أن لأشكال بعض القوى والظواهر الطبيعية الأخرى، كالشمس، والقمر أثرت في نشاطات الإنسان وأعماله اليومية، وفي النهاية كل هذه الأفكار كانت لها علاقة بظهور فكرة الابتكار والتوصل إلى معرفة استخدام الأبنية الدائرية[١٦].

لذلك فإن الشكل البيضويّ أو الدائريّ يعدُّ من أكثر التصاميم البنائية توافراً وأوفر توثيقاً في التأريخ الطبيعي للصورة، مثل الشمس والقمر، والكهوف والملاجيء في الجبال الذي أتخذ شكلهُ فناءً بيضوياً أو دائرياً، وعند المراحل الأولى للأستيطان أستفاد الإنسان في بناء الأكواخ من تصاميم تلك الظواهر خاصة في المرحلة المعروفة بالإستيطان المؤقت .ونرى ربما أصل فكرة البيوت الدائرية جاءت من(عش الطيور)ومن الجدير الذي يشبهُ في شكلهُ التخطيط البيضويّ، إذ تبنى بعض الطيور أعشاشها بتبطين العُشّ بالألياف النباتية[١٧]. (الشكل ٣).

١.٢ تعريف المباني الدائرية:

وهو عبارة عن مبنى ذات مخطط أرضي دائري الشكل، وتعد من أقدم نماذج للبيوتات السكنية المكتشفة لحد الان، ويعود تاريخها إلى العصر الحجري الوسيط Mesolithic[١٨]. أي في حدود الألف العاشر قبل الميلاد.

و يعتقد الباحثون بأن التصميم الدائري من أقدم انواع البيوت السكنية والتصاميم العمارية التي ابتكرها الإنسان في وادي الرافدين و أنجزها لأغراض الإيواء والسكن وللحماية من تهديدات وتأثيرات العوامل الطبيعية و البيئية[١٩]،و قد بنيت هذه البيوت ذات البناء البسيط على شكل حفرة دائرية، أو بيضوية وجدت داخلها، على مواقد نار، مما دفع المنقبين إلى احتمالية أن هذه الحفر كانت تمثل أماكن سكنية، وكانت تغطى بسقف واحد اذ كان لكل حفرة سقفها الخاص بها [٢٠]. ربما كانت على شكل قبة أو شكل مخروطي

اذ كان مصنوعا من الواح متشابكة تستند من وسطها على دعائم خشبية. بدليل اكتشاف بقايا متفحمة من الاشجار والنباتات في أثناء التنقيبات.

أما من الناحية البنائية، فقد بنيت تلك البيوتات على أسس حجرية، وشيدت فوقها جدران من الطين والطوف و التي يبلغ سمكها متراً واحد في بعض الأحيان، فضلاً عن إلى استخدام الطين كملاط مانعاً من دخول الأمطار و الرياح و كعزل حراري، أما المداخل فهي عبارة عن فتحات ضيقة صغيرة على الجدار[٢١].

وقد جاءتنا نوعان من الأبنية الدائرية خلال العصر الحجري الوسيط، وهما على النحو لأتي:

الأول: يعود تأريخه إلى بداية العصر الحجري الوسيط (المرحلة الانتقالية) والحديث، و يشمل هذا النوع من البيوت القرى، أو مواقع الاستقرار البدائية حتى عصر حلف، اذ تم الكشف عن مثل هذا النوع في البيوت في عدد من المناطق في كوردستان، و ظهرت أقدم النماذج من البيوت ذات الشكل الدائري في زأوي جمى، و قرية ملفعات، إذ وجدت بقايا لنماذج من البيوت المشيدة من الأحجار الخشنة وطين ذات تخطيط دائري يبلغ قطرها حوالي(ام) على أسس حجرية محفورة في الارض ١,٢ م، وتبين من بقايا أحد الجدران المكتشفة لأحد بيوت القرية أن الجدار كان مطلياً بالطين.

الثاني: ظهر في عصر حسونة واختفى بانتهاء عصر حلف تقريباً، اذ تتألف مباني هذا النوع من غرفة مدورة الشكل ذات سقف مقبب مع وجود غرفة مستطيلة الشكل ملحقة بها[٢٢]، و هذا النوع عرف بين الباحثين باسم (Tholoi)، اذ تكون الفتحة أو المدخل في جوار الغرفة المدورة. ومثل هذا الطراز من البيوت اكتشفت في عدد من المواقع التي تعود إلى عصر حلف، كالبيوتات التي وجدت في تل الأربجية[٢٣] و يارم تبة[٢٤] و تبة كورا، و قد سمى بعض المنقبون هذا النوع من المبنى بالأبنية الحلفية وهي على شكلين: **المباني المدورة و المباني المضلعة.**

١.٢ أنواع الأبنية الدائرية:

١.٢.١ المباني المدورة : و فيما يتعلق بالمباني المدورة، فقسمت بحسب الأبنية الملحقة بها إلى:

١.٢.١.١ المباني المدورة البسيطة:

تكَون هذا النوع من المباني من غرفة دائرية واحدة[٢٥]، احتوت على فتحة استخدمت كمدخل، و بعض من هذه الغرف تقسمها جدران داخلية إلى عدة أقسام بحسب حاجة الإنسان، و يتراوح قطر هذه الابنية بين ١,٥ –٧ أما سمك جدرانها تتراو من ٧–٤٠ سم، وبعض هذه الأبنية كانت مصبوغة باللون الأحمر، أو مطلية بطبقة من الجص والطين[٢٦]، و جميع المباني التي اكتشفت في تبة كورة تعود إلى عصر حلف و قد تميزت هذه المباني بأنها كانت مسقفة بشكل مقبب تشبه خلية النحل، أو مخروطية الشكل وقد استخدمت مثل هذه السقوف؛ لكي تلائم الشكل المدور، وقد استخدم اللبن و الاخشاب في بنائها فضلاً عن استخدام الطين كطبقة سطحية في تسقيف هذه البيوت[٢٧].

و قد ظهر هذه التصاميم في بعض المناطق السهلية القريبة من ضفاف الانهار ومشارف الوديان كتلك التي وجدت في وادي سبأ باليمن[٢٨]. ومن المحتمل أن أساس فكرة التصميم الدائري جاءت في الاصل من مواقد النار والتي يكون الجلوس حولها دائرياً. أما الدوافع التي شجعت استخدام الإنسان لهذا النمط من البيوت، ربما يعود إلى الحالة النفسية والاجتماعية لسكان المستوطنات؛ و لمجابهة التحديات التي تنجم من جراء تأثيرات بعض الحوادث الطبيعية، مثل السيول والفيضانات والحيوانات وغيرها[٢٩].

وبمرور الزمن فقد تطور بناء البيوت المقببة من القصب اذ كانت تكسها طبقة خفيفة من الطين و التي شكلت البدايات الأولى لابتكار العنصر المعماري (القبو) ومنه تطور استخدام اللبن، والآجر المستخدم في تسقيف البيوت. لقد ارتبط ظهور هذا العنصر المعماري و تطوره بعنصر العقد، و لأن القبو في الحقيقة ما هو إلا مجموعة متصلة ومتجاورة من العقود المرتكزة على الجدران بدلاً من ارتكازها على أعمدة و دعامات، ففي عصر حلف وتحديداً في موقع أم الدباغية، تم اكتشاف مجموعة من الغرف، استخدم قسم منها لأغراض السكن ومن بينها غرف خاصة للحزن، توجت سقوفها بأقبية غير منظمة[٣٠].

١.٢.١.٢ المباني المدورة ذات الغرفة المستطيلة:

يمتاز هذا النوع من المباني بأنه قريب من النوع السابق من حيث التخطيط الدائري، و عادة ماتلحق هذه المباني وحدة بنائية مستطيلة الشكل[٣١]، وقد رأى بعض الباحثين أن تصميم سقوف الغرف المستطيلة وغرف المخازن ربما كان جملونية الشكل، إذ امتازت هذه التصاميم بأنها تحمي البناء وساكنيها من الكوارث الطبيعية، كالامطار والثلوج. أما جدرانها فكانت تبنى من اللبن فضلاً عن استخدام الطابوق في تبليط الأرضيات[٣٢].

١.٢.١.٣ المباني المدورة ذات ملاحق متعددة:

تكون هذا النوع من المباني من جدران مستديرة الشكل ويلحق بها أبنية أخرى ذات أشكال مستطيلة، أو دائرية، أو مربعة، وقد بنيت الغرف بأبعاد و قياسات صغيرة وضيقة، قسماً منها استخدم كمخازن، إذ ظهر هذا النوع في يارم تبه الثاني، في الطبقة الرابعة ووجد في الموقع ثلاثة مبانٍ دائرية مرتبطة بعضها ببعض[٣٣].

١.٢.٢ المباني المضلعة:

تألف هذا النوع من المباني من عدة غرف مستطيلة الشكل، أو مربعة، أو من الشكلين معاً، وتنظم عادة حول باحة داخلية وفي بعض منها توجد جدران ثانوية تقسم الغرف من الداخل إلى عدة أجزاء، وقد ظهر هذا النوع من الابنية في مواقع حلفية متعددة، مثل الاربجية في الطبقة السادسة[٣٤].

إن التحول، أو التطور العماري في بناء البيوت المستطيلة والمربعة مع بقاء على البيوت الدائرية قد حدث بفعل تطور محلي وليس بتأثير خارجي ويعود ذلك إلى طبيعة ونوعية الانتاج الصناعي اليومي للأدوات المتطورة مع استمرار المواد الأولية المحلية باستثناء الحجر الزجاجي البركاني الاسود و المستورد من مناطق مجاورة وقريبة تقع في جنوب أسيا الصغرى[٣٥].

٢. أغراض و وظائف الأبنية الدائرية

بنيت الأبنية الدائرية من أجل تلبية أغراض ووظائف متعددة، بحيث كان شكل البيت وأقسامه تطابق الوظيفة والغرض التي شيد من أجله[٣٦]. ومن أهم أغراض و وظائف الأبنية الدائرية، ما يأتي:

٢.١ أغراض قدسية:

لقد اعتقد المنقّبون أن بعض المباني ذات التصميم الدائري كانت تؤدي وظائف قدسية حتى أنهم رجحوا كونها معابد، بدليل ظهور بعض التماثيل التي تعود إلى الآلهة الأم تحت الاسس الحجرية، ولا سيما في اسس المباني التي بنيت فوق المباني القديمة السابقة لها[٣٧]. ويرى كل من الأستاذ (ملوان و د. حجارة) أن حجم هذه المباني وسمك جدرانها وأساساتها المشيدة على عدد كبير من الأحجار الكبيرة، يتطلب تعاون كبير من اهالي القرية، ونشاطاً واسعاً لإنجاز هذا البناء، و مثل هذه المشاركات الواسعة تشير قدسية تلك المباني[٣٨].

إذ وجد في قرية حلان جمي وكوبلكي تبة بقايا بنائية تعود إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، إذ إن اكتشف ساحة دائرية الشكل قطرها (٥٠م) تحيطها عدد من الأعمدة كانت على شكل حرف T منحوتة برموز حيوانية مختلفة (الشكل ٤). و يعتقد الأثاريون أن هذه البقايا العمارية كانت أبينة دينية أو معابد. ولقد عثر على عديد من المباني السكنية على شكل دائرة مفتوحة تشبه حرف (C) في اللغة الانكليزية، و هناك تشابه كبير بين بيوت (حلان جمي و كوبلكي تبة) من حيث الشكل و المخططات[٣٩].

٢.٢ أغراض سكنية (كبيوت للسكن):

لقد حصلت تطورات وتقنيات في تصاميم البيوت لعدد من المواقع التي تعود إلى دور حلف. وقد تبين أن (Tholoi) ما هي في الواقع إلا عبارة عن بيوت نموذجية كانت تستخدم كدور سكن أو منازل[٤٠] وكشفت المباني

المدورة التي ظهرت لأول مرة في يارم تبة من عصر حسونة انها دائرية الشكل صغيرة الحجم قد تطورت إلى بيوت ذات مساحات كبيرة في عصر حلف في التل الثاني من يارم تبة، و قد لوحظ أن هذه المباني طرأ عليها تطور كبير في الاربجية[٤١] ، مما يؤكد لنا إزدياد حاجة الانسان تلك الغرف في منزله[٤٢].

٢.٣ أغراض الدفن كالقبور:

اكتشفت في موقع نمريك مجموعة من القبور دائرية الشكل تقريبا خارج الغرف، ووجد بداخلها جثة دفنت باتجاهات غير منتظمة، وأغلب الجثث كانت منحنية كوضع الجنين في بطن الأم[٤٣]. (الشكل ٥).

ولم يقتصر الأمر على بلاد الرافدين بل وجدت مثل تلك القبور في أوروبا ولا سيما في بريطانيا، والدانمارك، والسويد، وبنيت تلك القبور من الأحجار و بأشكال ضخمة وذات تصاميم متنوعة تسمى ب(دولمن). ومنها ينصب على شكل المسلات تسمى مانهير، وتبنى على شكل ساحات مبنية من الحجر الخام وتسمى كروملخ. وبعض هذه الهياكل تأخذ شكلاً فنياً، كالتي وجدت قرب سالسبوري في إنكلترا، إذ رجح الباحثون انها بنيت بعد العصر البرونزي[٤٤]. (الشكل ٦).

٢.٤ أغراض اقتصادية:

بعد تزايد متطلبات الحياة الاقتصادية، ظهرت حاجة الإنسان لمرافق ووحدات بنائية متعددة الأغراض والوظائف، إذ تم اكتشاف مبانٍ دائرية في تل يارم تبة الثاني، ففي الطبقة السادسة إذ عثر على مبنىً مدوراً متكون من غرفة دائرية ومقسمة من الداخل إلى عدد من الغرف الصغيرة، ومن الممكن ان يكون هذا البناء المركب يمثل وحدة سكنية مميزة، فضل ان احتمالية أن هذه الغرف استخدم كمخازن، بدليل وجود مجموعة من الكسر الفخارية، وكميات من عظام الحيوانات في داخل تلك الوحدات. وبحسب آراء المنقبين، فإن هذه الوحدات لمخازن للحبوب[٤٥].

٢.٥ أغراض عامة :

لقد عثر على نماذج من المباني الدائرية كانت مبنية في مراكز التل وتتميز بجدرانها الضخمة وبتخطيطاتها المنتظمة يحتمل ان تكون هذه المباني مكاناً لإجتماع أهالي القرية؛ للنظر في بعض الأمور والقضايا التي تخصهم، أو في حالة تعرضهم لخطر خارجي[٤٦]، وكان الشكل الدائري أكثر ملاءمة مع نوعية وطبيعة الظروف التي استلزمت احترازاً دفاعياً تجاه بعض الظواهر الخارجية ولا سيما عمليات الغزو[٤٧].

٣. وظيفة المباني المضلعة و الغرض منها:

٣.١ الوظيفة السكنية:

إن ازدياد حاجة الإنسان لغرف أخرى تجبره على بناء ملحق لبيته المدور وذلك لأداء وظيفة جديدة، فيصعب عليه فيما بعد بناء عدة غرف مدورة مرتبطة بالغرفة الكبيرة، ذات شكل بفضله الإنسان يكون أكثر مرونة، وهو البيت المكون من عدة غرف مربعة، أو مستطيلة الشكل[٤٨]؛ إذ لا يمكن أن يتم جمع مكان للطبخ، أو لخزن المحاصيل الزراعية، أو لأشياء أخرى في غرفة واحدة، أو في غرفين تستخدمان للنوم فقط، ولهذا قام الإنسان ببناء غرف أخرى تكفي لسد الحاجات الجديدة[٤٩].

٣.٢ الوظيفة القدسية:

يعتقد الأستاذ ميربرت Merpert الذي استظهر من البناية المستطيلة في تل يارم تبة الثاني على بقايا عظام جمجة ثور ملقاة على ارضية البناية عند مدخل الغرفة الشمالية الشرقية يحتمل أن له المميزات طقوسية، ووجدت مسطبتان في هذا البناء، ربما انهما استخدمتا لتقديم القرابين. كما أن المبنى يتميز بجدران مطلية جميلة، وبأرضيات مكسبة بالحجر بشكل جيد[٥٠]. إلى جانب وجود بعض الفخاريات داخل القبور، وليس في دور السكن، وتكون أدوات جنائية وذات وطبقة دينية[٥١].

٣.٣ الوظيفة الاقتصادية:

يعتقد باحثو الآثار أن البيت المحروق في الطبقة السادسة في الاربجية عبارة عن مخزن للفخار و الأدوات، وكانت وظيفته كمعمل للإنتاج[٥٢]، وقد عثر ضمن أنقاض هذه الطبقات على عدد كبير من فخاريات حلف، تتضمن من انواعاً وأشكالاً زينت بزخارف الهندسية و الطبيعة متنوعة[٥٣]. فضلاً عن أدوات حجرية، كمناجل لحصاد الحبوب و غير ذلك، و الذي يفسر حدوث تغير كبير في نمط الحياة الاقتصادية للانسان[٥٤].

٤. البيوت الدائرية في العصرين الحجري الوسيط والحديث (١٠٠٠٠- ٦٠٠٠ ق.م)

٤.١ عمارة البيوت الدائرية من العصر الحجري الوسيط (المرحلة الانتقالية)

تمثل هذه المرحلة بداية لظهور المعالم العمارية البدائية للأبنية الدائرية، إذ تم اكتشاف بقايا لبيوت ذات تصميم دائري خلال التنقيبات الأثرية في عدد من المواقع. و فيما يلي نستعرض نماذج مختارة من هذه البيوت في بعض القرى من المرحلة الانتقالية:

٤.١.١ زأوى جمى (٨٩٢٠ ق.م):

تقع قرية زأوي إلى الجنوب من كهف شانيدر على بعد ٤كم عند سفوح جبال برادوست بمنطقة رواندوز في محافظة أربيل المطلة على ضفاف نهر الزاب الأعلى[٥٥]، تبلغ مساحة الموقع حوالى ٢٧٥ × ٢١٥م[٥٦]. أظهرت عمليات التنقيب والحفر الاختبارية التي جرت في أرضية القرية بأنها تتألف من دورين حضاريين يتراوح عمق انقاضها وطبقاتها الأثرية بين ١-٢ م[٥٧]. وتعد زأوى من أقدم المستوطنات الزراعية في كوردستان العراق ضمن منحدرات جبال زاكروس حصلت فيها بوادر الانتقال من العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث[٥٨]، و تمثل زأوي جمي المحطة الأولى التي بدأت فيها بوادر خروج الإنسان من الكهوف و الاستقرار في الأراضي السهلية، لذلك تعد زأوي جمي قرية منظمة وبداية لظهور الاستقرار، إذ تعلم فيها الإنسان فكرة بناء بيوت البسيطة و البدائية رغم افتقاره إلى الخبرة في مجال البناء خلال تلك المرحلة[٥٩].

لقد عثر في زأوى جمى خلال التنقيب في الطبقة (ب) على آثار أسس مباني دائرية الشكل، مشيدة من أحجار كبيرة وغير مهندمة، إذ تم الكشف عن بقايا لجدران البيوت مشيدة من الطين والطوف، وهذه البيوت ذات تصاميم غير منظمة وتمتاز في تخطيطها وتصاميمها هيكلتها على شكل الواح مستديرة (دائرية)، يصل قطرها حوالي ٢م تقريباً، و تقع على عمق ما بين متر واحد إلى مترين[٦٠]، وتعد هذه البيوت أقدم نموذج البناء الذي شيده إنسان العصر الحجري الوسيط[٦١].

وجدت هذه البيوت على شكل مخيمات رئيسة كبيرة سكنها الإنسان لفترة محدودة من العام من الصيادين جامعي القوت الذين اعتماد على التنقل بين هذه المخيمات واماكن

توفر الطعام في المناطق المحيطة بها، بحثاً عن الحيوانات واستثمار موارد العيش الأخرى نحو تصنيع بعض الأدوات الحجرية[٦٢].

وعلى الرغم من عدم توافر أدلة قاطعة تثبت ممارسة ذلك الإنسان للاعمال الزراعية و التدجين في القرية للزراعة، فإن اكتشاف نماذج عديدة من الالات والأدوات الحجرية ذات العلاقة بلأعمال الزراعية نحو المطاحن، والمجارش، والمدقات، والشظايا الدقيقة على شكل مقاشط و شفرات[٦٣]، فضلاً عن وجود بقايا عظام لأنواع من الحيوانات، تدل على أولى المحاولات ذلك الأنسان في مجال تدجين الحيوان[٦٤]. لازال النسان يستعمل بناء الاكواخ الموسمية في زأوى جمي (الشكل ٧).

٤.١.٢ قرية كريم شهر (٨٩٠٠ ق.م):

تقع قرية كريم شهر في منطقة شبه سهلية مفتوحة في محافظة السليمانية إلى الشرق من مدينة جمجمال بمسافة ١١كم، و تبعد عن جرمو حوالي ٢كم[٦٥]. نقبت بها بعثة أثرية من جامعة شيكاغو عام ١٩٥١[٦٦]، تشير الدلائل إلى أن قرية كريم شهر حدث فيها محاولات اقتصادية في مجال الزراعة التجريبية، وتدجين الحيوان منذ وقت مبكر، وخلال التنقيبات الاثرية تم العثور على أدوات زراعية حجرية فضلاً عن عثورهم على بقايا عظام لحيوانات مختليفة كالماعز، والخنازير، والطيور[٦٧]، كما تم اكتشاف بقايا لبيوت على الأرجح كانت لموقع يمثل مخيم موسمي، وتمثل هذه الفترة بداية معرفة الإنسان لبناء البيوت[٦٨]، إذ بين لتلك البيوت على شكل حفر دائرية وحسب رأي المنقبين فقد أستبعد احتمال استخدام الحفر لأغراض الخزن، وفيماكتشفت بعض القطع الحجرية الخشنة مرصوفة[٦٩]، ويعتقد أها كانت كشكل أساساً لأكواخ سكنية إلا أن عدم وضوح المعالم المعمارية والمخططات البنائية جعل المنقبين يعدون الموقع مستوطناً موسمياً. كما عثر في الموقع أيضا على مجاميع متنوعة من الأدوات استخدمت لأغراض الزينة، و هذا يدعو للاعتقاد بأن سكان القرية بدأوا يتحسسون ويهتمون بالمظاهر الجمالية[٧٠].

٤.١.٣ قرية ملفعات (٨٩٠٠ ق.م):

تقع ملفعات في هضبة خصبة إلى الشمال من طريق الموصل – أربيل، على نهر الخازر و هي من مستوطنات المرحلة الانتقالية[٧١]، و خلال التنقيبات الأثرية تم اكتشاف

بقايا لنماذج من البيوت الدائرية مشيدة على أسس من الأحجار الخشنة والطين، وكانت الأسس محفورة في الارض بعمق ١,٢ م، وسمك جدرانها بلغ ١٥سم. و عثر في داخل تلك البيوت على مواقد للنار مما يشر على أنها بيوت سكنية[٧٢].

٤.٢ المباني الدائرية من مرحلة ظهور القرى الزراعية-العصر الحجري الحديث

٤.٢.١ تل مطارة: تل أثري صغير يقع على بعد ٣٤كم جنوب مدينة كركوك، عرف الموقع بهذا الاسم نسبة إلى قرية مطارة إلى الجهة الغربية للمدينة. نقبت في الموقع بعثة آثارية من جامعة شيكاغو عام ١٩٤٨-١٩٤٩، و أظهرت ستة طبقات سكنية[٧٣]، مع اكتشاف حفر بيضوية الشكل تقريباً، ربما استوطنها الإنسان في الطبقة الخامسة من الحفرة السادسة، ويرجع زمن هذه الحفرة إلى بداية عصر حسونة[٧٤]، و لذلك تعد آثار هذه الحفرة في تل مطارة من أقدم آثار القرى في منطقة الشرق الأدنى التي اكشفت حتى عام ١٩٧٦[٧٥].

٤.٢.٢ تل حلف: يقع تل حلف على نهر الخابور على الحدود السورية – التركية الحالية، (وهو من أكبر روافد نهر الفرات)، و يعتبر تل حلف من التلول المتميزة من الناحية الحضارية في الجزيرة السورية ومنطقة الخابور، وحلف اسم معاصر للموقع الذي كان يعرف باسم كوزانا (Guzan) عاصمة مملكة آرامية[٧٦]، أظهرت التنقيبات في التل معالم لمباني دائرية الشكل[٧٧] و عرفت هذه الأبنية بين الباحثين باسم ثولوس (Tholos)، وتتكون عادة من كتلتين بنائيتين متلاصقتين الأولى منها ذات تخطيط دائري الشكل تتصل ببناء مستطيل[٧٨].

٤.٢.٣ يارم تبه: يقع الموقع مسافة ١٠كم إلى الجنوب الغربي من مدينة تلعفر، وقد يكون هذا الموقع أقدم قرية زراعية في الشرق الادنى[٧٩]، ويضم الموقع عدداً من التلول المختلفة، عثر في التل الثاني على تسع طبقات سكنية جميعها تعود إلى عصر حلف مع اكتشاف وحدات بنائية دائرية الشكل من طراز (Tholos)، سيف، تطابق هذه المخططات التي تم العثور عليها في الاربجية، طبقة العاشرة و تبة كورة طبقة العشرون، لقد أظهرت لدلائل بوضوح بدايات ظهور التخطيط لنماذج بيوت دائرية مستقلة و التي تعود إلى عصر حلف[٨٠]. (الشكل ٨ و ٩).

٤.٢.٤ تبة كورة: يقع هذا التل على بعد 15كم إلى الشمال الشرقي من مدينة الموصل[٨١]، عثر في اثناء التنقيبات على بقايا بنائية تعود إلى عصر حلف ذات تخطيط دائري الشكل Tholos يتراوح قطره البناء بين ٥-٢٥م، و إذ كانت الجدران ضعيفة مبنية من الطوف، تتميز بوجود ثلاث طلعات بنائية غير منتظمة الأبعاد بعضها تسند الوجه الداخلي للجدران، و بالقرب من مدخل هذا البناء الدائري في الجهة الشمالية الغربية هناك بقايا جدران، لعلها تمثل غرفاً مستطيلة ملحقة بهذا البناء[٨٢].(الشكل١٠ و ١١).

٤.٢.٥ تل الاربجية: تقع على مسافة أربعة أميال إلى الشمال الشرقي من مدينة نينوى[٨٣] نقبت في الموقع بعثة أثرية انكليزية برئاسة ملوان، وكشفت أعمال التنقيب عن عشرة أدوار حضارية، وطبقات أثرية من (٧-١٠) جميعها تعود إلى عصر حلف، وظهرت فيها أبنية دائرية تمثل أقدم المباني المدورة في الموقع[٨٤].(الشكل ١٢ و ١٣).

٥. الأبنية الدائرية من عصر فجر السلالات

٥.١ حوض سد العظيم: يقع إلى الشرق من سلسلة جبال حمرين في بقعة تشتمل على عدد من الوديان، منها وادي شايي الطوز، وداقوق، ونهر زغيتون، وتمتد بشكل طولي من الجنوب الشرقي. ويتكون موقع السد الطولي من الجنوبي الشرقي إلى نهاية خط الغمر من هضاب و أودية. وكشفت التنقيبات التي اجريت في الموسم الأول عام ١٩٩٠ و الموسم الثاني عام ١٩٩٢ عن بنائين دائريين يعودان تاريخهما إلى بداية الالف الثالث ق.م ، وهما يعاصران عصر فجر السلالات السومرية الأولى، أحدهما في (تل الشوك الصغير أو رقم ١) والأخرى في تل مدينة.

٥.١.١ تل مرندس[٨٥]: تل دائري الشكل، قطره من الأسفل ٥م ، ومن الأعلى ٥,٧٠ م. استخدمت في بناءه اللبن ذو قياسات مختلفة واحيانا اللين المستوي، وقد تم الكشف داخل الغرفة الدائرية التي بقي من ارتفاعها ١,٥ متر عن بقية اللبن المعروف عند جوانب الغرفة الدائرية و بقايا حبوب متفحمة، و يعتقد المنقبون أن البناء استخدم كمخزن أو، (عنبار) للحبوب.

٥.١.٢ تل مدينة: تل بيضوي صغير الشكل، يقع إلى الجنوب من قرية الزنجيلية بمسافة ٨ كم، وقد حصلت تجاوزات على محرمات التل من جميع جهاته. إذ كشف فيه عن بناء

دائري يضم جدارين متلاصقين، فالداخلي هو الذي بُني أولا، ثم تلاه الخارجي. وكشفت التنقيبات في الموقع عن بناء دائري الشكل ذيثلاثة جدران تسير متوازية تحصر بينهما ممرات وغرف ضيقة، وهناك غرفة دائرية في الوسط قطرها ٤,٥ م يمكن اعتبارها كمركز للبنانية والدائرة معاً. إن المدخل الرئيس كان يخترق الجدار الدائري الأول من الخارج وكذلك الضلع الجنوبي للغرفة وهنالك مدخل في الضلع الغربي لهذا المرفق الذي لم نتمكن من معرفة علاقته بالبناء الدائري و يتراوح عمقها حوالي ٣٠ سم مبلطة بالجلاميد[٨٦]. (الشكل ١٣).

أما الجهة الجنوبية الغربية هناك ممر بين الجدار الخارجي وبين الجدار الدائري الذي لا يتجاوز عرضه متر واحد. شيد هذا البناء الدائري باللبن والطوف والموقع يشبه إلى حد كبير المواقع الدائرية التي ظهرت في بلاد الرافدين، مثل تل الزوية، وسليمة، وتل الكبة في حمرين، وفي تل الشوك الصغير الواقع إلى الشمال الغربي من تل النمل الواقع في الشرقاط جنوب محافظة نينوى، إذ عثر في هذا التل على بناء دائري ربما كان مزاراً، أو معبداً للأسباب الاتية:

أ- إنه لا يصلح للسكن، وهذا واضح من المخطط، إذ لا توجد فيه غرف، أو مرافق صالحة للسكن.

ب- لا يصلح للخزن، أو الحراسة بدليل طبيعة مخططه وموقعه الجغرافي، بل يمكن أن يستخدم كمزار أو معبد تؤدى فيه الشعائر الدينية، إذ يمكن اعتبار الغرفة المركزية الدائرية[٨٧]. (الشكل ١٤ و ١٥).

٦. نماذج من البيوت الدائرية المكتشفة الحديثا

٦.١ تل النمل: يقع هذا المستوطن إلى الجنوب الشرقي من العاصمة الأشورية الأولى آشور بمسافة ١٦كم، وعلى الضفة الغربية من نهر دجلة مباشرة مقابل قرية إصبيح العليا، نحو الجنوب الغربي بمحاذاة سلسلة جبال مكحول التي تحد المنطقة من الجهة الجنوبية. كشف في الموقع الكثير من الابنية المدورة ولا سيما ذات التركيب المعماري المعقد، طبقاً لما ظهر في الموسم الأول، ومن منطقة المركز المعمر ١٢ و تبين أنه عبارة عن تجويف دائري منتظم له مدخل مفتوح باتجاه الشرق، عرضه ٥٥ م قبالة المدخل الرئيس

والوحيد للبناية والذي يفصله عن ممر بواسطة قاطع، ووجد سقف الدائرة المركزية في القسم الذي يفصل بين الدورين الثاني والثالث وفوق الدفن مباشرة آثار حصران تغطي السقف فضلاً عن وجود آثار القار من الداخل، وفوق هذا الممر بعض الجيوب والتقسيمات التي تحيط بالمركز الخارجي العلوي للبناء، و يتضمن في بعض اقسامه في الجزء القريب من الدائرة الوسطية سلما من الاعلى، مما يعطى للمكان خصوصية طقوسية. وتم اكتشاف صحن واسع إذ يبلغ عرضه متراً واحدا. وربما كان هذا السلم مسقوفاً بنصف قوس كما في الممر وشيدِ جداره الشمالي والذي يميل نحو الداخل. هع عدم معرفتنا الحقيقة لماذا استعملت تلك الجيوب؛ إذ لا تصلح للخزن؛ لصغر مساحاتها، ويحتمل أنه كانت توضع فيها بعض الهدايا والنذور في أثناء الطقوس، ويمكن الوصول إليها عن طريق السلم.

ويحيط حول مركز البناية، والسلم، والجيوب جداران، هما الثاني، والثالث من المبنى الدائري و يضمان بينهما جيوب وتقسيمات صغيرة أيضاً اما الدور الثاني وفي أثناء التنقيبات اكتشف عن بناء دائري آخر، أقيمه عليه منشاة مشيده من لحجر غير المهندم و الطين، وهذا النمط قد بني بطريقة منظمة. ولم يعرف لحد الآن تفسير وماهية هذا البناء الدائري الحجري. و بحسب رأي المنقب برهان شاكر يعتقد أنه ممر إلا أن شيئاً من ذلك لم يظهر. ومنذ اكتشاف السلم الحلزوني الداخل في مركز البناء الدائري، يمكن من خلاله الوصول إلى الجيوب المحيطة بالمركز العلوي للبناية والتقسيمات الأخرى، من خلال المدخل الوحيد والمقبى للبناء.

و بحسب رأي المنقب برهان شاكر فإن هذا البناء قد يكون معبداً للإله gi-Bil ، وأن كثيراً من القرائن التي وردت في المركز العلوي وشكل المواقد و المشعل كانت مشابهة لرموز هذا الإله، كما أن البناء واقع في منطقة تكثر فيها الصواعق، وأن أكداس الرماد الموجودة في الممر ناتجة عن إقامة الطقوس لهذا الإله، وقد مخصصت لوضع النذور والقرابين، كما أن البئر الموجودة في الممر نفسه ربما كانت تستخدم لغرض التطهير، وذلك لأنهم لا يحتاجون الماء في حياتهم اليومية طالما ان الموقع مطل دجلة مباشرة[٨٨].

و مما تقدم يمكن القول: إن الأبنية الدائرية، أو البيضوية في تخطيطها وخصائصها المعمارية شأنها شأن الابنية المربعة، أو المستطيلة يمكن أن تستخدم لوظائف متعددة؛ كأن تكون بيتاً، معبداً، مدفناً، معسكراً... الى الأخره. (الشكل١٦ و ١٧).

خاتمة البحث

في ختام هذا البحث تبين لنا ما يأتي :

١-زودتنا نتائج التنقيبات، والنشاطات الأثرية بمعلومات عن مراحل تطور البيوت الدائرية، والمظاهر العمرانية، وكانت من جملة نتائج تلك النشاطات ظهور العديد من القرى، والمستوطنات التي تم الكشف فيها عن عدد كبير من مخططات بنائية. استخدمت للسكن فضلاً عن استخدامات أخرى.

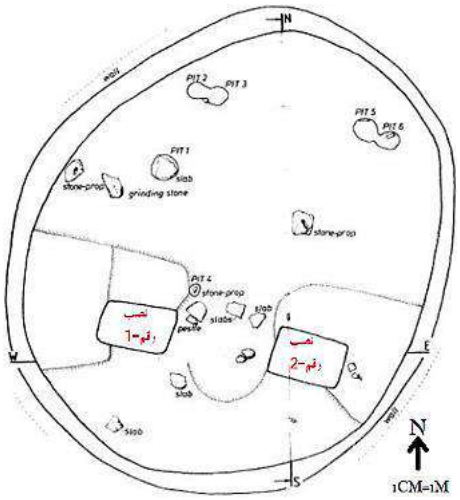
٢-يعود ظهور أقدم أنموذج للبناء إلى العصر الحجري الوسيط (المرحلة الانتقالية). وتبين أن شكل هذه النماذج من الأبنية كان دائرياً مبنية من الطين والحجارة، وأن أغلبها تضم في داخلها عدة غرف صغيرة؛ لتلبية متطلبات السكن والحياة اليومية.

٣-تم اكتشاف مخلفات هذه الأبنية في عدد من القرى الزراعية البدائية، مثل: زأوي جمي، وملفعات، وكريم شهر، سهل سنجار، ومناطق أخرى من نهر الخابور، وحوض البحر المتوسط، وفي سوريا والأردن .

٤-تبين لنا أن انتشار الطراز الدائري للمباني كان بطيئاً، ولم يتجاوز عن كونه غرف للخزن، وأماكن للدفن؛ وذلك لأن التصميم الدائري كان يسير بشكل لا ينسجم مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي حصلت في الفترات اللاحقة.

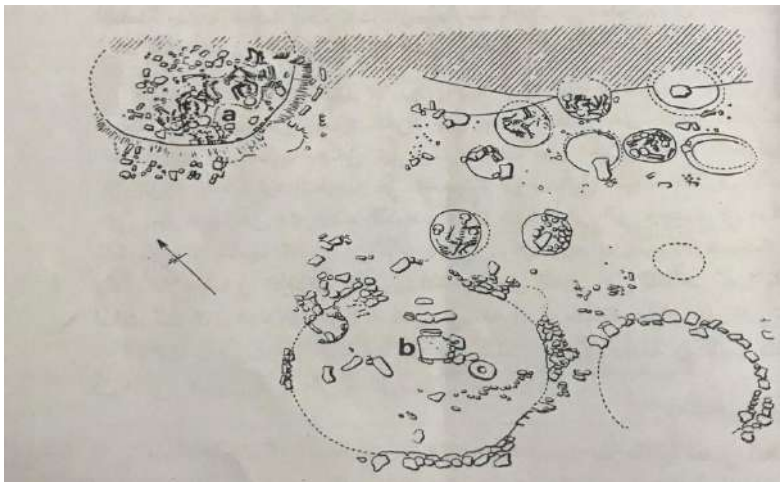
٥-من الناحية المعمارية، تبين أن الأبنية الدائرية كانت بسيطة وتدل مظاهرها العمرانية الفقيرة على بساطة حياة ساكنيها.

الصور والأشكال



(ا الشكل ١ لمخطط معبد نمريك):

Hazirlayan, YAKINDOĞU NEOLITIĞI'NDE NATUF VE NEMRIK KüLTüRLERI, YÜKSEK LISANS TEZI, DICLE UNIVERSITESI, .DIYARBAKIR, 2010. fig.44



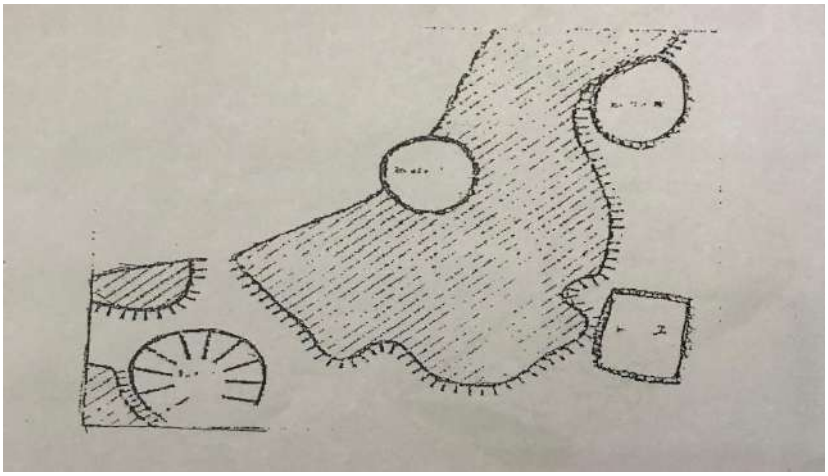
(الشكل ٢): ميلارت، المصدر السابق، ص٣١، الشكل رقم٥.



(الشكل ٣ عبارة عن مجموعة من صور الفوتوغرافية للتبين فكرة البيوت دائرية: بلباس، المصدر السابق، ص. ١٢٣.



الشكل ٤كوبلكي تبه) (
:https://thebihlover.wordpress.com/2017/03/10/the-bosnian-pyramids-it-is-time-to-take-them-seriously



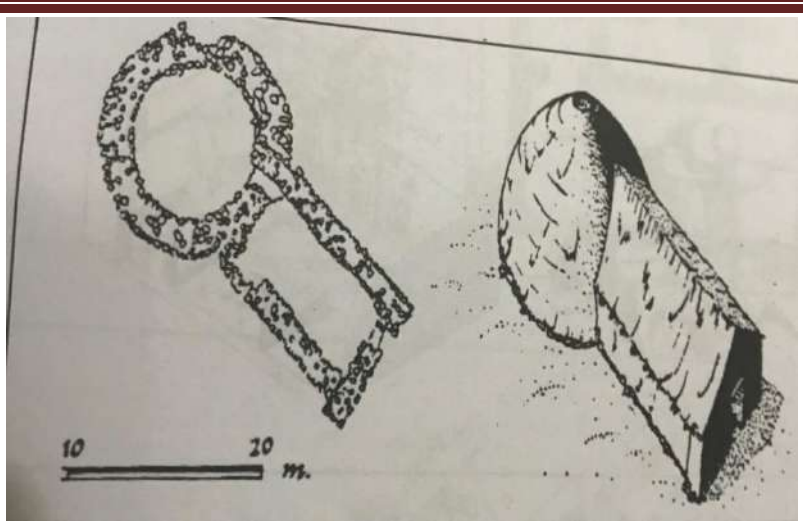
(الشكل ٥): إبراهيم ، حضارة العصر، ص١٦٤، الشكل ١٨.



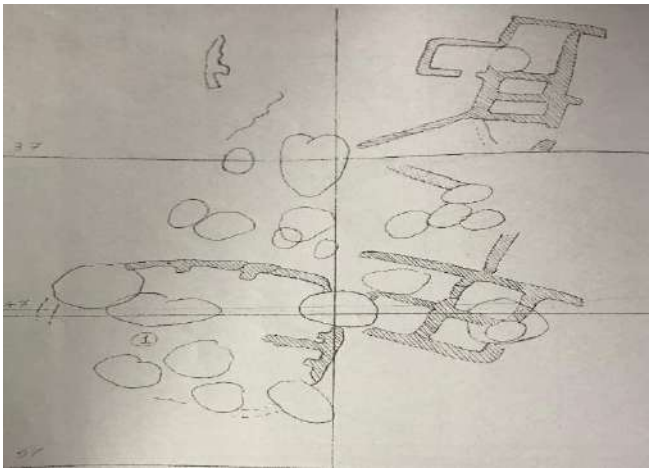
(الشكل ٦ دولمن) بريستيد، جيمس هنري، انتصار الحضارة، تاريخ الشرق القديم، ت: أحمد فخري، القاهرة، ٢٠١١، ص ٥٢، الشكل ١٥ .



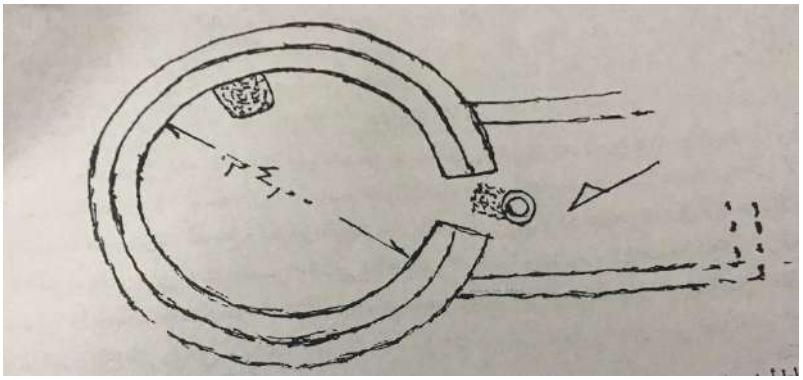
(الشكل ٧ زأوي جمى):
https://www.unc.edu/courses/2003fall/anth/023/001/nabokovandeaston.htm



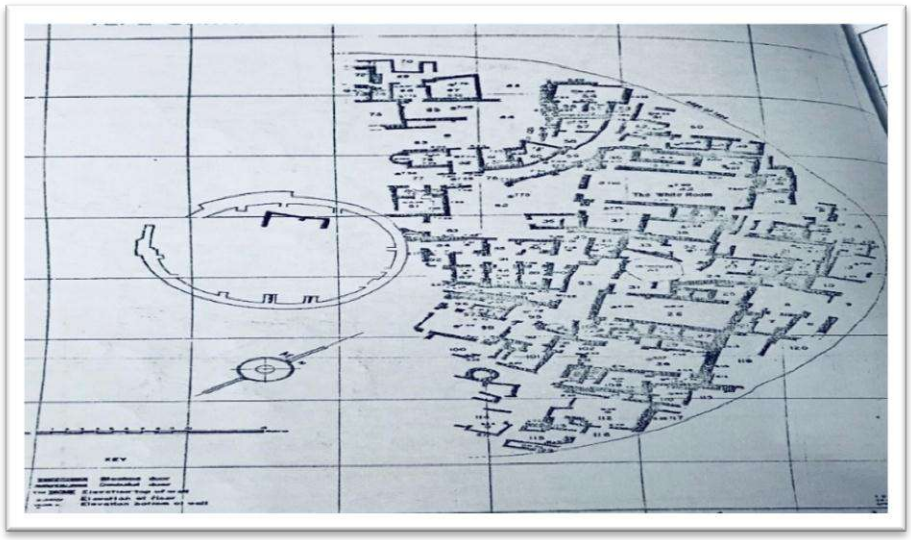
(الشكل ٨ تل حلف): محمد، أحمد كامل، لمحات من فن العمارة في الشرق الأدنى القديم، سومر، مج٥٥، ٢٠١٠، ص٢١٤، شكل١١.



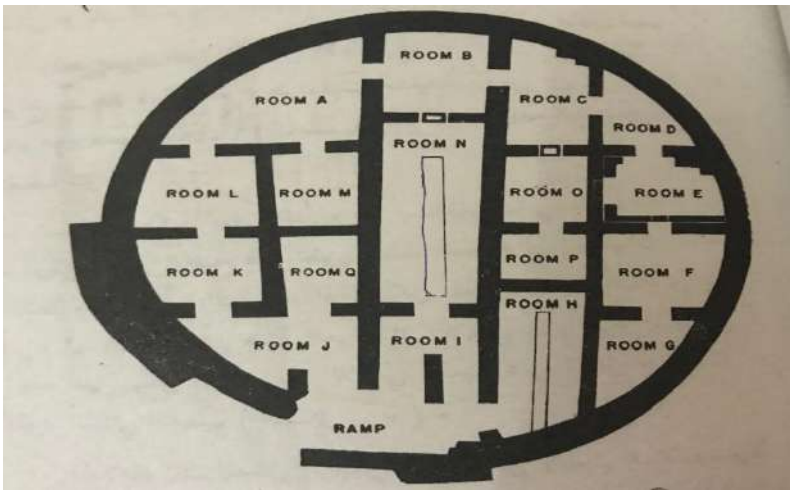
(الشكل٩ يارم تبه): سليمان، عمارة البيت، الشكل٨.



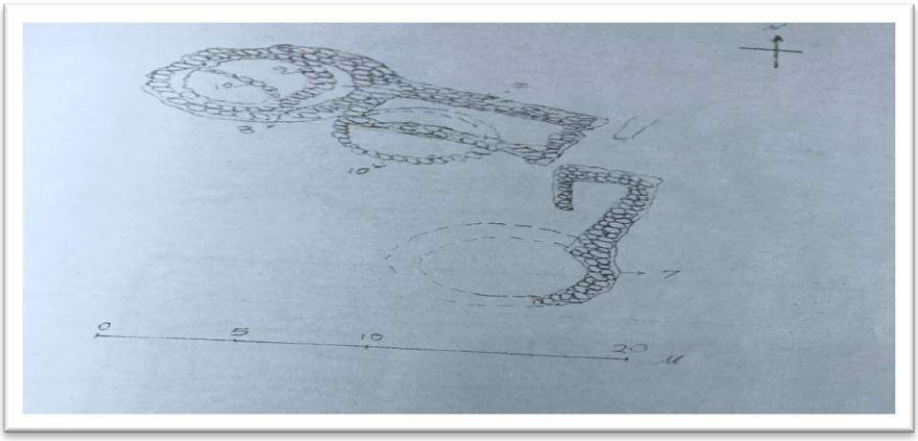
(الشكل ١٠ يارم تبه): يوسف، المصدر السابق، ص٣٩، مخطط١.



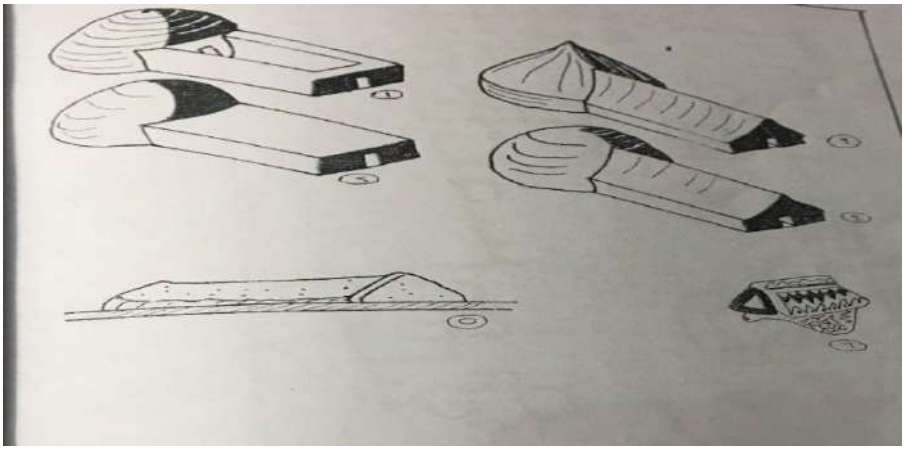
(الشكل ١١ تبه كوره) سليمان، عمارة البيت، الشكل ٢٩.



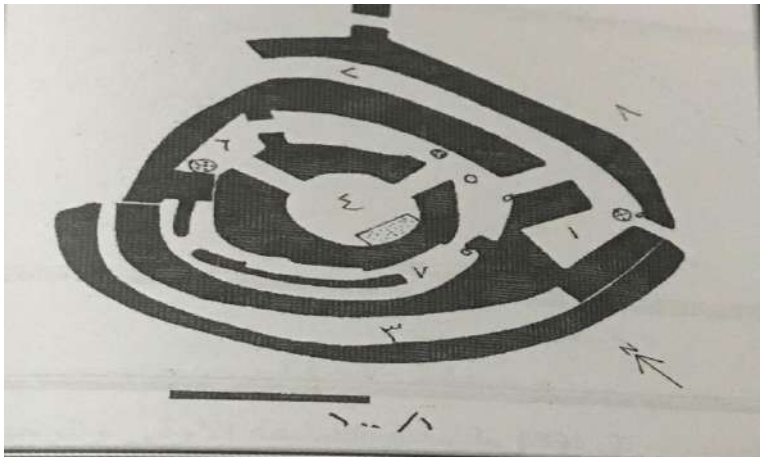
(الشكل ١٢ تبه كوره): الجادر، المصدر السابق، ص ٨٩، الكل٦.



(الشكل ١٣ الاربجية): الشيخ، المصدر السابق، الشكل ٥.



(الشكل ١٤ الاربجية)، سليمان، عمارة البيت، الشكل ٤٩.



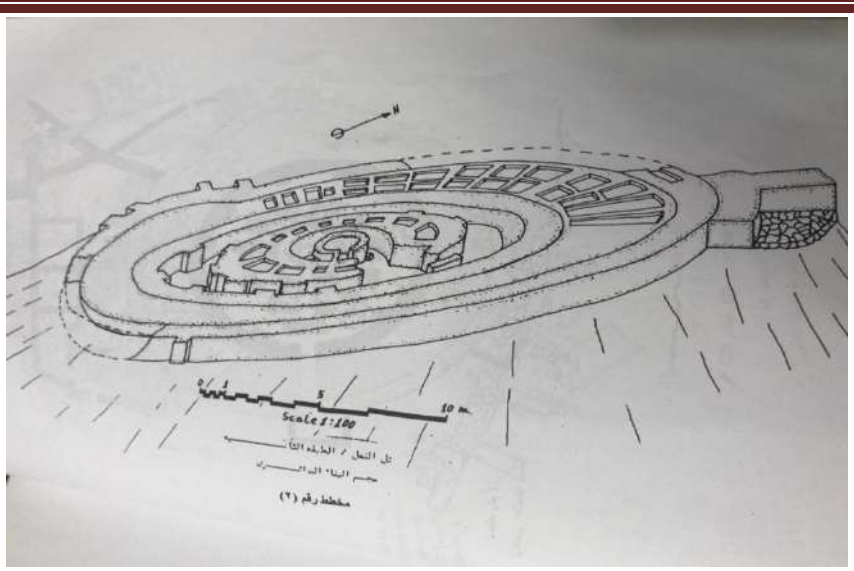
(الشكل 15سد العظيم): سليمان، نتائج التقنيات في حوض سد العظيم، ص ٢٦، مخطط رقم٨.



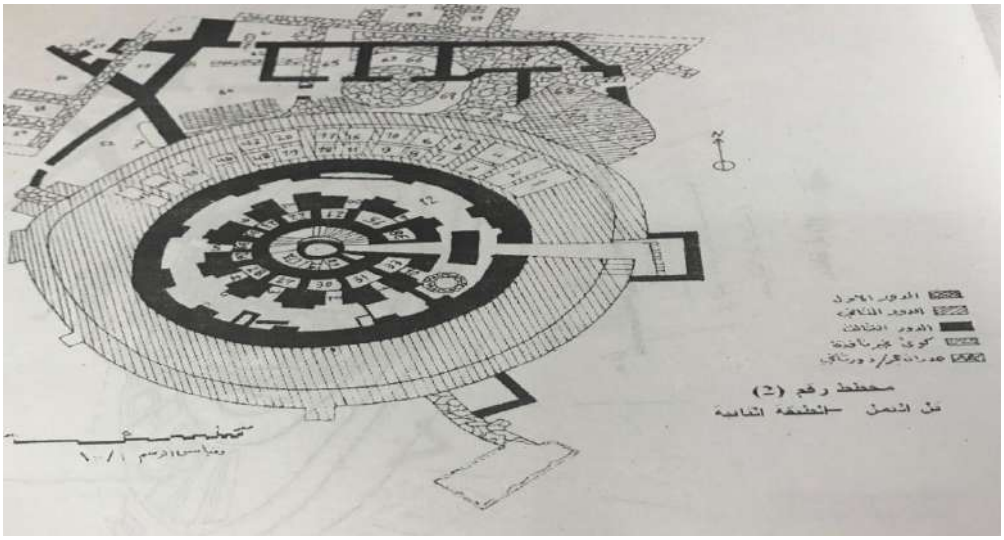
(الشكل ١٦ تل المدينة– المخزن الدائري من تل المدينة من الشمال الشرقي)



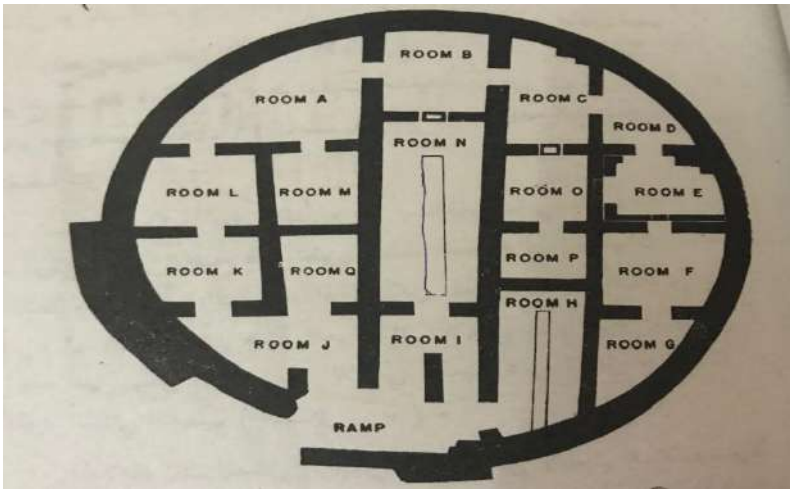
(الشكل ١٧سد العظيم) : سليمان، نتائج التقنيات في حوض سد العظيم، صورة رقم ٢٠.



(الشكل ١٨ تل النمل): شاكر برهان، التنقيبات في تل النمل، ص،٣٠، مخطط رقم٢.



(الشكل ١٩ تل النمل): شاكر برهان، التقنيات في تل النمل، ص ٢٩، مخطط رقم ٢.



الهوامش:

[1]سليمان، موفق جرجيس، عمارة البيت العراقي القديم في عصور ما قبل التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية
الآداب، جامعة بغداد،١٩٦٧، ص٢٠.

[2]سعيد، مؤيد، الفنون والعمارة في العراق القديم، العراق في موكب الحضارة، ج١، بغداد، ١٩٨٨، ص٤٧١ .

[3]إبراهيم، نعمان جمعة، معطيات البيئة الطبيعية وانعكاسها في تطور فن العمارة في كوردستان، مجلة الأكاديمية الكوردية، العدد ٣٥، أربيل –٢٠١٦، ص٣٠٧.

[4]إبراهيم، نعمان جمعة، حضارة العصر الحديث في كوردستان العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، ٢٠٠٣م، ص٣٥.

[5] Braidwood, R.J. and Howe, B; prehistoric Investigation in Iraqi Kurdistan, Chicago-1960, P.152.

[6]الشيخ، عادل عبدالله، بدء الزراعة و أولى القرى في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٥ص٣٩.

[7] Braidwood, R.J., Prehistoric Men, 7th, Chicago, 1967, P.94.

[8]ميلارت، جيمس أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، ت: محمد طلب و تدقيق سلطان محيسن، دمشق، ١٩٩٠، ص٣٧.

[9]عبدالرزاق، نجِل كمال، الخصائص التخطيطية والتصميمة للمباني والمستوطنات الطينية في العراق، المخطط والتنمية٢٥ ، ٢٠١٢ ، ص٩٥.

[10]ميلارت، المصدر نفسه، ص٣٢–٣٧، وينظر: كوفان، جاك، القرى الأولى في بلاد الشام من الألف التاسع حتى الألف السابع ق.م.، ت. إلياس مرقص، ط١، دمشق، ١٩٩٥.

[11]لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامى سعيد، بغداد، ١٩٨١، ص٣٤.

[12]الجادر، وليد: العمارة حتى عصر حجر السلالات، حضارة العراق، ج٣، بغداد، ١٩٨٥م، ص٨٩.

[13]ساكز، هاري، العظمة بابل، موجز حضارة بلاد وادى الرافدين القديمة، ت. عامر سليمان، موصل ،١٩٧٩، ص٢٦.

[14]إبراهيم، العصر الحجري الحديث، ص١١٤.

[15]سليمان، عمارة البيت العراق القديم، ص١٠١.

[16]إبراهيم، المصدر السابق، ص١١٧ وينظر أيضا : الشيخ، عادل عبدالله، بدء الزراعة، ص٤٢.

[١٧]بلباس، كاروان صديق، الطُّرُزُ العماريَّةُ للمعابدِ في بلاد الرافدينِ الأَلفِ الرابع قبل الميلاد حتَّى منتصفِ الأَلفِ الأَولِ قبل الميلاد من (دراسةٌ أثاريةٌ عماريةٌ)، أطروحة، جامعة صلاح الدين أربيل، ٢٠٢٢، ص ١٢٣.

[١٨]كسار، اكرم محمد عبد، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٢، ص٦٦.

[١٩]أحمد، سهيلة مجيد، الحرف و الصناعات اليدوية في بابل و اشور، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠، ص١٣٨ .

[20] Emami, N., Telol Ethalathat, The Excavation of Tell II, 1956-1959, the Tokyo University Iraq- Iran Expedition, Report1, Sumer, vol.1, 1989, P.3.

[21] Edzard, D. O, Realexatikon der Assyriologie and vorderas- iatischen Archaologiem vol. IV.2-3, Berlin-Nework,1973, P. 176.

[٢٢]زهير، صاحب: جذور الحضارة العراقية، عصر قبل الكتابة، بغداد، ٢٠١٢، ص١٤.

[٢٣]اربجية: يقع هذا التل بالقرب من مدينة الموصل على نحو (٢٠كم) شرقاً، نقبت في الموقع أول مرة بعثة بريطانية عام ١٩٣٣ برئاسة مالوان. ينظر: صالح، رشيد قحطان، الكشاف الأثري، العراق، بغداد، ١٩٨٧، ص٦١.

[٢٤]يارم تبة: تسمية تركية ومعناها (نصف تل) ويبعد الموقع مسافة ١٠كم جنوب غربي مدينة تلعفر: صالح، المصدر نفسه، ص٤٤ .

*تبة كورة: يقع على بعد ٢ كم الى الجنوب قرية الفاضلية وعلى بعد ٢٢كم شمال شرقي الموصل: صالح: المصدر نفسه، ص٢٨.

(الكسار، المصدر السابق، ص٦٧.

[25] Mallawan, M.E.L and J. Cruikshank Rose, Excavation at Teel Arpachiyan, Iraq-1935. Vol.2 (1), P.179.

[26] Tobler. A.J, Excavation Tapa Gawra 2, University of Pennsylvania press, Philadelphia-1950, P.43.

[٢٧]الشكري، صباح جاسم، نظم الاستيطان في العراق القديم ومناطق في الوطن العربي، مجلة الاثار، مج٢، الموصل، ٢٠١٣، ص١١٥.

[٢٨]إبراهيم، حضارة العصر الحجري، ص ١١٦ و بعدها.

[٢٩]المنمي، ئارى خليل كامل، أهم العناصر المعمارية في أبنية العراق القديم، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص ص٥٤-٥٥.

[30] Mallwan and Rose, op.cit, P.37.

[31] Mallwan and Rose, op.cit, P.P.31-34.

[32] Postgate, J.N., Excavation in Iraq, Sumer Vol.13, 1981, P.191.

[33] Merpert,N., Rauf Muncheav and Nicola Pader, The Investigation of soviet Expedition in Iraq ,1974, Sumer, Vol.33, P.P.45-88.

[٣٤]كسار، المصدر السابق، ص ص٧٥-٧٦.

[٣٥]الجادر، المصدر السابق، ص٧٩.

[٣٦]سامي، عرفان، نظرية الوظيفية في العمارة، القاهرة، ١٩٩٦، ص٣٩.

[37] Mallowan, M.E, the development of cities from Al.Hubaid to the end of Uruk 5th, CAH. Vol1 and II, 1967, P.728.

[٣٨]كسار، المصدر السابق، ص٧٨.

[٣٩]ميلارت، المصدر السابق، ص ص١١٥-١١٦.

[٤٠]بوتبرو، جان: بلاد وادي الرافدين، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٤٣.

[٤١]سليمان، المصدر السابق، ص ٣٣.

[42] Schmidt, G., Die Agglutinierende, Banweise in zweistromland und in syrien, Berlin, 1963, P.5.

[43] Stefan K. Kasolwski, and et.al the preliminary Report on the third season 1987, of polish excavations, at Nemrek 9, Saddam Dam selvage project, Sumer, vol.116,1989-1990, P.16.

[٤٤]البهنسي، غصيق، الفنون القديمة ، لبنان، ١٩٨٢، ص ص٣١-٣٢.

[٤٥]كسار، المصدر السابق، ص ص ٨٠-٨١ .

[٤٦]إبراهيم، حضارة العصر الحجري الحديث، ص١٢٠ .

[٤٧]كسار، المصدر نفسه، ص ٨٠ .

[٤٨]الجادر، المصدر السابق، ص ٧٨.

[٤٩]سامي، عرفان، المصدر السابق، ص ٤٠.

[٥٠]كسار، المصدر السابق، ص ص٨٠-٨١، و ينظر.

Merport, N, and Rof Muncher; Excavation at arim1970 second preliminary report, summer, vol.27, P.20.

[٥١]داود، شيرين محمد، العناصر الزخرفية على فخاريات عصر حلق في البلاد الرافدين – دراسة تحليلية جامعة صلاح الدين ، أربيل،٢٠١٣، ص ١٨.

[٥٢]كسار، المصدر السابق، ص ٨٢.

[٥٣]الدباغ، تقي، الفخار عصور ما قبل التاريخ، حضارة العراق، ١٢، بغداد، ١٩٨٥، ص١.

[٥٤]الشيخ، المصدر السابق، ص٤٧، ٤٨، ٤٩.

[٥٥]إبراهيم :حضارة العصر الحجري الحديث، ص٣٦.

[56] Soleck, Rose, An Early Village Site at Zawi Chami Shanidar, Bilbo the Mesopotamia, Malibu, 1980, P.58.

[٥٧]الشيخ، المصدر السابق، ص ٤٣.

[٥٨]إبراهيم، المصدر السابق، ص ٣٦.

[٥٩]إبراهيم، معطيات البيئة وانعكاسها، ص ٣١٦.

[٦٠]شريف، عمر حسين، مواقع عصور ما قبل التاريخ في أربيل تطبيق على قرية زاوى جمى – تل قالينج اغا – تل نادر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة– كلية الاثار، ٢٠١٦، ص ٦٧.

[٦١]يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد، ١٩٨٢، ص٣٨.

[٦٢]حجارة، اسماعيل حسين، منطقة زاكروس في فترة العصر الحجري القديم، سومر، مج ٥٣، بغداد، ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص٢٦.

[63] Solecki, R, The 1956 Season at Shanidar Cave, Sumer, vol.13, 1955B, P.168.

[64] Solecki, Rose, Zawi Chami shanidar, A port ptoistocene village site in northern Iraq,1964, report of VI international congress, on Quaternary, Warsu-1964, P.409.

[٦٥]باقر: طه، مقدمة في تاريخ الحضارات، بغداد، ١٩٥٥، ص١٨٨.

[٦٦]باقر، طه، فؤاد سفر، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، المرحلة الرابعة، بغداد، ١٩٦٥، ص ١٦.

[٦٧]إبراهيم، حضارة العصر الحجري الحديث، ص ٣٨.

[٦٨]إبراهيم، معطيات البيئة، ص٣١٧.

[٦٩]سليمان، عمارة البيت، ص ٢٣-٢٤.

[٧٠]إبراهيم، حضارة العصر الحجري، ص ٣٩.

[71] Bradwood , R, op.cit,1960, P.27.

[72] Mellart. J., Earliest civilization of the new east, London, 1975, P.74.

[73] Braidwood.R.J, Preshistoric Investigation, op.cit, P.26. وينظر: باقر، المرشد، ص٧.

[74] Braidwood, R. and et , al. , Mattarrah A southern Variant of the Assemblage ,Excavation in 1948,J.E.N.S. , Vol. XI,No1,1992, P.P. 2-8.

[٧٥]سليمان، عمارة البيت، ص ص٢٣-٢٤.

[٧٦]خويليدس، نادية ولوتس مارتن، تل حلف والمنقب الأثري فون أوينهام، ترجمة قاسم، اسماعيل ، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٢.

[٧٧]ميلارت، المصدر سابق، ص ص ١٥٩-١٦١.

[٧٨]الجادر محمود وليد زهير، رجب عبدالله، أراء في التخطيط في العمارة العراقية القديمة، سومر،مج٥٠، بغداد، ص٢١٥.

[٧٩]قحطان، المصدر السابق، ص٤٤.

[80] Merpert, N, & Munchaje, R., Excavation at Yarim Tepe 1970, Second Preliminary report, Sumer, vol. XXVII,1971, P.17.

[٨١]الدباغ، تقى، من القرية إلى المدينة، موسوعة الموصل الحضارية، مج١، جامعة الموصل، ١٩٩١، ص ٥٢.

[٨٢]كسار، المصدر السابق، ص ٣٦.

[٨٣]قحطان، المصدر السابق، ص ٦١.

[٨٤]سليمان، برهان شاكر، نتائج التقنيات في حوض سد العظيم، سومر، مج ٥٩، بغداد، ٢٠١٤، ص٩. و ينظر: سليمان، موفق، المصدر السابق، ص ٢٩ -٣٠.

[٨٥]سليمان، العمارة البيت، ص ٢٩-٣٠.

[٨٦]شاكر، برهان، تنقيبات عراقية في منطقة سد العظيم، بغداد، ٢٠١٦، ص.ص. ٣٩ و مابعدها.

[٨٧]سليمان، نتائج التقنيات، المصدر نفسه، ص ص١٧-٢١.

[٨٨]شاكر، برهان، التنقيبات في تل النمل، سومر، مج٥١ ، بغداد، ٢٠٠١، ص ص١-٩.

المصادر:

١- إبراهيم، نعمان جمعة، معيطات البيئة الطبيعية وانعكاسها في تطور فن العمارة في كوردستان، مجلة الأكاديمية الكورية، العدد٣٥، اربيل، ٢٠١٦.

٢- إبراهيم، نعمان جمعة، حضارة العصر الحجري الحديث في كوردستان العراق، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعه صلاح الدين، اربيل،٢٠٠٣.

٣- بلباس، كاروان صديق، الطُّرُزُ العماريَّةُ للمعابدِ في بلاد الرافدينِ الأَلفِ الرابع قبل الميلاد حتَّى منتصفِ الأَلفِ الأَوّلِ قبل الميلاد من (دراسةٌ أثاريةٌ عماريةٌ)، أطروحة، جامعة صلاح الدين أربيل، ٢٠٢٢.

٤- محمد، أحمد كامل، لمحات من فن العمارة في الشرق الأدنى القديم، سومر، مج٥٥، ٢٠١٠.

٥- أحمد، سهيلة مجيد، الحرف والصناعات اليدوية في بابل وآشور، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠.

٦- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، بغداد، ١٩٥٥

٧- باقر، طه، فؤاد سفر، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، المرحلة الرابعة، بغداد، ١٩٦٥.
٨- بريستيد، جيمس هنرى، انتصار الحضارة، تاريخ الشرق القديم، ت: أحمد فخري، القاهرة، ٢٠١١.
٩- البهنسي، عفيف، موسوعة تأريخ الفن والعمارة، الفنون القديمة، ط١، لبنان، ١٩٨٢.
١٠- بوتيرو، جان، بلاد وادي الرافدين، بغداد، ١٩٩٠.
١١- الجادر، وليد محمود، وزهير، رجب عبدالله، آراء في التخطيط في العمارة العراقية القديمة، سومر، مج٥٠، بغداد.
١٢- الجادر، وليد، العمارة حتى عصر فجر السلالات، حضارة العراق، ج٣، بغداد، ١٩٨٥.
١٣- حجارة، إسماعيل حسين، منطقة زاكروس في فترة العصر الحجري القديم، سومر، مج٥٣، بغداد،٢٠٠٥.
١٤- خوليدس، نادية ولوتس مارتن، تل حلف والمنقب الأثري فون أوبنهام، ت: فاست، اسماعيل ط١، دمشق، ٢٠٠٦.
١٥- داود، شيرين محمد، العناصر الزخرفية على فخاريات عصر حلف في بلاد الرافدين – دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، أربيل، ٢٠١٣.
١٦- الدباغ، تقى، من القرية إلى المدينة، موسوعة الموصل الحضارية، مج١، جامعة الموصل، ١٩٩١.
١٧- الدباغ، تقي، الفخار عصور ما قبل التاريخ، حضارة العراق، ١٢، بغداد، ١٩٨٥.
١٨- رشيد، صالح قحطان، الكشاف الأثري العراق، بغداد، ١٩٨٧.
١٩- زهير، صاحب، جذور الحضارة العراقية، عصر قبل الكتابة، بغداد، ٢٠١٢.
٢٠- سامي، عرفان، نظرية الوظيفية في العمارة، القاهرة، ١٩٩٦.
٢١- سعيد، مؤيد، الفنون والعمارة في العراق القديم، العراق في موكب الحضارة، ج١، بغداد، ١٩٨٨.
٢٢- سليمان، موفق جرجيس، عمارة البيت العراقي القديم في عصور ما قبل التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد،١٩٧٦.
٢٣- شاكر برهان، التقنيات في تل النمل، سومر، مج ٥١، بغداد، ٢٠٠١.
٢٤- شاكر، برهان ، نتائج التقنيات في حوض سد العظيم، سومر، مج ٥٩، بغداد، ٢٠١٤.
٢٥- شاكر، برهان، تنقيبات عراقية في منطقة سد العظيم، بغداد، ٢٠١٦،

٢٦- شريف، عمر حسين، مواقع عصور ما قبل التاريخ في أربيل تطبيق على قرية زاوى جمى – تل قالينج اغا – تل نادر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة– كلية الاثار،٢٠١٦.
٢٧- الشكري، صباح جاسم، نظم الاستيطان في العراق القديم و ناطق في الوطن العربي، مجلة الآثار، مج٢ ، الموصل، ٢٠١٣.
٢٨- الشيخ، عادل عبدالله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ١٩٨٥.
٢٩- عبدالرزاق، نجم كمال، الخصائص التخطيطية والتصميمة للمباني والمستوطنات الطينية في العراق.
٣٠- كسار، أكرم محمد عبد: عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد ،١٩٨٢.
٣١- كوفان، جاك، القرى الاولى في بلاد الشام من الالف التاسع حتى الالف السابع ق.م.، ت: الياس مرقص، ط١، ديمشق، ١٩٩٥.
٣٢- لويد، سيتون، اثار بلاد الرافدين، ت: سامى سعيد، بغداد، ١٩٨١.
٣٣- المنمى، ثارى خليل كامل، اهم العناصرالعمارية في أبنية العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.
٣٤- ميلارت، جيم، أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، ت: محمد طلب و تدقيق سلطان محيسن، دمشق، ١٩٩٠ .
٣٥- الوردي، محمود فارس عثمان، المدافن في العراق القديم– رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م.
٣٦- يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد، ١٩٨٢.

المصادر الاجنبية:

1. Braidwood, R & Howe, B, Prehistoric Investigations In Iraqi Kurdistan, Chicago, 1960.
2. Braidwood, R. et.al., Mattarrah A Southern Variant of The Assemblage, Excavation In 1948, J.E.N.S., Vol. Xi, No1, 1992 .
3. Braidwood, R.J., Prehistoric Men, 7th, Chicago, 1967.
4. Edzard, D.O, Realexatikon Der Assyriologie And Vorderas- Iatischen Archaologiem Vol. Iv.2-3, Berlin-Nework, 1973 .

5. Emami, N., Telol Ethalathat, The Excavation Of Tell Ii, 1956-1959, The Tokyo University Iraq- Iran Expedition, Report1, Vol.1, 1989.
6. Hazirlayan, YAKINDOĞU NEOLITIĞI'NDE NATUF VE NEMRIK KüLTüRLERI, YÙKSEK LISANS TEZI, DICLE UNIVERSITESI, DIYARBAKIR, 2010.
7. Mallawan, M, E.L & Cruikshank Rose; Excavation at Teel Arpachiyan, Iraq, Vol.2, 1935.
8. Mallowan, M. E, The Development Of Cities From Al.Hubaid To The End Of Uruk 5th, Cah. Vol. II, 1967 and I.
9. Mellart.J. Earliest Civilization of the Near East, London, 1975.
10. Merpert, N, & Munchaje, R., Excavation At Yarim Tepe 1970, Second Preliminary Report, Sumer, Vol.Xxvii,1971 .
11. Merpert,N., Rauf Muncheav And Nicola Pader, The Envestigation Of Sovit Expedition In Iraq, sumer, Vol.33. 1974.
12. Merport, N, & Rauf Munchev, Excavation at YarimTepe Second Preliminary Report, Sumer, Vol.27. 1970.
13. Munchaev,R & Nicolai Merpert, The Archaeological Research In The Sinjar Valley, Summer,Vol.27, 1977.
14. Oliver Aurench, Mesopotamia Architecture from the 7th To The 4th Milenia, Sumer, Vol.42, 1986.
15. Postgate, J.N, Excavation in Iraq, Sumer, Vol.13, 1981.
16. Schimidt,G., Die Agglutinierende Banweise In Zweistromland Und In Syrien ,Berlin, 1963.
17. Soleck, Rose, An Early Village Site At Zawi Chami Shanidar, Malibu, 13, 1980.
18. Solecki, Rose, The 1956 Season At Shanidar Cave, Sumer, Vol.13, 1955b.
19. Solecki, Rose, Zawi Chami Shanidar: A Port Ptoistocene Village Site In Northern Iraq, 1964, Report Of VI International Congress, On Quaternary , Warsu, 1964.
20. Stefan, K. Kasolwski, & et. al, The Preliminary Report On The Third Season 1987, Of Polish Excavations, At Nerik 9, Saddam Dam selvage Project, Sumer, Vol.116, 1989-1990.
21. Tobler, A.J, Excavation Tapa Gawra2, University of Pennsylvania Press, Philadelphia-1950.

المصادر الإلكترونية

1. https://www.unc.edu/courses/2003fall/anth/023/001/nabokovandeaston.htm
2. https://thebihlover.wordpress.com/2017/03/10/the-bosnian-pyramids-it-is-time-to-take-them-seriously.

أثر السعاية والوشاية على منصب القضاء في الدولة الفاطمية

The impact of pursuit and slander on the position of the judiciary in the Fatimid state

إعداد الطالبة:

جنان كاظم عبدالكريم دواح

jjenan006@gmail.com

بإشراف

أ.د بلقيس عيدان لويس الربيعي

dr.blqess.1975@gmail.com

جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ

أثر السعاية والوشاية على منصب القضاء في الدولة الفاطمية

جنان كاظم عبدالكريم دواح

أ.د بلقيس عيدان لويس الربيعي

الملخص:

يعد منصب القضاء من ابرز المناصب في الدولة الفاطمية إذ لعب دورًا حاسمًا في سياسة الدولة وحياتها الاجتماعية وكان عمل القضاء موجهًا بشكل أكبر من أجل المجتمع ومن أجل الحفاظ على النظام الاجتماعي وحل النزاعات وفق معايير وقوانين تفرضها الدولة. لذلك عملت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر (٢٩٧هـ-٥٦٧م/٩٠٩-١١٧١م) من أجل حفظ مكانة القاضي والقضاة، الا ان هذا الأمر لم يتم ، فقد تعرض بعض القضاة في الدولة الفاطمية الى السعاية والوشاية، حتى تركت السعاية والوشاية اثارها الوخيمة على منصب القضاء فقد تعرض بعض القضاة للقتل أو العزل أو التهجير أو الحبس أو سخط الخلفاء عليهم، كما أن السعاية والوشاية تركت اثارًا واضحة على قضاة المذاهب المغايرة لمذهب الدولة، فنرى أن الساعي أو الواشي كان يستغل أمر كهذه للإيقاع بمنافسيه أو اعدائه بسبب أو بدون سبب.

Abstract:

The position of the judiciary is considered one of the most prominent positions in the Fatimid state, as it played a decisive role in the state's policy and its social life. Therefore, the Fatimid state worked in the Maghreb and Egypt (297 AH / 567 AD / 909 / 1171 AD) in order to preserve the position of the judge and the judges, but this matter did not take place. Some judges were killed, dismissed, displaced, imprisoned, or the caliphs were angry with them, and the slander and slander left clear effects on the judges of sects that differed from the state's doctrine, so we see that the courier or snitch was taking advantage of such a matter to entrap his competitors or enemies with or without reason.

الكلمات المفتاحية: السعاية، الوشاية، القضاء، الدولة الفاطمية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

لأن منصب القضاء منصب مهم فقد عمدنا الى تقسيم البحث الى قسمين تناول الأول: السعاية والوشاية بالقضاة والفقهاء في المغرب العربي والذي تضمن دراسة ابرز حالات السعاية والوشاية في المغرب، كما وضحنا فيه الأسباب التي ادت الى وقوع فعل السعاية والوشاية والنتائج التي ترتبت عليها وأبرز اجراءات الخلفاء للحد من هذه الظاهرة أو مجاراتها والاستماع للشخص الواشي وتصديقه. أما الثاني: تناول السعاية والوشاية بالقضاة في مصر وابرز الحالات التي ذكرتها المصادر العربية والفاطمية وما عاناه بعض القضاة من التعسف والأزمات بسبب فعل الساعي أو الواشي.

اولاً: السعاية والوشاية بالقضاة والفقهاء في المغرب:

بعد قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب اتخذ قضاة وفقهاء المذهب المالكي وغيره من المذاهب السنية موقف العداء من الدولة ومن مذهبها الاسماعيلي الشيعي الحديث النشئة في بلادهم[١] فيلاحظ من خلال المصادر التاريخية انعدام التوافق بين علماء المذهبيين طوال فترة الوجود الفاطمي في المغرب[٢]، فذكر ابن عذاري في حوداث سنة (٢٩٧ه/٩٠٩م) قتل كل من إبراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون وأبو بكر بن هذيل في القيروان وكانا من فقهاء المالكية بعد ان وشي بهما الى ابو العباس المخطوم وقيل: " **وذكروا عنهما أنهما يطعنان في الدولة، ويشوبان**[٣] **على علي ابن أبي طالب بأبي بكر وعمر وعثمان**"[٤] فتم حبسهما ثم أُمِرَ الحسن ابن ابي خنزير[٥] بقتلهما خاصة ابن البرذون "**إذ كان القول فيه أشنع، والسعي عليه أعظم**"[٦]. ومهما يكن من امر فقد كتب أبو العباس إلى ابو عبد الله الشيعي بخبر التخلص من ابن البرذون وصاحبه فعنفه ولامه على ذلك، وقال له: "**قد افسد علينا من أهل البلد وأهله ما كانت بنا حاجة إلى صلاحه**"[٧]

ومن الحوادث المشابهة لذلك ما حدث في سنة (٣٠١ه/٩١٣م)، حين قتل الفقيه أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري ، وكان سبب ذلك سعاية ووشاية القاضي محمد بن عمر المروذي[٨] به عند الخليفة المهدي، فأمر الخليفة الحسن بن ابي خنزير بقتله، وكانت وشاية القاضي المروذي به عند الخليفة تتضمن " **كثرة جهاده وبغضه لعبيد الله وجنده**" [٩] ، أما الخشني [١٠] فذكر ان سبب سعاية القاضي المروذي به هو بغضه له وحسده لانه كان مرشحاً

لتولي منصب القضاء، الا ان محمد محفوظ يستبعد ان يكون ما ذهب اليه الخشني سبباً للقضاء عليه بل يشر الى ان ثرائه الفاحش ومعاداته للخليفة وللفاطميين كان وراء السعاية والوشاية به وقتله(١١).

وقد عادت نتائج هذه الوشاية على الواشي القاضي محمد بن عمر المروذي بذات المصير والعاقبة اذ يذكر الذهبي ان ابن ابي خنزير لما "**رأى كثرة اذاه للعلماء، تحايل وسعى بـــه**"(١٢)، فقتله الخليفة المهدي في ذات السنة.

أما في سنة (٣٠٧ه/٩١٩م) فقد وشى بعض المشارقة بعروس المؤذن عند القاضي إسحاق بن أبي المنهال (١٣) حيث شهدوا له بأنه "**أذن ولم يقل حي على خير العمل**" في اذانه ، فوشـــى القاضي بدوره بذلك للخليفة المهدي فأمر بضربه بالسياط وتم تعذيبه حتى مات(١٤)

وفي سنة (٣٠٩ه/٩٢١م) قتل الفقيه ابو القاسم الحسن بن مفرج و صلب وذلك بعـــد ان تمت الوشاية به الى الخليفة بأنه يحارب مع مجموعة ضد الدولة ، وقيل " **انما قتل لانه نقل عنه تفضيل بعض الصحابة على علي بن ابي طالب**" (١٥) . و قتل معه في نفس السنة ابو عبـــد الله محمد بن عبد الله السدري الذي كان وراء قتله العديد من الاسباب التـــي اوصـــلها الســـعاة والوشاة الى مسامع الخليفة نبينها بنقاط:

١. صراعه وقتاله المستمر للخليفة المهدي و لقبائل بلاد المغرب المنضوية تحت لواء الدولـــة الفاطمية .
٢. كثرة كلامه عن الخليفة المهدي وكان الوشاة يوصلونه اليه .
٣. تفضيله بعض الصحابة على علي بن ابي طالب (١٦).

ومهما يكن من امر فأن الخليفة المهدي ما ان علم بكل ذلك حتى ارسل في طلبه ، الا انه استطاع الهرب متوجهاً الى مكة وبذل جهداً فيها لاستنفار الناس من اجل قتاله ، وكان للخليفـــة عيون في مكة يأتونه بأخبار السدري ، وعندما عاد الى المغرب كان الســـعاة يوصـــلون الـــى الخليفة كل تحركاته ، فأستطاع القبض عليه فلما وقف بين يد الخليفة المهدي قال لـــه: " **أنـــت الشاتم لنا الذاكر عنا أنا أحدثنا في الإسلام الحوادث؟ فقال له نعم، أنا القائل ذلك. فقال له: وما الذي رأيته منّا؟ فأخبره بكل ما يعتقده في الدين و الإسلام وكل ما أحدث فيهمـــا**" فقتل بعد ذلك هو وصاحبه الآنف ذكره وصلبا (١٧).

وفي سنة (٣١١م/٩٢٣م) ضرب الفقيه المالكي محمد بن العباس الهذلي بالدرة بعد ان سحب الى صحن الجامع و جُردَ من ثيابه، وصفع في قفاه حتى سال الدم من رأسه، وتم التشهير به في أسواق القيروان ، وذلك بعد ان وشى به قوم من المشارقة وشهدوا عليه " **بأنه يطعن على السلطان ويفتي بقول مالك** "(١٨)

أما في عهد الخليفة المنصور فقد تعرض قاضي مدينة برقة محمد بن اسحاق الحبلي للوشاية بسبب عدم تطبيقه لأوامر الدولة اذ وشى به عامل برقة المعروف بأبن الكافي للخليفة فقتل نتيجة ذلك سنة (٣٤١ه/٩٥٢م) وكان ذلك لانه رفض اعلان يوم العيد دون رؤية الهلال وقال لعامل برقه :"**لا أخرج ولا أخطب ولا أصلي العيد ولا أتقلّد أن أفطر الناس يوما من رمضان ولو علّقت بيدي، فمضى العامل... وكتب بما جرى إلى مولاه** "(١٩)

ولا بد لنا من ان ننوه الى ان الوشاية لم تؤدي دائماً للقتل بل على العكس استطعنا ان نجد بعض الشواهد التاريخية لوشايات انتهت دون اثر من ذلك ما حدث للفقيه سعدون بن احمد الخولاني إذ ابلغ الوشاة الخليفة المهدي(٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٣م) أن سعدون " **يجتمع إليه خلق من الناس يخرج بهم إلى الدور... وقيل له: انه يخرج عليك**"، " كما رفع الوشاة الى الخليفة ان سعدون "**يجتمع إليه العامة مع أشياء هو بريء منها وان عنده كتب الحدثان**" ، فأرسل اليه المهدي من قيده واخذه واخذ الكثير كتبه، الا ان زوجة الخليفة علمت بذلك فقالت له : " **تأتي إلى رجل صالح ولي من أولياء الله سبحانه وتعالى تفعل به هذا؟ أما تخشى أن يدعو على ولدك فيهلك؟**" فأمر الخليفة بتخلية سبيله و أكرمه بثلاثمائة دينار و دابة ، الا انه رفض اخذهما (٢٠) وربما كان سبب تخلية سبيله هو لكثرة مداراته للخليفة، وزيارته له في ايام الهناء والعزاء، او قد يكون نتيجة الخوف منه لما اشتهر عنه من ان الجن كان يخاطبه ويقضي له حوائجه و ربما كان هذا ما دفع زوجة الخليفة للتوسط من اجل اخراجه لخوفها على ولدها (٢١)

والامر نفسه حين سعت قضيب جارية الخليفة المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) بالقاضي ابو عبد الله محمد بن ابي منظور لأنه حبس نائحة جارية الخليفة وكانت تشتهر بالفسق ومخالطة السفهاء، فقال لها الخليفة: " **أيش نعمل له ما أخذ لنا صلة ولا ركب لنا دابة ولا نقدر على عزله، ونحن نحب صلاح البلد** " (٢٢)

كذلك ما حدث لابو بكر يحيى بن خلفون الهواري المؤدب والذي سعى به الوشاة عند الخليفة المعز لدين الله إذ ذكروا له انه يسبه ويلعنه ويسميه ابي ذميم ويجمع الاموال من اجل تفريقها على الرجال لهدم القصر الفاطمي، فأمر الخليفة بإحضاره الا انه لم يعاقبه على كل ذلك بل على العكس صرفه واعطاه عشرة دنانير[٢٣] وربما كان ذلك لشفاعة جوهر له[٢٤].

كما تعرض الفقيه ابو بكر النابلسي للوشاية التي كان ورائها اسباب عدة نذكر منها:

١. قيامه بذم الخلفاء الفاطميين علناً[٢٥]
٢. تحريضه العامة و اعلان النفير ضدهم[٢٦]
٣. اصداره الفتاوي التي حلل فيها قتالهم و قتال اتباعهم[٢٧]
٤. استقباله الحسن بن الاعصم[٢٨] احد اعداء الخلفاء الفاطميين في الرملة وادخاله الى المدينة[٢٩].

ونتيجة لذلك امر الخليفة المعز بالقاء القبض عليه واحضاره الى القاهرة ، فقبض عليه وسيق الى مصر بقفص من خشب وذلك في سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) وطِيف به وهو مقيد على جمل في القاهرة، ثم أُخذ الى القصر[٣٠] ويذكر آبن كُثير مقابلة الفقيه أبي بكر مع الخليفة المعز فيقول:" **قال له المعز: بَلغني عنك أنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم ، فقال له أبو بكر : ما قلت هذا، ... فقال المعز: كيف قلت ؟ قال : قلت ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر، فقال له المعز : ولِمَ ؟ قال : لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين وأطفأتم نور الألهية و إدعيتم ما ليس لكم**"[٣١] .فأمر الخليفة بقتله[٣٢].

ومهما يكن من الامر فقد تعرض الكثير من الفقهاء و العلماء والقضاة في المغرب لمثل هذا النوع من الوشايات كانت معظمها لأسباب دينية منها تركهم قول حيّ على خير العمل في الأذان **او** ترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة فضلاً عن الاختلاف في رؤية هلال العيد او افتائهم وفق مذهب مالك، وربما كان ذلك لتناولهم امور تخص الامام علي (عليه السلام)،او قد تكون لإسباب سياسية وعسكرية كالطعن بالدولة و بالخليفة ، واستنفار الناس ودفعهم للإشتراك في القتال تحت مسمى الجهاد[٣٣].

ثانياً: السعاية والوشاية بالقضاة في مصر:

كان منصب القضاء من اهم مناصب الدولة وكان واضحاً ان الحصول على هذا المنصب لم يكن بالأمر الهين لذلك كثرت السعاية والوشاية بالقضاة من اجل الحصول عليه او ازاحة اصحابه عنه، وقد استغلت قضية النسب احياناً للإطاحة بالقضاة[٣٤].

من ذلك ما حدث في سنة(٣٨٨ه/٩٩٨م) عندما تولى الحسين بن النعمان منصب القضاء وكان ابن عمه عبد العزيز بن النعمان يظن انه من سوف يتولاه لأنه كان يخلف والده في كل شيء ويبدو ان هذه الحادثة قد ادت الى الكراهية والتباغض بين الاثنان[٣٥] وفي سنة(٣٩١ه/١٠٠٠م) تعرض القاضي الحسين بن النعمان الى محاولة قتل وهو في الجامع يصلي [٣٦] ولم تذكر المصادر سبب ذلك صراحة الا اننا لا نستبعد ان يكون وراء ذلك ابن عمه العزيز الذي لم ينفك يضايقه في كثير من الاحداث من ذلك ما حدث في سنة (٣٩٣ه/١٠٠٢م) عندما اذن الخليفة لعبد العزيز ان يسمع دعاوي وشكاوي المتظلمين مع بقاء الحسين على وظيفته فعمد عبد العزيز الى تعين شهود يحضرون مجلسه وأمرهم بعدم الحضور في مجلس القاضي الحسين بن النعمان، وصار الناس على علم بتباغض الاثنان فصار اذا رفع شخص قصة الى الحسين رفع غريمه القصة الى عبد العزيز " **فكثر الكلام في ذلك والخوض فيه**"[٣٧] وكان الوشاة يوصلون كل ما يجري للخليفة الحاكم فكتب بخطه ورقة الى القاضي الحسين بن النعمان كتب له فيها : " **يا حسين أحسن الله عليك. اتصل بنا ما جرى من شناعات العوام ومن لا خير فيه، وإرجافهم ، وأنكرنا أن يجري مثله فيمن يحل محلك من خدمتنا، إذ أنت قاضينا وداعينا وثقتنا...وقد منعنا غيرك أن يسجل في شيء فيتقدم إلى جميع الشهود والعدول بألا يشهدوا في سجل لأحد سواك...وقد أذنا لك أن يكاتب جميع من يكاتب القاضي بقاضي القضاة كما جعلناك**"[٣٨] مما تقدم نستنتج ان الخليفة الحاكم كان قد انصف قاضيه رغم ما كان يوصله الوشاة من سوء علاقته مع ابن عمه وامر بمناداته بقاضي القضاة و ارجع النظر اليه في جميع الاحكام فعلت منزلته عند الخليفة فكان اول قاضي كتب بسجلاته قاضي القضاة.

وفي سنة (٣٩٤ه/ ١٠٠٣م) صدرت اوامر الخليفة الحاكم بصرف الحسين بن النعمان عن منصب القضاء وتعين ابن عمه عبد العزيز بدلاً منه فلزم بيته واشتد خوفه على نفسه ، الى ان امر الخليفة بقتله فضربت عنقه واحرقت جثته فكان بذلك اول قاضي يحدث له مثل هذا [٣٩]

وتذكر الرويات ان سبب قتل القاضي الحسين بن النعمان حادثتان اوصلها الوشاة الى الخليفة الحاكم فحقد على قاضيه و هاتان الحادثتان هما:

١. الحادثة الاولى: حين تقدم إليه شخص في خصومة، فزل لسانه بشيء خاطب به القاضي فغضب منه وأرسله إلي وإلي الشرطة، فضربه ألف و ثمانمائة ضربة بالدِرَّة بحضرة صاحب القاضي ثم طيف به فمات من يومه وأخرجت جنازته فحضرها اكثر الناس ، وكرموا قبره، و دعوا له و على من ظلمه. فندم القاضي على ما فعل، وفاته الندم اذ ان الوشاة اوصلوا هذه الحادثة الى الخليفة فعاقبه بها(٤٠)
٢. الحادثة الثانية: حين نصب الخليفة الحاكم الحسين بن النعمان على القضاء فاكرمه واشترط عليه الا يأخذ درهم من اموال الناس بالباطل الا ان شخصاً رفع رقعة للحاكم متظلماً يخبره فيها ان والده قد ترك له اموالاً في ديوان القاضي الحسين فأنفق عليه منها وحين عاده يريد المزيد من المال اخبره بأن امواله قد نفذت ولا حق له، عنده فأحضر الخليفة الحاكم القاضي الحسين بن النعمان واخبره بأمر الرقعة الا ان الحسين اخبر الخليفة بما ذكُر من استيفاء حقه فأمر الخليفة بإحضار ديوان القاضي في الحال وفتش فيه عن مال الرجل، فظهر أنه وصله بالقليل منه وان اكثره باقٍ، فحقد الحاكم عليه لذلك، وأمر به فحبس، ثم أخرج بعد ذلك وضربت عنقه (٤١)

وفي سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م) امر الخليفة الحاكم بقتل ومصادرة القاضي العزيز بن محمد بن النعمان وكان سبب ذلك - كما سبق وأن ذكرنا- تكرر السعاية به عند الخليفة مرتين الاولى عندما وشي به بأنه كان السبب وراء وفاة الطبيب اسحاق بن ابراهيم بن نسطاس، والثانية عندما نم عليه بأنه هرب مع صهره الحسين بن جوهر وتحالفا مع ابن ركوة (٤٢)

أما القاضي مالك بن سعيد الفارقي(٤٣) فكان هو الاخر عرضة للسعاة والوشاة ، فقد كلفه الخليفة الحاكم بالقضاء بعد ان عزل عبد العزيز بن النعمان عنه وكان ذلك في سنة (٣٩٩ه/١٠٠٨م) وقد ظل مالك يتمتع بمنصبه هذا حتى سنة (٤٠٥ه/١٠١٤م) اذ امر الخليفة بقتله على يد متولي الستر فقتله في القصر ثم امر بدفنه فدفن وبذلك انتهت ولاية مالك للقضاء بعد ست سنوات وتسعة أشهر(٤٤). وكان سبب السعاية به هو ارتفاع شأنه ومنزلته عند الخليفة وزيادة مهامه في الدولة فلم يكتف الخليفة بأعطائه منصب قاضي القضاة بل أضاف له مهام المظالم والدعوة الإسماعيلية والأحباس(٤٥) ودار الضرب وغيرها من المناصب المهمة (٤٦). كما

ان الخليفة كان يذهب الى داره ويأكل من مائدته ، و انعم عليه بدارٍ واسعة وأخذ يصعد مع الخليفة على المنبر في الاعياد[٤٧]. إما سبب قتله فيرجع كما ذكر ابن حجر الى وشاية القاضي ابن ابي العوام[٤٨] به عن طريق احد اتباعه فيقول: " **ولم يزل أمر مالك يعلوا إلى أن تسلَّط عليه فقير عُوَيْر، كان يصحب ابن أبي العوَّام، فدسَ إلى الحاكم أن القاضي يركب إلى قصر أخت الحاكم ويخلو بها و كان بلغ الحاكم عنها شيء من هذا لكنه مع غير القاضي، فحقِد على القاضي وظنّ صِحَّة ما قيل...فجاء يوم فقال له الحاكم: من أين جئت؟ قال: من داري. قال: لا بل من قصر إمامتك. فقال: لا أعرف إماما غيرك**"[٤٩]

وفيما يخص دوافع ابن العوام للقيام بذلك فيبدو ان الحسد والغيرة من القاضي مالك ومن علو منصبه في الدولة كان وراء سعيه للتخلص منه كما ان ابن حجر يذكر امتناع القاضي مالك في ان يعين ابن العوام نائباً له[٥٠]، فربما يكون ابن ابي العوام قد اسرها في نفسه وبدأ يعمل من اجل الاطاحة به الى ان نجح في سعايته . وتولى بعدها منصب قاضي القضاة بدلاً منه واستمر يتولى هذا المنصب الى ان توفي في خلافة الظاهر سنة (٤١٨ه/١٠٢٧م).

ويجدر بنا ان ننوه الى ان القاضي مالك كان قد استخلف على القضاء في فترة ولايته حمزة بن علي بن يعقوب الغلبوني ، وذلك لكثرة ملازمته للخليفة الحاكم وكثرة اشتغاله عنده ، الا ان الوشاة عملوا على الايقاع به حتى عزل عن منصبه ونفي وقتل وذلك في سنة (٣٩٩ه/١٠٠٨م) اذ رفعوا الى القاضي مالك اموراً أنكرها عليه و بالغوا في الوشاية به حتى منعه من حضور مجلسه الا انه حضر الى المجلس بعد مدة، فلم يكتفوا بذلك بل عمدوا الى كتابة محضر ذكروا فيه حمزة بسوء فوافق القاضي مالك على ابعاده عن المنصب ولم يزجر من سعى به[٥١] ويذكر ابن حجر نص المحضر اذا جاء فيه :"**هذا ما شهد به من يُسَمَّي في هذا الكتاب، أنهم يعرفون حمزة بن علي بن يعقوب الغَلَبُوني الوراق... ويشهدون أنهم انكشف لهم من حاله، من قلة الأمانة، وظهور الخيانة، ورقة الدين، واغتصاب مال المسلمين، ...إلى غير ذلك من القبائح. وصح عندهم أن في بعده عن باب الحكم طهارة له، وصلاحاً للمسلمين...هذا مع مخالفته لمذهب الإمام، وتظاهره بخلافه، أن قاضي القضاة كان إذا بلغه شيء من ذلك يزجره ويحذره فيظهر الرجوع ثم يعود، حتى صار... يسعى في الأمور العظيمة...فثبت أنه غير موضع للقضاء**"[٥٢].

ويبدو ان سبب ذلك هو تحول حمزة من منصب الوراق الى منصب القاضي، كذلك فأن قاضي القضاة فوض اليه أمور عدة، فأثار ذلك حقد وحسد من كان حوله فإستغلوا القاضي مالك وعملوا على تشويه سمعته والايقاع به عنده [٥٣]

أما في خلافة المستنصر فقد تعرض القاضي ابو محمد القاسم بن عبد العزيز بن النعمان الى سعاية ووشاية ادت الى عزله عن منصبه وذلك في سنة (٤٤١ه/١٠٤٩م) وكان وراء هذه السعاية والوشاية وزير الخليفة الحسين بن محمد الجرجرائي الذي كره اليازوري الذي كان يعمل في خدمة ام المستنصر ثم ترقى في مناصب الدولة حتى اصبح الخليفة لا يخاطب وزيره بشيء الا بعد ان يستشير اليازوري [٥٤] فحاول التحايل من اجل ابعاده عن الخليفة فسعى له بالقضاء "**فبدأ فأفسد حال قاسم بن عبد العزيز عند الخليفة وشنع عليه وعاب أحكامه، وأطنب في وصف اليازوري بالعقل، والمعرفة التامة بالأحكام، وحسن السياسة، والصبر على ذلك**"[٥٥] ولم يكتف الوزير بذلك بل انه ما ان علم بتوعك القاضي ابو محمد وانقطاعه في داره اياماً عن مجلس الخليفة حتى اعاد التنكيل به وبسوء ولايته للقضاء فقال للخليفة: " **أنت يا أمير المؤمنين لسان الشرع... وقاضي القضاة إنما ينطق بلسانك...فإذا اشتهر في الأقطار ما يتم على الناس في أحكامهم كان سوء السمعة في ذلك على الدولة... وقد كبر قاضي القضاة واستولى عليه غلمانه وغلبوا على أمره. فقال المستنصر: نحن نحفظ فيه خدمة سلفه لنا ... فقال: يا أمير المؤمنين، حفظك الله وشكرك، أما كان من كرامة سلفه أن يستتر حتى لا يشيع هذا عنه؟ وما زال حتى قال الخليفة: من في الدولة يجري مجراه؟ فقال: يا أمير المؤمنين... القاضي ابو محمد(اليازوري)**"[٥٦] واستمر اليازوري في القضاء والوزارة حتى سنة (٤٥٠ه/١٠٥٨م).

وبعد عزل اليازوري والى حين استقدام امير الجيوش بدر الجمالي سنة (٤٦٦ه/١٠٧٣م) كثر تولية القضاة وعزلهم ويذكر المقريزي سبب ذلك قائلاً: " **لكثرة مخالطة الرعاع للخليفة، وتقدم الأراذل بحيث كان يصل إليه في كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات و السعايات، فاشتبهت عليه الأمور وتناقضت الأحوال، ووقع الاختلاف**"[٥٧]

وفي خلافة الحافظ وتحديداً في سنة (٥٣١ه/١١٣٦م) تم عزل القاضي ابو عبد الله محمد بن ميسر عن القضاء وابعد الى تنيس وقتل فيها بعد ان تمت الوشاية به الى الخليفة إذ كان القاضي قد أسقط شاهداً يعرف بابن الزعفراني، فسعى الزعفراني به بأن رفع للخليفة

الحافظ أن القاضي ابن ميسر لما سيطر أبو علي بن الأفضل على الحكم و واعتقله ، احضر الشعراء لمدحه وكان من بينهم علي بن عباد الإسكندراني الذي انشده قصيدة مطلعها:

تبسم الدهر لكن بعد تعبيس

إلى أن قال:

هذا سُليمانكم قد رد خاتمه واستنزع الملك من صخر بن إبليس

فلما أنشد هذا البيت قام القاضي ابن ميسر فألقى على الشاعر عمامته طرباً فحقد الخليفة عليه وأمر بعزلة وقتله هو والشاعر [٥٨].

أما في خلافة العاضد فكان القاضي المعروف بأبن العوريس الذي تولى القضاء في سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م) قد تعرض للسعاية والوشاية والمضايقات المستمرة من قبل القاضي المعروف بأبن الجليس وذلك بعد ان شعر الاخير بأن مكانة القاضي ابن العوريس بدأت تزداد في الدولة وأضاف الخليفة الى مناصبه منصب داعي الدعاة ، وكان معظم عند الخليفة حتى انه كان يقوم عن كرسي الملك لاستقباله[٥٩]"**فسعى عليه القاضي الجليس، حتى صرف عن قرب، ولزم بيته مدة، و كلما سعى في شيء من المناصب قصده القاضي الجليس، وكانت بينهما عداوة شديدة**"[٦٠]

كذلك فأن قاضي الاسكندرية رشيد الدين الذي تولى القضاء في سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م) كان قد تعرض للوشاية وذلك اثناء سفره الى اليمن رسولاً ، اذ مدح جماعة من ملوكها ومنهم علي بن حاتم الهمداني فقال فيه :

لئن أجدبت أرض الصعيد وأقحطوا فلست أنال القحط في أرض قحطان
ومذ كفلت لي مأرب بمآربي فلست على أسوان يوما بأسوان
وإن جهلت حقي زعانف[٦١] خندف[٦٢] فقد عرفت فضلي غطارف[٦٣] همدان

فحسده داعي عدن على ذلك ، فكتب هذه الابيات وارسلها إلى الوزير شاور فكانت سبب الغضب عليه، فأمسكه و ارسله الى مصر مقيدا و أخذ جميع امواله [٦٤] اما عن مقتله فكان بعد ان عرف شاور عنه انه كان يعمل ضده اثناء حصار الاسكندرية في سنة

(٥٦٢هـ/١١٦٦م) فهرب الى منطقة قرب برقة خوفاً من إنتقام الوزير الذي أصر على الإيقاع به، فألقي القبض عليه و أُعيد الى القاهرة، وبوصوله اليها تعرض للقتل[٦٥].

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة السريعة في طيات هذا البحث تبين لنا الاتي:

١. تعرض منصب القضاء في الدولة الفاطمية كحال باقي المناصب للسعاية والوشاية، وكان من ابرز الاسباب التي ادت الى تفشي هذه الظاهرة في منصب ديني مثل منصب القضاء هو ارتفاع شأن القاضي حتى صار في بعض الاحيان اهم من منصب الوزير، وصار المتولي للقضاء ذو مكانة عالية تلي مكانة الخليفة. بل وكان الخليفة في أحيان أخرى يستشير القاضي ويعمل بمشوراتهم، حتى صار هذا الأمر يضيق على اعدائهم ومنافسيهم او على متولي المناصب الاخرى، فعملوا من أجل الاطاحة بهم والتخلص من نفوذهم.
٢. أتضح مما تقدم أن السعاية والوشاية تركت بصمة وآثار وخيمة على منصب القضاء في العصر الفاطمي, والتي ادت بالتالي الى اجراء تغيرات جوهرية في كيان الدولة اثر تأثير مباشر على مراحلها المختلفة.
٣. كان اصحاب القرار في الدولة يتخذون مواقف مختلفة عند سماعهم وشاية واش، فمرة لا يتم الاستماع للساعي او الواشي مطلقاً ولا يتم الاخذ بكلامه ومرة اخرى نجد ان الخلفاء واصحاب القرار يصدقون كلام الساعي والواشي وينكلون بالشخص المعني.
٤. اختلفت مواقف الاشخاص الذين تمت السعاية او الوشاية بهم في هذا العصر فقد عمد بعضهم الى محاولة تبرير موقفه، بعد ان يصل الى مسامعه ما اوصله الوشاة من الكلام عنه، في حين كان البعض الاخر يحاول الهرب والإبتعاد حتى تثبت براءته، كذلك فقد استعان البعض الاخر برجال المناصب في طلب الرحمة والعفو.

الهوامش:

(١) مهدي، مصرية تعبان، حركات المعارضة ضد الحكم الفاطمي، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٦٤، ٢٠١٨، ص٤٨٥؛ حسن، جواد كاظم، الدولة الفاطمية نشأتها وتطورها وتوسعها، مجلة دراسات في التاريخ والأثار، عدد٨٢، ٢٠٢٢م، ص٧٠٦.

(٢) حسن، جواد كاظم، ادارة الولايات في الدولة الفاطمية (٣٥٨ ٩٦٧/ه٥٦٧ ١١٧١م)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد٧٧، ٢٠٢١، ص٥٠٠.

(٣) يشوب: من اشبته أي عبته ووقعت فيه، والتأشيبُ هو التحريش بين القوم للمزيد من التفاصيل ينظر: الازهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠ه/٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م ج١٥، ص ٣٣٨؛ رضا، احمد، معجم متن اللغة "موسوعة لغوية حديثة"، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م، ج١١، ص٢٩٦؛ الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم البصري(ت١٧٠هـ/٧٨٦م)، كتاب العين، تح: د.مهدي المخزومي و د.ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ت، د س ، ج٦، ص٢٩٣

(٤) أبن عذاري ،أبو عبد الله محمد المراكشي ،(ت٧١٢هـ/١٣١٢م)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولان، وا.ليفلي بروفنسال، ط٣ ،دار الثقافة، بيروت ،١٩٨٣، ج١، ص١٥٤ــ١٥٥

(٥) الحسن بن ابي خنزير: هو أول عامل للفاطميين على مدينة القيروان ولاه الخليفة المهدي على صقلية سنة (٢٩٧ه/ ٩٠٩م) الا انه لم يبقى فيها طويلاً اذ طرده أهلها سنة (٢٩٨ه/٩١٠م)، توفي بعد ان اخرجه الخليفة المهدي لصد هجوم صقلي على سواحل افريقيا وذلك سنة (٣٠٠ه/٩١٢م) وقيل (٣٠١ه/٩١٣م) . للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(٦٣٠ه/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ج٦، ص٦٢٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٥١، ص١٥٩، ص١٧١

(٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٥٥

(٧) م . ن ، ج١، ص ١٥٥

(٨) محمد بن عمر المروذي : وهو اول قضاة الدولة الفاطمية أفريقية، كانت ايام ولايته شديدة على علماء وفقهاء المالكية توفّي سنة (٣٠٣ه/٩١٥م) للمزيد من التفاصيل ينظر: المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص٥٥؛ مقديش، محمود، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ج١، ص٣٣١

(٩) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين، تقديم: بشار عواد، ط٣، موسسة الرسالة، بيروت ،١٩٨٥م ، ج١٤، ص٢١٧ .

(١٠) ابو عبد الله محمد بن الحارث (ت٣٦١ه/٩٧١م)، طبقات علماء افريقيا، تح: محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٤٤ .

(١١) تراجم المؤلفيين التونسيين، دار الغرب الاسلامي، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ج٢، ص٢٦٦ .

(١٢) سير اعلام، ج١٤، ص٢١٧

(١٣) اسحاق بن ابي المنهال : وهو من كبار فقهاء العراق الذين انضموا للدعوة الاسماعيلية ، شغل منصب القضاء للخليفة المهدي في مدينة صقلية ثم في القيروان وعزله مره ثم اعاده واستمر في منصب القضاء في خلافة القائم حتى توفي. للمزيد من التفاصيل ينظر: الخشني، طبقات الخشني، ص ٩٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ١٨٢، ص ١٨٨ ، ص ١٨٩، ص ٢٠٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٥٩٩

(١٤) ابو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، (٣٣٣ه/٩٤٤م)، المحن، تح: د. عمر سليمان، دار العلوم، الرياض، السعودي، ١٩٨٤م ص ٢٤٩؛ المالكي ، أبو بكر بن أبي عبد الله (ت٤٥٣ه/١٠٤٧م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و أفريقية ، تح: بشير البكوش، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤ م ، ج٢، ص١٥٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٨١؛ المغراوي، ابو سهل محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة، المكتبة الاسلامية، القاهرة، د ت، ج٤، ص٥٣٠ .

(١٥) الخشني، طبقات الخشني، ص٨٣؛ المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص١٦٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٨٧؛ الدباغ، عبد الرحمن بن محمد الانصاري(ت٦٩٦ه/١٢٩٦م)، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، مكتبة الخانجي، ط٢، مصر، ١٩٦٨م، ج٢، ص ٣٥٤

(١٦) الخشني، طبقات الخشني، ص٨٣؛ المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص١٦٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٨٧؛ الدباغ، معالم الايمان، ج٢، ص ٣٥٤

(١٧) الخشني، طبقات الخشني، ص٨٣؛ المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص١٧٠ــ ١٧١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٨٧ .

(١٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ١٨٨

(١٩) المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص٤٠٤ــ ٤٠٥؛ الدباغ، معالم الايمان، ج٣، ص٩٠ــ ٩١ .

(٢٠) المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص٢٥٨ وما بعدها.

(٢١) المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص٢٥٤؛ مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٣م، ج١، ص١٢٣ .

(٢٢) المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص ٣٦١ .

(٢٣) م . ن ، ج٢، ٤٢٧ وما بعدها

(٢٤) م . ن ، ج٢، ٤٢٧ وما بعدها

(٢٥) م . ن ، ج٢، ٤٢٧ وما بعدها

(٢٦) م . ن ، ج٢، ٤٢٧ وما بعدها

(٢٧) م . ن ، ج٢، ٤٢٧ وما بعدها

(٢٨) الحسن الأعصم: الزعيم القرمطي الحسن بن أحمد؛ سيطر على بلاد الشام في عام ٣٥٧ه/٩٦٧م وأُقيمت له الخطبة في مكة في العام التالي ؛هاجم دمشق في سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) وقتل فيها القائد الفاطمي جعفر بن فلاح، كذلك هاجم مصر مرتان الاولى في سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) والثانية في سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م)، وتحالف مع أفتكين ضد الفاطميين في سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م)، لكنه أنهزم على يد قوات العزيز بالله سنة

(٣٦٦ه/٩٧٦م)، وعقب هزيمته هذه أنسحب الى الأحساء حيث توفي هناك في ذلك العام. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي(ت٥٧١ه/١١٧٦م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح: محب الدين، دار الفكر، ١٩٩٥م، ج١٣، ص٦؛ المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي(ت٨٤٥ه/١٤٤١م)، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط٢، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٦م، ، ج٣، ص١٦٣-١٦٩.

([٢٩]) المالكي، رياض النفوس، ج٢، ٤٢٧ وما بعدها

([٣٠]) المقريزي، أتعاظ الحنفا، ج١، ص٢١٠

([٣١])ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري(٧٧٤ه/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، د ت ، ج١١، ص٣٢٢.

([٣٢]) م. ن ، ج١١، ص٣٢٢.

([٣٣]) القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤ه/١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: مجموعة من المحققين، مطبعة فضالة، المغرب، ج٥، ص٣٢٨؛ وللمزيد عن المحن التي واجهها المالكية ينظر: الخشني، طبقات الخشني، ص٨١ ــ ٨٦

([٣٤]) للمزيد من المعلومات عن قضية النسب ينظر: كباشي، غنية ياسر، مراسيم إحياء الخلافة الفاطمية ليوم عاشوراء، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد٥٤، ٢٠١٦، ص٦٢.

([٣٥]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٣؛ ابن حجر، احمد بن علي(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، رفع الاصر عن قضاة مصر، تح: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م ، ص١٤١.

([٣٦]) ابن حجر، رفع الاصر، ص١٤٠

([٣٧]) ابن حجر، رفع الاصر، ص١٤٢

([٣٨]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٤٩،٤٠

([٣٩]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٤٩، ابن حجر، رفع الاصر، ص١٤٢.

([٤٠]) ابن حجر، رفع الاصر، ص ١٤٢

([٤١]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٥٩: ابن حجر، رفع الاصر، ص ١٤٢ــ ١٤٣

(٤٢) ينظر ما ورد في الفصل الثاني المبحث الاول

(٤٣) مالك بن سعيد الفارقي: هو أبو الحسن مالك بن سعيد بن مالك الفارقي، قُرأ سجل توليته القضاء في القصر أولاً ثم في الجامع، وأناب عنه القاضي ابو القاسم حمزة بن علي الغلبوني في تولي قضاء القاهرة مدة قصيرة؛ فكان أول قاضي يقوم بذلك للمزيد من التفاصيل ينظر: أبن حجر، رفع الأصر، ص٣٢١.

(٤٤)الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف(ت٣٥٠هـ/٩٦١م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م ، ص٦٠٨؛ الانطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى(ت٤٥٨ه/١٠٦٦م) ، تاريخ الانطاكي، تح: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م ، ص٣١١-٣١٢؛ ابن سعيد المغربي ، ابو الحسن نور الدين علي الغرناطي ، (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٤م) ، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ، تح: حسين نصار، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٧٢م ، ص٦٤-٦٥؛ الدويداري، ابو بكر بن عبد الله بن أيبك(توفي بعد ٧٣٦ه/ ١٤٣٢م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: صلاح الدين المنجد، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦١م ، ج٦، ص٢٨٩؛ المقريزي، أتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٠٦؛ والخطط ، ج٢، ص٢٨٨؛ عنان ، محمد عبد الله ، الحاكم بأمر الله و أسرار الدولة الفاطمية ، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م ، ص١١٥-١١٦.

(٤٥) الأحباس: الأموال الموقوفة على جهات البر؛ وقد اهتم الفاطميون بها وعملوا على تنظيمها, فعملوا لها ديواناً أطلق عليه ديوان الاحباس؛ ويعد هذا الديوان أول تنظيم للأوقاف ليس في مصر فحسب بل في أرجاء الدولة الإسلامية كافة، كانت مهمة أدارته تسند الى القاضي للمزيد من التفاصيل ينظر: أيوب، التأريخ الفاطمي السياسي، ص١٨٠-١٨١؛ جبار، الخدمات العامة، ص١٩٦.

(٤٦) الكندي، الولاة والقضاة، ص٤٩٦؛ الدواداري ،كنز الدرر،ج٦ ،ص٢٨٣؛المقريزي،أتعاظ الحنفا،ج٢، ص٥٠، ص٧١ -٧٢،ص٨٢،ص٨٥ ؛ص١٠٦؛والخطط ،ج٤ ،ص٣٧؛ الحدراوي، الحاكم، ص٩٨-٩٩.

(٤٧) أبن حجر، رفع الأصر،ص٣١٧-٣١٨

([٤٨]) أبن ابي العوام: أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي العوّام ؛عهد إليه الحاكم بمهام القضاء عقب مقتل قاضيه مالك بن سعيد؛وأستمر بمنصبه حتى وفاة الحاكم ؛وبعد تسلم ولده الظاهر لأعزاز دين الله لمهام الخلافة في عام ٤١١ هـ/١٠٢٠م أقر أبن أبي العوّام في منصبه؛ولذلك بقى الأخير قاضياً حتى وفاته في العشرين من ربيع الأول لعام٤١٨ ه/١٠٢٧م للمزيد من التفاصيل ينظر :الكندي،الولاة والقضاة ،ص٤٩٦.

([٤٩]) رفع الأصر،ص٣٢١.

([٥٠]) م . ن ، ص٣١٧

([٥١]) أبن حجر، رفع الأصر، ص١٤٨

([٥٢]) م . ن ، ص١٤٨

([٥٣]) م . ن ، ص١٤٧

([٥٤]) أبن حجر، رفع الأصر، ص١٣١

([٥٥]) م . ن ، ص١٣١

([٥٦]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٠٥

([٥٧]) الخطط، ج٢، ص١٩٥

([٥٨]) ابن ميسر ، محمد بن علي بن يوسف بن جلب(٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، اخبار مصر، اعتنى بتصحيحه: هنري ماسيه، مطبعة العهد الفرنسية، القاهرة، ١٩١٩م ، ص١٢٨، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص١٦٣؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص٤٢٨

([٥٩]) ابن حجر، رفع الاصر، ص١٢٩ .

([٦٠]) م . ن ، ص١٢٩ .

([٦١]) زعانف: طائفة من قبيلة تشذ وتنفرد أي الجماعة التي اصلها ليس واحد وقيل ان السفلة من الناس يسمون زعانف. للمزيد من التفاصيل ينظر: الفراهيدي، العين، ج٢، ص٣٣٣؛ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١ه/٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص١١٥٤

([٦٢]) خندف: هي ام قبائل من العرب كنانة وتميم وهذيل وأخوتهم واسمها ليلى وإنما سميت بهذا لأن زوجها قال لها: علام تخندفين وقد أدركت الإبل فسميت خندف، وصارت هذه الكلمة

تطلق على سرعة المشي او الهرولة. للمزيد من التفاصيل ينظر: الفراهيدي، العين، ج٤، ص٣٣٥؛ ابن دريد، جمهرة العرب، ج١،ص٥٧٩.

(٦٣) غطارف: بمعنى السيد الشريف الكريم للمزيد من التفاصيل ينظر: الفراهيدي، العين ، ج٤، ص٤٦٥؛ الازهري، تهذيب اللغة، ج٨، ص١٩٨؛ رضا، احمد، معجم متن اللغة "موسوعة لغوية حديثة"، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م، ج٤، ص٣٠٤.

(٦٤) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم(٦٨١ه/١٢٨٢م) ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م ، ج١، ص١٦٣

(٦٥) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦ه/١٢٢٩م)، معجم الإدباء، تح: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ،ج١، ص٥٢٤؛ المقريزي، أتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٨.

الأعمال العمرانية للاسرة الجليلية في مدينة الموصل

-نماذج منتخبة-

م. رنا وعد الله مهدي

جامعة الموصل / كلية الاثار / آثار إسلامي

الأعمال العمرانية للاسرة الجليلية في مدينة الموصل -نماذج منتخبة-

م. رنا وعد الله مهدي

ملخص البحـــــث

تعد الأسرة الجليلية واحدة من أهم الأسر التي حكمت مدينة الموصل وإليها تعود أغلب الأبنية الاثارية الموجودة في المدينة وقد استطاعت هذه الأسرة كسب ثقة أهل الموصل من خلال السمعة الطيبة التي تمتع بها رجالات هذه الأسرة وقيامهم بالعديد من الأعمال العمرانية من بناء الأسوار والقلاع والحصون وبناء المساجد الجامعة وترميم القديم منها وكذلك تشييد الخانات والأسواق فضلا عن العديد من الأبنية الوقفية التي أوقفوها على أنفسهم وذريتهم.

وقد قسم البحث الى عدة فقرات: تناولت الفقرة الأولى النسيج العمراني للمدينة من حيث الأزقة الضيقة والبيوت المتلاصقة وتخطيط البيوت وأهم مكوناتها.

وجاءت الفقرة الثانية للحديث عن أسوار وقلاع وأبراج المدينة التي أُعِيْدَ بناؤها وترميم أجزائها في هذا العصر.

أما الفقرة الثالثة فتناولت أهم المساجد التي قام الولاة الجليليون ببنائها وأهم المدارس التي أُلْحِقَتْ بها.

والفقرة الأخيرة تكلمنا فيها عن أهم الخانات التي بنيت وأوقفت في هذه الفترة.

واعتمد البحث على عدد من المصادر والبحوث التي تخص الموضوع منها كتاب عبد السلام رؤوف (الموصل في العهد العثماني)، وكتاب عماد الدين خليل (خطوات في تراث الموصل) وغيرها من البحوث.

الكلمات المفتاحية :الجليليين ، الأسواق ،القيساريات ، الجوامع ،المدارس ، الخانات

The construction works of the Galileans in Mosul

(Selected Sample)

Abstract

The Galilee family is one of the most important families that ruled the city of Mosul, and to it belong most of the archaeological buildings in the city. This family was able to gain the confidence of the people of Mosul through the good reputation enjoyed by the men of this family and their many construction works such as building walls, castles, forts and building mosques The university and the restoration of the old ones, as well as the construction of inns and markets, as well as many endowment buildings that they built for themselves and their descendants.

The research was divided into several paragraphs: The first paragraph dealt with the urban fabric of the city in terms of narrow alleys and adjacent houses, the layout of the houses and its most important components.

The second paragraph came to talk about the walls, castles, and towers of the city, which were reconstructed and parts restored in this era.

The third paragraph dealt with the most important mosques built by the Galilean rulers and the most important schools that were attached to them.

and in the last paragraph, we talked about the most important khans that were built and stopped during this period.

The research relied on a number of sources and research related to the topic, including the book of Abd al-Salam Raouf (Mosul in the Ottoman Era), Imad al-Din Khalil's book (Steps in the Heritage of Mosul) and other research.

تاريخ الأسرة الجليلية:

ترجع تسمية الجليليين بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأعلى (عبد الجليل بن مالك) الذي ولد في حدود(١٦٢٠م/١٠٣٠ه) [١] وتذكر المصادر أنَّه كان نصرانياً ثم أسلم وانتقل هو وأولاده للعيش في مدينة الموصل ، كما عمل مقاتلاً لدى الحكام العثمانيين[٢].

وترجع أصول هذه الأسرة إلى عرب حصن كيفا في ديار بكر التركية[٣]. ونتيجة لقرب هذه المنطقة من الموصل فقد امتهنت الأسرة مهنة التجارة مع مدينة الموصل، واستطاع عبد الجليل من تنمية ثروته وتوسعتها من خلال التجارة النهرية التي كانت تقام على نهر دجلة حيث كان هذا النهر منفذاً هاماً للتجارة بين الموصل وديار بكر[٤] وكان لعبد الجليل سمعة طيبة لدى أهل الموصل ، ومِمَّا زاد من نفوذه في الموصل حصوله على حق التصرف بالأراضي الزراعية الكبيرة بموجب النظام الإقطاعي الذي كانت تعمل به الدولة العثمانية آنذاك[٥] ، وكان لعبد الجليل سبعة أبناء كانت لهم أعمال خيرية كثيرة في الموصل ، كما استطاع أحد أبنائه وهو (اسماعيل باشا) أن ينال ثقة الحكومة العثمانية[٦] حيث استغل الصراع الدائر بين العثمانيين والإيرانيين وتعهد بتزويد الجيوش العثمانية باحتياجاتها في أثناء عبروها من جنوب شرق الأناضول إلى داخل العراق، فحصل على منصب والي مدينة الموصل وكان هذا بداية لتأسيس حكمٍ مستقلٍ فيها سنة (١٧٢٢م)[٧].

وفي هذا الوقت كان الجيش العثماني ينسحب داخل العراق من غرب إيران بعد هزيمة على ايدي القبائل الأفغانية التي حلت محل الصفويين وبعد فترة حكم اسماعيل باشا الجليلي حكم الموصل خمسة أجيال متعاقبة الى سنة (١٨٣٤م)[٨]، أهمهم هو الحاج حسين باشا الجليلي الذي حكم ما بين (١٧٣٠-١٧٥٧م) وكان له دور بارز في صد هجمات نادر شاه على الموصل واستطاع إبعاد امتداد الخطر الفارسي نحو بلاد الشام والأناضول[٩]، مما ساعد في تقوية مركز هذه الأسرة لدى الدولة العثمانية فضلا عن نيل ثقة أهل الموصل لهم من جهة أخرى[١٠].

وبعد وفاة حسين باشا الجليلي واجهت الأسرة الجليلية العديد من الانقسامات بين أفراد أسرتها، ومع ذلك بقيت سمعتها الطيبة لدى الدولة العثمانية وذلك لاستمرارها في دفع الالتزامات المالية للباب العالي، كما وحاول بعض الولاة المماليك في بغداد التدخل في شؤون الموصل وفرض سيطرتهم عليها وإبعاد الجليليين عن الحكم إلا أنهم فشلوا في ذلك(١١) حيث تعاون الجليليون مع حكام السليمانية ضد محاولات ولاة بغداد في تدخلها في شؤون الموصل حتى عام ١٨٢٦م حيث أصبح لمماليك بغداد نفوذ قوي في الموصل نتيجة للثورة الشعبية التي قامت ضد الجليليين نتيجة للضيق الاقتصادي الذي عانت منة المدينة واستمر الصراع على الحكم بين الجليليين والمماليك في بغداد حتى عام ١٨٣٤م بعزل يحيى باشا الجليلي آخر الولاة لهذا الأسرة(١٢) .

النسيج العمراني:

امتازت مدينة الموصل في العصر الجليلي بانتعاش حضاري في كافة مجالاته ولاسيما من الناحية العمرانية من عمائر دفاعية وسكنية ودينية وتجارية.

ونتيجة للموقع الجغرافي الذي تمتاز به مدينة الموصل من مناخ حار جاف صيفاً وبارد ممطر شتاءً أثَّر ذلك على النسيج الحضري العمراني للمدينة وكذلك موقعها على الضفة اليمنى من من نهر دجلة حيث ساعد في تحصين المدينة من هذا الجانب فضلا عم أنَّه سَهَّل حركة النقل والمواصلات مع الأقاليم المجاورة(١٣) ، وامتاز تخطيط المدينة في هذا العصر بوجود المسجد الجامع الذي يعد نواة المدينة وبالقرب منه دار الإمارة التي شيدها هذا العصر مقراً جديداً للوالي بالقرب من سور القلعة وفتح باباً جديداً مقابل هذا المقر أما القلعة فقد بقيت مقراً للجيش المرابط في المدينة (١٤). وكان ذلك في عهد الوالي حسين باشا الجليلي نتيجة لتعرض الموصل للغزو الصفوي وكانت عمران المدينة يتركز في أقسامها الجنوبية والغربية ثم بعد انتهاء الغزو انتقل السكان للعيش في الأجزاء الشمالية والشرقية فأصبح هناك توازن سكاني بين أحياء المدينة نتيجة لاستقرار الأوضاع في المدينة (١٥). وبنيت حول المسجد ومقر الوالي الأزقة والأحياء السكنية والأسواق والقيساريات حيث امتازت تلك الأزقة بضيقها وتعرجها مِمَّا ساعد في تقليل شدة الرياح واتجاهها والأتربة المحملة بها ، فضلاً عن تقليل من حدة أشعة الشمس المنعكسة على

الأبنية[١٦] فضلا عن حرص الموصلي على البناء في المحلة التي فيها أهله وأقاربه وقلَّما يبعد عنهم فقام بالبناء فوق الأزقة بعمل سقوف مرمرية معقودة عرفت بالقناطر ويبنون فوقها غرفاً ومرافق فيوسعون من بيوتهم وكان لهذه القناطر أهمية من الناحية الاجتماعي والبيئية [١٧] .

كما واستخدمت الشناشيل التي كانت عبارة عن تراكيب خشبية مزخرفة تطل على الأزقة بعرض (١-٢م) ساعدت على إطلالة أهل الدار إلى الخارج دون أن يراهم أحد من المارة ، وأُسندت من الخارج بأكياش مرمرية[١٨] متعددة التعرجات مما أعطت إطلالة جميلة للبيوت على الأزقة ، كما امتازت مداخل البيوت بطابع مميز من الناحية المعمارية والزخرفة من حيث استخدامها للأُطُر المرمرية التي تحيط بالمداخل وغالبا ما كانت معقودة بِعَقِد مُدَبَّب أو نصف دائري تليه عَتَبَة عليا من المرمر ذات زخارف نباتية وهندسية جميلة والبعض منها يحمل طابع هذا العصر[١٩] .

أما بالنسبة لتصميم البيوت فهي تختلف بحسب مساحتها إلا أنها تشترك من حيث التصميم المتألف من فناء مكشوف والأروقة التي تتقدم الغرف وتحيط بالفناء والإيوان الذي يكون في صدر البيت وبقية أجزاء البيت التي توزعت على جوانب الفناء[٢٠] كما بني تحت الأجنحة الأرضية للبيوت السرداب التي تنوعت بحسب وظيفتها منها تستخدم للقيلولة في الصيف عرفت بالرهرة التي امتازت بقلة عمقها ، وقد تؤدي الرهره في بعض الأحيان إلى السرداب الذي يكون أعمق من الرهرة ينزل إليه بعدة درجات يستخدم لحفظ المؤن فيه، وهناك سراديب مخصصة كمرابط للحيوانات كانت معزولة عن البيوت يقع مدخلها بالقرب من الأزقة[٢١] ومن أهم المحلات في هذا العصر محلة الشيخ فتحي ومحلة باب سنجار ومحلة الإمام الباهر وغيرها. أما الأسواق والقيساريات فقد تنوعت واختلفت بحسب المهن التي كانت تزاول بها وبالنسبة لتخطيطها فقد تكون من ممر طويل مقبأ فتحت في أقبيته فتحات للإنارة والتهوية تقع الدكاكين على جانبية وقد تفتح في إحدى جوانب هذه الممرات ممرات جانبية أخرى يطلق عليها القيساريات ومن أهم أسواق وقيساريات هذا العصر سوق الحدادين سوق الصوافة وسوق العطارين سوق الفحامين سوق اللحم وسوق هرج وغيرها ومن القيساريات قيسرية العطارين وقيسرية البزازين

والخياطين (سباهي بزار) وقيسرية باب السراي وقيسرية السبع أبواب وقيسرية مدرسة حسن باشا[٢٢] الخارطة (١) .

أسوار المدينة وأبوابها وقلاعها:

كانت مدينة الموصل في العصر العثماني محاطة بسور من جميع جهاتها بناه الأتابكة مصنوع من الحجارة المهدمة والجص طوله (١٠كم) وارتفاعه (١٠م) ولهذا السور تسعة أبواب[٢٣]، وهي: الباب العمادي نسبتاً إلى عماد الدين زنكي وباب الجصاصين وباب الميدان وباب كندة وباب لكش وباب القصابين وباب الجسر وباب المشرع وباب السر (الخفي) الذي يستخدم لأغراض عسكرية[٢٤] ، وأحيط هذا السور بخندق بلغ عمقه (٧م) يأخذ ماءه من نهر دجلة وكذلك دعم السور بقلعتين: الأولى بناها الأتابكة تعرف بـــ(باش طابيا)، والثانية بناها العثمانيون تعرف بالقلعة الداخلية (إيج قلعة)[٢٥]، وقد تعرض هذا السور والقلاع للإهمال والخراب، وفي العصر الجليلي عُمِرَ سور المدينة وجددت قلاعه خصوصا في عهد حسين باشا الجليلي حيث خرب السور والقلاع إثر حصار نادر شاه للمدينة مما اضطر حسين باشا بتعمير السور وزيادة دفاعاته العسكرية وأحاطه بخندق من جميع جهاته وزادة عدد أبوابه [٢٦] حيث فتح باب العمادي وفتح الجصاصين ثلمة في السور عند باب الجصاصين ثم أُغلقت فيما بعد، نتيجة لانتشار الوباء ، وتذكر المصادر أنَّ حسين باشا الجليلي جمع علماء الموصل وسادتها وشرح لهم ماحل بالسور والخندق من خراب وطلب منهم المساعدة في تحصين مدينتهم فأسهم أهل المدينة جميعا في تحصين المدينة وترميم سورها وحفر الخندق المحاط بالمدينة وحولو مجرى نهر دجلة إلى هذا الخندق كما ورفعوا التلال التي تشرف على السور وجعلوها بمستوى الأرض لمنع العدو من الاستفادة منها وكذلك نقلوا المدافع والأسلحة إلى الأبراج التي في السور[٢٧] وبعد انتهاء حصار نادر شاه بالفشل رمم هذا الوالي السور مرة ثانية وأحكم بناءه وفتح به بابا عُرِفَ بباب الطوب كان يؤدي إلى الجهة الجنوبية للمدينة بالقرب من سوق القصابين ويرجح أن هذا الباب هو باب القصابين نفسه ودُوِّنَ ذلك على نص كتابي نصه: (أمر بعمارة هذا السور السلطان الغازي مصطفى خان وذلك بمباشرة الوزير المكرم حسين باشا الجليلي) [٢٨]، إلا أنَّه لم يكمل الترميم لقلة الأموال حتى جاء عهد

الوالي سليمان باشا الجليلي الذي أكمل بناء السور بمقدار (٣٠٠) ذراع وأضاف إليه برجا واحدا وبابا بالقرب من القلعة القديمة (ايج قلعة) عُرِفَ (بباب السراي) نسباً إلى السراي الذي شُيِّدَ مقابل هذا الباب وكذلك بباب الجسر الذي يؤدي إلى الجسر القديم الذي يربط المدينة بنهر دجلة ، كما قام الوالي محمد باشا الجليلي بتوسيع هذا السور وتجديد عمرانه والاهتمام بأبراجه وقلاعه[٢٩] وفي عام (١٢٣٧ه -١٨٢١م) عني أحمد باشا الجليلي بالسور وقام بإصلاحه هو والقلعة وجَدَّدَ عدداً من أبوابه منها باب سنجار وعُرِفَ بهذا الاسم لأنَّ الطريق منه يؤدي إلى قضاء سنجار وعُرِفَ كذلك بباب القلعة سابقاً نسبتاً إلى القلعة القديمة [٣٠] وباب البيض نسبتاً إلى سوق صغير بالقرب منه كان يباع فيه البيض ومنتجات الألبان التي تجلب من القرى[٣١] كما عُرِفَ سابقاً بباب كندة يقع جنوب غرب المدينة وكذلك باب الجديد الذي يسمى أيضاً باب العراق . الخارطة (٢)

الجوامع والمدارس الملحقة بها:

من المعروف أن معظم المباني في الموصل تعود للعصر الجليلي خصوصاً الدينية منها سواء أبنيت من قبلهم أم قاموا بتعمير أجزاء منها وسنتناول في بحثنا نماذج من هذه الجوامع لكثرة عددها:

١- **جامع الأغوات:** وهو أول جامع بناه الجليليون وذلك قبل أن يتولوا حكم المدينة بشكل مباشر كان سنة (١١١٤ه-١٧٠٣م) وبناه كل من (اسماعيل آغا الجليلي وابراهيم آغا الجيلي وخليل آغا الجليلي أبناء عبد الجليل)[٣٢]، ويقع الجامع في سوق الموصل في منطقة باب الجسر القديم يتألف الجامع من المصلى وأروقة، بالقرب منه مدرسة دينية ومنارة تقع غربي المُصلَّى ويقع الحوش الرئيسي خلف المدرسة وفيه محل الوضوء[٣٣]، المخطط (١) وللأسف أجزاء كبيرة من هذا الجامع تعرضت للدمار بسبب الأحداث التي مرت بها مدينة الموصل ، الصورة (١) وقد تَمَّ تعميره فيما بعد.

٢- **جامع الباشا:** أمر حسين باشا الجليلي ببناء جامع في وسط الأسواق القديمة في محلة باب السراي وتم بناؤه بعد وفاته من قبل ابنه محمد أمين باشا في المكان المحدد وكان ذلك سنة (١١٦٩ه-١٧٥٩م)[٣٤]، ويتألف الجامع من مُصَلَّى أمامه أروقة ومن الجهة

الغربية أمامها فناء واسع وفيما بعد أُلْحِقَت بالفناء مدرسة لتدريس العلوم الدينية عُرِفَتْ باسم المدرسة (الامينية) وأوقف بها غرف لسكن الطلبة، وكذلك تم إضافة ميضأة في فناء الجامع[٣٥]. أما المئذنة فقد كانت ذات بناء فريد حيث بنيت من مادة الحلان على عكس ما كان متبعا في بناء المآذن من الطابوق[٣٦] المخطط (٢) ، وحال هذا الجامع كبقية جوامع الموصل تعرض إلى دمار كبير بسبب الأحداث التي مرت بمدينة الموصل الصورة (٢) وتم تعميرة فيما بعد .

٣- **مسجد قاسم اغا الجليلي :** يقع في محلة باب جديد عمرة الحاج سليمان اغا بن عبد الجليل زاده سنة (١٢٢٢ه /١٨٠٧م) وقد سمي بذلك نسبتاً إلى قاسم اغا بن عثمان اغا بن عبيد اغا الجليلي الذي كان يقوم بخدمته والإشراف عليه[٣٧].

٤- **جامع الرابعية:** لم تقتصر الأعمال العمرانية التي قام بها الجليليون على رجالات الدولة بل كان لنسائهم أعمال عمرانية كذلك مثل رابعة خاتون بنت اسماعيل باشا الجليلي التي بنت جامع الرابعية سنة (١١٨٠ه-١٧٦٧م)[٣٨]، ويقع هذا الجامع في المحلة المسماة باسمه محلة الرابعية الواقعة في الجهة الجنوبية من المدينة القديمة ويتألف الجامع من مُصَلَّى يطل على الفناء الخارجي وفيما بعد بني الحاج عثمان بك الحيائي بن اسماعيل باشا الجليلي مدرسة لتدريس العلوم الدينية، كما وأنشأت رابعة خاتون مدفنا لها يقع غربي المصلى ودُفِنَتْ به عند وفاتها[٣٩] وكذلك مسجد الصابرين الذي يقع بين محلتي الإمام عون الدين والرابعية التي بنته صابرة خاتون الجليلي إلا أنَّه هُدِّمَ وتم إعادة بنائه وتوسعته في العصر العثماني[٤٠] ومسجد العراكدة الذي بنته الحاجة فتحية خاتون وعائشة خاتون من نساء البيت الجليلي في عام (١١٩٤ه) وعرف بالعراكدة نسبة الى السيد(عركد) الذي كان خادماً للمسجد حتى وفاته ثم خلفة من بعدة أولادة [٤١].

وفضلا عن هذه الجوامع التي بناها الجليليون فقد قاموا بتوسعة وتجديد العديد من جوامع الموصل منها جامع النوري الكبير حيث قام حسين باشا الجليلي بتجديد عمارته وإضافة عقود وأساطين ومِنْبَرٍ جديد لمُصَلَّاه[٤٢] وجامع الزيواني الذي قام بهدمه وتوسعته محمد أمين باشا الجليلي وكذلك جامع النبي جرجيس الذي هدم أجزاء منه وأعاد بناءها حسين باشا الجليلي وجامع النبي شيت الذي قام بهدمه وتوسعته أحمد باشا بن سليمان باشا

الجليلي وأضاف إليه أرضا واسعة مجاورة له ، وجامع النعمانية الذي أعاد بناءه محمد أمين باشا الجليلي سنة ١٢١٣ه وغيرها الكثير من الجوامع[٤٣]الخارطة (٢) .

أما أهم المدارس التي بنيت في العصر الجليلي وكانت ملحقة بالمساجد هي :المدرسة الخليلية التي بناها خليل اغا بن عبد الجليل تقع في جامع الاغوات وتتألف من ثلاث غرف في فناء الجامع والحق بها خزانة للمخطوطات والكتب وقد أوقف لها أوقافاً كثيرة[٤٤] . ومدرسة جامع الباشا التي أنشأها محمد أمين باشا بن حسين باشا الجليلي سنة(١١٦٩ه/١٧٥٥م) في جامع الباشا كما عرفت بالمدرسة الامينية وقد أوقفت لها العديد من الأوقاف وضُمِّنَ مكتبة للكتب والمخطوطات وفيما بعد أُلْحِقَ فيها سبيل لشرب الماء وقد جددت المدرسة عدة مرات في فترات لاحقة[٤٥] .ومدرسة جامع الزيواني التي عُرِفَتْ بالمدرسة المحمدية أنشأها هي والجامع سليمان باشا بن محمد أمين باشا الجليلي عام (١١٩٥ه/١٧٧٩م) أُنشئت في وسط فناء الجامع وأُلحقت فيها مكتبة حَوَتْ على العديد من الكتب والمخطوطات [٤٦].وغيرها العديد من المدار كمدرسة جامع النبي شيت التي أنشأها والي الموصل أحمد باشا الجليلي بجامع النبي شيت ومدرسة عثمان بك الحيائي في جامع الرابعية ومدرسة جامع النوري التي جددها والي الموصل حسين باشا الجليلي ،كما قامت نساء البيت الجليلي بإنشاء مدارس ملحقة بالجوامع منها مدرسة الرابعية التي أنشأتها رابعة خاتون بنت اسماعيل باشا الجليلي في فناء جامعها المعروف باسمها ومدرسة الحجيات في جامع الحجيات في وسط فناء الجامع والذي أوقفوا لها سبيل خانة ومكتبة للكتب ومدرسة جامع الخاتون في فناء الجامع وغيرها العديد من المدارس[٤٧].

وفضلا عن المساجد والمدارس قام الجليليون بتجديد عمارة كنائس الموصل منها تجديد عمارة كنيسة الطاهرة التحتانية (الدير الأعلى) التي جددت في عهد الوالي حسين باشا الجليلي وكذلك كنيسة الطاهرة الفوقانية حيث جددت على يد الوالي حسين باشا الجليلي إثر التخريب الذي أصابها في أثناء حصار نادر شاه للمدينة كذلك كنيسة الطاهرة القديمة[٤٨] .

الخانات:

الخان: هو المكان المخصص للتجار وأصحاب البيع والشراء لمزاولة أعمالهم وكذلك هو مكان لنزول المسافرين والقوافل التجارية والحجاج[٤٩]. وعادة ما يتكون الخان من طابقين، الطابق الأول توضع به البهائم والبضائع والطابق العلوي يحوي على عدد من الغرف ينام بها المسافرون وقد يلحق به جامع وحمام ومخازن لخزن البضائع والأعلاف[٥٠].

ومن أهم الخانات التي أُنشئت في العهد الجليلي:

١- **خان قاسم آغا:** أنشأ هذا الخان قاسم آغا بن عبيد آغا الجليلي في سنة (١١٦٤هـ/١٧٥٠م) ويقع هذا الخان وسط أسواق الموصل القديمة قرب سوق الفحامين يتألف من طابقين يضم ما يقارب من (٢٧) غرفة موزعة على الطابقين وهو متخصص في بيع وشراء وتصدير الأغنام والأبقار فضلا عن الأقمشة والحبوب[٥١].

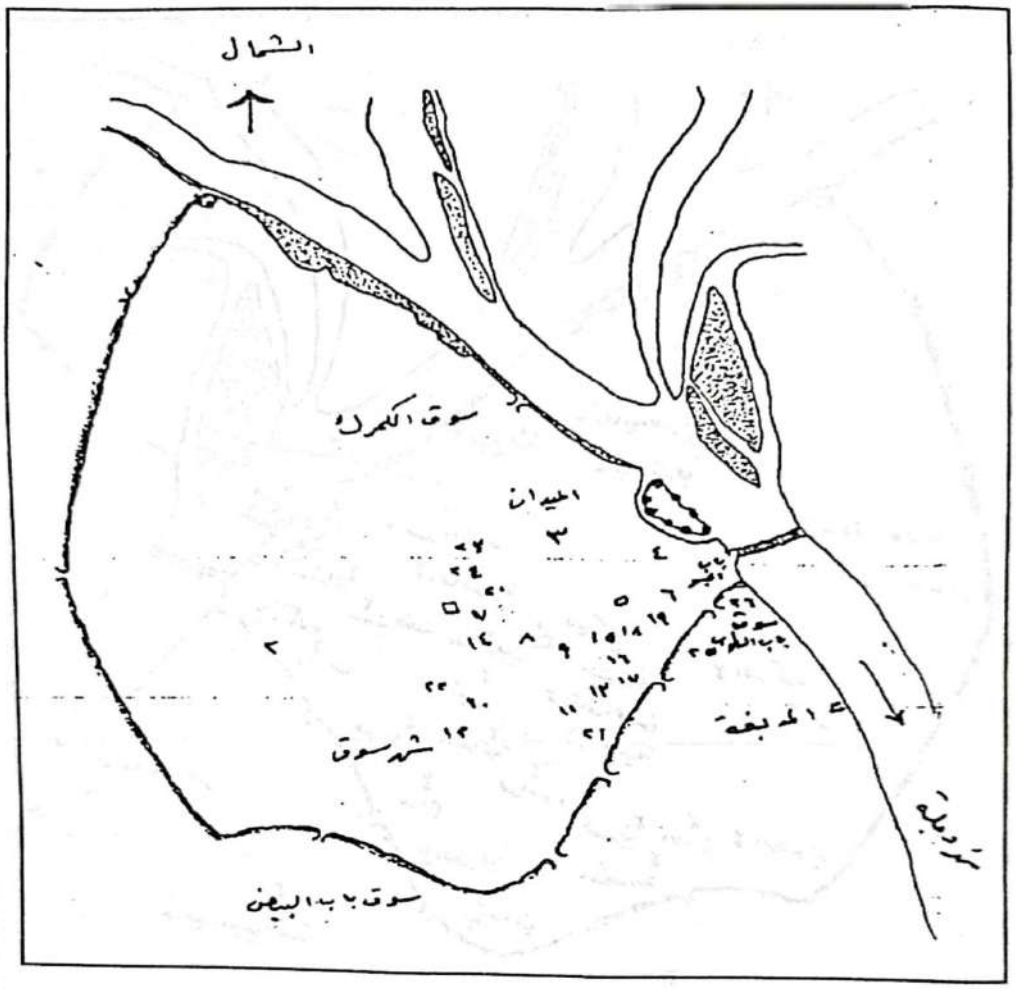
٢- **خان الكمرك:** أُنشِئ هذا الخان من قبل الأخوة اسماعيل آغا وخليل آغا وابراهيم آغا أبناء عبد الجليل وأوقفوه على جامع الأغوات الذي شُيِّدَ بنفس العام، يقع في سوق المدينة القديم يحيطه سوق تحت المنارة المعروف بمئذنة جامع الأغوات وسوق الكوازين والحدادين من الشرق والشمال ومن الجنوب سوق العتمي وخان القلاويين ومن الغرب جامع سوق الحنطة[٥٢]، وعرف بهذا الاسم لأنَّه كان تستحصل فيه الضريبة كما له اسم آخر يعرف به وهو خان الشط لقربه من نهر دجلة[٥٣] يتألف الخان من حوش واسع يتم الدخول إليه بواسطة مدخلين مقنطرين وتتوزع حول الحوش مرافق الخان المؤلفة من طابقين و(٦٨) غرفة وعدد من الاسطبلات والأروقة والأواوين[٥٤] وهناك خان ثانٍ يعرف بخان الكمرك الصغير يقع عند شاطيء نهر دجلة ترجع ملكيته إلى أسرة الجليلي وخاصة (عائشة خاتون بنت ايوب بك) وكذلك أسرة حمو القدو وأسرة رسام ، يتألف من حوش يتم الدخول إليه من مدخلين مقنطرين وضَمَّ طابقاً واحداً وأربع حجر و(٢١) رواقاً فضلاً عن خمسة دكاكين ملحقة به تقع خارج الخان واختص بتجارة السلع الغذائية والفحم [٥٥] مخطط (٣).

٣- **خان الحاج حسين:** تعود ملكية هذا الخان للحاج اسماعيل صديق الجليلي وحسين جلبي ومصطفى الجادر وآخرين وقد أُوْقِفَ للحاج حسين باشا الجليلي، ويقع في سوق الميدان بالقرب من باب الجسر القديم ويتألف الخان من طابق واحد ضم (١٠) غرف وفناء واسع وقنطرة ومجموعة من الاسطبلات وعدد من الدكاكين وسرداب وكان مخصصا لبيع البصل الذي كان يجلب من قرى الموصل ويباع ويخزن في هذا الخان(٥٦).

ويُضاف إلى هذه الخانات العديد من الخانات التي بُنِيَتْ في هذا العصر والبعض منها كانت وقفا لأحد أبناء الأسرة الجليلية مثل خان عبيد آغا وخان النعل وخان باب الطوب.

الخاتمة:

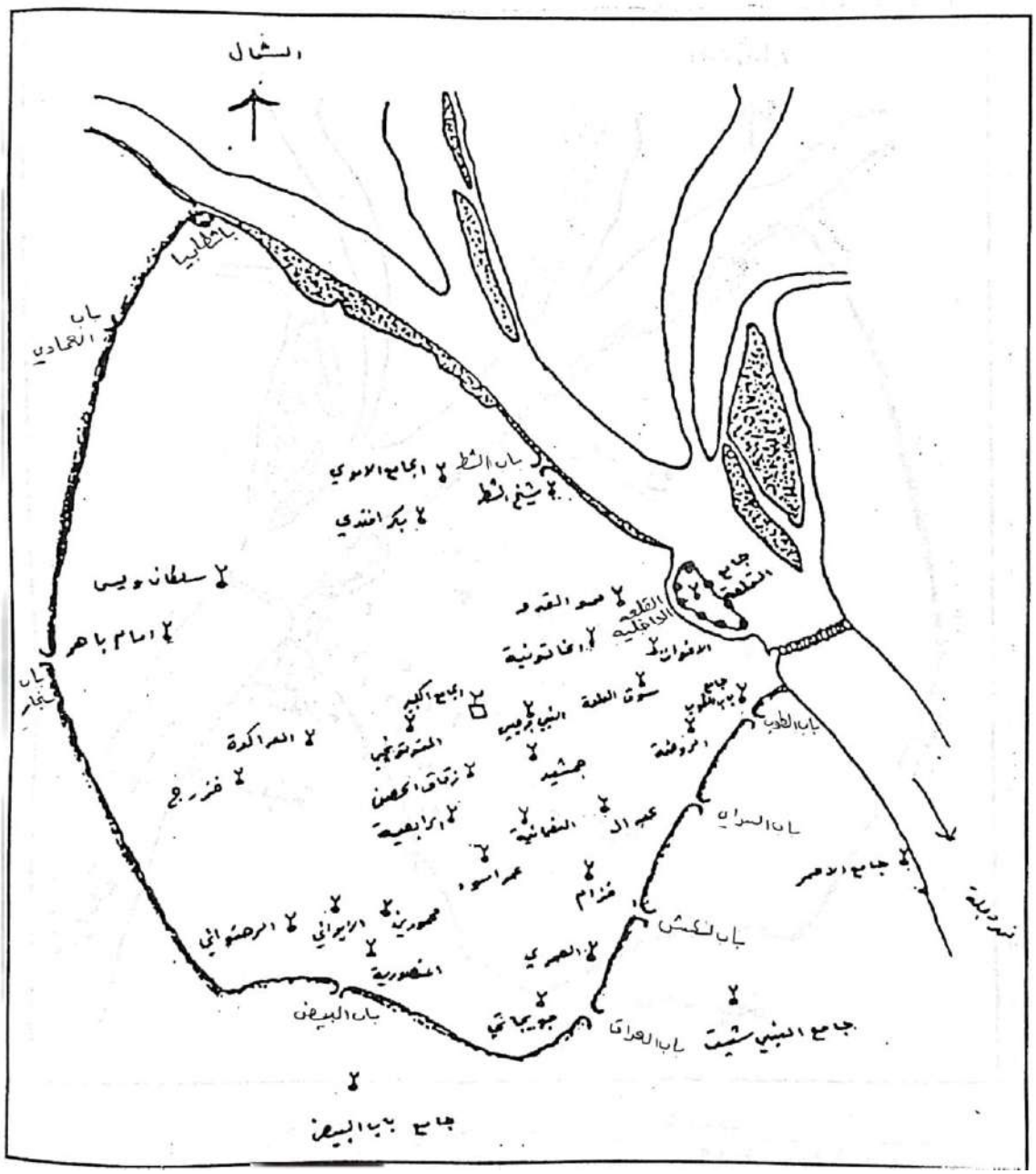
يعد العصر الجليلي بحق العصر الذهبي لمدينة الموصل حيث شهدت المدينة في عهد الأسرة الجليلية نوعاً من الاستقرار والتطور ونجد ذلك واضحاً في تخطيط المدينة وفي عمائرها الدينية والخدمية حيث تذكر المصادر أنَّ عدد محلاتها بلغ الى مايقارب ٣٥ محلة أما عمائرها الدينية فيصعب حصرها لكثرتها وتنوعها بين مساجد وجوامع وكنائس ومدارس ، وكذلك الحال بالنسبة لمبانيها الخدمية وهذا التطور في عدد المباني رافقة انتعاش في مختلف مجالات الحياة ، وقد كانت الموصل في هذا العصر مركزاً ثقافياً مهماً حيث زاد عدد المدارس الملحقة بالجوامع والتي أوقف عليها المكتبات ذات الكتب النادرة والمخطوطات القيمة.



١-الكوازين	١٠-السراجين	١٩-قيصرية القوينجية
٢-القطانين	١١-الحشيش	٢٠-قيصرية العسكر
٣-الميدان	١٢-القطن	٢١-قيصرية الدمغة
٤-الصفارين	١٣-الصباغين	٢٢-قيصرية الشالجية
٥-القصابين	١٤-البرضعجية	٢٣-قيصرية القزازين
٦-العلوة	١٥-خان المفتي	٢٤-سوق الشعارين
٧-الصاغة	١٦-قيصرية علي افندي	٢٥-سوق الخيل
٨-العطارين	١٧-قيصرية ايوب بك	٢٦-سوق الملاحين
٩-الايمنجية	١٨-قيصرية العبدلية	

خارطة (١) توضح اسواق وقيساريات الموصل

نقلا عن : كيمب بيرسي، المرجع السابق ،ص٢٤٣



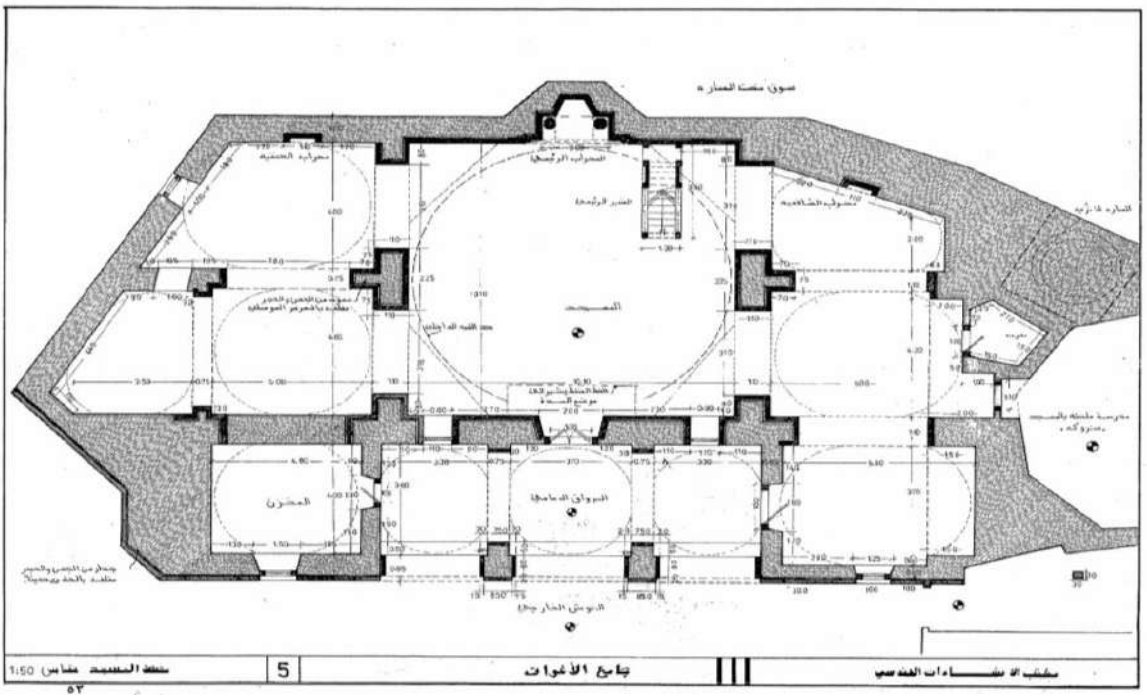
خارطة (٢) توضح ابواب الموصل وجوامعها ومساجدها

نقلاً عن: كيمب بيرسي، المرجع السابق ، ص٢٤٤



الصورة (١) جامع الاغوات والدمار الذي حل به

نقلا عن : مفتشية اثار وتراث نينوى



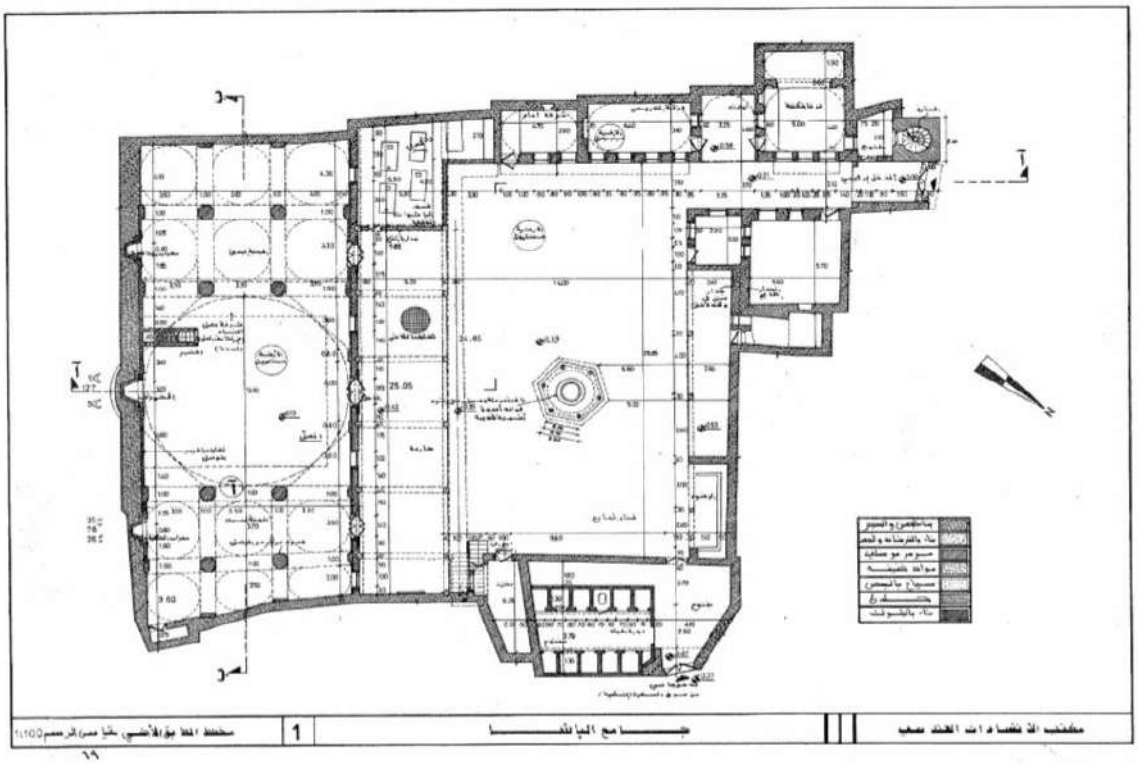
مخطط (١) مخطط جامع الاغوات

نقلا عن : ذنون، يوسف والصائغ عبد الكريم: العمائر الدينية في مدينة الموصل، مكتب الانشاءات الهندسي،ص٥٣



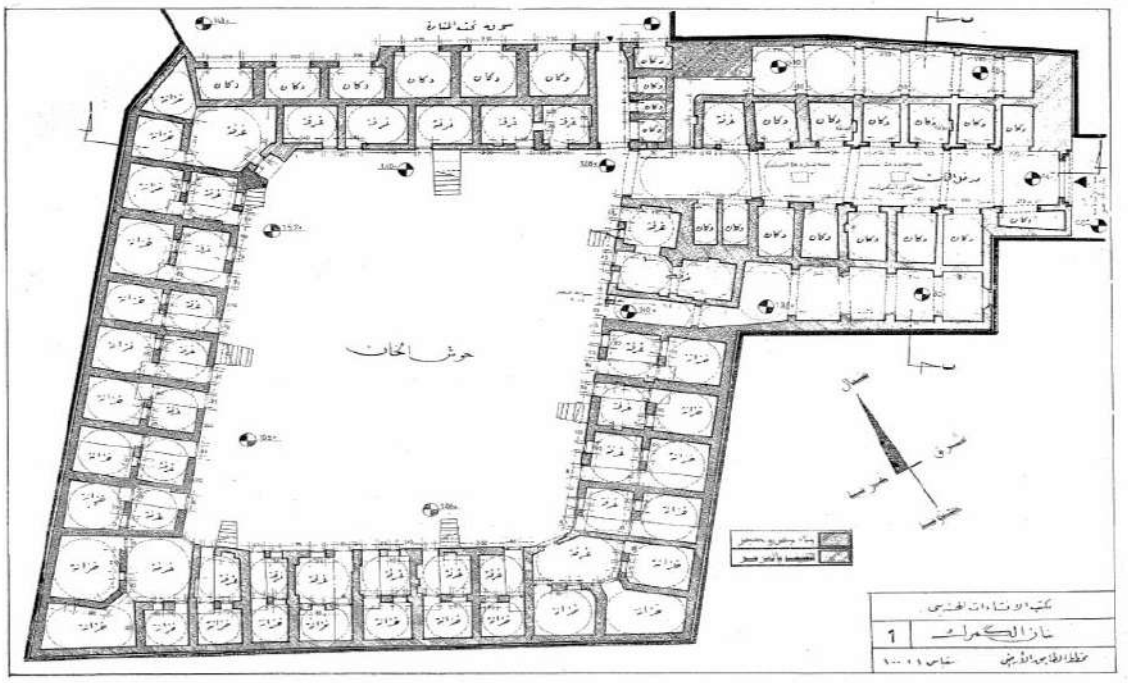
صورة (٢) جامع الباشا بعد التعمير

نقلا عن : مفتشية اثار وتراث نينوى



المخطط (٢) مخطط جامع الباشا

نقلاً عن : يوسف والصائغ عبد الكريم: العمائر الدينية في مدينة الموصل، مكتب الانشاءات الهندسي،ص٦٩



مخطط (٣) مخطط ارضي لخان الكمرك

نقلا عن : يوسف والصائغ عبد الكريم: العمائر الخدمية في مدينة الموصل، مكتب الانشاءات الهندسي،ص٤٥

الهوامش :

(١) الجميل ،سيار كوكب علي :الموصل خلال الحكم المحلي ، موسوعة الموصل الحضارية ،مج ٣، ط١،دار ابن الاثير للطباعة والنشر ،الموصل ١٩٩١،ص٣٣ .

(٢) لانزا، دومنيكو : الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكوا لانزا ،ترجمة عن الايطالية روفائيل بيداويد ، ط٢ ، المطبعة المشرقية الحديثة ، الموصل ،١٩٥٣ ، ص ١٨.

(٣) الجميل ،المرجع السابق ، ص ٣٣؛ العلاف، ابراهيم خليل: تاريخ الأسرة الجليلية في الموصل، بحث أُلقيَ في الندوة العلمية ٥٨، (السمات الحضارية لولاية الموصل خلال العهد الجليلي (١٧٢٦-١٨٣٤م)، مركز دراسات الموصل، ٢٠٢١، ص٧.

رؤوف، عماد عبد السلام،الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي،مطبعة الآداب،النجف، (4)١٩٧٥، ص٤٠

؛الجميل ،المرجع السابق ، ص ٣٣

(٥) رؤوف، المرجع السابق ، ص٤١.

(٦) قاشا، سهيل: الموصل في العهد الجليلي (١١٣٩-١٢٥٠ه/١٧٢٦-١٨٣٤م)، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٠، ص٨٠.

(٧) المرجع نفسه ،ص٥١.

(٨) رؤوف ،المرجع السابق ، ص ٤٥.

(٩) قاشا، سهيل: الموصل في القرن التاسع عشر (دراسة سياسية) (١٨٣٤-١٩٠٩م)، ط١، مطبعة التنوير، لبنان، ٢٠١٠، ص٧.

(١٠) العلاف، ابراهيم خليل: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٥، ص٩٥.

(١١) رؤوف، المرجع السابق ، ص٥٧.

(١٢) قاشا ،المرجع السابق ،ص ٨.

(١٣) الجمعة، أحمد قاسم: المميزات والتصاميم المعمارية للدور التراثية في الموصل وتأثيرها على النمو العمراني الحضري فيها، مجلة آداب الرافدين، ع١٦، ١٩٨٦، ص٣٢١ و٣٢٣.

(١٤) الصوفي ، احمد : خطط الموصل ،مطبعة ام الربيعين ، الموصل ، ١٩٥٣ ، ص ٢٣.

(١٥) الحيالي ، اكرم محمد :خطط مدينة الموصل في العصر العثماني من خلال المباني الشاخصة ،اطروحة دكتوراة ، (غير منشورة)، كلية الاداب جامعة الموصل ، ص ٦١.

(١٦) الحيالي ، المرجع السابق ، ص ٧٣.

(١٧) الديوه جي ، سعيد : البيت الموصلي ، مجلة التراث الشعبي ، العدد٦ ، السنة ٦، ١٩٧٥، ص٤٣.

(١٨) خليل، عماد الدين: خطوات في تراث الموصل، دار ابن الأثير للطباعة، الموصل، ٢٠٠٩، ص١٠٠.

(١٩) الجمعة، المرجع السابق ،ص٣٢٤.

(٢٠) الديوه جي،المرجع السابق ،ص٢١-٤٢ .

(٢١) النعيمي ، فيان موفق :معالجة المشكلات البيئية في عمائر الموصل خلال العصور الاسلامية، اطروحة دكتوراة (غير منشورة) ، كلية الاداب جامعة الموصل ، ص١١١-١١٣ .

(٢٢) العبيدي ،علي احمد :التشكيل المعماري لمدينة الموصل خلال العهد الجليلي (المواضع الدالة)- قراءة سيميائية ،مجلة اضاءات موصلية ،العدد٦٢، ٢٠١٢ ، ٥-٦ .

(٢٣) رؤوف، المصدر السابق، ص٤٢٩.

(٢٤) كيمب، بيرسي :الموصل والمؤرخون الموصليون في العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤م ، ترجمة محب احمد الجليلي وغانم العكيلي ،مركز دراسات الموصل ،الموصل ،٢٠٠٧، ٢٠.

(٢٥) خليل، المصدر السابق، ص١١٥.

(٢٦) الحيالي، أكرم: خطط مدينة الموصل في العصر العثماني من خلال المباني الشاخصة، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، ١٩١٧، ص٣٠٠ .

(٢٧) رؤوف، المرجع السابق، ص٤٣٢.

(٢٨) الديوه جي ، تاريخ الموصل ،ج٢ ،٢٠٠١،ص ١٤٤.

(٢٩) يحيى، المرجع السابق، ص٣٠٢.

(٣٠) الديوه جي ، تاريخ الموصل ، ص ١٤٤

(٣١) الحيالي ، المرجع السابق ،ص ، ٤١٨.

([٣٢]) الديوه جي، سعيد: جوامع الموصل في مختلف العصور، ط٢، دار ابن الأثير للطباعة، الموصل، ٢٠٠٢، ص١٩٩.

([٣٣]) ذنون، يوسف والصائغ عبد الكريم: العمائر الدينية في مدينة الموصل (نماذج من التوثيق العام)، مكتب الانشاءات الهندسي، الجزء الثالث ، الموصل، ١٩٩٥، ص٣٩.

([٣٤]) الحيالي، المرجع السابق ، ص١٣٣.

([٣٥]) الديوه جي، جوامع الموصل، ص٢١٠.

([٣٦]) ذنون، المرجع السابق، ص٦٣.

([٣٧]) الحيالي، المرجع السابق ، ص٢٦٣.

([٣٨]) الحيالي، المرجع نفسه، ص٢٤٢.

([٣٩]) الديوه جي، جوامع الموصل، ص٢٢٥.

([٤٠]) الحيالي، المرجع السابق ، ص٢٦٥ .

([٤١]) سيوفي ،المرجع السابق ، ص ١١٧.

([٤٢]) العمري ،ياسين بن خير الله الخطيب : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، مطبعة الهدف ، تحقيق ونشر ، سعيد الديوه جي ، الموصل ، ١٩٥٥، ص٣٥.

([٤٣]) المرجع نفسه، ص١٢٩ و٢٤٣ و٢٣٠ و٢٦٠.

([٤٤]) سيوفي ، نيقولا: مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل ،تحقيق ونشر سعيد الديوه جي ،مطبعة شفيق ، بغداد ،١٩٥٦،ص١٢٥.

([٤٥]) المحمود ، عروبة جميل :المدارس الدينية الموصلية خلال الحكم الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤م، مجلة دراسات موصلية ،العدد٢٠٢٢،٦٢، ص٤-٥.

([٤٦]) العمري،المرجع السابق ، ص ١١٣ ؛ الديوه جي، جوامع الموصل،ص٢٠٤ ؛ سيوفي،المرجع السابق،ص ١٠.

([٤٧]) الديوه جي، جوامع الموصل، ص٢٢٥ ؛ الحيالي ،المرجع السابق ص ٣١٢-٣٣٣.

([٤٨]) الديوه جي، تاريخ الموصل ، ص٢٧٧-٢٧٨.

([٤٩]) يحيى، أكرم: خطط خانات الموصل خلال العهد العثماني، مجلة دراسات موصلية، ع٣٨، ٢٠١٢، ص٢٥.

([٥٠]) غالب ، عبدالرحيم :موسوعة العمارة الاسلامية ،الطبعة الاولى ،بيروت ،١٩٨٨، ص ٣٠٦.

([٥١]) يحيى، خطط خانات الموصل ، ص٣٥.

([٥٢]) هاشم ،هشام سوادي :اسهامات الموصل الحضارية في العمارة الاسلامية في العهد العثماني الخانات التجارية أنموذجاً مجلة التربية والعلم ،المجلد ١٥،العدد٣،٢٠٠٨ ،ص٩.

([٥٣]) يحيى، خطط خانات الموصل ،٤٠.

([٥٤]) الصائغ، عبد الكريم وذنون يوسف: العمائر الخدمية في مدينة الموصل، ج٢، مكتب الانشاءات الهندسي، الموصل، ١٩٩٥، ص٤٠.

([٥٥]) يحيى، خطط خانات الموصل ص٤١.

([٥٦]) يحيى، المرجع نفسة ،٤١.

أزمة فاشودة 1898
واثرها في العلاقات البريطانية الفرنسية

م.د. نغم عبد الهادي مهدي

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

ازمة فاشودة 1898 واثرها في العلاقات البريطاني- الفرنسية

م. د. نغم عبد الهادي مهدي

المبحث الاول: موقف بريطانيا من أطماع القوى الأوروبية في السودان:

أثر انطلاق الحملة البريطانية إلى اوغندا عام ١٨٩٠، قام مندوبو شركة شرق أفريقيا البريطانية باستغلال ذلك، من خلال تجنيد الجنود المصريين الذين بقوا في المديرية الاستوائية لصالح الشركة. ومن جانب آخر، سعت ايطاليا الى تعزيز نفوذها في القرن الافريقي، فبعد ان نجحت المساعي الايطالية عن طريق شركة رابيتنو الايطالية للملاحة في منطقة جفيرة بالقرب من آراضي عصب، التي احتلالها منذ عام ١٨٨٥، وبذلك بأنشاء مستعمرة اريتيريا عام ١٨٩٠، الامر الذي دفع الحكومة البريطانية الى إجراء مباحثات مع ايطاليا، إذ تمخضت في الخامس عشر من نيسان ١٨٩١ــ بالتوصل الى توقيع معاهدة وتشاله Treaty of Wuchale، إذ أكدت على حق ايطاليا في ارتيريا واعتبارها مستعمرة ايطالية. وفي مقابل ذلك، تعهدت بعدم إقامة اي مشاريع على نهر عطبرة وهو احد روافد نهر النيل والذي قد يؤثر سلبا على مياه نهر النيل(١).

سرعان ما تفاقمت الخلافات ما بين إيطاليا وأثيوبيا، بشأن مصير المادة السابعة عشر من معاهدة وتشاله، التي نصت على استشارة إيطاليا فيما يتعلق بالشؤون الخارجية الأثيوبية مما أدى إلى نشوب نزاع مسلح بين الطرفين. وقد وقفت كل من فرنسا وروسيا إلى جانب أثيوبيا مما ساعدها في انتصارها في معركة عدوة في آذار ١٨٩٦، وعلى اثر ذلك اعترفت إيطاليا بحقوق مصر الشرعية في السودان ومنها منطقة كسلا، مقابل السماح لها بحماية مناطق نفوذها من المهديين(٢) .

في سياق متصل، كانت فرنسا تفكر جدياً في تحدي بريطانيا وعرقلة مشروعها بإرسال حملة تنطلق من مستعمراتها في أفريقيا الوسطى إلى جنوب بحر الغزال وأعالي

النيل وضمها الى ممتلكاتها، وبذلك سوف تتمكن فرنسا من إزعاج بريطانيا وتهديدها بقطع مياه نهر النيل عن مصر لجعل وادي النيل منطقة نفوذ خاصة بها(٣). إلا ان ذلك المشروع اصطدم بمعارضة بلجيكا التي عملت على توطيد نفوذها وهددت باستعمال القوة لمنع زحف فرنسا، لذلك عقدت فرنسا معاهدة مع بلجيكا الهدف منها التغلب على عوامل الصراع لتسيير زحفها إلى أعالي النيل، كما عدّلت بموجبها الحدود بين الكونغو الفرنسي وحكومة الكونغو الحرة البلجيكية(٤).

سعت بريطانيا أمام تلك التطورات إلى عدم تمكين أية قوة أوروبية من الوصول لمنابع نهر النيل، لذا حذر سفير بريطانيا في باريس، الحكومة الفرنسية من أرسال تلك الحملة. وعليه اقترح وزير خارجية فرنسا غابرييل هانوتو (Gabriel Hanoteau) (٥) على وزير المستعمرات الفرنسية تيوفل ديلكاسيه Theophile Delcasse(٦). التأني لمحاولة الوصول إلى تسوية سلمية مع بريطانيا، ولكن المفاوضات فشلت بين الطرفين؛ بسبب تمسك بريطانيا بمبدأ أبعاد الدول الأوروبية عن وادي النيل فاستأنفت الحملة مسيرتها(٧). وقد مثل رد الحكومة المصرية على النشاط الفرنسي بالسير خلف السياسة البريطانية، ولاسيما ان تلك المسألة استحوذت على اهتمام الصحافة المصرية، ولعل اهم ما جاء في افتتاحياتها "**ان الحكومة المصرية والشعب المصري يتطلعان في إعادة احتلال السودان**" معللة ذلك "**انه في حالة سيطرت أي قوة متحضرة على مياه منابع النيل فأنها في النهاية قد تكون في وضع يمكنها من ممارسة نفوذ دائم على مستقبل ومصير مصر**"(٨).

برزت أيضا الأطماع البلجيكية من خلال أطماع الملك ليبولد(Leopold) في المديريات الجنوبية للسودان، الذي اجتهد كثيراً ومن خلال عقد الاتفاقيات مع ألمانيا وفرنسا وبريطانيا للوصول إلى تلك المناطق(٩). فقد اتجهت سياسته منذ عام ١٨٩٥،

للتوصل الى تفاهم مع بريطانيا التي زارها ثلاث مرات لتحقيق أطماعه، ففي زيارته الأولى اقترح بان تتنازل مصر له على الأراضي الواقعة جنوب الخرطوم حتى بحيرة نيانزا عن طريق الإيجار، وفي الزيارة الثانية اقترح تسوية الخلافات ما بين بريطانيا وفرنسا، وان تكون بريطانيا صاحبة المبادرة بإعلان حكومتها تاريخاً محدداً للجلاء عن مصر مع تنازل مصر للبيولد عن الأراضي الواقعة جنوب الخرطوم، وفي زيارته الثالثة اكد على اقتراحاته التي سبق وان قدمها في زيارته الأولى مع تسليم الأراضي السودانية بعد خضوعها لبريطانيا ومن ثم تقوم بلجيكا بتجنيد عدد من المقاتلين بهدف ارسالهم لاحتلال ارمينيا، الا ان بريطانيا لم ترفض جميع تلك المقترحات، فحسب بل رفضت حتى مناقشتها(١٠).

أمام الأطماع الأوربية السابقة في السودان وجنوبه، أثارت الدوائر البريطانية مسألة حوض النيل والسودان والتي شملت جانبين هما: القضاء "**الدولة المهدية**" والوصول إلى منابع النيل، وبعد مداولات عديدة ومكثفة استطاعت الحكومة البريطانية إقرار سياسة السيطرة على السودان في آذار ١٨٩٦، من دون استشارة كرومر (cromer) والسلطات العسكرية في القاهرة، وبعد اتخاذ ذلك القرار والتغلب على معارضته، عينت الحكومة البريطانية كتشنر (Kitchener)(١١) قائداً للحملة للسيطرة على دنقلا، وقد استطاع احتلالها فعيلاً في أيلول ١٨٩٦، وكان على الحكومة البريطانية قبل السماح لكتشنر باستئناف الزحف جنوباً توثيق عرى التعاون مع أثيوبيا وعقد اتفاقية مع امبراطورها لضمان حيادها(١٢). وعلى اثر ذلك صدرت التعليمات الى كتشنر بمواصلة زحفه باتجاه الخرطوم، فاستولى على (ابي حمد، بربر، المتمة وعطبرة)(١٣).

في غضون ذلك، كانت فرنسا هي الأخرى تسعى الى توسيع نطاق نفوذها في السودان للضغط على بريطانيا من اجل اعادة فتح ملف المسألة المصرية والتفاوض

عليها، ولتحقيق هذا الغرض كان ينبغي على فرنسا ان تضع يدها على نقطة استراتيجية وهو ما سوف نوضحة في المبحث القادم.

المبحث الثاني : الحملة الفرنسية الى فاشودة وحدوث الازمة

كانت الحكومة الفرنسية في تسعينيات القرن التاسع عشر منخرطة بالكامل في المشاريع الاستعمارية، فعلى الرغم من ان التحالف مع روسيا قد يؤمن فرنسا من هجوم ألماني على أراضيها، فان الاعتراض على تشتيت القوات قد يضعفها، فضلاً عن ذلك فان التحالف الفرنسي– الروسي قد سمح للشريكين بأن يكونا في موقع افضل قياساً ببريطانيا(١٤) .

توجهت سياسة وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية في اغتنام فرصة التكالب على قارة أفريقيا لإعادة طرح المسألة المصرية، وذلك بعد ان أعلنت بريطانيا ان احتلالها لمصر سيكون مؤقتاً، إلا ان حملة دنقلة مع عدم ربط الجزء المسترد من السودان بمصر قد اكد نية الحكومة البريطانية بجعل احتلالها لمصر بشكل أبدي(١٥).

كانت القاعدة التي سيطرت على السياسة الفرنسية تمحورت على مبدأ التوسع الاستعماري في أفريقيا على طول خط يبدأ من لوانجو وينتهي على ساحل البحر الأحمر، وبذلك يتقاطع مع الخط الانكليزي المعروف (الكاب– القاهرة) وهي خطة في رأي بعض الساسة الفرنسيين كانت كفيلة بتحقيق نتائج معقولة من وجهة النظر الاستعمارية، والهدف منها وقف تقدم البريطانيين في أعالي النيل(١٦).

عقد كارنر رئيس الجمهورية الرفسية في الخامس من أيار ١٨٩٣، في قصر الاليزيه اجتماعاً حضره ديلكباس وكيل وزير المستعمرات، وقد تحدث الرئيس الفرنسي بأنه يرغب في إعادة فتح ملف المسألة المصرية ولتحقيق هذا الغرض ينبغي ان تقوم

حملة فرنسية لوضع يدها على نقطة معينة من الاراضي المصرية، فاذا بادرت بريطانيا بالشكوى، اجبرتها القوى الاوربية بالتخلي عن وادي النيل، وقد وقع اختيار الرئيس على فاشودة[١٧]، لأسباب ثلاث وهي:

أولاً:- ان فاشودة عاصمة لمديرية مصرية.

ثانياً:- ان فاشودة بمثابة مفتاح مصر بفضل موقعها الجغرافي عند ملتقى السوباط بالنيل.

ثالثاً:- تقع فاشودة على امتداد الممتلكات الفرنسية بحيث انه في سبيل الوصول إليها سهل نسبياً للقوات الفرنسية[١٨].

قامت الحكومة الفرنسية بتكليف مونتي (Monteil) وهو من الضباط المهتمين بعمليات الاستكشافات الجغرافية للقيام برحلات استكشافية تنطلق من الاوبانجي الأعلى في الكونغو، إذ بدأت الرحلة في السادس عشر من تموز ١٨٩٤، إلا ان الرحلة توقفت نتيجة لدخول فرنسا في مفاوضات مع الحكومة البريطانية بشأن ايقاف الرحلات الاستكشافية الى اعالي النيل [١٩].

قررت الحكومة الفرنسية في شباط ١٨٩٦، نتيجة الحاح النقيب مارشان (Marchand) (احد مساعدي مونتي)، تكليفه بقيادة حملة استكشافية جديدة إلى أعالي النيل عن طريق غرب افريقيا، كانت الغاية الرئيسية لها هي ايجاد اتصال مباشر ما بين الكونغو الفرنسية والحبشة، اما الهدف السري لها فكان ايجاد نقطة فرنسية في عالي النيل، تكون بمثابة ورقة تبادل في فرنسا تسمح لها عند الحاجة بالاشتراك في مركز القوة بتسوية المشكلة المصرية والحصول على تنازلات من قبل بريطانيا[٢٠].

وصل مارشان في الثاني والعشرين من تموز ١٨٩٦، الى لوانجو عند ساحل غرب افريقيا برفقة ثمانية ضباط وطبيباً ومترجماً واثنا عشر من ضباط الصف ومئتي

جندي سنغالي وسفينتين صغيرتين، وخلال ذلك لم يكن الرأي العام الفرنسي على علم بما تقوم به الحكومة الفرنسية من جهود في هذا الاتجاه او ما ينفذه مارشان، وقبل ذلك في شهر نيسان ١٨٩٦، بدأت الحكومة البريطانية في القيام بما اسمته بحملة دنلقة (Dongola)، وذلك بأرسال قطعات من الجيش المصري بقيادة ضباط بريطانيين وبأمرة اللواء كتشنر لاحتلال الجزء الشمالي من السودان، ثم عززت هذه القوات المصرية وأرسلت بضعة كتائب انكليزية للمشاركة في هذه الحملة قبل دخولها إلى ام درمان والخرطوم(٢١)

دخلت بعثة مارشان، مديرية بحر الغزال في نهاية شهر آذار ١٨٩٨، وبذلك أخضعت للقوات الفرنسية التي قسمتها إلى ثلاث دوائر يديرها ضباط فرنسيون، وفي الخامس من حزيران ١٨٩٨، تابعت بعثة مارشان طريقها باتجاه فاشودة بعد ان أقامت لمدة في المحطة التي أقامتها في كوتشوك ، ووصلت البعثة الى فاشودة في العاشر من تموز ١٨٩٨، التي لم يلاق فيها الفرنسيون ترحيباً من الوطنيين السودانيين، فقد حاول المهديون مقاومة الفرنسيين وذلك بارسال عدة قوارب تحمل مقاتلين من المهديين بقيادة الامير سعيد حضير، لكن الفرنسيين احرزوا نصراً على الامير وقواته في الخامس والعشرين من آب ١٨٩٨. وحاول الامير سعيد حضير شن هجومٍ بري على فاشودة في التاسع والعشرين من آب ١٨٩٨، الا ان عودة الزورق الحربي الفرنسي الذي ارسله مارشان للاستطلاع في نهر السوباط، أدى إلى إنقاذ البعثة الفرنسية في فاشودة من المهديين، وعدول الأمير المهدي عن مهاجمة فاشودة بعد رؤية الزورق الحربي الفرنسي(٢٢).

على اثر انتصار كتشنر على المهديين في معركة ام درمان في الثالث من أيلول ١٨٩٨، وبعد دخوله مدينة الخرطوم، علم بوجود بعثة مارشان في فاشودة، فأسرع

بالذهاب إلى هناك بالسفن النهرية على رأس قوات مصرية مزودة باسلحة حديثة، إذا ما قورنت بما كان بحوزة مارشان من أسلحة ومعدات حربية، وذلك من اجل إعادة منطقة فاشودة الى الحكم المصري ومن ثم السيطرة الانكليزية[٢٣] . احتل كتشنر منطقة الدنك في الخامس عشر من أيلول ١٨٩٨، التي تبعد حوالي ٤٥٠ كم الى الجنوب من الخرطوم، وادى الى صدام بسيط مع المهديين الذي كانوا يقودهم الامير سعيد الى اسرة واستيلاء كتشنر على الباخرة السودانية والاحد عشر قارباً نهريا التي كان الامير يقودها.

أصبحت القوات البريطانية– المصرية في الثامن من أيلول ١٨٩٨، على بعد حوالي ٢٠ كم من فاشودة[٢٤]. في غضون ذلك رفع الحضر الإعلامي الذي كان مفروضاً من قبل الحكومة الفرنسية على أخبار بعثة مارشان ونشاطها، وقد ثار الرأي العام الفرنسي بعد اطلاعه على الأنباء التي تفيد بوجود حملة فرنسية بقيادة مارشان وأخرى انكليزية بقيادة كتشنر والتي تفوق بكثير بعثة مارشان عدة وعدداً والتي لم تأخذ طابع الحملة العسكرية، لذا علقت الصحافة الفرنسية والرأي العام الفرنسي الآمال على وزير الخارجية الفرنسي الجديد ديلكاسيه الذي حل محل هانوتو في الحكومة الفرنسية الجديدة التي شكلها بريسون (Brisson) في الثامن والعشرين حزيران ١٨٩٨، بأن يمارس سياسة ذكية وحازمة وان يحسن دعم بعثة مارشان في فاشودة [٢٥] .

وصل كتشنر بقواته إلى فاشودة في التاسع عشر من أيلول ١٨٩٨، وبعد اتصالات بين الطرفين حصلت مقابلة ودية ما بين كتشنر ومارشان اللذان حاولا تجنب اي اصطدام بينهما، وقد ذكر كتشنر في اللقاء بان وجود القوات الفرنسية في أعالي النيل وفي فاشودة يعد اعتداء صريحاً على حقوق مصر، وانه طبقاً للأوامر الصادرة إليه بانه عليه الاحتجاج وبشدة على احتلال الفرنسيين لفاشودة، ورفع العلم الفرنسي في ممتلكات خديوي مصر، لذا فانه تلقى أوامر من حكومته بإعادة السلطة المصرية إلى مديرية فاشودة[٢٦].

مقابل ما سبق، أجاب مارشان بأنه جندي لا يملك سوى إطاعة الأوامر، وان تعليمات حكومته تقضي باحتلال بحر الغزال، ومديرية فاشودة صريحة ولا تقبل التأويل، وأنه اتم تنفيذها وبات لزاماً عليه ان ينتظر أوامر جديدة حول أعماله وتحركاته المقبلة من فرنسا، وذكر انه بالنسبة لهذه الظروف يشعر بالتأكيد ان حكومته لن تتأخر في أرسال الأوامر بالانسحاب، وانتهى الطرفان بالاتفاق على رفع العلم المصر على بعد ٥٠٠ ياردة من الطرف الجنوبي للقلعة المصرية ، وهذا معناه وضع المعسكر الانكليزي على طريق اتصال البعثة الفرنسية بالمناطق الداخلية ، مما ينتج عنه وضع بعثة مارشان تحت رحمة الكتيبة البريطانية التي تركها كتشنر في الموقع بقيادة رائد بريطاني، وفي نهاية الاجتماع الذي عقد على ظهر سفينة القيادة لكتشنر قرر الاثنان الرجوع الى حكومتيهما حول الموضوع[٢٧]. ويبدو ان كل من كتشنر ومارشان لم يقدما على اتخاذ اي خطوة من شأنها توسيع نطاق الازمة وترك المجال للقنوات الدبلوماسية لتولي المهمة كما سنلخص ذلك في المبحث القادم.

المبحث الثالث : الدبلوماسية البريطانية – الفرنسية ودورها في انهاء الازمة

لم تنشر اخبار الاجتماع الذي دار بين مارشان وكيتشنر، الا بعد ان نشرت صحيفة التايمز البريطانية وقائعه في السابع والعشرين من ايلول ١٨٩٨، وفي اليوم التالي استدعى وزير الخارجية الفرنسي ديلكاسيه، السفير البريطاني في باريس ادمون مونسن (E.Monson) واخبره بأن مارشان غير مخول بمعالجة المشاكل السياسية التي لا يمكن تسويتها، إلا بين الدبلوماسيين، ورفض الطلب البريطاني الملّح بسحب بعثة مارشان فوراً من فاشودة، بحجة انتظاره وصول تقرير مارشان قبل البدء بالمفاوضات، وانتقد القائم بالأعمال الفرنسية في لندن جيوفري(Geoffray) الصحافة البريطانية التي حاولت إيهام

الرأي العام البريطاني بان استقرار الفرنسيين في فاشودة هو اعتداء على مصالح مصر وبريطانيا في منطقة أعالي النيل(٢٨).

أمام هذهِ المحاولات بالتفاوض بشأن انسحاب بعثة مارشان جاء الرّد البريطاني حازماً بانه بعد العمليات الحربية التي تمت بقيادة كتشنر في أعالي النيل فإن كل الأراضي التي كانت تابعة للمهدي محمد احمد قد انتقلت ملكيتها إلى الحكومتين المصرية والانكليزية بمقتضى حق الفتح، وان الحكومة البريطانية ترى ان هذا الحق لا يقبل المناقشة، واعقب ذلك دخول بريطانيا وفرنسا في مناقشات قانونية حول حق الفتح مع تقديم كل منهما الحجج التي تؤيد ذلك(٢٩) .

وصل تقرير مارشان في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٨٩٨، إلى باريس، إلا ان التقرير لم يتطرق في طياته إلى الاجتماع الذي تم بينه وبين كيشتنر ، كما لم يحمل التقرير اي ارضاء للمطامح البريطانية (٣٠) .

وفي هذه الاثناء وعلى الرغم من تصاعد حدة التوتر حول قضية انسحاب بعثة مارشان من فاشودة والاستعدادات الحربية والبحرية لكلتا الدولتين، إلا ان الدبلوماسية أدت دوراً هاماً في تخفيف حدة الازمة، وذلك لان دلكاسيه كان مستعداً ومنذ بداية شهر تشرين الأول لتقديم تنازلات من اجل ايجاد تسوية نهائية للمشكلة، لكنه لم يستطع إعلان ذلك تجنباً لأثارة الرأي العام الفرنسي، ولاسيما تقديم بعض التعويضات المحتملة لبريطانيا، وقد اقترح في نهاية الشهر نفسه على الحكومة الفرنسية بتشكيل لجنة مشتركة فرنسية – بريطانية من اجل تحديد مناطق النفوذ لكلا القوتين، وقد نصح دوكورسيل السفير الفرنسي في لندن، ديلكاسيه على عدم التعنت لاعتقاده بان فاشودة ليس لها اي قيمة استراتيجية تخدم المصالح الفرنسية في افريقيا، وان الانسحاب منها حسب رأي دوكورسيل قد يزيل عامل التوتر والغضب الذي خيم على الأوساط السياسية البريطانية، ومن ثم لن يكون

هناك اي عائق أمام بدئ المفاوضات بين الجانبين من اجل تحديد مناطق النفوذ لكل منهما في منطقة أعالي النيل(٣١).

الحق، لم تكن الأوضاع السياسية الداخلية في فرنسا في وضع يسمح لها بتصعيد الازمة، ولاسيما ان قضية دريفوس (Dreyfus) (٣٢) كانت ما تزال عالقة في أذهان الرأي العام الفرنسي. فضلاً عن ذلك، فان الاستعدادات البريطانية كانت تجري على قدم وساق منذ بدء الازمة، ولاسيما بعد تحشد السفن الحربية البريطانية في بحر المانش استعداداً لمحاصرة ميناء بريست الفرنسي، كما نشرت بعض قواتها عند مضيق جبل طارق لمنع الأسطول الفرنسي من الخروج منه، وعززت قواتها في جزيرة مالطة وجبل طارق استعداداً لحصار ميناء طولون الفرنسي، وأرسلت قوةٍ إلى الإسكندرية لحراسة قناة السويس في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات الفرنسية غير كافية لخوض غمار حرب محتملة مع بريطانيا(٣٣).

يبدو حاول دلكاسيه في بداية الأمر كسب الوقت لتتمكن فرنسا من إتمام استعداداتها البحرية والسعي لتأييد روسيا في موقفها، إلا ان روسيا لم تقدم على عقد تحالف مع فرنسا وتأييد موقفها نظراً لسوء الأوضاع السياسية الداخلية التي كانت تمر بها فرنسا ووجود بعض العناصر التي كانت تراها روسيا متطرفة داخل الحكومة الفرنسية وفي مقدمة تلك العناصر (جوريه، كليمنصو ودانك) الذين كانوا يجهرون علانية بعدائهم لروسيا.

على الرغم من الاستعدادات العسكرية البريطانية وتصلب موقفها السياسي تجاه فرنسا وقرع طبول الحرب، لكنها لم تهمل امكانية استخدام الطرائق الدبلوماسية لتسوية الازمة، ولاسيما بعد المحاولات الفرنسية لكسب تأييد ورسيا التي رأتها بريطانيا قد رحبت بالنزاع البريطاني– الفرنسي من دون المساهمة فيه، فضلاً عن ذلك فان الموقف الألماني من الأزمة وعدم ورود اشارات تدل على انحياز الماني لاحد طرفي النزاع، اثار مخاوف

البلدين في آن واحد، ولاسيما بعد ان شعر البلدين بخطورة التقدم الملحوظ في المجال العسكري الالماني وفي مقدمته التطور الذي طرأ على القوة البحرية الالمانية، الذي ثبتت فيما بعد بصدور القانون البحري الالماني الثاني عام ١٩٠٠، والذي ادى الى مضاعفة حجم الاسطول البحري للرايخ الثاني، الامر الذي أثار مخاوف بريطانيا بصورة كبيرة[٣٤].

فضلاً عن ذلك، رأت فرنسا ان تلبية المساعدة الالمانية في حال خوض حرباً ضد بريطانيا تكون مستبعدة حتى وان وافقت المانيا على منح الالزاس واللورين حكماً ذاتياً، فان المانيا ستوقف تقديم الدعم حتى بدون هذه الشروط ، اذ لم ترغب المانيا باثارة بريطانيا في وقت احتاجت فيه المانيا الى خفة في حركتها الدبلوماسية لشق طريقها بين بريطانيا وروسيا في الشرق الاقصى[٣٥]، الامر الذي يدل على ان نشوب حرب بين الطرفين سوف يخدم المصالح الروسية والالمانية بدرجة كبيرة على حساب المصالح البريطانية والفرنسية.

في مطلع تشرين الثاني ١٨٩٨ سقطت الوزارة الفرنسية التي كانت برئاسة بريسون وتشكلت وزارة جديدة برئاسة دوبوي (Dupuy) التي بقي فيها دلكاسيه وزيراً للخارجية، وقد صرحت هذه الحكومة في الثالث من تشرين الثاني ١٨٩٨، بأنها مصممة على عدم بقاء مارشان في فاشدوة، وفي اليوم نفسه اصدر دلكاسيه أمراً لمارشان بالانسحاب من فاشودة، وفي الحادي عشر من كانون الأول ١٨٩٨، انزل العلم الفرنسي نهائياً وتم جلاء القوات الفرنسية من فاشودة[٣٦].

وبذلك نشأ مناخ الانفراج في الأسابيع الأولى من عام ١٨٩٩، إذ بدأ الجانبان البريطاني والفرنسي بمباحثات لرسم خارطة المصالح للإمبراطوريتين في أفريقيا من زوايا تقسيم المياه بين نهرا الكونغو والنيل، ثم عملت الحكومة البريطانية على تصفية

النزاعات الاستعمارية مع فرنسا، إذ بدأت المفاوضات معها في تموز ١٩٠٣، في ظل سياسة توطيد إمبراطوري تبديها الحكومة البريطانية التي كانت برئاسة بلفور (Balfour) حتى وقع الجانبان البريطاني والفرنسي على الاتفاق الودي في السابع من نيسان ١٩٠٤[٣٧].

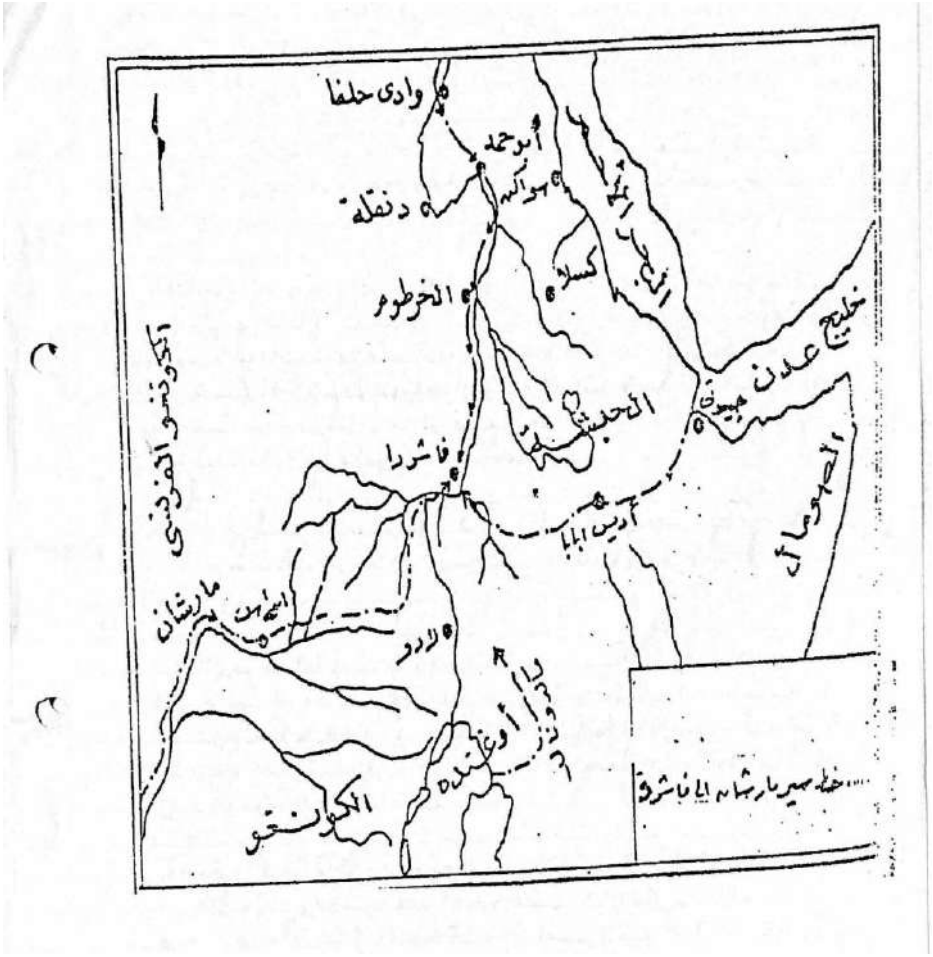
الخاتمة

تبين لنا من خلال دراسة " ازمة فاشودة ١٨٩٨ واثرها في العلاقات البريطانية – الفرنسية" جملة من النتائج والاستنتاجات واهمها :

- لم تتوقع فرنسا ان محاولة استفزاز بريطانيا عبر احتلال فاشودة سوف تثيرها الى درجة تجعل بريطانيا تلجأ الى التصعيد وخوض حرب ضدها .
- كان الاجدر على الحكومة الفرنسية اجراء اصلاحات سياسية على الستوى الداخلي ولاسيما كسب ود الرأي العام الفرنسي بعد الازمة التي عصفت بالبلاد بفعل قضية دريفوس ، فضلاً عن اتخاذ خطوات دبلوماسية او التنسيق مع روسيا والمانيا قبل التوجه الى فاشودة ، لكي تكون السيطرة عليها قد حضيت بتأييد قوتين استعماريتين قبل مزاحمة النفوذ الاستعماري البريطاني ، عوض طلب تأييد موقفها بعد قيام الازمة .
- لم تكن فرنسا على استعداد تام لتحمل اثار احتلال منطقة فاشودة التي تمس مصالح بريطانيا في السودان ، ولاسيما استعداداتها العسكرية مقارنة بالجانب البريطاني .
- على الرغم من ان احتلال فاشودة يمثل تهديداً مباشراً لمصالح بريطانيا الاستعمارية في السودان ، غير ان كلا الطرفين توصلا الى قناعة مفادها ان الحرب سيكون لها اثار جسمية تحلق بهما ، وفي مقدمتهما استنزاف لقوتيهما

العسكرية البحرية ، في الوقت الذي اخذت القوة البحرية الالمانية تزداد في قوتها وترسانتها .

- آمنت الحكومة الفرنسية بضررة استعمال الطرائق الدبلوماسية لحل الازمة ، ولاسيما بعد ان لاحظت ان الحكومة البريطاني مصممة على ان تعالج الازمة على اسس عسكرية اذا ما اقتضت الضرورة .
- اسائت ازمة فاشودة بسمعة ومكانة فرنسا الدولية ، لكنها فتحت البـــاب لاســـتعمال الطرائق الدبلوماسية لتسوية الخلافات مع بريطانيا ولاسيما عقد الاتفاق الودي عام ١٩٠٤ .



قائمة المصادر:

أولاً : الكتب العربية والمعربة :

- أ.ج . ب تايلور، الصراع على سيادة اوروبا، ترجمة فاضل مكي، المركز العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
- حامد صالح تركي، ارتيريا الحديثة والتعدين المصري، دار كنوز، بيروت، ١٩٧٩ .
- سيد محمد رجب الحراز، ارتيريا الحديثة ١٥٥٧– ١٩٤١، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم ، بيروت ، ١٩٩٥ .
- شوقي عطا الله الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١ .
- غالب حامد نجم، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٢٤– ١٩٥٦، منشورات مكتبة جرير، ط١، ١٩٨١ .
- لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية المعاصرة ، دار التقدم ، ١٩٧٤ .
- محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث ١٨٢٥– ١٩٥٥، الخرطوم، ١٩٩٢ .
- محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي الى العصر الحديث، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩١.
- نعوم شقير، تاريخ السودان القديم وجغرافيته، ج٣، دار الفكر، القاهرة، ١٩٦٣.
- ه. ا. ل فيشر تاريخ اوروبا في العصر الحديث ١٨٧٩– ١٩٥٠، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٧٦ .
- هنري لورنس، الازمات الشرقية المسألة الشرقية والدول الكبرى (١٧٦٨ – ١٩١٤) ترجمة بشير السباعي، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٨ .

ثانياً : الكتب الاجنبية :

- Ghaham H. Start , Frank Foreign policy from fashoda to serajevo the century co. New York , 1921

- Philipe chasigne ,Anglo – Franch Relations 1898 – 1998 , plagave , UK , 2002.

ثالثا: الرسائل :

- لمياء مالك عبد الكريم ، اثر السياسة البريطانية في مشكلة جنوب السودان ١٨٨١ – ١٩٣٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ، ٢٠١٦ .

رابعاً: البحوث :

- عبد الكافي طعون ، العلاقات الانكليزية الفرنسية وقضية فاشودة ١٨٩٨ – ١٨٩٩ مجلة دراسات تاريخية العدد (٥٩–٦٠) ، جامعة دمشق ، ١٩٩٧ .
- علي ابراهيم عبد ، ازمة فاشودة ١٨٩٨ ، التاريخ المصرية مجلة ، (د.م) ، الخرطوم ، ١٩٩٢ .
- عمر سالم عمر بايكور ، حملة مارشان وازمة فاشوة ١٨٩٨ ، مجلة جامعة ام القرى ، العدد ١٨ ، ١٩٩٨ .
- يونان لبيب رزق ، فاشودة الصغيرة ١٨٩٩– ١٩٠٦ ، التاريخ المصرية مجلة ، المجلد ١٥ ، القاهرة ، ١٩٩١ .

خامساً الموسوعات : باللغة الانكليزية :

- Encyclopedia Britannica 2012 , CD.
- Encyclopedia Britannica 2009 , CD.

الهوامش:

(1) Philipe chasigne ,Anglo – Franch Relations 1898 – 1998 , plagave , UK , 2002, p.12 .

(2) Ibid, p17 .

(٣) سيد محمد رجب الحراز، ارتيريا الحديثة ١٥٥٧– ١٩٤١، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ص ٧٨ .

(٤) حامد صالح تركي، ارتيريا والتحديث المصري، دار الكنوز، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٤٣.

(٥)

(٦) **تيوفل ديلكاسيه Theophile Delcasse**: سياسي ورجل دولة فرنسي، ولد في باميه بفرنسا عام ١٨٥٢، تدرج في مناصب سياسية عدّة، ومنها نائب سكرتير المستعمرات عام ١٨٩٣، ثم وزير المستعمرات في العام التالي، وعمل على تطوير المشروع الاستعماري الفرنسي، كما أولى اهتماماً خاصاً بالبحرية الفرنسية، ومنافسة الأسطول البريطاني، وفي عام ١٨٩٨ تسنم منصب وزير الخارجية، وكان معروفاً بميله نحو روسيا وعدائه لألمانيا، فوصفه امبراطور ألمانيا بأنه أخطر رجل في فرنسا على ألمانيا، وفي عام ١٩٠٥ أُجبر على الاستقالة بسبب الضغوط الألمانية، ثم عمل وزيراً للبحرية عام ١٩١١، وسفيراً في سانت بطرس بيرغ عام ١٩١٣، ووزيراً للخارجية عام ١٩١٤، واستقال بسبب سوء ظروفه الصحية عام ١٩١٥، توفي في مدينة نيس بفرنسا عام ١٩٢٣.

Encyclopaedia Britannica, Vol. 7, (New york, 1911), P. 953؛ Encyclopaedia Britannica, Vol. 30, (New York, 1911), P. 816؛ Stuart Michael Persell, The French Colonial Lobby 1889-1938, (California, 1983), P. 192.

(٧) لمياء مالك عبد الكريم، اثر السياسة البريطانية في مشكلة جنوب السودان١٨٨١– ١٩٣٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠١٦، ص٧٥.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث ١٨٢٥– ١٩٥٥ ، الخرطوم ،١٩٩٢ ، ص ١٣٢.

(١٠) لمياء مالك عبد الكريم ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(١١) كتشنر ولد عام ١٨٥٠ في ايرلندا وبدأ ضابطاً ومهندساً في القوات الملكية البريطانية ثم عين حاكماً على المستعمرات البريطانية في منطقة البحر الاحمر في عام ١٨٨٦ ، ومن ثم اصبح القائد الاعلى للقوات المسلحة في الجيش المصري عام ١٨٩٢ ، قاد كيشنر حملة الغزو الثنائي البريطاني – المصري على السودان عام ١٨٩٨ ، وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى استدعي

الى بريطانيا وقد توفي اثر تحطيم وغرق سفينة كانت تقله الى روسيا بواسطة لغم الماني في (٥ حزيران ١٩١٦) للمزيد من التفاصيل انظر : Encyclopadia Britanica ,2012 , ID

(١٢) لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠٩ .

(١٣) غالب حامد نجم ، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٢٤ – ١٩٥٦ منشورات مكتبة جرير ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص ٣٤ .

(١٤) عبد الكافي صطفوق، العلاقات الانكليزية الفرنسية وقضية فاشودة ١٨٩٨ – ١٨٩٩، مجلة دراسات تاريخية، العدد (٥٩-٦٠) ، جامعة دمشق ، ١٩٩٧، ص ١٣٣ .

(١٥) علي ابراهيم عبد، ازمة فاشودة ١٨٩٨، التاريخ المصري (مجلة) ، د.م ، الخرطوم ، ١٩٩٢ ، ص١٣٣.

(١٦) عمر سالم عمر بايكور، حملة مارشان وازمة فاشودة ١٨٩٨ مجلة جامعة ام الرى ، العدد ١٨، ١٩٩٨، ص ٢٥٣.

(١٧) توفيق المديني، تاريخ الصراعات السياسية في السودان والصومال الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٢، ص ٣٣ .

(١٨) علي ابراهيم عبد، المصدر السابق، ص ١٣٤ .

(١٩) شوقي عطا الله الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥١٣.

(٢٠) يونان لبيب رزق، فاشودة الصغيرة ١٨٩٩– ١٩٠٦، التاريخ المصرية مجلة، المجلد ١٥، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٦٨ .

(٢١) محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي الى العصر الحديث، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ص٢٢٥.

(٢٢) نعوم شقير، تاريخ السودان القديم وجغرافيته، ج٣، الفكر، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٦٦٥.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٦٦٦,

(٢٤) هـــ. أ. ل. فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩– ١٩٥٠، دار المعارف المصرية، ١٩٧٦، ص ٤١٧.

(٢٥) عمر سالم باكور، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(٢٦) علي ابراهيم عبد، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(27) Ghaham H. Start , Frank Foreign policy from fashoda to serajevo the century co. New York , 1921 , p41

(٢٨) ا. ج . ي تايلور، الصراع على سيادة أوروبا ترجمة فاضل مكثر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٩ ، ص ٥٢٣.

(٢٩) يونان لبيب رز، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٣٠) علي ابراهيم عبد الله ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٣١) عمر سالم بايكور ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٣٢) المصدر نفسه .

(٣٣) محمد سعيد القدال ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣٤) هنري لورنس ، الازمات الشرقية المسألة الشرقية وال..... الكبرى (١٧٦٨ – ١٩١٤) ترجمة بشير السباعي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٨، ص ٢١٩ .

(٣٥) ا.ج. ب تايلور ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٣٦) علي ابراهيم عبد ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٣٧) عمر سالم بايكور ، المصدر السابق ، ص٢٦١ .